

في

معاني الأسماء وبيان الأعلام

بتفسير القرآن

للدكتور

محمد محمود سعيد



الناشر دار الغد العربي

النفيس

في معاني الأسماء ـ وبيان الأعلام

وتفســـير القرآن

قام عليه وأعـدَّه

خادم الكتاب إن شاء الله

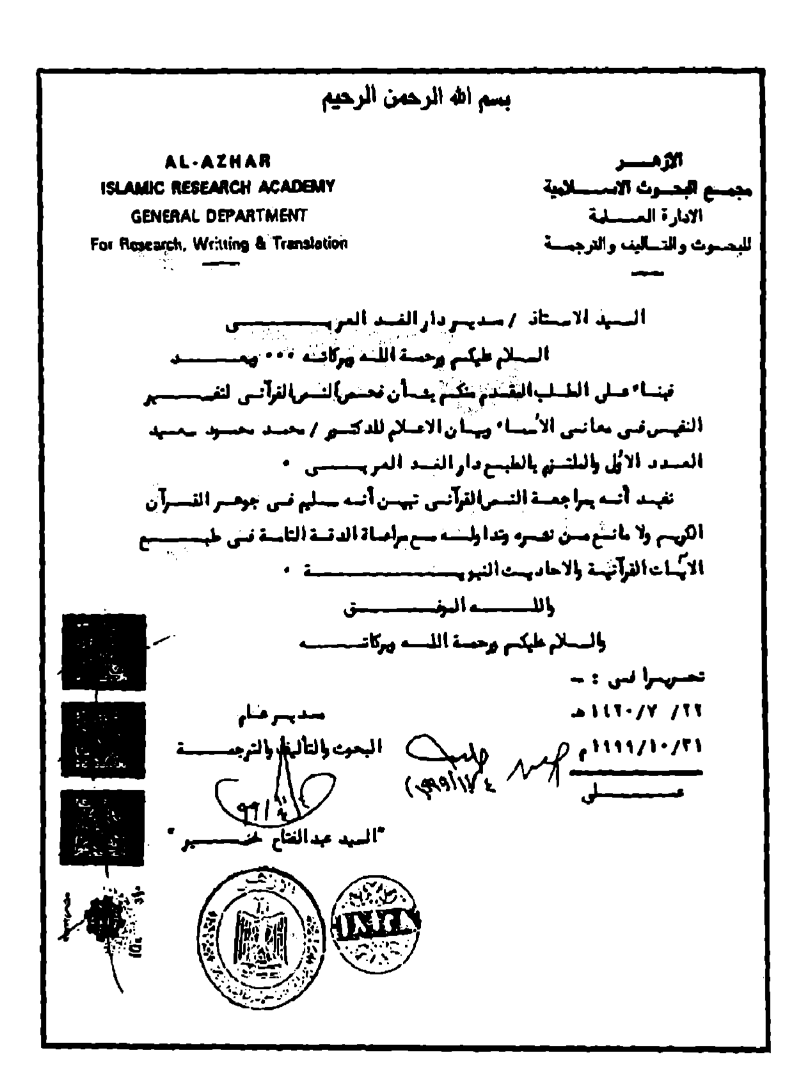
الدكتور/ محمد محمود سعيد

الناشر

دار الغــد العربي

٣ ش دانش ـ العباسية ـ القاهرة

ت: ٢٨٥٦١٢٢ ـ ٢٨٤٣١١٥ ـ ٤٨٢٤٣٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

السيد الأستاذ / مدير دار الغد العربي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

فبناء على الطلب المقدم منكم بشأن فحص النص القرآني لتفسير النفيس في معاني الأسماء وبيان الأعلام للدكتور / محمد محمود محمد العدد الأول والملتزم بالطبع دار الغد العربي .

نفيد أنه بمراجعة النص القرآني تبين أنه سليم في جوهر القرآن الكريم ولا مانع من نشره وتداوله مع مراعاة الدقة التامة في طبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

والله الموفق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريرا في : -
٢٢/ ٧/ ١٤٢٠ هـ
٣١/ ١٠/ ١٩٩٩م

مدير عام
البحوث والتأليف والترجمة

"السيد عبد الفتاح خضير"

شعبان ١٤٢٠ / نوفمبر ١٩٩٩ م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

٩٩ /١٦٧٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

تابع تفسير سورة التوبة

اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

تفسير الآية رقم (٩) :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ لا يزال فى ذكر فعال المشركين الذين لا عهد لهم، يقول تعالى ـ فى شأنهم ـ «اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا» بمعنى أنهم قد استبدلوا بآيات الله المنزلة فى كتابه الحكيم متع الحياة الدنيا وزينتها، فكأنهم قد رفضوا الإيمان بآيات الله وقرآنه ورسوله ﷺ حتى لا يحرموا من متع الحياة الدنيا الدنسة، ولا يحرموا من فعل ما يخالف الخلق الكريم فى سبيل المصلحة مثل عدم الوفاء بالعهود لأن فى الإيمان بآيات الله التى تلتزم الوفاء بالعهود ما يمنعهم من هذه الخيانات التى يمتثل إليها قلوبهم. وربما كان هذا تفسيرا لكون أكثرهم فاسقين لأن الميل إلى ملاذ الدنيا على حساب الدين والشرف هو من خصال الفاسقين.

ثم إنه تعالى يبين أن اتجاههم إلى ملاذ الدنيا وتفضيله على الإيمان بآيات الله تعالى هو الذى دفعهم إلى الإعراض عن دين الله تعالى وصدهم الناس عنه، أو صدهم المؤمنين عن البيت الحرام، وذلك بقوله تعالى «فصدوا عن سبيله» .

ثم يجىء قوله تعالى «إنهم ساء ما كانوا يعملون» ذما لأفعالهم جميعها من إصرار على

الشرك، وخيانة العهـود، والإعراض عن دينه تعالى، وصـدهم الناس عنه، فمعنى قولـه تعالى هو «بئس العمل هو ما كانوا يعملون» .

تفســـــير الآية رقم (١٠) :

معنى قوله تعالى - فى الآية - يقبل أن يكون فى ذكر صفة أخرى للمشركين الذين لا يوفون بعهودهم فمـن بعد ذكره تعالـى أنهم لا يرقبون أو لا يـراعون قريبا لهـم بين المخاطبين بقـوله تعالى فى الآية السابعـة من السورة ولا صاحب عهد فإنه تعالى يثبت ـــ فى الآية ـ أن هذا هو فعلهم من المـؤمنين عامة لا يـرقبون فيهم إلا ولا ذمة. ويقبـل القول أن يكون تفسيرا لفعـالهم التى ذمهـا تعالى ـــ فى الآية السـابقة ـ أو أن يكـون تعالى قـد خص بالـذم من فعالهـم عدم مراعاتهم ذوى القرابة وأصحاب العهود فى المؤمنين .

وقيل إن المقصـودين بـالقول هـم اليهود والأعراب الـذين جمعهـم أبو سفيـان وأطعمهم ليستعين بهم على محـاربة رسول الله ﷺ. ولو كان هذا صحيحا لزم أن يكـون المراد بـ «آيات الله» فى الآية السابقة القرآن العظيم والتوراة، ولا يبين من تسلسل المعانى صحة هذا القول .

ثم يجيء قولـه تعالى «وأولئك هم المتعدون» إخبـارا عن طبيعة الذين تناولـت أوصافهم وفعالهـم آياته تعـالى، فهم المعتـدون، الذيـن جاوزوا الحدود فـى الظلم والشرور، فكـانت أفعالهم اعتداءً، استحقوا بها أن يكونوا لديه تعالى هم المعتدين .

تفســـــير الآية رقم (١١) :

قوله تعالى - فى الآية - فيه باب مـن أبواب رحمته تعالى، وفيه حكم شرعى بمصلحة من المصالح المرعية فى الشرع وهى الأخوة الدينية .

فقوله تعالى «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين» وقد جاء فى صيغة جملة شـرطية ، يبيـن من فعـل الشرط فيها ومـن أداته «إن» أن بـاب التوبـة عن الكفـر، وعن المعاصي السـابق ذكرها مـن نقض العهود وعدم مراعـاة القرابة ولا العهود مفتـوح أمام هؤلاء المشركين المذمومة أفعالهم، ومن باقى القول يبين أن التوبة لا تكمل إلا بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة. فلا يتصور أن يتوب كافر عن الكفر إلا إذا دخل فى دين الله الإسلام، و إذا كان المرء يعد مسلما إذا نطق بالشهـادتين، فيبقى أن الآية تثبت أن أخوة الإسلام لا تكون إلا بـإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة، فإن أنكر من نطق الشهادتين الصلاة والزكاة فهو كافر لأن إنكارهما كفر بما ثبت بالقـرآن العظيم. ولكن يبقـى من تقاعـس عن إقامة الصـلاة و إيتاء الزكـاة إهمالا مع إيمـانه

بفرضيتهما. والذى نراه أنـه لا يبين من النص أنه لا يعتبر أخا فى الديـن، فالنص يثبت الإخوة فى الدين لمن تـاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة، لكنه لا ينفيها عمن لـم يقم الصلاة أو لم يؤت الزكـاة إهمالا، فهو آثـم بترك الفرض، لنـه لا يحرم الإخـوة الإسلامية ويكـون دمه محرمـا على المسلمين .

وقوله تعـالى «ونفصل الآيات لقـوم يعلمون» هو بيان لما كـان منه تعالى فـى ذكره أحوال المشركيـن الذين جبلوا علـى نقض عهودهـم والذين هـم على خلاف ذلك منهـم، وأحوال الذين يصرون على الكفـر منهم، والذين يتوبون ويقيمون الصلاة ويؤتون الـزكاة، وهو ما يكون منه تعالى فى آيـات الأحكام، والقصص، والعبادات. فهو تعالى يأتى بـآياته مفصلات فيفيد منها الذين يعملون عقولهم يفهمونها فيؤمنون، ويفهمها المؤمنون فيزدادون إيمانا .

تفســـير الآية رقم (١٢) :

أولا : الأســـــماء :

أئمة الكفر : هم الطاعنون فى الـدين من المشركين، وقيل هم رؤساء المشـركين مثل أبى سفيان، وأبى جهل.

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن تحدث تعالى عما يكون مع الذين تابـوا من المشركين وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فإنه تعالـى يتحدث عن الفئة المقابلة لهم مـن المشركين الذين يكون منهـم خلاف هذا من نقض عهودهم الموثقـة باليمين التى حلفوها «وإن نكثوا أيمانهم من بعـد عهدهم»، والذين يطعنون فـى الدين، بمعنى أنهـم يطعنون فى ديـن الإسلام بأيـة وسيلة مثل نيلهم مـن القرآن العظيم، أو الزعم بأنه قول بشر، أو التهكم على رسول الله ﷺ، أو الإساءة إليه. والمراد بطعنهم فى الدين على هذا النحو هو الجهر بطعنهم فيـه أو الحديث فيه بينهم وبين أنفسهم بما يظهر حديثهم فى مجتمع المسلمين، ويبدو أن (الواو) قـد جاءت فى الآية بمعنى «أو» فيكون فعل الشرط فـى جملة الآية هـو نكث العهد الموثـق بالأيمان مـع المسلمين ، أو الطعن فـى دين الإسلام، وذلك لأن جزاء نقض المشركين عهدهـم هو القتل، فيكون جواب الشرط فى جملة الآية مفيدا أن أحد الفعلين: نكث العهد، والطعن فى الدين مستوجبا القتال والقتل .

وقوله تعالى «فقاتلوا أئمة الكفر» وهو جواب الشرط فى جملة الآية هو أمر بقتال المشركين ناكثـى العهد أو الطـاعنين فى الـدين، والأمر بقتـال أئمتهم وقتلهـم، وهم الذيـن يتولـون أمر

الإساءة إلى الإسلام أو رؤساء المشركين لا يعنى قصر القتال والقتل عليهم وحدهم، وإنما يعنى الاهتمام بأمر هؤلاء فى تنفيذ أمره تعالى، وربما كان ذلك لأن شأن القادة أن يكونوا فى المؤخرة فى القتال، أو أن يكونوا فى حماية الأتباع فلا يكون قتلهم إلا من بعد قتل من هم أدنى منهم شأنا.

ثم يأتى قوله تعالى «إنهم لا أيمان لهم» مبينا ذكر علة الأمر بقتل المشركين ناكثى العهد والطاعنين فى الدين، وهو أنهم لا يرعون عهدا، أو أنهم لكفرهم لا تكون للأيمان التى يحلفونها قيمة لأنها يمين كافر، فيكون القول مفيدا ارتباط الأمر بالقتال والقتل باستمرارهم على الكفر، فإن آمنوا كان انتهاء الأمر بالقتل، كذلك قد يفيد القول معنى النهى عن إبرام عهود أخرى معهم ماداموا على الكفر لأنهم لا أيمان لهم. كذلك قد يفيد القول معنى ارتباط الأمر بالقتل بأحد سببين هما: نقض العهد، والكفر. أو أن المانع من القتل هو العهد أو الأيمان، وبنقضهم العهد افتقدوا الأول، وبطعنهم فى الدين دلوا على استمرارهم على الكفر وزادوا عليه الطعن فى الدين افتقدوا الآخر، فحق فيهم القتل.

ثم إن قوله تعالى ـ بعد أمره بالقتل ـ «لعلهم ينتهون» هو توجيه للمؤمنين بأن تكون غايتهم من قتال المشركين الموصوفين بنكث العهد والطعن فى الدين هى انتهاؤهم عما هم عليه من الكفر وارتكاب عظائم الآثام وليس مجرد الإيذاء، ولو كان الظاهر من أحوالهم أنهم لن ينتهوا عن كفرهم. والقول ـ بهذا المعنى ـ يفيد نبل الباعث على القتل، وهو دفع المشركين إلى التوبة، وهو ما يحقق مصلحتهم التى هم عن إدراكها غائبون.

تفسير الآية رقم (١٣) :

الخطاب ـ فى الآية ـ موجَّه إلى المؤمنين ، بعد أن أمرهم تعالى بقتال المشركين ناقضى العهود، الطاعنين فى الدين، فيقول لهم تعالى «ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة» جاء قوله تعالى فى صيغة استفهام أريد به إنكار عدم مقاتلة المشركين المذكورين فيكون معنى القول هو الحض على قتالهم والتحريض على ذلك. ثم إنه تعالى يذكر فعال هؤلاء المشركين التى توجب على المؤمنين قتالهم وتجعل التقاعس عنه أمرا منكرا، فيذكر تعالى نقضهم عهودهم التى أعطوها المؤمنين حين عاهدوا ألا يحالفوا على رسول الله ﷺ ومن حالف أحدا من أعدائه أو أعدائهم، ثم نقضوا عهدهم وعاونوا بنى بكر على حلفاء رسول الله ﷺ خزاعة، وهو ما فعلته قريش، ويذكر تعالى ما تشاوروا فيه من إخراج رسول الله ﷺ من مكة، أو حبسه أو قتله، على ما دار بينهم فى دار الندوة، ثم كيف

إنه ﷺ قد خرج مـن مكة بأمر ربه مهاجرا إلى المـدينة بعد ما كان منهم، فكان تـآمرهم عليه ﷺ سببا يستوجب قتالهم. كذلك فإنه تعالى يذكر أنهم الذين بدءوا بقتال المؤمنين أول مرة، وهو ما كان في بـدر بعد أن بلغهم سلامة العير، فقالوا «لا ننصرف حتـى نتسأصل محمدا ومن معه».

وبعد أن ذكر تعـالى الأسباب التى تستوجب مـن المؤمنين قتال المشركين نـاقضى العهد جاء قـوله تعالى «أتخشـونهم». وهو استفهـام يتضمن إنكار أن تكـون بالمؤمنين خشيـة من المشركين، وفيه تعريف بانعدام وجود سبب لخشية المشركين.

ثم يجيء قوله تعالى «فالله أحق أن تخشـوه إن كنتم مؤمنين» متضمنا التأكيد على وجوب عدم الخوف مـن المشركين، وبيان أن مـن يخشى بأسه وعـذابه هو الله تعالـى، فيكون القول حضا على طـاعته تعالى فيمـا أمر به من قتال المشـركين ناقضى العهـد خوفا من عقـابه من يخالف أمره، مع بيان أن المؤمن الذى صح إيمانـه يثق أنه تعالى وحده هو النافع وهو الضار وأن أحدا من خلقـه لا ينفع أحدا ولا يضره إلا بإذنه، فيكـون القول من قبيل التشديـد فى التزام طاعته تعالى فيما أمر به من قتال المشركين.

تفســـير الآية رقم (١٤) :

أولا: الأســـــماء :

القوم المؤمنون : فى قوله تعالـى «ويشف صدور قوم مؤمنين» قيل إنهم أنـاس من خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ آمنـوا، وكانوا قد آلمهـم تحالف قريـش مع بني بكر عليهـم. وقيل إنهم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة وأسلموا فـآذتهم قريش فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يشكون إليه ما يلقون مـن المشركين فقال لهم ﷺ «أبشروا فـإن الفرج قريب» وقد لا يكـون هذا صحيحا، لأن الفرج فى قول رسـول الله ﷺ أريد به «فتح مكة» فوجب أن يكون الحـدث قبل فتح مكة، وقد نزلت الآية بعد فتح مكة.

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن ذكر تعـالى الأسباب الموجبة لقتال المشـركين ناقضى العهد وحثه المـؤمنين على التزام أمره تعالى وعدم الخـوف من المشركين فإنه تعالى أمر بصريـح القول بقتال المشركين على نحو قاطع «قاتلـوهم» ثم إنه تعالى يطمئن المؤمنين إلى نصره تعـالى إياهم، ويبين لهم نتائج التـزامهم أمره بقـوله تعالـى «يعذبهم الله بأيـديكم ويخزهـم وينصركم عليهـم ويشف

صدور قوم مؤمنيـن»، فيذكر تعالى أنه يترتب علـى قتال الكافرين تعذيبهم بـأيدى المؤمنين، والعذاب هـو المعاناة من القتـال، وهو الإصابـة بالجروح والكسـور والتألم منها، وهـو القتل، ويترتب عليه الخزى للكافـرين بالاندحار أمام المؤمنين وطلبهم منهم الـرحمة، ووقوعهم فى الأسر، يكون ذلك فى أثناء القتال التى ينتهى بـانتصار المؤمنين، بنصرهم الله على المشركين.
ثم يذكر تعـالى أنه يكون من عواقب هـذا النصر أن يتشفى المؤمنون من خـزاعة حلفاء رسول الله ﷺ فى المشركين الـذين حالفوا عليهم بنى بكـر، فتهدأ قلوبهم بعد ثأر المـؤمنين لهم من المشركيـن. ويتصور أن يكـون هذا من أثـر معاينـة تعذيـب المشركين وخـزيهم قبـل انتصار المؤمنين عليهم.

تفســـــير الآية رقم (١٥) :

قوله تعالى ـ فى مبتدأ الآية ـ «ويذهب غيـظ قلوبهم» هو تتمة لقوله تعالى فى شأن حلفاء رسول الله ﷺ الذين يشفى صدورهم تعذيب المشركين وخزيهم، جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ مبينا أن انتصار المـؤمنين على المشركين بإذنـه يذهب غيظ قلوب هؤلاء الحلفـاء المؤمنين، ذكرت القلوب ـ وهى أخص من الصدور ـ لأن القلب هـو ـ على الدارج من الاعتقاد ـ موضع الحب والكراهية، فكأنـه بانتصار المؤمنين على المشركين يذهب مـا فى قلوب حلفاء رسول الله ﷺ من غيظ من فعل المشركين ويحل محله الرضاء والسرور.

أما قـوله تعالى ـــ من بعد ـــ «ويتوب الله على مـن يشاء» فهو بيان لأنـه يكون من مقـاتلة المشركيـن إيمان بعضهم ممن شـاء الله له أن يتوب عن الكفـر ويدخل حظيرة الإيمـان، وقد ثبت أن من هؤلاء المشركين من آمن وصلح إيمانه.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله عليم حكيم» فيه إظهار لأنه ما يكون منه تعالى من أمر إلا وكان لعلمه تعالى بما هو كائن وما يكون، ويكون أمره بعظيم حكمته، ومن ذلك أمره تعالى بقتال المشركين كان لعلمه تعالى أنهم أهل لأن يقاتلوا فيقتلوا، ولأن حكمته تعالى قضت أن يكون بقتالهم تعذيب من يبقى على الكفر وإيمان من شاءت إرادته تعالى أن يؤمن.

تفســـــير الآية رقم (١٦) :

أولا: الأســــــماء .

الوليجـــــــة: فى قولـه تعالى «ولم يتخـذوا من دون الله ولا رسوله ولا المـؤمنين وليجة» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ البطانة والأصحاب الذين يفضى إليهم بالسر» من «الولوج» وهو

الدخول، فكل من يطلعه المرء على دخيلة نفسه للاطمئنان إليه يكون «وليجة».

ثانيا : التفسير :

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى المؤمنين الذين شق عليهم الأمر بالقتال، جاءت «أم» فى مبتدأ القول للانتقال من حديث إلى حديث، إذ الحديث فى مقام توبيخ الذين صعب عليهم أمر القتال، والمراد بقوله تعالى «أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة» هو إنكار للاعتقاد فى أنه تعالى يترك المؤمنين على ما هم عليه دون إظهار درجاتهم فى الطاعة ببيان الذين يشق عليهم أمر الجهاد، وهو ما يكون التدليل عليه بواقع الحال، بطريق الاختبار ليعلم الله حال كل فريق فى المؤمنين، وليس المراد بالقول أن نتيجة اختباره تعالى المؤمنين بأمرهم بالقتال هى التى يترتب عليها علمه تعالى بحال الذين جاهدوا وحال المترددين. فهو تعالى العالم بكل شىء، ما هو كائن وما يكون، وإنما المراد به هو بيان ذلك على نحو ظاهر يعلمه جميع المؤمنين. فيكون فى تنفيذ المؤمنين الذين جاهدوا تلبية لأمره تعالى ما أمروا به من القتال، ولم يكن لهم أولياء من بعده تعالى ورسوله إلا المؤمنين ، يكون فى تنفيذهم ما أمروا به من قتال المشركين ما يظهرهم أمام سائر المؤمنين أنهم المجاهدون حقا. فيكون فى إبرازهم إظهارا لغيرهم الذين لم يبلغوا مرتبتهم أو الذين شق عليهم أمر القتال.

وقد جاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله خبير بما تعملون» مزيحا التوهم بأنه تعالى لايعلم حقيقة كل فئة من المؤمنين بما يكون منها فى شأن تنفيذ أمره تعالى بالقتال، ومعلما أنه تعالى يعلم كل ما يعمله المرء وأنه يجازيه به، فيكون القول حثا على التزام أمره تعالى بالجهاد.

تفسير الآية رقم (١٧) :

أولا: الأسماء :

مساجد الله : قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو المسجد الحرام، لأنه الذى يفخر المشركون بأنهم يعمرونه، ولأنه قبلة المساجد جميعها، ولذلك ذكر بصيغة الجمع، وقيل إن المرادبها جميع المساجد، يدخل فيها المسجد الحرام.

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ جاء فى صيغة إخبار عن أمر، وهو فى حقيقته تكليف للمؤمنين

بأمـر أو شروع فى تكليفهم بـأمر يتعلق بموضـوع الإخبار. فقوله تعـالى «ما كان للمشـركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفـر» معنا، المباشر هو أنه ليس للمشركين الحق فى أن يتولوا عمارة مساجد الله أو المسجد الحـرام على وجه التخصيص حال شهادتهم على أنفسهم بالكفـر، وهذا هو الإخبار. ثم إنه لمـا كان المشركون يدعون لأنفسهـم هذا الحق ولا يريدون التخلى عنه فإن مضمون القول يكون أمـرا للمؤمنين بمنعهم عن عمارة مساجد الله أو المسجد الحـرام، أو يكون تمهيدا لهذا الأمـر. وشهادة المشركيـن على أنفسهم بالكفـر تكون بكل فعل يدل عليه، قيل إنهم كانوا يقولون «لبيـك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك» وقيل إنهـم كانوا يقولـون «كفرنا بما جـاء به محمد». وقد يكـون الصحيح أن الشهادة على الكفر تكون بكل فعـل يدل عليه ومن هذا صد المؤمنين عـن البيت، ومنه عبادة الأوثان، ومنه الإصرار على الكفر بـرسول الله ﷺ، فيكون قوله تعالى مبينا التناقـض بين الكفر بدين الله الحق، وعمارة بيتـه تعالى صاحـب الدين الحق، فيكون المـراد به منع المشركيـن من عمارة البيت لإغلاق بـاب افتخارهم به، وقد قيل إن العبـاس حين أُسر عيره المسلمون بقطـع الرحم وبالشرك فقال لهـم «تكتمون محاسننا، فنحن نعمر المسجد الحـرام ونحجب الكعبة ونقرى الحجيج» فنزلت الآية.

وبعد ذلك يجـىء قوله تعالـى «أولئك حبطت أعمالهم وفـى النار هم خالـدون» يشير فيه تعالى إلى المشركين الذين يشهدون علـى أنفسهم بالكفر ويفخرون بعمارة المسجد الحرام، فيذكـر أنهم حبطت أعمـالهم، بمعنـى أنهم لا يثابـون شيئا بما يعملـون من عمـارة المسجد الحرام لأنه لا يثاب علـى عمل صالح يأتيه كافـر فى الآخرة؛ ولذلك أثبت تعـالى أنه لا يكون لهم فى الآخرة إلا جزاء كفرهم وهو خلودهم فى النار.

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾

تفســـير الآية رقم (١٨) :

قوله تعالى «إنمـا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصـلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله» فيه ثلاثة معـان: أولها أنه تعالى يشهد للذين يعمرون مسـاجد الله بالصلاة فيها والعبادة والتنسك بأنهم الـذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر، وأقامـوا الصلاة وآتوا الزكاة ولا يخشون إلا الله، ومن الزكـاة زكاة الصحة والعافية بأداء العبادة البدنيـــة وهى الصلاة. وثانيهـا أن ما يقـوم به المشركـون فى شأن عمـارة مساجـد الله هو باطـل لا ثواب عليه، أو هـو والعدم سواء، لأنهم لا يؤمنون بـالله ورسوله واليوم الآخر ولا يقيمون الصلاة ولا يؤتـون الزكاة ولأنهم لا يخشون الله أو يخشون غيره تعالى. وثالثها هو تكليـف للمؤمنين ألا يولوا عمارة مساجد الله إلا المؤمنين الذين يؤمنون بالله ورسوله، واليوم الآخر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ولا يخشون إلا الله .

وقوله تعالى «من آمن بالله واليوم الآخر» يتضمن معنى الإيمان برسوله ﷺ ، فهو الذى أخبر عن ربه بوجوب إقـامة الصلاة و إيتاء الزكاة، ولأن التكليف صدر للمـؤمنين ورأسهم هو رسول الله ﷺ، ولأنه تعالى قرن طاعة رسوله ﷺ بطاعته. وذكـره تعالى إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة هو ذكر للعبادتين الجسديـة والمالية يكون ممن يقوم بهما على وجهيهمـا القيام بباقى العبادات،

وتخصيص المؤمنين دون غيرهم بالقيام على عمارة مساجد الله تعالى إنما يكون لأنهم يقومون على رعايتها وما بها من مصاحف لا يمسها إلا المطهرون، ولأنهم الذين يعرفون الفرق ما بين ما تفرش به المساجد وما به تزين مما لا يشغل المصلين عن الصلاة والذكر وبين ما يشغل فكرهم فيصرفه عن الصلاة وعن الذكر. ثم لأنهم الذين يخشونه تعالى ولا يخشون غيره، فإذا كان المسجد في دولة لا تدين بالإسلام أو لا يدين أغلب أهلها بالإسلام ومنهم من يحاربونه، أو كان في أرض مغتصبة من غير المؤمنين كحال المسجد الأقصى اليوم، فإنه لا يؤمن لمن يخشى بأس أعداء الإسلام والمسلمين أن يقوم على رعاية المسجد.

ويجيء قوله تعالى ــ في ختام الآية ـ «فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين» هو في أمر هؤلاء الموصوفين بالأوصاف الحسنة من إيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وعدم خشية أحد إلا الله. والقول يكون لهم وعدا بالاهتداء إلى سبيله تعالى الموصلة إلى رضائه والجنة، وإلى غيرهم إنذارا بعدم قربهم منها، بمعرفة أن حال المؤمنين المقيمين الصلاة والمؤتين الزكاة والخاشين ربهم هو مجرد الأمل في الهدى إلى سبيله الموصلة إلى الجنة فلا يكون لهم أن يأملوا في شيء وهم على ما هم عليه من كفر ومن عصيان .

تفســــير الآية رقم (١٩) :

أولا: الأســــماء .

١ ـ الســــقاية : في قوله تعالى «أجعلتم سقاية الحاج» مصدر من الفعل «سقى ـ يسقى»، بمعنى وضع الماء في «السقاية» وهي الوعاء الذي يشرب منه الشارب، وتقديمه له. وأصل المصدر هو «السقاء» والاسم «السقيا» .

٢ ـ العمــارة : في قوله تعالى «وعمارة المسجد الحرام» هي القبيلة والعشيرة، وهي مصدر من «عمرَـ يعمر» بمعنى جعل المكان عامرا بعد وحشة، أو بعد خراب.

ثانيا : التفســـير :

الخطاب ـ في الآية ـ هو للمشركين الذين زعموا أن قيامهم على سقيا الحجيج ورعاية بيت الله الحرام بما يجعله عامرا بالحجيج أفضل عند الله من الإيمان برسول الله ﷺ والجهاد معه، وجاء التعبير عن الإيمان برسول الله ﷺ في مضمون قوله تعالى «وجاهد في سبيل الله» لقصره على جهاد المؤمنين برسول الله ﷺ معه، وإثباته تعالى عدم تساوي سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام مع الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله تعالى هو إثبات لعدم

إيمان المشركين بالله واليوم الآخر إيمانا صحيحا ولو زعم بعضهم هذا، وذلك لأن من كان يزعم منهم هذا كان يعلن عدم إيمانه برسول الله ﷺ.

ولما كانت عبارة الآية قد جاءت فى صيغة استفهام إنكارى عن المساواة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ـ من جهة ـ وبين الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيل الله ـ من جهة أخرى ـ فإن معنى القول يكون هو إنكار هذه المساواة، وإنكار أفضلية سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام على الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيل الله، فلا يبقى إلا إثبات أفضلية الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيل الله على سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وهو ما تبينة الآية.

كذلك فإن قوله تعالى هذا يتضمن ردا على المؤمنين الذين قالوا إنهم لا يعملون بعد إيمانهم سوى سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام ورأوا فيها الفلاح الذى يعدل فلاح المجاهدين وثوابهم عند الله تعالى، كما يتضمن تصحيحا لمفاهيمهم للدين بإعلامهم أن الجهاد فى سبيل الله تعالى أفضل من خدمة الحجيج ومن القيام على رعاية البيت الحرام. والقول بهذا المعنى يفيد أن للمؤمنين الذين يقومون على سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام أجرهم على هذا، لكنه يفيد إلى جانب هذا دونية أجرهم وثوابهم عند الله تعالى عن أجر المجاهدين فى سبيل الله وثوابهم عنده تعالى.

وبعد الاستفهام الإنكارى يجىء قوله تعالى «لا يستوون عند الله» نافيا المساواة بين أشخاص القائمين على سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وبين المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله عنده تعالى، فأثبت تعالى بعدم تساوى الفريقين عنده تعالى فى الدرجة، عدم ارتفاع منزلة القائمين على سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام على منزلة المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله عنده تعالى ـ من باب أولى ـ فيكون المفهوم من القول هو أفضلية المجاهدين.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله لا يهدى القوم الظالمين» جاء فى شأن الكافرين على ما يبين من وصفهم بالظالمين، لما هو معلوم من أن الكفر ظلم عظيم. فيكون القول فى شأن المشركين الذين زعموا أن قيامهم على سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام أفضل عند الله من إيمانهم برسول الله ﷺ والجهاد معه، ذمهم تعالى ببيان أنه تعالى لا يهديهم إلى معرفة الحق واتباعه لاختيارهم الكفر فكانوا ظالمين.

تفسير الآية رقم (٢٠) :

جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم

وأنفسهم أعظم درجة عند الله» فى بيان أفضل عبـاده من الناس عنده تعالى وأعظمهم درجة، ولم يأت بنص القول ذكر المقارنين بهم الذيـن يفهم من النص أنهم أدنى منهم درجة. فيكون متصورا أن يكـون نص الآية متعلقـا بأفضل عبـاده من بنى آدم عنـده تعالى وأعظمهـم درجة فيكون كل من هـم سواهم أدنى منهم درجة، يدخـل فيهم المؤمنون الذين قامـوا على خدمة الحجيج أو السقـاية وعمارة المسجـد الحرام، ويـدخل فيهم المشـركون الذيـن قامـوا على سقاية الحجيـج وعمارة المسجد الحرام الـذين زعموا أنهم يـأتون عملا أفضل مـن الإيمان والجهاد فى سبيل الله. ويتصور أن يكون نص الآية فى المقارنة بين المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله وبين المؤمنين الذين قاموا علـى سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام. ويكون القول مثبتا أفضلية المجاهدين على الآخرين وعظم منزلتهم عنده تعالى.

ثم إنـه تعالـى وصف صفـات هؤلاء الذيـن هم أصحـاب أعظم الـدرجات عنـده التى استحقوا بها برحمته تعالى ما نالوا من عظيم الدرجات، فبين تعالى أنهم آمنوا به وبرسوله ﷺ وباليوم الآخر، وأنهم هاجروا فى سبيله تعالى وتركوا ديارهم، وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم فى الاستعداد لملاقاة الكـافرين وبأنفسهم مقاتلين فى سبيله تعالـى. ويستفاد من القول إنه إذا كان القائمون على سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام قد شاركوا المجاهدين فى سبيل الله فى صفتى الإيمان والهجرة، فـإن علو درجة المجاهدين تكون قد استحقـت لهم بالجهاد فى سبيل الله تعالى بالمال والنفس. فيكون القول حثا على الجهاد فى سبيل الله .

ثم إنـه تعالـى يشير إلى هـؤلاء المجاهـدين ويخبـر عنهم بأنهـم الفائزون « وأولئـك هم الفائزون» فجعل كل ما يناله غيرهم من فوز بمثابة المنعدم مقارنا بما فازوا به عنده تعالى .

تفســـــير الآية رقم (٢١) :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى ذكر بعض مـا يناله المجاهدون فى سبيل الله، فيذكر تعالى أنه يبشرهم برحمة منـه ورضوان. والبشارة هى قوله تعالى فى القرآن العظيـم يبلغ به رسوله ﷺ ، فتكون البشـارة فى الحياة الدنيـا، ويكون القول مشيرا إلـى أن ما ينطق به رسـول الله ﷺ فى شأن الرســالة هو من ربه تعـالى جل وعلا. ومـوضوع البشارة هو رحمة مـن الله ورضوان، ومن رحمه الله ورضـا عنه أمن عـذاب يوم لا يأمن فيـه إلا من شملته رحمتـه تعالى، ولا يـرى وجهه الكريـم تعالى شـأنه إلا من رضـى له ورضى عنه، وجنـات يتنقلون فيها نـاعمين لهم فيهـا ما يشتهون فيقيمون فى النعيم خالدين لا يزول عنهم ولا هم عنه يبعدون .

تفسير الآية رقم (٢٢) :

بعد أن ذكر تعالى ـ في الآية السابقة ـ أن النعيم الذى يهنأ به المجاهدون فى آخرتهم فى الجنات هو نعيم دائم لايزول عنهم، فإنه تعالى ذكر في الآية أنهم أيضا فيه يخلدون إلى الأبد، فلا هم يخرجون من الجنات ولا يفنون فيفوتهم التمتع به. ثم إنه تعالى ذكر بقوله «إن الله عنده أجر عظيم» ما يفيد بيان ما استحقوا به ما أنعم الله به عليهم، فيكون القول تعليلا لما أنعم به تعالى عليهم، كما أنه تعالى أخبر بقوله هذا أن عنده من الأجر ما لم يخبر به وإن كان عظيما فى قدره وقيمته. فيكون القول فى بيان عظم فضل الجهاد فى سبيل الله .

تفسير الآية رقم (٢٣) :

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى المؤمنين، ونص الآية ورد بتكليف سلبى بمعنى أنه بالانتهاء عن عمل، والمكلف هو كل فرد من أفراد المؤمنين. فالنص ـ على هذا النحو ـ درس لأولياء الأمور والمشرعين فى المجتمعات الإسلامية بالبدء بالفرد عند تطلب غاية من المجتمع فى مجموعه، يصدر إليه الأمر أو النهى مشفوعا بالجزاء على مخالفته ، ثم يكون إلزام مجاميع الأفراد والمجتمع فى عمومه .

وموضوع الخطاب نهى عن فعل ، والفعل من الأفعال الطبعية لتعلقه بعاطفة من العواطف الغريزية التى جبل عليها الإنسان وهى حب أقاربه الأقربين. فقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان» هو نهى عن موالاة الآباء والإخوان الذين بقوا على الكفر وموادتهم، والنهى عن موالاة هؤلاء يتضمن النهى عن موالاة من هم أبعد منهم فى القرابة وموادتهم، كما يتضمن النهى عن موالاة الأصدقاء وموادتهم من باب أولى إذا ما أصروا على الكفر وفضلوه على الإيمان.

وقيل فى سبب نزول الآية إنه شق على بعض المؤمنين أن يهاجروا لما فى ذلك من قطع الصلة بينهم وبين آبائهم وأبنائهم المشركين، فنزلت الآية، فقطع هؤلاء ما بينهم وبين أهلهم الكافرين من صلات.

وبعد أن ذكر تعالى موضوع النهى فإنه تعالى أورد الجزاء عليه بقوله تعالى «ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون». ومن النص يبين أن الجزاء يكون لكل فرد يخالف النهى «ومن يتولهم منكم»، والجزاء هو اعتبار المخالف ظالما عند الله تعالى، بمعنى أنه تجاوز حدود الله، فيكون عقابه عقاب الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله .

تفســــير الآية رقم (٢٤) :

الخطاب ـ في الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ، وهو أمر بأن يتوجه إلى المؤمنين بقول يقوله لهم، ومضمون هـذا الأمر يتعلق بما نهـى المؤمنون عنه من مـوالاة أقاربهم الكافـرين ومن أن تكون مصالحهم وشواغلهـم سببا يمنعهم من طاعة الله تعالى ورسولـه ومن الجهاد فى سبيل الله بكل طريق، ومنه الهجرة. وكما سبق فى الآية السابقة فإن النهى جاء مشفوعا بذكر الجزاء الذى يناسب المخاطبين بالنهى .

فقولـه تعالـى «قل إن كـان آباؤكـم وأبناؤكـم و إخوانكـم وأزواجكم وعشيـرتكم وأمـوال اقترفتموها وتجارة تخشـون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم مـن الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتـى يأتى الله بأمره» تضمن ذكـر كل ما تتعلق به عواطـف الإنسان ومصالحه مما يؤثـر على قراره ونهى عن أن يكون سببـا لعدم طاعة الله تعالى، وجـاء ذكر الأبناء والأزواج مستحدثا فـى النص مع ذكر الآبـاء والإخوان المذكوريـن فى الآية السابقـة لأن الارتباط بهم يكون وليد عـاطفة محضة لايداخلها شىء مـن حاجة إلى رأى أو مشورة كما يكـون الأمر مع الآباء والإخـوان، وجاء ذكـر العشيرة وهى تضـم الأقارب على وجـه العموم لأن المـرء يتقوى بعشيرته و يـرتبط معها برابطة تحبـب إليه ملازمتها. ثم جاء ذكـر ما يتعلق بالمصالـح المادية والمعنوية بذكر الأمـوال المقترفة أى المكتسبة بالجد والتعب، لأنها ممـا يحرص المرء على عدم ضياعـه، فيكون فى تركهـا الخسارة، وبذكر التجـارة التى يفوت صاحبهـا التكسب منها وتحقيق الربـح بالابتعادعنها، فيكون فـى تركها فوات الـربح، وذكر المساكن التـى يسر المرء الإقامة فيها فتكون له الراحة أو المصلحة المعنوية .

وبعد أن ذكر تعالـى جميع ما قد يقعد بالمرء عـن الهجرة طاعة لله تعالى جاء قـوله تعالى «أحب إليكم من الله ورسـوله وجهاد فى سبيله» فبين أن الذى يقعد عـن الهجرة فى سبيل الله أو ترك ما يحبه بسبـب يتعلق بما ذكر يكون قد أحب مـا أحب من شواغل الدنيـا أكثر من حبه الله ورسوله والجهاد فـى سبيل الله، وهذا الحب هو الحب الذى يملك الإنسـان أمره والمؤمن الذى كمل إيمانه لا يحب أحدا ولا شيئا حبه لله ورسوله والجهاد فى سبيل الله .

وبعد أن نهى تعـالى عن أن يكون حب أو مصلحة سببـا لعدم طاعته تعالى وحبـه ورسوله والجهاد فى سبيله فإنـه تعالى قرن هذا النهى ببيان أن مخالفته تعتبـر إثما يستوجب العقاب، فقال تعالى «فتربصوا حتى يأتى الله بأمره» والمعنى أنه تعالى موقع عذابه أو عقوبته بمخالفى

النهى فى العاجل أو الآجل، وما على المخالفين إلا انتظار وقوع العقاب بهم .

وفى ختام الآية يجىء قوله تعالى «والله لا يهدى القوم الفاسقين» وهو وصف للذين يوالون المشركين والذين يحبون أقرباءهم الكافرين ومصالحهم أكثر من حبهم الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله بأنهم فاسقون، وفيه بيان لأن من يوصف بهذه الصفة لا يهديه تعالى إلى ما فيه رضاؤه تعالى، فيكون من الضالين المستحقين العذاب .

تفســـير الآية رقم (٢٥) :

أولا : الأســـماء :

حنين : اسم واد يقع بين مكة والطائف، على بعد ثلاثة أميال من مكة، حارب فيه ﷺ والمسلمون قبائل: هوازن، وثقيف، وجشم وأفرادا انضموا إليهم من بنى هلال، كان عدد المسلمين أكثر من عدد أعدائهم عدة مرات، وكان بين المسلمين الطلقاء انضموا إليهم .

ثانيا : التفســـير :

قوله تعالى - فى الآية - موجه إلى المؤمنين الذين أمروا ألا يشغلهم شاغل عن حبه تعالى ورسوله والجهاد فى سبيله، وفيه يمن تعالى عليهم بما كان منه تعالى معهم من نصرهم ليكون ذلك حافزا لهم على طاعته. فيذكر تعالى أنه نصرهم فى مواضع كثيرة ومواقع مختلفة كان منها نصره إياهم فى بدر، ونصره إياهم فى واقعتى قريظة والنضير، وفى الحديبية وغيرها مما بلغ نحو ثمانين موقعة وموضعا .

ثم إنه تعالى يخص بالذكر نصره تعالى المؤمنين فى وادى حنين أو موقعة حنين، جاء فى الآية ما تعلق بما لحق المؤمنين من اندحار فى بعض مراحل المعركة قبل أن يأتى الله بنصره. فقال تعالى «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين»، جاء فى القول «ويوم حنين» معطوفا على «مواطن» عطف ظرف الزمان على المكان ــ وهو جائز ــ وجاء قوله تعالى «إذ أعجبتكم كثرتكم» «بدلا» من يوم حنين. فأثبت القول أنه فى يوم حنين أعجب المؤمنون بكثرتهم وقيل إن قائلا منهم قال «لن نغلب اليوم من قلة» وذلك إعجابا بكثرتهم. وقد أدى إعجاب المؤمنين بكثرتهم إلى هزيمتهم فى إحدى مراحل القتال، وكان «الطلقاء» أول المنهزمين فأوقعوا الخلل فى صفوف المؤمنين، وفى هذه المعركة كان ﷺ أثبت المقاتلين جنانا وأظهرهم شجاعة.

ويذكر تعالى أن كثرة أعداد المؤمنين فى هذه المعركة وهى التى كانت مثار إعجابهم لم

تنفعهم فى شىء لتحقيق النصر، حتى بدت لهم أرض الله الواسعة كأنها قد ضاقت عليهم أو ضاقت بهم لعدم وجـود مكان بها يأوون إليه أو يمتنعـون فيه عن أعدائهـم، ثم كان منهم أن أولوا الكـافرين ظهورهم وفروا من أمامهم منهزمين .

تفســـــير الآية رقم (٢٦) :

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ استئناف لذكر أحـداث واقعة حنين، يذكر تعـالى أنه كان منـه بعد فرار المؤمنين أن أنزل بـرحمته الأمن والطمأنينة على قلـب رسوله ﷺ وعلى قلوب المؤمنيـن، ويبين من النص أنه تعالى لم يخلع عن الذين ولوا الأدبار صفـة المؤمنين وأنه جمع بينهم وبين الذين ثبتوا مع رسوله ﷺ فيها. والظـاهر ـ من النص ـ أن هذا قـد سبق إنزاله الملائكة ، وقـد قال البعض إن الأمن والسكينة كانـا بنزول الملائكة، ويبـدو لنا ـ والله أعلم ـ أنّ هذا غير صحيح، وذلـك لأن النص قطع بعدم رؤية المـؤمنين الملائكة. وقد اختلـف فى عدد الملائكـة، كما اختلف فى أمر مشـاركتهم فى القتال، والراجح أنهم لم يقاتلوا، وأن الملائكة لم تحارب إلا فى يوم بدر، وأنهم أيدوا المؤمنين ببث الثقة فى نفوسهـم. ثم يذكر تعالى أنـه عذب الكافرين بما وقـع فيهم بأيدى المؤمنين مـن قتل وأسر وبين أن تعـذيبهم على هذا النحـو كان جزاء كفرهـم «وعذب الذين كفـروا، وذلك جزاء الكافـرين» فيكون العذاب هو عذاب الدنيا .

تفســـــير الآية رقم (٢٧) :

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ فى شأن المعذبين بـالأسر أو بضياع الأموال أو بفقدان الأهـل بالقتل أو الأسر من الكافرين أصحاب حنين. يذكر تعالى أنه من بعد تعذيبهم بما نالوا فى المعركة فإنه تعالى يتوب على مـن يشاء له التوبـة منهم عن الكفر فيـؤمن، وأنه تعالـى يغفر لمن آمن منهـم تفضلا عليه بواسع رحمته .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً
فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا
بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ
ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ
قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ
وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ

ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

تفسـيـر الآية رقم (٢٨) :

أولا : الأسـمـاء :

١ ـ النجس : فى قوله تعالى «إنما المشركون نجس» هو الخبث، بمعنى النجاسة، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو «ذوو نجاسة» صفة لحقت بالكافرين لفساد عقائدهم ولشركهم بالله تعالى.

٢ ـ العـام : فى قوله تعالى «بعد عامهم هذا»، المراد به ـ فى معنى الآيـة ـ هو عام تسعة من الهجرة الـذى كان أبو بكر رضى الله عنه هـو أمير الحج فيه، والذى نادى فيـه على كرم الله وجهه ببراءة «ألا يحج بعد عامهم هذا مشرك».

٣ ـ العيلة : فى قوله تعالى «وإن خفتم عيلة» هى الفقر، لا يستطيع معه المرء أن ينفق على من يعول، ويحتاج إلى من يعوله .

ثانيا التفســـــير:

الخطاب فى الآيـة موجه إلى المؤمنين، جـاء أوله إخبارا عن واقع المشركيـن، وتبعه نهى عن شـىء يعتبر بمثابـة تكليف بفعل، يظهـر معه الإخبـار بمثابة العلـة التى استوجبـت النهى والتكليف. فقـوله تعـالى «يـا أيها الـذين آمنوا إنمـا المشركـون نجس» هـو إخبار عـن واقع المشركين يثبت تعالى لهم صفة معينة هى أنهم ذوو نجاسة.

وقوله تعالى «فـلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» هو نهـى عن دخولهم المسجد الحرام ـ والراجح أن المراد به هو الحرم جميعه ـ جاء التشديد فيه بالنهى عن مجرد الاقتراب منه، وهو نهى ـ على ما يبين من النص ـ حدد لبـدء سريانه وقت معين هو ما بعد انتهاء العام، فهو نهـى عن أن يحـج المشركـون بعد العـام الذى صـدر فيه النهـى. والمستفاد مـن توجيـه الخطاب إلى المؤمنين أنهـم المكلفون بتنفيذ ما اشتمل عليه النهى، بمعنى أنهـم الذين يقع عليهم واجب منـع المشركين عن الحـج بعد ذلك العام. ثـم إنه يبين من النـص أن علة منع المشركين من دخول المسجـد الحرام هى كونهم ذوى نجاسة بشركهم، وهـى نجاسة مرتبطة بسببها وليست نجاسة خَلق؛ ولهذا فإنها تزول عنهم بالإيمان، فيكون لمن آمن منهم أن يدخل المسجد الحرام.

ثم إنـه تعالـى يحض المـؤمنين علـى التزام ما كلفـوا به مـن منع المشـركين مـن الحج بإذهاب ما فـى نفوسهم من خوف خسارة ما كـانوا يجنون من كسب فى مـوسم الحج نتيجة ممارستهـم التجارة فيه وطمأنتهـم إلى أنه تعـالى معوضهـم عن هذه الخسارة بمـا يفضلها، فقوله تعـالى «وإن خفتم عيلة فسـوف يغنيكم الله من فضله» هـو نهى عن الخوف مـن الفقر يصيبهم بفقدانهم الكسب مـن التجارة فى موسم الحج وطمأنة للقلـوب أنه تعالى سيتفضل على المؤمنين بعطاء من طريق آخر فلا يعانـون فقرا ولا حاجة، فالقول وعد بالخير، تحقق فى زمنه بأن أنـزل تعالى الغيث فـآتت الأرض أكلها، ثم أسلـم أهل نجد وتبالـة وجرش، وحملوا إلى المـؤمنين الطعـام والزاد، ثـم فتح الله علـى المؤمنيـن البلاد فغنمـوا كثيرا، ثـم جاءهـم الحجيج مـن جميع أقطار العالـم فنمت تجارتهم وربـت. وتعليق الإغناء من فضـل الله على مشيئته تعـالى بقـوله «فسوف يغنيكـم الله من فضلـه إن شاء» هو بيـان لأن كل شـىء يصيب الإنسان ـ ومنـه الخير ـ معلق بإرادتـه تعالى ومشيئته، وأنـه فضل منه تعالى وليـس حقا عليه، ليظل المؤمنون ناظرين إلى رضائه راجين رحمته.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن الله عليم حكيـم» هو بمثابة بيان لعلة الوعد، فهو تعالى عليم بأحوال المؤمنين الـذين منعوا المشركين من الحج تنفيذا لأمره تعالـى مع حاجتهم إلى المال، وهو الحكيم أنعم عليهم بحكمته فثبت قلوبهم على الإيمان .

تفســــير الآية رقم (٢٩) :

أولا : الأســــــماء :

١ ـ **الرسول** : فى قوله تعالـى «ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله» قيل إن المـراد به ـ فى نص الآية ـ هو رسول الله ﷺ، وقيل إنه رسول كل فريق من أهل الكتاب .

٢ ـ **الجزيــة** : هى ما يؤديـه أهل الكتاب من عطاء مقابل العفو عـن قتلهم، أو يجزون بها من عفا عن قتلهم، أو هى جزاء كفرهم .

ثانيا : التفســـير :

الخطاب ـ فـى الآية ـ موجـه إلى المؤمنين، وهو أمـر بعمل، جاء بشأن أهـل الكتاب وما يكون معهم مع بيان سبب الأمر .

فقوله تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بـالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون ديـن الحق من الذيـن أوتوا الكتاب» يثبت فـى حق أهل الكتابيـن : التوراة، والإنجيل أنهم لا يؤمنون بالله تعالى ولا باليوم الآخر إيمانا حقيقيا ولو زعموا خلاف ذلك، وعدم إيمانهم بالله هو نتيجة ما نال عقيدة التوحيد به تعالى مـن شرك تمثل فى خلعهم الربوبية على من هم من خلقـه تعالى وعلـى تقديـس قول أحبارهـم والعمل به بمـا جعل أحبـارهم بمرتبـة الأمر الواحد، وعدم إيمانهم باليوم الآخر هو نتاج إطراحهم ما أمرتهم به كتبهم من إيمان برسول الله ﷺ متى جاء، و إلا فإن أنبياءهم يكونون عليهم يوم القيامة .

ثم إنه تعالى وصفهـم بأنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ويتصـور أن يكون المراد هو ما حرمه الله تعالى فى القرآن وما حرمه رسول الله ﷺ بما أوحى إليه ربه، ويتصور أن يكون المراد هو ما حرمـه الله فى كتبه التى أنزل على رسـوليه موسى وعيسى عليهما السـلام وقام أتباعهما بتحليله بعـد تحريفهـم النصوص أو بإصـدارهم قـرارات من مجـامعهم على مـا سبق بيـانه تفصيلا .

كذلك فإنه تعالـى يثبت فى حق أهل الكتابين أنهم لا يدينون ديـن الحق «ولا يدينون دين الحق من الذيـن أوتوا الكتاب» وجاءت «من» فى القول «بيانيـة» وليست تبعيضية، فبينت أن

الدين الذى يدينون به ليس هو الدين الذى اختاره تعالى لعباده - وهو دين الإسلام - فلا يكون مقبولا منهم.

ومضمون الأمر الذى كلف به تعالى المؤمنين هـو قتال أهل الكتابين يكون إلى غاية معينة حددها قوله تعالى «حتى يعطوا الجزية عـن يد وهم صاغرون» بمعنى أن يكون قتالهم إلى أن يؤدوا الجزية فيعفى عن قتـالهم وقتلهم، يؤدونها منقادين«عن يد» ، أو بأيـديهم وليس بأيدى غيرهم، أو يؤدونها قهرا، وهم أذلاء .

ومن القول يبين أن القتال أو الجزية إنما يكون فى أهل الكتابين ولا يكون فى شأن مشركى العرب فهؤلاء ليس لهم إلا الإيمان بالدخول فى الإسلام أو القتل .

تفســـير الآية رقم (٣٠) :

أولا : الأســـــماء :

١ - **عزير** : اسم علم أعجمى معرب. واسمه بالعبرية «عـزرا» بن سرايا بن حلقيا بن شلوم ابن صادوق بن أخيطوب بن أمريا بن عزريا بـن مرايوث بن زرحيا بن عزى بن بقى بن أبيشوع ابن فينحاس بن العازار بن هارون أخى موسى عليهما السلام، عاش فى زمان ارتحشستا ملك فارس من بعد رضاء سلفه كورش على بنى إسرائيل و إعادتهم إلى بيت المقدس من الشتات من بعد تخريب بنوخذ نصَّر بيت المقدس وتشـريده بنى إسرائيل و إحراقه نسخ التوراة ومنعه تدوينها مما أدى إلـى ضياعها بموت من كان لهـم بها علم. وضع الله التوراة فى قلـب عزير فحفظها وكتبها لبنى إسـرائيل من بعد أن درست ولذلـك يقولون عنه فى العهد القـديم «عزرا الكاهن كـاتب كلام وصايـا الرب وفرائضه علـى إسرائيل». قال بعـض اليهود إن الله اختصه وحده بمعرفة التوراة ووضعها فى جوفه لأنه ابنه. وقيل إنه ردد بعض اليهود هذا القول فى زمن رسول الله ﷺ منهـم سلام بـن مشكم، ونعمان بـن أبى أوفـى. وشاس بن قيـس، ومالـك بن الصيف .

٢ - **الذين كفروا من قبل**: قيل إن المراد بهم هم المشركون الـذين قالوا إن الملائكة بنات الله تعالى، وقيل إنهم عبدة الأوثان، وقيل هم أسلاف القائلين.

ثانيا التفســـــير :

قولـه تعالى - فـى الآية - استئنـاف للحديث فى أمـر أهل الكتابيـن، وقد أثبت تعالـى فى شأنهما أنهما لا يدينان دين الحق، يثبت فى حقهمـا فى الآية مماثلتهما المشركين، فقال فى

شأن اليهود إنهم قالوا إن عزيرا هو ابن الله، قاله الذين عاصروا عزيرا حين وجدوا التوراة فى قلبه بعد أن درست بموت من كان له علم بها وبعد أن أحرق بنوخذ نصر نسخها المدونة وأنسى الله من القلوب ما كان منها، فقالوا إنه تعالى لم يضعها فى قلب عزير إلا لأنه ابنه. وردده بعض معاصرى رسول الله ﷺ من اليهود.

كذلك قال تعالى ـ فى شأن النصارى ـ أنهم قالوا إن المسيح هو ابن الله، وقائلو القول فئة من النصارى وقد سبق بيان أن هذا القول كان بقرار أصدره مؤتمر نيقية كما سبق ذكر القرار كاملا.

ثم إنه تعالى يثبت فى حق الفريقين (اليهود والنصارى) أن كلا منهما قال هذا القول بلسانه فهو محض قول فم أو أفواه لا دليل عليه تطمئن إليه قلوب قائليه، فهم يقولونه جهلا وعنادا.

والملاحظ أنه تعالى لم يذكر قولا مقرونا بذكر الأفواه والألسن فى القرآن العظيم إلا وكان قولا زورا، ومن ذلك قوله تعالى «يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم»، وقوله تعالى «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا»، وقوله تعالى «يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم».

ثم إنه تعالى يذكر أن عمل أهل الكتابين المذكور وهو قولهم إن عزيرا ابن الله، وإن المسيح ابن الله يماثل عمل سابقيهم من الكافرين سواء أكانوا هم عبدة الأوثان أم كانوا مشركى العرب، أم كانوا أسلاف قائلى القول، فجمعيهم على باطل وهم فيه سواء.

ثم يجىء قوله تعالى «قاتلهم الله أنى يؤفكون» وهو دعاء عليهم بالهلاك واللعنة وتعجب من أمرهم وهو الانصراف عن الحق إلى الباطل مع وضوح الدليل على صحة الحق وبطلان الباطل.

تفســـير الآية رقم (٣١) :

أولا: الأســـماء :

١ ـ الأحبـــار: فى قوله تعالى «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم» جمع، مفرده «حبر» بفتح الباء، وبكسرها، وهو ـ فى الأصل ـ العالم بأحكام الدين وغيره من العلوم، سواء أكان مسلما أم من أهل الكتاب، والمراد بهم ـ فى معنى الآية ـ علماء اليهود وحدهم.

٢ ـ الرهبـــان: فى قوله تعالى «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم» جمع، مفرده الراهب، وهم

علماء النصارى المعتكفون فى الصوامع والأديرة .

ثانيا التفســـــير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ لايزال فى بيان أحوال أهل الكتابين التى تسبغ عليهم صفة الكفر، فيذكر تعـالى أنهم «اتخذوا أحبـارهم ورهبانهم أربـابا من دون الله» بمعنى أن اليهـود اتخذوا أحبارهم أربـابا من دون الله تعالـى، وأن النصارى اتخذوا رهبانهـم أربابا من دون الله تعـالى، وليس المراد باتخاذهم أربـابا هو القول بأنهم آلهة وإنما المراد به هـو أنهم أطاعوهـم وعصوا الله تعالى، فإذا أحل هـؤلاء شيئا حرمه الله تعالى عملوا بما قال الأحبار والـرهبان فاستحلوا ما حرم الله، وإذا ما حرم هؤلاء شيئا أحله الله أطاعوهـم وعصوا الله فحرموا على أنفسهم ما أحل الله، وأمامنا الدليل فهم قد أحلوا الخمر التى حـرمها الله ـ وقد سبق بيان نصوص تحريمها فى العهدين: القديم والجديد ـ وحرموا تعـدد الزوجات، والطلاق، وأكل بعض أجزاء اللحم مما أحله الله فى شريعة موسى التى تسرى على اليهود والنصارى بقولهم ترتيبا على عدم إيمانهم بشريعة الإسلام .

ثم إنـه تعالى يذكـر المسيح ابن مـريم، جاء ـ فـى نص الآية ــ معطوفا على «رهبـانهم» والمعنى أنهم اتخذوه ربا معبـودا ـ وقد سبق بيان صدور قرار مؤتمر نيقيـة باعتبار المسيح إلٰها حقًّا من إلٰه حقٍّ، كما سبق بيان عدم صحة هـذا القول وتضمن العهدين: القديم والجديد ما يدحضه ويثبت عكسه بالنص، وأن المسيح أقر بعبوديته لله تعالى.

وبعد أن ذكر تعـالى ما عليه أهـل الكتاب من باطـل فيما يزعمون فـإنه تعالى يثبـت أنهم خالفوا فـى هذا ما أمرتهم بـه كتبهم وما أمرهم بـه أنبياؤهم «وما أمروا إلا ليعبـدوا إلها واحدا» فعلى ما سبق القول فإن الدين واحد، والعقيـدة التى دعا إليها جميع الأنبياء هى الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، وإن هذا هو الإسلام بالمعنى العام، توحيد الله تعالى، وعبادته .

وبعد أن ذكر تعالـى مخالفة اليهود والنصارى ما أمـروا به من عبادة الله تعالى وحـده، فإنه تعالى ذكر صفـة أخرى للإلٰه الذى أمروا أن يعبـدوه، وهى أنه لا إلٰه إلا هو، فنفى الألـوهية عن غيره تعالى، حتى لا يتوهم أن هناك آلهة أخرى غيره لكنها لاتعبد .

ثم إنه تعالى أتبع ذلـك بتنزيه ذاته العليا عن الإشراك به فى العبادة والطـاعة بقوله تعالى «سبحانه عما يشركون» .

تفسير الآية رقم (٣٢) :

أولا: الأسماء :

١ ـ نور الله: قيل إن المراد به ـ في معنى الآية ـ هو الحجج الدالة على ألوهيته تعالى ووحدانيته، وقيل هو نبوة رسول الله ﷺ، وقيل هو القرآن العظيم .

٢ ـ الأفواه : في قوله تعالى «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم» جمع، مفرده «فو» أو فوه .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى ـ في الآية ـ في مراد أهل الكتاب من أعمالهم وفي فعله تعالى معهم أو في شأن فعالهم، فيقول تعالى «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم» مثل تعالى للحجج الدالة على وحدانيته، وعلى نزول القرآن العظيم من لدنه تعالى على رسوله ﷺ، بنور الله الذي يحيل الظلام صبحا منيرا، وذكر تعالى أن إرادتهم اتجهت إلى إذهاب هذا النور، وأن وسيلتهم كانت باستخدام أفواههم، فهم مثل من ينفخ في نور الصبح ليذهب به، لا يكون لفعله من أثر، ووسيلتهم هي ترديد الأكاذيب بأفواههم، سواء في هذا ترديدهم أن أنبياءهم هم أبناء الله أو أن منهم من هو إله ، وطعنهم في الدين بتكذيب رسول الله ﷺ وقول السوء في كتابه الكريم. فيكون القول مثبتا عجز وسيلتهم عن أن تكون لها ثمرة تحقق لهم غاية .

ثم إنه تعالى يثبت عدم تحقق مرادهم من محو ما ظهر من الدين، وتحقق انتشاره وزيادته على ما هو عليه بقوله تعالى «ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون»، فيثبت تعالى أن نور دينه الحق سيزيد وأن ضوءه سيفشو حتى يعم العالمين، وأنه لن يحول دون ذلك كره الكافرين دين الحق وتمام نوره واكتماله. وفي القول جاء وصف أهل الكتاب كارهي دين الحق بالكافرين، فظهر أن الآيات في بيان كفر هؤلاء أعداء الدين.

وفي الآية مشكل ـ في اللغة ـ وهو أن «إلا» دخلت في قوله تعالى «ويأبى الله إلا أن يتم نوره» مع أنه ليس في القول حرف نفي. والصحيح أن معنى أصل العبارة يسيغ ذلك لأن أصل القول هو «ويأبى الله كل شيء إلاّ أن يتم نوره» .

تفسير الآية رقم (٣٣) :

بعد أن ذكر تعالى أن إرادته شاءت تمام نوره بمعنى ظهور دينه الحق وانتشاره، فإنه تعالى ـ في الآية ـ أثبت أن وسيلة بث نوره في الآفاق كانت بعثه تعالى رسوله محمدا ﷺ نبيا مبعوثا

بالقرآن العظيم الذى هو هدى للناس يهدى إلى الحق بإذنه، رسالته الدعوة إلى دين الإسلام، الدين الحق، ليظهر دينه على سائر الأديان إذ تكون أحكـامه هى الناسخة أحكام ما سبقته من الشرائع والأحكام، وليظهر رسـوله ﷺ على أصحاب الأديان بما يكون مـن انتشار الإسلام، ثم ليكون للإسـلام الظهور على الأديان جميعهـا عند نزول المسيح عليـه السلام فى آخر الـدهر يدعو لدين الله الإسلام، فلا يبقى على الأرض غير الإسلام دينا .

ثم إنه تعالى يقرر أن ما ذكره من ظهور دينه الإسلام على سائر الأديان واقع بأمره، وأن ذلك ما يكرهه المشركون، لا يحول كرههم إياه دون حـدوثه. وفى النص وصفهم تعالى بالمشركين بعد سبق وصفه تعالى إياهم بالكافرين، وذلـك لأنهم كذبوا رسول الله ﷺ فكانوا به كافرين، ولأنهم كفروا بالله تعالى وما أراد فكانوا مشركين .

تفســـــير الآية رقم (٣٤) :

الخطاب ـ فـى الآية ـ موجه إلى المـؤمنين، وانطوى نص الآية على إخبـار بحال الأحبار والرهبان وفعالهم، وعلى حكم عام فى شأن فئة من الناس .

فقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيـل الله» هو إخبار عن أحوال أحبـار اليهود ورهبان النصارى، يذكـر تعالى أن كثيرين من هؤلاء ومـن هؤلاء يقبلون الرشوة من الناس بباطل يفعلونـه هو تحريف الكتاب أو تحريف معناه بالانحـراف به عما أنزل فيه. جاء التعبير عن أخذ المال بـالأكل لأنه أكثر وجه من وجوه استعمالـه. ثم إنه تعالى ذكر فعلا آخـر من فعال الأحبار والرهبان هـو صدهم الناس عن سبيل الله التى ارتضى وهـى دين الإسلام. وقد جاء قوله تعالى بـالإخبار عن حال الأحبار والرهبان لتحذير المؤمنين منهم كيلا يستمعوا لهم .

وبعد ذلك جاء حكمه تعالى فى شأن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فقال تعالـى «والذين يكنزون الـذهب والفضة ولا ينفقونهـا فى سبيل الله فبشرهـم بعذاب أليم» والذين يكنزون الذهب والفضة هم الذين يجمعـونها، وقد توعدهم الله تعالى بالعذاب، وعلق هذا العـذاب على شرط هو عدم إنفـاقها فى سبيل الله. وقد ثبـت عن رسول الله ﷺ أن الإنفاق فـى سبيل الله الذى يعصـم من العذاب هـو أداء زكاة المال فيمـا جمع من الـذهب والفضة. فما أدى زكاته فليس بكنز .

ويلاحظ فى قوله تعالى هذا أمران: أولهمـا أن ذكره تعالى كانزى الذهب والفضة دون أداء

حق الله فيهما بالزكاة من بعد ذكره تعالى حال الأحبار والرهبان من أكلهم أموال الناس بالباطل يتضمن تلميحا إلى تشبيه حال كانزى الذهب والفضة غير المنفقين فى سبيل الله بحال الأحبار والرهبان المذكورين، والثانى هو دخول الأحبار والرهبان فى عموم حكمه تعالى فى شأن كانزى الذهب والفضة غير المنفقين فى سبيل الله من جهة استحقاق العذاب .

وقد جاءت الإشارة إلى حكمه تعالى بتعذيب كانزى الذهب والفضة غير المنفقين فى سبيل الله بقوله تعالى «فبشرهم بعذاب أليم» وهو أمر إلى رسول الله ﷺ أن يبلغهم أنهم معذبون بما كنزوا عذابا أليما، وجاء التعبير عن إخباره ﷺ إياهم بهذا - وهو وعيد - بالبشارة على سبيل التهكم، والاستهزاء بهم.

تفســـير الآية رقم (٣٥) :

قوله تعالى - فى الآية - استئناف لذكر حال كانزى الذهب والفضة غير المنفقين فى سبيل الله، يقول تعالى «يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم» ، وتقدير القول هو «يعذبون يوم يحمى عليها» وقوله تعالى «يوم يحمى عليها فى نار جهنم» تضمن بيان شدة النار، وذلك لأن النار - فى حد ذاتها - ذات حمى، فإذا وصفت - فوق ذلك - بأنها تحمى كان المراد هو بيان شدة توقدها. والضمير المتصل فى «عليها» يعود على الكنوز المكنوزة .

ثم إنه تعالى يصف كيفية تعذيب هؤلاء بما كنزوا فيقول تعالى «فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم»، بمعنى أن الذهب والفضة الحارين والنار يلصقون بجباههم وجنوبهم وظهورهم، يكون ذلك لأنهم أرادوا بما كنزوا الوجاهة بين الناس فكويت وجوههم، وأرادوا امتلاء جنوبهم بالطعام والشراب فكويت جنوبهم، وأرادوا ارتداء الفاخر من الثياب فكويت ظهورهم، وقيل إنه ذكر هذه الأجزاء لأن داخلها جوف.

وقوله تعالى «هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» هو ذكر لقول ملائكة العذاب لهم يقولون لهم وهم يكوون جباههم وجنوبهم وظهورهم بالمعدن الحار والنار «هذا ما كنزتم لأنفسكم» والقول سخرية بالمعذبين واستهزاء لأن الاكتناز إنما كان لتحقيق النفع ولم يكن لأجل التعذب به، وقولهم لهم «فذوقوا ما كنتم تكنزون» معناه «فذوقوا وبال ما كنتم تكنزون».

تفســـير الآية رقم (٣٦) :

قوله تعالى - فى الآية - تضمن حكما شرعيا ارتبط بحقيقة علمية تم ذكرها وبيان

تاريخها، كما تضمن أمرا أو تكليفا مع الحث عليه.

وفى ترتيب عبارة الآية جاء ذكر الحقيقة العلمية سابقا على ذكر الحكم الشرعى الذى ارتبط بها، ورد بالحقيقة العلمية قوله تعالى «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض»، وهى كذلك بالفعل بالنسبة للتقويمين: الشمسى، والقمرى، فالأرض تدور حول الشمس مرة كل عام أو كل ٣٦٥ يوما وربع يوم مقسمة اثنى عشر شهرا. والقمر يتم دورة كاملة حول الأرض فى مدة قدرها ٢٩ يوما و ١٢ ساعة، و ٤٤ دقيقة و ٣,٨ ثانية، والسنة القمرية اثنا عشر شهرا، ارتبط هذا جميعه بخلقه تعالى المجموعة الشمسية منذ بدء الخلق. وقد أثبت تعالى أن هذه الحقيقة العلمية هى تقديره تعالى فى اللوح المحفوظ أو فى القرآن العظيم. فهى قانون أزلى.

والحكم الشرعى الذى ارتبط بهذه الحقيقة العلمية هو أن من هذه الأشهر الاثنى عشر أربعة حرما، نهى تعالى عن ظلم النفس فيها بارتكاب ما حرم وقوعه فيها «منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم»، وقيل إن الضمير فى «فيهن» يعود إلى الاثنى عشر شهرا والنهى عن الظلم فيهن هو النهى عن المعاصى وترك الطاعات وتحليل الحرام وتحريم الحلال. وفى القول أثبت تعالى أن هذا هو حكم الدين المستقيم الذى هو ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام و إسماعيل عليه السلام، وهذا هو الجزء التاريخى فى القول إذ أوضح قوله تعالى أن أصل تحريم هذه الأشهر الأربعة الحرم هو ملة إبراهيم .

أما الأمر أو التكليف فقد ورد بقوله تعالى «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة» ومعناه «قاتلوهم جميعا كما يقاتلونكم جميعا». فيكون القول مفيدا أن جميع المشركين القادرين على القتال يقاتلون المؤمنين، وأنه تعالى يأمر جميع المؤمنين بقتال المشركين، أو أنه يأمر جميع المؤمنين المكلفين، فيكون الأمر منصرفا إلى كل مؤمن مكلف؛ ولهذا قيل إن قتال المشركين فرض عين. والذى عليه جمهور الفقهاء أنه فرض كفاية إلا إذا دخل العدو بلاد المسلمين .

تفســـير الآية رقم (٣٧) :

أولا: الأســـماء :

النسىء : فهو التأخير، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر.

ثانيا : التفســــير :

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ فى مشركى العـرب، جاء من بعد ذكـره تعالى أنه جعـل من بين شهور العام الاثنـى عشر أربعة حرمـا، وأن هذا هو حكم الديـن القيم الذى كان عليـه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

أخبر تعالـى ـ فى مبتدأ الآيـة ـ أن تأخير حرمـة شهر إلى آخر هـى من فعال الكافـرين كفر جديد فوق كفرهم يزدادون به كفرا، والمراد بالنسىء فى النص ما كانوا يفعلونه حين يأتى أحد الأشهر الحرم، وتكون لهم مصلحة فى عدم مراعاة حـرمته فينتهكونها ويؤجلون مراعاة حرمته إلى شهـر آخر، فأظهـر تعالى أن فعلهـم هذا هو مـزيد من الكفـر فوق كفرهـم، وهو مزيـد من الضلال فوق ضلالهم .

ثم إنه تعـالى فصل فعل المشركين بقـوله «يحلونه عاما ويحـرمونه عاما ليواطئـوا عدة ما حرم الله»، فهم يحلون الشهر الحرام أو ينتهكون حرمته عامـا، وهم يحافظون على حرمته عاما، وهم فى تأجليهم الأشهر يفعلون ما يجعلون به الأشهر المحرمـة أربعة كما جعلها الله تعالى ولو أدى هذا إلى زيادة عدد أشهر السنة على اثنى عشر شهرا.

ثم إنه تعـالى يذكر مؤدى فعـالهم بقوله « فيحلـوا ما حرم الله » بمعنى أنهم كـانوا يحلون الأفعال التى حرم الله الإتيان بها فى الأشهر الحرم.

ثم يجـىء قوله تعالـى « زين لهم سـوء أعمالهم ، والله لا يهـدى القوم الكافريـن» مفيدا معنى أنـه تعالـى قد جعـل أعمالهـم محبوبـة إلى نفـوسهم لإصـرارهم علـى الكفر، أو أن الشيطان حببها إلى نفوسهـم ، وأنه تعالى لا يهدى الذين اختاروا الكفـر على ما فيه رضائه ويكسب رحمته.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ

لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾

تفســـير الآية رقم (٣٨):

قوله ـ في الآية ـ يتضمن إنكارا على بعض المؤمنين تباطؤهم عـن الجهاد وتوبيخا لهم على ذلك ، وحثا للمؤمنين على سرعة تلبية النداء بالجهاد.

فقولـه تعالى « يـا أيها الذيـن آمنوا مالكم إذا قيـل لكم انفروا فـى سبيل الله اثاقلتـم إلى الأرض » هو خطاب للمؤمنين ، يثبت فيه أن منهم من يتبـاطأ عن تلبية النداء إلى الجهاد فى الحرب ، كأنه مقيد بـالأرض لا يبرحها، أو لأنه متمسك بالبقاء عليها حيـا متمتعا بخيراتها. وهو ينكر علـى هؤلاء فعلهم ويوبخهم عليه علـى ما يبين من عبارة النص التـى جاءت فى صيغة استفهام إنكارى .

وقوله تعالى « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » هو بيان لفعل المتباطئين عن تلبية النداء بالجهاد، فهو تعبير عن نفوس استبدلت بالحيـاة الآخرة ونعيمها متع الحياة الدنيا، وهو إنكار لأفعال هؤلاء ولما انطوت عليه نفوسهم على مـا يبين من عبارة النص التى جاءت فى صيغة استفهام إنكارى آخر.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ « فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل، هو بيان لبطلان عقيدة المتباطئين الذيـن استحبوا الحياة الدنيا ومتعها، إذ أوضح لهم تعـالى بصريح العبارة

أن جميع متع الحياة الدنيا وملذاتها هى شـىء ضئيل القيمة محتقربالقياس إلى خيرالآخرة. فيكون القول حثا على الإسراع فى تلبية نداء الجهاد فى سبيل الله.

تفســـيرالآية رقم (٣٩):

الخطاب ـ فى الآيـة ـ موجه إلى المؤمنيـن ، وإلى المتثاقلين عن الجهاد منهـم خاصة، والقول تهديد لهم ووعيد بالعذاب إذا ما بقوا على تثاقلهم عن تلبية نداء الجهاد.

وفى الآية جـاءت عبارة القول فى صيغة جملة شـرطية، فعل الشرط فيها هـو عدم النفرة، والمراد هـو عدم خروج المـؤمنين للقتـال عندما يـدعوهم رسـول الله ﷺ إليه أو يستنفـرهم. وجواب الشرط أو النتيجة المترتبة على الفعل هى تعذيبـه تعالى المتقاعسين عن إجابة نداء الجهاد عـذابا أليما، والمراد هـو عذاب الدنيـا يكون بالقحـط أوبالمرض أو بغلبة عـدوهم عليهم، كما يكـون منه تعالى أن يستبدل بهـم ـ بعد هلاكهم ـ قـوما آخرين يكونـون غيرهم، بمعنى أنهم يكونون مطيعى الله ورسوله إذا أمرا بـالجهاد، مؤثرين الحياة الأخرى على الحياة الدنيا، ويكونون من غيرذوى قرابتهم، قيل: مثل أهل اليمن وأهل فارس.

ثم إنه تعالى يثبت للمتقاعسين المتوعدين انعـدام أثرتقاعسهم على ماقدره تعالى لدينه من النصربقوله تعالى « ولاتضروه شيئا» بمعنى أن فعلكم المذموم لن يضر دين الله ولا رسوله ﷺ فى شىء.

ويجىء قوله تعالى ـــ فى ختام الآية ـ والله على كل شىء قدير» تـذكيرا للمتخاذلين عن الجهاد بقـدرته علـى إهلاكهـم وأن يبدل بهم آخـرين يجـاهدون فـى سبيل الله لا يتـأخرون ولايتباطؤون.

تفســـيرالآية رقم (٤٠):

أولا : الأســـماء:

الغار: هو ثقب أو نقب يكون فى جوف الجبل يكـون مأوى للإنسان والحيوان، والمراد بـه ـ فى معنى الآية ـــ الغار الذى بأعلى قمة جبل « ثور» الواقع فـى الجهة اليمنى لمكة، مكث فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر ثـلاثة أيام يتردد عليهما بالطعام والشراب عامر بن فهيرة وعلى بن أبى طـالب كـرم الله وجهه إلـى أن أعد لهـم المطية من الإبـل والدليـل فركبـا وتوجهـا إلى المدينة.

ثانيا : التفســـير:

الخطاب ـ فى الآيـة ـ إلى هؤلاء المتقاعسين عن الجهاد فـى سبيل الله ، بعد أن أعلمهم

الله أنهم لن يضروا دينه ولا رسوله ﷺ بشيء بتقاعسهم، فإنه تعالى — فى الآية — يثبت لهم كفايته وحده دينه ورسوله ، فقوله تعالى « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار » معناه : إذا كنتم لن تنصروا محمدا ﷺ فإن الله ناصره كما نصره من قبل حين خرج بأمر ربه — ترتيبا على فعل الكافرين وتآمرهم عليه — أحد اثنين من مكة ، إذ كان خروجه ﷺ من مكة وفى صحبته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كان منهما بعد الخروج من مكة البقاء لفترة فى الغار الواقع فى قمة جبل ثور.

ويروى تعالى ما كان بين رسوله ﷺ وبين أبى بكر فى الغار بقوله « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » وقوله تعالى يثبت لأبى بكر أنه صاحب رسول الله ﷺ فهو صاحبه فى الغار وصاحبه على الحوض بقول رسول الله ﷺ ، كما يثبت قوله تعالى أن أبا بكر حزن أثناء وجوده فى الغار، وقد كان ذلك حين اقترب المشركون من الغار فخشى أبو بكر أن يكتشفوا مكانهما فى الغار خوفا على رسول الله ﷺ فقال « لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدمه»، فقال له رسول الله ﷺ « يا أبا بكر ما ظنك باثنين، الله ثالثهما».

ثم يذكر تعالى ما كان منه مع رسوله ﷺ وصاحبه بقوله تعالى « فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها» والمعنى أنه تعالى أنزل السكينة على قلب أبى بكر، لأن الظاهر من نص الآية أنه هو الذى أصابه الحزن خوفا على رسول الله ﷺ أن يكتشف موقعه، ولأنه ﷺ لم يزعجه اقتراب المشركين لثقته فى نصر الله تعالى إياه وصاحبه، وأنه تعالى أيد رسوله ﷺ — ومعه صاحبه — بجنود من الملائكة حجبوه وصاحبه عن أعين المشركين، أو حرسوهما أثناء وجودهما فى الغار. وقيل إن هؤلاء الجنود هم الملائكة الذين نزلوا أيام بدر، والأحزاب، وحنين.

وقوله تعالى « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هى العليا» مفاده أنه تعالى بنصره رسوله ﷺ أذهب بما اجتمعت عليه كلمة المشركين فى دار الندوة من النيل من رسوله ﷺ فأصبحت هى الكلمة السفلى، ويقبل المعنى أن يكون أنه بنصره تعالى رسوله ﷺ أصبحت كلمة الشرك هى السفلى. ثم يثبت تعالى أن كلمته هى العليا دائما وهى النافذة . نفذت كلمته تعالى التى قالها لرسوله « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»، ونفذت كلمته وهى القرآن العظيم بانتصار الإسلام.

ويجىء قوله تعالى — فى ختام الآية — والله عزيز حكيم» إثباتا لواقع أنه الغالب والناصر

فلا يُغلب من كان الله له نصيرا، وأنه يحكم كل شيء بحكمته، فهى التى اقتضت خروج رسول الله وصاحبه على النحو الذى خرجا به وأن يتوجها إلى المدينة ليكون لرسول الله ﷺ من أهلها الأنصار الذين أعد تعالى لهم دورهم فى نصرة دين الله تعالى، وجميع هذا لم تكن تدركه العقول، لأنه من مظاهر حكمته تعالى.

تفسير الآية رقم (٤١):

أولا : الأسماء:

١ ـ **الخفاف** : في قوله تعالى « انفروا خفافا وثقالا » اللفظ ـ فى القول ـ حال يبين هيئة المخاطبين بالنص، والمراد به مثل خف عليهم الجهاد بأسبابه التي منها الصحة، والغنى، وقلة العيال ، وحداثة السن، وغيرها.

٢ ـ **الثقال**: في قوله تعالى « انفروا خفافا وثقالا» اللفظ ـ فى النص ـ حال يبين هيئة المخاطبين بالنص، والمراد به من ثقل عليهم الجهاد لسبب من أسبابه التى منها المرض، والفقر، وكثرة العيال وكبر السن، وغيرها.

ثانيا : التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى المؤمنين ، وهو أمر بالخروج إلى الجهاد إذا ما دعاهم إليه رسول الله ﷺ ، ويبين من قوله تعالى «خفافا وثقالا» أن الأمر قد شمل جميع المؤمنين أو جميع أفرادهم من خف عليهم الخروج للجهاد وسهل، ومن ثقل عليهم هذا وصعب ، ولهذا قيل إن حكم الآية قد نسخ بقوله تعالى « ليس على الضعفاء ولا على الرضى»، أو بقوله تعالى « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة».

ثم إنه تعالى صرح بالأمر بالجهاد وبين كيفيته بقوله تعالى « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله» فأوجب الجهاد بنص صريح، وبين أنه يكون بالمال ينفق فى الإعداد للقتال قبل وقوعه، ثم بالنفس بالقتال يكون فى سبيل الله ونصرة دينه وليس لغرض آخر من شهرة أو مجد أو كسب غنائم .

ثم يخبر تعالى عن واقع أمر الجهاد المأمور به بقوله تعالى « ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» يشير فيه إلى الخروج للجهاد وبذل المال والنفس فيه بـ « ذلكم » ثم يخبر عنه بأنه الخير للمجاهدين فى دنياهم وفى آخرتهم ، يعلمه منهم العالمون، ويتعلمه بقوله تعالى غيرهم، فقوله هو الصدق.

تفســـير الآية رقم (٤٢):

قوله تعالى ـ في الآية ـ خطاب موجه إلى رسول الله ﷺ ، وموضوع القول هو هؤلاء الذين تثاقلوا عن تلبية دعوته ﷺ للجهاد ، يذكر تعالى ما يفيد حرصهم على متع الحياة الدنيا بقوله « لو كان عرضا قـريبا وسفرا قاصدا لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة» بمعنـى أنه لو كانت دعوتك إياهم لنيـل مغنم سهل ، أو لسفر إلى مكان متوسط البعد عن محـال إقامتهم لكانوا قد لبوا نداءك واتبعوك دون تردد ودون إبداء أعذار لتخلفهم ثم يذكر تعالى أنهم عز عليهم ترك مصالحهم وديارهم لبعد المسافة التي طلب منهم قطعها ولأنه ينالهم منها المشقة.

ثم إنـه تعالى يخبـر رسوله عمـا سيكون مـن المتخلفين عن تلبيـة النفير، والمراد هـو ما سيكون منهـم بعد عـودته ﷺ من غـزوة تبوك . فيقـول تعالى « وسيحلفـون بالله لـو استطعنا لخرجنـا معكم» أي أنهم سيحلفون لـرسول الله ﷺ والمؤمنيـن أن مانعا سلبهم القـدرة على الجهاد ، ولولاه لكانوا قد خرجوا مع المجاهدين مقاتلين.

ثم يذكر تعالى عـاقبة حلفهم هذه اليمين بالكذب وعلمه بكذبهم بقـوله تعالى « يهلكون أنفسهم ، والله يعلـم إنهم لكاذبون»، والمعنـى أنهم باليمين الفـاجرة التي يحلفونهـا يوردون أنفسهم مورد التهلكة بتعريضها للعذاب، فيكون هلاكهـم بالعذاب مقابلا لمحاولتهم النجاة بأنفسهم من أهوال الحرب مع كونه جزاء على اليميـن الفاجرة. ثم إنه تعالى يثبت كذبهم في دعـواهم أنهم لم يقـدروا على الخروج مثبتا قـدرتهم عليه بتقريـره تعالى أنه يعلـم أنهم كاذبون.

تفســـير الآية رقم (٤٣):

الخطاب ـ في الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ خطـابا مباشرا بعتاب خفيف عن أمر صدر منه ﷺ مع المتخلفين عن الجهاد عفا عنه تعالى وتجاوز المساءلة به إلا بهذا العتاب.

فقوله تعالى « عفـا الله عنك لم أذنت لهم» هو استفهام عن السبـب الذي جعل رسوله ﷺ يبادر بقبول عـذرهم عن التخلف بمجـرد إبدائه، ويبين من التصريـح بالعفو عنه أنـه كان من قبيل الهنات.

ثم بين تعالى أنـه كان الأوجب على رسوله ﷺ ألا يبادر بالإذن للمعتـذرين بالتخلـف وأن ينتظر إلى حين تحققه من صحة العذر المبدى أو كذبه، فيكون العلم بصدق الصادقين والإذن لهم بالتخلف والعلم بكذب الكاذبين وعدم الإذن لهم مع افتضاح أمرهم بين المؤمنين.

تفســـير الآية رقم (٤٤):

قـوله تعـالى ــ فى الآيـة ـ استئنـاف لحديثـه تعـالى المـوجه إلـى رسولـه ﷺ فى شـأن المتخلفين عن الجهاد فى سبيـل الله .وموضوع النص هو فى بيان الفرق بيـن سلوكهم وسلوك المؤمنين الـذين أخلصوا فى إيمانهـم ، فقوله تعالى « لا يستـأذنك الذين يؤمنـون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم» معناه أن المؤمنيـن بالله تعالى، وباليوم الآخر يعرفون أن النعيم فيـه هو المبتغـى دون نعيم الحيـاة الدنيـا الزائل يسـارعون إلـى الجهاد فـى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم لا ينتظرون الإذن به . فيبين الفارق بينهم وبين المتخلفين الذين لم يخلصوا لله دينهم إذ يطلبون الإذن بالتخلف وليس بالجهاد.

ثم يجـىء قوله تعـالى ـ فـى ختام الآية ــ « والله عليم بالمتقيـن» شهادة للمجاهـدين الذين أخلصوا دينهم بأنهم المتقون. ووعـدا لهم أن يجزل لهم الثواب. والمستفاد من النص ـ بمفهوم المخالفة ـ أنه تعالى يجازى المتخلفين الذين لم يخلصوا دينهم بما كان منهم.

تفســير الآية رقم (٤٥):

بعد أن ذكر تعالى أن المـؤمنين به تعالى وباليوم الآخر الذيـن أخلصوا دينهم لا يستأذنون فى الخروج للجهـاد إذ يبادرون بتقديم أنفسهم إليه دون انتظـار الإذن به فإنه تعالـى قطع فى النص بأن المستأذنين فى التخلف عن الجهاء هـم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، فيكون النص مظهـرا سبب الإقدام على الجهـاد ـ وهو الإيمان الصحيـح بالله واليوم الآخر ــ وسبب الاحجام عنه والتردد فيه وهـو عدم الإيمان بالله واليوم الآخر إيمانا صحيحـا خالصا . ويثبت تعالى فى حق المتخلفين عن الجهاد أنهم فـى قلوبهم شك وريبة مما وعدهم الله أن يكن لهم فى الآخرة أجرا علـى الجهاد وعلى الشهادة، وأنهم متحيرون فى فعالهـم نتيجة ما يتردد فى قلوبهم من شك ويقين، وترددها بين الشك وبين اليقين.

۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ

بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾

تفســـيرالآية رقم (٤٦):

أولا : الأســـماء:

الانبعاث: في قـوله تعـالى « ولكن كـره الله انبعاثهـم » المراد بـه ـ في معنى الآية ـ هو الخروج ، أو النهوض للخروج.

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في التدليل على كذب المتقاعدين بالقرائن ، فقوله تعالى « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة » هو بيان لواقعة محققة الوقوع معروفة، واستنتاج حصول الأخرى بالدليل العقلي منها. فالثابت تحققه هـو أن المتقاعدين عن الجهاد لـم يعدوا للخروج مع رسول الله ﷺ في الجهاد عـدته من الـزاد والعتاد، والمستنتـج منه عقلا هـو أنهم لـم ينتووا الخروج ولم يريدوه.

ثم إنه تعـالى يثبت أنه كره أن يكون منهـم خروج للجهاد مع رسول الله والمـؤمنين، وقد

يكون ذلك لأنهـم انتووا بين أنفسهم أن يكون منهم إفســاد المؤمنين المجاهدين فيمـا لولـم يأذن لهم رسـول الله ﷺ بالتخلف، فكان منـه تعالى منعهم مـن اللحاق بالمجاهـدين وثبط هممهم كيلا يكون فـى وجووهم أذى، وكان منه تعالـى أن ألزمهم القعود مع القاعـدين، فلم يحل بينهم وبين الشيطان يوسوس لهم فكان قعودهم على القتال تنفيذا لمشيئته تعالى، كأنه تعالى أمربهذا فكان منهم التنفيذ

تفســـير الآية رقم (٤٧):

أولا: الأســـماء:

١ ـ **الخبال**: فى قوله تعالى « مازادوكم إلا خبالا» هو اضطراب فى الفكر والتقدير يكون من آفة تصيب العقل . والمراد به ـ فى معنى الآية ـ فساد الرأى والعجز.

٢ ـ **الخلال**: جمع، مفرده «خلل» وهو «الفرجة» تكون بين شيئين.

ثانيا : التفســـير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ بيـان للعلة التى كـان بها إعاقته تعـالى ضعاف الإيمـان عن الخروج مع رسول الله ﷺ والمؤمنين إلى الجهاد. فيذكر تعالى أن ضعاف الإيمان لو كانوا قد خرجوا مع المؤمنين إلى الحرب مازادرهم قوة فوق قوتهم، وإنما كان من شأنهم أن يفسدوا آراءهم فى شأن الحرب وأحدثوا فيها الاضطراب كما كان منهم السيربين صفوف المؤمنين بالنميمة تفرق بينهم، جاء التعبير عن هذا بقـوله تعالى « ولأوضعوا خلالكم» بمعنى « لساروا بين صفوفكـم بالفرقة» لأن « الإيضاع » هو ضـرب من سير الإبل، فشبه سيـر ضعاف الإيمان بين المؤمنيـن بهذا الضرب من سيرالإبل ، يكـون فى الفرجات التى بين المـؤمنين بعضهـم والبعض ، بمعنى أنهم يتلمسون شيئا فى نفس مؤمن من آخريلجون فيه بما يثير حفيظته على أخيه . ثـم يبين تعالى أن غـايتهم من أفعالهـم هى بث الفتنة فـى صفوف المؤمنين بـإيقاع الفرقة والاختلاف بينهم وترهيبهم من عدوهم.

ثم إنه تعالى يوضح أن من بعض المؤمنين مايساعد على تحقق مآرب ضعاف الإيمان فيهم وهو أنهـم سماعون لهؤلاء ، يستمعـون إليهم ويصدقونهـم. وقيل إن معنى قولـه تعالى «وفيكم سماعون لهم» هو أن من بين المؤمنيـن من يستمعون إلى بقيتهم أو يسمعون حديثهم ثم ينقلونه إليهم ـ ولا نرى هذا صحيحا لأن المؤمنيـن المجاهدين هم الذين اكتمل إيمانهم فلا يتصور أن يكون منهم الخائن الـذى يستمع حديث إخـوانه لينقله إلى ضعـاف الإيمان ،

وإن جاز أن يكون منهم من يستمع إلى مكر هؤلاء فيتأثر به فتثور حفيظته على أخيه .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله عليم بالظالمين» ، هو نعت لضعاف الإيمان القاعدين عن الجهاد بالظلم أو بأنهم ظالمون، وبيان لأنه تعالى قد أبطل مكر ظلمهم بإعاقتهم عن الخروج مع المؤمنين فى الجهاد ، وإعلام بأنه مؤاخذهم بظلمهم ومعاقبهم به.

تفسير الآية رقم (٤٨):

أولا : الأسماء:

١ ـ **الفتنة** : قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو تشتيت أمر المؤمنين، وقيل هو الفتك به ﷺ ، أراده اثنا عشر منافقا تربصوا به ﷺ عند ثنية الوداع فردهم الله خائبين.

٢ ـ **الحق**: المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو النصر الذى وعد به تعالى رسوله والمؤمنين.

ثانيا: التفسير:

بعد أن ذكر تعالى لرسوله ﷺ فعال ضعاف الإيمان والمنافقين وغايتهم المتمثلة في بث الفرقة بين صفوف المسلمين فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يذكر رسول الله ﷺ والمؤمنين ـ فى الآية ـ بأنه قد سبق من المنافقين فعل ما فعلوا مستهدفين ذات الغاية « لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور ومن ذلك ما حدث يوم أحد حين انصرف عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه عن رسول الله ﷺ ومنه ما حدث من تآمر المتآمرين على إهلاكه ﷺ عند ثنية الوداع جاءت الإشارة إليه بقوله تعالى « وقلبوا لك الأمور» بمعنى أنهم جربوا جميع أنواع المكائد وقلبوا أمور الغدر على كل وجه.

ثم يثبت تعالى أنه رد كيدهم إلى نحورهم بقوله تعالى «حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون » فبين أن فعالهم استمرت إلى الغاية معينة هى تحقق النصر الذى وعد به تعالى عباده المؤمنين وظهر دينه الحق وعلت رايته ـ ويقبل القول أن يكون الظهور متعلقا بنفاق المنافقين ـ ويثبت تعالى أن هذا جميعه قد تحقق على كراهة المنافقين تحققه.

تفسير الآية رقم (٤٩):

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى فئة من المنافقين القاعدين عن الجهاد كما يبين من وقوله «ومنهم» ، وهم الذين طلبوا إذنه ﷺ بعدم الخروج للجهاد حذر الوقوع فى الفتنة، من هؤلاء جد بين قيس طلب الإذن بالقعود عن الجهاد متعللا بأن نساء الروم جميلات وأنه رجل

يحب النساء ويخشى على نفسه أن يفتن بحسنهن، ومنهم من قال إنه مضطر للقعود وطلب الإذن به حتى لا يضطر إلى مخالفة أمر رسول الله ﷺ فيكون به وقوعه فى الفتنة.

ثم يـذكر تعالى أن واقـع حال المتخلفين عـن الجهاد، المستأذنيـن فيه هو ترديهـم فى الفتنة «ألا فى الفتنة سقطوا» فهم لم يهربوا منها وإنما سقطوا فيها إلى أدنى دركاتها.

وقوله تعـالى - فى ختام الآيـة - «وإن جهنم لمحيطة بالكـافرين» هو تقريـر بأن هؤلاء المنافقين كافرون فى حكمه تعالى وإن أظهروا إيمانا، وإعلام للمؤمنين أن مصير المنافقين إلى جهنـم، ووعيد للمنافقين بمـلاقاة جزاء فعـالهم جهنم يلقـون فيها فتحيط بهم مـن كل جانب.

تفســـيرالآية رقم (٥٠):

قوله تعالى - فى الآية - فى بيان أحوال المنافقين مع المؤمنين، يذكر تعالى أنه إذا أصاب رسول الله ﷺ ومن معـه من المؤمنين خير من نصـر أو غزو أو غنيمة غنموها كـان ذلك سببا يسوء المنافقيـن ويحزنهم، وإذا أصاب رسول الله ﷺ والمـؤمنين شر من شدة أو انـدحار قوة أمام العدو ابتهج بذلك المنافقون وقالوا تعبيرا عن فرحهم إنهم قد تحاشوا بقعودهم ما حاق بالمؤمنين من شر، أو أنهم قد تحوطوا لأنفسهـم من قبل وقوع البلاء فلم يصبهم «قد أخذنا أمرنا مـن قبل. ثم يذكـر تعالى أنهم بعـد أن يقولوا مثل هـذا القول لمتحدثيهم أو سـامعيهم ينصرفون سعداء بما نال المؤمنين من شر، وبنجاتهم منه.

تفســـيرالآية رقم (٥١):

المخاطب بنص الآية هو رسول الله ﷺ، أمره ربه أن يقـول للمنافقين الذين يسوؤهم خير المؤمنين ويسعدهم ما يضرهم «لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»، والمعنى هو رضاء المؤمنين بما قدره الله تعالـى لهم وكتب فى اللوح المحفوظ، أو أنزل فى القـرآن العظيم، ومنه وعده تعالى إياهم بالنصر، فيكون القول تبكيتـا للمنافقين. وفى قول رسول الله ﷺ للمنافقين «هو مولانا» إعلانا للمنافقيـن بثقة المؤمنين فى النصر لأن ناصرهم والمتولـى جميع أمرهم هو الله الذى لا يخيب من تولاه.

وقوله تعـالى «وعلى الله فليتوكل المـؤمنون» يقبل أن يكون تـذييلا للآية قولا منـه تعالى، ويقبل أن يكون من قـول رسول الله ﷺ، ومعناه أن المؤمنين لا يعتمدون فـى أمورهـم إلا على الله تعالى، لا يناقض هذا أخذهـم بالأسباب، ومنها أسباب النصر بالاستعداد للحرب.

تفســــير الآية رقم (٥٢):

أولا : الأســـماء:

الحسنيان: فى قـوله تعـالى « هل تـربصون بنا إلا إحـدى الحسنيين » مثنـى « حسنى » ، والمراد بالحسنيين ـ فى معنى الآية ـ النصر والشهادة فى سبيل الله.

ثانيا : التفســـير:

يأمر تعالى رسـوله ﷺ أن يقول للمنافقين ، أو لهم وللكافرين « هـل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين » والقول يثبت انتظار المنافقين ما ينال المـؤمنين وترقبهم هذا ، وفيه إفادة عن أن ما يصيب المؤمنين هو أحد أمرين إمـا النصر و إما الشهادة فى سبيل الله، وكل منهما أحسن مما عداه ، فيكون القـول ـ و إن جاء فى صيغة استفهام ـــ مثبتا تربص المنافقين بـالمؤمنين، وأن ما يتربصون وقوعه بهم هو خير يفضل ما عداه و إن بدا لهم على خلاف هذا.

ثم يقول ﷺ للمنافقين « ونحن نتربص بكـم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » ، والمعنى أن المؤمنين يرقبون تحقق إحدى سوءين بـالمنافقين هما الهلاك يصيبهم به تعالى كما أصاب من قبلهم، أو العذاب والقتل يكون بأيدى المؤمنين إذا ما أظهروا كفرهم.

ثم يجىء قول رسول الله ﷺ « فتربصوا إنا معكم متـربصون » إعلانا عن الثقة فى ظهور المؤمنين على المنافقين وأنهم يشاهدون بإذنه تعـالى سوء عاقبة المنافقين على حين لايرى المنافقون إلا خير المؤمنين يسوء المنافقين.

تفســـير الآية رقم (٥٣):

قولـه تعالى فـى مبتدأ الآيـة أمر إلى رسـوله ﷺ أن يأمـر المنافقيـن بالإنفاق علـى الغزو والاستعداد له طائعين الأمر أو كارهين إياه ، يكـون ذلك منهم على سبيل التجربة فينظرون ما إذا كان يتقبل منهـم أم لا . وقيل إن سبب نزول الآية مـا عرض جد بن قيـس على رسول الله ﷺ من أخذ مـاله بدلا من الجهـاد بنفسه ـ والذى نـراه أن القول إخبار عن واقـع عدم قبول الإنفاق علـى الجهاد من المنافقيـن عملا صالحـا يثابون عليـه فى الآخرة ، لأن أحدا ـــ فى الحياة الدنيـا ـ لا يستطيع أن يعرف مـا إذا كان عمله الصالـح مقبولا من الله فيثاب عليـه فى الآخرة أم لا .

ويؤكد هذا المعنـى قوله تعالى « إنكم كنتـم قوما فاسقين» تضمن بيـان علة عدم قبول إنفاق المنافقين القاعدين عن الجهاد بأنفسهـم ، وهو فسقهم ، اتصفوا به لتمردهم على أمر

رسول الله ﷺ وتحايلهم عليه .

تفســـير الآية رقم (٥٤):

يبين تعالى ـ فى الآية ـ علة عدم قبول ما ينفق المنافقون من المال فى الإعداد للقتال وتجهيز المقاتلين فيقول تعالى « وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله» ، جاءت « ما» النافية في مبتدأ القول، وجاءت « إلا» وهى للاستثناء للإعلام بالسبب الرئيسى لعدم قبول إنفاق المنافقين، وهو كفرهم بالله ورسوله، أضمروه فى قلوبهم، فأظهر تعالى أن الكافر لا يقبل منه العمل الصالح يثاب عليه فى الآخرة .

ثم أثبت تعالى بعض فعالهم التى هى وليدة كفر قلوبهم بقوله تعالى « ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون » ، فهم يؤدون الصلاة مرائين المسلمين فيكون قيامهم إليها عن كسل لانعدام الوازع الدينى لديهم، وإذا أنفقوا من أموالهم كان ذلك على كراهة منهم للإنفاق فى سبيل الله، لأنهم لا يرجون خير المؤمنين ولأنهم لا يأملون ثوابا على الانفاق لعدم إيمانهم بما قال تعالى فى القرآن العظيم عن ثواب الإنفاق فى سبيله.

تفســـير الآية رقم (٥٥):

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ، وظاهر القول أنه نهى عن الإعجاب بما لدى المنافقين من الأموال والأولاد، وقد يكون المراد به هو إعلام رسول الله ﷺ والمؤمنين بواقع حال ما ينعم به المنافقون من المال ومن الولد ، وأنه حال لا يستوجب اعتباره من النعم؛ ولهذا قال تعالى « إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون» فأثبت تعالى أن ما أعطاهم تعالى من المال ومن الولد هو أمر مراد، لأنه به يتم تعذيبهم فى الحياة الدنيا، فهم يتعذبون بالعمل لجمع المال ، ويتعذبون بإنفاق ما ينفقونه منه فى الإعداد للجهاد وتذهب نفوسهم حسرة على ما ينفقون لعدم إيمانهم بأنهم يثابون به، كذلك فإنهم لديهم الأولاد، ومنهم من يقتل فى الجهاد فيتعذبون بفقدهم لأنهم لا يعتقدون فى الشهادة وفى أنها تورث نعيم الجنة والخلود فيه، كما أن من الأولاد من قد يؤمن فيقطع ما بينه وبين أبيه الكافر فيكون للكافر عذاب النفس بهذا فى الحياة الدنيا.

ثم إنه تعالى يثبت ـ فى النص ـ أنه أراد لهؤلاء المنافقين أن يموتوا وهم على حالهم من الكفر الذى اختاروه ليعذبوا به.

تفســـير الآية رقم (٥٦):

لا يزال القول فى فعال المنافقين، يذكر تعالى من فعالهم المراءاة والكذب والحلف على الكذب فقـوله تعالـى «ويحلفون بالله إنهـم لمنكم ومـا هم منكم» هـو ذكر لفعال المنـافقين يقولون للمؤمنين إنهم منهم أى إنهم مؤمنون، ويحلفون لهم بالله على هذا، وهم لا يؤمنون بالله إيمانا صحيحا. ثم يثبت تعـالى واقع حالهم بقول قاطع فى شأنهـم «وما هم منكم» والمعنى أنهم ليسوا مؤمنين .

ثم يذكـر تعالى واقعهم بقولـه «ولكنهم قوم يفرقـون» وهو بيان لسبب زعم المنـافقين أنهم مؤمنـون وحلفهم على هذا، وهـو خوفهم من المـؤمنين أن يؤذوهـم، فكان إعلانهم إيمـانهم والحلف على ذلك باليمين الفاجرة لاتقاء إيذاء المسلمين إياهم .

تفســـير الآية رقم (٥٧):

أولا : الأســـــماء:

١ ـ **المغارات**: جمع، مفـرده «مغارة» وهـى نقب يكون داخـل الأرض من فعـل الطبيعة يصلح لاتخاذه مأوى أو للاختباء فيه والتخفى .

٢ ـ **المدخل** : فى قوله تعالى «أو مدخلا» هـو النفق الضيق أو السرداب يكون مدخله على سطح الأرض ويكون امتداده فى بطن الأرض تحت سطحها .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعـالى فى بيان ما تنطـوى عليه نفوس المنافقيـن الذين يظهرون الإيمان تقيـة، يذكر تعالى أنهم يتمنون الهروب من الإسلام ومن المسلمين الذين يخشونهم حتى أنهم لو وجدوا مكانـا حصينا يتحصنون بـه من المؤمنين، أو مغـارات يختفون فيها عـن أعينهم أو أنفاقـا فى باطـن الأرض يدخلونها فـلا يلحق بهم المؤمنـون لكان منهم الاتجـاه إليها مسرعين بقـدر ما يستطيعون علـى نحو مـا تفعل الفـرس الجموح. والقول ــ بهذا المعنـى ـ يبيـن شدة كـراهة المنافقين للدين الذى يدعون إيمانهم به وللمؤمنين .

تفســـير الآية رقم (٥٨) :

التفســـــــير:

لا يزال قوله تعالى فـى شأن فعال المنافقين المنافية كل خلق كريـم، يذكر تعالى أن منهم من يعيب على رسول الله ﷺ فعله فى شأن توزيع الصدقات على مستحقيها، وقد يراد باللمز

ـ في معنى الآية ـ الإشارة إلى استحقاقها. ويكون فعل هؤلاء مع علمهـم بحالهم من الكفر من مظاهر حـرصهم على متع الحياة الدنيا. ثـم يذكر تعالى أنه إذا مـا أعطاهم رسول الله ﷺ منهـا نصيبا ارتضـوه استحسنوا فعلـه، وإذا لم يعطهـم منهـا ما أملـوا أن يأخـذوه كان منهـم السخط على القسمة التي حرمتهم ما طمعوا أن يأخذوه.

وقيل إن سبب نـزول الآية أن أحدهم قـال حين قسم رسول الله ﷺ غنـائم حنين «إن هذه قسمة ما أريد بها وجـه الله فقال رسول الله ﷺ «قد أوذى موسى بأكثر مـن هذا، فصبر» فنزلت الآية .

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

تفســـــير الآية رقم (٥٩):

التفســـير:

يعيب تعالى على كل من لم يرض عـن قسمة رسول الله ﷺ الصدقات فعله، يدخل فيهم

المنافقون، جاء قوله تعـالى ـ في الآية ـ في صيغة جملة شرطيـة أداة الشرط فيها «لو» لبيان أن الذين لم يرضوا عن قسمته ﷺ ما كان لهم أن يـرضوا عنها، فدل هذا على أن المؤمنين إيمانا صحيحا لايتصور أن يكون منهم عدم الرضاء عـن قسمته ﷺ، وحذف جواب فعل الشرط من الجملة وتقـديره هو «لكـان خيرا لهـم». وفعل الشرط الـذى كان مفترضـا أن يكون فعـل غير الراضيـن عن القسمة هـو الرضاء بمـا آتاهم الله ورسـوله، وقولهـم «حسبنا الله سيؤتينـا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون» .

فيكون القول ـ على هذا المعنى ـ حثًّا للمـؤمنين على الرضاء بما يقسمه رسول الله ﷺ فى شأن الصدقـات ، سواء أعطوا منها أم لم يعطـوا، وإعلاما لهم أن قسمته ﷺ هـى قسمة ربه، وبيانا لما يجب عليهم قوله وهو «حسبنا الله سيـؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون» بمعنى أنه يكفيهم فضل الله عليهم، وأنهم يأملون فى فضله تعالى وفضل رسوله على الدوام، وأنهم بكلياتهم راغبون إلى الله مستغنين به عما سواه. وكما أن القول بيان لما يفعله المؤمنون وما يقولونه فهو أيضا بيان لما لم يفعله المنافقون ولم يقولوه .

تفســـير الآية رقم (٦٠):

أولا : الأســـــماء:

١ ـ **العاملون عليها**: فى قوله تعالى «والعاملين عليهـا» هم السعاة والجباة الذين يجمعون الزكاة بأمر الحاكم .

٢ ـ **المؤلفـة قلوبهم** : هم قـوم كانوا فـى صدر الإسلام ممـن يظهرون الإسلام مـع ضعف يقينهم، فكان يدفع لهم سهم من الزكاة يتألفون به .

٣ ـ **الغارمون** : فى قوله تعالى «والغارمين» هم الـذين عليهم دين، لم ينفقوا ما أخذوه فى معصية.

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ فى بيان مصارف الزكاة، يبين منها مجمـوعة أنه قد استهدف منها تحقيق مصلحة الـدين والمؤمنين، وليـس المنافقون من هـذا فى شىء. ويبين مـن القول أن تقسيم أموال الزكـاة يكون بين ثمانى فئات هـم: الفقراء، والمساكين وقد اختلف فـى تعريف كل منهما فقيل إن الفقير أحسن حالا من المسكيـن وقيل إن المسكين أحسن حالا من الفقير، والعاملون على جمع أموال الزكاة، والمؤلفة قلوبهم الـذين كانوا يدفع إليهم من الزكاة لجمع

قلوبهم على الإيمان بالدين الذى لم يكن قد قوى بعد فى قلوبهم، والرقيق يدفع فى شرائهم لإعتاقهم أو فى الأسرى تدفع لهم الفدية ليتحرروا من الأسر، والمدينين بديون لا يستطيعون الوفاء بها ممن لم ينفقوا فى معصية، وفى سبيل الله يكون بالصرف على طلبة العلم أو على الغزاة المنقطعين للجهاد فى سبيل الله، وابن السبيل وهو المسافر الذى انقطع عنه ماله.

ثم إنه تعالى يذكر أن تقسيم أموال الزكاء على هذا النحو أمر مفروض منه تعالى «فريضة من الله » فيكون معنى القول إنه تعالى فرض لهم الصدقات فريضة.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ « والله عليم حكيم » هو بمثابة بيان لعلة قسمته تعالى الزكاه على هذا النحو فهو تعالى العليم بأحوال مستحقيها الذين يكون بالإنفاق لهم أو عليهم مصلحة الدين قسم لهم ما قسم بتقدير حكمته.

تفســـير الآية رقم (٦١):

أولا: الأســـماء:

الأذن: فى قوله تعالى « ويقولون هو أذن» هى جارحة السمع، وتطلق على العضو المعروف بدءا من الصوان الخارجى إلى ما يعرف بالأذن الداخلية. و إطلاقها على شخص من قبيل المجاز المرسل، والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ من يسمع كلام الناس ويصدقه.

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى فئة أخرى من فئات المنافقين ، ذكر تعالى أنهم يؤذون النبى ﷺ ويقولون « هو أذن» كانوا يؤذونه ﷺ بالعيب فى ذاته الشريفة بالقول، فإذا خوفهم بعضهم من وصول قولهم إليه ﷺ ومؤاخذتهم به قالوا إنهم ينكرون أمامه ما صدر منهم ويحلفون على هذا فيصدقهم ولا يؤاخذهم به لأنه « أذن » يسمع القول ويصدقه . وقيل إن من هؤلاء الجلاس بن سويد بن صامت، ورفاعة بن عبد المنذر ووديعة بن ثابت، وقيل إن الآية نزلت فى عتاب بن قشير، وقيل نزلت فى نبتل بن الحارث الذى قال فيه رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث.

ثم يقول تعالى لرسوله ﷺ « قل أذن خير لكم، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم »، وقول رسول الله ﷺ للمنافقين فيه تصديق بما قالوا من أنه ﷺ « أذن» بمعنى أنه يسمع القول ويصدقه ، لكنه تصديق مقيد يكون ذلك بما فيه خير وليس بما فيه شر، فهو يستمع من المرء يتحدث عن أخيه بالخير ولا يستمع لمن يتحدث عن أخيه بشر. وهو المؤمن

بالله تعالى والمصدق بآياته المنزلة وآياته فى خلقه ، والذى يصدق المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لأنهم لايكذبون عليه ﷺ. ثم إنه ﷺ رحمة للذين آمنوا من المنافقين «ورحمة للذين آمنوا منكم » فهو ﷺ رحمة للعالمين ، والذين ادعوا إيمانهم من المنافقين هم بعض العالمين، وهو بصفته هذه لايكذبهم حين يدعون أمامه إيمانهم ، لايكون ذلك منه تصديقا لهم ، بل يكون من رحمته بهم ورفقه فلا يكشف أمرهم .

ثم إنه تعالى يذكر ـ فى ختام الآية ـ ما يكون عليه مصير الذين يؤذون رسوله ﷺ بأى صورة من صور الإيذاء ـ ومنه الإيذاء بالقول ــ بقوله تعالى « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ».

وهو وعيد لهذه الفئة من المنافقين بالعذاب الأليم فى الآخرة أو فى الدنيا والآخرة . وقوله تعالى هذا يتضمن حكما يسرى ما دامت الدنيا، وهو أن كل من يتعرض بقول لرسول الله ﷺ فيه تعد على ذاته المصونة أو انتقاص من قدره يكون له من الله العذاب الأليم.

تفســـير الآية رقم (٦٢):

الخطاب ـ فى الآية ــ إلى المؤمنين ، وهو فى شأن المنافقين الذين يؤذون رسول الله ﷺ بالقول ثم يحلفون على أنهم لم يقولوا فى ذاته الشريفة عيبا، فضحهم الله تعالى بأن أظهر كذب ما يحلفون عليه وأن حلفهم على الكذب إنما كان لجلب رضاء المؤمنين عليهم ودفع مساءلتهم بما صدر عنهم « يحلفون بالله لكم ليرضوكم». وقيل فى مناسبة نزول النص إن قوما من المنافقين اجتمعوا ومعهم غلام من الأنصار، قالوا أمامه « إن كان ما يقول محمد حقا، فنحن شر من الحمير، فقال الغلام « والله إنما يقول الحق، وأنتم شر من الحمير» ثم إنه أخبر رسول الله ﷺ بقولهم فاستحضرهم فحلفوا أن الغلام كاذب، فحلف الغلام أنهم كاذبون ثم قال « اللهم لاتفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب، فنزلت الآية . وقيل ـ وهو ضعيف ـ إن الآية نزلت فى رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، ثم أتوا المؤمنين معتذرين عن تخلفهم حالفين على الكذب لإرضائهم .

ثم إنه تعالى يبين خطأ المنافقين فى السعى إلى إرضاء المؤمنين من إغضابه تعالى ورسوله بقوله « والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين » وهو قول يثبت أن المؤمن إنما يسعى لإرضاء الله تعالى ورسوله ﷺ وليس لإرضاء غيره، فيكون القول ذما للمنافقين الذين لم يسعوا إلى هذا وبيانا لكونهم غير مؤمنين.

تفســـــير الآية رقم (٦٣):

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ فى المنـافقين، والقول موجـه إلى رسول الله ﷺ والمؤمنيـن، بدأ باستفهـام أريد به توبيـخ المنافقين بفعلهم ، فقـوله تعالـى « ألم يعلموا أنه مـن يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها» يثبت واقع ما جاء به جواب الشرط فى الجملة الشرطية، وهو أن من يخالف الله ورسوله فيما أمرا به يكون جزاؤه هو الخلود فى نار جهنم. وصفه تعالى بأنه خزى عظيـم لما فيه من الذل والهوان ، ثـم إنه يثبت على المنافقين أنهـم قد أتوا بفعل الشرط وهو محاددة الله ورسـوله بمعنى عصيانهما. ثم إنـه تعالى يوبخ المنافقيـن لفعلهم ما يعلمون أو ما يفترض فيهم أنهم يعلمون أن من شأنه أن يورثهم نار جهنم والخلود فيها، تكون لهم خزيا عظيما .

تفســـــير الآية رقم (٦٤):

الآية من آيات الإخبار، فقـد أتت بخبر يتعلق بالمنافقين فأظهـرت أنهم يخشون أن تنزل على المؤمنيـن سورة من سور القـرآن العظيم تخبر المؤمنيـن بما فى قلوب المنـافقين فيتم افتضاحهم . فيكون الضمير المتصل فى « عليهـم » و « تنبئهم » عائدا إلى المؤمنين ، ويكون فى «قلوبهم » عائدا إلى المنافقين وقيل إن معنى « تنزل عليهم » هو « تنزل فى شأنهم» يعنى فى شأن المنافقيـن . وعلى الحالين فإن معنى قـوله تعالى « يحذر المنافقـون أن تنزل عليهـم سورة تنبئهم بما فى قلـوبهم» هو أن المشركين يخشون أن ينزل الله تعالـى فى القرآن العظيم سورة تخبر المؤمنين بما يخفونه فى صدورهـم من الأسرار التى لا يتحدثون بها إلا فيما بينهم وبين أنفسهم فيكـون افتضاح أمرهم. والمعلوم أن السـورة «براءة » قد أظهرت مـا فى قلوب المنافقين ، وكذلك كـان المسلمون يسمونها الحفارة لأنها حفرت ما فـى قلوب المنافقين وأظهرته.

ثم إنه تعـالى يقول لرسولـه ﷺ « قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحـذرون » يقول القول للمنافقين ، ويفيـد القول أن المنافقين استهـزءوا بما قيل لهم مـن أنه تعالى سيفضـح عن مكتون قلوبهم بسورة مـن سور القرآن العظيم ، أو أن يكون نفاقهم هو استهـزاء بالمؤمنين لما فيه من خداعهـم. ثم إن قوله ﷺ لهم بأمر ربـه هو إخبار بيقين عن حدث مستقبـل هو إنزاله تعالى فـى القرآن ما يبرزبه ويظهـر ما كانوا يحـذرون ظهروه من قبائح أعمالهـم ومعتقداتهم. وقيل إنه تعالى أنـزل فى القرآن العظيم أسماء المنافقين ثم جرى نسخ هـذا رحمة بأبنائهم

المؤمنين ـ وهو ما لا دليل يعتد به عليه ـ ، وفي إبراز فعال المنافقين فى السورة مع تعددها ما يكشف بذاته عن أشخاص فاعليها فيما تعلق بأسباب النزول، وما يكشف عن المنافقين فى كل زمان من الأزمنة، مما يعد إخراجا من الصدور ما يحذر المنافقون إظهاره.

تفســـير الآية رقم (٦٥):

قوله تعالى ـ في مبتدأ الآية ـ «ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب» موجه إلى رسول الله ﷺ وهو متعلق بواقعة وقعت وهى أنه لما كان ﷺ فى غزوة تبوك قال بعض المنافقين لبعض « انظروا هذا يفتح قصور الشام ويأخذ حصون بنى الأصفر »؟ فأطلعه الله تعالى على قولهم وما فى قلوبهم ، فأخبرهم رسول الله ﷺ بما قالوا، فحلفوا «ما كنا إلا نخوض ونلعب» منكرين أنهم قالوا قولهم على سبيل الجد، مدعين أنه كان من قبيل المزاح. وقيل إن قائل القول هو وديعة بن ثابت..

ثم إنه كان منه ﷺ أن قال لهم بما أوحى به إليه ربه « قل » .. « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون» ومعنى القول هو أن ما وقع منهم هو استهزاء ـ فى حقيقته ـ بالله تعالى الذى فتح على رسوله الأمصار ، وبرسول الله ﷺ الذى استكثروا عليه أن ينصر على بنى الأصفر (الروم) ، وبآياته ومعجزاته التى جعلت من العرب المسلمين الذين كانوا مستضعفين قبل الإسلام قوة أعزها الله بالإسلام ففتحوا الأمصار . وأن هذا الاستهزاء قد وقع بما لا يصح الاستهزاء به، فهو من قبيل الخطأ الذى يستوجب العقاب.

تفســـير الآية رقم (٦٦):

الخطاب فى الآية موجه إلى المنافقين، أو إلى الذين قالوا قولهم المنطوى على الاستهزاء، ويتصور أن يكون القول منه تعالى إليهم ، أو أن يكون قول رسوله ﷺ لهم. وقوله تعالى « لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم» هو نهى لهم عن تقديم اعتذارات عما صدر منهم من استهزاء لعدم جدوى ذلك ، وسبب انعدام جدواه هو أن ما صدر منهم أثبت عليهم الكفر بإظهاره بقولهم ، بعد أن أظهروا إيمانهم ، فدلوا على أن ما فى صدورهم هو الكفر، فلا يجديهم أن يعتذروا عن القول ـ وهو من فعل الجوارح ـ مع دنس باطنهم .

وقوله تعالى : « إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين » يفيد معنى تصور العفو عن الخطأ الذى ارتكبه المنافقون إذا ما تحقق سبب العفو وهو التوبة ، فلا يعاقبهم رسول الله ﷺ فى الدنيا، ويكون منه ﷺ معاقبة من لم يتب عن الكفر عقاب

الكافرين، أو يكون من الله تعالى معهم معاقبتهم بعذاب الدنيا والآخرة ، وذلك لأن فى عدم توبتهم واستمرارهم على كفرهم ما يسمهم بالإجرام ، لإجرامهم فى حق الدين والرسول والمؤمنين.

ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

تفســــير الآية رقم (٦٧):

أولا: الأســـماء:

١ ـ **المنكر:** المراد به ـ فى الآية ـ هو التكذيب برسول الله ﷺ

٢ ـ **المعروف:** المراد بـه ـ فى معنـى الآية ــ شهادة ألا إله إلا الله وأن محمـدا رسول الله ، والإقرار بصحة القرآن العظيم كتابا منزلا من لدنه تعالى.

ثانيا : التفســير:

عبارة الآيـة تقريرية تثبـت واقع حال المنـافقين واتحادهـم فى الصفات الرئيسـة حتى

لكأنهم كيان واحد لا اختلاف بين ذكورهم و إناثهم فيه، فكما كانت حواء بعض آدم، وكما أن النسل يكون مـن الذكر والأنثى معا ويكون مجتمعـا فى صفات رئيسة توجـد بين الجنسين، كذلك حال المنافقين ذكورا وإناثا يجتمعون فى خلال رئيسة متماثلة بينها تعالى بأنها الأمر بالمنكر، فهم يأمـرون بعدم الإيمان برسول الله ﷺ لتكذيبهم به، وهـم ينهون عن المعروف ، بنهيهم غيرهم عـن أداء شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعن الإقـراربصحة القرآن كتابا منـزلا من الله تعالى، وهم يقبضون أيـديهم، فلا ينفقون فى سبيـل الله ، و إن أنفقوا شيئا فهو للتقية وليس عن إيمان.

ثم إنه تعـالى يذكر علة إقـدامهم على ما يفعلون ومـا عنه يمتنعون بقوله تعـالى « نسوا الله فنسيهم» فهم قد انصرفـوا عن الله تعالى وشغلتهم دنياهم فتركوا طاعتـه، فكان منه تعالى أن ترك تفضله عليهم بالهداية فنسوا أن يدركوا مصلحتهم الحقة.

ثم يقرر تعالـى بقوله « إن المنافقين هم الفـاسقون» أنهم الذين اكتمل فيهـم التمرد على أحكامـه والخروج علـى طاعتـه ، فيكون القـول أنهم جميعـا فاسقـون ، مستحقون عـذاب الفاسقين.

تفســـير الآية رقم (٦٨):

قوله تعالى ــ فى الآية ـ فى بيان مصير المنافقين الذيـن أضمروا الكفر وأظهروا الإيمان، ومصير الكافرين الذين جهروا بالكفر ولـم يخفوه، فقال تعالى «وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالديـن فيها» جاء إثبات المصير الذى يلقونه معبرا عنه بـالوعد، وهو من قبيل الاستهزاء بهم لأنه وعيد لهم ، وبينه النص بأنه نار جهنم يكون حالهم فيها هو الخلود.

ثم يذكر تعالى فى شأن نار جهنم أنها حسب المنافقين والمنافقات والكفار عقابا وجزاء، ويقطع عليهم الأمل أن تشملهم رحمته تعالى بقولـه « ولعنهم الله » وهو تقرير لإبعادهم عن رحمته. ثم يذكر تعـالى أنه يكون لهم فوق عذاب جهنم آخر يكـون دائما غير منقطع « ولهم عذاب مقيم» أخفى عنهم نوعه، قيل بشأنه إنه يكون فى الدنيا، وقيل إنه عذاب آخر يكون فى الآخرة مع عذاب الخلود فى جهنم.

تفســـير الآية رقم (٦٩):

أولا: الأســـماء:

الخلاق: فى قـوله تعـالى « فاستمتعـوا بخلاقهـم فاستمتعتم بخـلاقكم » ، هـو النصيب

والحظ، والمراد به ـ في معنى الآية ـ النصيب في متع الحياة الدنيا وملاذها.

ثانيا : التفســـير

الخطاب ـ في الآية ـ موجه إلى المنافقين والكافرين الذين توعدهم تعالى بالخلود في نار جهنم مع العذاب المقيم ، وقد يبدو من الآية أن العذاب المقيم الذي يكون لهم فوق عذاب الخلود في جهنم هو عذاب الدنيا، وذلك على ما يبين من التشبيه بين حالهم وحال من سبقهم من الأمم التي أهلكها تعالى بعذاب الدنيا.

وقوله تعالى « كالذين من قبلكم » هو بيان لمماثلة حال المنافقين والمنافقات والكفار لحال من سبقهم من الأمم التي أهلكها الله مثل قوم نوح وقوم فرعون ، كذبوا رسلهم . ثم إنه تعالى يثبت في حال من سبقهم من الأمم أنهم كانوا يملكون من أسباب القوة والمنعة مالم يملكه المنافقون والكافرون المخاطبون بالنص « كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا» بمعنى أنهم كانوا يملكون من أسباب القوة جميعها ما لا يملكه المنافقون والكافرون، ثم خص تعالى بالذكر ـ من أسباب القوة ـ المال والأولاد لأنهما كانا الظاهرين دون غيرهم لدى المنافقين والكافرين. والمراد بذكر حيازة أسباب القوة هو بيان أنها لم تغن من عذاب الله شيئا وأنها لم تمنعه عن السابقين وكذلك فإنها لن تمنعه عن المشركين والكافرين .

ثم يذكر تعالى أن الأولين استمتعوا بما آتاهم الله من النعيم في دنياهم تمتع استدراج ليحل بهم العذاب ، ويذكر للمخاطبين بالقول أنهم يشابهون الأولين بالاستمتاع بملاذ الحياة الدنيا استمتاع استدراج إلى العذاب « فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم »

ثم يذكر تعالى سبب حلول العذاب بالأولين وتوعده المخاطين بالنص بمثله بقوله تعالى « وخضتم كالذي خاضوا» بمعنى أنهم خاضوا في أحاديث تكذيب الرسل وقيل إنهم خاضوا في متع الحياة الدنيا. فهو بيان لسبب حلول عذاب الدنيا بهم.

ثم يجيء قوله تعالى « أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون» بيانا لمآل حال أعمال السابقين واللاحقين من مكذبي رسلهم ومصائرهم أنفسهم ، فيشير تعالى إلى الأمم السابقة وإلى المخاطبين بالنص ـ معا ـ بـ « أولئك» ثم يقول إن أعمالهم حبطت في الدنيا والآخرة، وقد حبطت في الدنيا لأنها كانت بما أنعم الله عليهم لاستدراجهم للعذاب ، فكانت شرا عليهم بحكم المآل. وحبطت في الآخرة لأنهم لا يثابون

فى الأخـرة، بفعل خير عملـوه فى الـدنيا ثم يخبـر تعالى عنهـم بأنهـم هم الخاسـرون لأنهم خسـروا ما جمعـوا وما أنفقـوا فـى الدنيـا. وخسروا آخـرتهم، فـاستحقـوا أن يوصفـوا بأنهـم الخاسرون.

تفســـيرالآية رقم (٧٠):

اولا: الأســـماء:

المؤتفكات: جمع، مفـردة، «المؤتفكـة» وهى المنقلبـة، من الائتفـاك وهو الانقـلاب ، والمرادبها فى معنـى الآية قرى قوم لوط التى انقلبـت بأهلها فصار عاليها سـافلها، وقيل هى كل القـرى التى انقلب حـالها من خيـرإلى شـر. والأول هو الراجـح لأن التذكير تعلـق بقرى معينة بأسماء الرسل أوبأسمائها.

ثانيا : التفســـير:

الحديث ـــ فى الآية ـ فـى شأن المنافقين الـذين توعدهـم الله تعالى بمثل مـا حاق بمن ماثلـوهم من الأمـم السابقة فـى التكذيب برسلهـم، قال تعالـى « ألم يأتهـم نبأ الذيـن من قبلهم» جاء القول فـى صيغة استفهام يبين منه تقريـر واقع علمهم بما نال الذيـن من قبلهم من العذاب، ثـم خص تعالى من بيـن هؤلاء الذين كانـوا من قبلهم قوم نوح الـذين أهلكوا بالطوفان، وقوم عاد الذين أهلكوا بالريح، وقـوم إبراهيم الذين أهلك تعالى حاكمهم النمرود بالبعوض ـ على المشهور ـ وأصحاب مدين قوم شعيب، والمؤتفكات وهى قرى قوم لوط.

والمراد بذكر هؤلاء هو بيان أن فعالهم التـى استحقوا بها الهلاك مماثلة فعال المنافقين فجميعهم كذب الـرسل؛ ولهذا جاء قـوله تعالى فـى بيان سبب استحقاقهـم الهلاك « أتتهم رسلهم بالبينات، فما كـان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» فبين أنـه تعالى بعث إليهم الرسل بالآيـات الدالة على صدقهم، وأنهم لم يؤمنوا لهـم فظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الـذى استحقوه بفعالهـم ـ وفى القول إشـارة إلى استحقاق المنـافقين والكافـرين عذاب الدنيا لظلمهم أنفسهـم بعدم الإيمان برسول الله ﷺ الذى بعثه تعالـى وأيده بالآيات الدالة على صدقه فكذبوا به.

تفســـيرالآية رقم (٧١):

بعد أن ذكر تعالـى أحوال المنافقين والكافرين التـى استحقوا بها عذابه تعالى فـإنه ـ فى الآية ـ يذكر فى المقـابل أحوال المؤمنين وفعالهم التى استحقوا بها مـآلهم الذى وعدوا منه

تعالى فى الآخرة.

فقوله تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» هو قول فيه إخبار وفيه أمر، فهو إخبار عن موالاة المـؤمنين بعضهم بعضا بحكم رابطة الأخوة الإسلاميـة التى تجمعهم، وهو أمر بأن يكون اتخـاذ المؤمنين أولياء منهم وليس مـن غيرهم ، أو هو تكرار للأمـر بهذا. ثم إنه تعالى يبين فعـالهم بقوله تعالى « يـأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـر ويقيمون الصلاة ويؤتون الـزكاة » فهم بخلاف المنـافقين ، ينهى المنافقون عـن المعروف ويأمر بـه المؤمنون، ويأمر المنافقون بـالمنكر، وينهى عنه المؤمنون، ولا يؤدى الكافـرون الصلاة إلا وهم كسالى، ويقيمها المـؤمنون على وجهها، ويقبـض المنافقون أيديهـم عن الإنفاق، ويؤدى المـؤمنون الزكاة، ثـم يذكر تعالى أنهـم يطيعونه ورسوله ، وعلى عكـس حالهم وصف تعالـى المنافقين بالفسق والخروج عن الطاعة.

وبعد أن ذكر تعالى أحوال المؤمنين فإنه تعالـى بين مآلهم فأوضح أنه الدخول فى رحمته «أولئك سيـرحمهم الله»فكـان هذا نقيض مـا توعـد به المنـافقين من الخلـود فى نهـار جهنم والعذاب المقيم، ومن قبله نسيانهم.

ثم جاء قوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ إن الله عزيز حكيم ، تذكيرا بـأنه تعالى القادر على نفاذ ما جرت به مشيئتـه، وأنه بحكمته يقضى فى الأمور أمره، ومنه تعـذيب المنافقين وتنعيم المؤمنين .

تفســـير الآية رقم (٧٢):

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما وعد به المؤمنيـن والمؤمنات، فى مقابل ما توعد به المنافقين والكافرين من العذاب بالخلود فى جهنم مع العذاب المقيم ، فذكر تعالى أنه وعد المؤمنين والمؤمنات جنات تجـرى من تحتها الأنهار يخلدون فيها لا يخرجون منهـا ولا يموتون، كما وعدهم أن تكون مسـاكنهم فى هذه الجنات طيبة فـى ذاتها محببة إلى نفوسهم ــ قيل إنها تكون قصورا من اللؤلؤ والياقوت ـ تكون ثابتة فى مكان من الجنات يعرف بجنات عدن. أو إن الجنات جميعها جنات عدن. ومن القول يبين أنه تعـالى وعد المؤمنين شيئين هما: الجنات تجرى مـن تحتها الأنهار، والمسـاكن الطيبة فـى جنات عدن، فجـاز أن تكون مساكنهـم فى جنات عدن التى يـدخلها النبيون والصديقون والشهداء . ثـم إنه تعالى وعدهم ــ فضلا عن هذا ـ رضوانا منه أكبر مما ذكر. ثم أثبت بقوله تعالى أن ما وعد به تعالى المؤمنين هو الجدير

أن يعتبر فوزا عظيما دون غيره مما يعتبره الخلق كذلك، فجميع ما هو غيره بالقياس إليه منعدم القيمة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾

تفيســـير الآية رقم (٧٣):

الخطاب - فى الآيـة - إلى رسول الله ﷺ وهو أمر أو تكليف بمجاهـدة الكفار والمنافقين والإغلاظ عليهم والتشديد وعدم الترفق بهم. وظاهـر النص يوحى بأن مجاهدة الفريقين تكون على نحو واحـد، وهذا غير صحيح ، فجهـاد الكفار يكون بقتالهـم، وليس الحال كذلـك مع المنافقين الـذين يكون جهادهم بفضـح أمرهم والإغلاظ لهم بالقـول ثم إنه تعالى يـذكر فى نص الآية مصير الفريقيـن بقوله تعالى « ومأواهم جهنم وبئس المصيـر» فيكون المذكور هو عذاب الآخرة يكـون بدخولهم جهنم تكـون لهم القرار والمأوى، ثـم يذمها تعالى بـأنها بئس المصير، والمعنى أن بئس المصيـر هو مصير من يدخلها ، وهؤلاء يستقـرون فيها. وذكره جاء من بعد ذكر عذاب الدنيا الذى هو جهادهم وتشديد الجهاد عليهم.

تفســــير الآية رقم (٧٤):

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى المنافقين ، استئناف لذكر أحوالهم ورواية واقعات أحدثوها أو حدثت منهم، فيقول تعالى « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر» والمعنى العام للقول هو أن المنافقين يقولون كلاما فيما بينهم يدل على كفرهم أو هو من قبيل الكفر، فإذا بلغ المؤمنين خبره أنكروه وحلفوا على ذلك. ومعناه الخاص يرتبط بما قيل فى شأن أسباب نزول الآية ، قيل إن عبد الله بن أبى ابن سلول قال « والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» فأرسل إليه رسول الله ﷺ ، فجعل يحلف بالله ما قاله، فنزلت الآية. وقيلت روايات أخرى مشابهة والمعنى المستفاد منها واحد وهو أن المنافقين يقولون كلاما ينطوى على كفر برسول الله ﷺ، فإن سئلوا عنه أنكروه وحلفوا أنهم لم يقولوه.

ثم يقول تعالى « وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا» والمعنى أنهم بما قالوا قد أظهروا ما انطوت عليه قلوبهم من الكفر، وكان ذلك منهم بعد أن أظهروا الإسلام فاعتبروا من المسلمين. والقول فى معناه العام يثبت أنهم بنطقهم كلام الكفر تكون إرادتهم متجهة إلى تحصل منفعة معينة أو نيل غاية، وأنهم لاينالون مأربهم ، وفى المعنى الخاص هو ذكر لواقعة محاولة الفتك برسول الله ﷺ بعد رجوعه من غزوة تبوك حين اعترضه اثنا عشر ملثما للفتك به فصرخ بهم فولوا مدبرين لم يحققوا ما أرادوا.

ثم إنه تعالى يزيد فى وصف فعالهم قوله « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله» أى أنهم نقموا على دين الله تعالى وعلى رسوله ﷺ من بعد أن من الله عليهم بالرزق ورزقهم رسول الله ﷺ مما أفاء الله به على المؤمنين باعتبارهم ـ حسب الظاهر ـ منهم، فكانت منهم النقمة بدلا من الشكر الذى كان واجبا عليهم، فأظهر القول الأنعام عليهم كأنه سبب النقمة للتدليل على مدى جحودهم.

وقوله تعالى: «فإن يتوبوا يك خيرا لهم، وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة ، ومالهم فى الأرض من ولى ولا نصير» هو قول فيه وعد، وفيه وعيد مقرون بإنذار. جاء الوعد بفتح باب التوبة أمامهم أو إظهار وجوده، تكون توبتهم عن الكفر، وعن النفاق بالتالى، وعن المعاصى ، فتكون التوبة خيرا لهم فى الدنيا والآخرة لأنهم لايعذبون فى الدنيا وتغفر لهم ذنوبهم فلا يعذبون فى الآخرة . والوعيد هو بتعريفهم بمصيرهم إذا هم أعرضوا عن التوبة واستمروا على ما هم عليه من الكفر والنفاق، أخبر تعالى أنه يكون لهم العذاب الأليم

فى الدنيا بإظهار نفاقهم، وبقتلهم إذا هم أظهـروا الكفر، وبضرب الملائكة إياهم عند قبض أرواحهم، ويكون لهم فى الآخـرة عذاب أليم لم يحدده النص اكتفاء بوصفـه بالأليم . ثم إنه تعالـى أخبر أنه لن يكـون لهم فى الدنيـا ولى ينقذهم مـن العذاب أو يدفعه عنهـم ولا نصير ينصرهـم أو ينجيهم . وخـص الدنيا دون الآخـرة بهذا إنمـا كان لأنه معـروف سلفا أنـه ليس للمنافقين ولا الكافرين من ولى ولا نصير فى الآخرة.

تفســـير الآيتين رقم (٧٥، ٧٦):

قوله تعـالى ـ فى الآية وفيمـا بعدها ـ فى ذكـر بعض أفعال المنافقين، إذا كـان بهم فقر دعوا الله أن يرزقهم من فضله وعاهدوه أن يتصدقوا ممـا ينعم به عليهم فإذا أنعم عليهم تعالى من فضله بخلوا ولم يعطوا، وزادوا على ذلك الإعراض عنه تعالى.

وقيل إن الآيـة نزلت فى ثعلبـة بن حاطـب كان يسمى «حمـامة المسجد» لحرصـه على ملازمة المسجد والعبادة، وكان فقيرا معدمـا، سأل رسول الله ﷺ أن يدعو الله أن يرزقه المال متعهدا أن يأتى الناس حقوقها ومنهم مستحقو الصـدقات وأن يكون من الصالحين فلما رزقه الله جعل يصلى النهـار ولا يصلى الليل، ثم إنـه لما زاده الله غنى جعل لا يصلـى إلا الجمعة والجنازة. فلما زاده الله غنى لم يصل جمعا ولا جنـازة . ثم إن رسول الله ﷺ بعث لأخذ الزكاة منه فقـال « هذه جـزية » ، فلمـا اشتهر أمره جـاء إلى رسـول الله ليؤدى الـزكاة فـرفض ﷺ أن يأخذها منه لأنها لا تؤخذ من منافق، وكذلـك رفض أخذهـا ـ من بعد رسول الله ـ كل من أبى بكر وعمر.

وأخذا بهذه الـرواية فإن الذى كان من ثعلبـة بعد أن رزقه الله من فضله هـو البخل والشح والامتناع مـن أداء حق الله فيه، كما كـان منه التولـى عن الله بعدم أداء الطاعـات والعبادات والإعراض عما أمر به المؤمنون. والنص ـ بإطلاقه ـ يتضمن حكما فى شأن المنافقين عموما، يثبت أن فعلهم المذكور فى النص مرتبط بصفة النفاق، فكأنهما وليدا طبيعة معينة فى النفس تؤدى إليهما بالضرورة.

تفســـير الآية رقم (٧٧):

بعد أن ذكر تعالـى من فعال المنافقين معاهـدتهم الله تعالى على الطاعـة إذا أنعم عليهم بما سألوا وخلفهم عهودهـم، فإنه تعالى يذكر فى نص الآية أنه يعقـب المنافق من بعد نكثه عهده مع الله وإعراضه عن الطاعة نفاقـا يورثه قلبه، والمعروف أن النفاق إذا كان فى القلب

فهو الكفر، فيكون فى قلب المنافق كفر يتردد صداه فيما يكون من مظاهر النفاق مثل الكذب فى الحديث، ومثل خيانة الأمانة ، يكون ذلك فى قلبه قبل أن يباشر عمله، يظل على هذا إلى يوم موته، فيكون يوم موته هو المعنى بقوله تعالى « إلى يوم يلقونه » وذلك ليموت كافرا.

ويجيء قوله تعالى « بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » مبينا الارتباط بين خلف الوعد والكذب وبين النفاق، فالعلاقة متبادلة، يكون من صفات المنافق أن يخلف الله وعده وأن يكذب على الناس ، ويكون من يخلف الله وعده، ويكذب على الناس فى أمور الدين منافقا. والمنافق مستحق أن يبقيه الله وحجة كفره فى عنقه إلى يوم يلقاه ليعلم أن نفاقه أرداه سوء المصير.

تفســـير الآية رقم (٧٨):

قوله تعالى - فى الآية - إنكار على المنافقين فعالهم وظنونهم وتوبيخ لهم على هذا وتهديد لهم مقرون بوعيد.

فقوله تعالى « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم »جاء فى صيغة استفهام إنكارى ينبىء علم المنافقين ضرورة بواقع أنه تعالى يعلم ما يكتمون فى صدورهم من الكفر وخلف الوعد يضمر فى النفس ، كما يعلم ما يتناجون به بين بعضهم والبعض، وينكر عليهم أنهم - مع علمهم هذا - يسرون الكفر، ويتناجون بالإثم . كذلك فإنه تعالى ينكر عليهم تجاهلهم ما يعرفونه من أنه تعالى علام الغيوب. والمعنى أنه تعالى مؤاخذهم بما علم فيكون القول تهديدا لهم بعذابه تعالى إن لم يقلعوا عن نفاقهم ووعيد بالعذاب.

تفســـير الآية رقم (٧٩):

أولا: الأســـماء :

المطوعون: فى قوله تعالى «الذين يلمزون المطوعين» . هم المتطوعون ، جمع مفرده مطوع ، وأصله متطوعا، وهو من فعل شيئا من خير غير مفروض عليه، أو أدى غير ما هو مطالب بأدائه ، والمراد بهم فى معنى الآية المتصدقون من أنفسهم فى أوجه الخير وفى سبيل الله.

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى - فى الآية - فى صنف آخر من المنافقين يذمه تعالى ويذكر فعال أهله ، فهم

يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات، بمعنى أنهم يسخرون ـ فى أمر الصدقات ـ من المؤمنين ويستهزئون بهم، ومن ذلك أن أحدهم شاهد مؤمنا قبيح المنظر يقدم صدقته ناقة جميلة الهيئة فقال «ناقته خير منه » فقال له رسول الله ﷺ « كذبت، هو خير منك ومنها » وأن أحدهم شاهد مؤمنا يقدم صدقته مالاوفيرا، فعاب عليه هذا وقال « كان عليه أن يخفيها» وأن أحدهم شاهد مؤمنا فقيرا يقول لرسول الله ﷺإنه عمل أجيرا عند قوم فأعطوه أجره صاعين من تمر حملهما فى رقبته وترك أحدهما لعياله وقدم الآخر صدقة، فقال المنافق «جاء أهل الإبل بالإبل » مشبها إياه بالجمل لحمله التمر. ويبين تعالى ماهية هذا اللمزبقوله تعالى «فيسخرون منهم» فبين أن المنافقين يسخرون ـ فى شأن الصدقات ـ من المؤمنين.
ثم إنه تعالى يدعو على المنافقين الساخرين من المؤمنين مخبرا عن حالهم بالدعاء وبما أعقبه فى قوله تعالى «سخر الله منهم ولهم عذاب أليم» فيكون القول بيانا لأنه تعالى مجازى الساخرين بفعلهم استهزاء بهم يكون بجعلهم أضحوكة للناس فى الدنيا وبتعذيبهم فى الأخرة عذابا أليما.

تفسير الآية رقم (٨٠):

الخطاب فى الآية موجه إلى رسول الله ﷺ يخيره ربه بين الاستغفار للمنافقين الذين سخروا فى أمر الصدقات من المؤمنين واستهزءوا بهم وبين عدم الاستغفار لهم . «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم»، ثم إنه تعالى بين لرسوله ﷺ أن الاستغفار للمنافقين المستهزئين وعدم الاستغفار لهم سواء فى عدم غفران ذنوبهم « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» جاء ذكر السبعين لبيان كثرة عدد مرات الاستغفار، وجاء بيان النتيجة بقوله تعالى «فلن يغفر الله لهم » فأصبح المعنى هو أن كثرة الاستغفار للمنافقين لن تؤدى إلى مغفرة ذنوبهم فأصبح الاستغفار وعدمه سواء من حيث النتيجة.

وقيل إن سبب نزول الآية أنه لما نزل قوله تعالى « سخر الله منهم» سأل اللامزون رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم الله فهمَّ أن يفعل ، فنزلت الآية فلم يفعل.

وبعد ذلك يذكر تعالى علة عدم غفران ذنب المنافقين بقوله تعالى «ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله، والله لا يهدى القوم الفاسقين» فبين تعالى أن سبب عدم مغفرة الذنوب هو الكفر بمعنى أنه ليس السبب هو عدم قبول استغفار رسول الله ﷺ و إنما هو الكفر الذى قدر تعالى أن يكون جزاؤه الخلود فى العذاب ، وهو صفة لحقت بهم باختيارهم ، فلا يعفون من العذاب إلا بالتوبة، ثم إنه تعالى يثبت فى حقهم تمردهم عليه تعالى وتجاوزهم حدوده ، فكانت

إرادته تعالى ألا يهديهم إلى الحق بإذنه ، وأن يموتوا كافرين.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾

تفسير الآية رقم (٨١) :

قوله تعالى ــ فى الآية ــ فى المنافقين الذين استأذنوا رسول الله ﷺ فى عدم الخروج للجهاد فأذن لهم. يقول تعالى فى شأنهم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بمعنى أن الذين خلفهم رسول الله ﷺ حين خرج والمؤمنون للجهاد فى سبيل الله، فرحوا بالمكان الذى بقوا فيه وهو المدينة المنورة كان خلف رسول الله ﷺ الذى كان فى مقدمة قوات المؤمنين حيث التعرض لخطر الحرب وأهوالها، على حين كان مقعدهم فى الخلف بعيدا عن مواضع الخطر.

ثم يذكر تعالى بواعثهم على التخلف عن الجهاد بقوله تعالى «وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله» بمعنى أنه ساءهم أن يكون منهم إنفاق على التجهز للحرب، وذلك لحبهم المال ولعدم إيمانهم أن إنفاقه فى سبيل الله فيه خير يزيد على

الإنفاق ، وساءهم أن يجاهدوا بأنفسهم فى سبيل الله، لأنهم يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، أو لأنهم لا يعتقدون فى أجر الشهادة فى سبيل الله .

وبعد ذلك يذكر تعالى أقوالهم النابعة عن كراهتهم المؤمنين بقوله «وقالوا لا تنفروا فى الحر» والمعنى أنهم قالوا لإخوانهم المنافقين الذين لم يتخلفوا عن الخروج مع المؤمنين للحرب، وللمؤمنين المحاربين قصد حثهم على القعود عن الجهاد «لا تنفروا فى الحر» بمعنى أنهم خوفوهم آثار الخروج للحرب فى جو حار كان سائدا وقت الخروج وشدة المعاناة منه والمكابدة .

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ ـ فى ختام الآية ـ أن يقول لهم «نار جهنم أشد حرا» وهو وعيد لهم بملاقاة حر جهنم الذى لا يقاس به حر الشمس فى الحياة الدنيا مهما اشتد، فهم إن هربوا من حر الدنيا يعانونه فى الجهاد فهم ملاقون ما هو أشد منه حتما بما فعلوا .

وقوله تعالى ـ من بعد ـ «لو كانوا يفقهون» هو دليل على أن المنافقين يجهلون الحقيقة، وأنهم لو كانوا يعلمونها لما خشوا على أنفسهم الخروج للقتال فى الحر وما خوفوا غيرهم منه.

تفسير الآية رقم (٨٢) :

جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى صيغة أمر صادر إلى المنافقين بالضحك قليلا والبكاء كثيرا «فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا» وأريد بإيراد العبارة فى صيغة الأمر التدليل على حتمية وقوع المذكور فى العبارة من الضحك قليلا والبكاء كثيرا. جاء التعبير عن السعادة بالضحك، والتعبير عن الغم بالبكاء ووصف الضحك بالقلة نتيجة لكونه فى الحياة الدنيا أو فى حياة المنافق وهى قصيرة فلزم أن يكون الضحك قليلا، ووصف البكاء بالكثرة لأن الغم يكون فى الآخرة وهى إلى الأبد، فلزم أن يكون كثيرا .

وقوله تعالى «جزاء بما كانوا يكسبون» هو بيان لسبب الغم الدائم فى الآخرة وهو مداومتهم على كسب المعاصى، كما يبين من استعمال الفعل الماضى «كانوا» مع الفعل المضارع «يكسبون» لبيان تجدد كسب المعاصى التى هى سبب طول غمهم .

تفسـير الآية رقم (٨٣) :

الخطاب ـ فـي الآية ـ موجـه إلى رسول الله ﷺ، وهو فى شـأن طائفة من المنـافقين، جاء قولـه تعالـى فى صيغة جملـة شرطية فعـل الشرط فيهـا هو رجوعـه ﷺ من سفـره، واستئذان المنافقيـن إياه للخروج معـه فى جهاد جـديد «فإن رجعـك الله إلى طائفـة منهم فاستـأذنوك للخروج» جاء ذكر «طائفة» مع «من» وهى للتبعيض لأنه لم يكن باقيا من المنافقين القاعدين جميعهم، إذ كان منهم من تـوفى، ومنهم من ترك المدينة، وجاء تعييـن الذين يعود إليهم ﷺ بأنهم منافقـون، لأن ممن قعدوا عن الخروج من لـم يكونوا منافقين. وفعل الشـرط الثانى هو استئذان هذه الفئة مـن المنافقين رسول الله ﷺ فى الخروج معه إلى غـزوة أخرى أو إلى جهاد فى سبيـل الله. ومعلوم أنه سبـق القول إن المؤمنيـن يخرجـون للجهاد دون استئذان فيـه تلبية للدعوة إليه.

وجواب الشرط فى جملة عبـارة الآية هو ما أمر الله تعالى به رسوله «فقـل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلـوا معى عدوا» وهو أن يعلنهم أنهم لـن يؤذن لهم فى الخروج معه مـا عاش وما عاشوا، وأنهم لن يقاتلوا تحت قيادته عدوا. ثـم إنه ﷺ يبين لهم علة هذا بقوله «إنكم رضيتم بالقعود أول مرة» بمعنى أنهم ارتضوا أن يقعدوا عندما دعاهم للجهاد فى غزوة تبوك وسروا به، ولما كـانت من الغـزوات الكبرى فإنهم بتخلفهـم عنها استحقوا أن يحـرموا من الإسهـام فى غيرها بالجهاد.

ثم يكون أمره ﷺ لهم «فاقعدوا مع الخالفين» وهو أمر بالقعود مع تحقير شأنهم لأن الذين يتخلفون عـن الجهاد هـم ضعاف الـرجال والصبيـان، والنساء. فيكـون فى تشبيههـم بهؤلاء تحقير لهم .

تفسـير الآية رقم (٨٤) :

أولا: الأسـمـاء :

القبـر: هو مكان دفن الميت .

ثانيا: التفسـير :

الخطاب ــ فى الآية ــ إلى رسول الله ﷺ، تضمـن نهيا قاطعـا دائما «ولا تصل علـى أحد منهم مـات أبدا ولا تقم علـى قبره» فهو نهـى عن أن يصلى ﷺ صـلاة الجنازة على أحـد من المنافقين وعن الوقوف على قبره أو القيام بدفنه. وقـد قيل فى سبب نزول الآية أنه عندما توفى

عبد الله بـن أبى ابـن سلول سـأل ابنه رسول الله ﷺ قميصـه يكفن فيـه أباه وأن يصلـى عليه، فأعطاه رسول الله قميصه وصلى عليه، وأن هذا ساء عمر رضى الله عنه، ثم نزلت الآية .

ثم إنه تعالى يذكر علة أمره وهو النهى عن الصلاة على ميتهم وعن الوقوف على قبره بقوله تعالى «إنهم كفـروا بالله ورسوله وماتوا وهم فـاسقون» ، فبين تعالى أن علة النهـى هى كفرهم بالله ورسوله واستمرارهم على التمرد والعصيان وتجاوز الحدود إلى أن ماتوا. فلا يكون مقبولا أن يصلى عليهم صلى الله عليه وسلم وقد كفروه وعصوه فيما أمر .

تفســير الآية رقم (٨٥) :

الخطاب ـ فى الآية ــ موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جـاء ناهيا عن أن يعجب بأمـوال المنافقين وبأولادهـم مجتمعين ـ كمـا يبين من عطف الأولاد علـى الأموال دون « لا» كما جاء فـى الآية ٥٥ من السورة، فيكون القـول مكملا ما سبق ليكون النهـى عن الإعجاب بكل من المال والأولاد منفردا، وعنهمـا مجتمعين. ثم إنه تعالى بين أنه شـاءت إرادته تعالى أن يكون عذاب المنافقين فى الدنيا هو بأمـوالهم وبأولادهم، على حين كانت لام التعليل فى قوله تعـالى فى الآية ٥٥ من السـورة مظهرة سبب عدم الإعجاب بكـل من الأموال والأولاد. كذلك أظهر تعالى أن إرادته تعالى شاءت للمنـافقين أن يموتوا وهم على الكفر الذى اختاروه لأنفسهم ليكون لهم جزاء ما اختاروا .

تفســير الآية رقم (٨٦) :

أولا : الأســــــماء :

١ ـ **ســـــورة** : قيل إن المراد بها سورة «براءة» على وجـه الخصوص. وقيل هى كل سورة ذكر فيها الجهاد والإيمان .

٢ ـ **أولوا الطـول** : هم أصحاب القدرة المالية علـى الإنفاق، والمراد بهم أصحاب القدرة المالية من المنافقين. ومن نص الآية يبين أنه يشترط فيهم القدرة البدنية أيضا .

ثانيا : التفســـــير :

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ استئناف لحديثه فى المنافقين، يذكر تعـالى أنهم لشدة حرصهم على الحياة الدنيا بحكم كفر قلوبهم، يسيئهـم أن تنزل من القرآن سورة أو أن ينزل بعض سورة متضمنا الأمر بالإيمان بالله وبالجهاد مع رسولـه صلى الله عليه وسلم، وهو ما يسعد المؤمنين. وأنه ترتيبا على كـراهتهم الجهاد فإنه يكون منهم عند نزول قـرآن به أن يستأذن القادرون منهم

على الإنفاق رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى القعـود. ومن بيان أن موضـوع الاستئذان هو القعود يبين أن «الطـول» فى معنى الآية يشمل القدرة البـدنية على القتال مع القـدرة المالية لأن الاستئذان فى القعود يستهجن من هؤلاء.

ويذكر تعالـى أنهم فى استئذانهم يقولـون لرسول الله صلى الله عليه وسلم «ذرنـا نكن مع القاعدين» بمعنى «اتركنا نقعد مع القاعـدين من النساء والصبيان وضعاف الرجال». فالقول دليل على كراهتهم الجهاد مع القدرة عليه.

تفســـير الآية رقم (٨٧) :

يذكر تعالـى ـ فى الآية ما يدل على طبيعة المنـافقين الذين يرضون الدنيـة مادامت تكفل لهم الحيـاة التى يحرصون عليهـا، فقوله تعالـى «رضوا بأن يكونـوا مع الخوالف» هـو إثبات عليهم قبولهم أن يعتبروا ممـاثلين النساء والصبيان وضعاف الشيوخ ـ وهم الخـوالف ـ مادام فى الأمر قعود لهم عن الخروج للجهاد ثم يثبت تعالـى أنه تعالى طبع على قلوبهم بما جعلها لاتدرك مصالحها بسبب حرصهم على الدنيا، فكـان منهم طلب ما يضرهم فى الحياة الدنيا والآخرة، كما جاء بقوله تعالى «وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون» .

تفســـير الآية رقم (٨٨) :

بعد أن ذكر تعالى مـدى حرص المنافقين على الحياة الدنيا والقعود عـن الجهاد جاء قوله تعـالى «لكـن الرسـول والذيـن آمنوا معـه جـاهدوا بـأموالهـم وأنفسهم» جـاء القول واصفـا المجاهـدين مـع رسول الله صلـى الله عليه وسلم بـالإيمان ليكـون فى هـذا إشارة إلـى كون المنافقين القاعدين غير مؤمنين.

فكأن القـول يثبت انعدام قيمـة القاعديـن فى التـأثير على نتـائج الجهاد لأن من قـام به أفضل منهم وفيهم الكفاية لتحقيق النصر، كان منهم الجهاد بالأموال وبالأنفس.

ثـم إنه تعـالى يثبـت أن المـوصوفيـن بالإيمـان صحبـة رسول الله صلـى الله عليه وسلـم المجاهدين بأموالهم وأنفسهم لهم الخيـرات، جاءت معرفة وجاءت بصيغة الجمع فشملت خيرات الدنيا والآخرة، وجاء عدم تحديدها للإطماع فيها.

ثم ذكر تعالى أنهم هم المفلحون، بمعنى أنهم المعتبرون فائزين دون غيرهم، أو الذين لا يقاس بفوزهم فوز آخرين.

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾

تفسـير الآية رقم (٨٩) :

بعد أن ذكر تعالى أن المؤمنين المجاهدين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هم المفلحون، جاء قوله تعالى ـ في الآية ـ مبينا الفلاح وكيفية حدوثه.

فبين تعالى أنه أعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، فكأنها أعدت لتكون في انتظارهم لينعموا فيها خالدين.

ثم يثبت تعالى أن ما أعده لهم هو الفوز العظيم الذى لا يعتبر أى فوز إلى جواره فوزا .

تفســير الآية رقم (٩٠) :

أولا : الأســـــماء :

المعذرون : جمع، مفرده «المعذر» هو المعتذر بعذر كاذب أو وهمى لا حقيقة له دفعه إلى عمل ما لم يكن واجبا عمله، أو منعه ـ بقوله ـ عن عمل كان واجبا عمله .

ثانيا : التفســـــير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى فئتين أخريين من المتقاعدين عن الجهاد جاء التعبير عن أولاهما بقوله تعالى «وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم» بمعنى أنه جاء من الأعراب وهم البدو أناس يبدون أعذارا غير حقيقية ليؤذن لهم فى القعود عن الجهاد. وهذه الفئة ليست من المنافقين، إذ لم يرد بشأنها ما يفيد أنهم كذلك .

ثم يقول تعالى «وقعد الذين كذبوا الله ورسوله»، وهؤلاء من الأعراب أيضا، غير أنهم منافقون، كما يبين من قوله تعالى فيهم «كذبوا الله ورسوله»، وهؤلاء قعدوا عن الجهاد دون استئذان فى هذا. ذكرهم النص بين القاعدين.

ثم يجىء حكمه تعالى فى القاعدين بقوله «سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم» فيكون المعنى ـــ إذا ما اعتبر الضمير المتصل فى «منهم» عائدا إلى الأعراب ـــ أنه سيصيب الكافرين أو المنافقين من الأعراب عذاب أليم.

و إذا كان الضمير عائدا إلى المعتذرين فإن المعنى يكون هو إصابة الكافرين من المعتذرين ـ دون غيرهم ـ عذاب أليم، بمعنى أن العذاب الأليم لا ينال المعتذرين لأسباب أخرى خلاف الكفر.

تفســير الآية رقم (٩١) :

بعد أن ذكر تعالى المعذرين الذين يختلقون الأعذار الكاذبة للتنصل عن الخروج للجهاد، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يتحدث عن أصحاب الأعذار الحقيقية الذين لا يأثمون بالتخلف عن الجهاد.

فقوله تعالى «ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله» مفاده أنه لا يأثم بعدم الخروج للجهاد أصحاب الأعذار المانعة

منه وهى الضعـف أو الوهن وعـدم القدرة على الجهاد لكبـر سن أو لسبب خَلقـى، والمرض الذى لا تكون معه القـدرة على تحمل مشاق الجهاد أو الذى يتأذى به المجـاهد أو يكون من الجهاد وعدم برئه من المرض أو زيادته، والفقر الـذى لا يجد المرء معه ما يتجهز به للخـروج للجهـــاد .

وقوله تعـالى «إذا نصحوا لله ورسوله» هـو بيان لحال المؤمنين أصحـاب الأعذار وإن جاء التعبير عنه فى صيغة أداة شرط وفعله، باعتبار أن جواب الشرط هو رفع الإثم.

وحـالهم أنهـم يقدمـون ما يقـدرون عليه وهـو تقديـم النصح فـى أمور الإيمـان والطاعـة للمؤمنين مبتغين به وجه الله ورسوله.

والمراد بذكر النصح هو بيان أدنى ما فى القدرة، فـإن كانوا أقدر على غيره مثل مراعاة أهل المجاهدين ونقل الرسائل فعلوه.

وقوله تعالى «ما على المحسنين من سبيـل» هو إثبات لأن فعل ذوى الأعذار المذكور وهو النصح لله ورسوله هو من قبيل الإحسان الذى يمنع اعتبار القعود إنما يستوجب العقاب.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله غفور رحيم» هو تذييل لما جاء فى شأن العاجزين عن الجهاد أثبـت لهم أنهـم من بعد رفـع إثم القعـود عن الجهـاد عنهم، يكون منـه تعالـى لهم بإحسانهم غفران ما فرطوا فى أنفسهم، من باب رحمته تعالى بهم .

تفســير الآية رقم (٩٢) :

أولا : الأســـــــماء :

الدمع : هو الماء الذى تفرزه الغدد الدمعية فى العين والذى تمتلىء به المآقى ثم تنسكب عند البكاء .

ثانيا : التفســـــير :

بعد أن ذكـر تعالى أنه رفـع الإثم عن القـاعدين ذوى الأعـذار الذين ينصحون لله ورسـوله

ووصفهم بالمحسنين فإنه ـ فى الآية ـ عطف عليهم فئة أخرى أصبح لها ذات حكم السابقة وهو رفع الإثم عن قعودها عن الجهاد .

فقوله تعالى «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه» هو بيان لرفع الإثم عن نفر من المؤمنين جاءوا وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهيىء لهم ركائب يخرجون عليها للقتال معه، وذلك لأنهم لشدة فقرهم لم يقدروا على شراء ركائب أو على أن تكون لهم، وكان منه صلى الله عليه وسلم أن قال لهم إنه ليس لديه من الركائب ما يحملهم، فكان مفاد هذا عدم خروجهم للجهاد على رغبتهم فيه.

وقيل إن هؤلاء كانوا سبعة رجال من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف.

ثم يذكر تعالى أنهم لما علموا أن لا سبيل لهم إلى الخروج للجهاد غادروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امتلأت عيونهم بالدمع، أو أن الدمع انصب من عيونهم بعد امتلائها به، كان ذلك لشدة حزنهم لئلا يجدوا ما ينفقونه على شراء ما يحتاجونه للخروج للجهاد.

والمعنى هو أنه كان أمامهم فسحة من الوقت يمكنهم إذا وجدوا خلالها المال أن يشتروا ما هم بحاجة إليه للخروج للجهاد فكان حزنهم خوفا من عدم وجود المال الذى يكفل لهم هذا.

وقد جاء النص نافيا عنهم إثم عدم الخروج للجهاد .

تفســير الآية رقم (٩٣) :

قوله تعالى يثبت وجود السبيل إلى المؤاخذة والعقاب على المتقاعسين الذين وصفهم تعالى بأنهم يستأذنون فى التخلف وهم قادرن على إعداد العدة للخروج بسبب غناهم وقدرتهم الجسدية «إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء» .

ثم يثبت تعالى ـ فى حقهم ـ أنهم رضوا وقبلوا أن يعدوا بين المتخلفين من الشيوخ والصبيان والنساء، وأنه طبع على قلوبهم بالجهالة فلم يعرفوا أين تكون مصلحتهم، فكانوا بسبب ذلك جاهلين، لا يعرفون الطريق الذى يحقق لهم خير الدنيا والآخرة .

تفســير الآية رقم (٩٤) :

قولـه تعالى ــ فى الآية ــ إخبار عما يكـون من المتقاعسيـن مع رسول الله صلـى الله عليه وسلـم والمؤمنيـن بعد عـودتهم مـن الجهاد، ذكـر تعالـى أن الرجـوع يكون إليهـم ـ أى إلـى المعتذرين ـ مـع أنه يكون رجوعا إلى المدينـة، وذلك لارتباط الرجوع بالاعتـذار وهو ما يكون عند التقاء المؤمنين بالقاعدين أو عند رجوعهم إليهم.

فقـوله تعـالى «يعتـذرون إليكم إذا رجعتـم إليهـم» هو إخبـار عن مستقبـل أو عن حـدث مستقبل يكـون عند عودة رسـول الله صلى الله عليه وسلـم والمؤمنين إلـى المدينة والتقـائهم القاعدين. والحدث هو اعتذار القاعدين عن قعودهم .

ويأمر تعالـى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقـول للقاعدين «لا تعتذروا لن نـؤمن لكم قد نبأنا الله مـن أخباركم» بمعنى أنـه صلى الله عليه وسلم لا يسمـح لهم بالاستطراد فـى تقديم عذرهم وأن يمنعهم من هذا بالنهى الصريح عنه بـالقول، ثم يتبع هذا بذكر ما يحيط مسعاهم ويذهب برغبتهم فى إبداء عذرهم، وهو إعلامهـم بأن الله تعالى أخبره بأمرهم وكذب عذرهم، وأنه صلى الله عليه وسلم أخبر المؤمنين بهذا.

ثم يكون منـه صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم بـافتضاح أمرهم بقولـه «وسيرى الله عملكم ورسولـه» والمعنى أنه تعالـى سينظر فى أمرهـم بحكم علمه المحيـط بكل شىء ما ظهـر وما بطن، وأنه صلى الله عليه وسلم سينظر فى أمرهم بما هو منظور ومسموع.

فيكون نظره تعالى أعمالهم غير نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها .

ثـم يجىء قـول رسول الله صلـى الله عليه وسلـم بأمـر ربـه «ثم تـردون إلى عـالم الغيـب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» تهديدا للقاعدين ووعيدا بأنه تعالى الذى ينظر فى أمرهم يوم الدين ، يوم تردون إليه بحكم علمه بالغيب المستور وعلمه بالمشاهد .

فيكون منه مؤاخذتهـم بعلمه، فيكون منه عقابهم على أعمالهـم لا يستطيعون إخفاءها ولا إخفاء بواعثهم عليها .

تفســير الآية رقم (٩٥) :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ استئناف لذكر ما يكون من القاعدين المنافقين عند عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إلى المدينة والتقائهم.

يذكر تعالى أنهم لن ينتهوا عن إبداء الأعذار بعد أمرهم بهذا، بل سيحلفون على صحة ما يزعمون «سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم».

ثم يـذكر تعـالى علـة حلفهم بالله علـى صدق أعـذارهم بقولـه تعالـى «لتعرضـوا عنهم» والمعنى هو الانتهاء عن لومهم انتهاء صفح ومغفرة، فهذا هو ما يريده المنافقون القاعدون.

ثم يجىء قوله تعالى «فأعرضوا عنهم إنهم رجس» أمرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بـالإعراض عنهم وعدم الاسترسال فـى لومهم، إلا أنه تعالى يبيـن أن هذا الإعراض ليس إعراض صفـح وإنما هو اعتراض اجتنـاب على ما يبين من وصفـه تعالى إياهـم بأنهم رجس.

ثم يجىء قـوله تعالى ـ فـى ختام الآية ـ «ومأواهم جهنـم جزاء بما كانوا يكسبـون» بمثابة تفسير لمعنى كونهم رجسا، أو تعليلا للأمر بالإعراض عنهم إعراض تجنب، وهو أنهم من أهل النار، تكون لهم هى المأوى فى الآخرة جزاء بما كسبوا من السيئات فى دنياهم واستمروا عليه إلى موتهم .

تفســير الآية رقم (٩٦) :

يذكر تعـالى ـ فى الآيـة ـ سبب حلف المنـافقين القاعديـن بالله على صدق مـا أبدوا من الأعذار بقولـه تعالى «يحلفون لكـم لترضوا عنهم» بمعنـى أنهم يبتغون الحصول علـى رضاء المؤمنين عليهم ومعاملتهم على ذات النحو الذى كانوا يعاملونهم به من قبل .

ثم يقول تعالى «فـإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفـاسقين»، والقول يثبت أنه تعالى قدر ألا يرضى عن المعتذرين وألا يغفر لهم ذنبهم.

ويثبت فى حقهم أنهم فاسقون تعدوا الحدود، فيكون قـوله تعالى «فإن ترضوا عنهم» ذكرا

لأمر مستحيل التحقق لأن المؤمنين لن يرضوا عمن ذكر تعالى أنه لا يرضى عنه، فيكون القول نهيا للمؤمنين عن الرضاء عن القاعدين المنافقين وقبول حلفهم باليمين الفاجرة .

ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

تفســير الآية رقم (٩٧) :

أولا : الأســـــماء :

١ ـ الأعراب : جمع، مفرده الأعرابى، وهم سكان البادية .

٢ ـ ما أنزل الله على رسوله : قيل إن المراد بـه هو الفرائض، وقيل يدخل فيها السنن، وقيل هى الأوامـر والنواهـى. والذى نـراه أنها الأحكـام الشرعيـة ومنها الأحكـام المتعلقة بفـريضة

الجهاد.

ثانيا التفسير:

عبارة الآية إخبارا عن حال فئة من الناس هم الأعراب سكان البادية، فعبارة جملة الآية تقريرية تثبت أنهم أشد كفرا ونفاقا من سكان الحضر، وقد يكون سبب ذلك اختلاف البيئة الصحراوية عن بيئة الحضر إذ تكون فيهم قسوة وخشونة طبع مع بعدهم عن مخالطة ذوى العلم وعدم استماعهم إلى كتاب الله وحضور جلسات العلم وهو ما يجعلهم أقرب إلى الكفر والنفاق من الإيمان والاستقامة لله؛ ولذلك أوضح تعالى أنهم الأجدر ألا يعلموا أحكام الدين وأن يعرفوا الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام على النحو الكافى فيكون منهم تجاوز حدوده تعالى التى أنزل على رسوله.

وفى ختام الآية يجىء قوله تعالى «والله عليم حكيم» تذكيرا بأنه تعالى يعلم كل شىء ومنه طبيعة أحوال أهل البادية وأهل الحضر، وأنه يسائل كلا منهم بموجب حكمته وبناء على علمه الذى وسع كل شىء .

تفسير الآية رقم (٩٨) :

أولا: الأسماء :

المغرم : فى قوله تعالى «يتخذ ما ينفق مغرما» هو الخسران، وهو الغرامة، من الغرام وهو الهلاك .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى فئة من الأعراب، ذكر تعالى أثرا من آثار عدم إلمامهم بحدود ما أنزل تعالى على رسوله ﷺ على نحو كاف، وهو اعتبارهم ما يؤخذ منهم فى الصدقات أو فى سبيل الله تعالى من قبيل خسارة المال «ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما» .

ثم يثبت تعالى فى حقهم أنهم تنطوى نفوسهم على أمنيات محطها أن تصيب المؤمنين نوائب الدهر ومصائبه فلا تكون لهم دولة، وأنهم يتمنون ما يتمنون للتخلص مما ألزموا أداءه

من الصدقات أو الزكاة «ويتربصون بكم الدوائر».

ثم إنه تعالى يعيب عليهم أمنيات السوء ويدعـو عليهم أن تدور الدوائر عليهم بقوله تعالى «عليهم دائرة السوء». والسوء فـى القول هو العذاب، فيكون الدعاء عليهم بـه مفيدا معنى أنه تعالى معذبهم بأمنياتهم .

ثم يجىء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله سميع عليم» مفيدا علمه تعالى بما يتردد فى قلوبهم من أمنيـات السوء، وسماعه ما تنطق به أفـواههم بشأنه، ومفيدا علمه بغـاياتهم التى تدفعهم إلى قول ما يقولون، وأنه تعالى معذبهم بهذا جميعه .

تفســير الآية رقم (٩٩) :

أولا : الأســــماء :

القربات : جمع، مفرده «القـربة» وهى التقرب، والمـراد بها ـ فى معنـى اللآية ـ الـوسائل التى تقرب إليه تعالى.

ثانيا : التفســـير :

بعد أن ذكر تعـالى حال فئة من الأعـراب يسوؤها أن تنفق فى سبيـل الله وتتمنى زوال دولة المسلمين للتخلص ممـا تراه مغرما، فإنـه تعالى ـ فى الآية ـ يذكر حال فئة أخـرى جاء فيها قوله تعالى «ومن الأعراب من يؤمن بـالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول» فبين تعالـى أن هؤلاء يؤمنون بالله تعالى ويؤمنون باليـوم الآخر» ، فيكون طبعيا منهم أن يعملوا ليوم القيـامة بالسعى إلى الطـاعات ومنها الإنفاق فى سبيـل الله، ولهذا وصفهم الله تعالى بـأنهم يتخذون ما ينفقـون قربات عند الله وصلـوات الرسول ، بمعنى أنهـم ينفقون فى سبيل الله وفى الصـدقات ليكون إنفاقهم سبيلا لنيـل رضاء الله تعالى أو يتقربون بـه إليه، كما يكـون سبيـلا لأن يدعـو صلـى الله عليـه وصلم لهـم، إذ كـان صلـى الله عليـه وسلم يـدعـو للمتصدق.

ثم يجىء قوله تعالى «ألا إنها قربة لهم» إخبار بقبـوله تعالى نفقاتهم و إثباتا لكونها سبيلا تقربوا به إليه تعالى أو إلى رضائه. ويعقب تعـالى ذلك بقوله «سيدخلهم الله فى رحمته» وهو تأمين لهؤلاء من التعرض لعذابه تعالى، فمن أدخله تعالى فى رحمته أمن عذابه .

وقوله تعـالى ـ فى ختام الآيـة ـ «إن الله غفور رحيم» جاء تـذييلا للتدليل على أنـه برحمته تعالى غفر لهم ذنوبهم وأمنهم عذابه .

تفسـير الآية رقم (١٠٠) :

أولا : الأســـماء :

السابقون الأولون من المهـاجرين والأنصار: قيل إن المـراد بهم ــ فى معنـى الآية ــ هم الذين صلوا إلى القبلتين، وقيل هم الذين شهـدوا بيعة الرضوان وهى بيعة الحديبية، وقيل هم أهل بدر، وقيل هم الخلفـاء الأربعة وسائر المبشرين بالجنة، ثم أهـل بدر، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان.

ثانيا : التفســـير:

الآية فـى ذكر فضـائل أشراف المـؤمنين ذكـر تعالـى السابقيـن الأولين مـن المهاجـرين والأنصار، ثـم ذكر من لحـق بهم من المهـاجـرين والأنصار وكـان متلبسا بالخصـال الحسنة المحمودة وظـل مثلهم فـى الإيمان والطاعـة ويليهم مـن تمثلهم فى هـذا واتبعهم إلـى يوم الدين، يخبر تعـالى عنهم بقوله «رضى الله عنهـم ورضوا عنه» قبل تعالى طـاعتهم ورضى عن أعمالهم، ورضوا بقضـائه تعالى فيهم وبما أصابهـم وما أنعم به عليهم وقبلوه، ثـم ذكر تعالى أنه أعـد لهم جنات تجرى تحتهـا الأنهار تلقاهـم فى الآخرة فتكـون كأنها إنما وجـدت من أجلهم، فيها يخلدون لا يخرجون ولا يموتون .

ثم إنه تعالى يخبـر عما أعد لهم بقوله «ذلك الفوز العظيم» فدل علـى أن ما أعده لهم هو الجدير أن يوصف بأنه الفوز العظيم، فكل ما عـداه غير جدير أن يوصف بالعظم لضرورة كونه أدنى منه مقاما ومنزلة .

تفســـير الآية رقم (١٠١):

أولا : الأســـماء:

المنافقون : فى قوله تعالـى «من الأعراب منافقون»، قيل إن المراد بهم ــ فى معنى الآية ـ جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار. وأنكر البعض هذا .

ثانيا : التفســير:

الآية فى ذكر منافقين آخرين لم يسبق ذكرهـم من قبل وهم من الأعراب الذين حول مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل المدينة ذاتهـا «وممن حولكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق» يثبت تعالى أن المنـافقين من أهل المدينة قد غالوا فى نفاقهـم وأتقنوه إلى الدرجـة التى جعلت أمـرهم خافيـا عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم، ولهذا جاء قوله تعالى «لاتعلمهم، نحن نعلمهم» نفى تعالى علم رسوله صلى الله عليه وسلم بهم والمراد هو عدم معرفته أشخاصهم.

ثم أثبت تعالى معرفته بأشخاصهم، ثم إنـه تعالى ذكر أنه سيعذبهم مرتين، قيل إن الأولى منهما كانت عندمـا ذكر صلى الله عليه وسلم أسماءهم من فوق المنبـر فى الجمعة، وقيل إنه عذاب الجوع، والثانية هى المتعلقة بعذاب القبر.

ثم يجىء قوله تعـالى «ثم يردون إلى عذاب عظيم» بيانا لعذاب النـار الذى يكون لهم فى الآخرة، قيل إن وصفه بالعظم هو لكونه عذاب الدرك الأسفل من النار .

تفســير الآية رقم (١٠٢) :

أولا: الأســـــماء :

١ ـ **الآخرون** : فى قوله تعـالى «وآخرون اعترفوا بذنـوبهم» هم قوم من أهل المـدينة وممن حولها من الأعراب قيل إنهم لم يكونوا من المنافقين و إنما كانوا ضعاف الإيمان، وقيل إنهم كانوا من المنافقين .

٢ ـ **العمل الصالح** : فى قوله تعالى «خلطوا عملا صـالحا» هو الخروج للجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل هو التوبة .

٣ ـ **السىء** : فى قوله تعالى «وآخر سيئا» هـو التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل هو الإثم.

ثانيا : التفسيـــــر:

قوله تعـالى ـ في الآية ـ في فئة من أهل المدينـة وممن حولها من الأعـراب تخلفوا عنه صلى الله عليه وسلم فلم يخرجوا معه في تبوك، كانوا عشرة أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد لندمهـم على عدم خروجهـم معه صلى الله عليه وسلـم وقالوا لا نطلق أنفسنـا حتى يطلقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال رسـول الله «لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى الذى يطلقهم»، فأنزل تعالى الآية.

ذكر تعالى أنهـم أقروا بخطئهم واعترفوا بذنبهـم وهو إيثارهم الدعة والتخلـف عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم ذكر تعالى أنهم خلطوا عملا صالحا سابقا لهم ـ وهو الخروج معه صلى الله عليه وسلم في الجهاد ـ بآخر سيء وهو التقاعس عن الخروج إلى تبوك.

وجاء التعبيـر عن الفعل بـالخلط لأنهم بعـد أن أتبعوا الحسنة السيئـة تابوا عـن السيئات وندموا فيكون العمل الصالح الغالب هو التوبة .

ذكر تعالـى أنه يتوب عليهم بقوله تعـالى «عسى الله أن يتوب عليهم» وهو تعـالى «إذا قال «عسى» وهى للإطماع فـى كرم أكرم الأكرمين تدل على أنه تعالى معـط ما أطمع فيه، فضلا عن سبق وعده بأن التوبة تغفر الذنب .

ثم يجيء قـوله تعالى «إن الله غفور رحيـم» تدليلا على قبولـه توبة المذكوريـن في النص وغفرانه لهم ذنبهم بواسع رحمته.

تفســير الآية رقم (١٠٣) :

قوله تعالى ـ في الآية ـ أمر إلى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ من أموال هؤلاء الذين قبل الله تـوبتهم صـدقة من أمـوالهم «خـذ من أموالهـم صدقـة تطهرهم وتـزكيهم بهـا وصل عليهـم».

وقيل إنهم لما أطلقوا جاءوا إلى رسول الله بأموالهم ليقبلها صدقة منهم، فقال صلى الله عليه وسلم «لاآخذ من أموالكم شيئا» فنزلت الآية.

فأخذ صلى الله عليه وسلم من أموالهم صدقة أو أنه أخذ منهم الزكاة فكان بأخذ الصدقة منهم تطهيرهم من دنس تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان فيها تزكية لهم بإعلاء مرتبتهم على المنافقين إظهارا لأنهم ليسوا منهم، لأنه لاتؤخذ من المنافقين صدقات ولازكاة.

ثم إنه تعالى يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصلى عليهم بمعنى أن يدعو لهم كما يدعو للمؤمنين الذين يعطون الصدقات «وصل عليهم» ويبين سبب أمره بقوله تعالى «إن صلاتك سكن لهم».

فيها تسكن نفوسهم وتهدأ لعلمها أنه صلى الله عليه وسلم قد صفح عنهم.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله سميع عليم» هو بيان لأنه تعالى قد سمع اعتراف النادمين بذنبهم وعلم ندمهم على ما قرفوا فاقتضت حكمته قبول توبتهم وقبول دعاء رسول الله لهم.

تفسير الآية رقم (١٠٤):

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى شأن الذين تاب عليهم، ويتصور أن يكون فى شأن المؤمنين جميعا.

وقوله تعالى «ألم يعلموا» هو استفهام أريد به تقرير واقع هو وجوب العلم والتيقن مما هو مخبر عنه.

والمخبر عنه هو أنه تعالى يقبل التوبة الصحيحة عن عباده متى استوفت شروطها، وأنه يقبل الصدقات التى تؤدى عن نفس راضية مؤمنة، ومعنى أخذها وقبولها هو الإثابة بها.

ثم يجيء قوله تعالى «وأن الله هو التواب الرحيم» تأكيدا لتوبته على المتوب عليهم وقبوله توبتهم بواسع رحمته.

وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

تفسير الآية رقم (١٠٥) :

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أمر بقول يقوله لجميع المؤمنين بمن فيهم من المنافقين، والقول هو «اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون».

والمعنى أنه بعد أن بين للمؤمنين الطاعات والآثام، ترك لهم حرية عمل ما يشاءون من الأعمال باختيارهم، تكون أنفسهم هى الرقيب عليهم من بعد الله تعالى.

ثم إنه يعلمهم أنه تعالى سيعلم أعمالهم وبواعثهم عليها، وأن رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون سيعلمون أعمالهم بما يعلمهم الله تعالى، وبما يعاينون ويعقلون، فعلمهم

يختلف عن علمه تعالى.

وقولـه صلى الله عليه وسلم لهـم «وستردون إلى عالـم الغيب والشهادة فينبئكم بمـا كنتم تعملون» هو تذكير لهم بأنهم راجعون إليه تعالى وهو العالم بما هو مخفى وما هو معلن فيكون الحساب بما هو صادر من العبد وبما انطوى عليه فؤاده.

فيكون منه الحساب يعلم منه المرء حقيقة ما صدر منه بما يكون به حسابه.

تفســير الآية رقم (١٠٦) :

أولا: الأســـــماء:

الآخرون : فى قولـه تعالى «وآخرون مرجون لأمـر الله» قيل إنهم هلال بن أميـة، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع.

كانوا قد تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم لمانع منعهم، وكانوا قد انتووا اللحاق به فلم يتمكنوا من هذا، وهؤلاء مقطوع بأنهم ليسوا من أهل النفاق.

وقيل إنهم من المنافقيـن، وأنه لذلك قال تعالى فى شأنهم «إمـا يعذبهم» يكون ذلك إذا أصروا على النفاق .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى شأن طـائفة أخرى، فلفظ «آخرون» فى مبتدأ الآية جاء معطوفا على لفظ «آخرون» فى الآية ١٠٢، ذكر تعالى أن موقـف هؤلاء المخبر عنهم ـ سواء أكانوا هم الذين تخلفوا بعذر على اعتبار ذلك خطأ لكونهم من الأنصار الذين كان الجهاد عليهم فرض عين، أم كانوا من المنافقيـن ـ ذكر تعالى أن موقفهم مرجأ الفصل فيـه ومؤخر إلى أجل، وكان تعالى قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم باجتنـابهم وشدد عليه فى هذا، وذكر تعالى أنهم إما أن يكونـوا من المعذبين أو أن يكـونوا من المتـوب عليهم «مرجـون لأمر الله إما يعذبهـم وإما يتوب عليهم».

وقد بقى أمر هؤلاء معلقا خمسين ليلة لا يعلمون ما هو تعالى فاعل بهم.

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «والله عليم حكيم» هو تذكير بكونه تعالى عليم بأحوال هؤلاء المذكورين وأنه قد أرجأ بيان حالهم، وأنه سيقضى فيه بوافر حكمته.

تفسير الآية رقم (١٠٧) :

أولا : الأسـماء :

١ - **الضرار** : فى قوله تعالى «اتخذوا مسجدا ضرارا» هو طلب الضرر ومحاولته.

٢ - **الإرصاد** : فى قوله تعالى «وإرصادا لمن حارب الله ورسوله» هو الترقب والانتظار.

٣ - **من حارب الله ورسوله** : هو أبو عامر والد حنظلة رضى الله عنه المسمى غسيل الملائكة، كان قد ترهب فى الجاهلية وتنصر، واتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ليس على الحنيفية، وهو الذى حث على بناء مسجد الضرار ليصلى فيه قيصر وليصلى هو فيه، وانتظر بناة المسجد مجيئه ليصلى فيه ليظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان منه صلى الله عليه وسلم هدم المسجد.

ثانيا : التفسـير :

قوله تعالى - فى الآية - فى شأن فئة أخرى هى الذين بنوا مسجدا بقصد الإضرار بدين الله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، إذ بنوه بطلب من أبى عامر وعدهم أن يأتى بجنود من عند قيصر الروم يخرجون محمدا صلى الله عليه وسلم من المدينة.

ثم دعا بناته رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى فيه مكرا من أنفسهم، فاعتذر إليهم بالسفر، ثم إنه لما عاد أتاه أمر المسجد وسبب بنائه فبعث إلى المسجد من حرقه وهدمه.

يثبت تعالى أنهم اتخذوا ما بنوا مسجدا بقصد الإضرار بدين الله تعالى وبرسوله وأن دافعهم على هذا كان كفرهم وكفر من حفزهم على بنائه وهو أبو عامر، ورغبتهم أن يفرقوا

كلمة المؤمنيـن الذين كانوا يصلون فـى مسجد قباء فحسدهم بنـاة مسجد الضرار وأرادوا أن يكون لهم مسجد كما أن للمسلمين مسجدا.

وكذا ترقبهم وانتظارهم مجيء أبى عامر الكافر للصلاة فيه.

وصفه تعالى بأنه حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد الضرار، وذلك يوم أن لقى رسول الله صلى الله عليه وسلـم ونسب إليه كذبا أنه ليـس على حنيفية إبراهيم عليه السـلام وقال له «أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا» .

ثم يذكر تعالى ـ فى شأن هؤلاء ـ أنهـم يحلفون أنهم لم يريدوا من بناء المسجد إلا العمل الحسن الصالح وهو الصلاة وفيه ذكر الله تعالى.

ويثبت تعالى كذبهم فى قولهم وما حلفوا عليه بقوله «والله يشهد إنهم لكاذبون» .

تفســير الآية رقم (١٠٨) :

الخطاب فى الآية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلـم ينهاه تعالى عن الصلاة فى مسجد الضرار نهيا قاطعا، جـاء التعبير فى القول عن الصلاة بقوله تعالـى «لا تقم» وجاء بيان قطعية النهى وتأييده بقوله تعالى «أبدا»..

ثم يذكر تعالى أن الصلاة فى غير المسجد. أو فى مسجد قباء هى المقبولة وأن غير مسجد الضرار هو الأجـق أن تقام فيه الصلاة بقـوله تعالى «لمسجـد أسس على التقوى مـن أول يوم أحق أن تقوم فيه» بمعنى أن المسجـد الذى بنى أساسه من أول يوم على تقـوى الله تعالى هو الأجـدر والأحق أن تقـوم فيه أو أن تصلـى، والراجـح أن المراد بـالمسجد الـذى أسس علـى التقوى من أول يوم هو مسجد قباء وقيل إن المراد به هو مسجد رسول الله ﷺ .

ثم إنه تعالى يـذكر حال أهل قباء بقوله تعالى «فيه رجـال يحبون أن يتطهروا» وذلك لأنهم كانوا يستخدمون الماء في جميع شئون الطهارة ومنها أنهم كانوا يستنجون من الغائط بالماء. ثم ذكر تعـالى أنه يحب المطهـرين «والله يحب المطهرين» بمعنـى أنه تعالى يـرضى عنهم ويكرمهم ويعظم ثوابهم. وبهم كان تفضيل مسجد قباء .

تفسـيرالآية رقم (١٠٩):

أولا : الأسـماء:

١ ـ **البنيـان** : فى قوله تعالى «أفمن أسس بنيانه» مصدرمن الفعل «بنى ـ يبنى» بناء وبنيانا، وقيل هو اسم جنس للجمع، مفرده «بنيانة» .

٢ ـ **الشفا** : فى قوله تعالى «على شفا جرف» هو طرف الشىء وحده .

٣ ـ **الجرف** : هو جوانب الأودية التى تجرفها السيول .

٤ ـ **الهـار** : فى قولـه تعالى «على شفا جـرف هار» هو المتصدع المشـرف على السقوط، وقيل هو الساقط، أصله «هائر» .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ متعلق بمسجد الضرار وبيان الفرق بينه وبين مسجد قباء ـ وذلك باعتبار المعنى الخاص للقول ـ ثم إنه يتضمن حكما عاما مفاده أن كل شىء ابتدأ العمل فيه بنية تقـوى الله تعالى وابتغاء مـرضاته ، يكون لـه البقاء ولصاحبـه سعادة الدارين، أمـا الشىء الذى يبدأ العمل فيه بنية الكفر أو لصالحه فإنـه لا يبقى ولا يورث صاحبه إلا خسارة فى الدنيا ونار جهنم فى الآخرة .

جاء قوله تعالى «أفمن أسس بنيانه علـى تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فـانهار به فى نار جهنم» فى صيغـة استفهام أريد به بيان خيرية مـا كان أساسه ومبتدؤه هو تقوى الله، جاء الإخبـار بهذا بطريق التمثيل أو ضرب مثال لما بنـى على غير تقوى الله من كفر ومحـاربة دين الله يستفاد من المثـال عكس حكمه لما بنى علـى تقوى الله. فجاء التمثيل لما بنى على أساس من الكفر بالبناء الذى يبنى على حافة واد متصدعة، يكون محتما أن تنهار بالبناء، ثـم إنه تعالى وصف مصير البنـاء حين ينهار بأنه السقوط فـى نار جهنم. وفى قولـه تعالى جـاءت «من» فى «أفمن» بمعنـى «الذى» عند التعبيـر عن البناء، وجـاء الضمير المتصل فى «به» عائدا على البانى، للتعبير عن مصير البناء ومصير بانيه .

وقد قيل الكثير فى شأن مسجد الضرار حين هدمه رسول الله ﷺ من أنه رؤى فيه دخان نار

جهنم، والذى نراه أن شيئا من هـذا لم يثبت، وأن قوله تعالى ـ فى الآية ــ أريد به الإخبار عن مصير سيء الأعمال فى الآخرة .

وقوله تعالى «والله لا يهدى القوم الظالمين» هو تأكيـد لما سبق بيانه من أنه تعالى لا يهدى إلى الإيمان من اختار الكفر وأصر عليه، وهو ـ بالمعنى الخاص ـ يشير إلى بناة مسجد الضرار فيصفهم بالظلم، ويقرر بشأنهم أنه تعالى لا يهديهم، فهم معذبون بظلمهم.

تفســـير الآية رقم (١١٠):

قوله تعـالى ـ فى الآيةـــ فى شأن هؤلاء الذين بنـوا مسجد الضرار وما بنوا، يقـول تعالى «لا يزال بنيانهم الذى بنـوا ريبة فى قلوبهم» بمعنى أنه مثار شك وريبة فـى قلوبهم يكون إلى أجل معين هو مـدتهم الذى عبر عنه بتقطع قلـوبهم، وبموتهم يكون تيقنهم ممـا فعلوا وكونه إثما عظيما بمـا يلقون من عذاب عنـد قبض أرواحهم ثم فى قبـورهم. وفى شأن الـريبة التى تكون فى قلـوبهم قيل إنها الريبة فـى نبوة رسول الله ﷺ لهدمه مسجدهـم إذ اعتقدوا أن هذا كان حسدا منه، وقيل إنها الريبة فى أن يجازيهم ﷺ بفعلهم فيأمر بقتلهم .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله عليم حكيـم» يفيد علمه الكامل بما أخبر عنه عما فى قلوبهم، وأنـه تعالى أمر بما كـان فى شأن مسجدهم وقرر فـى أمرهم بإرادته علـى ما اقتضت حكمته، فقضاؤه تعالى فيهم هو الحق .

تفســـير الآية رقم (١١١):

جاء قوله تعـالى ـ فى الآية ـ مدحا للمـؤمنين الذين توافرت فيهم شـروط معينة أو الذين يفعلون ما ورد بالنص، والمـراد بالمدح هو الحث على الجهاد فى سبيـل الله تعالى والترغيب فيه.

فقولـه تعالى «إن الله اشتـرى من المؤمنين أنفسهـم وأموالهم بـأن لهم الجنة» جـاء مفيدا معنى قبوله تعالى مـن المؤمنين أنفسهم وأموالهم التى بذلوها فى سبيلـه وأنه تعالى أعطاهم مقابلها ثوابا هو الجنة، فيكون فى القول استعارة تبعية، جاء المبيع هو الغرض من العقد ـ وهو أنفس المؤمنين وأموالهم ـ وجاء قوله تعالى «بأن لهم الجنة» لإظهار حتمية وصول الجنـــــة

ـ وهى الثمن ـ إليهم، واختصاصه بهم .

ثم جاء قوله تعالى «يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون» بمثابة إظهار لمكان تسليم المبيع، وهو مكان القتال، أو بمثابة بيان لكيفية البيع يكون بالقتال فى سبيل الله. فكأن القتال فى سبيل الله وحده يوجب استحقاق الثمن وهو الجنة لمن قَتل ولمن قُتل .

وقوله تعالى «وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن» يفيد ثلاثة أمور: حاصل أولها أن المؤمنين يقدمون أنفسهم وأموالهم فى الجهاد فى سبيل الله مقابل مجرد وعد منه تعالى أن تكون لهم الجنة، وحاصل ثانيها هو أحقية وعده تعالى، فما وعد به هو الحق، وحاصل ثالثها هو أن هذا الوعد ثابت فى التوراة والإنجيل والقرآن . والمعنى يقبل أن يكون الوعد للذين قاتلوا مع أنبياء الله جميعا فى سبيل الله على ما ثبت فى التوراة والإنجيل والقرآن، فيدخل فيهم المسلمون من بين أتباع الرسل والأنبياء، ويقبل المعنى أن يكون للمؤمنين المقاتلين فى سبيل الله مع محمد ﷺ، وأن هذا مثبت فى التوراة والإنجيل والقرآن. وقد سبق لنا أن بينا أن موسى عليه السلام عندما جمع قومه بأمر ربه وأخبرهم ما أمره ربه أن يقول لهم، كان منه تبشيره برسول الله ﷺ، ووصفه وصفا دقيقا، ثم طلبه الإيمان له وتأييده والجهاد معه ووعده المجاهدين معه بالثواب وتوعده المخالفين بالعذاب، وذكرنا النصوص الموجودة فى التوراة التى بين أيدينا التى تثبت هذا. كما سبق لنا أن بينا أن عيسى عليه السلام أخبر بمثل هذا، كما ذكرنا النصوص التى تضمنته من الإنجيل الذى بين أيدينا اليوم .

وقوله تعالى «ومن أوفى بعهده من الله» جاء فى صيغة جملة اعتراضية لإثبات حتمية تحقق وعده تعالى الذى ليس مثله أحد فى الوفاء بالعهد .

ثم يجىء قوله تعالى «فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به» خطاب للمؤمنين لتشريفهم، وفيه جاءت الفاء لترتيب الاستبشار والابتهاج على حتمية الوفاء بوعده تعالى وهو الجنة ثمنا لما بايعوا به وهو تقديم النفوس والأموال .

ثم يذكر تعالى بقوله «وذلك هو الفوز العظيم» أن ما وُعد به المجاهدون فى سبيل الله هو الفوز الجدير أن يدعى وحده عظيما، فيكون كل ما هو غيره أدنى منه .

﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾

أولا : الأسـماء:

السائحون : جمع، مفرده «السائح» هو من يسيح فى الأرض يطلع على البلدان والأماكن. وقيل إن المراد بهم - فى معنى الآية - الصائمون، لأن الصيام يمنعهم عن الشهوات كما تمنع السياحة فى الأرض السائح عنها. وقيل هم طلبة العلم يسيحون فى الأرض لطلب العلم.

ثانيا : التفسـير:

اختلف فيما إذا كانت الآيـة متصلة بالآية السابقة عليها أم منفصلة عنهـا، فلدى القائلين باتصالهـا تكون الصفات الواردة فى الآية بمثابة شـروط متطلبة فى المقاتليـن فى سبيل الله. والذى نراه أنه لايشترط فى المقاتل فى سبيـل الله أن تتوافر فيه هذه الشروط جميعها أو أغلبها ليستحق مـا وعد الله بـه المقاتليـن فى سبيلـه، فيبقى أن يكـون المعنى هـو اعتبار الأوصـاف المذكورة أوصاف المؤمنيـن الكاملى الإيمان، أو الوعد بذات الجزاء الـذى وعد به المقاتلون فى سبيل الله من ثبتت لهم الصفات المذكورة فى نص الآية بأن يكونوا تائبين بمعنى راجعين إلى طـاعة الله تعالى، عـابدين الله قـاصدين بعبادتـه تعالى وجهـه الكريم، سائحيـن بمعنى صائمين أو ساعين فى طلب العلم، آمرين بـالمعروف وناهين عن المنكر بمعنى أنهم يأمرون بما تعارف عليه الناس مما أقره الشرع وبالأخذ بسنة رسول الله ﷺ وينهون عن اتباع البدع وما أنكره الشرع . وبعد أن ذكر تعالى أصحاب هذه الصفـات السبع جاء قوله تعالى «والحافظون لحدود الله» جاءت فيه «الـواو» لاكتمال العدد، إذ يعتبر العرب العدد التـام سبعة، وقيل إن ما بعد الواو إجمال للفضائل المفصلـة قبله، وقد يكون المراد بـ «حدود الله» هو إقـامة عقوبات الحدود، وقـد يكون المراد به كـل حدود الله تعالـى التى فرقـت بين الحلال والحرام يحـافظ عليها المؤمنون ولا يتجاوزنها .

ثم يجيء قوله تعالى - في ختام الآية - «وبشر المؤمنين» خطابا إلى رسوله أن يبشر الموصوفين بهذه الصفات بما وعدهم الله تعالى ، فيكون في تبشيره صلى الله عليه وسلم إياهم إفادة عن رضائه عن كمال إيمانهم .

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾

التفسير :

قوله تعالى - في الآية - نهى لرسول الله ﷺ والمؤمنين عن الاستغفار من الله تعالى للمشركين ولو كانت بينهم علاقات مودة أو قرابة، وشرط النهى هو تحقق المؤمنين من توعده تعالى هؤلاء المشركين بأنهم أصحاب الجحيم، وهو ما يكون بالإخبار عنهم بطريق الوحى بأنهم قد طبع على قلوبهم فلا يؤمنون.

وقيل إن سبب نزول الآية هو عرض رسول الله ﷺ على أبى طالب أن يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لما حضرته الوفاة وعدم أداء أبى طالب الشهادة تأثرا بقول أبى جهل وعبد الله بن أبى أمية له «يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب» ثم قول رسول الله ﷺ له «لأستغفرن لك إلا أن أُنهى عن ذلك» فنزلت الآية. واعترض على هذا بأن وفاة أبى طالب كانت قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، وأن السورة من أواخر ما نزل بالمدينة .

والمستفاد من الآية أنه لا نهى عن الاستغفار للمشركين الذين لم يخبر تعالى عنهم بأنهم من أصحاب الجحيم، أو الذين طبع على قلوبهم فهم لا يؤمنون، وعندئذ يكون الاستغفار لهم بطلب الهداية لهم بالإيمان .

وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

أولا : الأســـــماء:

الأواه: فى قـوله تعالى «إن إبـراهيم لأواه حليم» قيـل إنه الدَّعَّـاء الكثير الدعاء، وقيـل هو الرحيم بخلق الله، وقيل هو المـوقن، وقبل المؤمن ـ بلغة أهل الحبشة ـ وقيـل هو الكثير الذكر، وقيل هو المتأوه خشية العذاب، وقيل هو المتضرع الخاشع .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ لتأكيد النهـى عن الاستغفار للمشركيـن بعد العلم أنه تعـالى لا يهديهم إلى الإيمان، وذلـك بالتمثيل بحال إبراهيم عليه الصلاة والســلام الذى كان فى قمة الرحمـة بالنـاس والحلم مع أبيـه على غلظته معـه حتى أنـه قال له «لئـن لم تنتـه لأرجمنك واهجرنى مليا» كان منه ـ بعد أن علم من الله أنه يموت كافرا أن كف عن الاستغفار له .

وقيل ـ فى مناسبـة نزول الآية ـ أن رسول الله ﷺ تعلق فى الاستغفار لعمـه أبى طالب بقول إبراهيم لأبيه «سأستغفر لك ربى» فنزلت الآية. وقيل إن عليا كرم الله وجهه سمع رجلا يستغفر لأبويه المشركين فأنكر عليه هذا فقال الرجل ألم يستغفر إبراهيم لأبيه «فنزلت الآية» .

ومعنى قولـه تعالى «وما كان استغفـار إبراهيم لأبيه إلا عن مـوعدة وعدها إياه» يفيـد ـ من ورود العبارة منفيـة، مع الاستثنـاء بـ «إلا» أن سبـب الاستغفار كـان ما وعـد به إبـراهيم عليـه الصلاة والســلام أباه أن يستغفر له، أو مـا وعده به أبـوه أن يؤمن ، فكـان الدعاء له بـأن يهدى للإيمان فيتوب فيغفر له تعالى ذنوبه .

ثم يذكر تعالى بقوله «فلما تبين له أنـه عدو لله تبرأ منه» أنه ما أن علم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن أبـاه يصر على الكفـر إلى أن يموت فيكـون عدوا لله، حتى قطـع ما بينه وبينـه من صلة، وهـو ما يزيد علـى الكف عن الاستغفـار له. والقول ـــ بهذا المعنى ـ يقطـع الاحتجاج باستغفار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه لإساغة الاستغفار للمشركين من بعد بيان أنهم لا يؤمنون أو من بعد موتهم مشركين.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن إبراهيم لأواه حليم» جاء بمثال للتدليل على أن كل من هو دون إبـراهيم عليـه الصلاة والسـلام فى الخشوع والـرحمة وفـى الحليم أجـدر بألا يـدعو للمشركين الذين أخبر تعالى أنهم يموتون مشـركين أو أنه تعالى لا يهديهم، أو الذين يعلم من أمرهم هذا بموتهم على الشرك .

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

التفسـير:

قيل إن الآيـة متصلة بالآيـة السابقـة عليها، ذلك أنـه بعد أن نهى تعـالى عـن الاستغفار للمشركين الـذين أخبرعنهم بالوحـى إلى رسوله ﷺ أنهم لا يـؤمنون أو الذين ماتوا كـافرين، اعتقد المؤمنون ـ بعـد نزول النهى عن الاستغفار لهم ـ أنهم قد أثموا بـاستغفارهم للمشركين، فجاء النص ليثبت أنه ليـس فى استغفارهم قبل نزول النهى عنه إثم يعـاقبون به، فيكون معنى قوله تعالى «وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون» أنه تعالى لا يعتبر من هداهم إلى الإيمان مـن قبل قوما ضالين إلا من بعد أن يبين لهم مـا هو محرم عليهم أو ما هو منهى عنـه، فإذا لم يحرموه أو لـم ينتهوا عنه كانوا لـديه تعالى آثمين، ويكـون إعمال هذا الحكم فى شأن المستغفرين للمشركين قبل نزول نص النهى عن هذا، من شأنه اعتبارهم من غير الضالين .

وقد يكون الصحيح هو نزول الآية بحكم عام وأنه غير مرتبط بحال المستغفرين للمشركين قبل نزول النهى، وذلك لأنه قبـل نزول النهى لم يكونوا مكلفين باتباعه وطـاعته حتى يقال إنه تعالى لم يعتبرهم ضالين. ويكون الحكم العام الـذى ورد به النص هو فى شأن الذين هداهم الله للإيمان، لا يضلهم الله تعـالى إلا إذا بين لهم ما يجتنبونه ، فتكون منهـم معصيته عن علم وإرادة فيكون منه تعالى إضلالهم بعدم الحيلولة بينهم وما اختاروا .

وقولـه تعالـى ـ فى ختـام الآية ـ «إن الله بكـل شىء عليـم» يفيد أنه تعـالى عليـم بمدى الحاجة إلى بيـان المحرمات فبينها ، وأن من المؤمنيـن من عاهد الله على الطاعـة فلا يضله، وأن منهم الضعيفى الإيمان، يختارون العصيان من بعد الهدى، فهو تعالى يضلهم .

إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

التفســــير:

عبارة الآية تقريرية تخبر عن أنه تعالى الذى له ملك السماوات والأرض، وأنه الذى يحيى الخلق ويميتهم وأنه ما من ولى من دونه لأحد وما من نصير. وقد جاء قوله تعالى هذا من بعد النهى عن الاستغفار للمشركين ، فظهر أن عدم الاستغفار لهم مرجعه أنهم أشركوا بمن لا شريك له فى ملك السماوات والأرض، وأنه لما كان المستغفر لهم من المشركين هم ذوى القرابة من المستغفرين، فقد جاء قوله تعالى ليبين للمؤمنين أنهم ليسوا أولياءهم وأن وليهم الله الذى أشرك به المشركون فحق على المؤمنين أن يتبرأوا من ذوى قرباهم المشركين لوجه الله وليهم وناصرهم .

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

أولا : الأســـماء:

العسرة : هى صعوبة الأمر وشدته. والمراد بساعة العسرة ــ فى معنى الآية ـ هو أشد الساعات التى مرت على المؤمنين فى غزوة تبوك التى عانوا فيها شدة الحر، وانقطاع الماء، وقلة الركائب ، وندرة الزاد .

ثانيا : التفســير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فيما كان منه تعالى مع رسوله ﷺ والمؤمنين فى غزوة تبوك . فقوله تعالى «لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة» يفيد ـ على الظاهر ـ أنه وقع ذنب من النبى ﷺ كما وقع من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه وخرجوا معه ذنب حدث أثناء معاناتهم شدة الحر وندرة الزاد وانعدام الماء وقلة الركائب فى غزوة تبوك، كما يفيد أنه تعالى قد تاب على النبى ﷺ وعلى المؤمنين من هذا الذنب.

ووفقا لهذا المعنى المستدل عليه من ظاهر عبارة النص، يكون الذنب الذى نسب إلى رسول الله ﷺ هو إذنه للقاعدين عن القتال بالتخلف عنه، ويكون الذنب الذى قارفه

المهاجرون والأنصار هو ما كان منهم من قبل من تمنى القعود عن الخروج للقتال فى الحر، وتحسرهم ـ حين عانوا ساعة العسرة ـ على خروجهم فى الحر، وتكون توبته تعالى على رسوله ﷺ بعفوه عنه كما جاء بقوله تعالى «عفا الله عنك لم أذنت لهم»، وتوبته على المؤمنين بما أنزل عليهم من المطر استجابة لدعاء رسول الله ﷺ مع غفران ذنبهم .

ثم إن القول يقبل أن يكون ذكر النبى فى النص من قبيل تشريف المهاجرين والأنصار، دون أن يفيد أنه ﷺ قد ارتكب ذنبا .

وقوله تعالى «من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم» مفاده أن توبته عليهم كانت بعد بلوغ الشدة بهم منتهاها فكادت قلوب الضعفاء منهم والحديثى العهد بالإسلام تميل عن الحق وتمتنع عن نصرة رسول الله ﷺ وتراود أصحابها على التخلف والعصيان، ثم كانت توبته عليهم بتدارك قلوبهم فلم تزغ عن الحق بما أمطر عليهم من سحائب الجود أحيت قلوبهم وردتها عن الزيغ .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إنه بهم رءوف رحيم» هو بيان لشأنه تعالى مع المؤمنين ، يتداركهم برحمته قبل أن تزيغ قلوبهم فلا يشاء لهم الكفر فيرأف بهم فيزيل عنهم ما ألم بهم من المكاره، ويرحمهم فلا يعذبون بما حدثتهم به نفوسهم فى ساعة العسرة

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

أولا : الأسماء:

الثلاثة الذين خلفوا : هم كعب بن مالك، ومرارة بن ربيع العامرى، وهلال بن أمية الواقفى، تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك مع كونهم من المؤمنين عن تراخ ظن القدرة على اللحاق به ثم أعجزهم هذا، وكرهوا أن يعتذروا إليه بعذر كاذب، فلم يكونوا ممن اعتذروا وحلفوا فقبل عذرهم، خلف الله أمرهم وأرجأه مدة خمسين يوما إلى أن نزلت

الآية، اعتزلهم فيها المؤمنون بأمر رسول الله ﷺ ، ثم أمر ﷺ باعتزالهم نساءهم، ودعوا بالمخلفين لتخلف البت فى أمرهم، ثم نزلت الآية فكانت خير ما أنعم به تعالى عليهم من بعد نعمة الهدى إلى الإسلام .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى -فى الآية- فى الثلاثة المؤمنين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يعتذروا إلى رسول الله ﷺ كراهة الكذب عليه، وهم كعب بن مالك، ومرارة بن ربيع العامرى، وهلال بن أمية الواقفى، الذين خلف تعالى الفصل فى أمرهم من بعد عودة رسول الله ﷺ من الغزو إلى حين نزول الآية .

جاء قوله تعالى «وعلى الثلاثة الذين خلفوا» معطوفا على قوله تعالى -فى الآية السابقة- «لقد تاب الله» فأفاد معنى أنه تعالى قد تاب على الثلاثة الذين خلفوا.

ثم إنه تعالى يذكر ما عانوه مما كان له شديد الأثر فى نفوسهم بقوله تعالى «حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه» فأفاد معنى أنهم وجدوا أرض الله الواسعة ضيقة عليهم، وهذا تعبير عن ضيق نفوسهم لأنهم لم يجدوا فى أرض الله الواسعة من يحادثهم ويؤانسهم ويتعامل معهم فأصبحت الأرض جميعها بمثابة المكان الضيق الذى هم فيه عليها، كما ضاقت عليهم نفوسهم لأنها امتلأت بالغم والحزن فلم يبق بها مكان لشعور ببهجة أو سرور، فعلموا أنه ليس لهم من سبيل من الخروج مما هم فيه إلا بالنأى عن سخط الله تعالى باللجوء إليه بطريق الاستغفار والتوبة .

وقوله تعالى «ثم تاب عليهم ليتوبوا» يفيد معنى عاما وآخر خاصا، فالمعنى العام هو أنه تعالى الذى يوفق التائبين إلى التوبة وأنه لولا توفيقه إياهم إليها ما تابوا. والمعنى الخاص هو أنه تعالى وفق هؤلاء الثلاثة إلى التوبة فكانت منهم، قبلها وأعلمهم بها وأعلم المؤمنين ليعدوهم فى جملة التائبين بنص قرآنى يكون لهم وللمؤمنين دليلا على قبول التوبة ممن أخلص فيها، فيكون هذا دليلا لهم فى قادم أيامهم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

أولا : الأســـماء:

١ ـ **الذين آمنوا** : قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ الذين آمنوا من أهل الكتاب، وقيل هم جميع المؤمنين وقيل هم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ وربطوا أنفسهم بسوارى المسجد .

٢ ـ **الصادقون** : فى قوله تعالى «وكونوا مع الصادقين» قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ، وقيل هم الثلاثة الذين صدقوا رسول الله ﷺ ولم يكذبوه، وقيل هم أبو بكر وعمر وأصحابهما .

ثانيا : التفســـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى المؤمنين، وهو أمر بشيئين: أولهما هو تقوى الله، بمعنى اتقاء غضبه بتجنب ما يغضبه تعالى، والثانى أمر بأن يكونوا مع الصادقين بمعنى أن يكونوا صادقين ليكونوا منهم وفى معيتهم فيما وعدوا به. ويبين من موضوع الأمر الثانى أن موضوع الأمر الأول هو الكذب، بمعنى أن المأمور باتقائه أو باتقاء مقارفته تجنبا واتقاء لغضب الله تعالى هو الكذب .

ويبين من ورود الآية بعد حديثه تعالى عن الثلاثة الذين خلفوا، والذين أنجاهم صدقهم، أنهم فى جملة الممدوحين لصدقهم فى نص الآية ـ إن لم يكونوا المعنيين بالصادقين فيها ـ وأن قوله تعالى فى الآية تضمن أمرا للمؤمنين بتمثلهم فى الصدق الذى أعقبهم خيرا ليكونوا مثلهم فى المآل والمصير يعقبهم ربهم من بعد صدقهم خيرا فى الدنيا والآخرة .

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

أولا : الأســــماء:

١ ـ المخمصة : هى المجاعة تضمر فيها البطون من قلة الطعام.

٢ ـ الموطىء : فى قوله تعالى «ولا يطؤون موطئا» هو الأرض توطأ بمعنى تداس بالأقدام .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ أمر ورد فى صيغة خبـر، فقوله تعالى «ما كان لأهـل المدينة ومن حولهـم من الأعراب أن يتخلفـوا عن رسول الله ولا يرغبـوا بأنفسهم عـن نفسه» هو إخبـار عن انعدام السبب الذى يدفع أهل المدينة المنورة، والقبائل المجاورة لها للتخلف عن رسول الله ﷺ متى دعا إلى الجهاد أو خرج إليه.

فيكون القول أمرا لأهل المدينة والقبائل العربيـة المجاورة لها ومنها مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلـم بالجهاد، ويقبـل القول أن يكون فـى ذكر أهـل المدينة ومـن حولها إشـارة إلى عمومية الأمر وشموله جميع المؤمنين.

والذى يظهر من النـص أن الجهاد كان وقت نزول الآية فرض عين علـى المؤمنين. ومعنى «ولا يرغبوا بـأنفسهم عن نفسه» هـو ـ مقروءًا مع «مـا كان» ـ يفيد أنـه لم يكن لهم أن يصـرفوا نفوسهم عمـا لم يصرف رسول الله ﷺ نفسه عنـه، والمراد بهذا هو مشقة الخـروج للحرب فى الحر مع نقص الزاد والركائب .

ثم يجىء قولـه تعالى «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصـب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطؤون موطئـا يغيظ الكفار ولا ينالـون من عدو نيلا إلا كتب لهـم به عمل صالـح» مبينا انعدام السبب عن التخلف عـن رسول الله ﷺ وظهور السبب الدافع إلى التسابـق إلى الخروج معه، وذلك على مـا يبين من الإشارة إلـى مدلول الكلام بـ «ذلـك» ومن بيان السبب بـ «بأنهم»، والسبب هـو أنهم لا يصيبهم عطش ولا تعـب ولا جوع فى سبيـل الله بمجاهدة الكافـرين، ولا يدخلون أرضا من أراضى الكافرين أو يسيئهـم دخول المسلمين إياها، ولا يأخذون من العدو شيئا أو يصيبونه بشىء من قتل أو أسر إلا وكان لهم به عند الله تعالى ثواب العمل الصالح.

والمراد أن الثواب يكون علـى أى عمل من الأعمال المذكورة. والمعنى هـو وجود الدافع

لدى المؤمن الكامل الإيمان على الخروج مع رسول الله ﷺ للجهاد بما ينفى وجود سبب للاعتذار عن الخروج للجهاد .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن الله لا يضيع أجر المحسنين» تضمن وصف أعمال المجاهدين فى سبيل الله بالإحسان، وأثبت لهم أنهم ينالون ما وعدهم الله تعالى كما ينال الأجير أجره، فيكون القول حثًا على التزام الأمر الذى تضمنه نص الآية .

وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ استئناف لقوله فى الآية السابقة، فهو لا يزال فى بيان انتفاء السبب الذى يدفع إلى التخلف عن الخروج مع رسول الله ﷺ فى الجهاد وبذل المال فى سبيله ، ووجود الدافع إلى التسابق على الخروج معه للجهاد، ومن أسباب ذلك أنه ما من نفقة ينفقها مؤمن فى سبيل الله صغيرة كانت أم كبيرة إلا كان له بها ثواب عند الله، وما من جهد يبذله فى عبور واد من الأودية إلا كان منه تعالى إثباته فى حسناتهم المدونة فى صحفهم، وذلك ليكافئهم سبحانه وتعالى أفضل جزاء على عمل خير من أعمالهم، بمعنى أن جزاء جهادهم بالمال والجهد والنفس هو أفضل جزاء يكون على أعمال الخير التى قدموها لأنفسهم .

۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

التفسير:

الآية من الآيات التى تتضمن توجيها إلى مجتمع المسلمين بما يكون فيه مصلحتهم نزل

حكمها ـ وهو عام ـ بمناسبة ما كان من المؤمنين عندما عاينوا تشديده تعالى على المتخلفين فصمموا على ألا يتخلف منهم أحد عن الخروج فى جيش، أو سرية تخرج فى مهمة صغيرة، فخرجوا جميعا وبقى رسول الله ﷺ وحده.

والحكم العام الذى ورد به النص جاء مراعيا مصالح المجتمعات عامة ومجتمع المسلمين على وجه خاص الذى يقوم على الإيمان الصحيح وترتبط الأحكام التى تسوده والقيم السارية فيه بالدين مما يستوجب رعاية الصغار والنساء، ويتطلب استمرار تحصيل العلم والتفقه فى الدين مما مفاده عدم خروج جميع الرجال للحرب .

فقوله تعالى «وما كان المؤمنون لينفروا كافة» هو بيان لعدم سلامة خروج المؤمنين جميعهم للقتال أو للغزو، وقوله تعالى «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» تضمن فى مبدئه حثا على فعل وذما لتركه، والفعل هو خروج مجموعة صغيرة من كل جماعة كبيرة، لا تقاتل وإنما تتفقه فى الدين، يحصلونه أو يحصلون علومه ويجتهدون فى هذا، ليكون منهم بعد رجوع القوم من القتال تعليمهم شئون دينهم وإنذارهم بعاقبة العصيان. ويبدو أن قوله تعالى «لينذروا» قد أريد به بيان فضل المعلم وأنه يكون أعلى درجة من المتعلم؛ ولذلك فهو ينذر، كما أن قوله تعالى «لعلهم يحذرون» أريد به بيان أن هدف المعلم يكون إفادة المتعلم، فيكون منه أن يحذر الوقوع فى الخطأ والمعصية بعد أن أنار له المعلم طريقه بعلمه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

التفسير:

الآية من الآيات التى تتضمن توجيها لمجتمع المسلمين فى شأن سياسات الحرب المستهدفة رفعة دين الله، جاءت من بعد قوله تعالى فى الآية الخامسة من السورة «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» فأظهرت كيف يكون قتال المشركين مع توزعهم فى أرض الله الواسعة .

فقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار» هو أمر بأن يكون قتال

الكافرين بدءا بالأقرب منهم مكانا من بقاع المسلمين، وذلك لأن الخروج لقتال الأبعد يتيح للقريب الهجوم على بقاع المسلمين حيث مؤخرات القوات المحاربة بعد خروج القوة الضاربة، كما يتيح لهم فرصة القيام بأعمال التخريب، ثم يكون من بعد الانتصار على الأقرب موقعا الانتقال إلى الذين يلونهم. وقد اتبع المؤمنون هذه السنة فقاتل ﷺ قومه أول من قاتل ثم قاتل سائر العرب، ثم قاتل قريظة والنضير وخيبر، ثم انتقل إلى قتال الروم .

وقوله تعالى «وليجدوا فيكم غلظة» هو أمر للمؤمنين أن يكونوا أشداء فى القتال على عدوهم متسمين بالجرأة والصبر والعنف فى القتال يستشعره الأعداء فيكون له أثره فى نفوسهم بما يزلزل معنوياتهم.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «واعلموا أن الله مع المتقين» فيه إعلام بأن التزام أمره تعالى الوارد فى الآية فى شأن القتال هو من قبيل التقوى، وأن ملتزميه متقون، وعدهم تعالى أن يكون معهم يعصمهم من عدوهم وينصرهم عليه .

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى المنافقين، والقول يقارن بينهم وبين المؤمنين فيما يكون عليه مسلك كل منهما عندما ينزل تعالى على رسوله ﷺ سورة من سور القرآن، فقوله تعالى «وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا». يفيد أنه يكون من المنافقين من يقول لإخوانه ولضعيفى الإيمان من المؤمنين ـ عند نزول سورة من سور القرآن العظيم ـ «أيكم زادته هذه إيمانا». يقول القول استهزاء بالقرآن العظيم، وإنكارا لأن يكون من شأن ما أنزل أن يهدى إلى الإيمان أو أن يزيد فيه، ويبين استهزاء المنافقين بسور القرآن العظيم من حديثه عن السورة باسم الإشارة «هذه» بما يخل بالاحترام الواجب لقوله تعالى.

ثم إنه تعالى يبين حال المؤمنين عند نزول سورة من القرآن فيكون قوله تعالى فارقا بين تصرف المنافقين وتصرف المؤمنين من الحدث الواحد. فقوله تعالى «فأما الذين آمنوا

فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون» يفيد أن الذين آمنوا يزدادون تصديقا فوق تصديقهم. وقيل إنه لا يتصور فى شأن المؤمن الكامل الإيمان أن يزيد إيمانه ، لأن معنى الزيادة أنه كان هناك نقص قبله.

والذى نراه ـ والله أعلم ـ هو أن المؤمن الكامل الإيمان كان مصدقا بكلامه تعالى المنزل، فلما أنزل تعالى سورة جديدة فى النزول لم يكن للمؤمن بها علم من قبل، صدق بها، وهو تصديق جديد بما علم من كلامه تعالى الجديد فى النزول فيكون تصديقه تصديقا فوق تصديق، ويكون إيمانه إيمانا فوق إيمان. كما يذكر تعالى أن المؤمنين يستبشرون بنزول القرآن لأن فى تلاوته وفى سماعه قرب منه تعالى الذى يزيد كمال المؤمن بالخضوع له.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾

التفسير:

بعد أن شهد تعالى للمؤمنين أن القرآن العظيم هو هداهم، يزيدهم ما ينزل من سوره إيمانا فوق إيمانهم، فإنه تعالى بين ما يكون لما ينزل تعالى من سور القرآن من أمر على المنافقين. المستهزئين منهم وغير المستهزئين وصفهم تعالى بأنهم الذين فى قلوبهم مرض، والمرض هو النفاق أكسبهم رجسا وخبثا ونجاسة طبع، وذكر أن نزول سورة من القرآن يكسبهم رجسا فوق رجسهم لأنه يكون منهم تكذيب جديد للحق فوق تكذيب. ثم إنه تعالى يبين أنهم يموتون على حالهم هذه، وذلك بتقريره تعالى أنهم يموتون كافرين، فيكون القول مثبتا أن الكفر رجس وخبث .

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾

التفسير:

قوله تعالى -في الآية- لايزال فى شأن المنافقين يذكر تعالى ما مفاده إصرارهم على الكفر فكان القول بيانا لعلة تقريره تعالى -فى الآية السابقة أنهم يموتون كافرين ، جاء قوله تعالى «أو لايرون» لتكون عبارة القول استفهاما إنكاريا فيه توبيخ للمنافقين الذين كان عليهم أن يروا فيفهموا، والذى كان عليهم أن يروه ويفهموه هو أنهم يفتنون -أى يختبرون- فى كل عام من الأعوام -عدة مرات، جاء التعبير عنها بالمرة والمرتين، والاختبار قد يكون بما يصيبهم من مرض يعقبه شفاء، وقد يكون بخروج المؤمنين للجهاد ونصر الله إياهم، وقد يكون بإظهار نفاقهم، وجميع هذا يؤدى بصاحب العقل السليم إلى الإيمان بالله والتوبة عن الكفر.

ثم يثبت تعالى أنهم لايتوبون من بعد اختبارهم ولا يعتبرون، فيكون القول مثبتا إصرارهم على الكفر.

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى ما يكون من المنافقين حين ينزل تعالى سورة من القرآن العظيم لدى علمهم بإنزالها دون حضورهم مجلس إبلاغ رسول الله ﷺ بها، فإنه تعالى -فى الآية- يذكر ما يكون منهم حال حضورهم مجلس إبلاغ رسول الله ﷺ المؤمنين بنزول سورة من القرآن. فيقول تعالى «و إذاما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا» فأثبت تعالى أنهم يكون منهم التواطؤ على الفعل بغير حديث اللسان، إذ ينظر بعضهم إلى بعض فيكون التخاطب بلغة العيون ، فيه سخرية بما يسمعون، وفيه اتفاق على مغادرة المجلس خفية حتى لا يشعر بانصرافهم المؤمنون، ثم يكون انصرافهم من المجلس خلسة.

وقوله تعالى «صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون» فيه إخبار عن أنه تعالى صرف قلوبهم عن الإيمان لحمقهم الذى جعلهم لا يفهمون أين يكون الحق فيتبعوه، وفيه دعاء

عليهم بانصراف قلوبهم عن الإيمان ليكون لهم العذاب الذى استحقوه بإصرارهم على الكفر والنفاق الذى هو ضرب من الحمق والغفلة .

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى العرب، وقيل إنه موجه للبشر عموما. ولعل الأول هو الأرجح لأن بنى إسرائيل كانوا يفخرون على بنى إسماعيل بأنه منهم دون أبناء إسماعيل كان الأنبياء . وفى القول يذكر تعالى أنه ﷺ من العرب، اجتمعت فى أصله قبائلهم وولد من أشرف قبائلهم لأشرف آباء. ثم يذكر تعالى أنه ﷺ يشق عليه ما يقاسيه العرب قومه ومنه مقاساتهم عذاب الله جزاء على الكفر «عزيز عليه ما عنتم» ، كما يذكر تعالى حرص رسوله ﷺ على ما فيه خير قومه العرب «حريص عليكم» وليس هنا ما هو خير من الإيمان بالله تعالى والدخول فى دينه، ولهذا كان حرصه ﷺ على إيمانهم.

ثم يجىء قوله تعالى «بالمؤمنين رءوف رحيم» ليثبت أنه ﷺ رءوف رحيم بجميع المؤمنين يتساوى فى هذا المؤمنون العرب والمؤمنون من غيرهم من الأمم، فيكون القول تلميحا إلى عمومية رسالته ﷺ. وجاء ذكر الرأفة قبل الرحمة فى القول لأن فى الرأفة دفع المضرة، وفى الرحمة جلب المنفعة، ودفع المضرة يكون سابقا على جلب المنفعة .

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ، وهو فى شأن الكافرين الذين حرص رسول

الله ﷺ على هداهم رأفة بهم ورحمة، يقول له تعالى أنه إذا ما قابل الكافرون دعوته بالتولى عنه والإعراض فليقل «حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» يقول هذا فى قلبه وهو أول المؤمنين به وينطق به لسانه للكافرين معلنا أن الله كافيه شر الكافرين ومعينه عليهم. ومقرا باعتماده عليه. وشاهدا بوحدانيته، وأنه القائم على كل شىء، فهو رب العرش العظيم الذى هو أعظم المخلوقات فكان مستتبعا أن يكون رب ما قَلَّ عنه وصغر، ويتصور أن يكون «العظيم» صفة للعرش، لما يتصور أن يكون نعتا لذاته تعالى .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس

فى العلاقة بين السورة وسابقتها ـ فى ترتيب المصحف ـ سورة التوبة :

ذكر السابقون من أهل العلم العديد من أوجه الصلة بين الصورة وبين سورة براءة سابقتها فى ترتيب المصحف الكريم ، نذكر منها ما يأتى :

١ ـ اختتمت سورة التوبة بذكر رسول الله ﷺ بتوجيه الخطاب إليه، وجاء فى مبتدأ السورة ـ فى الآية الثانية ـ الحديث عن رسول الله ﷺ بقوله تعالى «أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم» .

٢ ـ ذكر تعالى فى سورة التوبة ما يقوله المنافقون عندما ينزل تعالى سورة من سور القرآن العظيم، وفى السورة يذكر تعالى ما يقوله الكافرون فى القرآن العظيم بقوله تعالى «أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله» وبقوله تعالى «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله» .

٣ ـ ذم تعالى المنافقين لعدم توبتهم وتذكرهم إذا أصابهم البلاء أو إذا اختبرهم الله بقوله «أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون»، وفى السورة

يذم تعالى من يصيبه البلاء فيتعظ ويستقم أمره ثم يعود لما كان عليه. بقوله تعالى «وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه»، وبقوله تعالى «حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين» إلى قوله تعالى «فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق» .

٤ ـ أعلن تعالى ـ فى سورة التوبة ـ براءة رسوله ﷺ من المشركين وأمره بقتالهم، وفى السورة أعلن تعالى براءة رسوله من عملهم ولم يأمره ﷺ بقتالهم، بل أمره تعالى أن يظهر براءته على وجه يظهر الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم وذلك بقوله تعالى «وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون» .



أولا : الأسـماء:

الـر: أسماء أحرف ـ على ما سبق بيانه ـ قيل إن معناه هو «أنا الله أرى»، وقيل هو اسم السورة، وقيل ـ وهو ما نراه ـ أنها من المتشابه من القرآن العظيم .

ثانيا : التفسـير:

أشار تعالى إلى أسماء الأحرف المذكورة (الر) وأخبر عنها أنها آيات الكتاب الحكيم، بمعنى أنها من آيات القرآن، وصفه تعالى بأنه حكيم بمعنى أنه الحاكم فى أمور الحلال والحرام، والمحكوم فيه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولتضمنه الحكمة. وقيل إن المشار إليه والمخبر عنه هو السورة أو آياتها .

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

أولا : الأســــماء:

١ ـ النــاس: في قولـه تعالى «أكان للنـاس عجبا» المراد بهم ــ في معنى الآية ــ كفار مكة، وقيل كفار العرب.

٢ ـ قدم صدق: المراد به هو منـزل صدق لقوله تعالى «وقل رب أدخلنى مدخل صدق»، وقيل هو الأجر الحسن، وقيل إنه رسول الله ﷺ يشفع فيهم يوم القيامة متقدما عليهم .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعـالى ـ في مبتدأ الآيـة ـ «أكان للناس عجبـا» يثبت أن كافرى مكة قـد تعجبوا من أمر، ويـدل تعالى بـالاستفهام عن حصـول تعجبهم ممـا تعجبوا منه أنـه تعالى ينكـر عليهم تعجبهم هذا ولبيان أنــه سبب للتعجب منهم. والذى تعجب منه كفار مكـة مما يثير التعجب منهم هو ما ورد بقوله تعالى «أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهـم» فيكون الذى أثار التعجب هو إنزال القرآن علـى رسول الله ﷺ بطريق الوحى، والمعنى هو اصطفـاؤه للنبوة، أنكره الذين قالوا «لو شاء ربنـا لأنزل ملائكة» وتعجب منه الذين هالهم أن يصطفى الله يتيما فقيرا و إن كان أشـرفهم نسبا. ثم يذكر تعالى مضمون ما أوحى به إلى رسول الله ﷺ وهـو إنذار الناس بالقرآن، ومن لفظ «الناس» يبيـن عمومية رسالته ﷺ وعدم قصرها على قـومه ، كما يبين من لفظ «أنذر» أنه تعالى أعلـى منزلة رسوله ﷺ، لأن المنذِر يكون أعلى مرتبة من المنذَرين، ولعل هذا هـو سبب إنكار الكافرين نزول الوحى عليه ﷺ مع فقره ويتمه، ثــم إنه من مضمون ما أوحى إليـه به تبشير المؤمنين الصادقيـن أنه يكون لهم عنـده تعالى منزلـة رفيعة بتصديقهم بـرسول الله ، قيل إنهـا شفاعته ﷺ فيهم، وقيـل إنها

تقدمهم غيرهم فى دخول الجنة. وهذا القول الأخير يخص السابقين بالإيمان، وهم الذين عاصروا رسول الله ﷺ وجاهدوا معه، لأنه بعد هذا السبق يتساوى المؤمنون عند الله إلا من حساب الحسنات مع الهنات والسيئات .

ثم إنه تعالى يذكر قول المتعجبين أن ينزل الوحى على رسول الله ﷺ وفيما جاء به الإخبار عما فى قلوبهم وعن أحداث مستقبلة وفيه الإنذار والتبشير، وقولهم هو «إن هذا لساحر مبين» يرمون رسول الله ﷺ بممارسة السحر فيدعونه ساحرا لما يرون من أنه يأتى بقرآن يعجز عن أن يأتى بمثله بشر.

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

التفسير:

الآية من آيات التوحيد، تأمر به وتبين بعض الأسباب التى تدعو أصحاب العقول إلى الإيمان به تعالى وتوحيده وعبادته.

جاء قوله تعالى «إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش» فى صيغة جملة خبرية مؤكدة، تفيد أن زب الخلق وراعيهم هو الله، فالقول يتضمن إثبات الربوبية له تعالى، ثم يفيد أنه تعالى الذى خلق السماوات والأرض ومن فيهن وما فيهن، وأن خلقه هذا استغرق ستة أيام ـ وقد سبق بيان هذا، وبيان معنى الستة الأيام ـ وأنه تعالى دان له ملكوت السماوات والأرض، جاء التعبير عن هذا بالاستواء على العرش ـ وهو سرير الملك ـ لتقريب المعنى، وعلم كيفية الاستواء عنده تعالى.

كذلك ذكر تعالى أن من فعاله تدبير الأمور «يدبر الأمر» فهو تعالى الذى يقضى فى الأمور بقضائه يأمر الأمر ويمضيه لا يشاركه فيه أحد. ثم إنه تعالى يثبت أنه تكون شفاعة للشافعين،

ويجعل هذه الشفاعة مشروطة بإذنه تعالى بها، بمعنى أنها لاتكون إلا بإذن منه تعالى، وبغير الإذن لاتكون «ما من شفيع إلا من بعد إذنه» فيكون قوله تعالى ردا على المشركين الذين قالوا إن أصنامهم تشفع لهم عند الله، وردا على منكرى شفاعة رسول الله ﷺ للمؤمنين .

ثم يجىء مخاطبة العقول وإثبات الحجة عليهم وإقامتها بما يوجب عبادة الله وحده بقوله تعالى «ذلكم الله ربكم فاعبدوه» لأنه لما كان تعالى خالق المعبود، وخالق الكون، والمدبر معيشة كل مخلوق، والقاضى فى كل أمر قضاءه وممضيه، فقد حق له أن يعبد وحده، ووجب على كل عاقل أن يعبده وحده لا يشرك به شيئا. ولهذا جاء قوله تعالى «أفلا تذكرون» كأنه أمر بالنظر والتدبر، وإثبات لواقع أن التفكير والتدبر يدفعان إلى المأمور به، فيكون القول حثا على التدبر للإيمان .

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

التفسـير:

جاء قوله تعالى ـ فى مبتدأ الآية ـ «إليه مرجعكم جميعا ، وعد الله حقا» مرتبطا بقوله تعالى ـ فى الآية السابقة ـ «ذلكم الله ربكم فاعبدوه» فكأن القول تعليل للأمر بعبادة الله تعالى وتوحيده، والعلة أن جميع المأمورين بالعبادة يرجعون إليه تعالى فى الحياة الأخرى ليحاسبهم على عبادته وعلى التفريط فيها، ثم إنه تعالى يؤكد رجوع جميع المأمورين بالعبادة إليه تعالى يوم الحساب بإثبات أن الوعد بالرجوع إليه حق، وأنه وعد بحق .

ثم يجىء قوله تعالى «إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط» فى بيان تفصيل رجوع المكلفين إليه تعالى للحساب، فيذكر تعالى أنه تكون منه بداية الحياة فى الدنيا بالخلق، فإذا ما انتهت بالمرء حياته وتحقق فناؤه فى الدنيا بعثه تعالى

فى الآخرة فكان هذا منه تعالى بمثابة إعادة خلق. ثم يذكر تعالى علة إعادة الخلق، أو البعث يوم القيامة ببيان أنها مجازاة الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالعدل، ولما كان معلوما أنه تعالى يحاسب المؤمنين بالرحمة ويحاسب العصاة والكافرين بالعدل، فإنا نرى أن ذكر «القسط» فى المحاسبة لا ينظر إليه باعتباره أسلوب محاسبة المؤمنين، وإنما جاء لبيان أن معاملة المؤمنين بالرحمة مع معاملة الكافرين والعصاة بالعدل هو عدل، فيكون لفظ «بالقسط» متعلقا بما قبله وما بعده فى عبارة الآية. والذى جاء بعده هو قوله تعالى «والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون» بمعنى أن الوعد الحق بشأنهم أنهم يجازون بكفرهم شرابا من ماء حار وعذاب أليم استحقوه بكفرهم فكان جزاء عادلا.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

التفسير:

بعد أن أمر تعالى الناس بعبادته وأظهر أن ذوى العقول المفكرة هم الأولى أن تهديهم عقولهم إلى الإيمان فإنه تعالى يذكر فى الآية بعض فعله الذى لا يأتى به غيره بما يوجب على ذوى العقول عبادته وحده وعدم الإشراك به، فقوله تعالى «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل» يثبت حقائق علمية استدعتها حكمته تعالى، إذ جعل الشمس ضياء بذاتها، فهى مصدر الضياء وأصله، وذلك لاشتعالها الدائم حتى وصفها أهل العلم بأنها قنبلة هيدروجينية دائمة الانفجار، أما القمر فهو مجرد عاكس لضوء الشمس فيكون بالنسبة للناظرين منيرا بانعكاس الضوء. ثم يذكر تعالى أنه قدر القمر منازل، فيخبر عن أوجه القمر وهى ظواهر نراها كل ليلة بشكل جديد حسب موقع القمر من الأرض والشمس أثناء دورانه حول الأرض خلال الشهر القمرى. حيث يظهر القمر كهلال فتحته إلى اليسار عند الأفق

الغربى ـ لكون القمر والشمس غرب الأرض ـ ثـم يتدرج الجزء الظاهر من القمر أو الهلال فى الكبر مع دوران القمر حول الأرض ويصبح ما يسمى بـالتربيع الأول بعد سبعة أيام، ثم يتدرج حتى يصبح بدرا كاملا عندما تكون الأرض بين القمر والشمس فى خط واحد تقريبا بعد سبعة أيام أخرى، ثم يستمر القمر فى دورته فيكون التربيع الثانى فى نهاية الأسبوع الثالث، ثم يظهر كهلال فتحتـه نحو اليمين فـى الأفق الشرقـى عند الفجر فى نهـاية الأسبوع الـرابع من بـداية الدورة حول الأرض، ثم يـأتى دور الاختفاء أو المحاق فيختفى القمر لمـدة يوم أو أكثر، ليظهر كهلال جديـد فى الأفق الغربـى. هذه هى منازل القمـر، وهى مقسمة إلى منـازل أصغر وهى منازل الليالى، فيكون للقمر ثمانية وعشرون منزلا.

ثم إنـه تعالـى يبين أن خلقـه الشمس والقمـر كان لأسبـاب منها أن يعـرف الناس أعـداد السنين وحساب الوقـت والزمان فتكون معرفتهم سببـا لتحقيق مصالحهم الدنيويـة والدينية، واتخاذ الناس من حركة الشمس والقمـر والأرض وسيلة للحساب يفيد انتظام السلوك ودوامه على نحو واحـد لا يكون إلا من خالـق مدبر واحد. ويكفـى لذلك أن نشير إلـى أن ذلك نتاج عدة قوانين كونية منهـا أن كوكب الأرض ـ شأنه شأن كل كوكب ـ ينجذب نحو الشمس بقوة الجاذبيـة ويتأثر فـى نفس الوقـت بقوة مضادة هى القـوة المركزيـة الطاردة نتيجة دورانـه فى فلكـه، وتتساوى القـوتـان فيدور الكـوكـب مستقرا فـى فلكـه فيكون مـا بينـه وبين الشمـس مساحات متساوية فى أزمنة متساوية يكون بها حساب الزمان، كما يكون بالقمر حساب اليوم العربى، وحساب الشهر العربى فيعرف عدد السنين والحساب .

وقولـه تعالى «ما خلـق الله ذلك إلا بالحق» هـو قول حق، فليـس بعد ذكر النذر اليسيـر من القوانين التى تحكم سير الأجرام السماوية وكوكب الأرض ليكون الحال على ما شاءت إرادته تعالى لعمار الأرض إلا الإيمان بأنه حق من رب حق؛ ولهذا جاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «يفصل الآيات لقوم يعلمون» مفيدا أنه تعالى يفصل الآيات الكونية فى القرآن العظيم ليتيقن أهل العلـم وأصحاب العقول إلى يـوم الدين وفق مـا تحيط به عقولهـم من العلم أنه تعـالى الخالق المبدع وحده فتكون له العبادة المأمور بها .

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

التفسير:

الآية فى ذكر ظاهرة أخرى مرئية للبشر، وراءها أفعال عظيمة لا يقدر عليها إلا الله هى اختلاف الليل والنهار، بمعنى أن يخلف أحدهما الآخر، وأن يختلفا فى الطول والقصر، فوراء هذا وجود مدار لكل من الشمس والقمر، وتنقل الجرمين فى الفضاء كل بحركة خاصة، مدار الشمس حول المجرة ومدار القمر حول الأرض، ودوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، والسبب الملحوظ هو دوران الأرض حول نفسها كل يوم مرة من الغرب إلى الشرق.

ثم إنه تعالى أتبع هذه المعجزة بذكر معجزة أخرى تتمثل فى ظواهر خلقه ما فى السماوات والأرض من مكلفين وغير مكلفين، ومما خلق فى السماء الدنيا المجموعة الشمسية تدور كواكبها والكويكبات فى اتجاه واحد حول الشمس عكس اتجاه حركة عقارب الساعة، وكذلك تدور الأقمار حول كواكبها، وتتمثل فيما خلق فى الأرض من حيوان ونبات كل يوافق بيئته، حتى إنه تعالى يخلق فى صخور الجُزر أنواعا من المحارات ومن الديدان يوجد لها من بيئتها فى باطن الصخر ما تتغذى به، فإذا ما استخرج الإنسان هذه المحارات من باطن الصخر بأدوات الحفر، تعجب من كيفية رزقها طعامها فى مكانها هذا؛ ولهذا يكون قوله تعالى بعد هذا المذكور إنه يكون فيه آيات لقوم يتقون «لآيات لقوم يتقون» موافقا ما يستشعره كل من له عقل يعى ويعقل، إذ يدرك أنه تعالى الخالق القادر، فيكون منه خوف يوم المرد إليه للحساب فيتقى غضبه بتجنب محرماته، ويخلص فى طاعته عن إيمان حقيقى.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾

التفســـير:

بعد أن أوضــح تعالى أنــه قد أوجد فــى الكون ظـواهر يدرك منهـا ذووا العقول أنه تعـالى الخالق الـواحد المستحق العبادة، وأنــه أمر بهذا فى آياتـه المنزلة فى القـرآن العظيم مثبتا أن ذوى العقول يتعظون بما يدركـون فتكون منهم التقوى، فإنه تعالى يتحـدث عن نقيض هؤلاء المتقين، المغايرين لهم في الصفات، دعاهم تعالـى فى الآية بأنهم «الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيـاة الدنيا واطمأنوا بهـا»، وجمع معهم من وصفهم بـأنهم «الذين هم عـن آياتنا غالفون» ليخبر عن حـالهم فى الآية التالية، فالآيتان مرتبطتان تشكـلان جملة خبرية واحدة، فذكر تعـالى فى جملة الآيـة المخبر عنهم وهم الـذين لا يرجون لقـاءه تعالى ورضوا بـالحياة الدنيا واطمأنوا بها، والـذين هم عن آياته غافلون. والذين لا يرجون لقـاءه تعالى هم الذين لا يتمنون هذا، يكون من منكـرى البعث ومنهم الذين ينكرونه خوفا منه فيحـاولون بث الطمأنينة فى نفوسهـم بإقناعها بـأنه ليس ثمة بعـث ومنهم الذين فسـدت عقيدتهم فقالـوا ليس سوى الحياة الدنيا، وهـم الـذين يؤمنون بالبعث لكنهم يخشونه لعلمهم بعصيـانهم وبسوء مصيرهم بما عملوا فيتمنون ألا يكون بعـث ولا حساب. يذكر تعالى أن جميع من لا يتمنـى لقاءه تعالى قد رضى بـالحياة الدنيا واطمـأن بها، بمعنى أنه رضى أن يكـون التنعم هو بنعم الحيـاة الدنيا وحدهـا فعمل للدنيا وحـدها عملها، وأنه اطمـأن بالدنيـا واطمأن لها حسب أن نعيمهـا هو الكافل له الأمان وسكنت إليها نفسه فلم تنازعه العمل للآخرة.

وقولـه تعالى «والـذين هم عـن آياتنا غافلـون» يتصور فيه أن يكـون ذكرا لصفة أخـرى من صفات الذين لا يـرجون لقاءه تعالى، ويتصور أن يكـون ذكرا لفئة جديدة تأخـذ حكم هؤلاء. والمراد بهؤلاء هم الذين استغرقتهم الحياة الدنيا بمتاعها ومتعها فغفلوا عن الآخرة ولم يعملوا لها عملها. وقد يفيد ذكـر هؤلاء الغافلين أن الأولين هـم منكرو البعث وأن هـؤلاء هم المؤمنون به الغافلون عن العمل لـه. وعلى ما سبق بيانه فإن الإخبار عن المذكـورين فى الآية يجىء به نص الآية التالية:

■■■■

﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٨﴾

التفسير:

جاءت الآية بخبر المذكورين بأن أشار إليهم بـ «أولئك» وبينت أن مقرهم الذى يكون مأوى لهم فى الآخرة هو النار، فأظهر القول التباين بين نعيم الدنيا الذى اطمأنوا إليه وبين شقاء الآخرة التى أنكروها أو غفلوا عنها، وأظهر تعالى أن النار كانت جزاء لهم بما كسبت قلوبهم من إنكار الآخرة أو إغفالها والتغافل عنها، وما صاحب هذا من عمل، جاء بيان استمراريته من الجمع بين الفعل الماضى «كانوا» والفعل المضارع «يكسبون».

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٩﴾

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى عن مصير الذين لا يرجون لقاءه تعالى من المكذبين بيوم الدين والغافلين عنه من محبى الحياة الدنيا مؤثريها على الآخرة، فإنه تعالى أخبر عن الذين يرجون لقاءه. جاء ذكرهم فى الآية بوصفهم أنهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، آمنوا بآياته تعالى فى الخلق التى ذكر تعالى أن أصحاب العقول يدركون منها أولوهيته وانفراده وحده بالألوهية وحق العبادة، وآياته المنزلة فى كتابه الكريم، ثم بين تعالى أنهم الذين يقرنون إيمانهم بالعمل الصالح، لأن الإيمان الحقيقى هو الذى يوافق فيه العمل ما استقر فى القلب.

وفى شأن مصير هؤلاء ذكر تعالى أنه يهديهم بإيمانهم «يهديهم ربهم بإيمانهم» بمعنى أنه تعالى يهديهم ـ بسبب إيمانهم ـ إلى مرضاته فييسر لهم طاعته ويمنعهم عصيانه، فيكون هذا منه تعالى إرشادا لهم إلى طريق بلوغ جنته كما يدل على هذا قوله تعالى «تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم» بين فيه تعالى حالهم فى الآخرة ثم أعقب هذا ببيان المكان الذى

يكون فيه حالهم على هذا النحو، فأوضح تعالى أن الأنهار تجرى من تحت منازلهم أو تحت بساتينهم، والوصف يفيد نعيم الروح أو النعيم المعنوى بجمال المناظر، أعقبه بيان مكان حصول هذا وهو جنات النعيم، حيث متع الآخرة المادية والمعنوية.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

أولا : الأسماء:

١ ـ الدعوى: فى قوله تعالى «دعواهم فيها سبحانك اللهم» مصدر من الفعل «دعا ـ يدعو» قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الدعاء، وقيل هو تمنيهم شيئا يؤتى به إليهم، وقيل هو نداؤهم على خدمهم فى الجنة، يكون بقولهم «سبحانك اللهم».

٢ ـ التحية: فى قوله تعالى «وتحيتهم فيها سلام» قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو تحية الله لهم، وقيل: تحية الملائكة لقوله تعالى «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام»، وقيل هى تحية بعضهم بعضا .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ يبين جدارة أهل الجنة الذين عملوا للآخرة لنيل ما أنعم به تعالى عليهم، فهم يسبحونه تعالى فى الجنة إذا دعوه، وإذا تمنوا، وإذا طلبوا أمرا، يقولون «سبحانك اللهم» وإذا ما كان لهم ما دعوا به أو ما تمنوا أو طلبوا ـ وهو لابد لهم ـ حمدوا الله رب العالمين، فأول قولهم يكون تسبيحا، وخاتمته تكون حمدا. ومعلوم أن من السنة أن يسمى الآكل عند أكله وشربه، وأن يحمد الله عند فراغه من أكله أو شربه

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾

التفســـــير

قوله تعالى يفيد فى الظاهر الإخبار عن شأن من شئون الناس عامة، مفاده أنه لو كان تعالى يعجل لهم ما يسألونه من شر ينال أحبابا لهم مثل دعاء المرء على ابن له أغضبه، بذات الدرجة التى يستعجلون بها حلول الخير المدعو به بهم، لأدى هذا إلى موتهم وهلاكهم .

والمعنى الآخر الذى يستفاد من ذكر الذين لا يرجون لقاء الله تعالى يفيد تعلق حكم الآية بهؤلاء، فيكون القول مثبتا استحقاقهم ـ بعدم تمنيهم لقاء ربهم عن إنكار ليوم الدين أو عن إغفال له وعدم العمل له ـ عذابا منه تعالى يهلكهم، ومفيدا إلى جانب هذا معنيين آخرين، أولهما أنه لو كان منه تعالى تعجيل ما يستحقون من العذاب على ذات النحو الذى يستعجلون به ما يرجون من خير، لكان قد أصابهم منه تعالى موت وهلاك عذابا فى الحياة الدنيا، وثانيهما أنه تعالى لا يعجل لهم العذاب بالموت والهلاك لحكمة لديه تعالى، والذى يراه الخلق أنه قد يكون من هؤلاء الذين لا يرجون لقاءه تعالى إيمان من بعد كفر أو إغفال، أو يكون من نسلهم مؤمن يعبد الله ويوحده. ومن القول يبين أن التعجيل يكون من الله تعالى، وأن الاستعجال يكون من الناس.

وقوله تعالى ـ «فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون» هو بيان لعدم تعجيله العذاب للذين لا يرجون لقاءه تعالى يكون بتركهم فيما هم عليه من طغيان يتمثل فى عدم تمنى لقاء الله أو إنكار البعث أو إغفاله متحيرين مترددين.

وقد قيل إن الآية نزلت فى الكافرين الذين قالوا « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم».

وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ يتصور أن يكون في شأن جنس الإنسان عامة، فيكون المقصود منه بعضه بمعنى بعض الناس ، وقد يكون في شأن الكافرين، وقيل إنه قد يكون في شأن شخص معين، وهذا وإن كان متصورا إلا أن تحقق المخبر عنه بالتجربة والملاحظة في العديد من خلقه تعالى يبين عمومية النص وعمومية حكمه.

ومفاد قوله تعالى إن الإنسان الكافر أو بعض أفراد الناس يكون منهم إذا ما أصابهم شر أو مكروه أن يتذكروا الله تعالى، يلتجئون إليه بالدعاء كثيرا أن يرفع عنهم الضر

جاء التعبير عن كثرة دعاته تعالى بذكر أغلب الأحوال التي يكون عليها المرء هي الاستلقاء على أحد جنبيه، أو القعود أو القيام ، يظل على هذا مادام الشر أو الضر لاحقا به، حتى إذا كشف الله تعالى الضر عنه بأن رفع عنه البلاء أو الشر الذي أصابه في صحة أو في مال، مضى في ذات السبيل الذي كان عليه قبل أن يصيبه البلاء، مرتكبا ذات العاصي التي كان يرتكبها من قبل ، متناسيا أنه لجأ إلى الله تعالى أن يرفع عنه الضر، فكان حقا عليه أن يحمده تعالى ويشكره، وأولى مراتب الحمد والشكر العمل على نيل رضائه وتجنب إغضابه بالمعصية.

ثم يقول تعالى « كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » فبين تعالى أن هؤلاء الذين جاوزوا حد الله فوضعوا المعصية مكان الشكر قد زين لهم سوء عملهم ، زينه لهم الشيطان وسوس به إليهم فأطاعوه، أو زينه الله تعالى لهم بعدم منعهم عما قصدوا من المعصية لاختيارهم إياها، فلم يخل بينهم وبين الشيطان، لأنهم نسوا الله فنسيهم.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾

التفســـير:

الخطاب ـ في الآية ـ موجَّه إلى أهل مكة، وهو إخبار مؤكد على ما يبين من « ولقد».

والمراد بالإخبار هو التحذير من عدم الإيمان برسول الله ﷺ وتوعُّد المكذبين بمصير المكذبين من قبلهم .

فقوله تعالى « ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا» فيه إخبار عن سبق إهلاكه تعالى أقواما سبقوا أهل مكة في الوجود في الزمان مثل قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، يذكر تعالى أن إهلاكهم كان عقب قيامهم بالظلم أو بسببه، والظلم هنا هو الاستمرار على الكفر، كان بتكذيب الرسل الذين أتوا بالبينات .

ثم يثبت تعالى أنه كان مقدرا عليهم الهلاك بسبب الكفر فلم يكن لهم إلى الإيمان سبيل، والقول يدل على مدى إصرارهم على الكفر الذى استحقوا معه أن يحرموا نعمة الإيمان.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «كذلك يخزى القوم المجرمين » يفيد اعتبار مكذبى الرسل الذين جاءوا مؤيدين بآيات الله تعالى من معجزات ومن كتب أو صحائف ، اعتبارهم مجرمين، وإنهم يجازون بما جوزى به السابقون من مكذبى الرسل وهو الهلاك.

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ استمرار لخطابه أهل مكة من بعد أن حذرهم تعالى أن يكون لهم مصير الأمم السابقة عليهم الذين أهلكهم الله بتكذيبهم الرسل، يبين من عبارة النص وألفاظها أن القول حثٌّ للمخاطبين على الإيمان برسول الله ﷺ وترغيب فيه، فقوله تعالى «ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم» فيه ذكر لنعمة أنعمها تعالى عليهم، وفيه بيان لأنهم خلفوا الهالكين بإرادته تعالى، فيكون فى هذا تلميح لكون إرادته تعالى استمرار خلافتهم وعدم إهلاكهم، ثم يجيء قوله تعالى « لننظر كيف تعملون» حثًّا لهم على أن يكون عملهم موافقا ما يرضاه تعالى لهم ، وهو الإيمان.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

لتفســـير:

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ فى هؤلاء الـذين لايرجون لقـاء الله تعالى، والخطاب فـى الآية موجه إلـى رسول الله ﷺ، يخبره تعالـى أن هؤلاء من أهل مكـة يشبهون سابقيهم مـن الأمم التى أهلكها الله يصرُّون على الكفر بالآيات البينات التـى ينزلها تعالى فيتلـوها رسول الله ﷺ عليهم، ثم يذكـر تعالى من فعالهم ما يـدلُّ على إصرارهم على الكفر بـالآيات البينات . هو قولهم عندما تتلى عليهم آيات القرآن العظيم « ائت بقرآن غير هذا أو بدِّله» يقولونه عندما لا يروقهم ذكر البعث فـى آيات القرآن، وعندما يذمهم بعبادتهم مـا لا يضر ولا ينفع، وتعبيرا عن اعتقادهم أن رسـول الله ﷺ يقول القرآن من ذاتـه فيملك أن يغيره أو أن يستبدل بـه غيره، أو إظهارا لأن هذا هو معتقدهم ـ من قبيل الاستهزاء ـ

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء الذين لايرجون لقاء الله « ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسـى، إن أتبع إلا ما يوحى إلـىَّ، إنى أخاف إن عصيت ربى عـذاب يوم عظيم». ومعنى القول هو أنه ﷺ لا يملك فى شأن القرآن العظيم شيئا يحدثه من ذاته ومن عنده، جاء نفى قدرته ﷺ عن أن يستبدل به غيره دون ذكر عـدم قدرته على الإتيان بقرآن غيره ، لأن عدم القدرة على الأدنى تفيد عدم القدرة على الأكبر من باب أولى، فضلا عن أن عدم ذكـر الأول ـ لدى الردِّ على الكافرين ـ يفيد عدم استحقاق القول أو المقترح أن تكون عليه إجابة لكونه من قبيل الخرق والأفون. ويعد ذلك يجىء قـوله ﷺ بإثبات دوره فى القرآن العظيم «إن أتبع الإ ما يوحى إلىَّ» فهـو يبلغ به ما أُمر أن يبلغ به بطريق الوحـى ، وهو ﷺ يبلغ دونما زيادة ولا

نقصان أو تغيير أو تبديل

ثم يذكر ﷺ علة قصر فعله على الإبلاغ، وهى علة عدم إجابته طلب الذين لا يرجون لقاء الله تعالى بقوله ﷺ « إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » ، والقول فيه تلميح لاستحقاق مقترحى تغيير القرآن أو تبديله هذا العذاب يوم الدين، وبيان لكونهم الأحق أن يخشوا هذا اليوم الذى يخشاه خير خلق الله ورسوله المصطفى.

ويتصور أن تكون الآية كسابقتها أريد بها حثُّ أهل مكة على الإيمان برسول ﷺ وترغيبا لهم فى هذا وترهيبهم من أن يكونوا مثل الذين سبقوهم من المكذِّبين رسلهم والذين لا يرجون لقاء الله الذين هم بعض أهل مكة.

قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - أمر إلى رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء الذين اقترحوا عليه أن يأتى بقرآن آخر أو يبدل ما تلاه عليهم : « لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به »، ومن القول يبين عدة معان، أولها هو أنه لو لم يتل ﷺ القرآن على الناس لما علموه، والمعنى أنه لم يصطف الله للتبليغ بالقرآن غير رسول الله ﷺ، وثانيها أنه — وقد تلاه ﷺ - فإنه يكون المؤكد أنه تعالى قد شاء أن يُعلم الناس بالقرآن وأن يدريهم أحكامه، وأنه مادام تعالى قد أراد هذا فإنه ما أراده كائن، وثالثها يبين من أداة الشرط «لو» وهى للامتناع، فيكون المستفاد من القول أنه تعالى قد شاء أن يتلو رسوله ﷺ القرآن على الناس وأن يعلم الناس بالقرآن.

ثم يجىء قول رسول الله ﷺ بأمر ربه « فقد لبثت فيكم عمرا من قبله، أفلا تعقلون» يثبت أمرين، أولهما أنه ﷺ لم يختلق القرآن ولم يأت به من عند نفسه ، بدلالة أنه مكث بينهم أربعين سنة لم يقل خلالها أنه أوحى إليه بشىء مع ما عرفوه عنه من صدق ومن عدم إلمام بالقراءة والكتابة مما لا يتصور معه أن يكون قد أتى بالقرآن من نفسه ، وثانيهما يرتبط بما سبق

أن أعلمهم به مـن قبل من أن الله قد شاءلهم أن يعـرفوا القرآن فتلاه عليهم ﷺ، فيكـون قوله متعلقا بوقت حدوث ماجرت به المشيئة، وهو وقت تلاوته ﷺ القرآن على الناس .

وقوله ﷺ ـ فى ختـام خطابه ـ «أفلا تعقلون » هو من قبيل إقامـة الحجة على المخاطبين يدليل الاستقراء المنطقى، لأنهم لو أعملوا قواعد المنطق وربطوا النتائج بأسبابها لتيقنوا من أن القرآن العظيم الذى تلاه ﷺ هو قـوله تعالى الذى أنزل على رسوله بالـوحى، وما كان لهم أن يقولوا ما قالوا.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

التفســـير:

القول ـ فـى الآية قول رسول الله ﷺ يقوله إل أهـل مكة، جاء قوله ﷺ « فمـن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته» فـى صيغة استفهام إنكارى لإفادة معنى عدم المساواة فى درجة الظلم بين ظلم من يفترى على الله الكذب ، بأن يكذب عليه بقوله قولا من عندياته ينسبه إلـى الله تعالى، أو يبـدل فى كلام الله أو يغيـره، ويماثله الـذى يكذب بآيـات الله وهى القرآن العظيم فلا يصـدق بها وينكر نزولها منه تعالـى ناسبا صدورها إلى غيره تعـالى ـ عدم المساوة فى درجة الظلم بين من يفعل هذا أو يفعل ذاك، وبيـن ظلم غيرهم بالغا ما بلغ من العظم، فيكـون ظلم الذى يفترى علـى الله الكذب وظلم الـذى يكذب بآيات الله هـو الأشد جرما وجسامة.

و المراد بالقـول هو نفى اختلاقـه ﷺ القرآن العظيم ، ونفى قـدرته على تغييره أو تبـديله بالتالى لكونه قوله تعالى الذى يتنزه رسول الله ﷺ عن الكذب عليه، والمراد به أيضا إثبات الظلم الأشـد الذى لا يساويه ظلـم ظالـم فى حـق أهل مكة الذيـن لم يصدقوا بـآيات الله وزعموا أن القرآن العظيم هـو قول رسول الله ﷺ ، فكان منهم طلبهم منه تغييـره أو تبديله، ثم إنه لما كان طلبهم هذا تحـريضا من جانبهم على افتراء الكذب عليه تعالـى فإنهم يكونون

قد اقترفوا به الظلم الأشد الذى يقصر دونه أى ظلم سواه.

وقوله تعالى « إنه لايفلح المجرمون » يتصور فيه أن يكون من قول رسول الله ﷺ لأهل مكة، ويتصور فيه أن يكون قوله تعالى تعقيبا على قول رسول الله، والقول يصف الذين يفترون على الله الكذب والذين يكذبون بآياته بأنهم المجرمون، فكأن إجرام غيرهم لايساوى إجرامهم الذى استحقوا به أن يكونوا وحدهم المجرمين، ثم إنه يقرر فى شأنهم أنهم لا يفلحون فى الدنيا والآخرة، فهم لا ينجون من عذاب الله ولا يفوزون بكسب يقصدونه بل يكون لهم الخسران المبين.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى شأن هؤلاء المكذبين بآيات الله، يثبت تعالى نقيصة أخرى لهم بقوله تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » والقول يشمل جميع المشركين بالله، فهو يشمل عبدة الكواكب، والذين قالوا ـ منهم ـ إن الأفلاك تغيب عن الأنظار فرمزوا لها بمجسمات تقربوا إليها باعتبارها وسيطا إلى الكواكب والأجرام التى عبدوها، وهو يشمل أيضا هؤلاء الذين عبدوا الأصنام رمزوا بها إلى أناس بذواتهم قالوا إن لهم حظوة عند الله تعالى فتقربوا بهم إليه تعالى وذلك نقلا عن عبادة الأصنام فى الشام ـ على ما سبق بيانه ، وهو يشمل الذين عبدوا مع الله تعالى غيره من الكواكب أو رموزها، أو من الأصنام ، أو من الملائكة والبشر، كما يشمل الذين عبدوا غير الله تعالى ولم يعبدوه جلَّ وعلا. ثم إنه تعالى يثبت أن ما يعبدون من دونه تعالى لا يملك لهم

ضرا ولا نفعا، فهو لا يضر من ينصرف عن عبادته ولا ينفع من ينكب على عبادته ويخلص

ثم إنه تعالى يثبت أن الذين يؤمنون بوجود الله تعالى ثم يعبدون غيره يبررون فعلهم الخاطىء بقولهم « هؤلاء شفعاؤنا عند الله» بمعنى أنهم يشيرون إلى معبوداتهم ويخبرون عنها أنها تشفع لهم عند الله تعالى بمعنى أنها تؤيد مطالبهم الدنيوية لديه تعالى فيستجيب تعالى لتأييدهم طلب عابديهم وتعضيده ثم يجيء قوله تعالى « قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السماوات ولا فى الأرض» والخطاب فى القول موجه إلى رسول الله ﷺ يأمره ربه أن يقول لقائلى القول: إن المعبودات شفعاء لهم عند الله - على سبيل التبكيت والتوبيخ - « أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض» ، والاستفهام فى القول إنكارى، فيكون المعنى هو أنه تعالى الذى أحاط بكل شىء علما لا يدخل فى المعلوم له تعالى أن له شركاء فى السماوات أو فى الأرض، أى أنه ليس له تعالى شركاء تكون لهم كلمة فى شئون البشر فيكون مفاد القول هو تسفيه قول القائلين إن معبوداتهم تفيدهم بالشفاعة لديه تعالى فى مطالبهم وبيان بطلانه.

وقوله تعالى - فى ختام الآية - « سبحانه وتعالى عما يشركون» ، هو تنزيه له تعالى عما يقول به المشركون، وبيان لواقع حال القول وهو أنه من ضروب الإشراك بالله تعالى.

وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾

التفسـير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ ، والمراد بالقول تسليته والتسرية عنه ببيان أنه لا يستوجب الحزن ألا يؤمن جميع من دعاهم ﷺ للإيمان، كما لا يستوجبه عدم تعجيل العذاب للمصرين على الكفر.

يبين ذلك من إثباته تعالى وجوب تحقق الاختلاف بين الناس، ومن صوره أن يكون منهم

المؤمنون وأن يكون منهم الكافرون. فقوله تعالى « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا» يقبل أن يكون له معنى عام. ويقبل أن يكون له معنى خاص.

فالمعنى العام يجوزفيه أن يكون مضمونه أن الناس جميعهم كانوا على دين الحق إلى أن قتل قابيل هابيل. أو إلى عهد إدريس عليه السلام، ويجوز فيه أن يكون مضمونه أن الناس كانوا من بعد الطوفان على الإيمان إلى زمان إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما حدث الاختلاف يظهور عبدة الكواكب وعبدة الأشخاص. ويجوز فيه خلاف هذا وهو أن الناس كانوا على الكفر من زمان إبراهيم إلى زمانه ﷺ، اختلفوا عندما آمن البعض به.

والمعنى الخاص يتعلق بأمة العرب كانوا على الإيمان من عهد إسماعيل عليه السلام الذى دعاهم إلى الحنيفية، إلى أن أتى عمرو بن لحى بالأصنام من الشام فعبدها العرب أو بعضهم فكان الاختلاف بين الناس.

ويبين عدم تعجيل العذاب للكافرين بقوله تعالى « ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » والمعنى أنه تعالى سبق منه التقدير أن يكون عذاب الكافرين فى يوم القيامة ، به يعرف الذين كانوا على الحق من الذين كانوا على الباطل، وأنه لولا سبق قضائه تعالى بهذا لكان قد أهلك الكافرين بعذاب منه يكون به القضاء عليهم فى الحياة الدنيا، فيكون به الفصل بين الذين هم على الحق والذين هم على الباطل .

وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى ذكر نقيصة أخرى من نقائص المشركين وأمر إلى رسول الله ﷺ أن يتوعدهم بها سوء العذاب. فيثبت تعالى أنهم ـ لعدم إيمانهم بالقرآن العظيم ـ يطلبون آية أخرى من قبيل الآيات التى أنزلت على موسى وعيسى عليهما السلام، فيكون طلبها دليلا على عدم إيمانهم بالقرآن العظيم.

ثـم إنه تعـالـى يـأمر رسـولـه ﷺ أن يقول لهـم « إنمـا الغيب لله فـانتظـروا إنـى معكم مـن المنتظريـن» ومفاد القـول ـ فـى مبدئه ـ تقـرير واقـع أنه لا يعلـم الغيب إلا الله، والغيـب هو الموجـود الذى غاب علمـه عن الخلق، فيشمـل الغيب ما طلبـوا من الآيات ، فيكـون قول رسول الله ﷺ مثبتا أنه لا يعلم ما إذا كان تعالى سينزل آية من قبيل ماطلبوا أم لا.

وقول رسول الله ﷺ لهم « فانتظروا إنى معكم من المنتظرين» يتضمن وعيدا لهم بالعذاب إذا ما بقوا علـى كفرهم وعنادهم، فهم ينتظـرون نزول آية من قبيل ما طبلـوا وهو ﷺ ينتظر أن ينزل تعالـى بهم عذابا فـى الدنيا يكون آيـة دالة على كفرهـم وعلى مجاوزتهم حـدود الله بما طلبوا، أو أنه ينتظـر أن يحيق بهم عذاب الآخرة جزاء علـى كفرهم وعلى إنكارهـم القرآن آية من الله تعالى.

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾

أولا : الأسـمـاء:

١ ـ الرحمة: فى قوله تعالى « وإذا أذقنا الناس رحمة» المـراد بها ـ فى معنى الآية ـ الخير عموما، يكون فى الصحة والمال وغيرهما.

٢ ـ المكر: فى قوله تعالـى « إذا لهم مكر فى آياتنا» المراد به ـ فـى معنى الآية ـ الاحتيال على المعانى للطعن فى الآيات

ثانيا: التفسـير:

قوله تعالى فى شأن المشركين الذين لم يؤمنوا بالقرآن العظيم فطلبوا آية أخرى تدل على نبوة رسول الله ﷺ يثبت تعالى أنه إذا أصابهم الله بخير فأصابوا به منفعة من بعد شدة أو نصب زادهم الخيـر عتوا فيكـون منهم المكـر فى آيـات القرآن العظيـم يتحايلـون على نصـوصها لإثبات عكس ما وردت به من أحكام ، أو طعنا فيها قصـد إثبات ما يشكك فى صدورها عن الله تعالى .

ويأتى قوله تعالى «قل الله أسرع مكرا ، إن رسلنا يكتبون ما يمكرون» هو أمر إلى رسول الله ﷺ أن يقول لهم ما أمر تعالى أن يقوله لهم، ومفاده أنه تعالى أسرع فى انتقامه من إسراعهم فى الاحتيال على آياته، قيل إن هذا يكون فى إهلاكهم، والذى نراه أنه يكون فى إثبات جرمهم عليهم يدونه الملائكة الحفظة عليهم بمجرد حصوله، والمراد هو حصول المكر، بمعنى وقوعه فى النفس ليكون العذاب به، لا يشترط فيه أن يكون معجلا سريعا، فيجوز أن يكون فى الآخرة، فيكون تدوينه عليهم من قبيل الانتقام منهم لأنه يؤدى إلى الانتقام منهم بالعذاب على وجه الحتم ما لم تكن منهم توبة

هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾

أولا : الأسـماء:

١ ـ العاصف: بمعنى «ذات عصف» أى ذات شدة، وصف للريح، ولهذا يتساوى فى اللفظ المذكر والمؤنث.

٢ ـ الموج: هو ما ارتفع من ماء البحر، أو ما علا من ماء البحر نتيجة اضطرابه بفعل تيارات الماء أو الريح أو اختلاف درجات حرارته .

ثانيا: التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى ما يكون من الناس عندما ينعم الله عليهم بنعمة من بعد شدة من طعن

فى آياته، فإنه تعالى يذكر ـ فى الآية ـ فعلا آخر لهم يتعلق بتصرف مذموم من قبيل التردى فى كفران النعمة بدلا من الشكر عليها، والآية والتى تليها متصلتان من حيث المعنى.

ففى الآية يثبت تعالى النعمة التى أنعم بها على الجاحدين بقوله تعالى «هو الذى يسيركم فى البر والبحر، حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين.

والمعنى أنه تعالى الذى مكن الإنسان من السير فى البر والبحر، يسير ـ فى البر ـ على قدميه، ويركب الدواب، ويركب غيرها من المخترعات ما عرف وما لم يعرف بعد، ويسير فى البحر فى الفلك.

ومن قوله تعالى «فى البحر» وليس على البحريين أن تسيير الله الإنسان فى البحر يكون بما يسبح فوق الماء مع انغمار بعضه تحته مثل السفن، وما يسير تحت سطح الماء مثل الغواصات.

وجميع هذا هو من قبيل الفلك تجرى فى الماء فى سلام مادامت الريح طيبة فيفرح بهذا مستقلوا الفلك، فإذا كانت الريح عاصفا أثارت الموج فى البحر من كل مكان فيكون من ركاب الفلك الخوف من الهلاك، يشمل الخوف من تأثير فعل الريح بالفلك، ومن تأثير ارتطام الموج بها، ومن تأثير عدم القدرة على التحكم فى مسيرها وتوجيهها، ومن آثاره التوجه بها لتكون فى متناول عدو متربص أو فى مرمى أسلحته.

فيكون من راكبى الفلك اللجوء إلى الله وحده بالدعاء المخلص، لا يلجؤون لغير الله فتكون هذه نعمة من نعم الله تعالى أن توجهوا إليه تعالى وحده.

والقول ـ فضلا عن هذا ـ يثبت أن الإيمان بالله تعالى فطرى فى الإنسان، ثم يذكر تعالى مضمون ما يقوله أهل الفلك اللاجئين إليه وقت الشدة «لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين»، والمعنى أنهم مع التوجه إلى الله تعالى بالدعاء يتعهدون بالشكر له ما حيوا إذا ما أنجاهم من الشدة التى حاقت بهم .

فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - تتمة لقوله فى الآية السابقة، فهو ذكر لما يكون من راكبى الفلك الذين لجؤوا إلى الله تعالى فى الشدة وعاهدوه على الشكر له تعالى إذا ما أنجاهم.

فيذكر تعالى أنه يتحقق نجاتهم من الخطر الذى أحدق بهم يكون فيهم السعى فى الأرض بالفساد والإفساد والتمادى فى هذا دونما حق لهم فى فعل يفعلونه.

فيكون القول مشيرا إلى تضمن البغى عدوانا على الحقوق لا يسانده حق .

وقوله تعالى «يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم» هو إفادة بأن البغى بغير الحق يورث الإثم يكون به العذاب.

فيكون على نفس الباغى وإن حقق له مصلحة من مصالح الدنيا، ولذلك جاء قوله تعالى - من بعد - متاع الحياة الدنيا، لإثبات أن ما يعود به البغى من كسب هو إلى زوال ، مع حقارته شأن كل كسب دنيوى مقيسا بثواب الآخرة .

ثم يجىء قوله تعالى «ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون» وعيدا للباغين الذين أبدلوا بالشكر بغيا بغير الحق بأنهم ملاقون عذاب الله تعالى، يكون وسيلة يعرفون بها أنهم كانوا عل

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

أولا : الأســـماء:

١ - الزخرف : فى قوله تعالى «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت» هو الحسن والبهجة في المنظر، وفى أثره فى النفوس .

٢ - الحصيد: فى قوله تعالى «فجعلناها حصيدا» هو المحصود من الثمار أو الغلال وما شابهها .

ثانيا: التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أن جاحدى النعمة يبغون فى الأرض بغير الحق وأنهم يكسبون بهذا متاع الحياة الدنيا، فإنه تعالى - فى الآية - بين قيمة الحياة الدنيا وما فيها من متاع وجاه، جاء تشبيه خيراتها ومتعها بالماء ينزل من السماء فيختلط بتربة الأرض ونباتها، فينمو النبات ويكثر ويكون منه ما يأكله الإنسان من جنس البقول والخضروات والفواكه، ويكون منه ما تأكله الأنعام من أنواع الحشائش والأعشاب والحبوب .

ثم يذكر تعالى ازدهار ثمار البغى وما يحققه من كسب للباغين بطريق التمثيل «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها» تأخذ الأرض زخرفها فتلتف أغصان الأشجار فوق بعضها وتزهر وتثمر، فيعتقد أهلها أنهم قادرون على جنى الثمار والإفادة منها، كذلك يكون حال الباغين يجنون كسب بغيهم فتزدهر أموالهم وتنمو وتربو فيعتقدون

أنهم ملكوا أمرهم وأمر غيرهم .

ويجيء قوله تعالى - من بعد - «أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس» وصفا للمثال المضروب لكسب البغى، بجعل الله الأرض التى كانت مزدهرة بالأمس بما عليها مثل الحصيد تكون الأرض من بعده جرداء متجردة مما كان يزينها ويجعلها بهجة للعيون، يذكر تعالى أن ضربه تعالى الأرض جاء ليلا أو نهارا، بمعنى أنه يفاجيء الأرض وأصحابها بضربها ليلا أو نهارا، يتساوى أن يكون ضربه إياها فى الليل مع كونه فى النهار.

والمراد من المثال إظهار أن نتائج البغى وما يحققه من كسب ومتاع دنيوى مصيره إلى الفناء لا يعقب إلا حسرة فى النفوس ولا يكسب خيرا.

ويكمل وصف هذه النتيجة بإثباته تعالى أن الأرض تكون من بعد زينتها بضربها ليلا أو نهارا كأنها لم تغن بالأمس بمعنى كأنها لم تحمل ثمارا ولم تزهر زهرا ولم تنبت نباتا دام فيها زمنا فكذلك يكون كسب البغى إلى زوال.

وقوله تعالى «كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون» بمعنى أنه على مثل هذا الحال من البيان يفصل تعالى أحكامه للذين يعقلون، أو أنه لكى يفهم القول من لديه استعداد لقبول القول واتباع أحسنه.

وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

أولا : الأسماء:

دار السلام : هى الجنة، سميت دار السلام بمعنى السلامة، والمراد بها السلامة من النقائص، أو هى دار السلام لأن الله تعالى يسلم على أهلها، أو لأن الملائكة تسلم عليهم يقولون لهم «سلام عليكم طبتم» .

ثانيا: التفسير:

بعد أن تحدث تعالى عن الحياة الدنيا ومتعها مخبرا عنها بالضعة والفناء، فإنه تعالى يتحدث عن حياة الآخرة فى الآية للترغيب فيها والحث على العمل لها، فيقول تعالى إنه يدعو إلى الجنة دار السلام، وإنه تعالى يهدى من يشاء هدايته إلى الطريق الموصل إليها وهو دين الإسلام، وصفه تعالى بأنه الصراط المستقيم، فيكون القول مثبتا أن دين الله الإسلام هو السبيل الموصل إلى الجنة، وأنه تعالى يهدى للإيمان من يشاء له الهدى فتكون له الجنة .

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

أولا : الأسماء:

١ ـ **الحسنى** : هى المنزلة الحسنى، والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ الجنة .

٢ ـ **الزيادة:** فى قوله تعالى «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو رؤية وجهه الكريم تعالى.

٣ ـ **القتر**: فى قوله تعالى «ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة» هو الغبار.

ثانيا: التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يهدى إلى الإسلام من يشاء فيكون على الطريق المستقيم الموصل إلى الجنة، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يذكر تفصيلا من هم أصحاب الجنة ، وغاية نعيمهم فيها فيقول تعالى «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» فيثبت أن الجنة تكون للمؤمنين الذين حسن إيمانهم وحسنت أفعالهم ففعلوا ما أمروا أن يفعلوه واجتنبوا ما نهوا عنه. ثم يذكر تعالى أنه يكون لهم ما يزيد على هذا وهو رؤية وجهه الكريم تعالى شأنه، ليس بعده نعيم يعدله أو يقاربه .

ثم إنه تعالى يقرر فى شأن أهل الجنة أنه لا يغشى وجوههم غبار يتغير به لونها أو يترك

عليها أثرا، ولا يظهر عليهم هوان ولا كسوف بال، فهم المنعمون يهنئون ولا يحزون. ثم يشير إليهم تعالى ويخبر أنهم أصحاب الجنة الذين فيها يخلدون «أولئك أصحاب الجنة، هم فيها خالدون»

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى المشركين مرتكبى المعاصى، فهم الذين كسبوا السيئات، يذكر تعالى أنهم يجازون بالسيئة التى يرتكبونها سيئة تضاف إليهم، فيكون حسابهم بالعدل، ومعلوم أنه فى شأن المشركين والكافرين لا يكون مجال لعفو منه تعالى إذ يكون مجال هذا مع عصاة المؤمنين. ثم إنه تعالى يذكر أن هؤلاء المشركين العصاة ترهقهم الذلة ، ويبين من عبارة الآية أن الرهق يصيب أنفسهم جميعها وليس وجوههم فقط كما جاء قوله تعالى بنفى الرهق عن وجوه أهل الجنة، وذلك لبيان أن الذل والهوان يغطى المشركين ويغشاهم ولا يكون نيله من وجوههم فقط.

ثم يذكر تعالى أنه لا يكون لهم من الله عاصم يمنع عنهم عذابه تعالى المهين لنفوسهم، ولعل ذكر هذا إنما كان لإشراكهم بالله ما زعموا أنه يشفع لهم عند الله، فجاء قوله تعالى مثبتا أنهم يوم القيامة يعرفون بالعذاب فساد عقيدتهم عندما يعدمون عاصما يمنع عنهم عذاب الله تعالى.

ثم يصف تعالى آثار الذلة والهوان على وجوههم بقوله تعالى «كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما» يشبه تعالى سواد وجوههم من الذل بشىء ألبس قطعا من الليل اشتد سواده وحلك. ثم يشير تعالى إليهم «أولئك» ويخبر بأنهم أصحاب النار، بمعنى أنهم أهلها الذين يواقعونها، لا يفارقونها وإنما هم فيها يخلدون .

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى مصير المشركين الذين ارتكبوا المعاصى وأثبت أنه لا يكون لهم من العذاب مانع ولا دافع، جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ متعلقا بأحوالهم مع من أشركوا بعبادتهم من دون الله تعالى، يكون هذا ـ فى الترتيب الزمنى ـ قبل وقوع العذاب، وتأخر ذكره فى القول الحكيم لتعلقه بإثبات بطلان اعتقاد المشركين فى شفاعة معبوديهم لهم عند الله تعالى.

فيذكر تعالى ما يكون يوم الحشر «ويوم نحشرهم جميعا» فيه يحشر الذين هداهم الله إلى الطريق المستقيم ويحشر المشركون، ويحشر ما عبدوا من دون الله تعالى.

يقول تعالى للذين أشركوا «مكانكم» بمعنى ألزموا المكان الذى أنتم فيه وانتظروا قضاء الله فيكم، وليلزم معكم أماكنهم ما كنتم تعبدون من دون الله، يتساوى فى هذا الملائكة التى كان البعض يعبدها، والأشخاص مثل المسيح عليه السلام، والأصنام.

ثم يكون منه تعالى التفرقة بين المشركين وبين ما عبدوا، ولعل المراد بالتزييل أو التفرقة هو ما تعلق بالصلات والروابط من حب يكنه المشركون لمعبوديهم، يدل على هذا قول معبوديهم لهم «ما كنتم إيانا تعبدون» والمعنى أنهم لم يعبدوهم حبا لهم وإنما حبا لأنفسهم، لأنهم بهذا لم يرتبطوا بالدين الحق الذى يمنعهم عن أهواء نفوسهم، واختاروا عبادتهم لأن عبادتهم كانت من صنع أنفسهم فلم يقيدوا أنفسهم بقيد يكرهونه، وإنما أباحوا لأنفسهم ما تطلعت إليه نفوسهم وهفت إليه أطماعهم، فكانت عبادة معبوديهم حبا لأنفسهم وعبادة .

فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾

التفسير:

القول المذكور فى الآية هو قول معبودات المشركين لهم بعد تبرؤهم من المشركين، فهم يذكرون اكتفاءهم بالله تعالى حكما بينهم وبين المشركين، لأنه العالم حقيقة كل منهم، فيكون القول متضمنا إثبات المعبودات إقرارهم بوحدانية الله تعالى العالم وحده بحقيقة الأمر. ثم يتبعون هذا بإنكار رضائهم عن عبادة المشركين إياهم، لأنه لما كان من بين المعبودات ملائكة لايتصور فى شأنهم عدم العلم بأحوال عابديهم إلاأن يكون انشغالهم بعبادة الله تعالى وتنفيذ أوامره، قد شغلهم عن معرفة أحوال البشر، وكان من بين المعبودات المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الذى ينزل فى آخر الزمان يدعو للإسلام مما مفاده العلم بأحوال عابديه، فلم يبق إلا الأصنام لاتدرى عن أمر عبادتها شيئا فإنه يكون الأقرب إلى المعنى بالنسبة للملائكة وللمسيح عليه السلام أنهم لم يرضوا عن عبادتهم .

هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

التفسير:

يشير تعالى - فى الآية - إلى المقام فى يوم الحشر، بقوله «هنالك» ثم يخبر عما يكون فيه، والذى يكون فيه هو أن كل نفس مؤمنة أو كافرة تعرف صحة ما اعتقدت من قبل أو زيفه، وحسن ما عملت من قبل فى دنياها أو قبحه مما خبرته من الجزاء الذى لقيت ثوابا كان أو عذابا . فى هذا اليوم يرد المشركون - شأن المؤمنين - إلى ربهم الحق، وليس إلى ما عبدوا من دونه تعالى، والمقصود بالرب هنا هو الإله، فهو اسم للذات وليس المراد به المولى الراعى لأن الكافرين لا مولى لهم. وفيه يضل عنهم ما كانوا يفترون من دون الله تعالى، بمعنى أنهم لا يجدون نصيرا لهم من بين الذين عبدوا ولا ما عبدوا من دون الله فى حياتهم الدنيا افتراء على الله وكذبا.

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾

التفســـير:

الخطاب ـ في الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ يأمره تعالى أن يقيم الحجة على المشركين، يسألهم عمن يرزقهم من السماء والأرض، ينزل المطر من السماء فتجرى أودية بأمره، وتخرج الأرض خيراتها من الزرع ومن المعادن وغيرها، ويسألهم عن مالك السمع والأبصار أحدث معجزته بإيجاد الحاسة وخلق فيها ما يتحقق به السمع والبصر، ويملك الذهاب بهما، ويسألهم عمن يخرج النطفة من الكائن الحى ويخرج البيضة من الدجاجة وكل ميت من حى وعمن يخرج الحيوان والإنسان من النطفة ويخرج الفرخ من البيضة، وكل حى من ميت.

ثم يفيد تعالى عن جواب المشركين بأنهم يقرون بأن فاعل هذا هو الله. يقولونه إذا كانوا لا يعتقدون فى الله إذا ما أعملوا عقولهم وفكروا وتدبروا، ويقولونه إذا كانوا ممن يؤمنون بوجود الله تعالى، ويعبدون ما يعبدون من دونه ليقربوهم إلى الله زلفى أو ليشفعوا لهم عنده.

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يقول لهم «أفلا تتقون»، والقول إنكار عليهم ألا يتقوا غضب الله عليهم، بأن يتوبوا عن الشرك وأن يؤمنوا بالله، بعد ما علموا من أنه الرازق الخالق المبدع، القادر على ما لا يقدر عليه غيره.

فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ إخبار عن الموصوف بالصفات المذكورة فى الآية السابقة، أشار إليه القول باسم الإشارة وهو مبتدأ. خبره هو «ربكم» ، و «الله» صفة له، و «الحق» خبر ثان. فيكون معنى القول هو «إن ربكم الله هو الإله وهو الإله الحق». وقوله تعالى «فماذا بعد الحق إلا الضلال» له معنى مباشر هو أنه لا يكون ممن ابتعد عن الحق، غير الضلال يقع فيه. فالاستفهام فى الآية إنكارى. والمعنى المراد هو أن من لا يعبد الله تعالى وحده يكون فى ضلال، سواء أكان قد عبد غيره أم كان قد عبده تعالى وعبد معه غيره.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «فأنى تصرفون» تضمن إنكارا لعبادة غير الله تعالى وتعجبا

من ذلك، فمعنى القـول هو فكيف تصرفون عن الحق إلى الضـلال. استفهام إنكارى تعجبى من موقف المشركين.

كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

التفسـير:

بعد أن تحدث تعالى عـن الذين صرفوا عن الحق إلى الضلال علـى وضوح طريق الحق لهم بقيام الدليل على ربوبيتـه تعالى فى نفوسهم، فإنه تعالى ـ فى الآيـة ـ يذكر أنه على هذا النحو الذى ثبتت فيـه ربوبيته تعالى فى نفوس المصـروفين عن عبادته كان حكمـه تعالى فى الذين بلغوا فى الكفر غـايته، الذين خاطبهم ﷺ بأمر ربه، وحكمه تعـالى هو أنهم لا يؤمنون، وبعدم إيمانهم فإنهم لا يقربون الطريـق المستقيم الموصل إلى الجنة، فيحق عليهم العذاب بفسقهم.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيـدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾

التفسـير:

الآية أمـر إلى رسول الله ﷺ أن يقـول للمشركيـن «هل من شـركائكم مـن يبدأ الخلـق ثم يعيده» وهو منه إليهم سـؤال أريد به التبكيت و إقامة الحجة عليهم، ويبيـن من توجيهه إليهم بعد القطع بفسقهم وبـأنهم لا يؤمنون عدم جدارتهـم وما يقولون للالتفات إليـه، ثم إن رسول الله ﷺ يجيب بـأمر ربـه على السـؤال بغير ما كـان مفترضـا أن تكون عليـه إجابتهـم، إذ كان مفترضا أن يجيبوا على السـؤال بقولهم «لا» أما إجابته ﷺ ففحواها «نعـم» يفصلها ﷺ بقوله «الله يبدأ الخلق ثـم يعيده» يبدأ خلق الإنسان ثم يميتـه ثم يعيده يوم القيامـة للحساب، وهو وحده القـادر على هذا وفـاعله، فيكـون وحده هو الإلـه الحق المستوجـب العبادة وليـس ما يعبدون من دونه.

ثم إنه لم كان مفاد هذا هو ظهور انصراف قلـوبهم عن الحق، بمعنى تماديهم فى الإفك، فإنـه ﷺ يقول لهم «فـأنى تؤفكـون» استفهام إنكـارى تعجبى آخر مـن انصرافهم عـن الحق الظاهر إلى الباطل يكون منهم بقلب الحق باطلا والباطل حقا .

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾

التفســـــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ أمر إلـى رسول الله ﷺ أن يقيم حجة أخرى على المشـركين تدل على خطل عقيدتهم وغياب عقولهم فى شركهم بالله، فهو ﷺ يسألهم «هل من شركائكم من يهدى إلى الحق» ولما كانت الهداية إلى الحق تتطلب نزول الكلمة من الله تعالى على رسول مصطفى يكون منه البلاغ ثـم يكون من الهادى أن يفتح قلب من أبلغ لـلإيمان، وهذا جميعه لا يتصور أن يكـون من غير الله تعالـى، مما كان مفتـرضا معه أن تكـون إجابة المشركيـن على السؤال هى «لا»، فإنه ﷺ يجيب على السؤال بقوله ـ بأمر ربه ـ «الله يهدى للحق» إجابة فيها القول الفصل بـأنه تعالى وحـده الذى يكون منه هذا. ثـم يجىء قوله ﷺ «أفمـن يهدى إلى الحـق أحق أن يتبـع أمن لا يهـدى إلا أن يهدى» وهـو سؤال تضمـن إجابتـه ودليل صحتهـا المثبت خطـأ عقيدة الشـرك بالله تعـالى. فمعنى السـؤال أن الذى يهـدى الناس إلـى الحق بكلامه ويرسـل الرسل للإبلاغ به ويفتـح القلوب للإيمان هو وحده المستحـق العبادة وليس غيره ممن لا يهتدى ولا يهـدى غيره إلا إذا وفقه ربه إلى الهدى، وهذا فى شـأن ما عبد من دون الله تعالى مـن الملائكة ومن الخلـق مثل عزيـر ومثل المسيح عليـه السلام، وليس فـى شأن الأصنام التى لا تدرك شيئا لأنها محض جمادات .

ثم يجىء قول رسول الله ﷺ لهم «فما لكم كيف تحكمون» وهو استفهام إنكارى آخر يفيد

التعجب من حكمهم بالباطل الذى حكم العقل ببطلانه إذ يقضى العقل بعبادة الهادى لكونه قادرا ، وليس غير الهادى لكونه عاجزا .

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ تقرير لحال المشركين وما هم به فى شأن عقيدتهم، يقول تعالى «وما يتبع أكثرهم إلا ظنا» .

بمعنى أن أغلب المشركين يسيرون على عقيدتهم بطريق الاتباع دون إعمال عقولهم فى شىء، وأنهم فيما يتبعون يستندون إلى أدلة ظنية لاتقوم على واقع وإنما على أوهام وإن تمثلت فى الأخذ بالقياس، ومن ذلك مثلا الاعتقاد فى كون الأصنام نائبة عن أشخاص صالحين أقيمت لهم.

وأن الصالح يدعو لله فيستجيب له، وأنهم بعبادتها يدعو لهم أصحابها فيستجاب لهم ويشفعون لهم عند الله فيشفع لهم، ومنه مثلا أنه لما كان المسيح عليه السلام قد أحيا الموتى، وكان المحيى هو الله فإن المسيح يكون هو الله .

وقوله تعالى «إن الظن لا يغنى من الحق شيئا» مفاده أن العقيدة المبنية على أساس خاطىء لاتوصل إلى الحق، فيكون القول بيانا لسبب فساد عقيدة المشركين .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن الله عليم بما يفعلون» هو وعيد للمشركين، والمعنى أنهم مسئولون عن اتباعهم الباطل لأنه تعالى أنعم عليهم بنعمة العقل فكفروا بها وبعث إليهم نبى الله بالحق وهو القرآن العظيم فأصموا آذانهم عن الذكر وعصوا الرسول فاستحقوا العذاب .

■■■■

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى اتباع المشركين الظن أوصلهم إلى فساد العقيدة، فإنه تعالى يخبر فى الآية عن اليقين وهو القرآن الحكيم ، الذى طلب المشركون من رسول الله أن يبدله في إشارة إلى كونه منه ﷺ.

فأخبر تعالى ــ فى الآية ـ عن أن العقول تدرك أنه كلام الله المنزل على رسوله ﷺ بيقين، فهو بمبناه وفحواه لا يقدر على أن يأتى به غير الله تعالى تضمن القصص وأنبأ بالمستقبل، وتضمن الأحكام وأخبر بحقائق العلم فى بلاغة يعجز عنها أهل البيان.

ثم إنه جاء مصدقا بالكتب من توراة و إنجيل وصحف، تضمن ما جاءت به فى شأن العقيدة، وشرع الأحكام فأبقى على ما جاءت به شريعة موسى مما يوافق الزمان ونسخ منها ما لم يعد موافقا تطور الزمان فكان مصدقا بالكتب، ونزل على نبى من بنى إسماعيل عليه السلام على نحو ما ذكرت التوراة والإنجيل أنه ينزل على نبى من إخوة بنى إسرائيل أمى فيبلغه شفاهة، فكان مصدقا للكتب مثبتا صدقها فيما أخبرت به.

وجاء بالشريعة مفصلة على النحو الذى تكون معه صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان فدل على أن المنزل هو خالق الإنسان العالم بما يصلح له، ولذلك جاء قوله تعالى «لا ريب فيه من رب العالمين» لإثبات أنه لا يشك عاقل فى أنه كتاب الله يعجز عن أن يأتى بمثله أحد ولو اجتمعوا له .

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

التفســــــير:

قوله تعالى «أم يقولون افتراه» هو قوله تعالى فيه يبين زعم المشركين فى القرآن العظيم وهو أن رسول الله ﷺ أتى به من نفسه ونسبه إلى الله تعالى افتراء عليه، فكأن معنى القول هو «بل يقولون افتراه» .

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يتحدى المشركين ـ لإثبات زعمهم ـ أن يأتوا بسورة تماثل إحدى سور القرآن العظيم «قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين» يدعوهم ﷺ أن يأتوا بسورة تماثل إحدى سور القرآن العظيم وأن يستعينوا على هذا ببلغائهم وعلمائهم ومستلهمين معبوداتهم، فإن أتوا بسورة مثل إحدى سور القرآن العظيم كان لهم أن يزعموا أنه مما يقدر عليه بشر. والقول بهذا المعنى قاطع بعجز المشركين عن أن يأتوا بسورة تماثل إحدى سور القرآن العظيم، بما يقطع بكذب زعمهم وما يقولون .

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

التفســــــير:

تضمن قوله تعالى ـ فى الآية ـ ذكر سبب تكذيب المشركين بالقرآن العظيم كتابا منزلا من الله تعالى، كما تضمن تمثيلا لحالهم، وانتهى بتوعدهم بجزاء تكذيبهم .

فقوله تعالى «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله» هو بيان لعلة عدم إيمانهم بالقرآن العظيم كتابا منزلا من الله تعالى، فهو قد تضمن ما يخالف ما عرفوه فى عقيدتهم الباطلة بتضمنه قواعد التوحيد وذكر البعث والجزاء.

كما تضمن أخبارا عن أحوال السابقين، ومعلومات علمية، وأحكاما فى المعاملات لا يعرفون عنها شيئا، وهم بإصرارهم على الكفر لم يعملوا على فهم القرآن بالاستماع إليه والتدبر، ولهذا فإنه لم يأتهم تأويله، بمعنى أنهم لم يفهموا أحكامه. والمعنى المستفاد من هذا هو أن من أحاط علمه بما تضمن القرآن العظيم من أخبار وعلوم وأحكام، واستمع إليه

وتدبر ما سمع وفهم معانيه، لا بد له أن يـؤمن به إذا لـم يكن ممن استكبروا وأصروا على الكفر عنادا من أنفسهم .

وقوله تعـالى «كذلك كذب الـذين من قبلهم» هـو تمثيل لحال المشركين بحـال مكذبى الرسل والكتب التى أنـزلت إليهم والصحف من قبل، أصم الجميع آذانهـم عن سماع كلمة الحق من ربهم وأصروا على الكفر.

ثم يجيء قوله تعـالى «فانظر كيف كان عاقبة الظالمين» خطـابا إلى رسول الله ﷺ والمراد به أن يعيه كل من لـه قلب سليم، أن ينظر فيما آل إليه مصير مكذبى الـرسل والكتب من قبل، إذ حل فيهـم عذاب الـدنيا واستحقـوا عذاب الآخرة، فيكـون قولـه تعالـى وعيدا للمشـركين المكذبين بسوء المصير، مصيرا يماثل مصير سابقيهم من المكذبين .

وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

التفسـيـر:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ إخبار عن حال المشركين الـذى يكونون عليه من بعـد إحاطتهم بالقرآن العظيم علما وبعد فهمه بالعلم بتأويله.

يقول تعالى «ومنهم من يـؤمن به ومنهم من لا يؤمن به» بمعنى أنه يكـون منهم من يؤمن به فى نفسه ولا يعلن هذا رغم علمه بأنه من عند الله تعـالى، كما يكون منهم من يؤمن به فى قلبه ويعلن إيمانه به فيكون من المؤمنين.

ثم إنه يكون منهم من لا يؤمن به فى نفسه فيكون إعلانه الكفر مماثلا ما فى قلبه، وهذا هو حال الذين غابت عقولهم وأصروا على الكفر واختاروه .

وقوله تعـالى «وربك أعلم بالمفسـدين» تضمن وصف الذيـن صدقوا بالقرآن فـى قلوبهم وكفروه بألسنتهم والذين كفروا به فى قلوبهـم ونطقت بالكفر ألسنتهم بأنهم المفسدون، أخبر تعالى بأنه الأعلم بهم، فيكون القول وعيدا لهم بالعذاب جزاء على كفرهم .

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾

التفسير:

الخطاب ـ في الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ، جاء في جملة شرطية أداة الشرط فيها «إن» وفعله هو تكذيب المشركين رسول الله ﷺ، وجواب الشرط هو رد رسول الله ﷺ عليهم بما أمره ربه أن يقول لهم.

ومعنى القول أنه إذا أصر المشركون أو بعضهم على تكذيبك فيما أبلغت به من القرآن العظيم فأنكروا أنه من عند الله تعالى، أو كذبوا أنك نبي الله، فليكن منك التبرؤ منهم وإعلانهم بمبدأ أن الكل مؤاخذ بما يكون منه، فقوله تعالى « فقل لي عملي ولكم عملكم» مفاده أنه ﷺ مستمر على عمله الذي كلفه به الله تعالى والذي به يسأل، كما أنهم لهم أعمالهم التي يسألون بها وعنها. وقوله « أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون» هو تأكيد لمبدأ المسئولية الشخصية عن الأفعال . فهو ﷺ غير مسئول عن إصرارهم على الكفر كما أنهم غير مسئولين عن فعله. وقيل إن المعنى أنهم غير مطالبين بالاستجابة إلى دعوته ﷺ، وأن هذا الحكم قد نسخ بآية السيف.

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

التفسير:

الخطاب في الآية إلى رسول الله ﷺ وهو في شأن بعض المشركين وبيان علة عدم مسئولية رسول الله ﷺ عن إصرارهم على الكفر. يذكر تعالى أن كثيرين من المشركين يستمعون إلى إبلاغ رسول الله ﷺ لكنه لا يكون منهم الإيمان بما يسمعون، ثم يبين تعالى علة

عدم إيمانهـم فيذكر أنهم أصموا آذانهـم عن الذكر، وأصـابت عقولهم آفة فهـى لا تعى مما تسمع شيئـا. فيكون القـول مثبتا غيـاب عقل مـن يستمع إلـى القرآن العظيـم ولا يلين قلبـه للإيمان.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

التفســـير:

الخطاب إلى رسول الله ﷺ ، والقول لا يزال فى شأن الذين يصرون على الكفر رغم وضوح الأدلة على نبوة الـرسول ونزول الكتاب من رب العالميـن . يذكر تعالى أن من المشـركين من ينظر إلـى دلائل النبوة فى رسـول الله ﷺ وما يعاين مـن آيات دالة علـى نبوته، لكنـه يغمض عينيه عما يرى، مـع فقده البصيرة ، لا يكون لمثله أن يهتدى إلى الحق فيـؤمن . فيكون القول مثبتا عدم مسئولية رسول الله ﷺ عن إصرار مثل هؤلاء على الكفر.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ فى إثبات مسئولية المشركين المصرِّيـن على الشرك عن شركهم واستحقاقهم العذاب بفعلهم. فهو تعالى لم يظلمهم شيئا أعطاهم الحواس التى بلغتهم عن طريقهـا دعوة رسـول الله ﷺ، وأنعم عليهـم بالعقـول التى تميـز الحق مـن البـاطـل ، لكنهم بإرادتهم أغلقوا أعينهـم عن رؤية الحق، وأصموا آذانهم عن الاستماع إليـه، وحجبوا عقولهم عن فهم مادعوا إليه، واختاروا الكفر وفضلوه على الإيمان .

فاستحقوا عدلا أن يعذبوا بما فعلوا، فكانوا لأنفسهم ظالمين.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى الكافرين المكذبين، يخبر تعالى عما يكونون عليه يوم أن يحشروا إليه ، يشعرون أن ما قضوا فى الحياة الدنيا أو ما قضته أرواحهم فى البرزخ هو زمن غاية فى القصر لا يجاوز ساعة من ساعات النهار الملموسة والظاهرة ، وأنه لهذا يكون منهم التعارف بعضهم على بعض بمجرد بعثهم من القبور قبل أن يشتد هول الموقف فيذهلهم، يكون التعارف لعدم الإحساس بطول الزمن ومقتاضاه النسيان وعدم التعارف.

ثم إنه تعالى يثبت خسارة الذين كذبوا بلقاء الله وهم الذين لم يعملوا ليوم الحساب عمله، فعملوا على كسب متاع الحياة الدنيا وباعوا أخراهم فما ربحت تجارتهم، لم يهتدوا إلى ما فيه الكسب، واختاروا طريق الخسارة، تجارتهم التى اشتروا بها دنياهم وباعوا فيها آخرتهم ، فما كانوا مهتدين.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ يخبره تعالى بحتمية تعذيبه المشركين المكذبين ، سواء أشهد ذلك رسول الله ﷺ بعض ما قدر لهم من العذاب بما يقع منه فى الدنيا فى حياته ﷺ ، أم لم يشهده، إذ يجىء قوله تعالى « فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون» مصرحا بأنهم يرجعون إليه تعالى فيلقون حسابهم ، وأنه تعالى شهيد على أعمالهم عالم بها مجازيهم عليها ما يستحقون. فيكون القول إثباتا لتعذيبه تعالى المشركين فى الدنيا والآخرة.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

التفسير:

قيل فى معنى الآية أنه إفادة منه تعالى أنه يكون لكل أمة من خلقه يوم القيامة رسولهم يؤتى به ليشهد عليهم بالكفر والإيمان، ثم يكون القضاء فى أمرهم من بعد شهادته عليهم بالعدل، فيكون الفوز للمؤمنين والعذاب للكافرين، فيكون قضاؤه تعالى هو العدل ليس فيه ظلم لأحد.

والذى نراه أن القول يتضمن - إلى جانب هذا - معنى آخر، مفاده أنه تعالى قد بعث فى كل أمة رسولا فى الحياة الدنيا .

وأنه قبل بعثه تعالى الرسل لا يكون منه تعذيب، فإذا ما بعث تعالى الرسول وأبلغ أمر ربه وبين الأوامر والنواهى كان حسابه تعالى للخلق فيكون تعذيبه الكافرين عدلا ليس فيه ظلم لهم لانتفاء حجتهم أنهم لم يعلموا الحق فضلوا عنه، فيكون القول - بهذا المعنى - متعلقا بحال المشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - موجه إلى رسول الله ﷺ . يخبره تعالى بقول الكافرين فى شأن ما توعدهم به تعالى من عذاب فى الدنيا ، فهم يستعجلون حلوله بهم ليثبتوا بعدم حصوله عدم صحة الوعيد، ولهذا فإنهم يقولون للمؤمنين « متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» بمعنى «إن كنتم صادقين فيما توعدوننا به فليأتنا الله بعذابه الذى توعدوننا به » . فالقول من المشركين تحد للمؤمنين.

قُلْ لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - أمر إلى رسول الله ﷺ بما يقوله للمشركين الذين طلبوا - على سبيل التعجيز - حلول عذابه تعالى بهم، والذى يقوله لهم رسول الله ﷺ « لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله ».

هو اثبات لعجزه عن أن يأتى بعمل ضار يصيب الكافرين أو عمل ينفع المؤمنين من تلقاء ذاته وبقدرته الشخصية، و إثبات لأنه ﷺ يقدر على هذا إذا شاء تعالى له أن يقدر على هذا، فيكون مرجع الحال إلى مشيئته تعالى بها تكون القدرة واردة على العجز الذى هو الأصل.

والقول بهذا المعنى يتضمن إثباتا للطبيعة البشرية لرسول الله ﷺ

وقوله ﷺ - بأمر ربه «لكل أمة أجل» هو بيان لاختلاف الأمم التى استحق عليها عذاب الدنيا بعضها عن بعض فيما يتعلق بموعد حلول العذاب بهم، فمنهم من يقدم لهم العذاب ويعجل، ومنهم من يؤخر لهم ويرجأ، لحكمة لا يعلمها إلا مقدر الأمور.

وقوله ﷺ « إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» هو بيان لعجز الأمم التى حق عليها عذابه تعالى عن تأخيره عن الموعد الذى حدده تعالى لحلوله بهم ولو لفترة قصيرة من الزمان، وعجزهم عن تقديمه على موعده.

فيكون مفاد القول هو انعدام قيمة تحديهم أن يحل بهم عذاب الله.

■■■■■

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ يأمره ربه أن يقول للمشركين - من بعد بيان أن تعذيبه تعالى الأمم المكذبة رسلهم يكون فى الوقت الذى قدره لهذا بمشيئته تعالى - «أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا» بمعنى أن عذابه الدنيوى الذى يستعجلونه قد يجيئهم على حين غفلة منهم يكون ذلك ليلا أثناء نومهم أو نهارا أثناء اشتغالهم بأعمالهم، وفى الحالين يكونوا فى غفلة عما ينزل بهم.

ثم يقول لهم ﷺ «ماذا يستعجل منه المجرمون» والقول يفيد التعجب من موقف المشركين الذين يستعجلون حلول العذاب بهم مع كونه شرا لهم، مما يدل على مدى حمقهم وجهلهم، ثم إن القول يثبت عليهم صفة الإجرام باستعجالهم العذاب ويثبت بالتالى صفة العقوبة لفعله تعالى بهم جزاء على فعلهم.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١﴾

التفسير:

لا يزال الخطاب إلى رسول الله ﷺ متعلقا بما يقوله للمكذبين الذين استعجلوا حلول عذاب الله تعالى بهم يقول لهم - بأمر ربه - «أثم إذا ما وقع آمنتم به» جاء القول فى صيغة استفهام أريد به إظهار جهلهم وحمقهم وإثبات أنهم إذا ما حل بهم عذابه تعالى يصدقون بما توعدهم الله به ويؤمنون أن الوعيد كان من منزل القرآن، أو أنهم يبدون إيمانهم قسرا من هول ما يعانون من العذاب .

وقوله ﷺ « آلآن وقد كنتم به تستعجلون» هو لوم لهم على تأخيرهم الإيمان إلى اللحظة التى لم يعد يجديهم فيها نفعا، ومزيد من بيان حمقهم لما يرون من آثار العذاب بهم وقدكانوا

يستعجلون حلوله بهم من قبل ، فيكون القول دليلا على تمنيهم ألا يكون قد حل بهم وعلى ندمهم على ما كذبوا به من قبل وكانوا به يستعجلون.

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

التفسير:

الذى نراه هو أن « ثم » جاءت لبيان ما يكون مع المكذبين الذين استعجلوا حلول عذاب الله بهم ، وأنها ـ مقروءة مع عذاب الخلد ـ تفيد الإخبار عن عذاب الآخرة لأنهم يخلدون فيها فى العذاب . فيكون معنى القول أنه يقال لهم يوم القيامة منه تعالى « ذوقوا عذاب الخلد» أى عاينوا مبدأ العذاب ، ويتصور أن يقال لهم القول عند حلول عذاب الدنيا بهم، فيكون مجرد تقدمة وتذوق لعذاب الآخرة الذى يخلدون فيه .

ثم إنه يقال لهم « هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون » والمعنى أن عذابهم إنما كان بصفتهم الذين ظلموا ، ظلموا أنفسهم بالكفر وظلموا أنفسهم باستعجال العذاب من بعد إنكاره، فارتكبوا الإثم وكسبوا به ما يستوجب عقابهم، فكان ذوقهم مبتدأ العذاب، وكان خلودهم فيه هو جزاء ما قرفوا وما به ظلموا أنفسهم .

۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

التفسير:

يخبر تعالى ـ فى الآية ـ عما يكون من بعض منكرى العذاب أو منكرى الدعوة، يستخبرون رسول الله ﷺ عن صحة العذاب الذى توعدوا به، وقد يكون استخبارهم عن العذاب من قبيل السخرية والاستهزاء لأن إثباته لايكون بالإقرار ولا بالقسم، كما قد يكون

منهم تعبيرا عن إنكارهم وقوع العذاب بهم.

ثم إنه ﷺ يقول لهم ـ بأمر ربه ـ «إى وربى إنه لحقٌّ» ، و « إى » حرف جواب وتصديق بمعنى نعم، يؤكده ﷺ بالقسم ، يقوله مغضبا بسبب سؤالهم وبسبب بواعثه. ثم يتبعه بقوله « وما أنتم بمعجزين » مؤكدا لهم أنهم لن يعجزوا الله تعالى هربا من العذاب ولا منعا له.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى شأن المكذبين الذين استعجلوا عذاب الدنيا يحل بهم، يذكر تعالى أنهم حين يعانون عذاب الآخرة يتمنون لو كان فى مقدورهم تجنبه بطريق الافتداء بما ملكوا ولو كان ما ملكوا هو كل خيرات الأرض. فقوله تعالى « ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الأرض لافتدت به » مفاده أن المكذبين الذين استعجلوا العذاب ظالمون، ظلموا أنفسهم بكفرهم وبطلبهم استعجال عذاب الدنيا. ويبين من أداة الشرط « لو» أنهم ليس لهم ملك ما فى الأرض ، وأنه لو كان لهم لكان منهم تقديمه على أمل أن يفتدوا به أنفسهم من العذاب، وأنه لو كان هذا وذاك لما تقبل منهم.

ثم يذكر تعالى أنهم يسرُّون الندامة فى أنفسهم فيغتمون أسفا على ما بدر منهم فى دنياهم من كفر ومن استعجال العذاب ، وأن هذا يكون منهم لدى رؤيتهم العذاب ومعاينتهم شدة أهواله.

كذلك يذكر تعالى أنه يكون القضاء فى شأن أصحاب النفوس الظالمة هؤلاء بالعدل، فهم يجزون بأفعالهم من كفر واستهزاء بالوعيد بطلب استعجال العذاب الذى توعدوا به، وجزاؤهم هو عذاب الخلد فى النار، لا يكون فى إيقاعه بهم ظلم لهم لأنهم لا يجزون إلا ما

كانوا يفعلون.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

التفسير:

جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ مرتبطا بذكره تعالى عدم ملكية المكذبين ما فى الأرض وأنه لو كان مملوكا لهم لحاولوا افتداء أنفسهم من عذاب الله بتقديمه فدية، وجاء مرتبطا بتكذيبهم حلول عذاب الله تعالى بهم. فجاء القول فى المقارنة بين عجزهم وبين قدرته تعالى لإثبات أنهم ينكرون مقدورا.

فهو تعالى مالك ما فى السماوات والأرض ، وجاء التعبير عن المملوك ـ بـ «ما» لبيان تضمنه غير العاقلين، فيكون شاملا المجرات والمجموعات الشمسية والكواكب والجسيمات ، ولا يشك عاقل فى أن خالق كل هذا ومسيره قادر على تعذيب من يشاء تعذيبه بما يريد من العذاب وقتما يريد وعلى النحو الذى يريد ولهذا يكون جميع ما وعد به حقا واقعا لقدرته تعالى عليه وامتناع القدرة على منعه لدى غيره تعالى، ويدخل فيما وعد به توعده الكافرين المكذبين بالعذاب.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ « ولكن أكثرهم لا يعلمون» هو إثبات الجهل بمعرفة حقائق العلم، وحدود قدرتهم وهى العجز عن منع قضاء الله فيهم ، ومبلغ قدرته تعالى التى لا انتهاء لها ولا حد، وذلك لحجبهم عقولهم عن التفكير والتدبر، وبيان لأن قولهم ما قالوا إنما كان نتيجة جهلهم هذا ، فهو الباطل نتاج الجهل .

﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى ذكر مظهر من مظاهر قدرته تعالى لبيان الدليل على جهل

الذين استعجلوا العذاب إنكارا منهم له، فهو تعالى يثبت أنه المحيى والمميت فى الحياة الدنيا، يخلق الحياة فى الأرحام ثم يخرج المولود حيا ثم إنه تعالى يميته فى الأجل الذى حدد. ثم إنه الذى إليه يرجع الأموات فى الآخرة بعد إحيائهم ثانية من بعد موتهم. فيكون المعنى أن القادر على الإحياء والإفناء فى الدنيا تستمر قدرته على هذا إلى الآخرة، وأن المخلوقات القابلة أن تبعث فيها الحياة وأن تنتزع منها قابلة بطبيعتها لأن تبعث فيها الحياة بعد موتها، لا يكون هذا البعث إلى الحياة ثانية إلا من صاحب القدرة عليه وهو الله تعالى، يرجع إليه الناس ليحاسبوا وليلقوا جزاءهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

أولا : الأسماء:

١ ـ **الموعظة** : فى قوله تعالى «قد جاءتكم موعظة» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ التذكير بالثواب والعقاب الذى يلين به القلب، وقيل هو الزجر المقترن بالترهيب .

٢ ـ **الشفاء**: فى قوله تعالى «وشفاء لما فى الصدور» هو الدواء .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو رجوع فى أسلوب الخطاب من الترهيب إلى الترغيب، قصد به استمالة القلوب إلى الإيمان، ولهذا خفت حدة الخطاب وجاء القول موجها إلى الناس، وفى القول يذكر تعالى أنه قد جاء الناس موعظة من ربهم، بمعنى أن ربهم راعيهم والمقدر مصالحهم قد أنزل على رسوله ﷺ كتابا ـ هو القرآن العظيم ـ فيه ما يحبب الإيمان إلى قلوبهم ويحثهم عليه، وأن فيه ما يشفى القلوب من أدران الكفر وهو مرض النفوس الذى يرديها فى الجحيم، كما أن فيه شفاء النفوس من الحسد والتباغض، ثم إنه هدى إلى الحق وإلى دين الحق الإسلام هو الصراط المستقيم الموصل إلى الجنة، ولهذا فإنه يكون رحمة للمؤمنين لأنه يجنبهم عذاب الله تعالى ويدخلهم جنته .

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾

أولا : الأسـماء:

١ ـ فضل الله : فى قوله تعالى «قل بفضل الله» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو القرآن العظيم.

٢ ـ الرحمة: فى قوله تعالى « بفضل الله وبرحمته» قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الإسلام .

ثانيا : التفسـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ ، جاء من بعد ذكره تعالى بعض حقيقة القرآن العظيم، فأمر تعالى رسوله ﷺ أن يظهر للناس أنهم يجب عليهم أن يبتهجوا بإنزاله تعالى القرآن العظيم على رسوله ليكون لهم موعظة وشفاء لما فى الصدور وليكون هاديا إلى الإسلام ورحمة للذين به يؤمنون. فيكون قوله تعالى « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» مفيدا وجوب ابتهاج القوم بما تفضل به عليهم من إنزاله القرآن إليهم على رسوله ﷺ وبالإسلام دينا بهدى إليه القرآن العظيم ، ثم أعيد ذكر وجوب الابتهاج بهذا والاحساس بالسعادة وإظهارها لتأكيد المعنى « فبذلك فليفرحوا» ويكون سبب الفرح هو تجنب عذاب النار ودخول الجنة.

وقوله تعالى « هو خير مما يجمعون » هو إثبات لكون مسبب الفرح والبهجة وهو القرآن العظيم ودين الإسلام، وما يوصلان إليه من تجنب العذاب ودخول الجنة هما الأفضل من جميع ما يجمعه الجامعون من خيرات الحياة الدنيا، إذ تكون هذه إلى فناء، أما ما يورثه القرآن العظيم وما يكسبه الإسلام فهو النعيم الخالد لا يدانيه خير يعمل له ولا مال يجمع.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩﴾

التفسـير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلى رسول الله ﷺ ، يأمره ربه أن يقول لمشركي مكة « أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا» والقول فيه تذكير بأنه تعالى الذي خلق وأوجد مارزق به الناس من أنواع الرزق، جاء التعبير عنه بالنزول، وربما كان هذا لأن الرزق قدر في السماء فكان الارتزاق نتيجة لما سبق تقديره في السماء، وربما كان لأن كل رزق قد نتج عن المطر بما في ذلك ما في باطن الأرض من ثروات من فحم وبنزول ومعادن ، إذ إن الفحم والبترول مصدرهما النبات والحيوان خلقوا من الماء وبالماء عاشوا وكذلك المعادن تكونت من عناصر لولا الماء ما كانت .

ثم يقول لهم رسول الله ﷺ « فجعلتم منه حراما وحلالا» وهو نعي عليهم أفعالهم بتحريمهم من أنفسهم مالم يحرم الله تعالى عليهم مثل البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليلهم ما حرم الله مثل أكل الخنزير وشرب الخمر والجمع بين الأختين.

وقوله ﷺ لهم « آلله أذن لكم أم على الله تفترون» هو استفهام إنكاري يفيد أنهم فعلوا ما فعلوا من أنفسهم أو اتباعا لأسلافهم ثم نسبوا التحريم والتحليل إلى الله تعالى افتراء عليه وكذبا.

وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠

التفسـير:

قوله تعالى « وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة» هو بيان لغياب عقول الذين يفترون على الله الكذب بتحريمهم ما أحل وتحليلهم ما حرم ونسبتهم هذا إليه تعالى، حتى أنهم لايدرون عاقبة فعلهم التي يلقونها يوم القيامة فيكون المعنى المباشر للقول هو «ماذا يعتقد الذين يفترون على الله الكذب أن يكون حالهم يوم القيامة » فيكون القول مشيرا إلى حتمية لقائهم العذاب يوم القيامة .

ثم يجيء قوله تعالى «إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون » ليبين أن الذين عليهم العذاب هم من الذين لا يشكرون نعم الله عليهم وما تفضل به عليهم، فقد تفضل تعالى عليهم بنعمة العقل، ورحمهم بأن أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب وأرشدهم الرسل إلى ما فيه صلاحهم، ودلوهم على ما أحل الله وما حرم ، ثم كان من أكثر الناس عدم الشكر و إحلال الكفر محل الإيمان والطاعة، ومنهم الذين حرَّموا ما أحلَّ الله وأحلوا ما حرمه.

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

أولا : الأسمـــاء:

الشأن : فى قوله تعالى «وما تكون فى شأن» هو الخطب والأمر.

ثانيا: التفســير:

قوله تعالى - فى الآية - خطاب إلى رسول الله ، والقول تقريرى يثبت أنه ﷺ لا يكون مشغولا بأمر ما إلاَّ وكان تعالى مطلعا عليه خلال هذا، وأنه إذا استوجب منه الأمر الذى شغل به تلاوة القرآن العظيم للتعريف بحكمه فى الأمر، أو كان انشغاله ﷺ هو بتلاوة القرآن العظيم فإنه تعالى يكون مطلعا عليه كما يكون هذا منه تعالى مع كل عمل يعمله رسول الله ﷺ وأمته ، إذ يكون تعالى معهم فيه شاهدا إيَّاهم شاهدا عليهم وهم قائمون به وعليه ثم يجيء قوله تعالى « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين » إثباتا لإحاطة علمه تعالى بكل ما يحدث فى السماوات والأرض ، جاء بطريق نفى عدم العلم به وجاء التدليل على شمول الإحاطة كل شيء وكل

عمل ببيان اشتمالها ما يكون من شئون « الذرة» تكون فى السماء أو فى الأرض كذلك فإنه ثبت تعالى أن علمه بما يكون من الذرة وما هو أصغر منها وماهو أكبر منها هو علم أزلى سابق على حدوث المعلوم ، وذلك على ما يبين من سبق كتابته وتدوينه في اللوح المحفوظ.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾

أولا : الأسماء:

أولياء الله : جمع، مفرده «ولى الله» وهو من قرب من الله تعالى بالعبادة والطاعة، يكون من المؤمنين المخلصين دينهم ، وقيل هو المحبُّ الله.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى فى تبشير المؤمنين الذين أخلصوا دينهم وهو حث للمؤمنين على التقرب من الله تعالى والعمل على نيل رضائه، إذْ يقرر القول أن المؤمنين الخالصين الذين تقربوا لله تعالى بالطاعات ينالون رضوانه تعالى فتكون لهم الكرامة والزلفى لديه تعالى، وعندئذ ، أو عند بلوغهم هذه الدرجة من القرب يحق لهم ألا يكون منهم خوف ولا حزن، والمقصود بهذا أنهم لا يخافون ولا يحزنون يوم القيامة ، ولا يمنع هذا أن يكون منهم الخوف والحزن فى الحياة الدنيا ، فهم يخافون الله تعالى فى الدنيا ولا يأمنونه لأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، كذلك فإنهم يحزنون لأسباب دينية، إذْ أنهم لا تهمهم الحياة الدنيا. ثم يكون منهم أنهم لا يحزنون لعدم تحصيلهم متع الحياة الدنيا، لأنهم جنوا ما يفوقها فى الآخرة، ولأن ما فاتهم من متع الدنيا لا يساوى لديهم شيئا يحزن عليه.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾

التفسير:

القول فى وصف أولياء الله، يذكر تعالى أنهم الذين آمنوا ، فهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله هواليوم الآخر، وهم الذين يتقون غضبه، بالعمل بالطاعات وتجنب المعاصى لا

يفترون، يداومون على الطاعة لا تتخلل طاعتهم معصية و إن لم يكونوا معصومين بحكم أنهم من غير الأنبياء .

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

التفسير:

يذكر تعالى بقوله الحق أنه يكون لأولياء الله تعالى البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، والبشرى تكون بالإخبار عن الخير، تكون لهم فى الدنيا بأن تأتيهم الملائكة عند الموت بالرحمة «تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة» وتكون لهم فى الآخرة بأن تتلقاهم الملائكة مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وبإعطائهم صحفهم بأيمانهم وبقراءتهم ما فيها.

ثم إنه تعالى يثبت حتمية حصول البشرى لهم فى الدنيا والآخرة بقوله تعالى «لا تبديل لكلمات الله» والمعنى أن هذا الذى وعد به تعالى أولياءه هو من كلام الله تعالى المحقق الثبوت، والذى لا يعتريه تبديل أو تغيير، فهو لا بد محقق حادث واقع، ثم يذكر تعالى أن تبشير أولياء الله هو ـ فى حد ذاته ـ الجدير أن يدعى الفوز العظيم، فيكون تحقق المبشر به فوزا عظيما لا يقاس به فوز آخر من باب أولى.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، جاء من بعد تبشيره تعالى أولياء الله أن لهم البشرى فى الحياة الدنيا والآخرة، وتعقيبا على ما كان يلقاه رسول الله ﷺ من أذى من المشركين وأصحابه ومنهم أولياء الله، وهو إيذاء بالقول. فجاء قوله تعالى بالنهى عن الحزن بما أساء به المشركون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه .

ثم جاء قوله تعالى «إن العزة لله جميعا» بمثابة بيان لسبب النهى عن الحزن ببيان انتفاء أسبابه وهى حصول الضرر، إذ أن إثبات العزة جميعها لله تعالى مفاده امتناع إيذاء رسول الله ﷺ وأصحابه ومنهم أولياء الله تعالى على أحد.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «هو السميع العليم» وفيه ذكر لصفتين من صفاته تعالى يفيد أنه تعالى يسمع قول المشركين المكذبين ويعلم ما فى قلوبهم فيجازيهم به، ويعلم أحوال المؤمنين فيعزهم بعزته فيكون منه تعالى تأييدهم ونصرهم على عدوهم .

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾

التفسير:

بعد أن أثبت تعالى لرسوله ﷺ أنه بعزته تعالى كافى المؤمنين شر أذى المشركين، فإنه تعالى أثبت أن جميع من فى السماوات والأرض من مكلفين من ملائكة وإنس وجن هم من مملوكات الله تعالى خاضعين لأمره فيهم والحديث عنهم بأنهم من ملكه تعالى يستوجب اعتبار من هم دونهم من غير المكلفين من مملوكات الله تعالى، والمعنى أن أحدا من خلقه أو شيئا مما خلق لايقدر أن يرد بأسه عن المكذبين ولا أن يحول دون عزته رسول الله والمؤمنين .

ثم إنه تعالى يثبت أن ما يعبد المشركون لايقدر أن يساعدهم بشىء، فهم لم يعبدوا شركاء الله فى خلقه بالحق. وإنما قالوا بكونهم شركاء باعتقادهم الخاطىء، جاء التعبير عنه بأنه محض ظن، ثم إنه تعالى وصف اعتقادهم وقولهم بشأنه بأنه مجرد تخمين وكذب. فكأن القول مقارنة بين رب المؤمنين معزهم بعزته ، وبين ما عبد المشركون مما لا حول له ولا قوة، لا يعصمهم مما أراد بهم ربهم من العذاب من شىء .

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى التدليل على أنه تعالى القادر على كل شىء دون غيره، فهو مالك كل شىء والمتصرف فى كل أمر ومن آيات قدرته أنه خلق الليل مظلما ليكون فيه سكون الناس وهدأتهم، وخلق النهار مبصرا لتكون فيه الحركة ويكون فيه السعى.

وقوله تعالى «إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون» فيه إشارة إلى خلق الله السماوات والأرض، وإلى الآيات التى تضمنت ذكر هذا وذكر آياته تعالى فى الخلق وآياته فى قرآنه العظيم.

وأثبت تعالى أنها الحجج والأدلة الدالة على ألوهيته تعالى وتوحيده، وصف تعالى المؤمنين بها بأنهم قوم يسمعون، لبيان أن سماع القرآن العظيم مع التدبر يكفل للسامع إيمانا صحيحا إن لم يكن ممن أصر على الكفر ران على قلبه .

قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

التفســـــير:

قوله تعالى فى المشركين الذين تمثل شركهم فى نسبة أبناء لله تعالى، فمنهم الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، ومنهم الذين قالوا ـ من اليهود ـ إن عزيرا ابن الله، ومنهم الذين قالوا من النصارى إن المسيح ابن الله .

يثبت تعالى بطلان قولهم وكذبه بقوله تعالى «سبحانه هو الغنى» فهو تعالى ينزه ذاته العليا عن قول المشركين.

ويثبت غناه عن الاستعانة بأحد، ومن هذا غناه عن أن يكون له ولد.

ثم يجىء تأكيد غناه عن أحد وعن شىء بإثباته تعالى أن كل ما حوت السماوات والأرض من مكلف وغير مكلف هو من مملوكات الله تعالى. ومالك الخلق لا يحتاج

مملوكاته ولا يتخذ منهم الولد ولا الشريك .

ثم يجيء قوله تعالى «إن عندكم من سلطان بهذا» وهو استفهام أريد به إقامة الحجة على انعدام الدليل لدى القائلين ببنوة المخلوقات لله تعالى على قولهم وبيان انعدام الدليل لديهم على صحة زعمهم.

وقوله تعالى «أتقولون على الله ما لا تعلمون»، هو تأكيد لمعنى انعدام الدليل على صحة زعم القائلين. وتقريع لهم وتوبيخ على ترديد قول باطل عدموا دليل صحته.

قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

التفسير:

الخطاب ـ في الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ، والقول في شأن هؤلاء الذين قالوا إن الله اتخذ ولدا، يثبت تعالى أنهم بقولهم هذا يفترون على الله الكذب .

ثم إنه تعالى يثبت حكما عاما مفاده أنه لا يكون فلاح لمن يفترى عليه الكذب وعدم الفلاح معناه عدم تحصيل نجح في أمر من الأمور.

والمراد بالفلاح هو الفلاح في أمور الدين وبلوغ ثوابه تعالى في الآخرة .

مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في الكذب الذي يفتريه القائلون باتخاذه تعالى ولدا، يذكر تعالى أن قولهم هذا متاع لهم في الحياة الدنيا، والمعنى أنهم يحصلون من قولهم الباطل على منافع دنيوية هي التي اقتضت منهم أن يقولوا قولهم، وقد ثبت أن بيَّنَّا الظروف التي أحاطت بمؤتمر نيقية التي صاحبت صدور القرار بنبوة المسيح عليه السلام لله تعالى، وكيف تعلق

هذا بخلافات بين القساوسة والكهنة وتغليب رأى فئة على أخرى، مما مفاده أن صدور القرار تعلق بنزاعات وخلافات ولم يبتغ به وجه الحق .

وقوله تعالى «ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون» يفيد أن مآل هؤلاء القائلين قول الباطل هو الرجوع إليه تعالى للحساب، وأنه مقرر في شأنهم أنهم معذبون بقولهم هذا - بحد ذاته - عذابا شديدا، ثم إنه تعالى وصف قولهم بأنه كفر أكسبهم صفة الكافرين ، فيكون بقولهم عذابهم باعتبارهم كافرين

○ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾

أولا : الأسماء:

١ - **المقام** : في قوله تعالى «إن كان كبر عليكم مقامي» المراد به - في معنى الآية - هو مكان الإقامة، جاء تعبيرا عن الذات .

٢ - **الغمة**: في قوله تعالى « لايكن أمركم عليكم غمة» هي التغطية والاستتار، والمراد بها - في معنى الآية - ضيق الأمر الذي يوجب الغم.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - في الآية - موجه إلى رسول الله ﷺ يأمره تعالى أن يقص على المكذبين ما كان من شأن المكذبين بالرسل السابقين ليكون في ذلك عظة لهم لعله يؤمن منهم بعضهم خوفا من أن يحيق به مثلما حاق بالمكذبين.

جاء فيه الأمر بذكر قصة نوح عليه السلام، ثم إنه قد يكون فى ذكر هذه القصة باعث على إيمان البعض وتصديقهم برسول الله ﷺ، ذلك أنه لما كان ﷺ لم يقرأ شيئا عن روايته عليه السلام فى التوراة، فإن إخباره عنها يكون مفاده أنه قد أوحى إليه بها، يكون هذا دافعا إلى التصديق به ممن يعمل عقله ويبنى الأحكام على أسبابها .

وتبين العظة المراد إيصالها من رواية قصة نوح عليه السلام مع قومه مستمدة من قوله لقومه ما يعتبر من قبيل التحدى لهم أن يصيبوه بما يكره، على كثرتهم وقوتهم، وانفراده وضعفه. فهو عليه السلام يقول لهم إنه إذا كان قد شق عليهم وجوده بينهم، وفعله المتمثل فى تذكيرهم بآيات الله التى أنزلها عليه ليؤمنوا بها، وتذكيرهم بآياته تعالى فى الخلق ليؤمنوا بها ويتركوا عقائدهم الباطلة وإشراكهم بالله تعالى، فإن اشتداد أمره عليهم لا يعنيه شيئا ولا يخيفه منهم لأنه عليه السلام قد اعتمد على الله تعالى وأوكل إليه أمره .

ثم إنه عليه السلام يتحداهم أن يضروه مجتمعين بشىء، فهو يحضهم على أن يجمعوا أمرهم عليه بأن يتواطؤوا عليه ، وأن يستعينوا عليه بما أشركوا من دون الله .

والقول بهذا المعنى يتضمن تلميحا بعجز هؤلاء الذين عبدوهم من دون الله تعالى ـ ثم يطلب منهم عليه السلام أن يجاهروه بما عقدوا عليه عزمهم، ويقبل القول أن تكون المجاهرة بالقول أو بتنفيذ ما عقدوا عليه أمرهم من فعل لإيذائه، لا يخفونه فى نفوسهم فيكون عليهم غمة؛ ولهذا فإنه عليه السلام يأمرهم بتعجيل تنفيذ ما يتآمرون به عليه دون أن يمهلوه «ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون» .

فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾

التفسـيـر:

القول من تتمة قول نوح عليه السلام لقومه، يقول لهم «فإن توليتم فما سألتكم من أجر»

والمعنى أنه يقول لهم إنهم إذا أعرضوا عن دعوته من بعد أن تبين لهم ما يدل على صدق نبوته فإنه لن يضيره إعراضهم في شيء ولن يضره شيئا، فما هو مسئول عن إعراضهم واستمرارهم على الكفر، كما أنه لن بفقد مصلحة كان مقدرا له أن يحصل عليها منهم إذا هم آمنوا، فضلا عن أنهم لا يؤدون إليه أجرا ما يعظهم به.

فيكون المراد بالقول هو إثبات أن الفائدة من دعوته إياهم للإيمان تعود إليهم خالصة من أى غرم يغرمونه، وأنه عليه السلام لا يحصل منهم على فائدة مقابل دعوتهم للإيمان.

ثم إنه عليه السلام يثبت لهم أن أجره على الدعوة عنده تعالى، وهو أجر الرسل على الإبلاغ، وأنه قد أمر من الله تعالى أن يكون من المسلمين، والمراد بالمسلمين الذين أسلموا لله وجوههم فعبدوه وحده لم يشركوا به شيئا.

والقول يدل على أن من يدعو بأمر صالح يجب أن يكون قدوة لمن يدعوهم فيكون منه الإيمان بما يدعو له، والعمل به .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى ذكر باقى قصة نوح وقومه، يذكر تعالى أن قومه كذبوه فهم لم يؤمنوا له على طول مدة دعوته إياهم للإيمان، وعظم ما بذل فى سبيل إقناعهم، وطول معاناته معهم وصبره عليهم.

ويذكر تعالى أنه أنجاه ومن صحبه معه فى الفلك، وقيل إنهم كانوا نحو ثمانين رجلا وامرأة، والمستفاد من تقريره تعالى أنه أنجاه وهؤلاء أن باقى قومه قد أهلكوا.

وذكر تعالى أنه استخلف هؤلاء الذين كانوا مع نوح عليه السلام فى الفلك فى الأرض، خلفوا الذين كانوا قبلهم.

ثم يذكر تعالى كيفية إهلاكه قوم نوح بقوله تعالى «وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا» فبين تعالى أنه أهلكهم بإغراقهم .

ثم يجيء قوله تعالى — فى ختام الآية - «فانظر كيف كان عاقبة المكذبين» خطابا إلى رسول الله ﷺ، على أن يفهم المراد به كل من له عقل يذكر فيعقل.

فيكون القول مشيرا إلى عاقبة مكذبى الرسل، متضمنا تخويفا للمشركين بسوء المصير إذا هم بقوا على إصرارهم على الكفر مع ظهور الآيات واستمرار الدعوة لهم للإيمان .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - إخبار عام بما كان منه تعالى مع الناس من بعد نوح عليه السلام، فيقول تعالى «ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم» بمعنى أنه تعالى كان يرسل الرسل إلى أقوامهم ليبلغوهم الدعوة بلسانهم فيفهمونها .

والقول يبين أن كل رسول كان يبعث إلى قومه وحدهم، فلزم منه العلم أن محمدا ﷺ هو الذى أرسل للناس كافة .

وقد اختلف فى شأن نوح عليه السلام وما إذا كان قد أرسل إلى قومه فقط أم إلى الناس أجمعين فقيل إنه أرسل إلى قومه فقط، ولا يمنع هذا أن يكون الطوفان قد أصاب جميع الناس وأهلكهم، وقيل إنه أرسل إلى الناس جميعا.

وقيل إنه لم يرسل إلى أهل الصين وما جاورها وأن هؤلاء لم يصبهم الطوفان .

ويثبت تعالى أن الرسل قد أتوا أقوامهم بالبينات والآيات الدالة على صدقهم وأن أقوامهم لم يؤمنوا لهم لأنهم أصروا على الاستمرار على الكفر الذى كانوا عليه قبل أن تأتيهم رسلهم بالبينات، وأنه لم يكن لهم أن يؤمنوا بما كذبوا به من قبل أن تأتيهم رسلهم

بالبينات .

فالقول يثبت أن العناد حائل يحول دون الاقتناع وإن قامت على صحته الأدلة والبراهين لدى من أصر على الباطل .

ثم يأتي قوله تعالى «كذلك نطبع على قلوب المعتدين» بيانا لأنه تعالى يطبع على قلوب المعاندين المصرين على الكفر ويختم عليها فلا يكون منهم إيمان.

فالقول يثبت على المصرين على الكفر مع ظهور الآيات الداعية للإيمان صفة مجاوزة الحدود والاعتداء، ويثبت فى حقهم أنهم بإصرارهم على الكفر استحقوا أن يختم تعالى على قلوبهم فلا يؤمنون ليكون عذابهم «جزاء بما كانوا يعملون» .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه أرسل من بعد نوح رسلا إلى أقوامهم، جاء ذكره تعالى أنه بعث من بعد هؤلاء الرسل.

والمراد هو من بعد بعضهم ـ موسى وهارون إلى فرعون وملئه ـ وهم أشراف قومه ـ .

والذى نراه أنه ورد ذكر إرسال موسى وهارون إلى فرعون وقومه بهذا النص الخاص، لأن فرعون وقومه لم يكونا قوم موسى عليه السلام إذ كان قومه بنى إسرائيل الذين بعثهم إليهم بالتوراة .

ويذكر تعالى أن موسى وهارون جاءا فرعون وقومه بآيات الله الدالة على نبوتهما، ومنها العصا واليد واللعنات.

فكان من فرعون وقومه الاستكبار والتعالى وعدم الإيمان، وهو جرم استحقوا به عذاب الله تعالى فى الدنيا بإغراقهم .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾﴾

أولا: الأسماء:

الحق: المراد به ـ فى معنى الآية ـ الآيات التى جاء بها موسى عليه السلام. وهى العصا واليد، وهى التى من أجلها دعا فرعون السحرة لتحدى موسى عليه السلام بسحرهم.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ استئناف لذكر قصة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون وملئه. يقول تعالى إنه لما جاء فرعون وقومه الحق، وهو ظهور دليل نبوة موسى عليه السلام مما أظهره من تحول عصاه إلى ثعبان عظيم، وإخراجه يده من جيبه بيضاء للناظرين، أنكر فرعون وقومه الدليل الواضح أمام أعينهم ووصفوا معجزة الله تعالى بأنها سحر بين ووصفوا موسى عليه السلام بأنه ساحر. فهم لم يؤمنوا بما كذبوا به من قبل.

﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ استئناف لرواية موسى وهارون مع فرعون وقومه، يقول تعالى إن موسى عليه السلام قال لفرعون وقومه على سبيل الاستفهام الإنكارى « أتقولون للحق لما جاءكم إنه سحر» ، ثم يقول لهم مستطردا «أسحر هذا» والمعنى أن ما يراه فرعون وقومه ليس سحرا ولا يصح القول إنه سحر، ثم يؤكد قوله ومضمونه بقوله « ولا يفلح الساحرون» فهو ينفى عن نفسه أن يكون ساحرا لأن الساحر كافر لا يفلح عمله، وهو نبى لا يتصور أن يكون منه الكفر. فيكون القول إثباتا لأن ما يرون هو معجزة من معجزات الله تعالى التى يؤيد بها أنبياءه ورسله.

قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية يتعلق بإجابة قوم فرعون على موسى عليه السلام ، قالوا له « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض» بمعنى أنهم نسبوا إلى موسى وهارون عليهما السلام أنهما استهدفا بدعوتهما إبطال عقيدة قوم فرعون فى عبادة غير الله تعالى التى وجدوا عليها آباءهم وساروا على نهجهم فيها، وإنهما استهدفا تحقيق مجد شخص لهما فى أرض مصر ليكون لهما الأتباع الذين يمكنونهم من الملك والسلطان . ثم إنهم بعد هذا يحبطون مسعاهم بالتأكيد لهما أنهم لن يؤمنوا لهما مهما شاهدوا من الآيات.

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ قول فرعون الذى قاله من بعد أن أبدى قومه رأيهم بأنهم لن يؤمنوا بموسى وهارون. والقول قول فرعون وحده لأنه أمر ملكى أمر به بصفته. ومضمونه جلب كل ساحر عليم فى أرض مصر ليقيم المنافسة بين السحرة وبين موسى لإثبات السحر على موسى عليه السلام وتحقيق هزيمته وانتصار السحرة بزعمه واعتقاده.

فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى «فلما جاء السحرة» هو أنه تلبية لأمر فرعون بجمع السحرة، حضر السحرة مجلس فرعون المحدد بمكانه ووقته، وقد جيء بهم من كل أنحاء مصر، ويبين من القول أنه تعلق بما كان من إجراء النزال بين السحرة وبين موسى عليه السلام .

إذ قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون، أظهر قوته وعدم خشيته فعالهم وصنيعهم فترك لهم أمر إبداء فنون سحرهم جاء التعبير عنه بإلقاء ما يرون إلقاءه من عصى وحبال وغيرها .

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - ما قاله موسى عليه السلام للسحرة من بعد إلقائهم عصيهم وحبالهم، ويبين من عبارة القول أنه عليه السلام قال لهم هذا قبل أن يلقى عصاه. والذى قاله لهم هو أن ما جاءوا به هو من قبيل السحر الذى لا يعدو أن يكون سحر الأعين، يهيأ لها عكس الحقيقة والواقع.

أتبعه عليه السلام ببيان أن السحر ضعيف بالمقارنة إلى معجزات الله تعالى، وأنه لما كان عليه السلام مؤيدا من ربه بالمعجزات فإنه يكون مقدرا لفعلهم الذى هو السحر أن الله سيبطله ويفسد أثره.

ثم إنه عليه السلام بين علة هذا بإثباته أن الله تعالى لا يصلح عمل المفسدين. ويقبل القول أن يكون المراد بالمفسدين هم فرعون وملئه الذين حسبوا أن السحرة يهزمونه، ويقبل أن يكون المراد بهم هم السحرة الذين مارسوا السحر. والقول يتضمن حكما عاما، مفاده بطلان عمل المفسدين فى الأرض بالضرورة .

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

التفسير:

القول قول موسى عليه السلام بأمر ربه، قيل بمناسبة جمع السحرة له، فله معنى يرتبط

بالمناسبة التى قيل فيها، وهو إلى جانب هذا تتضمن حكاما عاما. فالمعنى المتعلق بمناسبة القول هو أن الله تعالى سينصر موسى على السحرة فيبين للناس أنه جاء بالحق من إله حق، وأن هذا يكون منه تعالى بالكلمة، فهو تعالى قد وعد أن ينصر رسله، وقوله الحق، وهو تعالى إذا قال للشىء «كن» فإنه يكون .

والحكم العام الذى أتى به النص، هو أنه تعالى يظهر الحق على الباطل وإن أمهل المبطلين، وأن حكمه تعالى فى هذا قد سبق بالكلمة، ويكون بالكلمة. وأن هذا يتم بمشيئته تعالى ولو كره المبطلون، يدخل فيهم فرعون وملؤه، ويدخل فيهم السحرة ـ فى المعنى الخاص بمناسبة القول. ويدخل فيهم جميع العاملين بالباطل ومناصرونه، دعاهم تعالى بالمجرمين، فدل على أن مناصرة الباطل إجرام يستوجب العقاب .

فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

أولا: الأسـماء:

العالى: فى قوله تعالى ـ «إن فرعون لعال فى الأرض» هو المرتفع. والمراد به ـ فى معنى الآية ـ صاحب الرتبة العالية، يكون له بها إنفاذ أوامره، فيكون الغالب والقاهر فى الأرض . والمراد بالأرض هو أرض مصر.

ثانيا: التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ ذكر لحدث وقع بعد أن نصر تعالى موسى عليه السلام على السحرة، فيقول تعالى «فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم». وقد قيل إن المراد بالذرية ـ فى معنى الآية ـ هم أبناء بنى إسرائيل دون آبائهم، وقيل إنهم أولاد قوم فرعون، كما قيل إن «الملأ» هم ملأ فرعون والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن الذرية ـ

فى معنى الآية ـ هم ذرية قوم فرعون، وأن «الملأ» هم الذين مالؤوهم من بنى إسرائيل. بيان ذلك أن موسى عليه السلام قد كلف أول ما كلف من أعمال الرسالة ـ بعد أن سار بأهله وآنس من جانب الطور نارا ـ بالتوجه بالدعوة إلى فرعون وقومه على ما يبين من الآيات من ٢٩ ـ إلى ٣٢ من سورة القصص، والآيتين ١٠ و ١١ من سورة الشعراء، والآية ٢٤ من سورة طه، وأنه تعالى أنزل عليه صحفا أبلغ بها «ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا * فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا». والمعلوم أن التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام والتى أبلغ بها بنى إسرائيل قد أنزلت عليه بعد ذلك أثناء وجوده عليه السلام وبنى إسرائيل فى سيناء بعد الخروج من مصر. فيكون المطلوب منهم الإيمان هم الذين دعوا إليه وقتذاك وهم قوم فرعون. فيكون مفاد قوله تعالى أنه لم يؤمن وقتذاك لموسى إلا بعض نسل قوم فرعون .

ثم إنه تعالى يذكر أن هؤلاء الذين آمنوا بموسى من قوم فرعون قد آمنوا خائفين من فرعون وأتباعه، جاء ذكر فرعون وحده لكونه رأسهم فكان الحديث عنه حديثا عنهم باعتباره ممثلا لهم، فيكون الضمير فى «وملئهم» عائدا على فرعون وأتباعه. ويكون هذا الملأ هم الذين مالؤوا فرعون وقومه من بنى إسرائيل الذين كان موسى عليه السلام معهم خوفا من بطش فرعون بهم، خشى الذين آمنوا بموسى عليه السلام أن ينقلوا أمرهم إلى فرعون، والشىء الذى خافه الذين آمنوا بموسى عليه السلام هو أن يفتنهم فرعون، بمعنى أن يعذبهم. ويقبل القول أن يكون الملأ من قوم فرعون، يعلمون خبر المؤمنين فينقلونه إلى فرعون.

ثم يذكر تعالى علة خوف الذين آمنوا بموسى عليه السلام من فرعون وفتنته أو عذابه بقوله «و إن فرعون لعال فى الأرض و إنه لمن المسرفين» بمعنى أنه صاحب الكلمة المسموعة فى أرض مصر الذى تنفذ كلمته وأنه المتجاوز حدود الظلم، فيكون المتصور أنه بإسرافه فى الظلم يأمر بتعذيب الذين آمنوا أشد العذاب، ولأنه صاحب الكلمة المسموعة النافذة فى أرض مصر تنفذ أوامره بالعذاب الشديد .

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾

التفســــير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ قول موسى للذين آمنوا على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم، دعاهم بأنهم قومه «يا قوم» وعند القائلين إن المؤمنين كانوا من بنى إسرائيل فإنه عليه السلام يكون قد ناداهم بصفتهم قومه على الحقيقة. وعندنا أنه اعتبر المؤمنين قومه وإن كانوا من قوم فرعون لأن بينهم وبينه رابطة الإيمان أو الأخوة فى الدين .

يقول لهم «إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين» ذلك أن مقتضى إيمانهم بالله تعالى هو إيمانهم بأنه تعالى قادر على أن يرد عنهم بأس فرعون الذى يخشونه وإيمانهم بأنه تعالى وحده كافيهم، وهذا يستوجب منهم اللجوء إليه تعالى والاعتماد عليه، ثم إنه عليه السلام يحضهم على هذا التوكل على الله بقوله «إن كنتم مسلمين»، والمراد بإسلامهم هو تسليمهم أنفسهم إليه تعالى بالتصديق والإخلاص، ليكون منهم الإخلاص فى الدين لله، وليكون منهم بالتالى التوكل على الله .

فَقَالُوا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾

التفســــير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ ما كان من الذين آمنوا من بعد قول موسى عليه السلام لهم، فالفاء فى قوله تعالى «فقالوا» تبين ترتب قولهم على قوله عليه السلام . ومضمون قولهم هو تصديقهم بما قال لهم موسى، وإقرارهم بأنهم مسلمون ولذلك قالوا «على الله توكلنا» بمعنى أنهم اعتمدوا عليه وحده لينجيهم من ظلم فرعون وأتباعه، ثم إنهم توجهوا إلى ربهم بالدعاء «ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين» نادوه تعالى بـ «ربنا» إعلانا عن إيمانهم أنه تعالى راعيهم، ثم سألوه ألا يجعلهم محل فتنة القوم الظالمين، بمعنى ألا يقع اختبار إيمانهم بتعذيب القوم الظالمين لهم، أو بمعنى ألا يفتنهم القوم الظالمون عن دينهم، والمراد بالظالمين هم فرعون وأتباعه استحقوا بكفرهم أن يدعوا ظالمين .

وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ تتمة دعاء الذين آمنوا بموسى عليه السلام، سألوا ربهم أن ينجيهم من الكافرين عموما، يدخل فيهم فرعون، والذين مالؤوه، ويدخل فيهم غيرهم، إذ قد يؤذى هؤلاء إيمان المؤمنين فيكون منهم إيذاؤهم أو يكون منهم نقل أخبارهم إلى فرعون فينتقم منهم، وفى صيغة الدعاء ما يفيد إيمانهم بأن أمل المؤمن هو الدخول فى رحمته تعالى، بها تكون نجاته مما يراد به من شر فى الدنيا، وبها يكون ثوابه فى الآخرة .

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ **البيوت**: فى قوله تعالى «أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا» قيل إن المراد بها هو البيوت أو المنازل، وقيل إنها المساجد أو أماكن العبادة .

٢ ـ **القبلة** : قيل إنها بمعنى «مصلى» وقيل هى الاتجاه إلى الكعبة، وقيل الاتجاه إلى بيت المقدس.

ثانيا: التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما أوحى به إلى موسى وأخيه هارون، ومضمون ما أمرهما به عن طريق الوحى هو أن يتخذا لقومهما من بنى إسرائيل أو لهم وللذين آمنوا بموسى من قوم فرعون بيوتا يسكنون فيها منفردين أو منعزلين عن قوم فرعون، وأن يجعلوا فى هذه البيوت أماكن للصلاة، أو أن يتجهوا فيها إلى القبلة التى كانت إليها الصلاة، والمشهور أنها كانت إلى بيت المقدس. وإن كنا نرى أنها كانت إلى الكعبة، دليلنا على ذلك أنه لم تكن الشريعة الموسوية قد شرعت وقتذاك إذ لم يكن سبحانه وتعالى قد أنزل التوراة بعد على موسى عليه السلام فكان عليه السلام على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذى بنى الكعبة وصلى إليها واتخذها قبلة، وقد شرع لقوم موسى الصلاة فى بويتهم نظرا لتربص فرعون بالمؤمنين

بموسى مما اضطرهم إلى عدم الصلاة فى معابد يتخذونها، أو لهدمه معابدهم. وقد جاء الأمر الإلٰهى بأن تكون هذه البيوت ذات القبلة التى تجوز فيها الصلاة بمصر، فظهر أن سبب هذا هو عدم القدرة على الصلاة فى المعابد، فيزول الحكم الاستثنائى بمجرد مغادرة أرض مصر، يدعم رأينا هذا أمران: أولهما أن الأرض لم تجعل مسجدا وطهورا إلا لأمة رسول الله ﷺ، وأنه قد ورد فى التوراة التى بين أيدينا اليوم أنه تعالى أمر موسى وهارون ببناء معبد يعبد فيه فى سيناء لدى خروج بنى إسرائيل من مصر.

ثم إنه تعالى أمر بإقامة الصلاة، وهى صلاة إبراهيم عليه السلام، التى أمر بها يعقوب بنيه من بعد إبراهيم «ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون».

ثم إنه تعالى يذكر أنه كان مما أوحى به تعالى إلى موسى وهارون، أن يبشر كل منهما المؤمنين بتحقق ما دعوا به الله تعالى من نجاة فى الدنيا من القوم الكافرين، والتبشير بثواب الآخرة بحكم الدعاء بالدخول فى رحمته تعالى.

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

التفسير:

الآية فيما خاطب به موسى عليه السلام ربه بعد أن عاين خوف الذين آمنوا على إيمانهم من فرعون وملئه فيذكر تعالى أنه ناجى ربه قائلا «ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك» فهو عليه السلام يقول ما عاينه من أنه تعالى أغدق الخيرات على فرعون وملئه فآتاهم ما يتزينون به من فاخر الثياب والمعدن النفيس والركائب

كما آتاهم الأموال، جاءت فى القول نكرة منونة للتدليل على تنوعها وعظمها، وجاء ذكرها بعد ذكر الزينة من قبيل ذكر العام بعد الخاص .

ثم إنه عليه السلام يذكر العلاقة بين إنعامه تعالى على فرعون وملئه بما أنعم وبين ضلالهم بقوله «ربنا ليضلوا عن سبيلك» ويتصور أن تكون اللام فى «ليضلوا» هى لام التعليل، فيكون المعنى أن الإنعام عليهم بالنعم قد أدى إلى طغيانهم واستكبارهم فكان ضلالهم، أو أن يكون الإنعام عليهم سبيلا لاستدراجهم إلى العذاب، ويتصور أن تكون لام العاقبة، فيكون المعنى هو «فيعقب ضلالهم إنعامك عليهم» .

وبعد ذلك فإنه عليه السلام يدعو على فرعون وملئه «ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم» والدعاء جاء بإذهاب سبب طغيانهم وهو غناهم، وبتشديد قسوة قلوبهم لأنها سبب وقوع العذاب بهم فقال «ربنا اطمس على أموالهم» بمعنى إهلاكها، أو تغيير وجهتها من نفع إلى ضر، وقيل فى هذا إنها تحولت حجارة ـ وهذا لم يقم عليه دليل ـ كما قال «واشدد على قلوبهم» بمعنى «زدها قسوة» والقلوب القاسية هى التى لا تخشع لذكر الله، ولهذا بين عليه السلام علة دعائه عليهم بهذا بقوله «فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم» فيكون الدعاء بأن تستمر قلوبهم قاسية وأن تزداد قسوة إلى أجل معين هو حلول العذاب الذى استحقوه بكفرهم عليهم، فإذا كان منهم إيمان بعد ذلك فإنه لا يقبل منهم .

ودعاء موسى عليه السلام عليهم بما دعا لا يعنى أنه استحسن الكفر فدعا به، وإنما يعنى أنه وقد أيس من إيمانهم دعا بأن ينتقم الله منهم ليكونوا لمن بعدهم آية .

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

التفسـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أنه بعد أن دعا موسى عليه السلام على فرعون وملئه أنه تعالى قال

«قد أجيبت دعـوتكما» نسب الدعـاء إلى موسى وهـارون، وقد يكون هذا لكـون هارون وزيرا لموسى فيكـون قول موسى بالـدعاء مصروفا إليـه بحكم تبعيته له، وقد يكـون لأن هارون كان يؤمِّن على دعاء موسى فنسب الدعاء إليهما معا، ثم إن قوله تعالى يفيد إعلامه موسى وهارون عليهما السلام أنه قد استجاب للدعاء.

ثم إنه تعـالى قال لهما «فاستقيمـا ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمـون»، والخطاب تضمن أمرا كما تضمن نهيا. والأمـر هو بالاستقامة، والمراد بها الاستمرار في الطـريق الذى هما عليه وهو طريـق مستقيم، إذ هو الدعـوة للإيمان بالله وتوحيـده وعدم الشرك به، والإقنـاع بالحجة، وعدم استعجال حلـول العذاب بفرعون وملئه. والنهى هـو عن اتباع طريق الـذين لا يعلمون، وجاءت «النون» في «تتبعان» للتأكيد، فهى نون التوكيد، وحركت لالتقاء الساكنين، واختير لها الكسر لأنها شابهت نون الاثنين .

والمعنى هـو النهى عـن اتباع سبيل الـذين لا يعلمـون حكمة الله تعالـى التى قـد تقتضى إمهال من حق عليه العذاب، أو تأجيل إنزاله بـالمعذبين، فيعتقدون أنه لا يحل بهم عن عدم ثقة بوعد الله ووعيده. والنهى عن اتباع سبيل الـذين لا يعلمون لا يعنى أن موسى وهارون ممن يجوز عليهم اتباع هذه السبيل، ولكنه جاء لتأكيـد النهى عن استعجال حلول العذاب بفرعون وملئه، وطمأنة موسى وهارون إلى حتمية وقوع عذابه تعالى بفرعون وملئه .

○ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في ذكر حلول عذابـه تعالى بفرعون وملئه، لم يكن بعد فراغ موسى وهارون من الـدعاء مباشرة، وإنما كان فـى الأجل الذى حدده الله لهذا، والـذى حدث هو أن موسى عليه السـلام خرج ببنى إسرائيل ليلا مـن رعمسيس إلى سكوت وعندما شعـر بهم قوم

فرعون وبلغه خبرهم فإنه تبعهم بجيشه عند البحر ظلما منه وعدوانا ففزع بنو إسرائيل، فأمر الله تعالى موسى أن يضرب بعصاه البحر فضربه فانفلق البحر اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم، فسار كل سبط فى طريقه إلى الساحل المقابل، وخلفهم فرعون وجنوده، فلما عبر بنو إسرائيل غشى فرعون وجنوده من اليم ماغشيهم فغرقوا، ويذكر تعالى أنه لما أدرك فرعون الغرق، بمعنى أنه لما أدركته مقدمات الغرق وأيقن أنه هالك به، أعلن إيمانه بالله تعالى، وصفه بأنه الذى آمنت به بنو إسرائيل لأن بنى إسرائيل آمنوا وقتذاك بالله تعالى على حين كان غيرهم يعبدون أربابا مخلوقة، كما قال إنه من المسلمين الذين أسلموا نفوسهم إليه تعالى. وقد قيل إن جبريل عليه السلام أخذ من طين البحر ورمله ما سد به فم فرعون حتى لا يشهد بالتوحيد خشية أن يرحمه الله تعالى. والواضح من الرواية أن إيمان فرعون كان إيمان اليأس الذى لا يُقبل من العبد .

﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ٩١﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآية أنه قيل لفرعون عندما أعلن إيمانه بالله وإسلامه «آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» وقيل إن القائل هو الله تعالى، وقيل هو جبريل عليه السلام، وقيل هو ميكائيل. والاستفهام إنكارى يتضمن التوبيخ، فهو إنكار لأن تكون التوبة فى الوقت الذى لا تقبل فيه وتوبيخ على إرجائها، وقوله تعالى «وكنت من المفسدين» فيه تقريع لفرعون على عصيانه وإفساده فى الأرض. وإذ كان القول قد وجه إلى فرعون، إلا أن مفاده هو حكم عام وهو وجوب التعجيل بالتوبة والإيمان وعدم تأخيرهما إلى وقت ألا يكون فيه قبول

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ٩٢﴾

.التفسـير:

القول هو ما قيل لفرعـون عند الغرق،ومعنى قوله تعالى «فاليوم ننجيـك ببدنك لتكون لمن خلفك آية» أنه تعالى قـدر عليه الموت غرقا ثم يكون منه تعالى إخـراج جسده من البحر بعد خروج الـروح منه، وأنه أريد بهـذا أن يكون آية يأخـذ منها من يـأتى بعده من الخلـق العظة، فيعلم أنه ما من أحد بلغ من القوة ما بلغ إلا وهو أضعف عن أن يحمى نفسه مما قدر الله عليه من العذاب، فهو مملوك للملك الحق. وقيل إن معنى التنجية هو إلقاء الجسد على مرتفع من الأرض بحيث يراه بنو إسرائيل فيتيقنوا من هلاكه، فيكون الجسد دليلا لهم على فنائه.

ويجىء قوله تعالـى «و إن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون» مـرجحا أن الآية تكون لمن يأتى بعد فرعون من الأقوام، وذلك لإثباته تعالى أن كثيرا من خلقه يرون الآيات ثم لا يعقلونها فتأخذهـم الدنيا فلا يؤمنـون أو أنهم يرجئون إيمانهـم إلى وقت ألا تقبل منهم تـوبة ولا إعلان إيمان .

وجدير بالذكر ـ فى هذا المقام ـ أن نذكر أن القائلين بأن رمسيس الثانى هو فرعون الخروج استدلوا من موميائه المحفوظة على أنه مات غـرقا، فكما قيل إنه وجدت أظافره متآكلة نتيجة قبضه على صخور قاع البحـر، وأن عضو الذكورة فيه وجد به آثار جروح فسـرت بأنها من نهش السمك. ورأينـا أنه لا يتصـور أن يكون رمسيس الثـانى هـو فرعون الخـروج لأن إبراهيـم عليه الصلاة والسـلام جاء مصـر فى عصـر أول ملوك الأسـرة الهكسوسيـة الأولى، وبيـن إبراهيـم وموسى عليهما السلام ستة أجيال، وكان عدد ملوك الأسرة الهكسوسية الأولى ستة ملوك، وقد جاء رمسيس بعد آخر ملوك الأسرة الهكسوسيـة الأولى بمئات السنين، كما أن رمسيس الثانى وقومه لم يكونوا يتكلمون لغة بنى إسرائيل وقتـذاك وهى الأرامية على حين كانت هذه هى لغة الهكسوس، وهو تعالى يذكر أنه لا يرسل نبيا إلا بلسان قـومه، ثم إنه تعالى يثبت أنه دمر فرعون وقومه وما كانوا يعرشون، ولا تزال آثار رمسيس الثـانى باقية إلى اليوم، على حين درست جميع مبـانى الأسـرة الهكسوسيـة الأولـى. ولذلـك رأينـا أن فرعـون الخروج هـو آخـر ملوك الأسـرة الهكسوسية الأولى التى حكمت مصر.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

أولا: الأسماء:

المبوأ : فى قوله تعالى «ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق» هو المنزل، من البيئة، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ فلسطين التى نزلوها من بعد موسى، كانت المنزل والمحل لهم .

ثانيا: التفسير:

بعد أن ذكر تعالى ما أنعم به على بنى إسرائيل بأن أنجاهم من فرعون وجنوده، فإنه تعالى يذكر نعمة أخرى أنعم بها عليهم تمثلت فى تمكينهم من دخول فلسطين أو بيت المقدس وقتذاك مع يوشع بن نون، واستقرارهم فيها زمنا واتخاذها منزلا ومأوى، وصف تعالى مأواهم هذا بأنه «مبوأ صدق» والمراد به هو صلاحيته لهم وطيب عيشهم فيه، كما يذكر تعالى أنه رزقهم من الطيبات التى فاءت عليهم بها الأرض بأمره تعالى.

ثم إنه تعالى يذكر أنهم كانوا على اتفاق فى الأمر إلى أن جاءهم العلم بالتوراة. ويقبل المعنى أن يكون أنهم كانوا على رأى واحد فى شئون العقيدة عندما كانوا متبعين رسولهم موسى عليه السلام، فلما مات موسى ودرسوا التوراة وقع الاختلاف بينهم فى شأن أحكامها، كما يقبل أن يكون أنهم كانوا على اتفاق فى شأن ما جاءت به التوراة وما ذكره لهم موسى عليه السلام فى شأن التبشير برسول الله سيدنا محمد ﷺ، ثم كان منهم الاختلاف فى هذا بعد وفاة موسى عليه السلام ودراستهم التوراة مع اختلاف أهواء دارسيها والمعلمين .

وقوله تعالى «إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» مفاده أنه يكون

قضاؤه فيهم يوم القيامة هو المبين صاحب العقيدة الصحيحة من صاحب العقيدة الباطلة ، إذ يثيب تعالى من كان على حق ويعاقب من كان على باطل. ولا يكون على حق بعد بعثة رسول الله ﷺ إلا من آمن به .

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ، يقول له تعالى «فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك» وفعل الشرط فى جملة الآية هو الشك مما أنزل إلى رسول الله ﷺ، وهو لا يجوز عليه ﷺ، فهو من قبيل اشتراط المستحيل مثل ما جاء بقوله تعالى «قل إن كان للرحمن ولد»؛ ولهذا فإنه ـ مع كون الخطاب إليه ﷺ ـ فإن المراد به غيره ممن يتصور فيهم الشك فى كون القرآن العظيم منزلا منه تعالى. وجواب الشرط فى الجملة هو سؤال الذين يقرءون الكتاب من قبل، والمعنى هو أن إجابة هؤلاء ـ والمراد هو الصادق منهم ـ ستؤكد وتدلل على أن القرآن منزل منه تعالى. وقد سبق أن بينا أن التوراة التى بين أيدينا اليوم وأسفارا من العهد القديم تبشر برسول الله ﷺ وتصفه وصفا كاملا وتذكر أنه ينطق بما يوحى به إليه ربه، كما أن الإنجيل الذى بين أيدينا اليوم تضمن مثل هذا .

وقوله تعالى «لقد جاءك الحق من ربك» هو إخبار منه تعالى بأن ما أنزل على رسوله ﷺ هو الحق، منزل من رب العالمين، لا ريب فيه. يجىء من بعده قوله تعالى «فلا تكونن من الممترين» نهيا عن التزلل عن اليقين والتردد فيه. خوطب به رسول الله ﷺ، والمراد به غيره ممن يجوز عليهم التردد فى اليقين .

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾

التفســـــــير:

بعد أن نهى تعالى عن التردد فى اليقين أو عـن مجرد الشك فى أن القرآن العظيم منزل من رب العزة بالحق، فإنه تعالى نهى فى الآية عـن الدخول فى زمرة المكذبين الذين جاوزوا حد الشك إلى التكذيب، والخطاب فى الآية ـ علـى ظاهره ـ إلى رسول الله ﷺ، والمراد به غيره، ينهاهم ربهم عن أن يكون الشك دافعا لهم على التكـذيب يدخلون به فى عداد الذين خسروا دينهم، فيخسرون ما كسبوا بإيمانهم ولا يكون لهم إلا العذاب الأليم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾

التفســـــــير:

بعد أن نهى تعالـى المؤمنين عن الشك فى الديـن يدفعهم إلى التكذيب يـدخلون به فى زمرة الخاسرين، فإنه تعالى يتحدث عن الخاسـرين الذين خسروا من مبتدأ أمرهم لإصرارهم على الكفر لا يتصور أن يكـون منهم إيمان، فيبين تعالى أنه سبق فيهـم قضاؤه وحكمه «كلمة ربك» بالكفر، قدره تعالى عليهم بحكم علمه الأزلى باختيارهم إياه، فكان حتما ألا يؤمنوا .

وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

التفســـــــير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ تتمة لقوله تعالى فى الآية السابقة فهـو تعالى يثبت أن الذين أراد لهم سبحـانه وتعالـى الكفر إرادة علم لا يـؤمنون ولو جـاءتهم جميع الآيـات التى تدفـع إلى الإيمان، يكـون إصرارهـم على الكفـر إلى أجل هـو حلول عـذاب الدنيـا بهم، فيكـون منهم الإيمان وقتئذ حين لا ينفع الإيمان ولا ينجى من عذاب .

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾

أولا: الأســــــــماء:

قوم يونس : سبق ذكر يونس عليه السلام، ونضيف إلى مـا سبق أنه يونس أو يونان بن متى، قيل إنه كـان من سبط بنيامين، و إنه بعث بعد يـوثم بن عزيـا أحد ملوك بنى إسـرائيل، و إنه توفى سنـة خمس عشرة وثمانمـائة لوفاة موسـى عليه السلام، وقومـه هم أهل «نينوى» قبـالة الموصل بينهما دجلة، كانوا يعبدون الأصنام فنهاهم يونس عن هذا وأوعدهم العذاب فى يوم معلوم إن لـم يتوبوا وضمـن ذلك عن ربـه جل وعلا ثـم غادرهم يـونس خشية أن يصيبـه ما يصيبهم، فلمـا رأوه غادرهم ـ وقيـل إنهم لما أظلتهم مقـدمات العذاب آمنوا وردوا المظـالم فكشف تعالـى عنهم العذاب ولم يوقعـه بهم، فلما جاء اليـوم الموعود ولم ير يـونس العذاب حل بهم وكان لم يعلم بـإيمانهم ذهب مغاضبا دخل سفينة أصابها الخطـر فقال ربانها لمن فيها إن بينكـم من له ذنب، وتسـاهموا على من يكـون فيلقونه فـى البحر، فوقعت المسـاهمة على يونس فرموه فالتقمه الحوت، وكان من شأنه ما أخبر تعالى عنه مما سيأتى فى موضعه إن شاء الله .

ثانيا: التفســــــير:

بعد أن أوضح تعالى أن الإيمان عند حلـول العذاب لا يجدى نفعا، جاء الحض على أن يكون الإيمان قبل حلول العذاب والتـوبيخ على تأجيله بقوله تعالى «فلولا كـانت قرية آمنت فنفعها إيمانها» والمعنى هو «فهلا كانت قرية من القرى التى أهلكناها قد آمنت قبل معاينتها العذاب ولم تؤخره، فتنتفع بهذا بأن يقبله الله و يكشف عنها العذاب .

وقوله تعالى «إلا قوم يونس» ومعناه «لكن قوم يـونس» أو «ما آمن أهل قرية إلا قوم يونس»، يذكـر تعالى شأنهـم المخالف شـأن غيرهم من القـرى بقوله تعـالى «لما آمنوا كشفنـا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين» بمعنى أنهم لما آمنوا قبل حلول العذاب بهم، أو لدى ظهور أماراته ، كان منه تعالى أن رد عـذابه عنهم فلم يخزهم بعذاب الدنيا كشفه عنهم، فتمتعـوا بمتاع الحياة الدنيـا بعد كشف العذاب عنهـم إلى انتهاء آجالهـم، أو إلى أن يلقوا مصائرهم فى الآخرة .

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾

التفسـير:

الخطاب فى الآيـة إلى رسول الله ﷺ، وقوله تعالـى يفيد عدة أمور، فهو يشيـر إلى أنه ﷺ كان يرجو أن يؤمـن الناس جميعا له ويحرص على هذا، ويعلم بـأن هذا لا يكون وأنه سيكون هناك من يؤمـن ويكون هناك من لا يؤمن. كما أن القـول يبين علة هذا وهى أنه تعـالى لم يرد هذا للناس إرادة قسر علـى ما يبين من قوله تعـالى «ولو شاء ربك لآمن مـن فى الأرض كلهم جميعا» والمعنى أنه تعالى وقد دعا إلى الإيمان فإنه أراده وشاءه إرادة تفويضية، لكنه لم يرده إرادة قسر؛ وإنـه لهذا كان محتما ألا يـؤمن إلا من سبقت لـه السعادة فى الذكـر الأول بحكم علمه تعالى الأزلى، وأن يبقـى على الكفر من سبقت له الشقاوة فى الـذكر الأول بحكم علمه تعالى الأزلى. ولو كان تعالى قد شاء الإيمـان لكل من فى الأرض من إنس وجن لآمن جميع الناس ولم يكفر أحد .

وقولـه تعالى «أفـأنت تكره النـاس حتى يكونـوا مؤمنين» هـو استفهام إنكارى، ومـوضوع الإنكار هو الحـرص على إيمان جميع النـاس مع مخالفة هـذا لمشيئته تعالى التـى لم تقسر الناس على الإيمان. وجاء التعبير عن حرصه ﷺ على إيمان الناس جميعا بلفظ «تكره» لبيان أنه تعالى الذى يملك الإكراه على الإيمان، وهو معنى «مشيئة القسر»، وأنه تعالى لما كان لم يشأ مشيئة القسر هذه فإنه لا يكون لرسوله ﷺ هذا .

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

أولا: الأســـــــماء:

الرجس : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الكفر، وقيل هو العذاب .

ثانيا: التفســــــير:

معنى قوله تعالى فى الآية أنه من المحال أن تـؤمن نفس من النفوس التى علم تعالى أنها تؤمن أن تؤمن إلا بمشيئتـه تعالى، عبر عن المشيئة بالإذن، وقد يتمثل ــ فى الواقع الملموس ـ فى تيسيره الإيمـان ورفع موانعه، والمستفـاد من النص ـ بمفهـوم المخالفة ـ أنـه ليس لنفس علم تعالى أنها لا تؤمن أن تؤمن مهما تمتعـت بقوة العقل إلا إذا شاء تعالى لها هذا، ولما كان تعالى لم يعلم أنها تؤمن وكانت مشيئته معلقة بعلمه فإنها لا تؤمن .

وقوله تعالى «ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون» مفاده أنه تعالى يجعل العذاب الذى هو جـزاء الكفر نصيـب الذيـن لا يعملون عقـولهم فـى الاستدلال بـا لآيات، والـذين يحـول إصرارهم على الكفر دون تدبر الآيات ، وهؤلاء هم الذين علم تعالى أنهم لا يؤمنون .

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾

أولا: الأســـــــماء:

النـــذر: جمع ، مفرده النذير، والمراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم الرسل، أو الإنذارات .

ثانيا: التفســـــير:

الخطاب فى الآيـة إلى رسول الله ﷺ، يأمـره تعالى أن يأمر الكـافرين بالنظـر فى ملكوت السماوات والأرض نظـر تفكير، والمـراد من أمرهـم بهذا هو إثبـات أنهم لا يعقلـون ، لأن من يعقل لا بد لـه أن يؤمن بأن خـالق أجرام السماء والمسيـر لها، والذى أنشأ الأرض ومـا عليها ودبر الأقوات هـو إله واحد قادر على ما لا يقـدر عليه غيره. فيكون المطلوب إثباتـه متعلقا بما سبق تقريره من أنه لا يؤمن إلا من شاء له الله أن يؤمن. ولهذا جاء قوله تعالى «وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون» .

والمعنى أنهم مهما عظمت الآيات الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته. ومهما بذل الرسل من الجهد فى الدعوة، فإن ذلك جميعه لا يؤدى إلى إيمان من علم تعالى أنهم لا يؤمنون فكانت مشيئته تعالى بما علم، وبهذا يكون للقول صلة بقوله تعالى لرسوله ﷺ «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» .

فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾

التفسير:

قوله تعالى فى شأن كفار مكة الذين أمرهم رسول الله ﷺ بالنظر فى ملكوت السماوات والأرض ، والقول توبيخ لهم على التراخى فى الإيمان أو على الامتناع عنه، فالاستفهام فى قوله تعالى «فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم» هو استفهام إنكارى يتضمن معنى التهديد والوعيد، فمعنى أيام الذين خلوا من قبلهم هو وقائع عذاب الدنيا وأحداثه التى أصابت المكذبين قبل زمانهم، ثم يجىء التهديد والوعيد صريحا فى قوله ﷺ لهم بأمر ربه «فانتظروا إنى معكم من المنتظرين» بمعنى فانتظروا الأجل الذى تنتظرون لهلاكى أو إهلاكى، وأنا معكم أنتظر تعذيبكم فى الدنيا أو إهلاككم .

ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

التفسير:

بعد ذكره تعالى وقائع إهلاك المكذبين من قبل جاء قوله تعالى «ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا» بمعنى «ثم اعلموا أننا إذا أهلكنا قوما مجرمين أخرجنا من بينهم الرسل والذين آمنوا من بينهم وكتبنا لهم النجاة» . ثم إنه تعالى يذكر حكمه العام فى هذا الشأن بقوله «كذلك حقا علينا ننج المؤمنين» وهو أنه تعالى قد وعد أن ينجى المؤمنين من عذاب الدنيا الذى يصيب

به الكافرين، ولما كان تعالى وعده هو الحق، فقد أصبح للمؤمنين حق النجاة، وليس المراد بالحق هنا أنه يكون لهم حق عليه تعالى، وإنما المراد هو إثبات حتمية حصولهم على النجاة بناء على الوعد كما يفترض أن ينال صاحب الحق حقه .

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ، يأمره تعالى أن يقول لكفار مكة - خاطبهم باسم الجنس - «إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم»، وقوله ﷺ يثبت عليهم أنهم يشكون فى صحة دين الإسلام الذى يدعو إليه، ويثبت عليهم أنهم يعبدون معبودات متعددة، وأنه تعالى يعبد الله، والمعنى أنه يعبد الإله الحق الواحد، ثم إنه عليه الصلاة والسلام وصفه بأنه الذى يتوفى الكافرين، والمعنى أنه تعالى النافذ فيهم أمره وليس ما يعبدون، وأنه مادام متوفيهم فهو محاسبهم ومعذبهم، فيكون القول متضمنا معنى الترهيب والتخويف. وباقى قوله ﷺ للكافرين هو «وأمرت أن أكون من المؤمنين» يفيد عدة معان، منها أنه ﷺ مأمور من ربه، مطيع ما يؤمر به، وأنه أمر بالإيمان والتصديق ، فآمن وصدق. وأنه عامل بالشريعة يكون العمل بها من بعد الإيمان والتصديق لأنها تتضمن أحكاما يعمل بها المؤمنون وتسرى عليهم، ثم إنه ﷺ يشرف المؤمنين بذكره أنه يكون منهم وهو إمامهم وسيدهم والذى بإيمانهم له دُعوا مؤمنين .

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

التفسير:

القول فى الآية - قوله ﷺ ، يتصور أن يكون «وأن أقم وجهك للدين حنيفا» معطوفا على

قوله «أن أكون من المؤمنين» فيكون المعنى هو «قيل لى كن من المؤمنين وأقم وجهك للدين حنيفا» ويتصور أن يكون القول تفسيرا لما قبله بمعنى أن إقامة الوجه للدين حنيفا هى تفسير للإيمان والتصديق، والمراد بإقامة الوجه للدين هو التوجه بالنفس جميعها إلى عبادة الله تعالى والإعراض عمن سواه، يكون ذلك مع الميل عن الأديان والعقائد الباطلة «حنيفا» ، ويتصور أن يكون «حنفيا» حالا للدين الذى وجه إليه ﷺ وجهه. ثم إنه ﷺ يذكر فيما أمر به أنه قيل له «ولا تكونن من المشركين» والمراد بالنهى غيره ﷺ و إن خوطب به، فالمنهى عنه لا يتصور فيه .

وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

التفسير:

القول معطوف على ما قبله، فكأنه ﷺ يقول «قيل لى ولا تكونن من المشركين وقيل لى لا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك» والمخاطب بالقول هو ﷺ، والمراد به غيره. ومعنى القول هو النهى عن عبادة غير الله تعالى معه أو وحده، وصف كل ما يعبد غير الله بأنه لا ينفع ولا يضر أحدا ولا ينفع عابده وداعيه ولا يضر تارك عبادته والمعرض عنه. ثم إنه ﷺ يذكر باقى ما قيل له وهو «فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين» بمعنى أنك إن عبدت غير الله تعالى حسبت فى عداد الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك بالله. وعلى ما سبق القول فإن المراد بالقول هو غير رسول الله ﷺ الذى لا يجوز عليه الشرك ولا يتصور.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

التفسير:

بعد ذكر أنه لا يرجى من معبود غير الله نفع ولا ضر لعدم القدرة على هذا يجىء قوله تعالى

ـ فى الآية ـ يذكر أن أمر الإصابة بالضر والخير هو له وحده يعجز غيره عن أن يحول بين ما شاء وقدر وبين حدوثه. فقوله تعالى «و إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو» يثبت أنه تعالى إذا أصاب أحدا بمكروه فإنه وحده القادر على رفعه عنه، فهو وحده الذى يصيب بالضر لا يصيب به غيره ولا يحول غيره دون الإصابة به، وهو وحده الذى إذا شاء كشفه عن المضرور.

وقوله تعالى «و إن يردك بخير فلا راد لفضله» يفيد أنه تعالى إذا تفضل على عبد بخير ونعمة، فإن غيره تعالى لا يقدر على أن يحول بين الخير وبين المنعم عليه به ولا يستطيع إزالته. ويبين من الربط بين الخير وبين فضل الله أن الخير يكون منه تعالى تفضلا لا يشترط فيه أن يكون لسبب من الأسباب، على حين يكون الضر جزاء على الأعمال .

وقوله تعالى «يصيب به من يشاء من عباده» تفسير لإنزال الضر والإنعام بالخير ببيان أنه يكون منه تعالى الإصابة بما أراد من خير أو من شر من أراد من عباده.

ثم يجىء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وهو الغفور الرحيم» ليثبت لأوليائه تعالى ما يكون لهم فى الآخرة، من بعد الحديث عن الخير والشر يصيب به فى الدنيا من يشاء، فيشير فى القول إلى أنه يغفر لهم ذنوبهم فيجنبهم عذابه، ويرحمهم فيدخلهم جنته .

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ الناس: قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم الكفار، وقيل هم عموم المكلفين.

٢ ـ الحق : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو القرآن العظيم، وقيل هو رسول الله ﷺ .

ثانيا: التفسـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ يأمره تعالى أن يقول لكفار مكة أو لعموم المكلفين أنه قد جاءهم الحق من ربهم ـ وهو القرآن العظيم ـ فصل بين الحق والباطل،

وتضمن العقيدة الصحيحة وأحكام الشريعة التى تصلح للناس، أبلغهم رسول الله ﷺ به وبين لهم أحكامه، فلم يعد لهم عذر يعتذرون به عن عدم إيمانهم؛ ولهذا جاء قوله من بعد «فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها» موضحا أن الذى اتخذ من القرآن العظيم هاديا فسلك طريق الإيمان وأسلم كان إيمانه خيرا له، وأن من ضل عن الطريق المستقيم فلم يهتد بالقرآن العظيم وبقى على كفره كانت عاقبة كفره وبالا عليه.

وقوله عليه الصلاة والسلام للناس بأمر ربه «وما أنا عليكم بوكيل» هو تثبيت لمبدأ المسئولية الشخصية عن الآثام، وإظهار لكونه ﷺ بشيرا ونذيرا، لم يوكل إليه أمر الناس فهو بين لهم الطريق بالإبلاغ، لكنه لا يكره أحدا على الإيمان دفعا له إلى ما فيه مصلحته. وقد قيل إن حكم هذا النص منسوخ بآية السيف لكفار العرب.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - أمر منه إلى رسول الله ﷺ، والمأمور به هو اتباع ما يوحى به إليه من لدنه تعالى، يكون هذا فى أمر العقيدة وفى الإبلاغ وفى العمل، جاء الفعل «يوحى» فى صيغة المضارع لبيان استمرارية الوحى وتجدده، وتجدد الإبلاغ بالتالى، والمأمور به أيضا هو الصبر حتى يحكم الله، والمستفاد من الأمر بالصبر هو أنه سيلقى ﷺ العنت فى قبول الدعوة، كما أنه سيلقى من المشركين أذى، فهذا وذاك هو ما يصبر عليه، ثم إن الصبر يكون إلى أجل هو ظهور حكم الله، ينصر رسوله ﷺ والمؤمنين، يكون هذا بحكمه الصائب لكونه من فيض حكمته. فالآية من آيات الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين، مع تضمنها التنبيه إلى وجوب ملاقاة المصلحين ما يستوجب الصبر عليه من أذى، ووجوب تحليهم بالصبر.

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هـــــود

في أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها في ترتيب المصحف (سورة يونس) :

قيل في أوجه الصلة بين السورة وبين سورة يونس الكثير، نوجز منه ما يأتي:

١ ـ جاء ذكر قصة نوح عليه السلام في سورة يونس في إجمال موجز للغاية، وجاءت القصة مفصلة في السورة على نحو لم يرد مثله في أي سورة أخرى من سور القرآن العظيم.

٢ ـ بين بداية سورة يونس، وبداية السورة شبه كبير، فقد افتتحت سورة يونس بقوله تعالى «الر تلك آيات الكتاب الحكيم»، وافتتحت السورة بقوله تعالى «الر كتاب أحكمت آياته».

٣ ـ بين ختام سورة يونس وبداية السورة ارتباط. فقد اختتمت سورة يونس بالنهي عن الشرك، والأمر باتباع الوحي، وافتتحت السورة ببيان الوحي بالقرآن، والنهي عن الشرك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾

التفسير:

تبدأ الآية بـ «الر» وهي أسماء أحرف ـ كما سبق القول ـ قيل إنها اسم للسورة، وقيل إنها إشارة إلى اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، وقيل إنها من المتشابه.

ومعنى قوله تعالى «كتاب أحكمت آياته» هو «هذا كتاب أحكمت آياته»، والكتاب هو القرآن العظيم، وصفه تعالى بأنه أحكمت آياته فهي محكمة لا باطل فيها ولا خلل، وهي باقية لاتنسخ إلى يوم الدين، وهي التي جاءت بالأحكام التي ترسي العقيدة الصحيحة وتنظم

المعاملات. ثم إنه تعالى يذكر أن آياتـه فصلت من لدن حكيم خبير، ويقبل المعنى أن يكون المراد بتفصيلهـا أنها وردت آية بعد آيـة فكان بين الآيات فـواصل تعلقت كل منهـا بخبر أو حكم أو بدليـل، أو أن يكون فى شأن تنزيلهـا منجمة، إذ لم ينزل القرآن العظيـم دفعة واحدة، ولا تفيد «ثم» فى قوله تعالى «ثم فصلت» التراخى فى الوقت ولكن فى الحال، فيكون المعنى هو «إن آياتـه محكمة ثم إنها مفصلـة»، وجاء قوله تعالـى «من لدن حكيم خبيـر» وصفا آخر للكتـاب جاء لبيـان علو مـرتبته، كمـا جاء مظهـرا معنى أن الـذى أحكم آيـات الكتاب هـو الحكيم، وأن الذى فصلها هو الخبير. فيكون الكتاب هـو الذى لايدانيه كتاب، جعل بحيث يفهمه الخلق ويتدبرون معانيه ويعملون به .

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾

التفســـــــير:

جاء قوله تعالى «ألا تعبدوا إلا الله» متعلقا بوصـف الكتاب بالإحكام ثم بالتفصيل، فيكون بهذا مـانعا من عبادة غيـر الله تعالى فيكون معنـى القول هو «أحكمـت آياته ثم فصلـت لئلا تعبدوا إلا الله»، ويبين من قول رسول الله ﷺ الذى تظهره الآيـة «إننى لكم منه نذير وبشير» أنه ﷺ يقول للناس «ألا تعبـدوا إلا الله» من بعد وصفه الكتاب، ثـم يذكر صفته ورسالتـه وهى أنه نذير بعذاب الله لمـن لا يؤمن بالكتاب، وبشير بـالثواب والجنة لمن يؤمن بـه، أو إنه ﷺ نذير لمن يعبد غير الله، وبشير لمن لا يعبد إلا إياه .

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾

التفســـــــير:

جاء قوله تعالى «وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه» معطوفا على «أن لا تعبدوا إلا الله» وهو

قول رسول الله ﷺ للنـاس بأمر ربه، يـأمرهم باستغفار ربهـم والتوبة إليه، يكـون الاستغفار مما سبق من الـذنوب، وتكون التوبـة من الأعمال التى ترتكـب من بعد متى وقعـت، وربما إيراد الاستغفار فى الذكر قبل التوبة لكون المغفرة هـى مطلوب العبد من الله تعالى وكون التوبة هى السبب الموصل إليها، فيكون المطلوب قد قدم فى الذكر على سببه .

ثم إنه تعالى يبين نتيجة الاستغفار والتوبة ـ على لسان رسوله ـ بقوله تعالى «يمتعكم متاعا حسنـا إلى أجـل مسمى ويـؤت كـل ذى فضل فضلـه» بمعنى أنـه يكـون منه تعـالى إمتـاع المستغفرين التائبين بالمتع الحلال من سعة رزق ، وصحة موفورة، ولا يستأصلهم بعذاب، أو بمعرفة الحق وملازمته، يكون هذا منه تعالى لهم إلى أجل مسمى قيل إنه الموت وقيل إنه يوم القيامة، فإن كان هو يوم القيامة كان الإمتاع متضمنا الوقاية من أهوال القبر. ثم يذكر تعالى أنه يكون منـه تعالـى إيتاء كـل ذى فضل فضلـه وأفضال المستغفـرين التـائبين هـى أعمالهـم الصالحة، وفضل الله تعـالى هو رضوانه وجنته، فيكـون المعنى أنه تعالى يجازيهـم بأفعالهم الصالحة دخول الجنة .

وقول رسول الله ﷺ بأمر ربه «و إن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير» معناه هو: «فإن كان منكم الإعراض عما أبلغكم به وآمركم، ومنـه الاستغفار والتوبة وبقيتم على هذا الإعراض فاعلمـوا أننى أخـاف عليكم عـذاب يوم القيامـة» وفيه جـاء بيان خـوفه ﷺ علـى المبلغين بالدعوة مظهرا شفقته عليهـم ورأفته بهم، وجاء يوم القيامة موصوفا بأنـه يوم كبير لكبر ما يكون فيه وعظمه، فـالقول تحفيز على الاستغفـار والتوبة وتخويـف من الإعراض عن الدعــوة إلى ذلك .

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

التفســــــير:

القول مـن قول رسـول الله ﷺ للناس بعـد طلبه منهم الاستغفـار والتوبـة. وإعلامهـم أنه يخاف عليهم عذاب يـوم القيامة. يذكرهم أنهـم مبعوثون من بعد الموت إلـى ربهم صاحب القدرة علـى كل شىء، ومنها قـدرته على إثابـة المؤمنين وتعذيـب الكافرين، فيكـون القول

إضافة إلى مـا سبق من حض على الإيمان والتـوبة وترهيب من البقاء علـى الكفر والإعراض عن الدعوة .

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾

التفســـــــير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ فى هؤلاء الذين خاطبهم رسولـه ﷺ، وطلب منهم استغفار ربهم والتوبة إليه ورغبهم فى هذا وخوفهم من مغبة الإعراض عنه، يذكر تعالى رد فعلهم على دعوته ﷺ إياهم للإيمان، فيقول تعالى «ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه»، ويقبل المعنى أن يكون الضميـر المتصل فـى «منه» عـائدا إلى الحق مـن الله تعالـى أو إلى القـرآن العظيـم، ويقبــل أن يكون عـائدا إلـى رسول الله ﷺ. فعلـى الأول يكـون «ثنى الصـدور» كنـاية عـن الإعراض عـن الحق فهـم لا يواجهونـه بصدورهـم علامـة على قبولـه، وإنما يثنـون أو يلوون صدورهـم معرضين عنه منحـرفين ـ أو إنهم يثنـون صدورهم علـى الكفر والتولى عـن الحق. وعلى الثانـى يكـون المعنى متعلقـا بفئة من الكافريـن كانوا إذا ما لقيهـم رسول الله ﷺ ثنوا صدورهم مستتريـن منه أو أولوه ظهورهم وغشوا وجـوههم بثيابهم كراهة لقـائه ، معتقدين أنه ﷺ يخفى عليه أمرهم .

وقوله تعالى «ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مـا يسرون وما يعلنون» مفاده ـ على القول بأن الاستخفاء هو عن الحق ـــ أن هؤلاء المنحرفين عن الحق الذين يستخفـون من الله تعالى هم من الجهـلاء، فهو تعالـى لا يجوز عليه الاستخفاء، فهـو العليم بما فـى الصدور، ولو بلـغ بهم الاستخفاء الـدخول فى منـازلهم والاستغشاء بـالثياب والأغطيـة ـ ومفاده ـــ على القول بـأنه الاستخفاء هو من رسول الله ﷺ. أنـه تعالى يعلم ما يسرون فى أنفسهم مـن كراهية لرسول الله وما يظهرونه من خلاف ذلـك ـ فيكون القول فى المنافقين ـ وأنه تعالـى يعلم رسوله ﷺ بهذا فلا يخفى عليه أمرهم؛ ولهذا جاء قوله ـ فى ختام الآية ـ «إنه عليم بذات الصدور» .

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ المستقر : فى قوله تعالى «ويعلم مستقرها ومستودعها» قيل إنه مقر الدابة فى صلب الذكر، وقيل إنه المكان الذى تستقر فيه أو تأوى إليه من الأرض .

٢ ـ المستودع : قيل إن المراد بـه ـ فى معنى الآية ـ هـو الرحم تودع فيه النطفة، ومـا يأخذ حكمه أو يشابهه مثل البيض. وقيل إنه الموضع الذى تموت فيه أو الذى فيه تدفن .

ثانيا: التفسـير:

جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ من بعد ذكـره أنه يعلم ما يخفيه الكافرون، فأظهر فى الآية أنه رازق كل مخلوق أينما كان ليدل بهذا على علمه بأحوال مخلوقاته تعالى ومنها الكافرون .

فمعنى قوله تعالى «وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها» هو «وما دابة على الأرض إلا من الله رزقها» ، فالقول يثبت أنه تعالى يـرزق كل كائن حى يدب على الأرض، عظم أم حقر، جاء تشبيه رزق الدواب بأنـه حق لبيان أنه تعالى كفل للمخلوقـات أرزاقها، يتنوع الرزق بتنوع المخلوقات وبحسـب أعمارها وأطوار نموهـا. هذا وقد اختلف فيما إذا كـان الرزق لا يحصل إلا بمباشرة سببه أم أنه يحدث دون مباشرة سببه. والمنظور أنه تعالى يرزق كثيرين دون مباشرة سبب الرزق.

ثـم إنه تعـالـى يثبت علمـه بمستقـر جميع مـا خلـق مما يـدب علـى الأرض كما يعلـم مستودعه، فهو تعالى يعلم أمر مخلوقاته وهى لا تزال نطفا فى الأصلاب، وكذا وهى فى أماكن إيوائها، ويعلمه وهى لا تزال مستكنة فى الأرحام، ثم وهى فى مواقع موتها ودفنها .

وقوله تعالى «كـل فى كتاب مبين» يبين أن علمه بكل أحوال مخلوقاتـه وبأرزاقها هو علم أزلى مثبـت فى اللوح المحفـوظ ، فيكون القـول مزيدا مـن بيان تحقق علمـه بكل مـا يستره

الكافرون والمنافقون .

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

التفســـــير:

قوله تعالى «وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا» هو بيان لوحدانيته تعالى وقدرته غير المحدودة التى تستوجب من خلقه عبادته وتوحيده، فيذكر تعالى أنه خلق السماوات والأرض فى ستة أيام، والمراد هو خلق السماوات وما فيهن والأرض وما فيها، أنشأ هذا جميعه من العدم فى ستة أيام، وقد سبق أن بينا أن المراد بالأيام هو الحقب الزمنية، فضلا عن أنه قبل خلق كواكب السماء الدنيا وشموسها ومجراتها وخلق الأرض لم يكن نهار وليل. ثم يقول تعالى «وكان عرشه على الماء»، وفيه قيل إن معناه أن عرشه تعالى كان على الماء قبل خلقه السماوات والأرض، وأن الماء هو أول حادث بعد العرش، وقد يكون المعنى - على ما نرى - أنه كان عرشه تعالى على الماء وقت خلقه السماوات والأرض، فيكون القول مقررا حقيقة علمية، فالمعروف أن الأرض تكونت بالانفصال عن الشمس منذ حوالى خمسة بلايين من السنين، وأنها كانت وقتذاك ساخنة جدا فكانت كل العناصر حرة ولم تكن هناك مركبات، فتكثفت العناصر الثقيلة عند مركز الأرض وخرجت عنه العناصر الخفيفة وتكون الماء باتحاد الأيدروجين والأكسجين وظل على هيئة أبخرة كثيفة فى سماء الأرض، فلم يستقر الماء على سطح الأرض لسخونتها وظل على هيئة سحب سميكة تحيط بالأرض، ثم إن المطر كان ينزل طوفانا من السماء ليتبخر عند ملامسته سطح الأرض ليعود إلى السماء مرة أخرى، كان هذا لملايين السنين قبل أن تبرد الأرض فكان استقرار مياه الأمطار فى المحيطات والبحار والأنهار، فلما كان عرشه تعالى قد أحاط بالسماوات والأرض فقد كان على الماء

ثم يجيء قوله تعالى «ليبلوكم أيكم أحسن عملا» جاءت فيه لام التعليل لتبين أن خلقه تعالى السماوات والأرض وما فيهن ـ ومن جملة ما فيهن المخاطبون بالنص ـ وتقديره الأرزاق إنما كان ليستدل المكلفون على وجوده تعالى ووحدانيته مما يشاهدون ومما تخبرهم به آياته تعالى المنزلة فى كتبه، فيكون هذا بمثابة اختبار وابتلاء لهم، يعرف به الذين حسنت أعمالهم فيجازيهم تعالى بها. وليس المراد بالقول أنه تعالى يعرف المحسن عن طريق هذا الابتلاء، وإنما المراد هو إقامة الحجة لصالح الذين أحسنوا وعلى الذين أساءوا.

ثم إنه تعالى يثبت على الكافرين بعدهم عن إعمال العقل وإصرارهم على الكفر من بعد رؤيتهم آيات الله فى خلقه وسماعهم القرآن العظيم يذكرهم بالبعث ويعلمهم أنهم محاسبون فى أخراهم بقوله تعالى «ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين»، فهم ينكرون القرآن العظيم الذى ينبئهم بالبعث ويصفونه بأنه الأمر الباطل ـ لكون السحر مرادفا الباطل ـ ويصفون رسول الله ﷺ بأنه ساحر.

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

أولا: الأســـــماء:

١ ـ **العـــذاب** : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو العذاب الذى توعد به الكافرون من بعد بعثهم، وقيل إنه عذاب يوم بدر.

٢ ـ **الأمــة** : فى قوله تعالى «إلى أمة معدودة» قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو المدة، تكون فيها أمة من الأمم، وقيل هى بمعناها «الجماعة من الناس».

ثانيا: التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى الكافرين الذين أُخبروا أنه يكون لهم بعث وحساب فأنكروا هذا واستهزؤوا بما أخبروا به، يقول تعالى «ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما

يحبسه» وفى القـول جاءت اللام فى «لئن» للقسم، ومعنـى القول أنه إذا ما تأخر عنهـم توقيع العذاب ــ لكونه عذاب الآخـرة ـ أو تأخر إيقـاع عذاب الدنيـا بهم إلى أجل محـدود، قصير يمكن حصر عدد أيامه ـ سواء أكان عذاب يـوم بدر أم غيره ـ أو إذا تأخر عنهم العذاب بإرادته تعالى إلى زمـن تكون جماعتهم خالية من مـؤمن، فإنه يكون منهم أنهم يقـولون «ما يحبسه» بمعنى «ما الذى يحبس عنا العذاب الذى توعدنا به» فيكون مفاد القول هو تكذيبهم بالعذاب لتأخره عنهم، أو استعجاله من قبيل الاستهزاء، لأنهم لو كانوا مصدقين به ما استعجلوه.

وقوله تعالى «ألا يوم يأتيهم ليس مصروفـا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون» معناه أن اليوم الـذى يأتيهم فيـه هذا العـذاب الدنيوى أو الأخـروى ليس مصروفـا عنهم، فـإن أحدا لا يستطيع دفعه عنهم ولا رده، فهـو نازل بهم لا محال، وحاق بهـم ، وقد كانـوا به يستهزئون. وقد وقع بهم عذاب الدنيا فى يوم بدر وحاق بهـم ما كانوا به يستهزئون. كما أن لهم عذاب الآخرة غير مصروف عنهم .

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾

أولا: الأســــــماء:

الإنســـان : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الوليد بن المغيرة، فيه نزلت الآية. وقيل هو عبد الله بن أبى أمية المخزومى .

ثانيا: التفســــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى طبيعة الآدمى عـامة أو الكافرين على وجه خاص، يذكر تعالى أنه إذا أنعم عليه بنعمـة من مال أو جاه أو صحة ثم استـردهامنه ـ جاء التعبير عـن استردادها منه أو سلبها إياه بالنزع منه، للتعبير عن مدى تعلق الإنسـان بالنعم ـ فإنه يكون منه اليأس من رحمة الله، والكفران. يكون اليأس من رحمة الله أثرا من آثار عدم التوكل عليه، ويكون الكفران ـ وهـو تعدد الكفـر أو مظاهـره ـ لأنـه يكفر بمـا سبق أن أنعـم عليه تعـالى مـن النعـم وهـى عديـــدة.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ الفرح : فى قوله تعالى «إنه لفرح فخور» المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو البطر بالنعمة والمغتر بها.

٢ ـ الفخور : المراد به ـ فى معنى الآية ـ المتعاظم على الناس الذى لايؤدى حق النعمة من الشكر.

ثانيا: التفسير:

القول هو فى ذات الإنسان الذى أخبر عنه تعالى فى الآية السابقة، يذكر تعالى أنه إذا ما أذاقه تعالى طعم النعمة فى صحة أو مال أو جاه أو غير ذلك عقب ضر مسه من سقم أو فقر أو هوان على الناس، فإنه يكون منه الاغترار بالنعمة والبطر، والتعالى على الناس غافلا عن أداء حق النعمة من الشكر، اعتقادا منه أنه خلص من الضر يصيبه، أمانا إلى حاله الذى آل إليه بما أنعم عليه .

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾

التفسير:

استثنى تعالى ـ بنص الآية ـ من حكمه فى الإنسان أنه إذا ذاق نعمة من بعد ضر كان منه البطر والتعالى، استثنى من حكمه هذا الذين صبروا وعملوا الصالحات، بمعنى أنهم صبروا على ما أصابهم من ضر قبل الإنعام عليهم بالنعم، وأنهم عملوا الصالحات بعد أن أنعم عليهم تعالى بالنعم وشكروه تعالى على نعمه السابقة. فهم على النقيض من المذكورين آنفا الذين يصيبهم اليأس من رحمة الله تعالى إذا نزع عنهم نعمة، ويكفرون بالنعم السابقة .

ثم إنه تعالى يذكر حكمه فى هؤلاء بقوله تعالى «أولئك لهم مغفرة وأجر كبير» يشير إليهم

ويخبر أنه تعالى يغفر لهم ذنوبهم ويؤجرهم ثوابا كبيرا، جاء نكرة، موصوفا بالكبر للإطماع فيه بإظهار أنه كبير عنده تعالى، فلزم أن يكون فوق تخيل العقول .

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

التفســـــــير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ، والقول فيما كان يعانى منه ﷺ من الكفار وتأثير هذا فى نفسه. يقول له تعـالى «فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضـائق به صدرك»، جاءت فيه «لعل» للتبعيد وليس للترجى، والتوقع هو لغير المتكلم وغير المخاطب، بمعنى أن الذين كانوا يتوقعون هم الكفار، كانوا يتوقعون منه ﷺ ما لا يجـوز عليه وهو ترك بعض ما يوحى به إليه ربه فلا يخبـر به، والمراد هو مـا تعلق بتسفيه الكـافرين عـابدى الأصنام وسب معبـوداتهم، وأن يضيق بمـا يعانى منهـم لدى إبلاغـه بالوحى المتضمـن هذا، جاء التعبيـر عنه بـ «ضـائق به صدرك» وليـس بـ «ضيق» لبيـان أن ذلك يكون على فتـرات متقطعة، وخلاف هـذا أن يكون الصدر ضيقا .

ثم إنـه تعالى يـذكر أن هذا يكـون كراهة أن يقول الكـافرون لدى سمـاعهم من القـرآن ما يسفههم ويسب آلهتهم «لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك» يطلبون أن ينزل عليه من السماء مال مكنوز مما يكون فى باطن الأرض لا ينزل مـن السماء، أو أن يجىء معه ملك يصدقه فيما يقول ليصدقوه .

ويجىء قوله تعالـى «إنما أنت نذير، والله على كل شىء وكيـل» لإذهاب ما فى نفسه ﷺ من فعـالهم ومـا يكره منهـم أن يقولـوه، فهو تعالـى يعلمه أنـه ليس عليـه أن يجيبهم إلـى ما يقترحون ، فهو مكلف بإنذارهم وليس بما هو فـوق هذا، وهو تعالى القائم على كل شىء يعلم حال رسوله وحال الكافرين .

ويتضمن القول الأمر بـالتوكل عليه تعالى، ويشير إلى أنـه تعالى فاعل بالكافـرين ما يليق

بحالهم

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾

التفســـــير :

قولـه تعالى «أم يقـولون افتراه» جـاء لبيان وقاحـة المشركين فـى شأن القرآن العظيـم، لم يكتفوا بعدم الالتفات إليه، وتدبر ما ورد فـى أحكامه وأخباره وقصصه ، بل زادوا على ذلك أن زعموا أنه ﷺ هو قائله، فتكون «أم» بمعنى «بل» فيكون مفاد القول هو «بل يقولون افتراه» .

ثم إنه تعالـى يأمر رسوله أن يتحدى الكافـرين ليثبت بطلان زعمهم «قل فـأتوا بعشر سور مثله مفتـريات» والتحـدى هو بأن يضعـوا عشر سـور تماثـل سور القرآن العظيـم فى البـلاغة وحسن النظم، والأحكام، يجيئـون بها من عند أنفسهم مختلقة «مفتريات» مـاداموا قد زعموا أنه ﷺ قد اختلق القرآن من نفسه .

ويبلغ التحدى مـداه بسماحه ﷺ أن يستعينوا على هـذا بكل من يستطيعون الاستعـانة به وما يستطيعون الاستعـانة به من الكهنـة والبلغاء ومن معبوداتهـم، وهؤلاء هم الذيـن يلجؤون إليهم مـن دون الله تعالى «وادعـوا من استطعتم مـن دون الله»، ثم إنـه ﷺ يثبت كذبهـم فيما ادعوه من أنه ﷺ افترى القـرآن بقوله «إن كنتم صادقين»بمعنى إن كنتم صـادقين فيما زعمتم من أنى وضعت القرآن من عندى»، فيكون مفـاد القول هو إثبات الكذب عليهم يقينا منه ﷺ أنهم لن يستطيعوا الإتيان بما اقترح عليهم أن يأتوه .

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

التفســـــير:

يقبل المعنى أن يكون المخاطب بالقول هم الكفار فيكون المعنى أنه إذا لم يستجب لكم الذين دعوتموهم ليعينوكم على اختلاق عشر سور تماثل سور القرآن العظيم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله. ويقبل المعنى أن يكون الخطاب إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويكون الذين لم يستجيبوا لهم هم الكفار لم يستجيبوا لما تحداهم به رسول الله ﷺ .

وقوله تعالى «فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو» وهو جواب الشرط فى الجملة الشرطية المبنى على عدم قدرة الكافرين على الإتيان بما دعوا إليه، مفاده أنه يكون منهم العلم أن ما أنزل من القرآن لم ينزل إلا متلبسا بعلمه تعالى الذى هو من الغيب لا يعلمه سواه، فما من أحد يعلم الكيفية التى جاء بها القرآن معجزا، ثم أن مؤدى عدم العلم هو عدم القدرة فلا يكون أحد قادرا على أن يأتى بمثل القرآن. ولما كان مفاد هذا بالضرورة أنه تعالى وحده القادر على ما لا يقدر عليه أحد، فقد لزم توحيده تعالى «وأن لا إله إلا هو» .

ثم يجىء قوله تعالى «فهل أنتم مسلمون» بعد أن ثبت للكفار أن القرآن من عنده تعالى، فيكون الاستفهام متضمنا معنى الطلب، والمطلوب هو الدخول فى دين الإسلام يكون بالإيمان بالقرآن العظيم كتابا منزلا منه تعالى وبرسوله ﷺ نبيا رسولا .

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾

التفســـــير:

قوله تعالى - فى الآية - يقبل أن يكون فى الكافرين ويقبل أن يكون فى المؤمنين، وذلك إذا نظر إلى نص الآية مستقلا عن قوله تعالى فى الآية التالية، فإذا نظر إليه مقروءا مع الآية التالية تبين أن القول فى الكافرين، فهم اختاروا الحياة الدنيا وفضلوها على الآخرة ورغبوا فى زينتها وفى كل ما به يشرفون؛ ولذلك تكون منهم أعمال صالحة مثل الإنفاق على الفقير وصلة الرحم، يذكر تعالى أنه يوفيهم أجورهم عليها فى حياتهم الدنيا لا ينقصون منه شيئا، لكنه لا يكون لهم منها شىء فى أخراهم التى باعوها بدنياهم بكفرهم .

وعلى معنى أن القـول هو فى المؤمنين يكـون المراد به إظهار أن الأعمال تكـون بالنيات ، فالمؤمـن الذى يجاهد ليقال عنـه مجاهد شجاع ينال أجـره فى الحياة الدنيا شهـرة من زينة الحياة الدنيا، والذى يتصدق ليقال عنه متصدق أو لينال مجدا وشرفا، ينال أجر فعله فى دنياه لا ينقص منه شيئا، لكنه لا يثاب عليه فى الآخرة .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾

التفســـــــير:

قوله تعالى فى الآية يدل على أن قوله تعالى فـى الآية السابقة تعلق بالكافرين، فهو تعالى يشير إلى المذكورين فى الآية السابقة وهم الـذين كانوا يريدون الحياة الدنيا وزينتها، ويخبر عنهم أنهـم ليس لهم فـى الآخرة إلا النار، والمعنـى أنهم يخلدون فيهـا، وليس هذا هـو حال المؤمنين إذ يخرج عصاتهم من النار بالشفاعة أو بالرحمة. ويجىء بيان سبب الخلود فى النار وهو انعدام الثواب علـى أفعال الخير التى فعلوها فـى دنياهم بإثبات أنها حبطـت عنهم فلم تنفعهم فى الآخرة، ثـم جاء وصف عملهم الصالح فى الـدنيا بأنه باطل بمعنى أنـه غير نافع، وذلك لنيلهم جزاءه فى دنياهم كما جرت سنته تعالى فى الكافريـن أنهــم لا يثابــون بخيــر ـ عملوه فى الدنيا ـ فى أخراهم .

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧﴾

أولا: الأســــــماء:

١ ـ **الشــاهد** : فى قوله تعالى «ويتلوه شاهد منه» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو رسول الله ﷺ، وقيل هـو جبريل عليه السـلام، وقيل هو على بـن أبى طالب، وقيـل هو القرآن العظيم، وقيل هو الإنجيل، وقيل هو العقل .

٢ ـ **الإمــام** : فى قوله تعالى «ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة» ، المراد به ـ فى معنى الآية ـ ما يؤتم به فى شأن عقيدة التوحيد .

٣ ـ **الأحــزاب** : قيل إن المراد بهـم ـ فى معنى الآيـة ـ الذين تحـزبوا من أهل مكـة على رسول الله ﷺ، وقيل إنهم عموم الكفار، وقيل هم أهل الأديان والملل كلها .

ثانيا: التفســــير:

قوله تعالى فى الآية فى المقارنة بين من آمن بهـدى ربه ـ بدليل من آياته تعالى، وبين من كفر، وفى بيان مصيـر كل منهما، جاء فى النص بيـان مصير الكافر تصريحا ليفيـد بيان مصير المؤمن الذى هو نقيضه .

فقوله تعـالى «أفمن كان على بينـة من ربه ويتلوه شـاهد منه» جاء متعلقا بمـن آمن، بين تعالى أنه استدل علـى الإيمان وهو الطريق المستقيم بآيات ربه ـ وهـى القرآن ـ العظيم ـ أو هى رسول الله ﷺ، فهو يتبع القرآن «ويتلوه» ومعه شاهـد على صحة القرآن العظيم كتابا منزلا منه تعالى ـ وهو جبريل عليه السلام ـ أو أن جبريل عليه السلام يتلو القرآن على رسول الله ﷺ ويشهد بنزوله من الله تعالى .

وبعد أن ذكـر تعالى أن المـؤمن يكون على الحـق بما استدل عليـه به من القـرآن العظيم الذى يتلوه ويتبعه ويشهد له جبريل عليه السلام، فإنه تعالى أوضح أنه كان قبل القرآن كتاب موسى يشهد بصحة القرآن العظيم ويبشـر برسول الله ﷺ ، جاء ذكره دون الإنجيل لأن اليهود والنصارى يؤمنون بالتوراة ـــ كتاب موسى ـ على حين لا يؤمن اليهود بـالإنجيل لإنكارهم نبوة المسيح عليه السـلام ـ ثم إنه تعالـى وصف التوراة كتاب موسـى بأنها كانت إمـاما ورحمة، وذلك لأنها اهتمت بعقيدة التوحيد فكانت إماما يحتذى ويقتدى به، كما كانت رحمة للذين

آمنوا بها، إذ أدخلتهم فى رحمته تعالى وأبعدتهم عن العذاب الذى وعد به الكافرون .

أتبع ذلك تعالى بقوله «أولئك يؤمنون به» بمعنـى أن أولئك الذين استدلوا بآيات الله تعالى على صحة ما بعث به رسول الله ﷺ يؤمنون بالقرآن العظيم ويصدقون. ويقبل القول أن يكون بمعنى أنهم يؤمنون بمـا ورد فى كتاب موسى من التبشير برسول الله ﷺ يأتـى بالقرآن من عند ربه .

ثم يجىء قوله تعالى «ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده» وهو فى الكافرين الذين لم تدفعهم آيات الله إلى الإيمان، وصفهم تعالى بأنهم يكفرون بالقرآن، أو أنهم يكفرون به نتيجة كفرهـم بما ورد فى كتـاب موسـى من تبشير بـرسول الله ﷺ وبالقـرآن العظيم، فيكـون المراد بالكافـرين أهل الكتاب المعاصـرين رسول الله ﷺ والذين مـن بعدهم. بين تعالـى أنهم من الأحزاب بمعنى أنهـم من أهل الملل جميعها يكـونون، أو أنهم ممن تحزبـوا على رسول الله ﷺ. وقد أخبر تعـالى أن مصير هؤلاء الذيـن كفروا بالقرآن العظيـم هو النار. توعدهـم بها جل شأنه فهم مواقعوها بلا ريب .

وقولـه تعالى ــ من بعد ــ «فلا تك فى مـرية منه» هـو نهى صريـح عن الشك فـى القرآن العظيم كتابا منزلا بالحق من الله الحق، والخطـاب ـ على ظاهره ـ إلى رسول الله ﷺ، والمراد به غيـره من الناس. جاء بعـده قوله تعالـى «إنه الحق من ربـك ولكن أكثر الناس لا يـؤمنون» متضمنا علة النهى عن الشك فى القرآن، وهى شهادته تعـالى له بأنه الحق، جاء منه فى شأن الدنيـا والدين. ثم ذكـر تعالى أن أكثر النـاس لا يؤمنون به لقصـر عقولهم، أو لإصرارهـم على الكفر عنادا من أنفسهم، واستكبارا على الحق .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾

أولا: الأســــــماء:

الأشــــهاد: قيل إن المراد بهم ــ فى معنى الآية ـ هم الملائكة علـى العموم، وقيل هم الحفظة من الملائكة، وقيل هم الأنبياء والملائكـة والمؤمنون، وقيل إنها الجوارح تشهد على أصحابها.

ثانيا: التفســــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى ذم الذين كـذبوا بالقرآن العظيم، يذكر تعالـى أنهم افتروا على الله الكذب فكانوا به أظلـم خلقه لايساويهم فى ظلمهم أحد، فهم قـد ظلوا أنفسهم وظلموا من اتبعهـم، افتروا على الله الكـذب بتحريفهم مـا جاء فى التـوراة والإنجيل متعلقا بـالتبشير برسول الله ﷺ وذكر صفاتـه، أو بتحريفهم المعانى عما أنزلت فيهـا. وافتروا على الله الكذب بـزعمهم أن القـرآن العظيم مختلـق من رسـول الله ﷺ، وافتـروا على الله الكـذب بقولهـم إن الملائكة بنات الله، و إن عـزيرا ابن الله، و إن المسيح ابن الله، وافتروا علـى الله الكذب بقولهم فى آلهتهم «هؤلاء شفعاؤنا عند الله».

ثم إنه تعالـى يشير إلى مصيرهم المحتوم بذكـر ما يحيط بحالهم يوم القيامـة ليفهم منه ما أُعد لهم، فيقول تعـالى «أولئك يعرضون على ربهـم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كـذبوا على ربهم ألا لعنـة الله على الظالميـن». والمعنى أنهم يعـرضون عليه تعـالى، وهو ربهـم الحق. فيكون القول مشيرا إلى بطلان ما اتخذوا من آلهة غيـره تعالى تعبد، وهم يعرضون عليه تعالى ليلقوا حسـابهم، فيشهد عليهـم شهود الحق ــ مع استغنـائه تعالى عـن شهادتهم ــ وتكون شهادتهم عليهـم أنهم الذين كذبـوا على ربهم بما افتـروا عليه من عبادة غيره ومـن قول غير الحق، ثم يتبعـون شهادتهم بالـدعاء عليهم «ألا لعنة الله علـى الظالمين» يصفونهـم بالظلم، ويدعون عليهم باللعنةوهى الطرد من رحمته تعالى، فلا يكون لهم إلا العذاب الأليم».

ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

التفســــــير:

بعد أن أوضح تعالى مدى ظلـم الذين افتروا عليه تعالى الكذب فإنه تعـالى ذكر فى الآية فعلا آخر من مساوىء أفعالهم أتبعه ببيان غايتهم منه وبيان عقيدتهم التى تهون عليهم مقارفة مثل هذا الفعل .

فيذكر تعالى أنهـم يصدون عن سبيل الله، فهم يعملون ماوسعهم العمـل على صد الناس عن الإسـلام طريق الله المستقيـم إلى رضائه وجنتـه، وغايتهم مـن هذا أن يكون النـاس على طريقهم المعوج الضال المنحرف عن الحق، والموصل إلى العذاب، فإن كان الناس قد آمنوا فهم يبغون ارتدادهـم. أما عقيدتهم الباطلة التـى تهون عليهم مقارفة هذه الآثـام فهى كفرهم بالآخـرة، هذه حالهم، الكفـر بالآخرة، فهم لا يـؤمنون بها فى قـرارة أنفسهم وبأنه يكـون فيها ثواب وعقاب، ولو كانوا يـؤمنون بها لكانت منهم الخشية من العذاب فما قـرفوا ما قرفوا. وفى القول تكرر الضمير «هم» لتأكيد معنى أنهم الكافرون بالآخرة .

أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾

التفســــــير:

قوله تعـالى لايزال في شـأن هؤلاء الظالمين الـذين افتروا على الله الكـذب ويصدون عن سبيله، والقول فى الآية متعلق بتأخيره تعالى تعذيبهـم فى الدنيا بظلمهم، فيبين أنه تأخير عن حكمة وليس عن عجز، فيقـول تعالى «أولئك لم يكونوا معجزين فـى الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء» والمعنى أنه لو كان تعالى قـد شاء أن يعجل لهم العذاب فإن عذابه كان ـ بلا شـك ـ لاحقا بهـم لايستطيعون منه فرارا فـى أرض الله الواسعة، كمـا أنهم لم يكـن ليرده عنهم ولى أو نصير يحميهم، فالكل أعجز عن رد أمر الله تعالى.

ثم يجىء قـوله تعالى «يضـاعف لهم العذاب» متضمنـا ذكر الحكمة من إمهـالهم وعدم

تعجيل عـذابهم، وهـي مضاعفـة العذاب لهـم، لعدم اغتنـامهم فـرصة الإمهـال بالإيمـان، ولإصرارهم على الكفر.

ثم إنه تعـالى يبين سبب إصرارهـم على الكفرفيبين أنه مـن عند أنفسهم بقوله «مـا كانوا يستطيعون السمع ومـا كانوا يبصرون» وليس معنـى القول أنهم لم يسمعـوا القرآن العظيم ولا الدعوة للإيمان وأنهم لم يروا آياته تعالـى فى الخلق على الحقيقة، وإنما المعنى أنهم كرهوا سماع القرآن العظيم ودعوة رسـول الله ﷺ إياهم للإيمان حتى بدوا كأنهـم فقدوا القدرة على السمع، وأنهـم أغمضوا عيـونهم عن آيـات الله فى خلقـه فى الآفاق وفـى أنفسهم كـراهة أن يؤمنوا حتى بدوا كأنهم فقدوا حاسة الإبصارفلم يشاهدوا شيئا من الآيات، فيكون القول بهذا قد بين علة مضاعفة العذاب لهم .

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾

التفســـــــير:

بعد أن بين تعالى أن الذين افتروا عليه الكذب وصدوا عن سبيله قد صموا وعموا بإرادتهم عن سمـاع الحق ورؤيـة الآيات، فـإنه تعـالى ـ فـى الآية ـ يشيرإليهـم ويخبرأنهـم خسروا أنفسهم باستبدالهم الضـلالة بالهدى وشرائهم الدنيا بالآخرة، فجنـوا العذاب يضاعف لهم، كما يثبت أنهم عدموا الذين كانوا يعبدون وما كانوا يعبدون افتراء على الله أنهم يشفعون لهم، إذ يتبرأ منهم هؤلاء قائلين «ما كنتم إيانا تعبدون» فلا يكون لهم إلا العذاب يضاعف لهم .

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

التفســـــــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ قطع فى صفة هـؤلاء الموصوفين بما سبق ذكره فى الآخرة، يكونون أشد الناس خسـرانا، فقوله تعالى «لا جـرم» يفيد معنى «حق» فيكون المعنى «حقـا إنهم فى الآخرة هم الأخسـرون» . فمن بعد ذكره تعالى فـى الآية السابقة أنهم الذيـن خسروا أنفسهم،

قطع تعالى ـ فى الآية ـ بأنهم أشد الظالمين خسرانا لأنفسهم يوم القيامة؛ ولهذا استحقوا أن يضاعف لهم العذاب .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

التفســـــير:

قولـه تعالى فى الآيـة فى شأن هـؤلاء الذين كانـوا على بينة مـن ربهم، الذين أشـار إلى مصيرهم بذكر مصير المكذبين من الأحزاب ليكون مفهوما من المقارنة بين مصير الفريقين.

جاء قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ مصرحا بمصيـرهم فى الآخرة، وصفهـم تعالى بأنهـم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم، فهم قد صدقوا بالقرآن العظيم فكان المعنى أنهم صدقوا بالله وملائكتـه وكتبه ورسله ودخلوا فى الإسلام، وهم قد عملـوا الصالح من الأعمال، فوافق عملهم مـا انطوت عليه قلوبهم من إيمـان فعملوا بالطاعات وتجنبوا المعـاصى، وهم الذين أخبتوا إلـى ربهم خشعت له تعالى نفـوسهم وخضعت قلوبهم ـ ومصيـرهم فى الآخرة هو ما جاء بقوله تعالى «أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون» أشار إليهم تعالى وأخبر أنهم أهل الجنة الذيـن يخلدون فيها، جاء التعبير عنهم بـأنهم أصحابها لبيان أنهم يـدخلونها من مبتدأ أمرهم وليس بعد خروجهم من النار مثل حال عصاة المؤمنين .

﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

التفســـــير:

بعد ذكـره تعالى مصيـر الكافريـن الذى افتـروا على الله الكذب، ومصيـر المؤمنين الـذين

عملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم فإنه تعالى يبين فى الآية أن اختلاف مصير كل منهما عن مصير الآخر هو نتيجة لاختلاف الحال.

فقال عن فريق الكافرين إنه مثل الأعمى والأصم، وقال عن فريق المؤمنين إنه مثل البصير والسميع، ومن المثال المضروب لكل منهما يبين أن حال الكافرين الذين تعاموا وتصاموا عن آيات الله تعالى يشبه حال من خلق أعمى وأصم لا يجدى وصف له لشىء عن تصور حقيقى له، ولا تنفع معه إشارة.

ويبين منه أن حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات يشبه حال صاحب البصر والسمع. فيكون المراد بيانه هو ضلال الكافرين وعدم اهتدائهم إلى ما فيه خيرهم، واهتداء المؤمنين إلى الطريق الموصل إلى جنته تعالى.

وقوله تعالى «هل يستويان مثلا» هو استفهام إنكارى أريد به إثبات عدم تماثل الفريقين حالا. أتبعه تعالى بقوله «أفلا تذكرون» وهو إنكار لعدم تذكر الفرق بين الكافرين وبين المؤمنين فى الحال بما يستوجب التفرقة بينهما فى المصير والمآل .

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾

التفســـــير:

قوله تعالى فى الآية مبتدأ ذكره قصص الأنبياء، أريد به إظهار واقع ملاقاة الأنبياء والرسل العنت والأذى من الكافرين، ووجوب صبرهم على هذا، تسرية عن رسول الله ﷺ، وتحفيزا له على ألا يكون ما يلقى من الكافرين سببا لعدم بذل أقصى الطاقة فى الدعوة .

فقوله تعالى «ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين» يبين أن الله تعالى هو الذى أرسل نوحا عليه السلام بالدعوة التى كلف بها، وأنه أرسل إلى قومه فقط، فإذا كان رسول الله ﷺ قد أرسل إلى الناس كافة، فقد وجب عليه أن يصبر فوق ما صبر نوح عليه، كما أنه يبين أن رسالته عليه السلام التى بعث بها إلى قومه هى إنذارهم بالعذاب، بمعنى أنه يوقع بهم إن هم لم يؤمنوا له، فهو نذير مبين يوضح أسباب حلول العذاب ويبين أسباب تجنبه

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾

التفســــــير:

القول فى الآيـة هو قول نوح عليـه السلام لقومه جاء فيـه قوله «ألا تعبدوا إلا الله» بيـانا لما أرسل به إليهم وهو النهـى عن الإشراك بالله تعالى، وجاء قوله «إنـى أخاف عليكم عذاب يوم أليم» بيانا وتفصيـلا لما أنذرهم به فكان نذيـرا مبينا، والمنذر به هو العذاب الأليـم يوقع بهم فى يوم جاء مجهلا فى القول إذا هم لم يستجيبوا لدعوته وبقوا على شركهم .

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

أولا: الأســــــماء:

الأراذل: فـى قولـه تعـالـى «إلا الذيـن هـم أراذلنـا» جمع، مفـرده «رذل» و «أرذل»، وهـو الخسيس الدنىء، وهو المنعدم الفضل من الناس .

ثانيا: التفســــــير:

يذكر تعالى فى الآيـة ـ أن الذين ردوا على نوح عليه السلام كانوا الـذين كفروا من أشراف قومه، ومـن القول يبين أن من قومـه عليه السلام من آمـن به. وردهم كان بقولهـم «ما نراك إلا بشرا مثلنا ومـا نراك اتبعك إلا الذيـن هم أراذلنا بادى الرأى ومـا نرى لكم علينا مـن فضل بل نظنكم كـاذبين» والمعنى أنـه فى أعينهم ليـس سوى بشر يمـاثلهم، ويقبل المعنـى أن يكون إنكارهم أن يكون الرسول بشرا، يماثلهم فى صفة البشرية لأنهم ينتظرون رسولا من الملائكة، ويقبل المعنى أن يكـون إنكارهم هو لكـون الرسول مفترضا فيـه ـ وإن كان بشرا ــ أن يعلوهم شرفا ومنـزلة، وهو ما لـم يتوافر فى نـوح عليه السلام إذ ماثلهـم فى الشرف والمنزلـة، ثم إنهم

يذكرون أنهم قد رأوا أن جميع الذين اتبعوا دعوته هـم من أخسائهم وأدناهم منزلة حسب ما يتبين لهم مـن الظاهر أو بحسب ما يعتقد الفكـر فيهم لأول وهلة، ثم أضافوا أنهـم لا يرون فى نوح والذين اتبعوه ما يمتازون به عليهم مما يـرفع أقدار الناس «وما نرى لكم علينا من فضل»، ثم ذكروا مـا أدى إليه ما عاينـوه من أمر نوح عليه السـلام والمؤمنين وهو ظنهـم فيهم الكذب «بل نظنكم كاذبيـن»، وفيه اكتفوا ـ تحرزا ـ بقـولهم إنهم يظنون كذبهم ولا يـوقنون به، والمراد كذبهم أنه أوحى إلى نوح وأن ما يقوله هو الحق من ربه .

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى فى الآية قول نوح عليه السلام لقومه بعد أن أعلنوه أنهم يظنونه وقومه كاذبين، فيذكر أنه قال لهم «أرأيتم إن كنت على بينة مـن ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم» بمعنى أترون ما تكون عليـه الحال إن كنت قد أوتيت حجة من ربى تدل علـى نبوتى وصدقى وأتانـى شرف النبوة رحمـة منه، والرحمـة بالمؤمنين تكـون بهديهم فـوق هداهم. ثـم عميت عليكم نبوتى والهـداية. ثم يقول لهم «أنلزمكمـوها وأنتم لها كارهون» بمعنـى «فهل نكرهكم على قبول البينة الدالة على صدقى ونبوتى، وعلى الاهتداء بهذا إلى طريق الحق ـ فالاستفهام إنكارى يفيـد معنى أنـه لا يصح إكـراههم علـى الإيمان، أو أنـه لا يصح قبـولهم البينـة قسرا بطريق الإكراه .

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾

التفســــــير:

القول مـن قول نوح عليه السـلام لقومه يقـول لهم «ويا قـوم لا أسألكم عليه مـالا» تلطف معهم فـى القول فناداهـم بأنهم قـومه، ثم بيـن لهم أنـه إنما يبلغهم الـدعوة وينذرهـم قصد مصلحتهم وليس مصلحته بدلالة أنه لم يطلب منهم مالاً مقابل إبلاغهم دعوته وإنذارهم. ثم يعلمهم أنه مكلف من ربه مبعوث بما كلف بـه، فيكون جزاؤه عند ربه على الطاعة والتبليغ، وليس عند البشر.

ثم إنه لمـا كان الملأ الذيـن كفروا من قومـه قد أبدوا استياءهـم من ملاحظتهم أن الـذين آمنوا بنوح عليه السـلام هم أدناهم منزلة بما يتضمـن تلميحا بأنه لو كان متبعيـه من أشرافهم لكانوا قـد آمنوا له، فإنه عليـه السلام قال لهم «وما أنا بطـارد الذين آمنوا، إنهم مـلاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلـون» أعلمهم أنه لن يتخلى عن صحبة المؤمنيـن الضعفاء الفقراء من أجلهم أو مـن أجل جذبهـم إلى الإيمان، ثـم إنه يذكـر سبب هذا، وهـو أنهم ملاقـوا ربهم، بمعنى أنهم الأقربون بالطـاعة إلى الله تعالى فهم أصحاب مرتبة عليا لـديه تعالى، وذلك لأن جميع الخلق يـلاقون ربهم للحساب يوم القيامـة، فلزم أن تكون ملاقاة المؤمنيـن هى القرب والزلفى.

وبعد أن أعلمهم عليه السلام بمنزلة المؤمنين الضعفـاء الذين اتبعوه فإنه أخبرهم بحقيقة أمرهم وهـو أنهم يجهلون حقيقة مـوقع هؤلاء المستضعفين من القـرب منه تعالى بـإيمانهم، ولهذا كان منهم احتقارهم وطلب إبعادهم عن صحبة نوح عليه السلام.

وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾

التفســــــير:

القول لنوح عليه السلام يعيب على قومه تلميحهـم إلى وجوب طرده الضعفاء الذين آمنوا عن صحبتـه، يخاطبهـم متلطفا بأنهـم قومه ثـم يسألهـم «من ينصرنـى من الله إن طـردتهم»

والمعنى المراد إيصاله إليهم هو أن هؤلاء الضعفاء المؤمنين ذوو درجة رفيعة عند ربهم، ولهذا فإنه تعالى يغضب لطـردهم إذا وقع، وإذا غضب عليه تعالى فإنه يجازيـه بفعله فلا يكون له نصير يحول دون ما ينزله به ربه .

ثم إنه عليـه السلام ينكر عليهم أنهـم لا يتذكرون ما أعلمهـم به عن حال هـؤلاء الضعفاء فيكون منهم التوقف عن طلبهم البعيد عن الصواب، فيقول لهم «أفلا تذكرون» .

وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾

التفســـــير:

القول من قول نوح عليـه السلام لقومه، ذلك أن قومه قد أعلنوه أنهـم لا يرون له وللمؤمنين من فضـل عليهم، ولما كان الفضـل لديهم يكون بـالجاه والمال، فـإنه نفى أن يكون لـه غير فضل النبوة، مثبتا أنه لم يدع أن لديه المال الوفير «ولا أقول لكم عندى خزائن الله»، ثم إنه لما كان الرزق منه تعالى وهو من الغيب الذى لا يعلمـه إلا الله فإنه أعاد بيان طبيعته البشرية بذكر عدم علمه الغيب «ولا أعلم الغيب»، كذلك فإنهم لمـا استكثروا عليه نعمة الرسالة وقالوا «ما نراك إلا بشرا مثلنا» فإنـه عليه السلام نفى أن يكون قد قال عن نفسه غير أنـه بشر، فهو لم يدع أنه ملك «ولا أقول إنى ملك» .

ثم إنهم لمـا كانوا قد أبدوا احتقارهـم للفقراء الضعفاء الذين اتبعوه وألمحـوا إلى وجوب طردهم من معيته لهـوانهم فإنه عليه السلام أخبر أنه لا يقول عن هـؤلاء إن الله لن يأتيهم خيرا فى الدنيا والآخرة، فهم بإيمانهم خير من الكـافرين الأغنياء ذوى المكانة الرفيعة وأعظم أجرا فى الآخرة، وقد يأتيهم تعالى من خيرات الدنيا ما يفضلون به الكافرين.

فيكون الإنعـام منه تعـالى عليهم بحكـم علمه بمـا فى نفـوسهم فيجازى بـه فى الـدنيا

والآخرة بمقتضى حكمته. وأخيرا فإنه عليه السلام يعلم الكافرين بأنه إن قال إن الله لن يأتيهم خيرا فإنه يكون قد ظلمهم بالحط من منزلتهم كما يكون قد ظلم نفسه لخطئه فى حقهم. والمعنى أنه لن يقول هذا الذى رغب الكافرون أن يقوله فى المؤمنين .

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾

التفســــير:

قوله تعالى فى الآية يوضح أن قوم نوح عليه السلام قد ضاقوا بإصراره على دعوته وتبرموا من مخاصمتهم فى الحق مدافعا عنه بالنقاش والقول، فيذكر تعالى أنهم نادوه باسمه مجردا من وصف النبوة ــ دليلا على إنكارهم نبوته ــ «يا نوح» ثم أبدوا تبرمهم من مخاصمتهم فى الرأى ثم إعادة المخاصمة والجدال فيها مرة بعد مرة على ما يبين من الفاء فى «فأكثرت» اقترنت بما يفيد الكثرة فدلت على أن الكثرة نتجت عن التكرار مرة إثر مرة. ثم إنهم أظهروا سبب عدم انتفاعهم بالجدال وهو كفرهم بما يدعو إليه وبما ينذر به من العذاب الذى أشار إليه بقوله «إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم» فطلبوا منه أن يأتيهم بهذا العذاب إن كان من الصادقين. فيكون مفاد قولهم هو عدم تصديقهم بما أنذرهم به والاستهانة به، واعتباره من الكاذبين .

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾

التفســــير:

يذكر تعالى قول نوح لقومه حين طلبوا منه أن ينزل بهم العذاب الذى توعدهم به إن كان من الصادقين، ومفاد قوله عليه السلام لهم «إنما يأتيكم به الله إن شاء» أنه ينفى عن نفسه الإتيان بالعذاب المذكور أو القدرة عليه، وإثبات ذلك لله تعالى الذى أرسله نذيرا به، ثم إنه علق نزول عذابه تعالى بهم على مشيئته، ليبين لهم أنه ليس مطلعا على الغيب، وأن كل

حدث رهن بمشيئة الله تعالى .

ثم يجىء قواه عليه السلام لهم وما أنتم بمعجزين، لبيان أنه إذا شاء تعالى تعذيبهم فى الدنيا فإنه لن يكون لهم مهرب من العذاب ولا دافع عنهم شره.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣٤)

التفسـيـر:

القول من قول نوح لقومه فى شأن العذاب الذى أخبرهم أن المصيب به هو الله تعالى إن شاء هذا، يذكر لهم ما يفيد أن كل شىء يكون منه تعالى، ومنه الهدى والغواية؛ ولهذا فإنه يقول لهم إنه إذا كان تعالى يريد إغواءهم فيكون ضلالهم فإنهم لا ينتفعون بنصح يقدمه لهم إذ يكون منهم رفضه وعدم قبوله، وذلك إذا ما رأى أن ينصح لهم ليجنبهم العذاب .

ثم يجىء قوله عليه السلام «هو ربكم وإليه ترجعون» لبيان أنه بحكم كونه تعالى ربهم فإنه متولى أمورهم لا يكون منه تعذيبهم إلا إذا استحقوا العذاب بإصرارهم على سببه فيكون إغواؤه تعالى إياهم تابعا لعلمه بإصرارهم هذا فجاءت عليه مشيئته تعالى، ثم إنه يكون إليه رجوعهم فى الآخرة ليكون لهم جزاء الآخرة بما علموا فى دنياهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (٣٥)

التفسـيـر:

ورد عن ابن عباس رضى الله عنه أن القول أنزل فى نوح عليه السلام وقومه، ومفاده أن قومه قالوا إنه افترى ما دعا به على الله، فأمره تعالى أن يقول لهم إنه إذا كان صحيحا ـ على الفرض ـ أنه دعا ما دعا به من نفسه ثم نسبه إلى الله تعالى كذبا فإن وبال افترائه على الله الكذب

يعود عليه، فهو يعاقب به إثما كبيرا اقترفه. ثـم إنه عليه السلام يبين لهم أن قولهم هذا عليه هو إجرام فى حقه لكونـه افتراء عليه الكذب فضلا عن إجرامهم بعـدم الإيمان، ويعلنهم ببراءته من فعالهم هذه .

والقول يقبل أن يكون متعلقا بكفار مكة الذيـن افتروا على رسول الله ﷺ الكذب وادعوا أنه اختلق القرآن، فيكون الأمـر بالقول «إن افتريته فعلى إجـرامى وأنا برىء مما تجرمـون» هو إلى رسول الله ﷺ. ويجوز أن يكون القول فى نوح عليه السلام وقومه ليكون منه ﷺ مع قومه الذين زعموا اختلاقه القرآن قول ما قاله نوح لقومه بأمر ربه .

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى فى الآية أنـه أعلم نوحا عليه السلام بطريق الوحى أنه لن يـؤمن من قومه من بعد الوحى إليه بهـذا أشخاص آخرون غير الذين آمنوا من قبل، ذلك أنـه عليه السلام كان قد صبر على دعوتـه إياهم للإيمان وعلى أذاهـم المادى بالاعتداء عليه أملا فـى أن يؤمن منهم آخرون، فجاء قوله تعـالى ليكون منه اليأس من إيمانهم والقنوط. ثم إنـه عليه السلام لما كان قد صبر على أذاهم أملا فـى إيمانهم، فإنه كان طبيعيا أن يكون يأسه مـن إيمانهم سببا لحزنه وابتئاسه؛ ولهذا نهـاه ربه عن الاستجابة إلى أسباب البؤس والحـزن . ويتصور أن يكون النهى عن هذا متضمنا معنى الإشارة إلى قرب الانتقام منهم .

وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

التفســـــير:

القول فى الآية هو قوله تعالى الذى خاطـب به نوحا عليه السلام، مفاده أنه تعالى أمره أن

يصنع السفينـة التى تكون بهـا نجاته والـذين آمنوا معـه، أوضح تعالـى أن صنعه إياهـا يكون بأعينـه ووحيه، بمعنى أنـه عليه السلام يصنعها تحـت رقابته تعـالى فيحميه مـن أن يحطمها الكافرون أثنـاء عمله فى صنعها، ويجعـل صناعتها على النحو الـذى يريده تعالـى والذى به تتحقق نجاة نـوح والمؤمنين، كما أنـه عليه السلام يصنعها وفق مـا يوحى به إليـه ربه متعلقا بكيفية صناعتها وبهيئتها من مقدمة وذيل وأجناب واستخدام مواد صناعتها. فيكون نوح عليه السلام هو الصانع ويكون تعالى هو المصمم والحامى والمعين.

ثم إنه تعـالى قال له «ولا تخاطبنـى فى الذين ظلمـوا، إنهم مغرقون» نهاه عـن أن يراجعه تعالى فى شأن قـومه أو أن يطلب منه منع العذاب عنهم أو تخفيف شدتـه، ثم أظهر له قضاءه فيهم وهو أنهم مغـرقون، بمعنى أنهم يموتون غرقـا، فيكون القول قاطعا بانعـدام أثر المراجعة فى شأنهم.

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾

التفسـير:

يذكر تعالى فى الآية أن نوحا عليه السـلام أخذ فى صناعة السفينة على النحو الذى أوحى به إليـه تعالى، سواء فـى هذا نوع الخشب المستخـدم فى صنعها، وشكلها، وكيفيـة إلصاق الألواح ببعضهـا. وقيل إن أبناءه سـام، وحام، ويافـث كانوا يسـاعدونه فـى بنائها، وقيـل إنه استأجر آخرين معهم.

ثم إنه تعالى يذكـر أنه كلما مر به بعض أشراف قومه وهو منكـب على صناعته سخروا منه ومما يصنـع ويبذل فيه الجهـد، وقيل إنهم لـم يروا سفينـة من قبل ولهـذا كان استهزاؤهـم به كبيرا، كما يذكر تعالى أن نوحا عليه السلام كـان يرد على سخريتهم بقوله «إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كمـا تسخرون» بمعنى أنكم إذا كنتم تسخـرون منى ومن معى من العـاملين لهذا العمل الـذى هو وسيلتنا للنجـاة من عذاب الله الواقـع لا محال، فإنـا نسخر منكم لأنكـم لم

تعملوا على دفعه عنكم بالإيمان، إذ بقيتم على كفركم وزدتم عليه سخريتكم بنا، فأنتم لا تدرون ما هو مصيبكم ولهذا فإنكم كلما سخرتم منا، سخرنا نحن منكم مثل ما كنتم تسخرون .

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾

التفسير:

القول من قول نوح عليه السلام لقومه لما استهزءوا به يظهر لهم به فساد استهزائهم وانعدام أساسه فهو يتوعدهم بالعذاب يأتيهم جزاء على كفرهم وبيانا لأنه كان الأولى بهم أن يرثوا لحالهم، فقولهم لهم «فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم» هو إعلان عن ثقته عليه السلام أن العذاب الدنيوى آتيهم لا محال، وأنه يذلهم ويهينهم، ثم إنه يحل عليهم فى الآخرة عذاب يلبسهم هو عذاب النار فيه يقيمون إلى الأبد .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

أولا: الأسماء:

التنور : هو البناء المصنوع من الحجارة الذى يخبز فيه. قيل إنه تنور خاص كان لحواء ثم انتقل إلى نوح عليه السلام. وقيل إن المراد به هو كل تنور ـ وقيل إن المراد به سطح الأرض تفجر عيونا .

ثانيا: التفسير:

مفاد قوله تعالى «حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور» هو أن نوحا عليه السلام ظل قائما على عمله إلى غاية معينة هى صدور أمره تعالى، أصدره للسحاب أن ينهمر سيولا، أو للملائكة بتنفيذ أمره بالإغراق. أو إلى نوح بركوب السفينة.

ثم يذكر تعالى أن أمره هذا كان عند فوران التنور بالماء الذى خرج منه. فيكون المعنى أنه

كان عند خروج الماء من باطن الأرض عيونا ظهرت بخروج الماء من التنور الذى هو على أديم الأرض .

ثم يقول تعالى «قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن» والمعنى أنه تعالى أمر نوحا عليه السلام أن يأخذ معه من كل كائن يدب على الأرض زوجين اثنين، بمعنى أن يأخذ ذكرا وأنثى - إذ يدعى كل منهما «زوج» - وكذا أن يأخذ معه أهله، ثم استثنى من أهله عليه السلام من سبق فيهم قوله تعالى إنهم مهلكون، وهم امرأته «واعلة» الكافرة - فى قول - وابنه «كنعان» وهو «يام»، وأن يأخذ معه الذين آمنوا له .

ثم إنه تعالى يذكر أن الذين آمنوا معه وأمره ربه أن يأخذهم معه فى السفينة كانوا قليلين «وما آمن معه إلا قليل» قيل إنهم كانوا ثمانين من الرجال والنساء، منهم أبناؤه سام وحام ويافث ونسائهم.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

أولا: الأسـماء:

١ - **المجرى**: فى قوله تعالى «بسم الله مجريها» المراد به - فى معنى الآية - وقت إجرائها على الماء

٢ - **المرسى**: فى قوله تعالى «مجريها ومرساها» المراد به - فى معنى الآية - وقت إرسائها.

ثانيا : التفسـير:

يذكر تعالى أنه بصدور أمره إلى نوح عليه السلام فإنه أمر المؤمنين أن يركبوا فى السفينة، جاءت «فى» لبيان أن الصعود إلى السفينة أو الركوب لا يكون على سطحها، وإنما يكون فى جوفها. وربما كان هذا لئلا يقذفهم الموج إلى عرض المياه. ثم إنه عليه السلام قال لهم «بسم الله مجريها ومرساها» ، ويتصور أن يكون أمرا منه لهم أن يذكروا اسم الله تعالى حال

إجرائها على الماء وحال إرسائها على اليابسة. ويتصوز أن يكون إخبارا عن واقع أن سيرها كان باسم الله تعالى وأن إرساءها كان به.

ثم يجيء قوله عليه السلام « إن ربى لغفور رحيم » مفيدا أنه غفر لأهل السفينة ذنوبهم فلم يعاقبهم بها بالإغراق ، وأنه شملهم برحمته فأنجاهم بركوبهم السفينة. وقيل إن المغفرة كانت بخروج خنزير وخنزيرة من ذنب الفيل أكلا القاذورات، وأن الرحمة كانت بإصابته تعالى الأسد بالحمى فلم يأكل أحدا ولا شيئا مما كان في السفينة، والقول الأول أظهر.

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾

أولا: الأسماء:

المعزل: فى قوله تعالى «وكان فى معزل»، هو المكان المنعزل ، أو المكان الذى يتم فيه الانعزال عن الغير.

ثانيا: التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن ركوب المؤمنين السفينة كان حال جريانها فى موج كالجبال ، والمعنى هو أن الماء كان يرتفع فى نوبات أو فى موجات تعلو علو الجبال، ويذكر تعالى أن نوحا عليه السلام نادى ابنه الكافر كنعان أو «يام» الذى كان قد اعتزل أباه والمؤمنين فى العقيدة وانحاز إلى الكافرين فى عقيدتهم. كما اتخذ مكانا اعتزلهم فيه ـ والمعنى أن هذا كان فى مبتدأ سير السفينة قبل انقطاع صلة راكبيها بمن هم على الأرض. ثم إنه تعالى يثبت أن نداء نوح عليه السلام ابنه كان بـ « يابنى » لإظهار شفقته به، ثم إنه أمره بالركوب مع المؤمنين مقرنا دعوته إلى الركوب بقوله « ولا تكن مع الكافرين » ليكون المعنى هو « ولتؤمن» فلا تكون مع الكافرين فى عقيدتهم الفاسدة » فلا يكون فى إركابه السفينة مخالفة لأمره تعالى ألا يأخذ فى السفينة إلا من آمن.

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - ما دار بين نوح عليه السلام وابنه الكافر من حوار، ثم ما وقع من أحداث بعد هذا. فيقول تعالى إن ابن نوح عليه السلام أجاب على دعوة أبيه إياه أن يتخلى عن عقيدة الكافرين وأن يركب السفينة مع المؤمنين بقوله « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » فهو لفرط جهله اعتقد أن ما يرى هو من قبيل الطوفانات والسيول المألوفة لا تصل إلا إلى علو معين فيمكن النجاة منها باللجوء إلى جبل يعصم من الماء.

ويقول تعالى إن نوحا عليه السلام بين له حقيقة الحال بقوله « لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم» والمعنى أن أمره تعالى قد صدر بإهلاك الكافرين، ولهذا فإنه ما من أحد يستطيع أن يحول دون نفاذ أمره تعالى فيمن جعل أن يكون منهم، وأن المعصوم من الهلاك بالغرق لايكون إلا من شملته رحمته تعالى، وهي لم تشمل إلا الذين آمنوا، ولهذا كانت دعوته إياه للإيمان.

ثم إنه تعالى يبين أنه بعد هذا الحوار بين نوح عليه السلام وابنه حال الموج بينهما فلم يستمر الحوار لأكثر من هذا، ثم إنه كان مصير الابن الكافر أنه كان من الهالكين بالغرق.

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

أولا: الأسـماء:

الجودى: قبل هو الجبل عموما، وقيل هو قمة جبل أرارات، وقيل إنه جبل بالموصل أو بالشام

ثانيا: التفسـير

يذكر تعالى - فى الآية - أنه بعد أن نفذ قضاؤه فى الكافرين جاء أمره تعالى للأرض أن تشرب ما عليها من الماء ، جاء التعبير عنه بـ « البلع » وهو الازدراد لبيان أنه يتخلل تربة الأرض إلى جوفها فيشبه ازدراد الحيوان طعامه وشرابه، وأنه صدر أمره إلى السماء بالكف عن إرسال مائها، فكان انحسار الماء وانخفاضه بالترتيب على هذا، وكان بهذا قد أحكم تعالى أمره وقضاءه وفرغ منه، والمراد به هو إهلاكه تعالى المجرمين، جاء التصريح به بقوله تعالى « وقيل بعدا للقوم الظالمين » ، فيكون المراد بقوله تعالى « واستوت على الجودى » هو بيان نجاة المؤمنين إذ رست بهم السفينة على جبل ليكون انتشارهم فى الأرض، أما مصير الكافرين فقد كان هلاكهم.

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

التفسـير:

يذكر تعالى - فى الآية - أن نوحا عليه السلام سأل ربَّه أن ينجى ابنه متوسلا إليه بسبق قوله إنه ينجى أهله، وأنه لما كان ابنه من أهله فقد وجبت له النجاة. وقيل فى تبرير سؤال نوح ربه أنه لم يكن يعلم بكفر ابنه الذى كان يخفيه، وأنه لهذا قال له «ولا تكن مع الكافرين» لأنه كان يعتقد أنه ليس منهم .

ثم إن نوحا عليه السلام قال لربه « وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين » وذلك لتكون منه النجاة لابنه لسبق وعده بإنجاء أهله الذى هو أحدهم ، وهو تعالى أحكم الحاكمين، أعلمهم وأعدلهم ، يكون منه حكمه المطلوب بالنجاه لابنه.

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - أنه ردَّ على سؤال نوح ربَّه إنجاء ابنه بقوله « يا نوح إنه ليس من أهلك» بمعنى أنه ليس من أهله الذين وعد تعالى بإنجائهم من الهلاك، وذلك لاختلافه عنه فى الإيمان ، فبين تعالى أن صلة الإيمان هى المعول عليها فى القرابة، فلا يؤخذ بقرابة النسب أو الدم بين مؤمن وكافر، ولهذا لا يرث الكافر مؤمنا. ثم إنه تعالى يصف ابن نوح بأنه عمل غير صالح « إنه عمل غير صالح» بمعنى أن عمله ليس عملا صالحا، جاء الوصف بعدم الصلاح لاحقا الابن للمبالغة فى إظهار عدم صلاح أعماله حتى لكأن سبب هذا هو عدم صلاحه نفسه.

ثم يجيء قوله تعالى « فلا تسألن ما ليس لك به علم ، إنى أعظك أن تكون من الجاهلين» متضمنا النهى عن أن يسأله تعالى مطلبا لا يعلم يقينا أنه صواب يوافق حكمه تعالى فى الأمور، أو يجهل مدى صحة أو عدم صحة وقوعه. فيكون القول مفيدا ألا يكون سؤال الله تعالى مطلبا إلا عند العلم أنه يوافق رضاءه تعالى. ثم إنه تعالى يبين أن ما لا يفعل هذا عند الدعاء بمطلب يكون من الجاهلين ، وهو ما ينزه رسوله نوح عليه السلام عنه . فيكون معنى القول هو « إنى أعظك بنهيك عن دعائى بما لا تعلم أنه يوافق رضائى كراهة أن تكون من الجاهلين الذين يأثمون بسؤالى مطلبا لا أرضاه أو يدعون بمعصية».

قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾

التفســـير:

يذكـر تعالى ما كـان من نوح عليه السـلام بعد أن وعظه تعـالى أن يكون من الجـاهلين، فيذكر أن نوحا استعاذه أن يسأله ماليس لـه به علم ، والمعنى أنه يستعيذ به أن يكون منه عليه السلام بعـد ذلك سؤالـه ماليس لـه به علم، فيكون القـول متضمنا إقرارا بـالخطأ فى سـؤاله السابق وتوبة عـن تكرار مثله، ولهذا جاء قوله عليه السلام « وإلا تغفرلـى وترحمنى أكن من الخاسرين» فهـو يسأل الله تعالى أن يغفر له سؤاله السـابق بإنجاء ابنه الذى سألـه غير عالم بأنه لا يـرضى الله تعالى تحقق المـدعوبه، ويسأله أن يشملـه برحمته بقبول توبتـه، مؤكدا سؤاله هـذا بعلمه أنه إذا لم يغفر له تعـالى ما أخطأ به ولم يـرحمه فإنه يكون من الخـاسرين أعمالهم، فلا يكون له بها ثواب ، وهذا هو الخسران المبين.

قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾

التفســـير:

يذكر تعالى ــ فى الآية ــ أنه من بعد رسو السفينة على الجـودى قيل لنوح أن اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك » ، لـم يذكر فى النص قائل القول، فيتصور أن يكون هو الله تعـالى، ويتصور أن يكـون ملك مـن الملائكة، والقـول أمر بالهبـوط ، قد يكـون من السفينة وقد يكـون من الجبل إلى الأرض. يكـون حاله خلالـه التلبس بالسلامـة والأمن منه تعالى، ثم تكون منه تعـالى البركات والزيادة فى الخير لأمم تكون من نسـل الذين كانوا معه عليه السلام فى السفينـة، ولما كانت البركات قـد جاءت عامة فشملت بركـات الآخرة وهى تكون بمضاعفة الثواب ، فقد فهم من النص أن هذا يكون للأمم المؤمنة التى تكون من نسل الذين كانوا فى السفينة. وربما لهذا جاء قـوله تعالى « وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منها عذاب أليم» وذلـك لبيان أنه يكون مـن نسل هؤلاء الذيـن صاحبوه فى السفينـة أمم تكفربه تعـالى وبنعمه فيكون منـه تعالى أنه يمتعهم فـى الدنيا ثم تكون عـاقبة أخراهم عذابـا أليما، أو أنه يكون من بعـد تمتعهم فى الحياة الدنيـا تعذيبهم فى الـدنيا مع تعذيبهم فـى الآخرة العذاب الأليم.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

التفسـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، يشير تعالى ـ فى القول ـ إلى قصة نوح عليه السلام مع قومه ويخبر عنها أنها من أنباء الغيب ـ والمراد به ما هو موجود إلا أنه غير معلوم ـ ذلك أنه كان مجهولا أمر القصة عن العرب و إن كان معلوما لأهل الكتاب ـ كما يخبر تعالى أن إخباره رسوله ﷺ بها كان عن طريق الوحى، فيكون المستفاد من هذا أن ذكر القصة فى القرآن العظيم هو من قبيل الأدلة التى تثبت نبوته ﷺ مما يدعو قومه للإيمان له.

ثم إنه تعالى يؤكد هذا المعنى بقوله «ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا» وهذا لأن القصة أنسيت بمضى الزمان عليها بدلالة أن شريعة نوح عليه السلام قد أنسيت وأنه لم يتذكرها أحد لأن القرآن العظيم لم يذكر أحكامها مفصلة و إن كان قد أشار إليها. ثم إنه لما كان المحقق أنه ﷺ لم يعلم شيئا عن قصة نوح. ثم ثبت لقومه صحتها مما علموه ـ من بعد ـ من سؤالهم أهل الكتاب عنها، فقد قامت الحجة عليهم أن علمه ﷺ بها كان عن طريق وحى ربه.

ثم يجىء قوله تعالى « فاصبر، إن العاقبة للمتقين» أمرا إليه ﷺ أن يصبر على عناد الكافرين وأذاهم كما صبر نوح عليه السلام على عناد قومه وأذاهم. ثم يعلمه تعالى أنه تكون له ﷺ عاقبة الأمر نصرا منه تعالى وفوزا له وللمؤمنين ، لوعده أن العاقبة تكون للمتقين .

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

أولا: الأســــــماء والأعلام :

١ ـ عـــاد : سبق ذكره وبيانه فى سورة الأعراف .

٢ ـ هـــود : سبق ذكره وبيانه فى سورة الأعراف .

ثانيا: التفســـــير:

يذكر تعالى فى الآيـة مبتدأ قصة قوم آخرين مع رسولهم الذى أرسـل إليهم، فيقول تعالى «وإلى عاد أخاهم هودا» والمعنى «إنا أرسلنا إلـى قبيلة عاد أخاهم هودا» وصف عليه السلام بأنه أخوهم لكونه منهم إذ ينتسبون جميعا إلى أصل واحد. ثم إنه تعالى يذكر أنه خاطب أهل قبيلته مناديا عليهم بأنهم قومه من قبيل التلطف بهم ومعهم ليجذبهم إلى ما دعاهم إليه.

والذى دعاهـم إليه كما يبين من نص الآيـة هو الإيمان بالله وأداء حقه مـن العبادة، وعدم الشرك به يبين من إعلامـه عليه السلام إياهم بأنهم ليس لهم من إلـه غيره.ثم إنه عليه السلام يبين لهـم حقيقة ما هـم عليه من البـاطل والشـرك بالله بقولـه «إن أنتم إلا مفترون» فقـد جمع حقيقة أمرهـم فى شىء واحد هو افتـراؤهم على الله بجعلهم ـ بزعمهم ـ أندادا لـه، فظهر من القول أن الشرك بالله تعالى يدفع المشرك بباطله حتى لا يكاد يكون منه غير الباطل .

يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾

التفســـــير:

القول من قول هود عليه السلام لقومه، وهو قول جميع الرسل للكفار من أقوامهم، يرون أن الرسـل شأنهـم مثل شـأنهم يسعون لنيـل متاع الحيـاة الدنيا فيعتقـدون أنهم يـدعونهـم لما يدعـونهم إليه قصـد كسب مالـى أو علو شأن، فيكون مـن الرسل نفـى هذا الاعتقاد بـإثبات عكسه وهو أنهم لم يطلبـوا على الدعوة أجرا. فهم لا يريدون إلا صلاح حـال أقوامهم. ثم إنه عليه السلام أعلنهم بما أعلن به الرسل أقوامهم مـن أن أجره على دعوته إياهم وعلى إنذارهم هو على ربه وصفه بـأنه الذى فطره بمعنى أوجده ليعلموا أنه الذى فطرهـم وأوجدهم فحق له

عليهم أن يعبدوه .

ثم يجيء قوله عليه السلام «أفلا تعقلون» وهو إنكار لعدم فهمهم أنه ولما يطلب منهم أجرا، وقد ذكر أن أجره على خالقه يكون قد أقام الدليل على عدم ابتغائه نفعا شخصيا، وما يكون ذلك إلا لكونه مبعوثا منه تعالى، فيكون ذلك داعيا لهم لأن يؤمنوا. فيكون المعنى «أئنكم لا تفهمون هذا فيكون منكم الإيمان» .

وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾

التفسير:

القول من قول هود عليه السلام لقومه، وهو بطلب يتمثل فى استغفارهم ربهم مما أشركوا به من قبل، ولما كان الاستغفار لا يكون إلا من مؤمن، فإن مبنى الطلب يكون هو الإيمان بالله تعالى وعبادته، ثم إنه عليه السلام أمرهم بالتوبة إلى الله مما سبق من شركهم، وبعد أن ذكر لهم مطلوبه منهم فإنه عليه السلام حثهم على الاستجابة له بأن بين لهم أنه تعالى يثيب المؤمنين التائبين عن الذنب فى دنياهم، فقال لهم «يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم»، ويفهم من وعده إياهم بإرسال السماء عليهم أنه كان هناك قحط يشكونه، كما يفهم من وعده إياهم بالقوة فوق قوتهم، أنهم كانوا أولى قوة، وقد قيل إنه تعالى كان قد منع عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم لثلاث سنوات، فكان الوعد بإرسال السماء لتكون لديهم قوة المال فوق ما لديهم منه، وبالإخصاب والإنجاب لتكون لهم القوة بالولد فوق قوتهم .

ثم إنه عليه السلام بعد أن حثهم على الإيمان والتوبة نهاهم عن الإعراض عن دعوته بقوله «ولا تتولوا مجرمين»، وفى النهى وصف عليه السلام حال المعرضين عن الدعوة بأنها الإجرام، يكون فى حق أنفسهم بتعريضها للعذاب، ويكون بكفرانهم بالحق مع قيام الدليل عليه .

قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

التفسـير:

يذكر تعالى رد عاد على رسولهم هود عليه السلام عندما دعاهم للإيمان والتوبة وحثهم على ذلك، فيثبت تعالى أنهم بدءوا خطابه بإنكارهم أنه أتى بآية أو حجة ودليل يشهد على صدقه رسولا مرسلا من ربه، وما كان هذا منهم إلا لفرط عنادهم وإصرارهم على تكذيبه، ثم إنهم أظهروا له عليه السلام النتيجة المترتبة على إنكارهم أنه جاء ببينة تشهد له أنه نبى مرسل من ربه فيكون منهم الانتهاء عن الشرك الذى نهاهم عنه. فكان منهم إخباره أنهم باقون على شركهم غير متخلين عن عبادة آلهتهم التى عبدوها من دون الله تعالى.

ثم جاء قولهم الفصل قاطعا باستمرارهم على ما هم عليه من الكفر وعدم إيمانهم به بقولهم له «وما نحن لك بمؤمنين» فيكون قولهم تيئيسا له من معاودة نصحهم ودعوتهم للإيمان.

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

التفسـير:

القول من قول قوم هود تضمن قولا صريحا ووراءه ما وراءه، قالوا له «إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء» بمعنى أن قولنا هو أنه قد أصابك بعض آلهتنا الكثيرة بالجنون، فكان منك قول ما قلت مما لا يقبله عقل.

والذى وراءه هو الإشارة إلى كثرة آلهتهم التى نهاهم عن عبادتها، وأن الذى أصابه بالضرر منها هم البعض منها، وأنه يبقى البعض الآخر الذى لم يصبه بعد بضرر فيكون القول متضمنا تحقيرا لما دعاهم إليه من ترك الشرك، وتهديدا بالضرر فيما لو لم يكف عن الدعوة.

ثم يذكر تعالى أنه عليه السلام تبرأ مما يشركون من دون الله تعالى وأنه أشهد الله تعالى ببراءته من معبوداتهم، ثم طلب منهم أن يكونوا شاهدين على براءته من الآلهة التى يشركون

بها فى عبادته تعالى.

﴿مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥﴾

التفسير:

جاءت «من دونه» تكملة لعبارة «مما تشركون» فتكون العبارة هى «واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه» فالشرك يكون بعبادة من هو دون الله، معه أو مستقلا، ثم إنه عليه السلام طلب منهم أن يجتمعوا جميعا عليه قصد الإضرار به، أو أن يجتمعوا هم وآلهتهم التى عبدوها من دون الله ليكيدوا له مستهدفين الإضرار به، كما طلب منهم ألا يمهلوه أجلا وألا يسامحوه. فيكون قوله عليه السلام من قبيل التحدى الذى يثبت به ضعفهم وما عبدوا عن الإضرار به، فيكون القول متضمنا تسفيه قولهم إن بعض آلهتهم اعتراه بسوء.

﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٦﴾

التفسير:

القول ـ فى الآية ـ من قول هود عليه السلام لقومه، بعد أن دعاهم إلى التواطؤ عليه مجتمعين ليضروا به، قال لهم «إنى توكلت على الله ربى وربكم» فالقول ذكر لواقع هو اعتماده على الله تعالى، وصفه بأنه ربه وربهم لبيان أن ما يعبدون من دونه ليس له من الألوهية شىء، وهو بيان لأن من يتوكل عليه تعالى لا يكون فى مقدور أحد أن ينا له بسوء، ولهذا فإنه عليه السلام لا يخشاهم وآلهتهم.

ثم يجىء قوله عليه السلام «ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها» ذكر لواقع وهو أن مقادير كل ما يدب على الأرض من مخلوقات هو بيده تعالى، يصرف أمور الخلق، جاء التعبير عن نفوس المخلوقات بالناصية ـ وهى مقدم الرأس ـ لأن من يقدر على أن يأخذ المخلوق من ناصيته يكون قادرا عليه.

وقوله عليه السلام لهم «إنى ربى على صراط مستقيم» معناه أنه تعالى وإن كان قادرا على كل شىء إلا أنه لايؤاخذهم ويعذبهم إلا بما هو عليه من الطريق المستقيم، والمراد هو العدل يؤاخذ به العصاة والمجرمين .

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾

التفســــير:

لايزال القول من قول هـود عليه السلام لقومه، يقول لهم «إذا بقيتم على ما أنتم عليه من الكفر وأصررتم على عدم الإيمان»، أو «إن تتولوا من بعد بلاغى هذا»، فإنى لا أسأل عن أفعالكم، فقد أبلغتكم ما كلفنى ربى أن أبلغكم إياه وما بعثنى به إليكم.

ثم يجىء قوله عليه السلام «ويستخلف ربى قوما غيركم ولاتضرونه شيئا» والمستفاد من القول أنه عليه السلام سبق له إنذارهم بالهلاك فيكون هذا من قبيل ما أبلغهم به من قبل وما أرسل إليهم به. ثم إنه عليه السلام يعلمهم أنهم لن يضروا الله تعالى شيئا بإهلاكهم كما أنهم لم يضروه شيئا بكفرهم .

ثم يجىء قوله عليه السلام لهم «إن ربى على كل شىء حفيظ» مفيدا معنى إثبات أنه تعالى رقيب على أعمالهم، عليم بها وبما فى صدورهم، فيكون القول مشيرا إلى أنه تعالى محاسبهم بهذا ومجازيهم به ما يستحقون من العذاب .

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾

التفســــير:

مفاد قوله تعالى «ولما جاء أمرنا» هو أنه لما جاء الأمر بالعذاب منه تعالى، كان منه تعالى أنه أنجى هودا عليه السلام منه والذين آمنوا معه، فيكون المستفاد من هذا ـ بمفهوم المخالفة

ـ هو هلاك غيرهم من الكافرين به، ويذكر تعالى سبب إنعامه على هود والذين آمنوا بالنجاة بقوله تعالى «برحمة منا» فهو تعالى رحمهم من العذاب بما أنعم عليهم من الإيمان كان سببا لمنع العذاب عنهم.

ثم يقول تعالى «ونجيناهم من عذاب غليظ» وهو بيان لما نجى منه هودا والذين آمنوا معه، وهو عذاب غليظ، لكونه إنما كان بالريح تحمل الظعينة وتهدم المساكن وتدخل فى الصدور وتخرج من الأدبار فتقطع الأجساد إربا على ما نقل على المشهور.

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾

التفســــــير:

يشير تعالى فى الآية إلى قبيلة عاد التى أهلكها تعالى بالريح، أو إلى آثارهم أو قبورهم الباقية، جاءت الإشارة إليها بـ «تلك» ـ وهى للبعيد ـ لتحقيرهم، والمراد بالإشارة إليهم هو الاتعاظ بما حاق بهم؛ ولهذا بين تعالى علة ما أصابهم بقوله تعالى «جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد» فهم قد أنكروا الآيات التى جاء بها رسولهم هود عليه السلام وعصوا هودا والرسل الذين سبقوه الذين دعوا جميعهم إلى عقيدة واحدة هى عبادة الله تعالى وتوحيده وعدم الشرك به، ثم إنهم عصوا الرسل وأطاعوا الجبابرة المعاندين، إذ اتبعوا الذين كذبوا نبيهم تعاليا منهم على الحق وقبوله والذين أصروا على الشرك عنادا من أنفسهم.

وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

التفســــــير:

قوله تعالى فى الآية فى تفصيل مصير عاد القبيلة التى كذبت نبيها، يذكر تعالى أنهم

أتبعوا فى الدنيـا لعنة، فهم لكونهم اتبعوا كـل جبار عنيد فقد حق فيهم أن تتبعهـم اللعنة فى الحياة الدنيـا أينما حلوا فلا يملكون منها فـرارا، ولهذا كان هلاكهم كما أن اللعنـة تحيق بهم يوم القيامة بالخلود فى عذاب الآخرة.

ثم يجـىء قوله تعالـى «ألا إن عادا كفروا ربهم» بيـانا لسبب حلـول اللعنة بهم فى الـدنيا والآخرة وهو كفرانهم نعم ربهم.

وقوله تعالى «ألا بعدا لعاد قوم هود» دعاء عليهـم بالهلاك مع كونهم هالكين، وذلك لبيان استحقاقهم العذاب، ويوضـح القول أن المراد بعاد هو عاد الأولى قوم هـود وليس عادا الثانية المشهورة بـ «إرم ذات العماد» .

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾

التفسـيـر:

قوله تعالـى فى الآية ذكر لقصة أخرى هى قصـة صالح عليه السلام مع قـومه قبيلة ثمود، يذكر تعالى أنه أرسل إلى ثمود أخاهم صالحا نبيا مرسلا، فهو من القبيلة ولهذا وصف بأنه أخ لأهلها. جاء إيجاز رسالته فى قوله لهم «يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره» والأمر بعبادة الله مفاده الأمر بالإيمان به والإيمان بحقه فى أن يعبد، وقوله لهم «ما لكم من إله غيره» يفيد أنهم كان منهم من يؤمن بوجود الله غير أنه كان يتخذ معه معبودات أخرى أو آلهة أخرى، ولهذا أكد لهم نبيهم أنه ليس لهم من إله غيره، فيكون القول دعوة إلى توحيد الله تعالى.

وبعد ذلك يجىء قول صالح لقومه «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها» لبيان أن الله تعالى وحده هو الخالق وهو الوهاب الرازق، المعطى الوسيلة والمخلف فى الأرض. فهو أنشأ أباهم آدم عليه السـلام من طين الأرض، ومن آدم تناسلوا فيكون أصـل وجودهم من الأرض، وهو الذى استعمرهم فى الأرض فعمروها وكانوا عمارها وساكنيها.

والقول بهذا المعنى يكون بيانا لكونه تعـالى المستحق العبادة وليس غيره، وأنه المستحق أن يعبد وحده لا يشرك به .

وبعد أن بين صالح لقومه وجوب عبادة الله وحده وعدم الشرك به فإنه طلب منهم الإيمان به وعبادته يكـون أول ما يكون بطلب المغفرة منه عما أشـركوا به من قبل، ويكون بـالتوبة عن العودة إلى ما كانوا عليه من قبل من الشرك «فاستغفروه ثم توبوا إليه».

ثم إنـه عليه السلام يفتح لهـم سبيل التوبـة والإيمان بقولـه لهم «إن ربى قريـب مجيب» بمعنى أن رحمته قريـب من المؤمنين المحسنين، وأنه يستجيب لمـن دعاه مخلصا أن يتوب عليه فيتوب عليه ليتوب .

قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

أولا: الأســــــماء:

المرجـــــو: هو الذى يؤمل فيه خير.

ثانيا: التفســـــير:

يذكر تعالى فى الآيـة أن قوم صالح قالوا له إنه كان قبل أن يدعوهـم إلى توحيد الله تعالى مرجوا فيهم بمعنى أنهم كانوا يأملون فيه خيرا ـ قيل إنه تولى الرئاسة فيهم ـ فيكون المعنى أن دعوته إياهـم لتوحيد الله تعالى أذهبت ما كانـوا يأملون فيه، ثم جاء بيان مـا استنكروه منه وما أذهب أملهم فيه بقولهم «أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا» فأظهروا أن نهيهم عن عبادة معبودات آبائهم هو الأمر البشع الذى استنكروا صدوره منه فكان سببا لانقطاع رجائهم فيه.

ثم يجىء قـولهم له «وإننا لفى شـك مما تدعونا إليـه مريب» إظهارا لحالهـم وهو الشك فيما يدعوهم إليه شكا يدعو إلى الريبة، فيكون سببا للشك فى كل ما يقول

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾

التفســــير:

يذكر تعالى فى الآية قول صالح لقـومه، والقول استفهام أريد به إثبات واقع هو المستفهم عنه ـ حسب الظاهر ـ وهو أنه عليه السلام علـى بينة من ربه، بمعنى أنه تعالى على بصيرة من ربه، وأنه مدعم بالحجـة الظاهرة على صدقه كما أنه تعالى آتاه رحمـة من لدنه هى التفضل عليه بالنبوة وشرفهـا، وأنه إذا ما استجاب لهم وعمل على نيل رضائهم بـالتساهل فى التبليغ بما كلـف به عـاصيا بهـذا ربه، فـإنه لا يكـون منهم لـه إذ عمل علـى إرضائهـم غير إكسـابه الخسران فيكون القول مشيرا إلى خسرانهم ينالونه به إذا هو أرضاهم وعصى ربه، وحالئذ فإنه لا يجد له من دون الله نصيرا يمنع عنه غضبه تعالى .

وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾

التفســــير:

القول قوله عليه السلام عندما أخرج لقومه الناقـة، أشار إليها وقال لقومه «ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية» نسبها فى الإخبار عنها إلى الله تعالى تشريفـا لها لكونها آية منه تعالى. ثم أمرهم أن يتركوها ترعى فى أرض الله لا يزجرونها ولا يبعدونها عن كلإٍ، كما أمرهم ألا يمسوها بسوء من عقر أو قتل، ثم إنه عليه السلام قرن أمره إياهـم بتركها تأكل فى أرض الله ونهيهم عن المساس بها بسوء بتهديد مفاده أنهم إذا لـم يفعلوا ما أمـروا به و إذا لم ينتهوا عما نهوا عنه فإنه يصيبهم عذاب فى الدنيا يكون قريبا لا إمهال فى إيقاعه بهم .

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾

التفســــير:

يذكر تعالى فى الآيـة ما وقع من قوم صالح وما كان منه عليـه السلام معهم بعد فعلهم ما فعلوا، فهم عقروا الناقة بمعنى أنهم نحروها مخالفين بهذا أمره إياهم بعدم المساس بها بسوء استخفافا بما توعدهم به من العذاب إذا خالفوا أمره فيها. وهو عليه السلام أمهلهم لثلاثة أيام يقضونها فـى بيوتهم أوفى بلـدتهم قيل إن وجوههـم اصفرت فى اليوم الأول، ثـم احمرت فى اليوم الثـانى، ثم اسـودت فى اليوم الثـالث. ثم أخبرهـم أنه بعد هـذه الأيام الثلاثـة يصيبهم العذاب، أكد لهم أنه نازل بهم بوصفه توعدهم به بأنه وعد غير مكذوب، بمعنى أن الحادثات لاتكذبه، فيتعين أن يكون صادقا .

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾

التفســــير:

يذكـر تعالى فى الآيـة أنه لما جاء أمـره بنزول العذاب بقوم صـالح عليه السلام كـان منه تعالى ـ على ما جرت به سنته ـ أنه أنجى صـالحا والذين آمنوا معه، كانت نجاتهم رحمة منه تعالى بهم أو أنهم نجوا بسبب رحمته تعالى بهم، وأنه تعالى أنجاهم من الذل والخزى الذى أصاب المهلكين بإهلاكهم بالصيحة .

ثم إنـه تعالـى يخاطـب رسولـه ﷺ بقوله «إن ربـك هو القـوى العزيـز» لبيان أن إهـلاكه الكافرين وإنجاءه المؤمنين كان من مظاهر قدرتـه وقوته تعالى وعدم قدرة غيره على منع أمر به مما جرت به مشيئته .

وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾

التفســـــير:

القول فـى وصف العـذاب الذى أهلك بـه قوم صـالح عليـه السلام، يذكـر تعالـى أنهم أخذتهـم الصيحة، وهى صيحة مـن السماء أو هى صيحة جبـريل عليه السلام فيهـا الصعق وفيها الفزع.

وفى القول وصف تعالى المهلكين بأنهم الذين ظلموا لبيان أنهم ظلموا بنحرهم الناقة من بعد ظلمهم بالكفر.

ثم إنه تعالى يصف حالهم من بعد الصيحة ـ وفيـه بيان لأثرها الذى أحدثت بقوله تعالى «فأصبحوا فى ديارهم جاثمين» بمعنى أنهم أصبحوا موتى جثثا هامدة .

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

التفســـــير:

بعد أن ذكر تعالى أن قـوم صالح عليه السلام أصبحوا فى ديارهم جثثا هـامدة، قال تعالى «كأن لم يغنوا فيها» أى أنهـم انعدم وجودهم فأصبح الحال كما لو أنهم لـم يوجدوا فيها من قبل متمتعين بما أنعـم عليهم. ثم يذكر تعالـى من كبائرهم التى بها عـذبوا وبها استحقوا أن يكون الدعـاء عليهم بقوله «ألا إن ثمود كفروا ربهـم» ثم يجىء الدعاء علهـم «ألا بعدا لثمود» بالهلاك. مع كونهم مهلكين، لبيان استحقاقهم له.

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾

أولا: الأســـــماء:

١ ـ البشرى: المراد بها ـ فى معنى الآية ـ التبشير بإسحاق تنجبه سارة التى كانت عاقرا .

٢ ـ الحنيذ : هو السمين، الممتلىء لحما وشحما .

ثانيا: التفســـــــير:

يقول تعالى فى الآية «ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى» ولم يقل «ولقد أرسلنا» وذلك لأن المرسلين إنما كانوا مرسلين إلى قوم لوط بالعذاب ولم يكونوا مرسلين إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقومه. ومجيئهم إبراهيم إنما كان لتبشيره بأن امرأته سارة العجوز العاقر تحمل وتلد ابنا له.

ثم يقول تعالى أنهم سلموا عليه «قالوا سلاما» بمعنى أن الرسل ـ وهم ملائكة الله تعالى المرسلون ـ قالوا له «إنا نسلم عليك» فرد عليهم تحيتهم بالسلام «قال سلام».

ثم يذكر تعالى أنه لم يبطىء عليهم وجاءهم ـ بصفتهم أضيافا ـ بعجل سمين ليأكلوا منه.

ويوضح هذا أن الملائكة ـ وقيل إنهم كانوا اثنى عشر ملكا ـ جاءوا فى هيئة غلمان من البشر، ولهذا فإنه عليه الصلاة والسلام أتى إليهم بالعجل الحنيذ ليأكلوا .

فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى فى الآية أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما شاهد الملائكة لايمدون أيديهم إلى الطعام الذى قدمه إليهم، والمعنى أنهم لايأكلون، نفر منهم «نكرهم» وشعر بالخوف منهم، فهم فى هيئة البشر، وهم مجهولون له. فإذا صاحب هذا أنهم لايأكلون ما قدم لهم من طعام فإن هذا يكون من شأنه الخوف منهم نتيجة عدم معرفته بهم وبسبب مجيئهم له. ثم إنه إن كان قد اعتقد أنهم ملائكة، فإنه يعلم أن الملائكة تنزل لعذاب من أمر تعالى بتعذيبهم من الأقوام، فحق له أن يخاف أن يكون نزولهم لعذاب قومه.

ثم يذكر تعالى أنهم قالوا له «لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط» ويبين من القول أن الملائكة تعرف ـ بأمر الله ـ ما يجول فى نفوس البشر، ولهذا فإنهم طمأنوه وطلبوا منه ألا يخاف، ثم أتبعوا هذا بإعلامه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط على التخصيص وليس إلى عموم

قومه عليه الصلاة والسلام.

وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى فى الآية خبر سارة امرأة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فيقول إنها كانت قائمة، بمعنى أنها كانت قائمة على خدمة الضيف غير مستترة لكبر سنها، أو أنها كانت واقفة خلف الستر، وأنها لما سمعت كلام الملائكة يخبرون إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنهم أرسلوا إلى قوم لوط فذهب عنه الخوف فرحت لذهاب الخوف عن نفسه فضحكت .

فكان منه تعالى أن زاد من فرحها بتبشيرها بإسحاق تحمل به وتلده، بشرتها بهذا الملائكة ضيف إبراهيم، وبأنه يكون من بعده يعقوب، لم تتضمنه البشارة و إنما كان إعلاما لها بأنه يكون من إسحاق أن ينجبه فيكون نسلا له فيه النبوة من بعد إسحاق .

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾

أولا: الأســـــماء:

١ ـ العجــوز: صفة للمرأة المســـنة .

٢ ـ الشيخ : صفة للرجل المسن الذى شاخ أو بلغ مرحلة الشيخوخة .

ثانيا: التفســـــير:

قوله تعالى فى الآية استئناف للقصة، فيذكر تعالى أن سارة حين سمعت البشارة بالولد وهى امرأة عجوز صاحت بما يقال عند كل أمر فظيع تدليلا على تعجبها مما سمعت «ياويلتى»، ثم أبدت أسباب تعجبها مما سمعت واستهواله بقولها «أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا» فهى عجوز ليس لمثلها أن تحمل وتلد ، وزوجها شيخ لا يقدر على الإنجاب فى عادة البشر وطبيعتهم. ثم قالت «إن هذا لشىء عجيب» بمعنى أنه لم تجر به سنة الله فى

خلقه .

﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾

التفســــير:

يذكر تعالى في الآية أن الملائكة حين سمعوا قول سارة ورأوا تعجبها مما سمعت أنه يكون منها ولد لإبراهيم، أنكروا عليها هذا وهى التى عاشت فى بيت النبوة تعلم أنه تعالى قادر على المعجزات وأنه لا يتقيد بسنته فى الخلق، فقالوا لها «أتعجبين من أمر الله». ثم إنهم أضافوا قولهم «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت» والمعنى هو أنها من بيت النبوة، وأنه تعالى قد أنعم على أهل بيت النبوة بالرحمة والبركات وهى الخيرات المتتالية المتكاثرة، فليس عجيبا أن يكون من رحمته أنها تنجب على كبر سنها وشيخوخة زوجها، ولا أن يكون من بركاته تكثير نسلهما بأن يكون من وراء إسحاق يعقوب .

ثم إنهم - أى الملائكة - يشيرون إلى وجوب حمده تعالى وتمجيده بما أنعم عليها وعلى زوجها مما بشرت به، فهو تعالى المستحق الحمد، وهو المجيد العظيم الخير والإحسان .

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤﴾

أولا: الأســــماء:

الــــروع : هو الخوف والفزع .

ثانيا: التفســــير:

القول - فى الآية - استئناف لذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع الملائكة ضيفه. يذكر تعالى أنه لما ذهب عن إبراهيم الخوف الذى اعتراه حين لم يعرف حقيقة الملائكة ولم يعرف لأى غرض جاءوا إليه، وبعد أن وصله منهم ما بشروا به زوجه أنه يكون له منها الذرية، فإنه جادل ملائكته تعالى فى أمر ما أرسلوا به من تعذيب قوم لوط، فقال لهم - حين قالوا له

«إنا مهلكوا أهل هذه القرية » ـ «أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين، أتهلكونهم» قالوا «لا» قال «فأربعيــن» قالوا «لا» إلى أن قال لهــم «أرأيتم إن كان فيهم رجل مسلــم أتهلكونها» قالوا «لا» قال «فإن فيها لــوطا»، قالوا «نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امـرأته كانت من الغابرين».

فهذا هو جدال إبراهيم فى قوم لوط .

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾

أولا: الأســـــــماء:

١ ـ **الأواه**: هو الكثير التأوه من خشية ذنوبه، وتأسفا على حال الناس .

٢ ـ المنيب : هو الذى يرجع إلى الله دائما فى كل شأن من شئونه .

ثانيا: التفســـــير:

بعد أن ذكــر تعالى أمــر جدال إبــراهيم فى قــوم لوط فإنــه ذكر بعــض صفاته عليــه الصلاة والسلام التى دفعت بــه إلى هذا الجدال فهو حليم لا يتعجل الانتقــام ممن يستحقه، وهو أواه يتأسف لحال المؤمنيــن ويرجو إيمانهم، وهو الذى تملأه الشفقة فيعود إلــى الله تعالى فى كل شأن من شئونه.

يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى ـ فـى الآية ـ أنه نهى إبراهيم عن الجدال فى أمر قـوم لوط، أمره تعالى بهذا أو أمرته به الملائكة بأمر ربهم، ثم إنه أخبر بــأن أمر ربه بعذاب قوم لوط قد جاء، وأنه لما كان لا راد لأمر الله فــإنه يكــون مقدرا ومقــررا ما جــاء بقولــه تعالــى «وأنه آتيهــم عذاب غيــر مردود»

فالعذاب نازل بهم، غير مردود عنهم بجدال أو دعاء.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾

أولا: الأســـــماء:

١ ـ **الذرع** : فى قوله تعـالى «وضاق بهم ذرعا» هو الطاقة والجهـد، من الذراع، أو من ذرع البعير إذا سار مادا خطوه .

٢ ـ **العصيـب** : فى قـوله تعـالى «هـذا يوم عصيب» هـو الشديـد، من «العصـب» بمعنى الشدة.

ثانيا: التفســـير:

يقص تعالـى فى الآية ما كـان من بعد انصراف الملائكـة من عند إبراهيـم عليه الصلاة والسلام متجهين إلى حيث قوم لوط فى قرية سدوم.

فيذكر تعالـى أنهم لما جاءوا لوطا عليه السـلام فى هيئتهم التى كانوا عليهـا غلمانا مردا ـ قيل فى هذا إنهم قابلوا ابنته وسألوها عمـن يضيفهم، فقالت لهم: «مكانكم» تحذيرا لهم من دخول القرية خوفا من فعل أهلها بهم، ثم توجهت إلى أبيها فأخبرته خبرهم، فطلب منهم ألا يدخلوا القرية شاهـدا على فعل أهلها وكانوا قد طلبوا منه استضافتهـم، وقيل إن جبريل عليه السلام استعـاده القول أربـع مرات لتكـون منه أربـع شهادات علـى قومـه قبل أن يحـل بهم العذاب.

يذكر تعالى أنهـم لما جاءوا لوطا على هيئتهم هذه ساءه مجيئهم لاعتقـاده أنهم بشر خوفا من أن يصيبهـم من قومه فعلهـم المشين، كما أنـه ضاق بهم ذرعـا فلم تقدر قصارى قـدرته وأقصى جهده على تصور ما يحتمل أن يحل بهم وهم فى ضيافته.

ثم إنه قال فى نفسه عن يوم لقائهم «هذا يوم عصيب» أى أنه يوم شديد عليه يصعب عليه تحمل ما يقع فيه على توقعه .

وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾

التفســـــير:

القول ــ فى الآية ـ فـى أحداث قصة قوم لـوط، يذكر تعالـى أن قوم لوط حين علمـوا نبأ وجود الأضيـاف عنده مع مـا عرفوه مـن صفاتهـم جاءوا إلى بيتـه مسرعين الخطـو، أو يحث بعضهم بعضا، وإثباتـا لسوء نياتهم وبيانا لقصدهـم السىء جاء قوله تعالى «ومـن قبل كانوا يعملون السيئـات» فهم جاءوا ليبـاشروا عملا سيئا مـن الأعمال السيئة التـى كانوا يعملـونها ويكررون عملها، وهى ــ إن كانت كثيرة ـ فإن أخصهـا والمتعلق بالرواية هو إتيـانهم الذكور، فتكون علة مجيئهم إلى لوط والإسراع فى المجىء هى الـرغبة فى ممارسة الفاحشة مع ضيفه الذين سمعوا بهم .

ثم يذكـر تعالى أن لوطا عليـه السلام قال «يا قوم هؤلاء بنـاتى هن أطهرلكم» أعلـن قبوله تزويج بنـاته ممن كانوا قـد طلبوا الزواج منهن مـن قبل فرفض لانتعدام الكفـاءة، لعل هؤلاء يمنعون الباقين عن بغيتهـم، وقال لهم ترغيبا لهم فى الزواج من بناتـه «هن أطهرلكم» بمعنى إن إتيان الزوجـة فى المكان الذى أمر لـه أن تؤتى فيه يكـون أطهر وأنقى من إتيان الـذكور فى موضع القاذورات من المحاشى.

ثم إنه عليه السلام أمرهم بتقوى الله بعدم الإقدام على ما عزموا عليه وطلب منهم ألا يكون منهم مـع ضيفه فعلهم الشائن فيكـون فى ذلك خـزى له وفضيحة لعـدم قدرته على حمـاية ضيفه من أن يفعل بهم السوء .

ثم جاء قوله عليه السلام «أليس منكم رجـل رشيد» طلبا لنجدة يقوم بها رجل منهم يكون

عاقلا رشيدا و إظهارا منه لواقع عدم وجود مثل هذا الرجل بينهم ، فيكون القول تعبيرا عن اليأس من أن يكون منهم من يردهم عما عزموا عليه .

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾

التفسـير:

يذكر تعالى - فى الآية - أن قوم لوط عليه السلام أعرضوا عن نصحه إياهم بتقوى الله، كما أنهم رفضوا عرضه عليهم تزويج الراغبين منهم من بناته، فقالوا له «لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق» بمعنى أنهم ليس لهم حق فى الزواج من بناته ولا رغبة من بعد سبق رفضه تزويجهم بهن، أو أنهم ليس بهم حاجة إلى قضاء حاجتهم من بناته، ثم أتبعوا هذا بقولهم «و إنك لتعلم ما نريد» بمعنى أنك تعلم أننا ما قصدناك إلا لنقضى شهوتنا فى ضيفك الذين عندك، فيكون القول مفيدا تصميمهم على ارتكاب الفاحشة مع ضيوفه الكرام .

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾

أولا: الأسـماء:

الـركن : فى قوله تعالى «أو آوى إلى ركن شديد» هو الناحية من البيت أو الجبل، والمراد به - فى معنى الآية - العشيرة ذات المنعة .

ثانيا: التفسـير:

يذكر تعالى - فى الآية - قول لوط عليه السلام حين تبين تصميم قومه على فعل الفاحشة بضيوفه قال - تعبيرا عما فى نفسه من الأمانى - «لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد» بمعنى أنه تمنى لو كان له أنصار وأتباع يتقوى بهم على أراذل قومه طالبى الفاحشة فيمنعهم، أو أن تكون له عشيرة ذات منعة يلجأ إليها فتحميه وضيفه من اعتداء قومه وما انتووه .

قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

أولا: الأســــماء:

القطع من الليل : فى قوله تعالى «بقطع من الليل» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ جزء من الليل، أو بقية منه، وقيل هو بعد جنح الليل، وقيل هو نصف الليل .

ثانيا: التفســـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن ضيوف لوط عليه السلام قالوا له وقومه على باب بيته «يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك»، وقيل إنهم قالوا له هذا بعد أن طلبوا منه أن يفتح لهم باب بيته، فلما فتحه لهم ودخلوا عليه طمس جبريل عليه السلام أعينهم فرجعوا يتخبطون فى سيرهم قائلين إن لوطا جاءهم بسحرة، فقال لوط فى نفسه «يذهب هؤلاء ويتركوني لقومى» فعندئذ قال له جبريل «إنا رسل ربك لن يصلوا إليك»، ثم إنهم أمروه أن يسير بأهله سير الليل ـ وهو السرى ـ يكون بقطع من الليل هو ـ على الغالب ـ عند السحر، كما أمروه ألا يكون تخلف من أحد من أهله أو ألا يكون التفات منه إلى ما أصاب القوم من عذاب، مخبرين عن أن امرأته عليه السلام يكون منها مخالفة الأمر.

والمشهور أنها التفتت إلى قومها لما سمعت صوت العذاب وصاحت «واقوماه» فأصابها حجر قتلها، فيكون هذا معنى «إنه مصيبها ما أصابهم».

ثم إن الملائكة أخبروه عن موعد حلول العذاب بقومه فقالوا له «إن موعدهم الصبح» فيكون القول داعيا إلى الإسراء بأهله، وقيل إنه عليه السلام قال للملائكة إنه يريد أن يكون عذابهم أسرع من هذا فقالوا له «أليس الصبح بقريب» .

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾

أولا: الأســـــــماء:

١ ـ السجيل : هو الطين المتحجر، وقيل هو الشديد من الحجارة .

٢ ـ المنضود : هو المرتب بعضه على بعض، أو المرسل بعضه إثر بعض .

ثانيا: التفســـــير:

يذكر تعالى ما كان من شأن قرى قوم لـوط حين جاء أمره تعالى بحلول العذاب بها وهى: ميعة، وصعرة، وعصرة، ودومـا، وسدوم، يذكر تعالى أنـه قلبها بعذابه فأصبح عـاليها سافلها، وأنه تعالـى أمطر عليها حجارة من الطين المتحجـر بعضه فوق بعض أو إنه أرسل فـى نوبات يتبع بعضها بعضا، كانت تقتل من تصيبه .

مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

أولا: الأســـــــماء:

المســـوم : هو الذى عليه سيما معين يعرف به، قيل إن الحجارة التى قذفت بها قرى قوم لوط كانت بها علامات تعرف بها أنها ليست من حجارة الأرض .

ثانيا: التفســـــير:

يذكـر تعالى فى الآيـة أن الحجارة التى ألقيت علـى مدن قوم لـوط كانت مسومـة عنده تعالى، بمعنى أنهـا كانت لها علاماتهـا الخاصة بها التى ليس لهـا مثيل فى حجارة الأرض، وهذه العلامات كانت بها منذ وجودها فى خزائنه تعالى.

ثم إنـه تعالـى يذكـر أن هذه الحجـارة المسومـة عنده تعـالى ليسـت بعيدة عـن أن تنال الظالمين، ويقبل القول أن يكون المراد بالظالميـن هم قوم لوط، لم تكن الحجارة لتخطئهم، ولا لتبعد عنهم.

ويقبل القول أن يكون المراد به تهديد الظالمين فى كل زمان بأن إهلاكهم بهذه الحجارة أو بمثلها ليس بعيدا عن أن ينالهم بإرادته تعالى انتقاما منهم لكفرهم .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) ﴾

التفسير:

معنى قوله تعالى «وإلى مدين أخاهم شعيبا» هو «وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا» وصف أنه أخ لهم لكونه من قبيلة مدين فهو أحد أهلها.

يذكر تعالى أنه أمرهم بالإيمان بالله وعبادته وتوحيده، أى أنه دعا للإسلام بالمعنى العام الذى دعت إليه جميع الرسل وهو العقيدة التى لم يخل منها دين.

ثم إنه أمرهم بعد هذا بأحكام شرعية تتعلق بالمعاملات فأمرهم ألا يغبنوا الناس وألا يأكلوهم فى بيع أو شراء فيما يكال أو يوزن، والمعنى ينصرف إلى كل ما فيه غش.

ثم إنه عليه السلام بين لهم أنهم يرتكبون الحرام مع عدم حاجتهم إليه لكونهم فى غنى ووفرة «إنى أراكم بخير»، ثم يعلمهم أنه ما نهاهم عما نهاهم عنه إلا لخوفه عليهم أن يعذبوا بأفعالهم فى يوم يحيط عذابه بكل الآثمين فلا يكون لأحدهم منه نجاة .

﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) ﴾

التفسير:

القول من قول شعيب لقومه بعد أن نهاهم عن إنقاص المكيال والميزان إذا باعوا، جاء

أمره إليهم بمـا يتمم كمال الفعل، وهو أن يتم إيفـاء المكيال والميزان بالعدل، ثـم جاء الأمر بعدم بخس الناس أشياءهم فى كل شىء ليكـون عدم البخس فى الكيل والوزن تطبيقا لحكم عام فى شأن المعاملات المادية عموما .

ثم يجىء قوله عليه السلام «ولا تعثوا فى الأرض مفسدين» نهيا عن الفساد والإفساد عموما يكون بالسعـى فى الأرض لإفساد الناس، وبمقارفتـه، فيكون من قبيل ذكر العـام بعد الخاص فى شأن المنهى عنه من التصرفات .

بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾

التفســـــير:

القول مـن قول شعيب عليـه السلام لقومـه من بعـد أمره إياهـم أن يوفوا الكيـل والميزان بالقسط وهو نصح لهم بإعلامهم وجه الحق فى المسألة.

فهو يبيـن لهم أن مـا يبقى لهم مـن الربح الحـلال يكون خيـرا لهم من الأكثـر من الـربح يأخذونه من الناس بخسا لهم أشياءهم وحقوقهم.

ثم إنه يبين لهم شرط هذه الخيرية وهو أن يكونوا مؤمنين.

فيكون القول مبينا عدم انتفاع الكافر بالعمل الصالح الذى يعمله فى أخراه.

ويكون المستفاد أيضا من النص أن العدل فى المعاملات يكسب المؤمن خيرا فى الدنيا والآخرة .

ثم إنه عليه السلام يبين لهم أن ما كلف بـه هو الإبلاغ والنصح، وأنه غير مكلف بحفظهم ولا مسئول عن أعمـالهم، كما أنه ليـس المجازى بها أو عليها، فـالذى يجازى بها هـو الذى كلفه الإبلاغ سبحانه وتعالى جل شأنه.

قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

التفســـــــير:

يذكر تعالى فى الآية ما يفيد استخفاف أهـل مدين بشعيب عليه السلام واتهامه فى عقله والتهكم عليه فى كل ما أمـرهم به، ذلك أنه لما كان أول ما أمرهم بـه هو الإيمان بالله وعبادته وتوحيده وعدم الشرك به.

وهو الإرشاد إلى العقيدة الصحيحة. فإنهم قالوا له «أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا» والمعنى أنهـم يرون الأمر المعقول هـو الاستمرار على عبادة مـا كان يعبد الآباء، فيكـون الأمر بترك عبادة ما كان الآباء يعبدون هو من قبيل الأمر بما ينافى العقل، فهم يقولون له عليه السلام إنه إذا كانت صلاته تـأمر بهذا فهى تأمر بما هو من قبيل الجنـون، فتكون الصلاة سببا للجنون ثم إنهـا تكون لغير المستحق أن تكـون له العبادة، فيكـون قولهم هـذا تفسيرا لتغامزهـم عليه وسخريتهم به حين كانوا يرونه قائما يصلى .

كذلك فإنهم زعموا مخـالفته المنطق فيما أمرهم به فى شأن المعامـلات المالية، فاعتبروا أنها من قبيل إدارة المال الخاص تكون للمرء حرية إدارته على نحو ما يرى ، لأنه إنما يدير ما يملك علـى النحو الذى يـريد والذى يحقـق له مصلحتـه، ولذلك قـالوا له «أو أن نفعـل فى أموالنا مـا نشاء»، فإذا كانت صـلاته تؤدى إلى هذا الذى يـأمر به، فهى تكون سبيـلا إلى غير المنطق المستساغ.

ثم يجىء التهكـم الصريح به بقـولهم «إنك لأنت الحليـم الرشيد» والمراد بـه إثبات أنه ليس حليما ولا رشيدا، فهـو لديهم يأمر بكل مـا يخالف العقل والمنطق وهذا فعـل من سلب عقله ـ برأيهم المأفون ـ وليس فعل الحليم الرشيد .

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾

التفسـير:

يذكر تعالى أن شعيبا قال لقومه ـ وقد استشعر اتهامهم إياه بالجنون والبعد عن المنطق، واستهزاءهم به ـ أنه قال لهم ماذا يكون الحال فيم لو ثبت لكم صحة ما هو صحيح، وهو أنه تعالى قد آتانى البينة الدالة على صدقى وصدق ما أخبر به عنه تعالى، وأنه تعالى رزقني خير رزق يرزقه بشر وهو النبوة التى شرفنى بها. ثم إنه عليه السلام يتبع هذا بذكر دليل على نبوته يتمثل فى قيامه بالإبلاغ غير مبتغ مصلحة خاصة، فيقول لهم «وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه» بمعنى أنه لا يأمرهم بإيفاء الكيل والميزان و إيتاء الناس حقوقهم ليقوم هو بخلاف هذا فيكون له كسب المال مضاعفا لكونه الوحيد الذي يبخس الناس حقوقهم، فهو شأنه شأن دعاة الحق لا يأمر إلا بما يفعل، يكون القدوة والمثل الذى يحتذى ...

ثم إنه عليه السلام يوضح هدفه من دعوته ومن إخلاصه فيها بقوله «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت» فهو يريد صالح الدين بالدعوة للإيمان، وصالحهم إذا آمنوا، و يريد صلاح المجتمع بصلاح المعاملات فيه بين الناس، وهو عليه السلام يبذل فى سبيل هذا جميع ما يقدر عليه . ثم يذكر أنه عليه السلام غير قادر بذاته على تحقيق النجاح الذى يرجوه إلا بتوفيق الله تعالى له. «وما توفيقى إلا بالله» ثم يبين أنه تعالى يوفقه إن شاء الله لأنه اعتمد عليه وتوكل، فهو تعالى لا يخذله كما لا يخذل المؤمنين، وهو إمام لهم فى زمانه وفى قومه بدلالة أنه إلى الله يعود فى كل شأن من شأنه يستهديه ويستغفره «و إليه أنيب» .

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾

التفسـير:

القول ـ فى الآية ـ من قول شعيب عليه السلام لقومه حين تأكد له من قولهم واستهزائهم

به أنهم وضعوا لاختلافهم معه فى الرأى الصدارة على أى اعتبار آخر فحال عداؤهم له دون إعمال عقولهم فيما دعاهم إليه، فجاء قوله لهم متضمنا النصيحة والتهديد معا .

فهو عليه السلام يحذرهم من أن تكون مشاقتهم له ومخاصمتهم إياه سببا لأن يصموا آذانهم عما يدعوهم إليه سببا لأن يحيق بهم العذاب كما وقع بالأمم السابقة التى كذبت رسلها. ناداهم بقوله «ياقوم» لتلين قلوبهم لنصحه، ثم قال لهم «لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد» بمعنى : «ولا تدفعنكم معاداتى على عدم الإيمان بما أدعوكم إليه، فيكون هذا سببا لأن يصيبكم عذاب الدنيا بإهلاككم، كما وقع بقوم نوح ـ بالإغراق ـ أو كما وقع بقوم هود ـ بالريح، أو كما وقع بقوم صالح ـ بالرجفة من هول الصيحة ـ أو بقوم لوط ـ بالحجارة المسومة ـ جاء ذكر عذاب قوم لوط مشفوعا بقوله «وما قوم لوط منكم ببعيد» لإفادة معنى الإحاطة بأمر ما وقع منهم لقرب العهد بهم زمانا، أو لقرب مكان آثارهم من موقعهم مما يستطيعون معه معرفة أمر عذابهم، أو للقرب فى نوع الكفر والعناد فيكون القول مشيرا إلى استحقاق عذاب يشابه ما وقع بهم من العذاب. ولا يعنى وجود «أو» أن العذاب المهدد بوقوعه يجب أن يكون على شاكلة عذاب من عذاب المذكورين، فنوع العذاب هو مما يختص به الله تعالى، لكنه أورد ذكر ما عرفه من أنواع العذاب وما عرفه قومه أو سمعوا به. ومن التهديد بحلول العذاب يبين أن قوله عليه السلام قد تضمن ـ إلى جانب النصيحة ـ التهديد والتوعد بالتعذيب لدى الإصرار على الكفر.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾

أولا: الأسـماء:

الودود : فى قوله تعالى «إن ربى رحيم ودود» هو الكثير الود، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ الذى يود رجوع العصاة إليه تائبين، ويكون منه الود والمحبة للتائبين المستغفرين .

ثانيا: التفسـير:

القول من قـول شعيب عليه السلام، جـاء بعد نصحه قومـه ألا يجعلوا من معاداتهـم إياه سببا لعدم إيمانهـم يوجب تعذيبهم فى الدنيا، فهـو عليه السلام يأمرهم ـ ناصحـا ـ باستغفار ربهم عما وقع منهم من الذنوب، أشدها هو شـركهم به تعالى وإساءتهم إلى رسولهم، فيكون القول متضمنـا معنى الإيمـان، وبالتـوبة إلى الله عـن العودة إلـى ما استغفـروا منه ربهـم من الذنوب .

ثم إنه عليه السلام يحبب إليهم ما دعاهـم إليه بقوله «إن ربى رحيم ودود» فيعلمهم أنهم إذا ما فعلوا ما أمرهم به فإنه تعالى يرحمهـم فيغفر لهم ما سبق من الذنب، ويدخلهم برحمته جنته، كما يعلمهم بـأنه تعالى يحب توبة التـائبين وتكون منه للتائبين الرحمـة لفعلهم ما هو محبب إليه تعالى .

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾

أولا: الأسـماء:

الرهــط : فى قولـه تعالى «ولولا رهطك لرجمنـاك» هو عشيرة الرجل القـريبة، أو ما دون العشرة من الأقارب المقربين .

ثانيا: التفسـير:

يذكر تعالـى ـ فى الآية ـ ما رد به قوم شعيـب على نصحه إياهم وهو قولهـم «يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول» والمعنى الذى أرادوا إيصاله إليه هو تسفيه قوله، شبهوه بأنه قول لا يفهم، أو أنه لا يفهم الكثير منه، وذلك لمخالفته المعقول والمعروف الذى تعارفوا عليه.

ثم إنهم أتبعوا هذا بقـولهم «وإنا لنراك فينا ضعيفا، ولولا رهطك لـرجمناك، وما أنت علينا

بعزيز» والمعنى أنهم يـرونه أضعف منّ أن يدفع عن نفسه أذاهـم فيما لو أرادوا الخلاص مما يسببه لهـم من إزعـاج بدعوتهـم إلى الإيمـان أو أنه أضعـف من أن يأتيهـم بالعـذاب الذى توعدهـم به، وقيل إن المراد بضعفه هـو وهن بصره أو إصابتـه بالعمى، وهو ما نـراه بعيدا عن المعنى، وذلك لأن قولهم مـن بعد «ولولا رهطك لرجمناك» يفيد أنه ـ فـى حد ذاته ـ ضعيف عندهم لا يقـوى على حماية نفسه، وأنـه لولا احتمائه برهطـه، أو لولا تقديرهم لـه لكان منهم قتله رجما بـالحجارة فيكون تقديرهـم رهطه مرجعه كـونهم على ملتهم الكافـرة لأن قلة عدد الرهط تعنى ألا قوة لهم.

ثم إنهـم يؤكدون له أنـه عليه السلام لا يستأهـل منعة من رجمـه بقولهم «وما أنـت علينا بعزيز» فهو لضعفـه ليس ممتنعا عليهم رجمه وقتله، كمـا أنه ليس له فى نفوسهـم معزة تحول دون أن يقتلوه .

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾

أولا: الأســـــــماء:

الظهرى : فى قولـه تعالى «واتخذتمـوه وراءكم ظهريا» هـو المتروك عمدا، شبه بمـا يلقى وراء الظهر من الأشياء تعبيرا عن الاستغناء عنه لانعدام الفائدة فيه .

ثانيا: التفســــــير:

مفاد قوله تعالى ــ فى الآية ـ أن شعيبا عليه السلام عاب على قومـه ما ذكروه من أنهم لم يقتلوه رجما تقديرا منهم لرهطه الذين هم على شاكلتهم فى الكفر والعقيدة الباطلة، فقال لهم «أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا» فهو يعيب عليهم أنهم راعوا حق رهطه

عليهم فلم يريدوا إغضابهم برجمه عليه السلام، فكان لرهطه لديهم تقدير وعزة وإعزاز، ثم إنهم كانوا على النقيض من هذا من الله تعالى صاحب العزة والأولى أن يراعى عدم إغضابه، فهم اتخذوا ما أمرهم به عن طريق رسوله وراءهم ظهريا، بمعنى أنهم تعمدوا مخالفته ثم لم يلقوا إليه بالا فأصبحت أوامره تعالى ونواهيه مهملة غير مرعية .

ثم يجيء قوله عليه السلام لهم «إن ربى بما تعملون محيط» تهديدا لهم، فهو تعالى يحيط بجميع فعالهم علما فيحاسبهم بها، يدخل فى هذا كفرهم، ويدخل فيه إعزازهم رهطه عليه السلام وإهمالهم جانبه تعالى بطرح أوامره ونواهيه وعدم الانشغال بها. فيكون المعنى أنه تعالى معاقبهم بهذا إن لم يؤمنوا ويستغفروا ربهم ويتوبوا إليه .

وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾

التفسير:

القول - فى الآية - تتمة قول شعيب عليه السلام لقومه قاله لما تأكد له إصرارهم على الكفر وعدم لين قلوبهم للإيمان عن اقتناع أو عن رهبة، فكان قوله عليه السلام من قبيل التحدى المتضمن تهديدا ينم عن ثقة فى حلول العذاب الذى يستحقونه بهم .

قال لهم «اعملوا على مكانتكم إنى عامل» بمعنى فليكن منكم الثبات على ما أنتم عليه من الكفر ومن معاداتى، ولتعملوا غاية ما فى جهدكم فى معاداتى، والكيد لى، ثم أخبرهم أنه - بالمثل - عامل على تثبيت مكانته لدى الله تعالى بالطاعة ليفوز بتأييده ونصره.

ثم يجيء تهديده المباشر لهم بقوله «سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب» حرص فيه على أن يكون المهدد به من جنس ما توعدوه به أو عملوه معه أو قالوه له. فهم قد هددوه بعذاب مخز هو قتله رجما بالحجارة، ولهذا جاء قوله لهم «سوف تعلمون من

يأتيه عذاب يخـزيه» وهو تهديد لهم بالعـذاب المخزى، وهم قد كذبوه بقولهـم له «أصلاتك تـأمرك» ولهـذا قـال لهم «ومـن هـو كاذب» فـأظهـر أن العذاب الـذى يصيبهـم يثبت أنهـم الكـاذبون.

ثم يجىء قولـه عليه السـلام لهم «وارتقبوا إنـى معكم رقيـب» إعلانـا منه بقـرب حلول العذاب بهم، وبيـانا لأنه ليس عليهم إلا انتظار حلـوله بهم، وإخبارا أنه عليه السـلام مرتقب حلوله بهم. واثق من هذا.

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾

التفسـير:

مفاد قـوله تعالى ــ فى الآية ــ هو أن أمره تعالـى بالعذاب يهلـك به الظالمون قـد تحقق صدورا ونفاذا، وأنه تعالى أنجى منه شعيبا عليه السلام والذين آمنوا معه، وأن نجاتهم كانت برحمة منه تعـالى، بمعنى أن رحمته تعالى كانـت سبب نجاتهم، تكون منه تعالـى بإدخالهم فى رحمته، وتكون منهم بإيمانهم أدخلهم رحمته.

وفى القـول جاءت «الواو» فى «ولمـا جاء» بديلا عـن «الفاء» فى قـوله تعالى «فلمـا جاء أمرنـا» فى قوله تعـالى عن قـوم صالح وقوم لـوط، لأنه جاء بيـان السبب من قبل، أغنـى عن «الفاء» التـى تبينه، إذ قال تعـالى «ذلك وعـد غير مكـذوب»، كما قال تعـالى «إن موعـدهم الصبح».

ثم إنه تعالى يبين ماهية العذاب الذى حل بقوم شعيب عليه السلام بقوله «وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فـى ديارهم جاثمين»، فالعذاب الذى حل بهـم كان بالصيحة، هى صيحة جبريل عليه السلام أصابتهم، وقد وصفهم سبحانه وتعالى بأنهم الذين ظلموا، لأنهم

ظلموا أنفسهم بكفرهم، وظلموا نبيهم بما ادعوا عليه وباستهزائهم به، ثم إنه تعالى يذكر أثر العذاب فيهم فيبين أنهم أصبحوا فى ديارهم جاثمين. بمعنى أنهم أصبحوا ميتين، ملتصقة أجسادهم بالأرض، وأن الصبح دخل عليهم وهم على هذه الحال.

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

التفسـير:

قوله تعالى «كأن لم يغنوا فيها» متعلق بحال هؤلاء الذين أصبحوا فى دارهم جاثمين، انقطع عهدهم بديارهم وبلدتهم فكأنهم لم يعيشوا فيها من قبل فى غناء بها عن غيرها واستغناء.

ثم يجىء قوله تعالى «ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود» دعاء على أهل مدين باللعنة تمثيلا بلعنة أهل ثمود، ولما كان كل منهما قد هلك باللعنة، فإن القول يكون مظهرا تماثل وجه الهلاك وسببه المباشر الذى أحدثه فى أهل مدين وأهل ثمود وهو الصيحة، لم تختلف إلا فى أنها كانت فى أهل ثمود من تحتهم، وكانت فى أهل مدين من فوقهم

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾

التفسـير:

قوله تعالى – فى الآية - مبتدأ ذكر قصة أخرى من قصص الأمم التى أهلكها الله بظلمهم وكفرهم الأنبياء، وفى الآية يذكر تعالى أنه أرسل موسى بآياته وسلطان مبين، واكتفاؤه تعالى بذكر موسى دون هارون لا يفيد معنى أنه لم يرسل هارون، فإرساله ثابت بالنص الصريح، فيكون المستفاد أنه لما كان هارون وزيرا لموسى عليه السلام،فإن إرسال موسى يكون متضمنا إرسال هارون بالتبعية، ويكون الاكتفاء بذكر موسى قد أريد به بيان أن الآيات والسلطان المبين كانت لموسى وحده وإن عاد أثرها عليه وعلى هارون .

وقيل ـ فى شأن الآيـات ـ أنها التوراة ، ورأينا أنه يبعد أن تكون هـى التوراة، لأن التوراة لم تكن قد أنزلت بعد، فبقى أن تكون هى صحـف موسى، أو أن تكون هى المعجزات التى أيده بها الله تعـالى، أما السلطـان المبين، فيتصـور فيه أن يكون العصـا، كانت قـوة عظيمة فـى يد موسى ظاهرة الخطر والخطورة .

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

التفسـيـر:

القول ـ فى الآية ـ تتمة قولـه تعالى فى الآيـة السابقة يتضمـن إخبارا عمن كـان إرسال موسى عليه السـلام إليه بالآيات والسلطان المبين، فـذكر تعالى أنه كان لفـرعون وملئه. وهم الذين مالؤوه وأيدوه على عقيدته الباطلة، أو هم أشـراف قومه، ثم يذكر تعالى أنهم اتبعوا أمره وأطاعوه بمعنى أنه أمر بما يخالف مـا كان من مقتضى الآيات والسلطان المبين أن تؤدى إليه من إيمان، وأنهم اتبعوا أمره وكفروا بما عاينوا.

ثم يجىء قوله تعالى «وما أمر فرعون برشيد» لبيان أن أمر فرعون الذى اتبعوه لم يكن صائبا فى ذاته، كما أنه لم يكن من شأنه أن يدل على الصواب، فهو ضلال يؤدى إلى ضلال.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾

التفسـيـر:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ فى فرعون الذى كان فصله فى أمر مـوسى عليه السلام وآيات ربه وسلطانه المبيـن معه رائدا لقومه أو لأشرافهـم اتبعوه وساروا خلفه فيـه، يذكر تعالى أنـه ـ يوم القيامة ـ يتقـدمهم أيضا وأنهم يتبعونه إلى النـار يدخلها فيدخلونها خلفـه فيكون قد أدخلهم إياها أو أوردهم إياها .

ثم إنه تعالى يـذم النار مدخلا مدخولا بقوله «وبئس الـورد المورود» فهى «ورد» أو مدخل،

لأن الكافرين يدخلونها، وهي مدخولة أو موروودة لدخولهم فيها، وليس من هو أبأس حالا من حال داخلها. فكانت بئس الورد المورود. وقد يكون في القول استعارة مكنية أريد بها التهكم، لأن الورد يكون للماء للارتواء من الظمأ، وقد أورد فرعون قومه في الدنيا ماء غرقوا فيه، وأوردهم في الآخرة نارا تلظى .

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾

أولا: الأسماء:

الرفد : هو العطية، وهو الإعانة. وهو ـ بفتح الراء ـ القدح، وبكسرها ما فيه من شراب.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى في شأن قوم فرعون أو ملئه الذين اتبعوه في الدنيا وفي الآخرة، يذكر تعالى أنهم كما أنهم اتبعوه ـ في الدنيا ـ فإنه تبعتهم في الدنيا لعنة، فيكون المشار إليه بـ «هذه» هو الحياة الدنيا، وتكون اللعنة هي هلاكهم بالغرق لحقت بهم فأدركتهم، ثم إنه تعالى يثبت أن اللعنة تلحق بهم أيضا يوم القيامة متمثلة في العطاء الذي يعطونه وهو النار، وصفها تعالى بأنها أبأس عطاء يعطاه معطى «بئس الرفد المرفود». وقيل إن اللعنة التي لحقتهم في الدنيا هي لعنة الأمم اللاحقة عليهم إياهم، وإن لعنة الآخرة هي لعنة أهل الموقف إياهم .

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾

التفسير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، فيه يشير تعالى إلى ما سبق ذكره من قصص الأمم المهلكة بـ «ذلك» ثم يخبر عن المشار إليه بأنه بعض أنباء هذه القرى، ثم يخبر تعالى عن هذه الأمم بأن منها ما هو قائم ومنها ما هو حصيد، والمراد بالقائم والحصيد ليس هو أهل

القرى و إنما آثـارهم فى هذه القرى، أو أنه القـرى ذاتها التى عمرها المهلكـون، إذ أن منها ما بقى خاويا علـى عروشه، فظهرت الآثار الدالـة على هلاك من عمروه، ومنها مـا استؤصل فيه كل أثر يدل على عمران سابق، شبه بالحصيد تعبيرا عن فناء أثره .

وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾

أولا: الأسـمـاء:

التتبيب : فى قوله تعالى «وما زادوهم غير تتبيـب» هو التخسير، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الإهلاك .

ثانيا: التفسـيـر:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، والقـول فى شأن القـرى المهلكة، فإليهـا يعود الضمير المتصل فى «وما ظلمهـم»، والمراد بالقرى هم أهلها ، ينفى تعالـى أن إهلاكهم كان ظلما لهم، بمعنى أنـه كان بغير العدل، أو كان وضعا للعـذاب فى غير موضعه، ثم إنـه تعالى يذكـر أنه كـان جزاء عـدل استحقوه فهـم الذين ظلمـوا أنفسهم بـالكفر ومعـاداة الرسـل بما استوجب إهلاكهـم.

ثم إنه تعالى يقول «فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك» فأثبت فـى حقهم الشرك به تعالى، كـان مما ظلموا به أنفسهم. كما أثبـت أنهم عبدوا آلهة متعـددة غيره تعالى، جـاء التعبير عن عبادتهـم إياهم بـالفعل المضارع «يدعـون» لبيان استمرارهـم على عبـادتهم. ثـم أثبت تعـالى فسـاد عقيدة الشـرك عمومـا، وفساد عقيـدتهم بإشراكهم به تعالى غيره مما لا يضر ولا ينفع بإثباته تعالى أن معبوداتهم لم تدع عنهم شيئا قل ما قل من بأس الله، أو أنه لم يكن منها دفع ولو قليل لبأس الله، حين جاء أمره تعالى بالغذاب

يحل بهم. جاء التعبير عنه تعالى بلفظ «ربك» لأن المخاطب بالقول هو رسول الله ﷺ، والقائل هو ربه راعيه والمتولى أمره، فيكون فى القول إشارة إلى أن عذاب مكذبى الرسل يكون من قبيل رعايته تعالى رسله وتوليه أمورهم .

وبعد أن نفى تعالى عن معبودات المشركين أنها دفعت عنهم شيئا من عذابه تعالى، فإنه أثبت أنهم لم يكن منهم شيء معهم إلا زيادة خسرانهم فبعبادتهم إياهم استحقوا هلاك الدنيا على النحو الذى هلكوا به فوق عذاب الآخرة جزاء الكافرين .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾

التفسير:

لايزال الخطاب إلى رسول الله ﷺ، بعد أن بين له كيفية إهلاكه ما ذكر له من الأمم المهلكة، جاء قوله تعالى «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة» بمعنى: وعلى هذا النحو يكون أخذ ربك أهل القرى والمعنى أخذهم بالعذاب، وفى عبارة القول جاء «أخذ ربك» مبتدأ مؤخر.

ومعنى قوله تعالى «وهى ظالمة» هو «وأهلها ظالمون»، وفيه جاء «وهى ظالمة» فى موضع الحال من «القرى» والمراد صفة أهلها، فيكون فى القول إشارة لكون الأخذ بالعذاب مترتبا على الظلم ، أو أن الظلم يكون سببا له .

ثم يقول تعالى ـ واصفا أخذه أهل القرى بالعذاب ـ «إن أخذه أليم شديد» بمعنى أن عذابه تعالى يكون عذابا موجعا، غليظا، لا تكون منه نجاة .

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾

التفســـــير:

يخبر تعالى عن أخذه القرى الظالمة بالعـذاب بأنه موعظة وعبرة يتعظ بها أولو الألباب، إذ يرون أن الذى عذب فى الـدنيا المشركين قادر على أن يعذب المشركيـن والعصاة فى الآخرة بعذاب أشد، فيكون منهم العمـل بالطاعات وتجنب المعاصى خوفـا من عذاب الآخرة. وفى القول إشارة إلى أن عذاب الكافرين فى الدنيا لايمنع عنهم عذاب الآخرة .

ثم إنه تعالى يشير إلـى الآخرة ـ والمراد بها يوم القيامة على ما يبيـن من وصفها بأنها يوم ـ ويصف يوم القيامة بـأنه يوم مجموع له الناس وأنه يوم مشهود، والمعنـى أنه فيه يجمع الناس جميعا لايتخلف عن الجمع أحد، ويكون تحقق الجمع محتما، وهو الجمع للحساب ثم أنه يوم مشهـود، إذ يشهد الموقـف فيه جميع الخلـق، يشهدونه لأنهـم يحضرونه، فيكـون شهود جميع الخلق له مظهرا لعظمته، وسببا لوصفه بأنه يوم مشهود.

وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى يقبل أن يكون فـى يوم القيامة المـوصوف بأنه يـوم مجموع له الناس وأنـه يوم مشهود، ويقبل أن يكون فى عذاب الآخرة، يخبر عنه تعالـى ـ على ما يفهم من: «وما نؤخره» ـ أنه مؤخره، ويبيـن من القول أن هذا التأخير هـو إلى أجل معين يكون فى نهـاية مدة محددة، قيل إن وصف الأجل بأنـه معدود يفيد قلة المدة فيكون ممكنا عدهـا، وقد يكون الصحيح أنه جاء لبيان أن للأجل نهاية لابد من بلوغها .

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾

التفســـــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ «يوم يـأت» يتصور أن يكون فى يوم القيامـة، ويتصور أن يكون فى

الجزاء، يرجع إليه الضمير المستتر ـ وقيل إن الذى يأتى هو الله تعالى ـ يخبر تعالى أنه وقتذاك لاتتكلم نفس إلا بإذنه، والمراد بالتكلم هو التكلم بما ينفع نفس المتكلم، أو التكلم بما ينفع غيره أى بالشفاعة، وهذا التكلم لا يكون إلا فى بعض مواقف ذلك اليوم، يؤكد هذا أنه فى بعض مواقفه لا يكون كلام على ما يبين من قوله «هذا يوم لاينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون»، فيكون الكلام فى مواقف الكلام بالإقرار بالذنوب أو بالتلاوم على ما يبين من قوله تعالى: «وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون»، فإذا كان فى مواقف الكلام بما ينفع النفس أو بشفاعة فإنه لا يكون إلا بإذنه تعالى، ولا يمنع هذا من أنه قد يؤذن فى مواقف الكلام به إظهارا لكذب الكفار، لأنه يكون كلامهم ـ فى نظرهم ـ لمصلحتهم مثل قول الكافرين «والله ربنا ما كنا مشركين».

ثم إنه تعالى يذكر أن أهل هذا الموقف يكون منهم الشقى الذى كتبت عليه الشقاوة وهى نكد عيشه فى الآخرة، ويكون منهم السعيد الذى كتبت له السعادة، وهى هناءة عيش الآخرة. فيكون القول متضمنا الوعيد والوعد، فيكون تحذيرا من الكفر والعصيان وترغيبا فى الإيمان والطاعة.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ **الزفير**: هو إخراج النفس، وقد يكون المراد به ـ فى معنى الآية ـ زفير المغموم يكون عندما تمتلىء النفْس غما فيخرج بالنفَس. وقيل هو ابتداء صوت نهيق الحمير.

٢ ـ **الشهيق**: هو النفس الطويل الممتد، من «شاهق» بمعنى طويل، وقد يكون المراد به ـ فى معنى الآية ـ شهيق المحزون، يكون من أثر امتلاء النفس بالحزن. وقيل هو صوت آخر نهيق الحمار، حين يفرغ من صوته.

ثانيا: التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ حال الذين كتبت عليهم الشقاوة، يكونون فى النار، تستولى على قلوبهم الحرارة وتضيق بهم أرواحهم فيكون لهم زفير وشهيق، أو أن الندامة تستولى على

قلوبهم، فيكون لهم بكاء مستمر ونفس عال فيكون لهم زفير وشهيق .

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

التفسـير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ فى الـذين شقوا فكانـوا فى النار، يذكـر تعالى الحكم العـام فى شأنهم ثم يورد عليه استثناء، فالحكم العام هو الخلود فى النار، ثم إنه يجيء بيان هذا الخلود بأنه معلق بدوام السماوات والأرض، ولما كانت سماوات الدنيا وأرضها تزول فقد لزم أن يكون المراد بـالسماوات والأرض هـو سماوات الجنـة والنار، وأرضهمـا . أو أن يكون المـراد بذكـر السماوات والأرض هو بيان التأبيد جريا على ما جرت عليه عادة العرب فى كلامهم .

والاستثناء من الحكم العام جاء بقوله تعالى «إلا ما شاء ربك» ويـلاحظ فى عبارة اللفظ أنه جاء التعبير عن المستثنى بـ «ما» وليس بـ «من»، وقيل فى هذا إن المراد هو العدد كما جاء فى قـوله تعالى «فـانكحوا ما طاب لكـم من النساء» فيكـون المستثنون هم عصاة المـؤمنين الذين يخرجـون من النار بعد فترة يقضونهـا فيها، وقيل إن الأصل هو أن يكون البقـاء فى النار مقيدا بمـدة دوام السماوات والأرض، والاستثناء يتعلـق بمن يشاء تعالـى خلودهم فـى النار، وهذا ضعيف .

ثم يجيء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ــ «إن ربك فعال لما يريد» لبيان أن كل شيء معلق بمشيئته تعـالى، وربما كان هـذا لئلا يتوهـم أحد أن الخلود أمـر واجب عليه تعالـى لا يمكنه نقضه .

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾

التفســـــير:

القول فى الآية فى شأن الذين كتبت لهم السعادة، اكتفى تعالى ـ فى الآية ـ بذكر أنهم يكونون فى الجنة، أو أنهم يدخلونها، دون أن يذكر شيئا من مظاهر بهجتهم وسرورهم كما كان منه عند ذكر زفير أهل النار وشهيقهم، لكفاية ذكر دخولهم الجنة دليلا على هذا، ثم إنه تعالى أوضح أنهم يخلدون فيها مادامت السماوات والأرض، والمراد بهذا أنهم يخلدون إلى الأبد ـ على ما سبق بيانه فى معنى خلود أهل النار مادامت السماوات والأرض ـ وقوله تعالى «إلا ما شاء ربك» لا يفيد معنى أنه يخرج من الجنة بعض من يدخلونها، لأن هذا ينافى قوله تعالى ـ بعد ذلك ـ «عطاء غير مجذوذ» بمعنى أنه يكون منه تعالى لهم الإنعام عليهم إنعاما لا ينقطع لفترة ولو قصرت. فيكون الاستثناء من الخلود متعلقا بالفترة السابقة على دخول الجنة لداخلها، فالمعروف أن كلا من أهل الجنة وأهل النار يدخلونها من بعد الوقوف للحساب، كما أنهم يدخلونها مجموعة بعد مجموعة، وأن منهم من يدخلها بعد الخروج من النار، فيكون نقص التأبيد من جهة المبدأ وليس من جهة المنتهى، فالذى يدخل الجنة متأخرا عن غيره يكون ما انقضى قبل دخوله الجنة نقصا فى خلوده فيها، أما بعد الدخول فلا انقطاع .

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾

التفســـــير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ، جاء بعد الإخبار عن أحوال الذين أشركوا من قبل فذاقوا العذاب بما كانوا يكفرون. وفيه يشير تعالى إلى مشركى العرب وينهى رسوله ﷺ عن الشك فيما يعبدون بقوله تعالى «فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء» بمعنى «فلا تكن فى شك مما يدعون فى أمر ما يعبدون أن الله أمرهم بهذا ـ وفى القول جاءت «تكن» مجزومة بالنهى، وحذفت منها النون ـ ويقبل المعنى أن يكون نهيا عن الشك فى بطلان معبوداتهم ـ على ظاهر اللفظ ـ غير أنه لا يتصور أن يكون منه ﷺ مثل هذا الشك فينهى عنه .

ثم يجيء قوله تعالى «ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل» مبينا أن النهى تعلق بالشك فيما كانوا يدعون أن الله أمرهم بعبادتها، لأن القول يقرر أنهم لم يعبدوا معبوداتهم إلا تمثلا بآبائهم الذين عبدوها من قبل، وفى القول إشارة إلى استحقاقهم عذابا مثل ما حاق بمن عبدوا مثل معبوداتهم من قبل.

وقوله تعالى «وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص» هو بيان لحكمه تعالى فيهم، وهو أنه تعالى يوفى إليهم حظهم أو نصيبهم كاملا لا ينقص منه شيء، فيكون الإيفاء أو التوفية بمعنى «الإعطاء»، ويكون متصورا فى النصيب اشتماله على الرزق وعلى العذاب، يكون الرزق إمهالا منه تعالى واستدراجا للمشركين لحكمة لديه تعالى، ويتصور أن يكون المراد به هو العذاب لا غير.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾

التفسـير:

لما كان الحديث فى شأن مشركى الأمم السابقة أتبعه حديث فى شأن مشركى العرب قوم رسول الله ﷺ، وكان موسى عليه السلام هو صاحب الشريعة المعروفة والباقية إلى أن آتى الله رسوله ﷺ الشريعة الناسخة، فإنه تعالى يذكر لرسوله ﷺ أنه وقع اختلاف حول الكتاب الذى أنزل على موسى عليه السلام، أو فى موسى ذاته وفى كتابه بالتالى، فيكون المراد بذكر هذا إعلامه ﷺ بوقوع مثل هذا الاختلاف فى كتابه أو فى ذاته وكتابه بالتالى بطريق الإشارة أو التلميح.

فقوله تعالى «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه» معناه أنه تعالى أنزل على موسى التوراة، فاختلف فى شأنها بين مصدق أنها كتاب الله ومكذب يدعى أنها من عند موسى، أو إنه اختلف فى شأن موسى أيكون نبيا أم مدعيا النبوة. فيكون الاختلاف قد وقع فى صحة

التوارة ترتيبا على هذا. ثم إنه لما كانت التوراة قد أنزلت ليكون بها إبلاغ بنى إسرائيل، فيكون اختلاف الرأى فيها قد وقع بين بنى إسرائيل. وقد يكون من مواضع الاختلاف فى الكتاب ما جرى فى شأن ما جاء به متعلقا بالمسيح عليه السلام إذ صدق به البعض فآمن للمسيح عليه السلام وكذب به البعض فلم يؤمنوا له، ويكون منه الاختلاف فى رسول الله ﷺ، إذ صدق البعض أنه النبى المبشربه فى التوراة، وكذب به البعض .

ثم يجيء قوله تعالى «ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم» مفيدا أنه تعالى قد سبق منه القول بتأخير عذاب المكذبين، وأنه لولا هذا لعجل لهم العذاب فى الدنيا فكان عذابه قضاء فاصلا بين من هم على الحق، وبين المبطلين .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وإنهم لفى شك منه مريب» أريد به مشركو العرب، والضمير فى «منه» يعود إلى القرآن العظيم، فيكون القول مثبتا أن المشركين يشكون فى صحة القرآن العظيم كتابا منزلا منه تعالى، وأن شكهم يدفع ريبة من بعد ريبة ـ ولما كان مفهوما أن الذين آمنوا قد صدقوا بالقرآن العظيم، فإنه يكون قد وقع فيه اختلاف كما وقع فى توراة موسى من قبل، وأنه تعالى لن يعجل لهم العذاب كما أنه لم يعجله للذين كفروا بالتوراة من قوم موسى ولم يصدقوا بها .

وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، جاءت «كلا» فى القول منونة إلا أنه استعيض بها عن ذكر المضاف إليه، ويقبل المعنى أن يكون المخبر عنهم هم كل أمة من الأمم المعدودة سلفا، ويقبل أن يكونوا هم المؤمنين والمشركين المختلفين، أو أن يكونوا هم مشركى العرب. وخبرهم هو أنه تعالى يوفيهم أعمالهم بإثابة المؤمنين وتعذيب المشركين والكافرين بما صدر منهم من أعمال. ويتصور أن تكون «لما» فى قوله تعالى «لما ليوفيهم ربك أعمالهم» مفيدة معنى أنهم لما يتركوا، يدل على هذا تفصيل المجموعين وبيان مجازاتهم، أو أن تكون

مفيدة معنى أنهم لما يوفوا أعمالهم إلى الآن وأنهم سيوفونها.

وقولـه تعالى ـ فـى ختام الآية ـ «إنـه بما يعملون خبير» تعلـق بالمختلفين فى أمـر القرآن العظيم، يثبـت تعالى أنـه عليم بفعـل كل منهم، خبيـر بما يسره فـى صدره، والمعنـى المراد إيصاله هو أنه تعالى مجازى المصدق والمكذب بفعله وسريرته، فيكون القول متضمنا وعدا ووعيدا.

فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾

التفســــــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، وهو أمـر، والمأمور به يلتزمه رسول الله ﷺ ويلتزمه المؤمنون. جـاء قوله تعالى فيـه «فاستقم كما أمرت» أمـرا بطلب الإقامة على الـدين، جاءت «السين» فى «فاستقم» سين السؤال ليكون المعنى هو «فاطلب الإقامة على الدين»، وقيل إنه يفهم من قولـه تعالى «كما أمرت» أنه ﷺ كان يـؤمر من الله تعالى بغير طريـق الوحى المتلو ـ وهو القرآن ـ والمراد بما تكون عليه الإقامة هو كافة ما هو من الدين من عقيدة وأعمال وخُلق، يدخل فى هذا ما اختص به ﷺ، وما يشترك فيه والمؤمنون بحكم الطبيعة البشرية والإيمان.

ثم يجىء الأمر إلى المـؤمنين بطلب الإقامة على الدين بناء علـى أمر رسول الله ﷺ إياهم بهذا بقولـه تعالى «ومن تـاب معك» وصفهم تعالى بـأنهم الذين تابـوا لكونهم قد تـابوا عن الشرك، ووصفهم بأنهم فى معيته ﷺ، دون أن يعنى هذا أنهم تابوا معه ﷺ عن الشرك، وإنما يعنى أنهم أصبحوا فى معيته بعد توبتهم مـن الشرك، وإن كان معلوما أنه ﷺ كان يستغفر ربه فى اليوم أكثر من سبعين مرة.

وقوله تعالـى «ولا تطغوا» هو أمر منه تعالى لـرسوله والمؤمنين بعدم الطغيـان ـ والمراد هم المؤمنون ـ نهاهم ربهم عن الطغيان يكون بمجاوزة حدوده بإفراط أو تفريط، أو بعدم الطغيان فى أحكام القرآن بتحريم ما أحل وتحليل ما حرم.

ثم يجيء قوله تعالى «إنه بما تعملون بصير» بمثابة تعليل للأمر بالاستقامة والنهى عن الطغيان فيكون القول مفيدا معنى الجزاء بما يكون عليه مصير المأمورين من ثواب وعقاب، فيكون متضمنا وعدا ووعيدا .

وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى المؤمنين، أو إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين، جاء ناهيا عن الركون إلى الذين ظلموا، بمعنى الميل إلى المشركين على وجه خاص أو إلى عموم الظالين، ويشمل الركون إليهم مودتهم والاعتماد عليهم والاقتداء بهم والتشبه فى ملبس أو فى فعال، كما يشمل تشهى ما يتمتعون به من المتع الحرام من متع الحياة الدنيا وغبطهم عليها .

ثم إنه تعالى يبين جزاء مخالفة نهيه عن الركون إلى الظالمين بقوله «فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون» فبين أن الجزاء يكون نار جهنم تصيب الذين يخالفون ما نهوا عنه، ويكون سبب ذلك - على ما يبين من الفاء فى «فتمسكم» - هو الركون إلى الظالمين. وبعد أن ذكر تعالى جزاء مخالفة نهيه، فإنه قطع الأمل أمام المخالفين عن أن يكون لهم مما توعدوا به خلاص أو مخلص، بتقريره تعالى أنهم لا يكون لهم من دون الله أولياء يمنعونهم عذابه، كما قطع الأمل لديهم أن يكونوا منصورين، ومرجع ذلك أنه تعالى خذلهم وقدر عليهم العذاب فلا يتصور فى شأنهم أن يكونوا منصورين .

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾

أولا: الأسماء:

١ - الصلاة : المراد بها - فى معنى الآية - هو الصلاة المكتوبة، أو المفروضة .

٢ ـ طرفا النهار: فى قولـه تعالى «طرفى النهـار»، طرفا الشىء هما: أولـه، وآخره، وقيل إن المراد بهمـا ـ فى معنـى الآية ـ همـا: صلاة الصبح، وصـلاة الظهر والعصر، وقيـل إن الطرف الثـانـى صلاة العصر وحـده، وقيـل إن الطرفيـن همـا الظهـر والعصـر، وقيل همـا الصبـح والمغـرب.

٣ ـ الـزلف : هو القريب، والمراد بالزلف من الليل فـى قوله تعالى «وزلفا من الليل» هو ساعات الليل القريبة من النهار. وقيل إن المـراد به هو صلاة العشاء أو العتمة، وقيل المغرب والعشاء، وقيل المغرب والعشاء والصبح .

ثانيا: التفســـــير:

الخطاب ـ فـى الآية ـ تضمن أمـرا، وتضمن إخبارا عن حكم مـن أحكامه تعالـى، وبيانا وموعظة. فالأمر جاء به قوله تعالى «وأقـم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل» والمخاطب به هو ـ على الظاهر ـ رسول الله ﷺ، والمراد به معـه ﷺ هو أمته. ومضمون الأمر هو إقامة الصلاة المفروضة فى أوقـاتها والمداومة عليها، تكون طـرفى النهار وتستغرق ما بينهما كمـا تكون فى ساعات الليل القريبة من النهار.

والحكم جـاء به قـوله تعالـى «إن الحسنات يـذهبن السيئات» وهـو حكم عـام مفاده أن الطاعات علـى وجه العموم تكفر عن المرء ذنـوبه فتغفر له. وقيل إن المراد بـالحسنات معنى خاص هو الصلاة المفـروضة، وقيل هى الصلاة، وصلاة الجمعة، وصـوم رمضان، ومعنى أنها تذهب السيئات أنها تذهب المؤاخذة عليها أو أنها تمحوها من صحف الأعمال.

وقيل فى مناسبة نـزول الآية إن أنصاريا يدعى أبا اليسر نال من امـرأة ما هو دون الوطء من تقبيل وغيره ثم جاء رسول الله ﷺ فأخبره، بما فعـل، ثم إنه ﷺ صلى صلاة دخل وقتها، فقال له رسول الله ﷺ ـ وكانت الآية قد نزلت عليه ـ «اذهب بها فإنها كفارة لما عملت» .

وقيل إن اجتناب الكبيـرة مع القدرة عليها والإرادة يكـون من قبيل الحسنات التـى تذهب السيئـات، فمن تمكـن من مـواقعـة امرأة مكتفيـا باللمـس وغيـره متجنبا الكبيـرة يكون فـى مجاهدته نفسه مـا يعتبر مكفرا عما ارتكب من صغائر. والراجـح أن الحسنات تذهب جميع

السيئات بما فيها الكبائر، لأن تخصيص السيئات بالصغائر يخالف الظاهر من النص .

والبيان والموعظة جاءا بقوله تعالى «ذلك ذكرى للذاكرين» بمعنى أن هذا الحكم المذكور هو عظة للمتعظين، وقد يكون المراد بما يكون عظة هو كل من جاء بالآية من أمر بإقامة الصلاة مع الحكم الوارد به نص الآية، وعندنا أن الحكم فى ذاته كاف للموعظة وذلك لأن ترك الصلاة هو - فى حد ذاته - كبيرة من الكبائر، ولما كانت ترتكب بفعل سلبى؛ فإن ما يزيلها يكون بالفعل الإيجابى وهو إقامتها أولا، ثم تكون من بعد إقامتها الحسنات التى تذهب السيئات .

وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

التفسير:

بعد أن أمر تعالى رسوله والمؤمنين بالتزام طلب الإقامة على الدين و إقامة الصلاة، ونهاهم عن الطغيان وعدم مودة الظالمين والركون إليهم جاء أمره تعالى إليه ﷺ والمؤمنين بالصبر، بيانا لأهمية الصبر وأحقيته أن يوصى به، ولكونه لازما لطاعة الله تعالى بأداء ما أمر به والامتناع عما نهى عنه .

ثم جاء قوله تعالى «فإن الله لايضيع أجر المحسنين» جاء فيه التأكيد على واقع أنه تعالى يوفى المحسنين الذى آمنوا وعملوا الصالحات ثواب أعمالهم بغير بخس، جاء التعبير عن الثواب بالأجر لبيان أحقيتهم فيه بحكم وعده تعالى ثم ذكر بصريح النص أنه لايضيع عليهم ثواب عمل عملوه. وقد يكون فى القول تلميح إلى أن الصبر يعتبر من قبيل الإحسان .

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾

أولا: الأســـــــماء:

البقيــة : فى قـوله تعـالى «أولـوا بقية»، المراد بهـا ـ فـى معنى الآيـة ـ العقـل والرأى، أو الفضل أخذا مما يستبقيه المرء لنفسه، يكون خيرا ينفعـه ـ وهو البقية ـ فيكون إطلاق «البقية» على العقل ، والفضل من قبيل الإستعارة .

ثانيا: التفســــير:

قيل إن «لولا» فـى عبارة الآية تحضيضية بمعنى «هـلا»، فيكون المعنى هو «فهـلا كان من الأمم مـن قبلكم أصحاب عقـل ورأى ينهون عن الفسـاد الواقـع فى أممهم» فيكـون الفساد شاملا الكفر والمعاصـى. وقيل إن «لولا» ـ فى عبارة الآية ـ للنفى، فيكـون المعنى هو «ما كان فى الأمـم من قبلكم أصحاب عقل ورأى» . وقد يكـون هذا هو الصحيـح على ما يبيـن من استثناء البعض مـن السلوك السلبى المتمثل فـى عدم النهى عن الفسـاد على ما جاء بقـوله تعالـى «إلا قليلا ممـن أنجينا منهـم»، والمعنى أنه كـان من الأمـم السابقـة قليلون نهـوا عن الفساد فى الأرض. وقيل إن معنـى القول هو أن قليلا منهم أنجاهم الله لأنهم كـانوا ينهون عن الفساد، وذلك استدلالا بقـوله تعالى «أنجينا الذيـن ينهون عن السوء وأخذنا الـذين ظلموا» ، وقيل ـ وهو ما تدل عليه عبارة النص ـ أن القليـل ممن أنجاهم الله تعالى مما أصاب أقوامهم من العذاب هم الذين نهوا عن الفساد فى الأرض.

فيكون معنى القول مجموعا هو أنه «ما كـان من الأمم السابقة أصحاب عقول وآراء صائبة ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليل ممن أنجينا من العذاب الذى نال أممهم».

وقوله تعالى «واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيـه وكانوا مجرمين» وفيه أدخل تعالى الذين لم ينهوا عن الفساد فـى جملة الظالمين مع سائر الكافـرين والعصاة. يذكر تعالـى أنهم اتبعوا ما أترفوا فيه، بمعنى أنهم سعوا للتمتع بالترف بـأنواعه وملكتهم شهوات الدنيا فتمتعوا بما وسع عليهم الله فى النعم غافليـن عن الطاعة، مهملين النهى عن الفساد، فكـانوا بعدم نهيهم عن الفساد وبغيره مما قارفوا من الإثم مجرمين .

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

التفســـــير:

يقبل المعنى أن يكون هـو «ما صح أن يهلك القرى ظالما لها حـال كون أهلها مصلحين» فيكون القول تنزيها له تعالى عن الظلم يكـون بإهلاك قرى أهلها صالحون. ويقبل المعنى أن يكون «ما صح من ربك أن يهلك القرى بسبب كفـرهـم ـ فيكون الظلم بمعنى الكفر ـ إذا كان أهلها مصلحـون يراعـون الحقوق ولا يقـارفون الفساد»، ويكـون المعنى المـراد إيصالـه إلى الأفهام هو أنه تعالى لا يهلك القرى بعذاب دنيوى بسبب الكفر وحده، بل لا بد أن يكون معه ذنب آخر يعتبـر من قبيل الفساد، أما الكفر وحـده فيكون عقابه فى الآخرة، وإن كـان أشد من عذاب الـدنيا. وتدل الأحـداث على هذا فقـوم لوط قارفـوا اللواط إلى جـانب كفرهـم، وقوم شعيب بخسوا المكيال والميزان مع كفرهم، وقوم نوح اعتدوا على نبيهم واحتقروا ضعيفهم .

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾

التفســـــير:

معنى قـوله تعـالى هو أنـه جل وعـلا لم يشـأ أن يجعل الناس علـى دين واحـد أو عقيدة واحدة، وأنهـم لهذا اختلفوا فكان منهـم من هو على حـق ومنهم من هـو على الباطل، كـانوا كذلك ولا يـزالون. وتفيد صيغة المضارع أنـه سيبقى حال الناس على هـذا الاختلاف إلى أن ينزل المسيح فى آخر الزمان فيوحد العقيدة على الإسلام .

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

التفســـــير:

قيل إن معنى «إلا مـن رحم ربك» هو «لكن مـن رحم ربك بالإيمان والهـدى لم يختلف»

بمعنى أنه لم يختلف عن الحق ودين الإسلام، وقيل إن معناه هو أن الاختلاف يكون فى الغنى والفقر، والمستثنى من الاختلاف هو من رحمه الله فأنزل فى قلبه القناعة. وقد يكون المعنى هو أن الاختلاف قائم بين البشر فى العقيدة إلا أن أهل الحق من أئمة الدين يجتمعون على الأصول، ثم يختلفون فى الفروع، فيكون اختلافهم رحمة بالمؤمنين هؤلاء يكونون ـ فيما بينهم ـ مختلفين لكنهم مرحومون جميعا مع اختلافهم فى الجزئيات .

وقوله تعالى «ولذلك خلقهم» مفاده أنه تعالى قد خلق الناس ليكونوا مختلفين، أو ليقع الاختلاف بينهم، ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير.

ثم يجىء قوله تعالى «وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» مفيدا أنه قد قدر من الأزل ما لا يزول ولا يتغير ـ لأن تمام الكلمة يفيد عدم قابليتها بعد تمامها لتغيير أو تبديل ـ والذى قدر منذ الأزل هو أن يملأ تعالى جهنم من الجن ومن الإنس أجمعين، والمراد من جنس الجن ومن جنس الإنس، وهم أتباع إبليس على ما جاء بقوله تعالى لإبليس «لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» .

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

التفســـــير:

الخطاب ــ فى الآية ــ إلى رسول الله ﷺ، جاءت فيه «كلا» منونة تعويضا عن حذف المضاف إليه فيكون المقصود هو «وكل نبأ نقص عليك من أنباء الرسل»، يفيد تعالى أنه يكون من شأنه ــ أى من شأن كل نبأ ـ أن يثبت فؤاده ﷺ على أداء الرسالة والصبر على أذى المشركين فلا يكون منه جزع .

وقوله تعالى «وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين» تعلق بالصورة، فهى المشار إليه فى القول، وقيل إن علة اختصاصها بالقول أنها تضمنت أخبار الأنبياء والجنة

والنار، وقيل إن القول تعلق بالسورة مع ما ماثلها، ذكر تعالى أنها جاءت لرسوله ﷺ بالحق، وبالموعظة والذكرى للمؤمنين فاختص رسول الله ﷺ بما يتعلق بالرسالة التى اختص بها من تثبيت فؤاد و إرشاد، وكان العام للمؤمنين وهو الموعظة والتذكير .

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى لرسوله ﷺ أن فى السورة موعظة وذكرى للمؤمنين، فإنه بقى أمر الذين لايؤمنون الذين ثبت الله فؤاد نبيه ﷺ لأداء الرسالة بالإبلاغ لهم، وبالصبر على أذاهم.

جاء أمره تعالى - فى الآية لرسوله ﷺ أن يتوعدهم بالعذاب إذا ما أصروا على كفرهم بقوله لهم «اعملوا على مكانتكم إنا عاملون» بمعنى: اعملوا كل ما فى جهدكم فى عدائى والمؤمنين، أو اعملوا ما فى طاقتكم لتثبيت مكانتكم على الكفر، وإنى والمؤمنين عاملون ما فى جهدنا للثبات على الإيمان الذى نحن عليه، ولنصرة دين الله

﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

التفسير:

القول تتمة قوله ﷺ للكافرين الذين لم يؤمنوا، وهو تهديد آخر لهم ووعيد أن ينزل بهم عذاب من عند الله تعالى. ومعنى عبارة القول هو «وانتظروا ما تنتظرون من حلول الشر بنا، فإننا أيضا ننتظر أن يحل بكم عذاب الله.

وقيل إن الآية وسابقتها منسوختان، وقد لا يكون هذا صحيحا، فإن الآيتين ليستا بالموادعة حتى يقال إنهما نسختا بآية السيف، وإنما هما فى توعد الكافرين بالعذاب، وهو من الإنذار الذى بعث به سيد الخلق ﷺ نذيرا .

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

التفســـــير:

الآية مسك الختام للسورة، فمن بعد ذكر أخبار الأمم التى كذبت رسلها وقارفت المعاصى والآثام، ومن بعد بيان اتعـاظ المؤمنين بما جاء فيها وتوعد الكافريـن بالعذاب. جاءت الآية بالأمر بالإيمان بـالله وحده، وبعبادته والتوكل عليه، مبينة استحقاقـه وحده أن يعبد من خلقه، ومظهرة مجـازاته بمـا يكون منهـم فى تنفيـذ ما أمربـه أو عصيانـه . فقولـه تعالـى «ولله غيب السماوات والأرض» يفيد أنـه تعالى مالـك ما غاب علمه عـن الخلق وما علموه ممـا هو فى السماوات والأرض، يكون منه ما فـى خزائنه، وما يكون من نزول العذاب مـن السماء وطلوعه من الأرض. وقولـه تعالى «وإليه يـرجع الأمر كله» هـو إخبار عن أنه يكـون الرجوع إليه تعـالى وحده يوم القيامـة، وأنه فى هذا اليوم لا يكون لغيـره تعالى أمر أو سلطان، ولا شفاعـة إلا بإذنه، فيكون القول مبينا استحقاقه وحده أن يعبد . وقوله تعالى «فاعبده وتوكل عليه» هو أمر لرسول الله والمؤمنيـن عبادة الله وحـده، ولما كانـت العبادة لا تكـون إلا من مؤمـن ، فإن الأمـر يكون بالإيمان وبالعمل الصـالح بالطاعات يوافق الإيمان الذى فى القلـب. وفى القول جاء الأمر بالتوكل على الله بعد الأمر بالعبادة، لأن التوكل على الله لا يكون إلا ممن آمن به تعالى، فيكون التوكل على الله تعالى مترتبا على الإيمان به.

ثم يجىء قوله تعالى «وما ربك بغافل عمـا تعملون» إثباتا لعلمه تعالى الكامل بما يعمل الخلق من خير ومن شـر، وهو مستفاد من سبق تقريره تعالـى علمه بغيب السماوات والأرض، لأن من يعلم ما غاب فيهن علمه عن الخلق يعلـم بالضرورة ما هو مشهود منه معلوم. ويكون المعنى المـراد إيصاله هـو أنه تعالى يجـازى كلا بعمله فيكـون القول وعدا للمتقيـن ووعيدا للكافرين والعصاة .

بسم الله الرحمن الرحيم

ســـورة يوسف

فى أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها فى ترتيب المصحف «سورة هود» :

استخلص أهل العلم بعض أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها فى ترتيب المصحف «سورة هود» نذكر منه ما يأتى :

١ ـ جاء فى سورة هود بيان ما لاقى بعض الأنبياء من صور العداء والاعتداء من أقوامهم، وفى السورة جاء تفصيل ما لاقى يوسف عليه السلام من إخوته وهم الأقربون إليه من قومه من صور العداء، وما لاقى يعقوب عليه السلام ـ ترتيبا على هذا ـ من عذاب النفس بفقد الولد.

٢ ـ جاء فى سورة هود ذكر تبشير سارة بالولد ومن بعده ولد الولد وهو يعقوب عليه السلام بقوله تعالى «فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب». وفى السورة جاء ذكر قصة يعقوب عليه السلام وبنيه.

٣ ـ جاء فى سورة هود قوله تعالى «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت»، والمراد بأهل البيت هم أهل بيت النبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وفى السورة جاء بيان مظهر من مظاهر رحمته تعالى بأهل البيت هو بيان ما آل إليه حال يعقوب عليه السلام وبنيه من وئام وخير بعد خصام وكراهة بين أبنائه وشر شاب أعمال بعضهم .



التفســـير:

قيل فى «الر» ما سبق ذكره مما قيل من أنها اسم للسورة، أو أنها أريد بها إثبات أن القرآن

نزل بالأحرف العـربية تحديا للكافرين الـذين منهم البلغاء فى العربية أن يـأتوا بمثله، وقيل ـ وهو الراجح ـ إنها من المتشابه.

وقوله تعـالى «تلك آيات الكتاب المبين» هـو إشارة لآيات السورة باسـم الإشارة للبعيد، لأنه لم يكن قد سبق العلم لقومه ﷺ بما جاءت به من قصص وأخبار، أو لبيان عظمتها وعلو منزلتها، بين تعالـى أنها من آيات الكتاب المبين، وهو القرآن العظيم، ظـاهرا أنه من عند الله تعالى، مظهـرا الفرق بين الحلال والحـرام فى أحكامه، واضحـا أنه الكتاب المخبر عنـه فى التوراة.

إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝

أولا: الأســـــــماء:

القـــــرآن : فى قـوله تعالى «قـرآنا عربيا» قيـل إن المراد به ـ فـى معنى الآية ـ هـو القرآن العظيم، وقيل إنه السورة، وقيل هو خبر يوسف عليه السلام .

ثانيا: التفســـــير:

قوله تعالى «إنا أنزلناه قرآنا عربيا» يعنى: «إنا أنزلنا القرآن عربيا»، جاءت «قرآنا» ـ فى قوله تعالى ـ حـالاً منصوبة، و«عربيا» صفة لقوله تعـالى «قرآنا»، وفى القول جاء إثبـات أنه تعالى منزل القـرآن العظيم، وجاء تشـريفه ببيـان أنه تعالـى منزله. والمـراد بـ «عـربيا» هو أنـه بلغة العرب، والمشهـور أن أول من تكلم بـالعربية هـو يعرب بن قحطـان، وأن لغة القرآن هـى لغة قريش، وهى من لغة يعرب بن قحطان، فهـى لها أصل وأساس، وقيل إن أول من تكلم بها هو إسماعيل عليـه السلام. وقد اختلف فيما إذا كان فـى ألفاظ القرآن العظيم ألفاظ غيـر عربية، فقيل إنـه علق بأسماع العـرب نتيجة مخالطتهـم غيرهم مـن الأقوام ألفاظ من لغـات هؤلاء فاستعملها العرب فى حديثهم وأشعارهم حتى جرت مجرى العربى الفصيح، منها الحبشى، والفارسى، والنبطى، وقيل إن جميع ألفاظ القرآن عـربية، و إن لغته متسعة تضمنت ألفاظا لها مثيلها فى لغات أخرى، وقيـل إن القرآن حوى ألفاظا من لغات أخرى، لأن فيـه نبأ كل شىء، فكان فيه من اللغات الأخرى بعض ألفاظها لتتم إحاطته بكل شىء .

وقوله تعالى «لعلكم تعقلون» يرتبط بنزول القرآن باللغة العربية برابطة سببية، لأنه لما كانت العرب يتكلمون العربية ـ وهم أول من أبلغ بالرسالة ـ فإنه يكون فى مقدورهم فهم القرآن وتدبر معانيه، فيكون معنى القول هو «لتكون على رجاء من فهمه وتدبره». والذين قالوا إن الضمير فى «أنزلناه» يعود إلى يوسف عليه السلام قالوا إن اليهود طلبوا سؤال رسول الله ﷺ عن سبب انتقال آل يعقوب (أوبنى إسرائيل) من الشام إلى مصر فنزلت السورة .

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾

أولا: الأسماء:

القصص : هو تتبع الشىء، يكون مصدرا من «قص ـ يقص» قصصا، ومنه قوله تعالى «وقالت لأخته قصيه»، ويكون اسما بمعنى الخبر أو الأخبار.

ثانيا: التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ يذكر له تعالى أنه يخبره والمؤمنين أحسن الأخبار أو أحسن الاقتصاص، ثم إنه تعالى يذكر أن طريق الإخبار هو القرآن الموحى به، والمعنى أنه ليس بطريق آخر مثل الإلهام أو الوحى غير المتلو. وقيل إن الأفضلية فى الحسن أو «الأحسنية» هى للسورة، وأن مرجع هذا هو جمال أسلوبها وعبارتها بما لا يخفى على أحد، وقيل إن مرجعه هو أن عاقبة أغلب المذكورين فيها كانت خيرا بخلاف ما ذكر فى غيرها من السور عن سوء مآل المكذبين وهلاكهم، وأن رواية قصة آدم عليه السلام و إن لم تتضمن ذكر هلاك المكذبين، فإنها تضمنت من الزجر ما يجعلها شبيهة قصص المهلكين .

وقوله تعالى «و إن كنت من قبله لمن الغافلين» مفاده أنه ﷺ كان ـ قبل أن يوحى إليه بالقصة ـ غافلا عنها، لم يسمع بها ـ كما أنه لم يسمع بها أحد من العرب، فيكون القول مثبتا أن علمه ﷺ بأخبار السابقين مصدره هو الوحى .

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾

أولا: الأسماء والأعلام :

١ ـ يوسف : هو نبى الله يوسف بن يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، أمه «راحيل» ابنة لايان، عاش مع أبيه فى أرض كنعان، وكان أبوه يحبه لأنه ابن شيخوخته، ولما رأى رؤياه وقصها احتال إخوته ليقتلوه ثم ألقوه فى الجب بدلا من قتله، فأخذه بعض الإسماعيليين معهم إلى مصر وجهتهم، وفيها باعوه واشتراه عزيز مصر، وقيل هو رئيس الشرط، وقيل إن اسمه كان فوطيفار ـ كما ورد فى سفر التكوين من التوراة التى بين أيدينا اليوم ـ وفى مصر راودته امرأة العزيز عن نفسه فاستعصم بحفظ الله إياه، ثم جرى حبسه، فتعبيره رؤيا فرعون، ثم اتخذه فرعون أمينا على بيت المال وزوجه من «أسنات» ابنة «فوطى فارع» كاهن «أون» وهو الذى استدعى قومه بنى إسرائيل فجاءوا مصر، ولدت له أسنات ابنيه منسى وأفرايم، وكان دخول بنى إسرائيل مصر عندما كان عمره تسعا وثلاثين سنة، ومات وعمره مائة وعشر سنوات فى مصر.

٢ ـ الكوكب : فى قوله تعالى «إنى رأيت أحد عشر كوكبا» قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ الحرثان، والطارق، والذيال، وقابس، والمصبح، والضروح، وذو الكنفات، وذو القرع، والفليق، ووثاب، والعمودان .

٣ ـ الشمس : هى الشمس التى نراها فى السماء، وهى جرم سماوى هائل متوهج شأن سائر النجوم، فجميعها شموس، يزيد قطرها على مليون وثلث مليون كيلو متر، ودرجة حرارة جوها الخارجى تبلغ نحو ستة آلاف درجة مئوية، وهى تزداد بالقرب من المركز حيث تصل إلى نحو عشرين مليون درجة، ويصل إلى الأرض من أشعتها حوالى ٩٪ أشعة فوق

البنفسجية، وحوالى ٣٨٪ ضوء ـ وهو مصدر النور ـ وحوالى ٥٣٪ حرارة وهى المعروفة باسم الأشعة تحت الحمراء.

٤ ـ **القمــــر**: هو الجرم السماوى المشهود، انفصل عن الأرض عندما كانت القشرة الأرضية فى بدء تكونها غلالة رقيقة من الصخور الجرانيتية تطفو فوق طبقة من الصخور البازلتية الثقيلة نسبيا. وهى ما بين السيولة والصلابة.

وكان قد لازمها سلسلة من المد والجزر العظيمين بتأثير جاذبية الشمس التى كانت الأرض قريبة منها وقتذاك فكان اليوم قصيرا جدا بلغ فى وقت ما أربع ساعات، وحدث توافق بين هذه المدة وبين الفترة التى تفصل بين مدين متتاليين أدى إلى تزايد مدى المد والجزر فانفصل جزء كبير من موجة المد عن الأرض ودار فى فلك الأرض على قرب منها منذ هذا الحين، ثم سلبته الأرض ما عليه من ماء وهواء فبقى لا يصلح للحياة، وإن كان يعكس نوره على الأرض ينير السبيل ويتخذ من دورته تقويم.

ثانيا: التفســــير:

معنى «إذ قال يوسف» هو «واذكر إذ قال يوسف»، والقول كان من يوسف لأبيه، ناداه يوسف قائلا «يا أبت» ولا تستعمل «أبت» إلا فى النداء، ولا تقال إلا فى المعرفة. وبعد أن ناداه قال له إنه رأى أحد عشر كوكبا من الكواكب التى تظهر فى السماء ـ قيل إنها المذكورة فى بيان معنى الكوكب ـ كما رأى الشمس والقمر. والمعنى أنه عليه السلام رآهم فى رؤيا فى المنام، ثم أكد ما ذكره من أنه رآهم بتكرار الفعل «رأيت» فقال «رأيتهم لى ساجدين».

ولما كان السجود يتم من العقلاء فإنه جاء قوله مخبرا عنهم كما يكون الإخبار عن العقلاء «رأيتهم».

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥

أولا: الأســــــماء والأعلام :

١ ـ **الرؤيـــا** : مصدر من رأى فـى المنام، وهى بخلاف الـرؤية تكون للعين، فهـى رؤيا نفس أو روح .

٢ ـ **الإخــوة** : فى قولـه تعالى «لا تقصص رؤياك علـى إخوتك» وهم بتـرتيب ولادتهم ـ رأوبين، وشمعون، ولاوى، ويهـوذا من ليئة، ودان، ونفتالـى من بلهة، وجاد، وأشيـر من زلفة، ويساكر وزبولون مـن ليئة، وبنيامين شقيق يوسف من راحيل. وكـان ليعقوب عليه السلام ابنة تدعى دينة من ليئة أيضا .

ثانيا: التفســـــير:

يذكر تعالى أن يعقوب عليه السلام عندما سمع من يوسف رؤياه ناداه «يا بنى» فيه تصغير تحبيب، ثم إنه أمره ألا يقـص رؤياه على إخوته فيكون منهم الاحتيال لإهـلاكه. ويستفاد من هذا القول عدة أمور، منهـا أن الواجب هو ألا يقص المرء رؤياه إلا على مـن علم أن له به مودة أو حبا، وأن يكون أهلا لأن يعبر الـرؤيا. ومنها أنه تعالى يخلق فى قلـب النائم اعتقادات يراها فى نومه واقعات وأحـداثا، ثم إنه تعالى يجعلها علما ومظهرا ودليـلا على أمور أخرى يخلفها أو أحداث يوجـدها من بعد، وهـذه هى الرؤيا التى تعبـر، وهى تختلف عن الحلـم، وقد قال رسول الله ﷺ «الرؤيا من الله تعالى والحلم مـن الشيطان»، ثم إنها تختلف أيضا عن الضغث يكون ما يراه النائم مرتبطا بحديث النفس وآمالها ومخاوفها وأحزانها، أو يكون ما يراه فى نومه شذرات لا يربطها رابط، أو مـن أثر امتلاء المعدة بالطعام. ومنها أن رؤيا يـوسف عليه السلام كانت واضحة فيما تدل عليه، ولهذا فإن أباه طلب منه ألا يقصها على إخوته خوفا منهم عليه. وقيل فـى معناها إنه علـو مكانته تكون بـاصطفائه للنبوة مما يثيـر حسدهم عليه، وقـد يكون الأقرب إلى المعنى أنه يـؤتى علو مرتبة تجعلهم يخضعون له. ويبين مـن تحذير يعقوب عليه السلام أنه رغم علمـه بوجوب حصول ما استدل عليه مـن الرؤيا فإنه حذر يوسـف من ذكرها لإخوتـه مما مفاده أنه خشـى عليه أن يسببوا له أذى عـارضا وإن كان لا يحول دون تحقـق ما عبرته الرؤيـــا .

وقول يعقوب عليه السلام «إن الشيطان للإنسان عدو مبين» مفاده أن الشيطان عدو ظاهر العداوة لجنس الإنسان، ومنهم إخوة يوسف يوسوس لهم فيكيدوا لإهلاكه. وقد يكون القول دليلا على أنهم ليسوا أنبياء .

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ الأحاديث : المراد بها ـ في معنى الآية ـ هو الرؤى التي يراها الناس في منامهم .

٢ ـ النعمة : في قوله تعالى «ويتم نعمته عليك» المراد بها قمة النعم التي ينعم بها على إنسان وهي الاصطفاء للبنوة .

ثانيا: التفسير:

القول تتمة قول يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام، يقول له «وكذلك يجتبيك ربك» بمعنى أنه وعلى هذا النحو الذي أكرمك ربك فيه بالرؤيا الصالحة يكون منه اجتباؤك بتقريبك منه ـ وهو ما يكون بصلاحه وتقواه، أو بتحقيق الرؤيا ـ ثم يقول له «ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق» بمعنى أنه تعالى يعلم يوسف عليه السلام تأويل الرؤيا ـ وقد كان عليه السلام أعلم الناس بهذا ـ ثم إنه يتم نعمته عليه، وهو ما يكون باصطفائه نبيا، ويتم نعمته على آل يعقوب فيجعل فيهم النبوة، وليس معنى أنه تكون فيهم النبوة أنها تكون فيهم دون آل إسماعيل، وذلك لأن بيت النبوة هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وبكره هو إسماعيل عليه السلام، وعندما تكلم يعقوب عليه السلام فإنه تكلم عن آله وحدهم لأن الكلام كان مع ابنه ـ

يبين أن تمام النعمة هو بالاصطفاء للنبوة من قوله «كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق»، ذلك أن كلا من إبراهيم وإسحاق قد اصطفاه الله نبيا، ففى هذه النعمة تماثلا، لكنهما لم يتماثلا فى نعمة اتخاذه تعالى إبراهيم خليلا، إذ اختص بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام وحده دون إسحاق، ولهذا فإنها لا تدخل فى تمام النعمة التى ينعم بها على يوسف عليه السلام .

وقول يعقوب «إن ربك عليم حكيم» هو تعقيب على حديثه عن الاجتباء وتعليم الأحاديث وإتمام النعمة، إذ بين أن الله تعالى عليم بكل شىء ومنه من هو أهل لأن ينعم عليه بما ذكر من النعم، وأنه تعالى يكون منه الفعل، ومنه الإنعام على من يشاء بما يشاء بموجب حكمته .

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ تمهيد لذكر قصة يوسف عليه السلام وإخوته، فمعنى القول هو أنه كان فى قصص يوسف وإخوته آيات للذين سألوا عنها. والذين سألوا عنها هم يهود المدينة بعثوا به إلى رسول الله ﷺ وهو فى مكة ـ ولم يكن فى مكة أحد من أهل الكتاب فلم يعرفوا شيئا عن قصصهم ـ وسؤالهم كان عن رجل كان بالشام أُخرج ابنه إلى مصر فبكاه حتى عميت عيناه، فأنزل تعالى السورة فيها ما جاء بالتوراة وما يزيد عليه، فكان فى هذا آيات للسائلين على صدقه ﷺ وعلى أنه يوحى إليه من ربه، كما كانت معجزة له، وكانت موعظة للذين آمنوا وعبرة .

﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ مبتدأ ذكر قصص يوسف عليه السلام وإخوته، يذكر تعالى أنهم قالوا «ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة» جاءت اللام في «ليوسف» للتأكيد، فهي للقسم، والأخ المذكور في قولهم هو بنيامين شقيق يوسف عليه السلام من أبيه يعقوب وأمه راحيل، نسب الإخوة إلى أبيهم أنه كان يفضل يوسف وأخاه بنيامين عليهما في الحب، بمعنى أنه يحبهما أكثر من حبه باقي أبنائه.

وفي التوراة التي بين أيدينا اليوم أنه كان يحب يوسف عليه السلام لأنه ابن شيبته، وأنه كان يحب بنيامين لأن أمه راحيل ماتت عند ولادته، ثم إنه عليه السلام كان يحب أمهما راحيل أكثر من حبه ليئة ـ ومن عبارة الآية وفيها جاء «أخوه» معطوفا على «يوسف» ليبين أن حب بنيامين كان تبعا لكونه شقيق يوسف، فيكون يوسف هو المفضل في الحب عند أبيه من جميع إخوته؛ ولهذا كان كيدهم ليوسف دون أخيه .

وفي قول إخوة «يوسف» «ونحن عصبة» ـ بمعنى جماعة ـ بيان لكونهم الأحق بالتفضيل في الحب لكونهم عصبة، وبيان لخطل رأي أبيهم وفساد إحساسه بميله في الحب إلى جانب يوسف وأخيه بأكثر من ميله لهم، فيكون المعنى هو أنهم لكونهم عصبة أو جماعة يفيدون أباهم بأكثر مما يفيده يوسف وأخوه الصغيران، مما كان يستوجب حبه لهم أكثر من حبه يوسف وأخاه .

ثم يجيء قولهم «إن أبانا لفي ضلال مبين» تصريح منهم بأنه على خطأ ظاهر بتفضيله يوسف وأخاه عليهما .

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى أن إخوة يوسف عليه السلام تشاوروا فى أمر الخلاص منه وأنهم تآمروا عليه، فكان من بعضهم اقتراح قتله وكان من آخرين اقتراح إنزاله أرضا بعيدة، ورتبوا على الخلاص منه نتيجة هى خلو وجه أبيهم لهم، والمعنى المباشر للقول هو أنه لا يلتفت إلى غيرهم إذ يقبل عليهم وحدهم بوجهه لا ينظر غيرهم، وهذا كناية عن خلوص المحبة لهم .

وقولهم أو قول بعضهم أثناء تشاورهم فى الأمر «وتكونوا من بعده قوما صالحين» يقبل أن يكون أنه بعد الخلاص منه تكون منكم التوبة إلى الله تعالى تكونون بها قوما صالحين عنده تعالى . ويقبل أن يكون أنه بعد الخلاص منه تعتذرون إلى أبيكم فيصفح عنكم لتخلصوا من عقوق الوالد، فتكونون قوما صالحين .

قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ **القائل** : فى قوله تعالى «قال قائل منهم» قيل هو يهوذا، وقيل هو شمعون. وفى التوراة التى بين أيدينا أن القائل هو رأوبين .

٢ ـ **الغيابة** : فى قوله تعالى «وألقوه فى غيابة الجب» هو كل شيء يغيب شيئا عن النظر، وقيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو القعر أو الغور، وقيل هو ما يشبه الكهف أو الطاق فى البئر فوق الماء يغيب ما فيه عن العيون .

٣ ـ **الجب** : هو ما جب من الأرض ـ بمعنى قطع فيها ـ قيل إنه بئر بيت المقدس، وفيه إنه بالأردن.

٤ ـ **السيارة** : هم الجماعة تسير فى طريق السفر .

ثانيا : التفسير:

مفاد قوله قوله تعالى ـ في الآية ـ أن أحد الإخوة رفض فكرة قتل يوسف، فنهى إخوته عن قتله «لا تقتلوا يوسف» واقترح بدلا من قتله أن يلقوه فى قاع بئر جاف، أو فى جزء فى بئر يخفى ما يوجد فيه عن الأنظار، ثم إنه حبب إليهم اقتراحه مبينا أن فيه الخلاص منه، فقال إنه يكون من بعض السائرين فى الطريق اكتشاف أمره وهو فى غيابة الجب فيلتقطونه ويذهبون به بعيدا إلى وجهتهم فى السفر، ثم يقول لهم «إن كنتم فاعلين» بمعنى فليكن هذا إذا ما كنتم مصرين على فعل شىء يبعده عن أبيه ويفرق بينهما. ومن القول يبين أن إخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء، وذلك لأن يوسف وإخوته كانوا مسلمين، وقتل المسلم من الكبائر، والأنبياء معصومون من الكبائر. كما يبين منه أن يوسف كان وقتذاك صغيرا، إذ الصغير هو الذى يُلتقط ، وليس الكبير.

قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن إخوة يوسف عليه السلام نادوا أباهم قائلين «يا أبانا» تأكيدا على ارتباطهم به برابطة البنوة التى لا يتصور معها فى الفطرة السليمة أن يؤذى الابن أباه ولو فى عاطفته، فيكون فى عبارة النداء تحفيزا له على الاستجابة لهم. ثم يذكر تعالى أنهم قالوا له «مالك لا تأمنا على يوسف» ومن القول يبين أن يعقوب عليه السلام لم يكن يأتمنهم على يوسف، والمعنى أنه كان يتخوف منهم عليه لمعرفته بحسدهم إياه، وأنهم أظهروا له أن هذا التخوف وعدم ائتمانهم على يوسف غير مبرر. ثم جاء قولهم «و إنا له لناصحون» إظهارا لكون الأصح عقلا هو أن يعهد به إليهم وليس مجرد عدم التخوف عليه منهم، فهم المشفقون عليه، المريدون خيره الناصحون له بما يحقق مصلحته .

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾

التفســـــير:

اللقول قول إخوة يوسف عليه السلام لأبيهـم، والضمير فى «أرسله» يعود إلى أخيهم، فهم يطلبون من أبيهـم أن يبعثه معهم فى اليوم التالـى، أو أن يأذن لهم أن يأخذوه معهم إلـى مرتع خصب، يرتعى فيه بالأكل من ثمره الـذى لا صاحب له إلا الله، والذى يسمح اتساع مساحته لأن يلعب فيه. وقد قيـل إن المراد باللعب شىء غير اللهو الذى يفـرح به الصغار، لأن الأنبياء لا يلعبون مثل هذا اللعـب، فلابد أن يكون اللعب من نـوع الرياضة البدنية التـى تعد الصغير لمرحلة الشباب والـرجولة، ورد على هذا بأنـه لم يكن يوسف وقتذاك نبيـا حتى لا يكون له أن يلعب لعب التسليـة. والذى يبدو لنا مـن ملاحظة أن يعقوب عليـه السلام قد سمح مـن بعد بخروج يوسف ليرتعى وليلعـب أنه لم يرفى لعب الصغير شيئا يتنافى مع كـونه موعودا بالنبوة مادام اللعب لا ينطوى على معصية، وليس بلعبة حرام مثل لعب الحظ التى تتخذ فى الميسر وما ماثله.

و قول الإخوة لأبيهم «و إنا له لحافظون» هو من قبيل ذكر السبب الذى يدفعه لأن يأذن لهم باصطحابه معهم، فهم يحفظونه من كل شر أن يصيبه، وخطر أن يتهدده.

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾

أولا : الأســـــماء :

الذئب : هو الحيوان المعروف، من فصيلة الكـلاب. والمعروف علميا أن الذئب لا يعيش فى الشام ولا فـى مصر، وأن الذى يطلق عليـه اسم الذئب هو الحيـوان المعروف «ابن آوى»، وهو أيضا من الفصيلـة الكلبية. فلا يمنع أن يكون المقصود هو ابن آوى، سمـى بالذئب على المتعارف بـه، أو أن يكون تخصيص العلمـاء ما يعيش فـى أوربا مـن هذا النوع مـن الفصيلة الكلبية هو من فعلهم مع كون ابن آوي ذئبا.

ثانيا: التفسير:

معنى القول أن يعقوب عليه السلام قال لأبنائه حين طلبوا منه أن يأذن لهم أن يأخذوا يوسف معهم فى الغد للرتع واللعب أنه يحزنه أن يفارقه خلال مدة اصطحابهم إياه، فيكون القول دالا على شدة تعلقه به حتى أنه لا يقوى على فراقه لوقت قصير، ثم أضاف أنه يخشى عليه أن يأكله الذئب أثناء غفلتهم عنه لانهماكهم فى الرتع أو فى اللعب، وجاء ذكر الخوف من الذئب على وجه الخصوص لكثرة وجوده فى برية المنطقة وما جاورها، وإنه لا يهاجم إلا صغيرا أو منفردا، وقد كان يوسف صغيرا، وكان الخوف من وجوده منفردا منعزلا عن إخوته الغافلين عنه.

قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ قول إخوة يوسف لأبيهم حين أعلنهم خوفه من أن يأكل الذئب أخاهم إذا ما ذهب معهم إلى البرية يرتعى ويلعب، والقول تأكيد منهم لاستحالة أن يأكل الذئب أخاهم مع كونهم جماعة يخشاها الذئب أو لقدرتهم على حماية أخيهم منه، فهم يقولون لأبيهم إنه إذا أكله الذئب مع كوننا جماعة فإن المعنى يكون عجزنا، وهذا مستحيل، أو إنه إذا لم نستطع أن نحمى أخانا من الذئب فإننا تكون أعجز من أن نحمى أغنامنا منه، فيكون محققا خسارتنا أغنامنا وأموالنا، وهذا ما لا نرضاه ولا يتوقع لنا.

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى «فلما ذهبوا به» هو أن يعقوب عليه السلام أذن لهم ــ أى لأولاده ـ أن يأخذوا أخاهم معهم فى الغد بعد تعهدهم له أن يحفظوه من كل شر يمكن أن يناله، وأنهم أخذوه معهم بالفعل، وقوله تعالى ـ من بعد ـ «وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب» يلاحظ فى شأنه أن جواب «لما» قد حذف منه، وتقديره هو «عظم خطؤهم، أو عظمت فتنتهم» فيكون المعنى هو: «إنه لما ذهبوا به إلى المرتع وأجمعوا الرأى على أن يلقوه فى قاع الجب أو فى مخبأ فيه عظمت جنايتهم».

وقوله تعالى «وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون» يفيد أنه تعالى أوحى إليه وهو فى مكانه من الجب أنه يكون منه عليه السلام فى يوم ما أن يخبرهم بما فعلوه به فى يومهم هذا من تآمر عليه و إلقاء فى غيابة الجب، وأنه يكون منه إخبارهم بأمرهم هذا وهم لا يعرفون أنه يوسف، فيكون معنى «وهم لا يشعرون» هو: «وهم لا يعرفون من هو محدثهم». وقد أفاد معنى أن الوحى إليه عليه السلام كان أثناء وجوده فى غيابة الجب من مضمون الوحى وهو الإبلاغ بالأمر تاما، وهو قد تم بالإلقاء فى غيابة الجب، مع أن ظاهر النص يوحى بأن الإخبار بطريق الوحى كان عند إجماعهم الرأى على جعله فى غيابة الجب وليس بعد إلقائه فيه.

وقد قيل فى شأن الوحى إليه أنه الوحى إلى الأنبياء فيكون المعنى أنه قد جاءته عليه السلام النبوة وقتذاك. وقيل إنه كان الإخبار بطريق الإلهام.



أولا: الأسماء:

العشاء: فى قوله تعالى «وجاءوا أباهم عشاء»، هو الوقت من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، وقيل هو الليل من زوال الشمس إلى الصباح.

ثانيا : التفســــــير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ أنه كان من إخوة يوسف بعد أن ألقوه في غيابة الجب، أنهم جاءوا أباهم ليلا. ولا يبين من النص أنه كان ليل اليوم الذى ألقوا خلاله أخاهم فى غيابة الجب، فهو أى ليل من أى يوم، لكن الذى يبدو أنه كان أول لقاء لهم بأبيهم بعد الحدث. ويذكر قوله تعالى أنهم جاءوا أباهم يبكون، والمعنى أنهم متباكون ليظهروا له حزنهم على ما سيخبرون به من حدث، وليبدوا له دليل صدقهم فيما انتووا أن يكذبوا به عليه.

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

التفســــــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن إخوة يوسف نادوا أباهم بقولهم «يا أبانا»، وفى النداء عليه به تلميح إلى أنهم لا يكذبونه خبرا، ثم إنهم لم يبدءوا حديثهم بذكر ما عزموا الإخبار به، وإنما مهدوا له بذكر مقدمات الأحداث لتهيئة نفسه لسماعه بترقب هذا، فقالوا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا بمعنى أنهم ذهبوا بعيدا عن يوسف عليه السلام يتسابقون فى الجرى، أو يتنافسون فى الرمى، وأنهم كانوا قد تركوه عندما كان معهم من المتاع، أو أنهم تركوه عنده ليتولى حراسته، ويبدو أن الغرض من ذكر هذا هو بيان اعتذارهم بالبعد عنه عليه السلام لعدم قدرتهم على دفع الشر عنه مع كونهم عصبة. ثم أتبعوا هذا بذكر الخبر الذى جاءوا ليخبروا به. فقالوا «فأكله الذئب» بمعنى أن الذئب أكله بعد أن تركوه عند المتاع وغابوا عنه فى سباقهم.

ثم يجىء قولهم «وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين» تعبيرا عما فى أنفسهم من شعور بأنه سيفضح كذبهم، فكان قولهم من قبيل الرد على المتوقع قبل حدوثه، والمعنى هو «إنك ستكذبنا فى هذا، ولو كنا معروفين لديك من قبل بالصدق» ويقبل المعنى أن يكون: «إنك

ستكذبنا لفرط حبك ليوسف وعدم ثقتك بنا، ولو كان ما نخبر به هو الصدق»، ويبعد أن يكون هذا هو المعنى أنه يكون متضمنا معنى الإقرار بالكذب إلا أن يكون هذا من قبيل ما يشعر به الكاذب عرضا من عدم تصديق الغير إياه فيكون منه قول ما يفضح به كذبه على غير إرادة منه.

وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

أولا: الأســـماء:

١ ـ **القميص**: في قوله تعالى «وجاءوا على قميصه بدم كذب» هو ما يلبس من الثياب فيغطي النصف الأعلى من الجسم. والقميص المذكور هو غير القميص الذى قُدَّ، وغير القميص الذى أتى به البشير يعقوب عليه السلام.

٢ ـ **الكـذب**: في قوله تعالى «بدم كذب» المراد به ـ في معنى الآية ـ أنه «ذو كذب» أو أنه «مكذوب» بمعنى أنه ليس دم يوسف على الحقيقة. وقيل إنه «كدب» بالدال المهملة، والكدب بياض يعترى الأظافر، أريد باستعارة اسمه بيان مخالفة الدم لون القميص.

ثانيا: التفســير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ أن إخوة يوسف جاءوا على قميصه بدم كذب، بمعنى أنهم لطخوا قميصه بدم مكذوب عليه فهو ليس دمه، قيل إنه كان دم ذكر من ولد الضأن أو الماعز، وقيل كان دم ظبي.

وقيل إن يعقوب عليه السلام لما نظر القميص سليما ليس به تمزق أو قطع من آثار ظفر أو ناب تحقق من كذبهم، وقيل إنه قال «ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه». ثم كان منه أن قال لهم «بل سولت لكم أنفسكم أمرا» قطع لهم بالقول

معرفته أنهم كاذبون، وأن الحقيقة هي أن أنفسهم زينت لهم ارتكاب خطأ في حق أخيهم تحقق به الفراق بينه وبينه.

وقول يعقوب عليه السلام - من بعد - فصبر جميل والله المستعان هو حديث للنفس وإن قيل على مسمع من أبنائه فكأنه قيل لهم، فهو يطلب من نفسه أن تصبر على ما أصابه صبرا جميلا، ثم إنه يسأل ربه أن يعينه على أن يتحمل ما وصفوه له من أن الذئب أكل يوسف وأثره في نفسه .

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

أولا : الأسماء :

الوارد: في قوله تعالى «فأرسلوا واردهم» المراد به - في معنى الآية - من يرد الماء في مكان يؤتى به منه مثل نهر أو جدول أو بئر، ثم يأتي به غيره.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - في الآية - شروع في ذكر الأحداث المختصة بيوسف عليه السلام ذاته، فيذكر تعالى أن جماعة من القوم أو قافلة كانت تسير في سفرلها، قيل إنها كانت متوجهة من مدين إلى مصر، وأنهم أرسلوا أحدهم أو بضعة منهم ليردوا مورد ماء يأتون منه بالماء يستقون منه، وأن هؤلاء الواردين أدلوا دلوهم في البئر الذي ألقي يوسف في جب منه، فشاهدوه، فتنادوا بينهم «يا بشرى هذا غلام» استبشارا بما ساقه الله إليهم من رزق - باعتباره مما يباع - وقوله تعالى «وأسروه بضاعة» يدل على أن الوارد كان البعض من القافلة أو السيارة، ولم يكن واحدا، وذلك لأنهم احتفظوا بينهم بسره لم يظهروه لباقي السائرين، وهو ما يتصور أن يكون بإخفائه نفسه، أو أن يكون بزعم غير الحقيقة كأن يدعوا أن قوما قابلوهم عند البئر وطلبوا منهم

بيعه لحسابهـم، واحتفظوا بحقيقة الأمر بينهـم سرا. ومعنى أنهم أسـروه بضاعة هو أنهـم انتوا فيما أسروه بينهم التعامـل فيه باعتباره من المتاع الذى يباع ويشتـرى، فيكون المعنى هو أنهم انتووا بيعه .

وقولـه تعالى ــ فى ختام الآيـة ـ «والله عليم بما يعملـون» يفيد أنه تعـالى يعلم أمـر هؤلاء الذين أسروا بينهـم ما أسروه، وأظهروا من فعلهم مـا أظهروه، وقيل إن معناه أنه تعالـى يعلم ما كان من فعل إخوة يوسف معه، مما مفاده أنه مـؤاخذهم به، فيكون القول وعيدا لهم. وعندنا أن هذا بعيد، فالقول تعلق بالأحداث التى وقعت ليوسف بعد انتهاء الحديث فى شأن إخوته، ثم إن العذاب لم يلحـق بإخوة يوسف إذ عفى عنهـم فى المآل، فيكون الأظهر تعلقه بـالذين وردوا الماء وأخذوا يوسف وأسروه بضاعة .

وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

أولا : الأســـــماء :

البخس : فى قوله تعالى «وشروه بثمن بخس» هو النقص، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو المنقوص، بمعنى أنه ثمن ينقص عن الثمن الذى يدفع فيمن ماثله .

ثانيا : التفســـــير:

يقول تعالى ـ فى الآية ـ «وشروه بثمن بخس دراهم معدودة» بمعنى «وباعوه بثمن بخس» وقيل إن الضمير فى «شروه» يعود إلى إخوة يوسف باعوه للسيارة عندما أخرجوه من البئر فقالوا لهم إنـه ملكهم ثم باعـوهم إياه. وهـذا يوافق ما جـاء فى سفر التكـوين من التوراة التـى بين أيدينا اليوم. ويبدو لنا ـ والله أعلم ـ أن الصحيح هـو ما قال به البعض من أن الضمير يعود إلى الواردين الـذين أخرجوا يوسـف من البئر، إذ يبين مـن نص الآية التالية أن المشتـرى كان من مصر، فيكون البيع قد تم فى مصر، ويكون القول متعلقا بحدث متأخر وقع بعد دخول السيارة

مصر.

ومعنى قوله تعالى إن الذين حازوا يوسف باعوه بثمن منقوص بمعنى أنه يقل عما كان يدفع فى مثله وقتذاك على ما جرت عليه أعراف بيع العبيد، وأن الثمن كان دراهم قليلة يمكن عدها لم تبلغ ديناراً واحدا. ثم يذكر تعالى علة تفريطهم فيه بهذا الثمن القليل بقوله «وكانوا فيه من الزاهدين» فهم عن الاحتفاظ به راغبون: ولذلك لم يساوموا عليه و إنما قبلوا ما عرض عليهم فيه من ثمن للخلاص منه، وقد يكون هذا مثبتا أن البائعين كانوا من السيارة ولم يكونوا إخوة يوسف، لأنهم وقد أخفوا أمره عن باقى القافلة كانوا يريدون الخلاص منه على وجه السرعة قبل أن يكتشف أمره وأمرهم، ولهذا كانوا فيه من الزاهدين .

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ **الذى اشتراه من مصر:** هو فوطيفار رئيس الشرط فى مصر.

٢ ـ **المرأة :** فى قوله تعالى «وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته» قيل إن اسمها كان راعيل بنت رعابيل، وقيل إن اسمها كان زليخا .

ثانيا : التفسير:

قال القائلون إن البيع كان من إخوة يوسف باعوه للسيارة، إن الحديث فى الآية متعلق ببيع ثان هو البيع من السيارة إلي المصرى، فالمشترى هو فى الصفقة الثانية، قال لامرأته حين قدم إليها يوسف «أكرمى مثواه» بمعنى ليكن منك إعداد المحل الذى يكون له مثوى

بحيث يكـون كريما نظيفـا يرضيه. ومن القـول يبين أن الذى اشتـراه لم يقصد استعبـاده ولم يعامله معاملة العبيد، بـل كان منه الحرص على إكرامه وتكريمه، ثم إنـه أظهر سبب طلبه من امرأته إكرام مثواه بقوله لها «عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا»، والمعنى أنه أمل فى يوسف خيرا، يؤدى لهما أعمالا يكون فيهـا نفع لهما حال قدرته على هذا، أو أن يتبنـوه فيصبر منهما بمنزلة الولد من أبويه. وقيـل إن النفع الذى أمل فيه كان إعادة بيع يوسف بثمـن كبير، ويدحضه أنه أمل أن يتخذه ولدا، والمعنى أنه لم يكن للاعتبار المالى محل لديه .

ثم يجىء قـوله تعالى «وكـذلك مكنا ليوسف فـى الأرض ولنعلمه من تأويـل الأحاديث» ومفاده أنه كـان منه تعالى بما أنـزل على قلب مشترى يوسـف من إعزاز له وهو مـن هو سواء أكان رئيس الشرط أم كان وزيـر فرعون مصر، قد جعل ليوسف مكانـا فى الأرض له فيه ثبات، والقول يشير إلى أن مكـان يوسف عند هذا الرجـل العالى المكانة كان بمثـابة الأساس الذى كان ثبات يوسف به سببا لانطلاقه إلى السمـو الذى أراده له الله تعالى، كما كان الفرصة التى أتاحت له أن يعلمه ربه بهـا من تأويل الأحاديث، بمعنى تعبير الرؤيا، إذ أنـه بوجوده عند هذا الرجل تحقق دخوله السجن وتعبيره رؤى صاحبى السجن، ثم تعبيره رؤيا فرعون التى جعلت له عنده حظوة وأولته مكانته عنده ومكنته فى أرض مصر.

وفى ختام الآية يجىء قوله تعالى «والله غـالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون» وهو تذييل للأحـداث المذكورة فى الآية وما قبلهـا، وفيها وقع الكيد والتآمر، ووقـع الكذب، ووقع ستر الحقيقة عن الرفقة، ووقع البيع والشراء، وكان المـوضوع الذى تعلق به كل هذا هو يوسف عليه السلام.

فجاء قـوله تعـالى مفيدا أن أمـره وحده هو النـافذ لا يستطيـع منعه أحد، وقـد شاء تعـالى ليوسف ما شـاء فجاء جميع ما دبر غيره ومـا فعل ليكون سببا لتحقيق أمره تعـالى. وفى القول يعود الضمير فى أمره إليه تعالى، فيكون المعنى علـى ما سبق ذكره، وقيل إنه يعود إلى يوسف عليه السلام.

فيكون مفاده أنـه تعالى غالـب على أمر يوسـف أنه يتولاه بجزيـل إحسانه. ثم إنـه تعالى

يثبت أن أكثر الناس قد غابت عن عقولهم هذه الحقيقة، فيعتقدون أن الأمر لهم ويكون منهم التآمر والكيد ظنا أن إرادتهم هى النافذة بما أيدوها من أسباب .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الأشـد** : فى قوله تعالى «ولما بلغ أشده» جمع، مفرده «شدة» هو مبلغ ما يصل الجسم فيه قوته، بعده يبدأ النقصان، والقول فيه أنه يكون ـ على الغالب ـ بلوغ ثلاث وثلاثين سنة. وقيل هو أقصى مراحل نمو الجسم .

٢ ـ **الحكم** : فى قوله تعالى «آتيناه حكما وعلما» ، المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو «الحكمة» تكون لدى العمل بأحكام الشريعة وتطبيقه على الوقائع بمراعاة الأحوال. وقيل إنه الحكم بين الناس، وقيل هو النبوة .

٣ ـ **العلم** : فى قوله تعالى «آتيناه حكما وعلما» المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو العلم الخاص بتأويل الرؤى، وقد يكون المعنى أعم من هذا فيشمل العلم بالدين وما لزم من علوم الدنيا لتحقيق مصالح الناس، فيدخل فيه العلم بأحكام الشريعة .

ثانيا : التفسـير:

معنى قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه حين بلغ يوسف عليه السلام من عمره زمن اكتمال قوته الجسمانية آتاه الله الحكمة تكون لدى إنزاله أحكام الشريعة على الواقعات، فيكون مستفادا من المعنى أنه كان له أن يحكم بين الناس أو فى بعض شئونهم، أو أنه تعالى آتاه النبوة ، كما آتاه العمل الصالح فى أمور الدين والدنيا، وآتاه العلم بتأويل الرؤيا.

فيكون قوله تعالى «ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما» خاصا بيوسف عليه السلام

وقوله تعالى «وكذلك نجزى المحسنين» هو مبدأ عام ذكره النص، مفاده أن الذى يحسن

إيمانه وعمله يكـون له من الله تعالى أنه ينعم عليـه بالحكم والعلم الذى يناسـب حاله، ومنه أنه تعـالى يؤتيـه الحكمة ويفقهـه فى الديـن، أو يعلمه ما يلـزم له العلـم به، وقد يكـون هذا باحتفاظ عقله بما تم تحصيله منه، فلا يصيبه خرف الشيخوخة .

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

أولا : الأســـــماء :

هيت لك : اسم فعل، بمعنى أسرع، أو هلم. قيل إن لفظ «هيت» حوارنى تكلم به العرب، وقيل هو عبرى، وقيل سريانى .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكـر تعالـى أنه آتى يـوسف عليـه السلام الحكم والعلـم وأنه يجـازى المحسنين أعمالا بهذا، فإنه تعالى أورد فى الآية ذكر فعل من الأفعال التى حسنت عنده تعالى من أفعال يوسف المنعم عليه بالحكـم والعلم، فيذكر تعالى ـ فى الآية ـ فعليـن، أحدهما كان من زوج عزيـز مصر أو قـائد الشرط فيهـا مع يـوسف، والآخـر كان مـن يوسـف عليه السـلام ردا على فعلهـــا.

فيذكر تعـالى أنها راودته عـن نفسه، بمعنى أنها طالبتـه برفق أن يخدع نفســه، بمعنى أنها توددت إليه أو عـرضت عليه مفاتنهـا وهو طلب بالفعل أو بـالقول أن يجامعها ، يكـون تأثيره الأول هو أن يخدع نفسه فيخرجها عن العصمة، ثم يكون منه فعل ما لم تكن ترضاه له .

ثم يذكر تعالى أنها غلقت الأبواب، وفى القول جاء الفعل «غلقت» لبيان أن غلق الأبواب قد تكرر، وقـد يكون سبب ذلك تعـدد الأبواب التى أغلقتها وقـد يكون سببه تكرار فعـل غلق الأبواب مرات.

مما مفاده تكرر محاولاتها معه. ثم يذكر تعالى أنها قالت له «هيت لك» والقول يفيد معنى أنها حين لم ترمنه انجذابا إليها بعد ما أظهرت له مفاتنها وتوددت إليه فإنها دعته إلى نفسها صراحة بالقول واستحثته على الفعل الذى أرادته منه وعلى الإسراع إليه.

ثم إن عبارة الآية تفيد معنيين آخرين، أولهما أنه يبين من عدم ذكر اسم المرأة أو الإشارة إليها بما يفيد أنها زوج العزيز أنه يفضل عدم الإعلان عن اسم مقارفى الكبائر حتى لا تشيع الفاحشة فى المجتمع ما لم يكن هذا عند إقامة الحد عليهم لأنه به يتحقق الردع العام. والثانى أن التعبير عنها بأنها التى كان يوسف فى بيتها، يفيد معنى تكرر تعرضه لمحاولاتها معه، مع دوام تعرضه لمشاهدتها مما يكون له تأثير على ذوى النفوس الضعيفة فيكون هذا إغراء لها على مقارفة المحذور.

ثم يذكر تعالى ما كان من يوسف عليه السلام معها ردا على فعلها وقولها.

فيذكر تعالى أنه عليه السلام قال «معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى، إنه لا يفلح الظالمون»، وفيه جاء قوله تعالى «معاذ الله» بيانا صريحا منه لكون ما تدعوه إليه أمرا منكرا يتعوذ بالله منه.

ويذكر تعالى أنه قال «إنه ربى أحسن مثواى» ويتصور أن يكون القول فى زوجها يعود إليه الضمير فى «إنه» لأنه كان سيده، فيكون معنى القول هو بيان أن استجابته لها تكون خيانة لمن أكرمه وأحسن مقامه، وأنه لا يجازى من أحسن إليه بخيانته فى زوجه.

ويتصور أن يكون القول فى الله تعالى يعود إليه الضمير، فيكون معنى القول إن الله أحسن مقامه وأكرمه وهذه نعمة تستوجب شكر الله، وأنه لا يكون منه بدلا من أداء حق النعمة من الشكر عصيان الله بارتكاب كبيرة .

وقوله عليه السلام «إنه لا يفلح الظالمون» هو ذكر لحكم عام مما علمه الله ومما آتاه به الحكمة، مفاده أن الخائنين ومرتكبى الكبائر هم ظالمون، يظلمون أنفسهم ويظلمون من خانوهم، وأن هؤلاء لا يفلحون فى الدنيا والآخرة. فيكون القول متضمنا أيضا ذكر علة انتهائه عن الاستجابة لها، وقيل إن سعادات الدنيا التى يخسرها الخائن هى: البقاء، والغنى ، والعز وأن سعادات الآخرة هى: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل .

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

التفســـير:

يروى تعالى ـ فى الآية ـ ما كان من أحداث عقب استعاذة يوسف بالله من الاستجابة لدعوة امرأة العزيز وقوله لها «إنه لا يفلح الظالمون» فيقول تعالى «ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه» ومعنى أنها همت به هو أنها ـ تصميما منها على ما أرادته ـ قد باشرت أفعالا أخرى توصلها إلى غرضها مثل مد اليد أو المعانقة، وقيل فى معنى «وهم بها» أنه مال إلى مجامعتها مثل ميل الصائم إلى الماء البارد فى اليوم الحار، وقيل تبريرا لهذا إنه لا يدخل تحت التكليف.

وزاد البعض من أصحاب هذا الرأى فقالوا إنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته، وأنها استلقت على ظهرها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه. وقيل إن همه بها كان هما بدفعها عن نفسه أو بضربها، وهذا ما نميل إليه، دليلنا على هذا استعاذته بالله مما دعته إليه، وهو دعاء من نبى بخير يجيبه الله إليه. وأن استعاذته بالله من الفعل ومن الضعف الذى يؤدى إليه، و إعلانه إياها بأن ما تدعوه إليه هو خيانة لا يقدم عليها، وذكره أن مآل من يقدم عليها هو عدم الفلاح إنما كان إخبارا باللسان عن مكنون قلب لا يتصور أن يكون منه اشتهاء الفاحشة، ثم إنه بظهور أن الواقعة كانت بعد أن آتاه الله النبوة يجعل من المستحيل تصور اشتهائه مقارفة كبيرة من الكبائر لعصمة الأنبياء.

ثم إن هناك دليلا من عبارة الآية، إذ فصل تعالى بين همها به وبين همه بها، وهذا دليل على اختلاف كل منهما عن الآخر، فلو كان الهم أو الهميان واحدا لقال تعالى «ولقد هما ببعضهما» أو ما يفيد هذا. ثم إنه تعالى يذكر أنه من عباده المخلصين، ولقد سبق القول إن

إبليس لا يغوى عباد الله المخلصين «فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين» .

وقيل فى برهان ربه الذى رآه فحال بينه وبين فعل ما هم به الكثير، قيل إن المرأة قامت إلى صنم سترته فسألها يوسف عن فعلها فقالت «أستحى من إلهى أن يرانى أرتكب السوء» فقال عليه السلام «تستحين من صنم ولا أستحى من الله» وامتنع عليها وقيل إنه رأى سورة أبيه يعقوب يلومه أن يفعل فعل السفهاء وهو من الأنبياء. وعندنا أن هذا مما لا يتصور فى شأن نبى يعلو درجة المخلصين من غير الأنبياء الذين لا يغويهم الشيطان.

فيكون المراد ببرهان ربه هو ما أُلهم به من الله تعالى ألا يدفعها عنه وألا يضربها وأن يفر من أمامها، لأنه لو فعل هذا لتعلقت به ممسكة بقميصه فيقطع من أمام فيكون دليلا لها فيما تكذب به من أنه أراد مواقعتها فدفعته عن نفسها، وقد كان هروبه من أمامها سببا لصرف السوء والفحشاء اللذين استحوذا على فكر امرأة العزيز وأفعالها عنه، يبين تعالى أن صرفهما عنه كان فعله تعالى، تحقق بهروبه من أمامها وتتبعها إياه منصرفا عما أريد به ومنه. وفى القول جاء «إنه من عبادنا المخلصين» بمثابة ذكر للعلة التى كان صرف السوء والفحشاء عنه بسببها، وهى كونه من عباد الله الذين أخلصهم لطاعته فعصمهم مما يجرح خلاصهم، والذين هم ممتنعون على الشيطان ـ بحوله تعالى ـ أن يغويهم، فيكون صرف السوء والفحشاء عنه قد تحقق منه عندما استعاذ بالله مما أرادته به ورفضه، كما يكون قد تحقق من امرأة العزيز حين انشغلت بمطاردته فلم تتمكن مما أرادت إلى أن حضر زوجها.

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

التفسير:

الآية فى رواية الأحداث التى وقعت بعد أن رأى يوسف عليه السلام برهان ربه فهرب من

من امرأة العزيز وأصبح لكل منهما هدفه الذى يخالف هدف الآخر، هو عليه السلام يرجو الخروج من باب المسكن الرئيسى، وهى تريد أن تعيده إليها فكان منهما الاستباق متجهين إلى الباب الذى اتجه إليه يوسف، هو يريد أن يسبقها إليه وهى تريد اللحاق به.

ثم يقول تعالى إنها قدت قميصه من دبر، ومن القول يبين أنها لحقت به وأمسكته من قميصه، وأن القميص قطع طولا من أعلى إلى أسفل نتيجة اندفاع يوسف وجذب امرأة العزيز ـ ذلك أن «القد» هو القطع طولا، «والقط» هو القطع عرضا، ثم يقول تعالى «وألفيا سيدها لدى الباب» بمعنى أنهما وجدا زوجها عند الباب الذى كان يتجه إليه يوسف، أى أن زوجها كان على مدخل داره، ويبدو أن عادة المصريين وقتذاك كانت إطلاق لفظ «السيد» على الزوج تناديه به زوجه ولهذا لم يرد فى قوله تعالى لفظ «سيدهما»، مع ملاحظة أن العزيز لم يكن يعامل يوسف عليه السلام معاملة العبد .

ثم يذكر تعالى أن امرأة العزيز قالت «ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم». والمعنى أنها وجدت أن خير ما تدفع به شك زوجها فى أمرها هو أن تتهم يوسف بأنه أراد بها سوءا وأن تبرز أنها كانت فى موقف المدافع عن نفسه، ويتصور فى السوء الذى اتهمت به يوسف أن يكون الزنا أو أن يكون ضربا أو نحوه.

ثم إنه يلاحظ أنها اقترحت على زوجها العقوبة التى يوقعها على يوسف ، تكون هى السجن أو تكون العذاب الأليم بالضرب الذى يؤلم، ويبدو من عدم ادعائها على يوسف محاولته الزنا بها تصريحا، ومن قولها «إلا أن يسجن» وليس «إلا أن يكون من المسجونين» بما يفيد أن السجن يمكن أن يكون لمدة قصيرة، أنها إنما استهدفت تهديد يوسف بالأذى إن هو لم يستجب لها فيما بعد، وأنها تضمر له فى نفسها حبا لا تتمنى له معه الأذى الشديد، وأنها اتهمته بما اتهمته به مدفوعة بدفع التهمة عن نفسها فى نفس زوجها .

قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾

أولا : الأسماء :

الشاهد : فى قوله تعالى «وشهد شاهد من أهلها» قيل إنه ابن خالها كان طفلا فى المهد وأنطقه الله بالحق، وقيل إنه ابن عم امرأة العزيز كان مع زوجها لدى الباب، وقيل إنه رجل حكيم من أهل المرأة كان زوجها يستشيره فى أمور الحكم .

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى أن يوسف عليه السلام رد على افتراء امرأة العزيز عليه بالكذب بأن قال «هى راودتنى عن نفسى» استعمل فى القول ضمير الغائب «هى» مع حضورها الموقف والمقال، لأنه كان يخاطب شخصا فى شأن آخر حاضر، يجوز إنزاله منزلة الغائب ومثل ذلك قوله تعالى «يا أبت استأجره». وفى القول دفع من يوسف للتهمة عن نفسه وبيان أنها التى طلبته ليأتيها، وقد استعمل عبارة تكفى لإيصال المعنى دون تصريح به، وذلك لأنه لم يبتغ فضحها ولا استثارة زوجها عليها .

ثم يذكر تعالى أن شاهدا كان من أهل المرأة شهد فى النزاع. والشهادة لم تكن بما رآه أو عاينه، لأنه كان مرافقا زوجها عند دخوله داره، وإنما كانت بإبداء دليل يوصل إلى معرفة وجه الحق. والدليل من قبيل ما يعرف بالقرائن، وهو استنتاج أمر مجهول ـ هو المطلوب إثباته ـ من آخر معلوم بطريق الاستنتاج العقلى، ذلك أن الشاهد قال «إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين» والمستفاد من القول أن الشاهد علم أن قميص يوسف قد قطع طولا لكنه لم يره، فيتصور أن يكون العزيز قد عرض عليه قول الاثنين وما رآه من قطع القميص، ويتصور أن يكون قد سمع الحوار وهو خارج الباب فعرف منه أن قميص يوسف قد قطع طولا ولم يعرف عنه أكثر من هذا.

والمستفاد منه أيضا أن الشاهد قد طلب منه من العزيز أن يحكم فى الأمر برأيه أو مشورته، أو أنه تطوع بهذا لقرابته من المرأة .

ويبين من القول أن الشاهد ذكر الدليل الذى هو من نوع القرائن فقال إن القطع الذى بالقميص إن كان من قدام فإن المرأة تكون صادقة. والواقعة المعلومة هى قطع القميص ـ

ومع الفرض المضروب ـ هى قطع القميص من قدام، والواقعة المستخلصة هى صدق المرأة، والاستنتاج العقلى يتمثل فى أن مـن يحاول النيل من امرأة يواجهها بوجهـه، ولذلك فإنها حين تدفعه عن نفسها تمسك بثيابه، فيحاول التخلص منهـا بالرجوع إلى الخلف، فيكون من شأن إمساكها ثيـابه وتراجعه للخلـف أن يقطع ثوبه مـن قدام، وتكون المرأة المـدعية أن المقطوع قميصه حاول الاعتداء عليها صادقة فى ادعائها، ويكون منكر هذا كاذبا .

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٧﴾

التفســــــير:

القول تتمة قول الشاهد، وهو الوجه الثانى من القـرينة أو الدليل، صرح به مع كونه مفهوما بطريق مفهوم المخالفـة، ومعناه أنه إذا كانت الواقعة المعلومة هى كـون قميص يوسف عليه السلام ـ المتهم فى ادعاء المرأة ـ قد شـق طولا من الخلف، فإن النتيجة المستخلصة ـ وهى الواقعة محل الإثبات ـ تكون كذب المرأة فى ادعـائها، وصدق يوسف فيما دفع به التهمة عن نفسه، وذلك لأن المتصور عقـلا هو أن يكون شق القميص أو قطعه قد نتـج عن إمسـاك المرأة به من الخلف تجذبـه إليها، واندفاع يوسف إلى الأمام فرارا منها، ممـا يستفاد منه عدم سبق إقدامه على محـاولة النيل منها، وأنها التى دعتـه إلى نفسها، فلما شرع فى الفـرار منها لحقته وأمسكت به فكان تمزق القميص طولا .

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾

التفســــــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما كان لدى تطبيق مبدأ الإثبات بطريق القرينة على واقعة الاتهام خلوصا إلى النتيجة المطلوبة وهى إثبات محل الاتهام أو نفيه .

فيذكر تعالى أن الشاهد رأى القميص، والمعنى أنه قام بمعاينته فرآه قد قطع طولا من الخلف، فثبت لديه كذب ادعاء المرأة وصدق يوسف وبراءته مما رمته به من الاتهام، فقال ـ موجها إليها الخطاب ـ «إنه من كيدكن، إن كيدكن عظيم» بمعنى أن اتهام يوسف بما اتهمته به كان ضربا من ضروب مكر النساء واحتيالهن، ثم أتبع هذا بقوله «إن كيدكن عظيم» بمعنى أن خداع النساء ومكرهن للانتقام من الغير أقوى من مقابله وهو مكر الرجال، فيكون كيد الرجال أمام كيدهن ضعيفا، كما أن مكر الشيطان ضعيف فى مقابل مكر الله تعالى. ويتصور أن يكون القول هو قول العزيز زوج المرأة .

وعلى الحالين فإن الذى نراه أن القول ليس قوله تعالى، وأنه قول الشاهد أو قول زوج المرأة، وعلى هذا فإنه لا يمكن اعتباره من قبيل حكم الله فى الأمور وتقديره لها، فهو رأى بشر قد يكون صحيحا وقد يكون خاطئا .

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾

التفسير:

يفيد نص الآية أن الشاهد قال بعد أن تبين له الحق مخاطبا يوسف عليه السلام «يوسف أعرض عن هذا» ناداه باسمه تقربا إليه وتلطفا به، ثم إنه طلب منه الإعراض عن الأمر كله وما وقع من أحداث، فلا يطلب حقا على المرأة فيما ادعت به عليه، ولا يذيع الخبر بين الناس، ثم إنه توجه إلى المرأة وطلب منها الاستغفار من ذنبها، وطلب المغفرة هو إقرار بالذنب، ثم سؤال الله تعالى عدم المعاقبة به.

وقد يكون المستفاد من هذا أن القوم كانوا يؤمنون بالله تعالى وإن اتخذوا معبودات أخرى تقربهم منه زلفى .

ثم إنه يبين من النص أن الشاهد بعد أن طلب من امرأة العزيز أن تستغفر لذنبها، قطع

عليها سبيل الجدال فى أمر كذب ادعائها فقال لها «إنك كنت من الخاطئين» فكأنه يقول لها إنه قد ثبت أنك كنت من الخاطئين. ويبين من ورود الفعل الماضى «كنت» مع «من الخاطئين» أنها استمرت على الخطأ فترة من الزمان، فيكون القول مشيرا إلى خطئها فى مراودة يوسف عن نفسه، وخطئها فى الادعاء عليه بالباطل.

ثم إن القول يتصور فيه أن يكون قائل هذا هو العزيز زوج المرأة، قاله بعد أن تبين له وجه الحق فى موضوع النزاع .

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

أولا : الأســـــماء والأعلام :

١ـ النسوة : فى قوله تعالى «وقال نسوة فى المدينة» جمع تكسير ـ للقلة ـ ليس له مفرد. تأنيثه غير حقيقى رغم أن مفرده ـ فى الواقع ـ حقيقى التأنيث، ومعناه المجموعة القليلة من إناث البشر.

٢ـ المدينة : قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو مصر. وقد تكون هى مدينة «أواريس» التى اتخذها ملوك الأسرة الهكسوسية الأولى عاصمة لملكهم فكان فيها وزراء الحكم ورؤساء الشرط، يدعم هذا أنها على الحدود الشرقية لمصر، فيكون السيارة قد دخلوها أول دخولهم مصر فابتاع منهم عزيز مصر يوسف عليه السلام . .

٣ـ العزيز : هو ـ فى الأصل ـ صاحب العزة الذى لايغلب، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ فوطيفار، كان وزيرا لفرعون مصر آنذاك فكانت له فى أرض مصر عزة اكتسبها من منصبه ووظيفته. وجاء فى التوراة التى بين أيدينا اليوم أنه كان رئيس الشرط. وأنه كان خصيا لفرعون، ولعل هذا يفسر عدم غيرته على زوجه وعدم اهتمامه بمعاقبتها .

٤ ـ الفتــى : فى قوله تعالى «تراود فتاها عن نفسه» هو ـ فى الأصـل ـ الطرى من الشبان، وقيل هو ذو الفتوة. ويقال للمملوك .

ثانيا : التفســــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن جماعة من النسـاء تحدثوا فى أمر امرأة العزيز مـع يوسف فى المدينة. ويفهم من عبارة النص أن حديثهم ذاع فى المدينة، وأنه كان مضمونه أن امرأة عزيز مصر الذى له الغلبة فيها تطلب من فتاهـا مواقعتها. وقد ورد الفعل فى صيغة المضارع لإفادة معنى استمرارها على هذا وأنه لم يكن حدثا عـارضا انتهى، ثم إنه كان فى الحديث تندر بها بقولهن «قد شغفها حبـا» بمعنى أن حبه قد تمكن منها فشق حجاب قلبهـا ودخل سويداءه. وكان من قولهـن أيضا «إنا لنراها فى ضـلال مبين» وهو من قبيل إبداء الـرأى فيها، يظهرن فيه تعففهن عن أن يـأتين بمثل ما أتت به، وأنهـن يرون أنها سادرة فى خطئها الظـاهر، إذ لا يقبل منها وقد ربته صغيرا ليكـون لها فى مرتبة الولد أن تطارحه الغرام وأن تطلـب مواقعته إياها، إذ يكون فى هذا خطأ فوق خطأ هى لاتزال مستمرة فيها.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

التفســــير:

الآية فى رواية الأحداث التى تلت حديث بعض النساء فى المدينة فى أمر امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام، فيقـول تعالى «فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهـن» بمعنى أنه لما بلغ امرأة العزيـز ما تقوله جمـاعة من النساء فيها فـى غيبتها ـ بما يشبـه المكر فى الخفاء ـ فإنها

أضمرت فى نفسها أمرا أعدت لتنفيذه بأن بعثت إليهن تدعوهن إليها .

ثم يقول تعالى «وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن» والقول فى بيان تنفيذها ما عقدت عليه عزمها عالمة بالنتيجة التى تريد إثباتها وهى اضطرارها إلى فعل ما فعلت بما يوجد المبرر لفعلها الذى ينفى عنها صفة الضلال المبين .

وقد تمثل فعلها فى أن أعدت لهن مقاعد عليها ما يتكأ عليه من الوسائد ليكون منهن الاسترخاء، ثم وضعت أمامهن الطعام ولكل منهن سكين لتستعمله فى قطع ما يقطع، ثم كان منها أن أمرت يوسف عليه السلام أن يخرج إليهن، ويتصور أن يكون خروجه إليهن للسلام، أو أن يكون للقيام بواجب الخدمة.

ثم يقول تعالى «فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم». والمعنى أنه بمجرد رؤية النساء يوسف تحققت المفاجأة التى أذهبت العقول أو التى شغلتها عن التفكير السليم، وكان منهن له الإكبار والتعظيم لشدة جماله عليه السلام، وبلغ منهن الافتتان به مبلغه فشغلن عما بأيديهن من السكاكين أو المدى والخناجر من آلات القطع، وعما بها من أنواع الطعام الذى يستخدم السكين فى تقطيعه وقطعن أيديهن بمعنى أنهن أحدثن بأيديهن جروحا ـ ثم كان منهن الانتباه فقلن «حاش لله» وهو ـ فى الأصل ـ حرف وضع للاستثناء والتنزيه معا، ثم نقل وجعل اسما بمعنى التنزيه وتجرد عن معنى الاستثناء، فيكون قولهن تنزيها لله تعالى. أتبعنه بقولهن «ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم» نفين عنه صفة البشرية لأنهن لم يعهدن رؤية جماله فى بشر من الخلق، ثم أثبتن له صفة الملائكية، لم يكتفين بها و إنما أضفن إليهن صفة الكرم، أو إكرام الله تعالى له وتشريفه بالحسن الزائد.

ويبين من القول أن النساء كن يعتقدن فى وجود الملائكة، والذى نراه أن هذا أثر من عقيدة المصريين آنذاك الذين كانت لاتزال فيهم آثار من دعوة إدريس عليه السلام المتضمنة الإيمان بالله وملائكته .

قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾

التفسـير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ ما مفاده أن امرأة العزيز أشارت إلى يوسف عليه السلام وخاطبت النسوة قائلة «فذلكن الذي لمتنني فيه» جاء اسم الإشارة في عبارة النص خبرا لمبتدأ محذوف، والاسم الموصول صفة اسم الإشارة فيكون أصل القول هو «فهو ذلكن الفتى الذي لمتنني فيه».

ويبين من استعمال اسم الإشارة «ذلك» وهو للبعيد مع قرب مكان يوسف من النساء أنه أريد به بيان علو منزلته، ويكون المستفاد من القول أن امرأة العزيز ثأرت لنفسها من النساء بإثبات أنهن قد فتن بيوسف إلى الدرجة إلى شغلن فيها عن أنفسهن حتى قطعن أيديهن، والتي جعلتهن يقلن فيه ما قلن، مما مفاده أنهن أخطأن حين عيرنها بافتتانها به ولومها فيه.

ثم يذكر تعالى أنها بعد أن أثبتت لهن أن أيا منهن كانت تأتي فعلها لو كانت مكانها، أقرت صراحة بأنها راودته عن نفسه وأنه استعصم بمعنى أنه اعتصم بالأمانة والشرف وطاعة الله وامتنع عنها ولم يستجب لها .

ثم إنها أردفت قائلة على مسمع من يوسف عليه السلام ـ قصد أن يستجيب لها ـ «ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين». ومن قولها يبين أنها لم تعد تعتمد في نيل مرادها من يوسف على إغوائه وإغرائه، وإنما أصبحت تعتمد على قهره على هذا على ما يستفاد من «ما آمره»، وأنها لجأت إلي إكراهه بطريق التهديد ببيان أن نتيجة عدم استجابته لها هي سجنه يكون سببا لإذلاله وإهانته فيكون من جملة الأذلاء المهانين الملقون في السجون .

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ الســـجن : اسم للمحبس، وهو المكان الذى يحبس فيه المرء فتقيد حريته .

٢ ـ الجاهلون : جمع، مفرده «الجاهـل» والمراد بهم ـ فى معنى الآية ـ الذين لا يعملون بما يعلمون .

ثانيا : التفســــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن يوسف عليه السلام حين سمع قول امرأة العزيز وما تضمنه من تهديد له أن يسجن فينـاله الذل والمهانة إذا لم يستجب لها، كان منه أن تـوجه إلى الله تعالى ناداه بأنه ربه بمعنى أنه راعيه ومدبر أمره ليناسب مضمون سؤاله، ثم إنه عليه السلام خاطب ربه قائلا «السجن أحـب إلى مما يدعوننى إليـه» وهو إعلان منه ربه بأنـه يرى أن السجن وما يتضمنه مـن ذل له وإهانـة أدنى درجة فـى الشقاوة مما فى إتيـان امرأة العزيـز ـ عنده ـ مما يجعله يـؤثر السجن علـى الاستجابـة إلى امرأة فـرعون، نسب المطلـوب إلى جميـع النسوة اللاتـى لن يحضرنهـا لأنهن وافقنها علـى ما قالـت. وفى القول مـا يبين أن يوسـف رأى فى عصيان الله تعالى بالاستجابة إلى طلب امرأة العزيز شقاء لنفسه المؤمنة بما يزيد على ما تلقاه من عذاب السجن وهوانه .

ثم يجىء قول يوسـف عليه السلام فى خطابه ربه «وإلا تصرف عنـى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين». والمعنى الحرفى للعبارة هو «إن لم تدفع عنى كيد هؤلاء النسوة بكفهن أو بكف امرأة العزيز عن طلب أن آتيها ، أو بتثبيتى على ما أنا عليه وتزيين التعفف عن مقارفة الذنب لى، فإنه يكـون منى الانصياع إليهن سواء لضعفى عن مقاومة استرسـالها فى طلب ما

تطلبه أو لخوفي من دخول السجن ولحوق الإهانة بي، فإذا حدث مني الانصياع إليهن دخلت بفعلي في زمرة الجاهلين الذين يخالف عملهم علمهم .

وقد يكون المراد بالقول غير هذا، وهو إثبات أن من حسن إيمانه يعلم أن كل شيء هو بأمر الله تعالى، فهو الذي يهدي من أراد له الهداية، وأنه يجب ألا يغتر المؤمن بإيمانه فيعتقد أنه عاصمه من الوقوع في الإثم، وإن عليه ألا يأمن مكر الله. ولهذا كان قوله عليه السلام دليلا للمؤمنين من بعده .

فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - أنه استجاب لدعاء يوسف إياه أو استغاثته به أن يصرف عنه كيد امرأة العزيز وما تواطأت عليه مع النسوة ضمنا، كان بأن صرف عنه كيدهن، بمعنى أنه أذهب أثره فلم يكن لديه عنده أثر، وهو ما يعني أنه تعالى ثبته على ما هو عليه من العصمة .

ثم يجيء قوله تعالى «إنه هو السميع العليم» جاء بمثابة تعليل لاستجابته تعالى لدعاء يوسف عليه السلام، وهو كونه تعالى السميع ، يسمع كل حديث باللسان أو في القلب، والعليم بأحوال الداعين فيستجيب لدعوة المؤمنين الذين صلحت أعمالهم .

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - في رواية أحداث قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز وقومها، فيذكر تعالى أن العزيز ومن معه، وقد يكون منهم الشاهد رأوا رأيا، كان منهم اتخاذه من بعد أن رأوا الأدلة التي تثبت براءته، وهذا الرأي هو أن يسجنوه إلى أجل محدد أو غير محدد،

بمعنى أن يكون إلى أجل يتم بعده الإفراج عنه.

ومن عبارة حتى حين التى تفيد تأقيت السجن وعدم تأبيده يبين أن الهدف منه كان أن تنسى قصة امرأة العزيز مع فتاها، إذ يبدو أنها كانت تتداول على الألسن بما يسيء إلى العزيز وإليها، فيكون فى غيبة يوسف عن الأنظار بسجنه ما يلفت الناس عن ترديد قصته مع امرأة العزيز.

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

أولا: الأسماء والأعلام:

١ ـ الفتيان: فى قوله تعالى «ودخل معه السجن فتيان» قيل إن اسم الأول كان «شرهم»، أو بنو ـ وهو ساقى الملك ـ وأن اسم الثانى كان «سرهم» وهو خباز الملك. ذكرا بأنهما فتيان لأنهما كانا مملوكين للملك. ويقال للمملوك «فتى فلان».

٢ ـ الخمر: فى قوله تعالى «أعصر خمرا»، المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو العنب، يعصر فيتخذ من عصيره الخمر.

٣ ـ المحسنون: فى قوله تعالى «إنا نراك من المحسنين» المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هو «الذين يحسنون تأويل الرؤيا».

ثانيا: التفسير:

يذكر تعالى أن فتيين تواجدا مع يوسف عليه السلام فى السجن، جاء التعبير عن هذا بقوله تعالى «ودخل معه السجن فتيان» وفيه جاء الفعل «دخل» مبنيا للمعلوم، لبيان أن دخول يوسف عليه السلام السجن كان بفعل منه، ذلك أن عصيانه أمر امرأة العزيز هو الذى أدخله السجن، وقد كان امتناعه عليها فعله، ولو أطاعها ما كان قد دخل السجن، كذلك كان لبيان

علو مرتبة يوسف عليه السلام فبدا أن الفتيين كانا فى معيته مع كونهما أسبق منه دخولا السجن .

ثم يذكر تعالى أن أولهما وهو ساقى الملك قال إنى أرانى أعصر خمرا، بمعنى أنه رأى فى المنام أنه قائم على عصر الكرم يصنع منه خمرا، وفيه جاء الفعل فى صيغة المضارع، لأنه كان تذكرا لحال سابق استمر زمنا، أو لتكرار رؤيته الرؤيا .

كما يذكر تعالى أن الآخر ـ وهو خباز الملك ـ قال إنه رأى فى المنام أنه يحمل فوق رأسه سلالا فيها خبز وأن الطير كانت فى الرؤيا تأكل من هذا الخبز الذى فوق رأسه .

ثم إنه تعالى يخبر أن الفتيين سألا يوسف عليه السلام أن يعبر لهما رؤياهما، ثم ذكرا ـ تبريرا للجوئهما إليه لتأويل الرؤيا ـ أنهما يريانه من المحسنين، بمعنى الذين يحسنون تأويل الرؤى. وقد يكون هذا ما شاهداه منه من صلاح وتقوى، استدلا منه أنه ممن أنعم الله عليهم بنعمة تأويل الرؤيا، وقد يكون لحديث منه عن هذا صدقوه فيه لما شاهداه منه من صلاح وتقوى .

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ قول يوسف عليه السلام للفتيين بعد طلبهما منه أن يؤول لهما رؤيا كل منهما، والقول آية فيما يكون عليه قول أهل الصلاح مع العامة لإقناعهم بما يقول ولجذبهم إلى ما يدعوهم إليه. فقد بدأ حديثه بالحديث عن نفسه بإظهار قدرته وتفوقها على قدرات غيره ممن ليس لهم ماله من عقيدة وإيمان، وهذا ما كان منه بقوله «لا يأتيكما طعام

ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما» بمعنى أنه يخبرهما بخبره مما يرويان له من رؤى أو أقوال، فيكون منه ذكر ما يصيبهما أو ما يصيبان منه، ولو كان هذا طعاما، فإنه يستطيع أن يخبرهما نبأه وما يكون قبل أن يرد إليهما. والمراد بالطعام هو الطعام الذى يقدم إليهما فى السجن على ما جرت عليه العادة من تقديم الطعام للمسجونين.

وبعد ذلك يجىء قول المصلح الذى يجذب به العامة إلى عقيدته، تمثل فى قول يوسف عليه السلام «ذلكما مما علمنى ربى» تضمن القول بيان أنه يعبد إلٰها واحدا، فأظهر عقيدة التوحيد، ثم بين عليه السلام أنه تعالى يعلم المؤمنين به والموحدين العلم النافع ينتفع به.

ثم يكون من المصلح بيان فساد عقيدة المخاطبين بالقول ليصرفهم عنها من بعد بيان فضل عقيدته عليها، وهذا ما كان من يوسف عليه السلام بقوله للفتيين «إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون» ، وفيه يذكر عليه السلام أنه لم يتخذ عقيدة القوم الذين لا يؤمنون بالله ويكفرون بالآخرة عقيدة له، ويتصور فى هؤلاء القوم أنهم الأقوام المجاورة لبنى إسرائيل فى أرض الشام، ويتصور أنهم قوم فرعون، وفى وصفهم بأنهم لا يؤمنون بالله بيان «على عقيدة باطلة»، وفى وصفهم بأنهم بالآخرة كافرون بيان لأن الإيمان بالله يستوجب الإيمان باليوم الآخر والعمل له .

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

التفسير:

القول من تتمة قول يوسف عليه السلام، فيه جاء بيان ملته التى يحاول أن يجذب إليها

سامعيه، بعد بيان عدم اعتناقه عقيدة الكافرين، وفى بيان ملته ذكر أنها ملة آبائه فذكر اسم جده الأعلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم تبعه بذكر جده إسحاق، وتبعه بذكر أبيه يعقوب ليعلموا أنه من بيت النبوة، وأن آباءه جميعا مصطفون من الله تعالى للنبوة، وفى ذلك ما يقوى لديهم الرغبة فى الإيمان له وما يدعوهم إليه. ثم إنه أعلم مستمعيه بأنه مقدر من الله تعالى له ولآبائه الامتناع عن الشرك بالله تعالى وعن اتخاذ معبود غيره من ملائكة أو جان أو إنس أو أجرام أو أصنام أو بشر، ذاكرا أن هذا فضل من الله تعالى تفضل به عليهم وخصهم به، كما أنه تفضل به على الناس من بعدهم، لكون الأنبياء هم رسل الله الذين يدعون الناس إلى الإيمان والتوحيد وعدم الشرك بالله. فيكون القول متضمنا دعوة مستمعيه إلى الإيمان بعقيدة التوحيد ليدخلوا فى زمرة المتفضل عليهم بالابتعاد عن الشرك بالله .

ثم يجيء ختام قوله عليه السلام «ولكن أكثر الناس لا يشكرون» تعقيبا على قوله إن الله تفضل عليه وعلى آبائه بنعمة النبوة وأنه تفضل على الناس بنعمة التوحيد عن طريقه وآبائه إذا هم آمنوا بما يدعون إليه، فإن لم يؤمنوا كانوا من الذين لا يؤدون حق النعمة من الشكر. فيكون القول حثا للسامعين على الإيمان بعقيدته والتخلى عن الشرك بالله .

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾

التفسير:

قول يوسف عليه السلام ــ فى الآية ــ هو دعوة منه سامعيه إلى الإيمان بالله، بدأ به قبل أن يذكر لهم تأويل الرؤيا التى هى مطلبهم منه، وهو اختيار منه للوقت والظرف الذى تكون فيه الاستجابة للدعوة أقرب إلى التحقق. ناداهما بـ «ياصاحبى السجن» وصفهما بأنهما صاحباه وذكر أن صحبتهما كانت فى السجن، ذكر المكان الذى كان ظرفا للصحبة أو المصاحبة، وبين أنه السجن وهو مكان يعانى فيه من يدخله مسجونا مشقة فقد الحرية وذل الخضوع للغير فيكون مفترضا فيه اللجوء إلى من بيده الأمر، مما يجعل فرصة ولوج باب الحق مطلوبا انتهازها، ولهذا خاطب يوسف عليه السلام صاحبى السجن بقوله «أأرباب متفرقون خير أم

الله الواحد القهـار»، وفى القول يثبت عليهم أنهم يتخـذون أربابا متعددين، وأنهـم متفرقون، بمعنى أن الناس فى عبادتهم ليسوا على ملة واحدة ولا معبود واحد، ثم إنه عليه السلام يسأل «هل يكون تعدد الآلهة وتعدد الديانات بتعدد الآلهة خير من الإيمان بإله واحد وتوكيد الدين والعبادة، أم أن عبـادة الله الواحد هـى الأفضل والتى فيها الخيـر، والاستفهام فى القـول ينكر تعدد الآلهـة وتعدد العبادات، ثم يـأتى قوله عليـه السلام فى وصـف الله تعالى المدعـو إلى عبادته وتوحيـده، بأنه الواحد القهار. فيه إثبـات لوحدانيته ولكونه الغالـب على أمره الذى لا يغلب. ليكون فى القول حث على اعتناق عقيدة التوحيد وترهيب من الكفر بها .

مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

التفســــــير:

بعد أن أنكر يـوسف عليه السلام تعدد الآلهـة وتعدد العبادات وهى عقيدة قـوم صاحبى السجن، فإنه واجههما صراحة بفساد عقيدتهما وقومهما بقوله «ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموهـا أنتم وآباؤكـم ما أنـزل الله بها من سلطـان». نفى عن معبـوداتهم أن تكـون شيئا ، وأثبت لها أنها مجـرد أسماء، والمعنى انعدام كيانها وبقاء الأسماء فـارغة من المحتوى، وأن الذى أوجد هذه الأسماء هـم أمثال المخاطبين بالقوم بمعنى أنهم المعـاصرون زمانه، ساروا على خطو آبائهم بجهلهم وابتعادهم عن الحق.

ثم إنـه ذكر لهم أن الأسمـاء التى أطلقـوها لم يقـم دليل على أنهـا وردت من الله تعـالى، فيكون المستفاد من القول أنهم كانوا يزعمون أصلا لهذه الأسماء ورد به دليل من الله. وقد كان هذا هو اعتقاد قبائل الـرعاة أو الهكسوس الذين حكموا مصر خلال هـذه الفترة من الزمان، إذ كانوا بهم بقيـة من دعوة الأنبياء الذين بعثوا فـى المنطقة التى منها أتوا فكانوا يـؤمنون بوجود

إله، ثم انحرفت بهم العقيدة فقالوا إنه تعالى أمر باتخاذ وسائل توصل إليه تمثلت لديهم فى الأشخاص الذين رمزوا لهم بتماثيل وأصنام وأطلقوا عليها أسماء زعموا أنها من عند الله .

ثم يجيء قوله عليه السلام «إن الحكم إلا لله» بمعنى أن الله وحده هو الذى يقضى بقضائه فى شأن صحة عبادتهم أو زيفها، وهو ما تحقق فيما بعد جيلين بإغراق فرعون وملئه. ثم بين عليه السلام ما أمر به تعالى فى شأن العقيدة فقال «أمر ألا تعبدوا إلا إياه» فأظهر أن العقيدة الحقة التى جاء بها جميع الرسل هى عقيدة التوحيد والنهى عن الشرك. ثم وصفها بأنها الدين القيم، بمعنى أنه الدين الحق الذى دعا إليه تعالى لكونه الطريق المستقيم والذى قامت عليه الأدلة والبراهين والآيات وهذا هو الإسلام بالمعنى العام، أو الجزء من الدين المتعلق بالعقيدة الذى لم يتغير منذ بعث الله رسله للناس.

ثم جاء قوله عليه السلام «ولكن أكثر الناس لا يعلمون»، بمعنى أن أكثر الناس قد انصرفوا عن الحق فلم يتبعوا الآيات التى أنزلت على الرسل فى الصحف والكتب، كما لم يعملوا عقولهم فى آياته تعالى فى الخلق، فكان منهم - بارادتهم وفعلهم - الجهل بالحق، أورثهم الكفر والشرك والعصيان .

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾

التفسـيـر:

القول قول يوسف عليه السلام لصاحبى السجن، وهو بتأويل رؤيا كل منهما، جاء تأويله من بعد دعوتهما للإيمان وفيه أعاد النداء عليهما بأنهما صاحباه فى السجن، ثم قال إن الأول يكون ساقى الملك فهو الذى يسقيه الخمر، فيكون القول تبشيرا لعودته إلى عمله السابق ساقيا للملك، وقال إن الآخر - وهو خباز الملك - يصلب فيموت فتنزل جوارح الطير تأكل من رأسه. وقد قيل إن قوما كانوا قد تآمروا على قتل الملك فاتفقوا مع ساقيه وخبازه

على وضع السم له فى شرابه وخبزه، ثم إن الساقى ندم على فعله وأخبر الملك وبقى الخباز على اتفاقه، فأمر الملك بوضعهما فى السجن إلى أن يرى فيهما رأيه .

وبعد أن ذكر يوسف تأويل الرؤيا لصاحبيه فى السجن قال لهما «قضى الأمر الذى فيه تستفتيان»، بمعنى أن ما قاله هو القول الفصل فى شأن رؤيا كل منهما التى طلب منه تأويلها بما لا يكون معه تعديل أو تبديل من بعد .

ويبين من دعوة يوسف عليه السلام صاحبى السجن إلى الإيمان قبل إخبارهما بتأويل الرؤيا وعلمه أن الخباز يموت مصلوبا بعد فترة قصيرة من الزمان، أنه وضع بهذا قواعد التوبة والإيمان، فلو آمن الخباز على قرب مفارقته الدنيا لنفعه إيمانه، فيكون هذا إثباتا لأن التوبة تغفر الذنوب، ثم إنه عليه السلام طلب من الخباز أن يؤمن قبل أن يعبر له رؤياه ويخبره بقرب دنو أجله ليتوافر فى التوبة شرطها وهو ألا تكون عند التيقن من الموت عاجلا، إذ قيل إنه عليه السلام قال لهما إنه يكون تحقق رؤيا كل منهما بعد ثلاثة أيام .

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن يوسف عليه السلام قال للساقى «اذكرنى عند ربك» جاء ذكر الساقى بأنه الذى ظن أنه ناج منهما، ويلاحظ من هذا الوصف أن يوسف عليه السلام اعتقد أن الساقى وحده هو الذى ينجو وأن الخباز يموت مصلوبا كما ذكر له فى تأويل رؤياه، وأنه يبين من سبق قوله لهما «قضى الأمر الذى فيه تستفتيان» أنه اعتقد اعتقاد يقين وليس مجرد اعتقاد ظن، ثم كان منه التأدب مع الله فى حديثه مع الساقى وفى حديثه مع نفسه فوصف اعتقاده بأنه ظن، لأنه يعلم أن جميع الأمور بأمره تعالى، لا يقيده سبق حكم ـ ومعنى «اذكرنى

عند ربك» يحتمل معنيين، فيقبل أن يكون المعنى هو اذكر حالى عند ملكك فيما تعلق بدخولى السجن بغير ذنب ليكون منه الأمر بالإفراج عنه، ويقبل أن يكون هو اذكر ما عرفت من حالى من الصلاح أو مما خبرته عنى من المعاشرة فى السجن عند ملكك لعله يكون منه شىء لى .

ثم يجىء قوله تعالى «فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين» مخبرا عن أن الخباز نسى أمر يوسف عليه السلام فلم يذكر عنه شيئا للملك، وأن ذلك كان من أثر فعل الشيطان إذ شغله بمشاغل الحياة ومهام وظيفته فنسى أن ينفذ مطلب يوسف منه بذكره عند الملك، نسب النسيان أو الإنساء إلى الشيطان مع كونه بأمر الله تعالى من قبيل ذكر السبب المباشر.

ثم يذكر تعالى نتيجة هذا فيبين أنها بقاء يوسف عليه السلام مسجونا فى سجنه بضع سنين بمعنى ما بين ثلاث سنوات وتسع .

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ **الملك** : هو ثالث ملوك الأسرة الهكسوسية الأولى التى كان أول ملوكها طوليس أو سنان ابن علوان. وقيل إن اسمه كان «الريان بن الوليد» .

٢ ـ **العجاف** : فى قوله تعالى «يأكلهن سبع عجاف» جمع، مفرده عجفاء، وهى المهزولة.

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ حدثا وقع ، له صلته بقصة يوسف عليه السلام، ويبين الحدث من ذكر قول الملك الوارد فى الآية باعتباره مفترضا سابقا على صدور القول من الملك، وهو أن

الملك رأى فى المنام رؤيا، ومضمون الرؤيا هو ما جاء بقوله «إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات» فهو قد رأى فى منامه سبع بقرات ممتلئات لحما وشحما. ظهر عليهن سبع بقرات مهزولات أكلنهن، كما رأى سبع سنبلات خضر أقبل عليهن سبع سنبلات يابسات أكلهن، ثم يبين من قول الملك «يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون» أن الملك قد أخذ بالرؤيا وأنها روعته فلجأ إلى ذوى العلم من قومه وهم الملأ من الكهنة والعلماء، استدعاهم وطلب منهم أن يعبروا له رؤياه، واستحثهم على هذا وحفزهم بقوله لهم «إن كنتم للرؤيا تعبرون» بمعنى «إن كان قولكم إنكم على علم يمكنكم من تعبير الرؤيا قولا صادقا». وفى القول يلاحظ أنه لم يذكر أن السنبلات اليابسات أكلن الخضر لدلالة أكل البقرات العجاف البقرات السمان على هذا المعنى .

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

أولا : الأســـــماء :

الأضغاث : فى قوله تعالى «قالوا أضغاث أحلام»، جمع مفرده «الضغث» هو القليل المختلط ببعضه من الحشيش ومن البقول .

ثانيا : التفســـــير:

يذكر تعالى - فى الآية - أن الملأ الذين جمعهم الملك من الكهنة وأهل العلم لم يستطيعوا تأويل رؤيا الملك، وأنهم ادعوا أنها من قبيل ما لا يعبر أو يؤول، وهو الأحلام، تختلف عن الرؤى، ثم إنهم أضافوا أنها أضغاث أحلام، وهى الأحلام التى تجمع بين أشياء لا رابط بينها، تشبه بالأضغاث - وهى الحزم الصغيرة من الحشائش والبقول التى جمع أصنافا شتى منها وشأن أضغاث الأحلام أنها مما لا يجرى عليه التأويل؛ ولذلك قالوا وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين» أقروا بعدم قدرتهم على تأويل الأحلام وعدم علمهم بهذا،

وهذا مما لا يعيبهم، لأن المعلوم هو أن الأحلام لا تعبر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾

أولا : الأسماء :

الأمة : فى قوله تعالى «وادكر بعد أمة»، المراد بها - فى معنى الآية - الفترة الطويلة من الزمان .

ثانيا : التفسير:

يقول تعالى إنه أثر فشل ملأ الملك فى تعبير رؤياه نطق الذى نجا من صاحبى السجن، بمعنى أن الذى نطق بالقول هو الساقى الذى أخبر أنه يسقى الملك خمرا، كان نطقه تذكرا منه لما طلبه يوسف عليه السلام منه، وقع التذكر منه بعد فترة طويلة من النسيان .

وقول الساقى كان «أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون» قال إنه يأتى بتأويله، وليس إنه الذى يقوم بتأويله، فيكون المعنى أن غيره هو الذى سيؤول الرؤيا ويعبرها، ثم إنه طلب من الملك مخاطبا إياه بما يفيد الجمع تعظيما له، أو إنه طلب من ذوى الأمر لديه من حاشيته أن يرسلوه إلى من يعرف أنه يؤول الرؤيا.

وربما طلب إرساله نفسه خوفا من أن يرسلوا غيره فلا ينال ما كان يأمل من خير يناله حين يأتى بمن يؤول رؤيا الملك أو بتأويلها .

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

التفســـــير:

القول ـ فـى الآية ـ هو من قـول ساقى الملك إلى يـوسف عليه السلام. ويبين منـه أنه قد سبق قوله هذا إرساله إلى يوسف عليه السلام من قبل الملك أو من قبل أصحاب الأمر عنده، وفى قوله يلاحظ أنه طلب من يوسف عليـه السلام أن يخبره بتأويل الرؤيا دون التصريح بهذا اكتفاء بذكـر مضمون الرؤيا، وذلـك لكون ذلك مفهوما مـن عدم معقولية الأحـداث المروية، وتشريفا لمنـزلة يوسف بـإبداء الاقتناع الكامل بقـدرته على تعبير الـرؤيا. ثم إنه ذكـر ليوسف عليه السلام مضمون الرؤيـا على النحو الذى صدر بها من الملك، ثم أتبـع هذا بقوله «لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمـون» والمعنى هو لكى أرجع إلى الناس حضور الملـك بالتأويل الصحيح للرؤيـا ليعلموا التأويل الصحيح فيكـون عملهم بما يوافقه. ويقبـل القول أن يكون معناه هو: لكى يعلموا قدرك من العلم الذى اختصك الله به فيعلموا قدرك ومكانتك .

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾

أولا : الأســــــماء :

الدأب : هو التعـب، جرى استعمـاله فـى معنى تكـرار العمل واستمـراره، لأنه يكـون منه حصول التعب .

ثانيا : التفســـــير:

يذكر تعـالى ـ فى الآية ــ أن يوسف عليه السلام قال للسـاقى إن قومه يزرعـون سبع سنين يعملون فيها عملا متواصلا، ويتصور أن يكون القول بنصيحـة مستمدة من تأويل الرؤيا، وهى أنه تكون وفـرة فى المياه لسبع سنيـن يتعين استغلالها فى العمـل المتواصل فى الـزراعة، ثم تجىء النصيحـة الخالصة بقـوله عليـه السلام «فما حصـدتم فذروه فـى سنبله إلا قليـلا مما تأكلون» بمعنى أن يتركوه فى السنابل ولا يقومون بتذريته، فلا يذرون إلا القليل منه الذى يكون فى حدود اللازم لطعامهم، والمعنى يفيد تخزين الباقى على حاله فى سنبله دون تذرية وذلك

كيلا يفسد من أثر السوس أو غيره من الآفات.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾

التفســـــير:

القول تتمة قول يوسف ، يذكر للساقى أنه يأتى من بعد السبع السنوات الرخاء سبع سنوات شداد يكون فيه الجدب وشح النهر بالماء، يكون فيها أن يأكل الناس ما سبق تخزينه من الحبوب، جاء ذكر هذا بنسبة الأكل إلى السنين تعبيرا عن أن الجدب الذى يحدث فيها يجعل الناس تأكل ما سبق تخزينه من الغلال تحسبا لزمان القحط .

ثم يجيء النصح فى قوله «إلا قليلا مما تأكلون» وهو قول بإيراد تحفظ، مضمونه عدم أكل جميع الغلال لضرورة الاحتفاظ بقدر يستخدم فى الإنبات والزرع .

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

التفســـــير:

بعد أن أخبر يوسف عليه السلام ساقى الملك أنه يكون سبع سنوات شداد وأبدى نصيحته فى هذا الشأن ، فإنه بشره أنه يعقب هذه السنوات الشديدة عام يكون فيه المطر وهو الغوث ، تزرع به الأرض التى تروى على مياه الأمطار، وقد يكون فى القول تبشير بامتلاء النهر بالماء من المطر الذى يصيب جبال الحبشة، لكونه من الغوث المبشر به.

وتبدو مغايرة حال هذا العام عن السنوات السبع من ملاحظة أن التعبير عن السنة المذكورة جاء باسم العام ولم يأت باسم السنة، وقد يكون هذا من قبيل البلاغة فى القرآن العظيم. وفى البشارة قال يوسف عليه السلام إنه فى هذا العام يغاث الناس بمعنى أنه يصيبهم الغوث، ويكثر الخير. بدلالة أنه تخرج الأرض من ثمارها ما يعصر من كرم وقصب وزيتون وسمسم وخلافه .

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾

أولا : الأســـــماء :

الرســـول : المراد بـه ـ فـى معنى الآية ـ رسول الملـك إلى يوسـف عليه السلام، وهو الساقى صاحب السجن.

ثانيا : التفســـــير:

يقول تعالى ـ فى الآية ـ إن الملك طلب أن يـؤتى له بمن عبر رؤياه «وقـال الملك ائتونى به» والمستفاد مـن هذا أن الساقى قد عاد إلـى الملك وأخبره بتأويل رؤياه علـى النحو الذى أخبره بـه يوسف عليـه السلام، وأن تأويـل الرؤيـا على هذا النحـو كان محل استحسـان من الملك فطلب أن يؤتى له بيوسف عليه السلام .

ثم إنه تعالى يذكر أنه لما جاء يوسف عليه السلام رسول الملك ـ وهو الساقى ـ طلب منه يوسف أن يـرجع إلى الملك سائلا إيـاه عن خبر النسوة الـلاتى قطعن أيديهـــن، والقـــول يظهر اقتناع يوسف بأن الملك على علم بكل مـا يدور فى مملكته من الأمور، وأنه يستفســـر عـن حال النسـوة بالترتيب علـى هذا، فيكـون هـــذا مـن قبيل التلطـــف مـع الملك فـى القـــول.

ثم إنه لما كان الملـك لا يعرف شيئا عن هذا الموضوع فإنه لا بد منقـب عنه باحث، حتى لا يبدو مثـــل من لا يعلم شيئا، فيكـون من شأن هذا معرفـة حقيقة حال يوسـف وظهوره أمام الملك، ثـم إن يوسـف عليـه السلام اكتفـى بقوله فـى شأن هؤلاء النسـوة «إن ربى بكيـدهن عظيم» فيه إشارة إلـى كيدهن و إلى كونه تعـالى الأعلم بأمورهن، وذلـك دون زيادة خشية أن يسئ إليه عند الملك.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾

أولا : الأســــــماء :

الخطب : فى قوله تعالى «ما خطبكن» ، هـو الشأن وأصله الأمر العظيم الذى يكون محلا للتخاطب فيه وعنه .

ثانيا : التفســــــير:

يذكر تعالى قول الملك للنسوة اللاتـى قطعن أيديهن، والمستفاد منه أن الملك قد بحث عن النسوة وأنه استدعـاهن إلى حضرته فحضرن وسألهن «ما خطبكـن إذ راودتن يوسف عن نفسـه»، ولما كـانت عبـارة السؤال متضمنـة معنى إسنـاد مراودة يـوسف عـن نفسه إليهـن، والسؤال عما جـرى منهن معه وما جـرى منه معهن، فإنهـن قلن حاش لله، وهو تعبيـر أريد به التنزيه عن فعل شىء، قـد يكون هو تنزيه يوسف عليه السلام عن الاستجـابة لهن، وقد يكون تنزيه أنفسهن عن مراودة يوسف عن نفسه.

ثم يجىء قولهن «مـا علمنا عليه من سوء» وهو أيضا يقبل معنييـن، فهو يقبل أن يكون نفيا قاطعا أن يكون قد بدر منه شىء تجاههن، ونفيـا لمجرد العلم عن صدور شىء من السوء منه، ويقبل أن يكون قولا لم ينطو على تبرئة يوسف عليه السلام تماما من مقارفة السوء اكتفاء بذكر أنهن لم يعلمن عنه سوءا مع تبرئة أنفسهن تماما من مراودته عن نفسه.

ثم يذكـر تعالى أن امرأة العـزيز قالت آنـذاك «الآن حصحص الحق أنا راودتـه عن نفسه، وإنه لمن الصـادقين» ومعنى قولها هو أنـه الآن ظهر الحق، ثم كان منها الإقـرار بما حدث.، ذكرت معترفة أنها التى راودته عن نفسه، وأنه ذكر الصدق حين دفع عن نفسه تهمتها له فذكر

أنها راودته عن نفسه وأنه فر من أمامها. قالت بهذا خشية أن يشهد عليها جمع النساء عند الملك، فبادرت بالاعتراف .

ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

التفســــــير:

القول يتصور أن يكون من قول يوسف عليه السلام ويتصور أن يكون من قول امرأة العزيز. فعلى الأول يكون الرسول قد عاد إلى يوسف عليه السلام بالخبر، أعلمه بما كان من قول النسوة للملك واعتراف امرأة العزيز على نفسها، فكان من يوسف أن قال «ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب» بمعنى أن قول النسوة و إقرار امرأة العزيز من شأنهما إقناع العزيز أنه عليه السلام لم يخنه فى أهله فى غيبته، فيكون الضمير فى «أخنه» عائدا إلى العزيز وقيل إنه يعود إلى الملك لأن فى خيانة وزيره أو رئيس شرطة خيانة له .

وعلى الثانى يكون قول امرأة العزيز مفاده أنها أقرت على نفسها فى غيبة يوسف عليه السلام مبرئة إياه ليعلم أنها لم تدع عليه فى غيبته أمام الملك فيكون هذا منها خيانة بالغيب.

وقول القائل «إن الله لا يهدى كيد الخائنين» هو تذييل لبيان فضل عدم الخيانة بالغيب وذم حصولها .

فمعنى القول هو أنه تعالى لا يهدى الخائنين بسبب كيدهم، ويقبل أن يكون أنه تعالى لا يهدى كيد الخائنين إلى المراد به والمطلوب، لأنه تعالى يحق الحق.

فإن كان القائل هو يوسف عليه السلام كان القول متضمنا تعريضا بامرأة العزيز التى كادت لزوجها خائنة حين راودت يوسف عن نفسه، وكادت ليوسف خائنة حين ادعت عليه محاولته الاعتداء عليها، وحين أدخلته السجن بغير ذنب اقترفه .

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

التفســـــير:

القول تتمة قول القائل، فإن كان القائل يوسـف عليه السلام، فإن قوله «وما أبرىء نفسى» يكون من قبيل هضم النفس والتواضع، فيه إشارة إلى أن نفسه لولا خشية الله تعالى لكان منها ما يدينها ولا يبرئها من الخطأ والعصيان، ثم إنه عليه السلام يذكر حكما عاما لأهوال النفوس بقولـه «إن النفس لأمارة بالسـوء» بمعنى أنها تـدفع إلى الشهـودات، ولما كانت نفسـه عليه السلام واحدة من أنفس الناس فإنها تكون مثلها دافعة إلى السوء.

وقيل إن المراد من القول هـو أن هذا حالها قبل النبوة. ويبعد لدينـا ـ والله أعلم ـ أن يكون هذا صحيحـا، فإنه تعـالى لا يصطفي للنبوة إلا مـن خلصت نفسه مـن الشهوة من جنـس ما يعترى المذنبيـن، وربما لهذا جاء الاستثنـاء بقوله «إلا ما رحـم ربى» بمعنى أن رحمته تعـالى تدرك بعض النفوس فتعصمها من الإثم تأمـر به، ولا شك أن نفوس الأنبياء هى أول ما يعصم الله برحمته من دخول السوء إياها ومن أمرها به.

و إن كان القول هو قول امـرأة العزيز، فإنه يكون منها إبرازا لكونها قـد اعترفت على نفسها مختارة، وأنه كان فى مقدورها أن تبرىء نفسها لعـدم وجود يوسف مجلس إقرارها، ولكنها لـم تفعل، فيكون قولهـا مفيدا معنى توبتها. ثم يكـون قولها «إن النفس لأمارة بالسـوء إلا ما رحم ربى» مفيدا اعتذارها بكون نفسها واحدة من نفوس البشر التى جبلت على الأمر بالسوء، ما لم يشملها الله برحمتـه فيبعدها عن هذا، ولم تكـن هى وقت إن راودت يوسف عـن نفسه ووقت إدخاله السجن بغير ذنب من صاحبات الأنفس التى نالتها رحمته تعالى .

وقول القائل «إن ربى غفور رحيـم» يفيد أنه تعالى يغفر لمن راجع نفسـه فتاب عما أوردته فيه من فعل السوء ما سبق له ارتكابه من السوء، يكون هذا فضلا منه تعالى برحمته.

فإن كان القائل هـو امرأة العزيز كان مفيدا أنهـا تأمل بتوبتها ونهيها نفسهـا عن الاسترسال

فى السوء فـى أن يغفر لها الله ما كـان منها فى حق يـوسف عليه السلام، وأن يشملهـا برحمته فيجازيها بتوبتها وحسن عملها خيرا.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾

التفســــير:

القول قوله تعالى، وهـو رواية لأحداث جديدة، يفهم من قوله تعالـى «وقال الملك ائتونى به أستخلصـه لنفسى» أنه حين سمـع الملك تأويل يـوسف لرؤيـاه على لسان ساقيـه، وقول النسوة فيه أمر أن يؤتى له به عليه السلام ليكون خالصا له دون غيره مختصا به وحده.

ويبين من قوله تعالى «فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين» أنه قد سبق القول تنفيذ أمر الملـك وأن يوسف عليـه السلام أحضر إلـى الملك، وأن هذا جميعـه قد وقع خـلال فترة قصيرة لـم تستحق أن يرد لها ذكـر فى نص الآيـة. ثم يثبت النـص أنه كان بين الملـك وبين يوسف عليـه السلام كلام، قال له فيـه الملك ما يعتبر بمثابـة مرسوم ملكى «إنك اليـوم لدينا مكين أمين» بمعنى أنه يوليه منصبا يكون فيه على نفسه آمنا أن يكاد له، مؤتمنا على ما هو ذو قيمة ويخشى عليه وأنه تكون له مكانته فى المجتمع والمكانة التى تثبت له موضعا فى البلاد أو فى حكومتها .

قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾

التفســــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه حيـن أعلن الملك يوسف عليه السلام أنه قرر أن تكون له مكانة فـى البلاد، قال له يوسف «اجعلنـى على خزائن الأرض» فيكون المعنى هـو أن يوسف

عليه السلام علم أن الملك يعرض عليه منصبا من مناصب الحكم، فاختار يوسف المنصب الذى يشعر أنه أهل له والذى يستطيع فيه أن يخدم البلاد، ثم سأل الملك أن يوليه إياه، وهو أن يجعله المتولى أمر المحافظة على خزائن أرض مصر، يدخل فى معنى الخزائن خزائن الغلال والحبوب والطعام، ويدخل فيها خزائن المال والنقد.

ثم إنه عليه السلام أورد ذكر مناقبه أو أوصافه التى تجعله الأصلح لتولى هذا المنصب فقال «إنى حفيظ عليم» فهو يعلم طرق المحافظة على المخزون من أنواع الطعام ومن الغلال بما يوافق طبيعة كل صنف منها، وهو الذى يعرف كيف يدير الأموال فتنمو، وهو العليم بمن يستحق أن يصرف له ومن يجب أن يؤخذ منه، وهو العليم بالحساب و إدارة الأموال، وهذا جميعه يجعله أهلا للمنصب الذى اقترحه الملك واختاره هو .

وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

التفسير:

القول قوله تعالى يذكر فيه أنه على هذا النحو الذى جرت عليه الأحداث كان منه تمكين يوسف عليه السلام فى أرض مصر، وكانت له فيها المكانة والمنزلة، بها كان يستطيع أن ينزل فى أى بقعة من بقاع أرض مصر، لأنه ما من مكان فى أرض مصر إلا وكان محتاجا لأن ينفق عليه أو كان به خزائن، وهذا وذلك مما يستوجب التفقد فكان له عليه السلام حرية التنقل حيث يشاء من بعد تقييد حريته فى السجن.

ويجىء قوله تعالى «نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين» مذكرا أنه تعالى صاحب المشيئة النافذة، وبمشيئته يختار بدواعى الحكمة من ينزل عليه رحمته فلا يناله أذى أريد به ويكون له الخير من مشمول الرحمة ومورد مبدأ من مبادىء حكمته تعالى وهو أنه لا

نضيع أجر المحسنين، فهو لكونه شبيه الحق لابد أن ينالوه، وبإقراره تعالى أنه لا يضيعه، يكون تعالى قد وعد، وليس أصدق من الله وعدا وقيلا .

وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه مكن ليوسف فى الأرض، وأنه لا يضيع أجر المحسنين، مما يفهم منه أن التمكين فى الأرض هو من قبيل ثواب الإحسان فى العمل، ولما كان التمكين فى الأرض هو من خير الدنيا، فقد جاء قوله تعالى «ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون» ليثبت أن هذا الثواب الدنيوى أدنى من الثواب الأخروى قدرا وزمنا ونوعا، فثواب الآخرة هو التنعم فى الجنة التى فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت، وثواب الدنيا موقوت ينتهى بالوفاة، أما ثواب الآخرة فلا نهاية له لأنه رفق الخلود.

ثم إنه تعالى يثبت أن ثواب الآخرة هذا يكون للذين آمنوا وكانوا يتقون». فهم الذين آمنوا ولم يشركوا، والذين اتقوا غضب الله باتقاء المعاصى، جاهدوا نفوسهم وصبروا على الطاعة، فاستحقوا ثواب الآخرة .

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾

التفسير:

قوله تعالى فى رواية حدث جديد من أحداث قصة يوسف و إخوته، يذكر تعالى إن إخوة يوسف جاءوه، وفى القول ما يفيد أن هناك ما اضطرهم إلى الحضور إلى مصر، وهو نزول القحط وقتذاك ببلاد الشام وفلسطين، وعلم القوم هناك أن فى مصر خيرات مختزنة يقوم عليها ملك وأنه لا يمنع خيرها عمن يطلبه بثمنه. وقيل إن يعقوب عليه السلام علم بهذا وأنه طلب من أبنائه فيما عدا بنيامين أن يرحلوا إلى مصر لهذا الغرض ففعلوا .

ومن النص يبين أن إخوة يوسف عليه السلام حين جاءوا مصر عرفهم يوسف عليه السلام، فيكون المعنى أنهم دخلوا عليه مستأذنين وأنهم حين دخلوا عليه عرفهم رغم مضى الزمان به وبهم وتغير هيئاتهم بفعل الزمن وبسبب المجاعة. وقد يكون هذا بـإعلام الله إياه، وقد يكون لتوقعه حضورهـم وانتظارهم فنظر إليهم نظرة متربـص عرفهم منها. ثم يذكر تعـالى أنهم كان حالهم وقتذاك هو إنكـاره، بمعنى أنهم لم يعرفوه. وقد يكون هذا لأنهم لـم يتوقعوا أن يروه فى المنصب الذى شـاهدوه عليه، أو لأنهم كـانوا يعتقدون هلاكـه، إلى جانب تغيـر هيئته بفعل الزمان ومضيه .

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾

أولا : الأســــماء :

الجهـــاز: فى قوله تعالى «ولما جهزهم بجهازهـم» هو زاد المسافر ومتاعه الذى يتجهز به لسفره. والمراد به فى معنى الآية ما جاءوا من أجله من الميرة أو الطعام ونحوه .

ثانيا : التفســـير:

مفاد قوله تعـالى «ولما جهزهم بجهازهـم» أنه عليه السلام قد أجاب إخـوته إلى طلبتهم وأعطاهم مـا جاءوا فى طلبه مـن الطعام وضعه فى رحلهـم فكان جهازهم الـذى يعودون به. والذى كان منه بعد أن جهزهم بجهازهم هو أنـه قال لهم «ائتونى بأخ لكم من أبيكم»، ويبين من القول أنـه علم منهم أن لهم أخا من أبيهـم لم يحضر معهم، وقد يكون سبـب ذلك أنهم طلبوا طعاما له أو لحسابه ذاكرين أنه بقى مع أبيه، فطلب منهم إثباتا لصدقهم أن يأتوه به فى المرة القادمة .

كما يلاحظ أنه لم يعين لهم أخاهم بالاسم لبيان جهله من هو .

وقولـه لهم «ألا ترون أنـى أوفى الكيل وأنـا خير المنـزلين» جاء تحفيـزا لهم على أن يـأتوا

بأخيهم فى المـرة التالية ، فهو وعد بأن يوفـى لهم الكيل كما فعل معهم بـأن أعطى كلا منهم حمل بعير على غير عـادته مع غيرهم، ثم إنه ذكرهـم بإكرامه لهم فيما أنزلهم فيـه من نُزل فى البلاد للإقامـة خلال فترة وجودهم فيها، ليكون هـذا دافعا لهم لأن يأتوا له بـأخيهم من أبيهم فى مرتهم القادمة، ليكون له مثلهم حمل يعبر.

وقوله إنه خير المنزلين، أريد به أنه خير من يستضيف الضيف من البشر على ما عهدوه منه وعاينوه .

فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾

التفســـــير:

القول ليوسف عليه السـلام لإخوته بعد أن طلب منهم أن يعودوا إليه بـأخيهم الغائب فى المرة القادمة، وفيه يتـوعدهم بأنهم إن لم يستحضروه معهم فإنه لـن يبيعهم شيئا من الطعام، جاء التعبير عنـه بأنه «الكيل» لأن أصنـافه هى مما يكال، كمـا أنه لن يكون لهـم مقام عنده، والمقصود أنه لن يكون لهم مكان فى البلاد، ولهذا جاء قوله «ولا تقربون» تعبيرا عن هذا، جاء فى صيغة النهى عن الاقتراب منه، بمعنى دخول مصر والاقتراب بهذا منه .

قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾

التفســـــير:

القول لإخوة يوسف عليه السلام بعد أن توعدهم بـأنهم إن لم يأتوا له بأخيهم الغائب فإنه لن يعطيهم الميـرة ولن يقربهم مـن مكانه، ومفاد قـولهم أنهم سيبذلـون مع أبيهم ـ وهـو أبو أخيهم فى القول ـ جهدهم فى استمالته إلى الموافقة على اصطحابه معهم، ثم أكدوا له أنهم سيفعلون هذا بقولهم «وإنـا لفاعلون»، وقيل إن مفاد قولهم هذا هو تأكيـد أنهم آتون بأخيهم،

وإن كان المستفاد من قولهم «وإنا لفاعلون» أنهم يفعلون ما يصدر منهم، وليست موافقة أبيهم من فعلهم، فيكون الأقرب للمعنى أنهم يفعلون المراودة .

وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

أولا : الأسماء :

١ـ **البضاعة** : فى قوله تعالى «اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم»، المراد بها ـ فى معنى الآية ـ ثمن ما اشتروا من أصناف الطعام من نقد أو من منقولات ذات قيمة وقعت بها المقايضة، فأخذوا بها صنوف الطعام، وقيل إنها كانت جلودا ونعالا.

٢ـ **الرحال** : فى قوله تعالى «اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم» جمع، مفرده «الرحل»، وهو ما يوضع على ظهر الحيوان المتخذ ركوبة من متاع الراكب، أو مما يوضع فيه متاع الراكب.

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ من أحداث القصة أن يوسف عليه السلام أمر غلمانه القائمين على عملية البيع أو المقايضة تحت إشرافه أن يعيدوا إلى إخوته البضاعة التى أتوا بها، وقايضوا ما أخذوا من صنوف الطعام، والظاهر أن هذا يتم خفية عنهم، يكون بوضعها فى الرحال على ظهور ركوباتهم، وقد كان هذا منه عليه السلام لهدف استهدفه فى نفسه يفصح عنه قوله لغلمانه «لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون»، فهو قد استهدف بهذا أن يعودوا إليه مرة أخرى، وإذا عادوا إليه مرة أخرى فإنهم مستحضرون معهم أخاهم الغائب. وتحقق هذا الهدف يكون باكتشافهم عند رجوعهم إلى أهلهم أن بضاعتهم التى قايضوا بها قد ردت إليهم تكرما من يوسف عليه السلام، فيكون هذا حافزا لهم على العودة

إليه ثانية، سواء بقصد الاستزادة من الفائدة التى تعود عليهم أم للشكر على تفضله عليهم برد بضاعتهم إليهم، يكون بتلبية مطلبه بإحضار أخيهم معهم.

وقيل إن الذى يدفعهم إلى الرجوع إليه هو إعـادة البضاعة إليه خوفا من أن يكون قد أُغفل عن أخذها مقابلا للطعام فيكون عليهم واجب ردها .

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

التفسـير:

يروى النص الشريف ما كان من إخوة يوسـف مع أبيهم بمجرد أن رجعوا إليه، والظاهر من «فلما» أنهم بادروا بحثـه على إرسال أخيهم بنيامين معهـم فى المرة القادمة فقالـوا «منع منا الكيل» والمعنـى يقبل أن يكـون هو صـدور أمر بـألا يكون لهـم كيل بعـد هذا ـ بمعنى منع إعطائهـم زادا وطعاما ـ ويقبـل أن يكون أنه لم يحسـب لأخيهم الغائب نصيب فيمـا أعطوا. وقولهم «فأرسل معنـا أخانا نكتل» تضمن فعلا طلبيا هو «أرسل» وجـوابه وهو «نكتل» والقول يبين علة منع الكيل عنهم، ويبين أن وسيلة درئه هى إرسال أخيهم معهم .

ثم إنه لمـا كان أمر الإذن لهم بـأخذ أخيهم معهم معلقـا بإرادة أبيهم، وكانـوا يعلمون أنه يخشى عليه الأذى أو الضياع، فـإنهم ذكروا لأبيهم أنهم يحفظونه من الأذى، وبـالغوا فى هذا بقولهم «وإنا له لحافظون» .

قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ إجابة يعقوب عليه السلام على طلب أبنائه، ومن القول يبين أنه عليه السلام قد قرع أبناءه على سبق تفريطهم فى المحافظة على يوسف عليه السلام، بقصد أن يكون هذا دافعا على حفظ أخيهم بنيامين، كما يبين منه أنه أضمر فى نفسه أن يأذن لهم بأخذ بنيامين معهم. فقوله عليه السلام «هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل» مفاده هو «وهل أثق بعهودكم بعد أن وثقت بعهودكم أن تحفظوا أخاه من قبل ثم كان منكم عدم المحافظة على عهودكم وعدم حفظكم أخاكم». وقوله عليه السلام «فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين» وفيه جاءت «خير» خبرا، وجاءت «حافظا» حالا مؤكدة، فالجملة تقريرية أريد بها إثبات أنه تعالى خير الحافظين، يحفظ ابنه من الأذى، وأنه أرحم الراحمين لا يصيبه فى بنيامين بعد أن أصابه فى أخيه من قبل، فالقول يشير إلى عزمه إرسال أخيهم معهم.

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

التفسير:

القول ـ فى الآية ـ فى رواية أحداث القصة، فيذكر تعالى أن إخوة يوسف عليه السلام حين فتحوا أوعيتهم التى كانت على ظهور ركائبهم اكتشفوا أن بضاعتهم التى قايضوا بها ما أعطوا من الطعام قد أعيدت خفية إليهم، فقالوا لأبيهم «يا أبانا ما نبغى» وهو استفهام أريد به تقرير صدقهم فيما قالوا فليس لهم غير ذكر الحقيقة هدف يبتغونه، ثم قالوا «هذه بضاعتنا ردت إلينا» وهذا ذكر لدليل على صدقهم فيما ذكروا عن كرم القائم على أمر الإمداد بالطعام

فى مصر، الذى أعاد إليهم ما دفعوا من مقابل لما أخذوا من الطعام. ثم قالوا «ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير»، والمعنى أنه يكون منا ـ وقد ثبت صدقنا ـ إذا ما أرسلت معنا أخانا أن نأتى بالميرة ـ وهى الطعام ـ أهلنا، وأن نحفظ أخانا من أن يصيبه سوء، ويكون لنا بإحضاره معنا أن نعطى بالزيادة فوق ما أعطينا حمل بعير هو نصيبه .

ثم يجىء قولهم «ذلك كيل يسير» ويقبل معناه أن يكون أن ما أخذوا من الطعام هذه المرة كان قليلا لعدم احتساب نصيب لبنيامين فيه، فيكون فى القول حث لأبيهم على إرسال أخيهم معهم فى المرة القادمة، ويقبل أن يكون بمعنى أن زيادة كيل بعير على ما أخذوا هو أمر سهل على القائم على شئون الإمداد بالطعام فى مصر، يفعله إذا ما أتوه بأخيهم .

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن يعقوب عليه السلام ذكر لأبنائه أنه لن يرسل معهم أخاهم، ثم ذكر شرطا فاسخا لقراره هذا هو أن يأتوه موثقا من الله ـ بمعنى أن يأتوه بتأكيد من الله تعالى ـ والمراد هو أن يحلفوا له بالله تعالى، والذى يحلفون عليه هو أن يأتوه به سالما، لا يمنعهم من هذا إلا أن يحاط بهم بمعنى أن يغلبوا على إرادتهم أو أن يهلكوا دون المحافظة عليه.

فيكون معنى القول أنه عليه السلام لن يرسل معهم أخاهم إلا إذا حلفوا له بالله أن يعودوا إليه بأخيهم سالما ما لم يغلبوا على هذا أو يهلكوا دونه.

ثم يقول تعالى «فلما أتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل»، والقول يفيد أنهم حلفوا له بالله تعالى على ما طلب منهم أن يحلفوا عليه، وأنه بعد حلفهم له قال لهم «الله على ما نقول وكيل» بمعنى أنه تعالى المطلع على قلوبهم والرقيب على تصرفاتهم، شهد ما كان منه

ومنهم وسمعه. فالقول تذكير لهم بأنه تعالى محاسبهم بما فى قلوبهم وباليمين التى حلفوها.

وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآية - أنه بعد أذن يعقوب لأبنائه أن يأخذوا معهم أخاهم بنيامين إلى مصر، أنه أمرهم ألا يدخلوا مصر مجتمعين من باب واحد من أبوابها الأربعة وقتذاك، وأن يكون دخولهم من أبواب متفرقة. ومفاد قوله هذا أنه خشى عليهم الإصابة بالعين أو الحسد حين يعلم الناس أنهم اثنا عشر ذكرا لرجل واحد، وقد يكون من بينهم حاسد، فيصيبهم من عينه أذى. والقول مفاده هو تأثير الجسمانى فى الجسمانى أو النفس، وفى تفصيله قيل الكثير، ومنه ما قيل حديثا من أنه تخرج من عين الحاسد موجات كهرومغناطيسية تؤثر فى صحة وسلامة عمل أعضاء المحسود وأجهزته.

وقول يعقوب عليه السلام لأبنائه «وما أغنى عنكم من الله من شىء، إن الحكم إلا لله» هو إقرار منه بأنه إنما يفعل ما يقدر عليه أو ما يعرفه حذرا من أن يصيبهم ضرر، وأن فعله هذا لا يعنى أنه يدفع ما قدره الله تعالى لهم، وذلك أن قوله أو نصحه، واتباعه من جانب أبنائه لا ينفع ولا يجدى شيئا إذا كان تعالى قد أذن لنظرة الحاسد أن تؤثر فيهم بضرر، ولهذا جاء قوله عليه السلام «إن الحكم إلا لله» إثباتا لكون مقادير جميع الأمور بيده تعالى، لا يكون للأسباب أن تأتى بنتائجها إلا إذا شاء تعالى أن يكون لها هذا، فالقول يتضمن حكما عاما، فيكون ما تعلق بأثر الحسد هو بعض ما يشمله الحكم العام.

ثم جاء قولـه عليه السلام «عليه توكلت، وعليـه فليتوكل المتوكلون» مبينا أنـه حين أوصى أبناءه بمـا أوصاهم به لـم يكن متجرئا عليه تعـالى، لأنه إنما أخـذ بالأسباب ثم اعتمـد عليه تعالـى أن يحفظ أبناءه، ثـم إنه أشـار لمن بعده أن يقتـدوا به فيكون منهـم التوكـل على الله، ويحتمل المعنى أن يكـون أنه توكل علـى الله تعالى كما توكـل عليه المتوكلون المـؤمنون من قبل، فيكون فى القول حثا لأبنائه على التوكل على الله اقتداء به

وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

أولا : الأســــماء :

الحــاجة : فى قوله تعالى «إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها» هى الافتقار إلى الشىء مع محبته، والمـراد بها ـ فـى معنى الآية ـ شفقته عليه السلام بأبنائه وخـوفه عليهم أن يصـابوا بالعين، وقيل هى الخاطر الذى خطر بقلبه عليه السلام .

ثانيا : التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن أبناء يعقوب عليه السلام عملوا بأمـره، فلم يدخلوا مصر من بـاب واحد بل دخلوهـا من عدد من الأبـواب، ثم إنه تعالـى يقرر إن فعلهم هذا لـم يكن ليحميهم مما أريد حمايتهـم منه فيما لو كان تعالى قد أراد لهم أن يصابـوا بالضرر أو بالعين، فيكون قوله تعالى مثبتا صحة قول يعقـوب عليه السلام «وما أغنى عنكم من الله من شىء، إن الحكم إلا لله» ولهـذا جاء قـوله تعـالى «إلا حاجـة فى نفـس يعقوب قضـاها» ليفيـد أن قول يعقوب لا يعدو أن يكون ـ بحد ذاته ـ مجرد إظهار لما فى نفسه من خوف على أبنائه ومحاولة

لحمايتهم من العين تصيبهم بشر، ليس لها ـ بذاتها ـ أثر، وأنه قد استنفد ما فى نفسه بتوجيهه النصيحة إليهم .

ثم يجىء قوله تعالى فى شأن يعقوب عليه السلام «وإنه لذو علم لما علمناه» والقول يحتمل معنيين :

أولهما : أنه علم من الله تعالى بوجوب الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله تعالى؛ ولهذا كان أمره أبناءه أن يدخلوا من أبواب متفرقة، ثم توكل على الله.

وثانيهما : أنه توافر لديه العلم بأنه مهما فعل أو أوصى ومهما التزم أبناؤه أمره ووصيته، فإن هذا لايمنع ما أراده الله لهم أو قدره. وهذا العلم العظيم هو مما علمه الله تعالى .

وقوله تعالى ــ فى ختام الآية ـ «ولكن أكثر الناس لايعلمون» يتصور أن يكون معناه هو أن أكثر الناس لايعلمون أن يعقوب عليه السلام كان على علم عظيم هو مما علمه ربه، ويتصور أن يكون معناه هو أن أكثر الناس لايعلمون أن الأخذ بالأسباب ليس من شأنه ـ على وجه اللزوم ــ أن يؤدى إلى تحقق النتائج المترتبة على الأخذ بها، فهم يعتقدون أن الحذر يمنع القدر. وهذا من قبيل الجهل بحقائق الأمور. يكون شأن معتقديه ـ وهم أكثر الناس ـ أنهم لايعلمون الحق .

وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

التفسير:

الحديث فى الآية عما كان من بعد دخول إخوة يوسف عليه السلام، كان لهم دخول ثان على يوسف عليه السلام وهو الدخول بقصد الحصول على الميرة. فيقول تعالى «ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه» والمراد بالأخ هو بنيامين شقيقه، قيل إنه آواه إليه حين أجلسهم إلى الطعام كل اثنين إلى مائدة فبقى بنامين وحده فجلس معه يوسف على مائدته، ثم حين

جعل لكل اثنين منهـم فراشا وبقي بنامين وحده، فـأنامه معه فى فراشه، فكـان هذا إيواء منه لأخيه.

ثم إنه تعالى يذكر أن يوسف عليه السلام قـال لبنيامين «إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون». وظـاهر عبارة النص تفيـد أن يوسف عليه السـلام أعلمه بشخصه وأنه أخـوه الذى اعتقدوا هـلاكه، وقيل إنه قـال له إنه قـائم مقام أخيه الغـائب، وقد يكون الصحيح أنـه عليه السلام أعلمـه أنه أخوه وطلـب منه أن يكون الأمـر سرا بينهما إلـى أن يشاء الله فيشاء يـوسف الإفصاح عنه.

وقولـه عليه السلام لأخيه «فـلا تبتئس بما كانـوا يعملون» فيه إشـارة إلى أنهم كانـوا فيما مضى يعملون مع بنياميـن ومع يوسف ما يوجب الحزن وأنهم استمروا عليـه ردحا من الزمان، وفيه بشارة بزوال أعمالهم هذه أو بزوال ما يوجب الحزن والابتئاس .

وقـد يكون فـى القول تلميـح إلى قـرب اجتمـاع الشمل وذهـاب المشاحنـة بين الإخـوة والبغضاء .

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ الســـقاية : هى إناء يسقى به، قيل إن الملك كان يسقـى به، وقيل إنه كانت تسقى به الدواب. وقيل إنـه كان من فضة مموهة بـالذهب، استخدم فى الكيل و فـي ذلك دلالة على علو قيمة الطعام وجدارته أن يكال بها.

٢ ـ العيــر : هى الإبل التى تعير، بمعنى أنها تروح وتجيء بما عليهـا من أحمال. وهى اسم جمع لا مفرد منه، والمراد هو أصحاب العير.

ثانيا : التفســـــــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ تنفيذ يوسـف عليه السلام ما عزم عليه من استبقـاء أخيه بنيامين معه وتحايله عليه باختلاق سبب يسيغه، فهو عليه السلام بعد أن جهزهم بجهازهم بمعنى أنه أمدهم بما أتـوا إليه من الطعام موفيا إليهـم الكيل كان منه أن وضع الإناء الـذى يسقى به فى رحل أخيه، وضعه بنفسه أو أمر بوضعه ـ فعلى الحالين يكون الفعل فعله ـ وقد يكون هذا بعلم أخيه ـ إن كان بينهما اتفاق على هذا ـ أو عن جهل منه.

ثم إن منـاديا مسموعـا أذاع اتهام أصحاب العير بـالسرقة. والمنـادى إنما نادى بمـا أمره يوسف أن ينادى به، والمقصودون بالاتهام هم إخوة يوسف عليه السلام.

وقد يكون معنى «إنكم لسـارقون» هو «أئنكم لسارقون» أريد به إيجـاد السبب الذى يدفع إلى تفتيش متاعهم وهو وقوع جريمة سرقة .

قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾

التفســـــير:

يذكـر تعالى ــ فى الآيـة ـ أن إخوة يـوسف قالـوا للباحثيـن عن وعاء السقـى أو للمنادى والباحثين «ماذا تفقدون» قالوا قولهم هذا وهم مقبلون عليهم.

ويبين من القول أمران :

أولهما : عدم توافر العلم لدى الإخوة على حدوث سرقة وشىء مسروق .

وثانيهما : استبعادهما وقوع السرقة، وذلك لمـا جبلوا عليه من الأمانة، فعبروا عن مضمون الواقعة بأنه «فقد» «ماذا تفقدون» يفيد عدم وجـود الشىء بالنسبة لطالبه، فيكون قد ضل عنه، دون أن يستتبع هذا بالضرورة أن يكون قد سرق .

قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ الصـــواع : فى قولـه تعالى «قالـوا نفقد صواع الملك» هـو المكيال. والمراد به ــ فى معنى الآية ـ السقاية التى كانت تستخدم فى كيل الطعام .

٢ ـ الزعيـــم : فى قوله تعالـى «وأنا به زعيم» هو الكفيل يكفل غيره فـى تنفيذ التزامه. وقد يكون له ـ فى معنى الآية ـ معنى خاص هو من يزعم واثقا قدرته على فعل شىء .

ثانيا : التفســــير:

يذكر تعالـى ـ فى الآية ـ ما كان من غلمـان يوسف عليه السلام عندما سألهـم إخوته عما فقد منهم وهو قولهـم «نفقد صراع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنـا به زعيم». وأول قولهم هو إجابة السؤال ذكـروا أنهم فقدوا المكيال الذى كانوا يكيلون به ووصفـوه بأنه للملك. وفى القول يلاحظ أنهم لم يقولوا إنه سرق تأثرا بقول إخوة يوسف .

ثم إن غلمان يوسـف أضافوا إلى إجابتهم علـى السؤال قولهم «ولمن جاء بـه حمل بعير» وهو حث لمن عثر على الصواع أو سرقه على إعـادته إليهم لنيل المكافأة الموعود بها وهى أن يكون له حمل بعير من الطعام ، ولو كان ذلك بإرشاده عمن لديه الصواع .

وقولهـم «وأنا بـه زعيم» يتصور أن يكـون قولهـم، عبروا فيه عـن أنفسهم بصيغـة المتكلم المفرد «أنا» تـدليلا على أنهم جميعا علـى قول واحد، ويتصور أن يكون القـائل هو المؤذن، قاله بالأصـالة عن نفسه ونيابة عن بـاقى غلمان يوسف. ومعنى القول أنهـم يكفلون تنفيذ ما وعدوا به من أن يكون لمن يجىء بالصواع حمل بعير.

قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى أن إخوة يوسف عليه السلام أقسموا لغلمانه بالله قسما يتضمن معنى التعجب من اتهامهم بالسرقة «قالوا تالله لقد علمتم» وفيه جاءت التاء فى «تالله» بدلا من الواو. ووجه التعجب يفصح عنه قولهم «لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كان سارقين» وهو يدل على أن غلمان يوسف عليه السلام وغيرهم تحقق لديهم العلم مما شاهدوه من سلوكهم أنهم لا يتصور فيهم أن يكونوا ممن يفسدون فى الأرض، والقول يفيد معنى أن السرقة تعتبر من قبيل الإفساد فى الأرض. وقيل إن من أفعال إخوة يوسف التى تدل على عدم تصور الفساد فيهم أنهم كانوا يعكمون أفواه إبلهم حتى لا تأكل من زرع الناس، وقيل إنهم اشتهروا مما شوهد منهم بالصلاح والتقوى.

وقولهم «وما كنا سارقين» هو ذكر لما عرف عنهم وهو أنهم ليسوا ممن يتصور فيهم أن يرتكبوا السرقة. فيكون القول متضمنا التعجب من أن يتهموا بالسرقة و إنكار مقارفتهم السرقة.

قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾

التفسير:

يقول تعالى - فى الآية - إن غلمان يوسف قالوا لإخوته «فما جزاؤه إن كنتم كاذبين» والمعنى هو فما جزاء سرقة الصواع إذا ما ثبت كذبكم فى ادعائكم البراءة من السرقة. والقول يفيد توافر النية فى اتخاذ إجراءات الكشف عن فاعل السرقة.

قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى أن إخوة يوسف أجابوا على سؤال غلمان يوسف عن جزاء من يوجد

الصواع المسروق فى رحله بأنه يكون الجزاء المقدر فى شريعة أبيهم إبراهيم ـ وهو الاسترقاق ـ يكون للسارق عقوبة فيستعبد للمجنى عليه فى السرقة، يفصح عن هذا قولهم «وكذلك نجزى الظالمين» ومعناه أنه على هذا النحو تكون عقوبة السارقين فى شريعتنا، وصفوا فيه السارقين بالظلم، لما فى السرقة من ظلم للنفس بتعريضها للعذاب وظلم للغير بسرقة ماله. ومفاد قولهم هو اعتبار وجود الصواع فى رحل أحدهم قرينة على سرقته .

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

أولا : الأسماء :

الدين : فى قوله تعالى «ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك» المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو السلطان، وقيل هو الحكم بدليل زائف مصنوع .

ثانيا : التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن يوسف عليه السلام أجرى تفتيش أمتعة إخوته، ولا يشترط أن يكون قد قام بالإجراء بنفسه، فالمقبول أنه أجراه بواسطة نفر من المفتشين، بدأوا بتفتيش أمتعة إخوته من أبيه قبل تفتيش أمتعة شقيقه بنيامين، ثم قاموا بتفتيش متاع بنيامين فاستخرجوا منه السقاية المفقودة أو الصواع والصواع يذكر ويؤنث ـ وقوله تعالى «ثم استخرجها من وعاء أخيه» يدل على أن التفتيش قد شمل كل ما يمكن أن يكون الصواع مخبأ فيه مما هو داخل الرحل، وأنه عثر على الصواع داخل وعاء .

وقوله تعالى «كذلك كدنا ليوسف» معناه أنـه على هذا النحو من تدبيرنا بخلق المقدمات التي تـوصل إلى النتيجـة المقصودة تحققت النتيجـة وهى أخـذه أخاه ليكون تحـت سلطان الملك «ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك»، وهى ما كانت لتتحقق لولا صنعه تعالى وتدبيره، ولا يكون هذا إلا بمشيئته تعالى، يشاء الكيد ويشاء له النجاح فيأتى بالنتيجة المقصودة «إلا أن يشاء الله» .

ثم يقـول «نرفـع درجات مـن نشاء وفوق كـل ذى علم عليـم» وهو ذكـر لمبدأ عـام اشتنته حكمته تعالى وتطبيق له، فالمبدأ أنه تعالى يـرفع بالعلم والإيمان شأن من أراد له تعالى رفعة الشأن والمـرتبة، يكون علـو شأنه بقـدر ما يعطيـه تعالى مـن العلم والإيمان، فيكـون المنعم عليهم درجات يعلـو بعضهم فوق بعض، كما يـزداد علم المنعم عليه درجات بقـدر ما يكون الإنعام عليه، فيعلو درجة من بعد درجة.

وتطبيق المبدأ على نحو خاص تعلق بيوسف عليه السلام، أنعم عليه تعالى بالعلم بتأويل الأحاديث وبالإيمان فارتفع شأنه، وأنعم عليه بهمـا فتمكن بأمـر الله من أن يأخذ أخـاه إلى دين الملك.

ثم إنه تعـالى يذكر أنـه مهما أوتى المنعم عليهـم من نعمة العلم فـإنه تعالى فـوق جميع العالمين بعلمه الذى لا يكون علم العالمين إلا بعضا مما يفيء به تعالى عليهم منه .

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾

التفســــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه بعد استخراج السقاية من وعاء في رحل بنيامين قال إخوة يوسف له أو لغلمانـه «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل» وفي قولهـم «إن يسرق» ما يدل على

ارتيابهم فى كـونه سارقا، ثم إن القول يفيد أنـه إذا كان صحيحا أنه سرق فإنه يكـون قد ماثل شقيقا له ــ جاء مجهلا ـ سرق مـن قبل، وهم يعنون يـوسف عليه السلام. وقيل فـى تفسير ما نسبوه إليه من ارتكابه السـرقة أن عمته كانت تحتفظ به لديها فى طفـولته، وأنها كانت تحبه، ثم إن أباه طلبه لـلإقامة معه فادعت أنها فقـدت «منطقة» كانت لها إرثا من أبيهـا ثم حزمتها على يوسف تحـت ثيابه، فبحث عنها أهل البيـت فوجدوئها تحت ثيابـه فكان لها أن تمسكه ولا تسلمه أباه إلى حين موتها.. وقيل إنه سـرق لها صنما صغيرا كان لجده لأمه وكسره، وقيل إنه كان يخبىء الطعام يأخذه من فوق المائدة ليعطيه الفقراء .

ثم يذكـر تعالى أن يوسـف عليه السلام أسر فـى نفسه ما بعثه اتهـامهم إياه من حـزن ولم يظهره لهـم بقول ولا بفعل، وربمـا يدل هذا علـى صفحه عنهـم. ثم إنه قـال فى نفسه كـأنه يخاطبهم «أنتـم شر مكانا والله أعلم بما تصفـون» بمعنى أن مكانتكم فيما وصفتم بـه يوسف هى شر منه منزلة وقدرا، فهم قد احتالوا على أبيهم ليأخذوه قصد التخلص منه، ثم إنهم افتروا عليه الكـذب بنسبتهم ارتكاب السـرقة إليه مع علمهـم كذب اتهامهـم. ثم إنه عليـه السلام أثبت أنـه لا يكذب فـى قولـه وأن ما يقولـه هو مـا هو كائن فـى علمه تعـالى «والله أعلـم بما تصفون»، فهو تعالى العالم بحقيقة ما ينسبونه إليه، أماهم فيزعمون أنهم يعرفونها بجزمهم أنه سرق «فقد سرق أخ له من قبل»، وهم يقولون الكـذب، فكانوا شرا مكانا، وكان تعالى الأعلم بما يصفون .

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

التفســــــير:

يخبر تعالى ـ فى الآية ـ عما كان من إخوة يوسف عليه السلام حين تبين لهم من الأمارات أنه عازم على أخذ بنيامين لما ثبت فى حقه من أخذه صوٰاع الملك أو سرقته، وقد يكون أخذه لاسترقاقه عملا بما قالوا من أن هذه هى شرعتهم .

فكان منهم أن خاطبوه منادين بقولهم «يا أيها العزيز»، وقد يكون المراد بلفظ «العزيز» هو صاحب العزة والقدرة على الأمر فى الموضوع والنهى.

وقد يكون هو لقب الوزير الأول، فيكون لخلو المنصب بعزل شاغله أو وفاته، فأطلقوا اللقب على يوسف من باب البشارة بأيلولة المنصب إليه .

ثم إنهم أبدوا سبب مطلبهم قبل إبداء الطلب فقالوا «إن له أبا شيخا كبيرا» فأظهروا أن أباه فى سن الشيخوخة طاعن فى السن كبير.

فيكون المعنى المراد إيصاله هو عدم تحمل أبيه آلام فراقه لكبر سنه، مع كونه جديرا أن يرحم فى شيخوخته بعدم حرمانه من ابنه الذى يحب. ثم إنه كان منهم ذكر مطلبهم فقالوا «فخذ أحدنا مكانه» طلبوا أن يستبدل به أحدهم يستبقيه أو يسترقه أو يحبسه.

ثم إنهم أتبعوا هذا بالتزلف إليه فقالوا «إنا نراك من المحسنين» أقروا بأنهم عاينوا إحسانه على وجه العموم إلى الناس، وإحسانه إليهم على وجه خاص، فتقربوا إليه بصفة الإحسان فيه ليحسن إلى أبيهم الشيخ الكبير بإعادة ابنه الحبيب إليه، وأخذه أحدهم مكانه.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى نص الآية ـ أن يوسف عليه السلام حين سمع طلب إخوته تعوذ بالله مما اقترحوه من أن يأخذ أحدهم مكان بنيامين، لأن أخذه إنما كان بتهمة أسندت إليه وثبتت فى حقه، فيكون الموافق للعدل ألا يسأل عنها ويعاقب إلا مرتكبها، وهذا هو مضمون ما ذكروه عن شرعتهم، ثم إنه عليه السلام يبين أنه إذا أخذ غير الجانى بذنبه فإنه يكون من الظالمين، لأنه يكون قد خالف حكمه تعالى وخالف شرعتهم على علم، فيكون قد ظلم نفسه، وهو مما يستعيذ بالله منه .

فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾

أولا : الأسماء :

الكبير: فى قوله تعالى «قال كبيرهم ألم تعلموا» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو رأوبين أكبر الإخوة سنا، وقيل إن المراد هو أكبرهم عقلا وهو يهوذا .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى سرد أحداث قصة يوسف و إخوته، فيقول تعالى إنه حين يئس الإخوة من يوسف أن يجيبهم إلى مطلبهم، وقيل حين يئسوا من أخذهم بنيامين معهم، فإنهم اعتزلوا الناس منفردين بأنفسهم خلصا من غيرهم يتناجون فيما بينهم متشاورين فيما يفعلون.

وفى قوله تعالى جاء التعبير عن يأسهم بلفظ «استيأسوا» للمبالغة لبيان كمال اليأس. ثم جاء قوله تعالى «قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله» دليلا على أنهم قد رأوا فى تشاورهم ونجواهم أن يعودوا إلى أبيهم، فكان قول كبيرهم من قبيل إبداء التحفظ على هذا الرأى أو الاعتراض، فهو يذكرهم بأن أباهم قد أخذ منهم عهدا موثقا بيمين بالله أن يعودوا به إلا أن يحاط بهم، و إنهم قد فرطوا فى يوسف من قبل، فلا يجمل بهم إضافة خطأ إلى خطأ .

ثم إنه لما كان مفاد قول كبيرهم أنه لا يستصوب رأيهم بالعودة إلى أبيهم بغير بنيامين فإنه قال «فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين» يعلن أنه لن يغادر أرض مصر إلى أحد أجلين:

أولهما : هو أن يأذن له أبوه بالانصراف منهتا عائدا.

والثانى هو أن يحكم تعالى له، يكون بخروجه منها على وجه لا يكون معه الخروج من قبيل نقض العهد الموثق بيمين، أو بأن يقضى عليه الموت فيكون له خلاصا أو يمكنه من استرداد أخيه بالقوة. ثم إنه شفع قوله بما يفيد التماسه من الله تعالى أن يحكم له بحكم كونه خير الحاكمين يقضى بالحق والعدل .

ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾

التفسير:

القول هو من قول كبير الإخوة لإخوته، وقيل هو قول يوسف عليه السلام ـ وهو ضعيف ـ فيه يأمر إخوته بالعودة إلى أبيهم، وبأن يعلموه أن سبب عدم حضور أخيهم بنيامين معهم هو ارتكابه سرقة عوقب بها، وأن يؤكدوا له أنهم ما شهدوا عليه أمام أبيهم بالسرقة التى نسبوها إليه إلا وقد تحقق لديهم العلم بأنه ارتكبها، فيكون القول متعلقا بما شاهدوه من إخراج صواع الملك من وعاء فى رحله، ثم إنه يكون منهم الاعتذار إليه بأنهم حين أعطوه موثقا من الله أن يعودوا به لم يكونوا على علم بالغيب الذى سيكون وهو ارتكابه السرقة يؤدى إلى الإمساك به وعدم إعادته .

وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾

أولا : الأسماء :

القرية : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو مصر، أو القرية أو المدينة التى كانوا ينزلون بها، أو التى كانت الغلال وأنواع الطعام توزع فيها .

ثانيا : التفســــير:

القول تتمة قول كبير الإخوة لإخـوته فيه يدل إخوته على كيفية إقناعهم أبـاهم بروايتهم عن بنيامين، يطلبون منه أن يستوثق من صحة روايتهم بسؤال أهـل القرية التى كانوا ينزلون بها فى مصر يبعـث إليها مـن يأتيه مـن أهلها بخبـر بنيامـيـن، أو بأن يسأل أصحـاب العير التـى كان توجههم إلى مصر وعودتهم منها رفقتهم، والقول يفيد أن القصة كانت معروفة مسموعا بها فى القافلة التى أقبل فيهـا الإخوة ، ثم يكون منهم أن يؤكدوا له صدقهم انبثـاقا من طبيعتهم التى جبلت على الصدق بقولهم «وإنا لصادقون» .

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى ذكر مـا قاله يعقوب عليه السلام لأبنائه، ومنه يبين أن الأبناء قد عادوا إلى أبيهم وأنهم قـالوا له ما طلب منهم كبيرهم أن يقولوه لـه، فكان منه عليه السلام أن قال لهم «بل سولت لكم أنفسكم أمرا» جاءت «بـل» للإضراب عن براءتهم عن التسبب فى بقاء بنيامـيـن بمصر بما ذكروه عن شـريعتهم فى شأن السـارق التى لم تكن ساريـة فى مصر، فكان مـن شأن ذكرها تطبيقهـا فى شأن بنيامـيـن، وربما كانت عـدم براءتهم من التسبـب فى استبقائه مـرجعها عدم الدفـاع عنه بما ينبغـى أن يكون عليه الـدفاع بقبولهم أن يكـون وجود الصواع فى رحله دليلا على سرقته إياه، وهـو غير هذا، إذ لا يعدوأن يكون مجرد دلالة يجب أن تتأيد بدليـل، فيكون ما سولته لهم أنفسهم هـو أن يذكروا حكم شرعهم فى السـارق ليؤخذ به فى حق بنيامين، أو بالتهاون فى الدفاع عنه .

ثم إنه عليه السلام قال «فصبر جميل» ذكر أن أمـره صبر جميل، ثم أبدى أمله أن يعود إليه

ابناه المفقودان يوسف وبنيامين ومعهما من بقى بمصر مختارا «عسى الله أن يأتينى بهم جميعا» ثم وصف ربه بصفتين من صفاته لملاءمة الحال فقال «إنه هو العليم الحكيم» فهو تعالى العالم بحاله وحال ابنيه، وهو الذى يقضى فى الأمور بحكمته فيرفع الظلم عن المظلومين، فيكون منه رفع البلاء عن المبتلى ممن كان من عباده الصالحين .

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

أولا : الأسماء :

الكظيم : هو المكظوم، وهو الكاظم، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ من امتلأ قلبه بالغيظ فأمسكه فيه لم يظهره .

ثانيا : التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن يعقوب عليه السلام بعد أن قال لأبنائه ما قال أعرض عنهم مستاء مما أخبروه به وأنه تأسف مبديا شدة الحزن أو أنه استدعاه على يوسف لأن فقده يوسف كان أساس البلاء عنده، فكان فقده بنيامين فرعا منه.

ويذكر تعالى أن عينيه ابيضتا من الحزن أى بسببه، والمراد أن كثرة الدمع والبكاء محق سواد العين فقلبها بياضا كدرا،أو أنه أدى إلى وجود غشاوة فى عينيه بيضتهما، فعلى الأول يكون قد أصابه العمى، وعلى الثانى يكون قدضعف بصره على نحو كان إدراكه الأشياء معه ضعيفا للغاية .

وقوله تعالى «فهو كظيم» تضمن بيان حال يعقوب من امتلاء قلبه بالحزن والغيظ وعدم إظهار ذلك، ويرتبط بابيضاض عينيه برابطة، فهو لكظمه حزنه فى نفسه تجود عيناه بالدمع، واستمراره على هذا أدى إلى ابيضاض عينيه.

وقيل إن ابيضاض عينيه كان حزنا على يوسف، وأنه أصابه قبل أن يبعث بنيامين مع إخوته إلى مصر بوقت طويل .

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ٨٥﴾

أولا : الأســــماء :

الحرض : فى قوله تعالـى «حتى يكون حرضا» هو من به فسـاد فى الجسم أو فى العقل أو فيهما معا، وقيل هـو من أصابه فساد فى الجسـم أو العقل من فرط عاطفة أو انفعـال كالعشق والحزن، وقيل هو اليابس الجلد على العظم .

ثانيا : التفســــير:

يذكر تعالى ـ فـى الآية ـ ما مفاده أن أبناء يوسف أو أتباعه قالوا لـه حين شاهدوا منه شدة حزنه على يوسف وتـذكره الدائم له وبكاءه عليه «تالله تفتأ تذكر يـوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين» وهـو قسم بالله بأنه لا يفتأ يذكر يوسف إلـى أن يشرف على الهلاك أو إلى أن يهلك بالفعل.

وقد دل على نفى الفعـل «تفتأ» عدم اقترانه بالـلام ونون التأكيد، فلم يقل تعـالى «لتفتأن» وهى علامة الإثبات فى جواب القسم. والقول يفيـد التأسف على يعقوب والحزن على ما آل إليه حاله، وتمنى رجوعه عما هو عليه من الحزن الشديد الذى قد يورده موارد الهالكين .

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨٦﴾

أولا : الأســــماء :

البث : هو ـ فى الأصل ـ تفريق الشىء، جرى استعماله فى الغم لا يطيقـه صاحبه فيفرقه بين أعوانه ليخف أثره عليه، ثم استعيض به عن ذكر الغم فأصبح تعبيرا عنه .

ثانيا : التفســـير:

مفاد قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ أن يعقوب عليه السلام قال لأبنائه أو لأتباعـه حين أخذوا

عليه ذكره الدائم يوسف «إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله» والمعنى هو أنه عليه السلام لم يتقدم إليهم شاكيا لتكون منهم مواساته، فهو يشكو غمه وحزنه إلى الله تعالى، ثم أضاف قائلا« وأعلم من الله ما لا تعلمون»، وقيل فيه إن معناه أنه عليه السلام يعلم عن لطف الله ورحمته ما لا يعلمون، وأنه لهذا يرجو أن يلطف به تعالى ويرحمه. وقد يكون المعنى ـ والله أعلم ـ أنه يعلم من الله تعالى أن يوسف حى يرزق وأنه لابد أن تتحقق رؤياه، وهذا هو ما لا يعلمه الذين يحدثهم .

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾

أولا: الأسماء:

روح الله : المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو رحمة الله تدرك من أصابه الضيق فيكون له الفرج .

ثانيا: التفسير:

يقول تعالى ـ فى الآية ـ ما مفاده أن يعقوب عليه السلام أمر أبناءه أن يضربوا فى الأرض باحثين عن يوسف وأخيه مستعملين فى هذا حواسهم يتسمعون أخبارهما وينظرون الأماكن التى قد يكونان فيها على ما يبين من قوله لهم «يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه» وقيل إنه عليه السلام أشار إلى جهة مصر أثناء مخاطبته إياهم لأن ملك الموت أخبره أنه لم يقبض روح يوسف وأنه عليه أن يطلبه من جهة مصر .

ثم إن يعقوب عليه السلام أمر أبناءه ألا ينتابهم اليأس من أنه تعالى مفرج الكروب يفرج كربهم وكرب أبيهم فينالون بغيتهم من العثور على يوسف وأخيه. وأتبع هذا بحثهم على عدم اليأس من رحمة الله بقوله لهم «إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» والقول ذكر لحقيقة لأن الكافر لا يعرف الله تعالى، أو إنه لا يعرفه حق معرفته فيتعلق أمله بغيره من أصحاب القوة من البشر أو بالمعبودات الزائفة، ولا يتعلق أمله بالله تعالى واثقا أنه يشمل المؤمنين برحمته.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾

أولا : الأسماء :

المزجى : فى قوله تعالى «وجئنا ببضاعة مزجاة» اسم مفعول من الفعل «أزجى - يزجى» بمعنى دفع، ومنه قوله تعالى «ألم تر أن الله يزجى سحابا»، فيكون المعنى هو «المدفوع»، وقيل هو المدفوع للرغبة عنه لانعدام قيمته أو قلتها .

ثانيا : التفسير:

المستفاد من قوله تعالى «فلما دخلوا عليه» ــ والذى دخلوا عليه هو يوسف عليه السلام - أن إخوة يوسف عادوا مرة أخرى إلى مصر وأنهم دخلوا على يوسف عليه السلام، ويذكر تعالى أنهم خاطبوه قائلين «يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين». خاطبوه بلقب العزيز «كما خاطبوه من قبل لعزته فى أرض مصر أو تبشيرا له بنيل منصب عزيز مصر، ثم أبدوا علة عودتهم وما جاءوا به مقابل الميرة، فذكروا أن الضر من جدب وفقر أصابهم وأهلهم فى بلادهم فبحثوا عن الطعام لديه فى مصر، وجاءوا معهم ببضاعة غير ذات قيمة دفعها أهلها زاهدين فيها لحقارتها، وقد يكون المراد هو بيان أن شدة الضر لم تجعل لديهم غير هذه الأشياء الحقيرة التى أتوا بها ليقايضوا بها الميرة التى جاءوا يسألون .

وبعد ذلك فإنهم طلبوا منه أن يقبل بضاعتهم القليلة القيمة ثمنا للميرة، وزادوا بأن طلبوا منه أن يوفى لهم الكيل وأن يتصدق عليهم.

وقد يكون المراد بإيفائهم الكيل هو معاملة بضاعتهم الزهيدة القيمة معاملة البضاعة

الجليلة القيمة، ويكون تصدقه عليهم حالئذ هو بالفرق بين الزهيد من البضاعة والجيد منها من الثمن.

وقيل إن المراد بإيفائهم الكيل هو الإيفاء إليهم على النحو الذى سبق منه معهم، وأن التصدق عليهم يكون برد أخيهم إليهم. وفى القول نظر لأن رد الأخ لا يكون من قبيل الصدقة .

وقولهم «إن الله يجزى المتصدقين» روعى فيه التعميم، فلم يقولوا «إن الله يجزيك بصدقتك» لأنهم كانوا يجهلونه فاعتقدوا أنه على ملة حاكم مصر لا يؤمن بالله الواحد الأحد الذى يجازى يوم القيامة بالإيمان والأفعال، فذكروا ما يفيد أنهم يؤمنون بالله، ثم أشاروا إلى أنه تعالى يجازى المتصدقين خيرا دون أن يلمزوه بالقول معرضين بعقيدته، ليرضوا أنفسهم وليستحثوه على فعل ما طلبوا فعله معهم .

قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن الذى كان من يوسف عليه السلام مع إخوته بعد سماع قولهم هو أنه قال لهم «هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون» ، والمستفاد من ذكره اسمه هو أنه قد انتوى الكشف عن نفسه لهم ثم شرع فى هذا، ثم إن عبارة القول وإن تضمنت تذكيرا لهم بما فعلوه فى زمان جهلهم من إساءة إلى يوسف وإلى أخيه وتضمنت لوما لهم على هذا، إلا أن فيها ما يشير إلى أنها كانت وليدة رقة قلب عفى عن الإساءة.

وقد يكون فى قوله لهم هذا تفسير لقوله تعالى فى الآية ١٥ من السورة «وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون» .

قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾

التفســــــير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ أنه بعد أن استفهم يوسف عليه السلام من إخوته عن سابق فعلهم مع يوسف وأخيه للتذكير والمعاتبة كان منهم قولهم له «أئنك لأنت يوسف» فكأن قوله وما تضمنه من ذكر يوسف وما فعلوه معه كان تنبيها لهم ليلاحظوا وجه الشبه بينه وبين أخيهم، وفي هذا قيل إنه ابتسم فظهرت ثناياه فعرفوه منها، وقيل إنه رفع عن رأسه التاج فعرفوه. وقولهم «أئنك لأنت يوسف» هو استفهام تقريري ظهر فيه وجه التعجب، وقيل إنه يفيد أن البعض من الإخوة استفهم والبعض الآخر أخبر أنه يوسف.

ثم إنه تعالى يذكر أن يوسف عليه السلام رد على استفهامهم بقوله «أنا يوسف» ثم زاد عليه قوله «وهذا أخي» مشيرا إلى بنيامين شقيقه، فيكون القول تأكيدا لما أجاب به على استفهامهم. ثم إنه عليه السلام أضاف قائلا «قد من الله علينا، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين»، فيه أذهب تعجبهم من رؤيتهم إياه حاكما ذا عزة بعد أن حسبوه قد هلك أو استعبد، ومن رؤيتهم بنيامين معززا مكرما بعد أن حسبوه قد استرق بالسرقة، فبين لهم أن ما هما عليه من الحال هو ما من به تعالى عليهما من فضله، ثم ذكر سنته تعالى في هذا وهو أن من يتقي الله في نفسه وفعله فلا يغضبه، ويصبر على ما يبتلى به من المحن والمصائب مع صبره على الطاعات وعن المعاصي يكون معدودا عند الله من المحسنين الذين صلحت قلوبهم وأفعالهم، وهؤلاء هم الموعودون بالأجر الحسن يكون لهم ممن لا يخلف وعدا. فيكون ما من الله به عليه وأخيه هو بعض وعده تعالى المحسنين .

قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾

التفســــــير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ قول إخوة يوسف له بعد أن أعلمهم بشخصه، أقسموا له على ما

اعتقدوه وعبروا عنه بالقـول، وهو أنه تعالى آثره عليهم، والمعنى أنه فضلـه عليهم بما أنعم به عليـه، ومن هـذا تفضيله عليهـم بـالتقوى والصبـر، ومن قبلـه بالعلـم والـرؤيا، ثـم بالملـك والسلطان.

ثم إنهم أضافـوا إلى هذا إقرارهم بأنهـم قد أخطؤوا فى حقه وحق أخيـه، و إقرارهم بسبق خطئهم يتضمن معنى توبتهم عن الذنب .

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾

أولا : الأســــماء :

التشــــريب : فى قـوله تعـالى «لا تثريـب عليكم اليـوم» هو اللوم والتـأنيب، أصلـه من «الثرب» وهو الشحم الـرقيق فى الجوف يغطى ما فـى الداخل وهو ما لا يجمل منظـره، فكأنه يخفى القبيح .

ثانيا : التفســــير:

مفاد قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ أن يوسـف عليه السلام أعلن إخـوته بانعدام سبـب لومهم وتأنيبهم وقـت مخاطبته إياهـم ـ والمراد هو بـدءا من هذا الوقـت ـ فيكون القول دليـلا على صفحه عنهم فيما أخطؤوا به فى حقه.

وقوله لهـم «يغفر الله لكم» يقبل أن يكون دعـاء لهم بالمغفرة ويقبل أن يكـون إخبارا منه ـ بصفته نبيا أعلمه الله أنه غفر لإخوته ذنبهم بأنه تعالى قد غفر لهم ذنوبهم .

والأول هو الأرجح ، لأن خطأهم كان فى حق يوسف وفى حق أبيه، ولا يملك يوسف إلا أن يعفو عما كان فى حقه من الخطأ دون ما ارتكب فى حقه أبيه .

وقول يـوسف لهم «وهـو أرحم الراحميـن» فيه بيان أنه يـدعو لهم بـالمغفرة من هـو أرحم الراحمين، ليشملهم بـرحمته بعد أن أقروا بذنبهم وتـابوا عنه، وفى وصفه تعالـى ـ فى القول ـ بأنه أرحم الراحمين ما يفيد طمأنتهم إلى إجابة دعائه إن شاء الله .

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٣﴾

أولا : الأســـماء :

القميص : فى قوله تعالى «اذهبوا بقميصى هذا» قيل هو القميص الذى كان يرتديه يوسف وقت محادثته إخوته، وقيل هو القميص الذى قد من دبر، وقيل هو قميص إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذى كساه الله حين ألقى فى النار وصل يعقوب فعلقه فى عنق يوسف.

ثانيا : التفســـير:

يذكر تعالى من رواية أحداث قصة يوسف عليه السلام أنه قال لإخوته بعد دعائه لهم أن يغفر الله لهم ما سلف من أخطائهم أنه قال لهم «اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا»، والمستفاد من قوله عليه السلام لهم أنه أعطاهم قميصا ثم طلب منهم إذا ما عادوا إلى أبيه أن يلقوه على وجهه فيرتد إليه بصره، والمعنى أنه جزم بأن إلقاء القميص على وجه أبيه يكون من شأنه أن يرد إليه بصره بإذن الله تعالى، وقد يكون معنى «يأت بصيرا» هو أنه يكون مبصرا حين يأتيه مع أهله، فيكون علم يوسف بهذا هو مما علمه ربه وأعلمه بطريق الوحى أو الإلهام .

ثم يذكر تعالى أن يوسف طلب من إخوته أن يأتوا إليه بجميع أهلهم، ويدخل فيهم أبوه كما يدخل فيهم ذرياتهم ونساؤهم. فيكون فى القول إشارة إلى أن مجىء الأهل قد قصد به الإقامة لديه فى مصر.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن إخوة يوسف خرجوا من مصر واتجهوا إلى حيث أبيهم فى

أرض فلسطين، فمعنى قوله تعالى «ولما فصلت العير» هو «عندما انفصلت العير التى فيها إخوة يوسف عن حدود مصر وتخومها» وقيل إنها كانت على بعد مسيرة ثمانية أيام من حيث يقيم أبوهم، قال أبوهم «إنى لأجد ريح يوسف» بمعنى أنه قد شم رائحة يوسف، حملتها إليه الرياح من القميص الذى كان بحوزة إخوته، ثم إنه قال لمن كان يخاطبهم بالقول «لولا أن تفندون» والمعنى أنه يثق فيما يقول به ويدعوهم إلى إثبات ما يستشعره من تكذيبهم له، أو أن يقولوا عن قوله إنه من آثار تخاريف الكبر والهرم .

قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

التفســــــير:

يذكر تعالى ــ فى الآية ـ أن حضور يعقوب عليه السلام الذين كان يخاطبهم أقسموا بالله على أنه مستمر على حاله من الابتعاد عن الرشد والصواب نتيجة إفراطه فى حب يوسف وذكره وتوقع لقائه، ولا يعدو قوله إنه شم ريحه أن يكون مظهرا من مظاهر هذا البعد عن الصواب الذى أصابه منذ زمن طويل .

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

أولا : الأســــــماء :

البشــــير: المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الذى ذهب بالقميص ليلقيه على وجه أبيه من الإخوة، قيل إنه كان يهوذا، وقيل كان شمعون، وهو الذى ذهب من قبل بالقميص الذى عليه الدم الكذب حين ادعوا كذبا أن الذئب أكل يوسف .

ثانيا: التفســـــير:

يقول تعالى ـ في الآيـة ـ ما مفاده أنه عندما جاء من إخوة يوسـف من حمل قميصه ـ وهو البشارة بحياته ـ وحضر أباه، كان منه أن ألقـى القميص على وجه أبيه، ويقبل القول أن يكون قد ألقاه على جسـده جاء التعبير عنه بالوجه لكـونه أشرف الظاهر منه، ثم كـان من أثر ذلك ـ بإذن الله ـ أن ارتد يعقوب بصيرا، ويقبل المعنى أن يكـون أنه عليه السلام ارتد إليه بصره بعد أن كـان أعمى، ويقبـل أن يكون المعنـى هو أن بصـره صـار أقوى علـى ما يستفـاد من لفـظ «بصيرا» وهو يفيد المبالغة .

ثم إنه تعالى يذكر أن يعقوب عليه السلام قـال لحاضرى مجلسه «ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون» فهو حين قال لأولاده «لا تيأسـوا من روح الله» كان قد علم من الله تعالى أن يوسف لا يـزال حيا، وكذا حين قال لهم «اذهبـوا فتحسسوا من يوسف وأخيـه» وحين قال إنى أشـم ريح يوسـف. فيكون فـى قوله عليـه السلام إثبات لفسـاد قولهـم إنه لفى ضـلاله القديم، وإقرار بأنه إنما علم ما لم يعلموا بما علمه الله .

قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ ما كان من إخـوة يوسف مع أبيهم بعد أن ارتد بصيرا فيقول تعالى ما مفـاده أنهم نادوه بقـولهم «يا أبـانا» وذلك لتحـريك عاطفـة الأبوة فيه واستجـلاب عطفه عليهم، ثم إنهم طلبـوا منه أن يستغفر لهم ربه عما قرفـوا من الذنوب التى اعترفـوا بارتكابها، فيكون قـولهم «إنا كنـا خاطئين» هـو اعتراف بالـذنب وإعلان للتـوبة، وطلبهم مـن أبيهم أن يستغفر لهم ربـه هو طلب يتضمن طلبـا يعتبر مقدمة له وهـو صفحه عنهم وعفوه، لأنـه لو لم يعف عنهم ويصفح عما أخطؤوا به في حقه، لم يكن منه أن يستغفر لهم ربه.

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - أن يعقوب قال لأبنائه حين سألوه أن يستغفر لهم ذنوبهم «سوف أستغفر لكم ربى» فهو لم يقل «سأستغفر لكم ربى» - والسين تفيد المستقبل القريب - وقال «سوف» وهى تفيد المستقبل البعيد. وفيه قيل إنه انتظر وقت السَّحَر، وقيل إنه انتظر إلى ليلة الجمعة، وقيل إنه لم يقبل استغفاره إلا بعد عشرين سنة. وعلى جميع الأحوال فإن مفهوم قول يعقوب هو أنه سيلبى طلب أبنائه أن يستغفر لهم ربه، وأنه لن يكون وقت طلبهم وإنما فى وقت لاحق ليس بقريب، وربما كان هذا ليتحقق من صدق توبتهم .

ثم إنه أملهم فى قبول استغفاره لهم بقوله «إنه هو الغفور الرحيم» فهو تعالى بحكم كونه الغفور يغفر لهم ذنوبهم، وبحكم كونه الرحيم يرحمهم فيثيبهم بتوبتهم وبأعمالهم الصالحة .

فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾

التفسير:

قوله تعالى «فلما دخلوا على يوسف» وفيه يعود الضمير المتصل فى «دخلوا» إلى أهل يعقوب وهم جميع بنى إسرائيل - يفيد أن بنى يعقوب دخلوا على يوسف ذاته، لكنه لا يفيد معنى أن دخولهم عليه كان بعد دخولهم أبواب مصر، وقوله تعالى «آوى إليه أبويه» يفيد أن يوسف عليه السلام كان منه وقتذاك أن ضم إليه أبويه واعتنقهما، وقيل إن أبويه هما يعقوب وراحيل، ويبعد هذا لأن المعروف أن راحيل قد ماتت لدى وضعها بنيامين، فيكون أبواه هما يعقوب وزوجه ليئة وهى خالة يوسف عليه السلام قامت على تربيته بعد أخذه من عند عمته بعد وفاتها فصارت منه بمنزلة الأم .

ثم يذكر تعالى أن يوسف قال لآل يعقوب «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين» ومن القول يبين أن يوسف عليه السلام خرج للقائهم خارج أبواب مصر. وقد جاء فى التوراة التى بين

أيدينا اليوم أنه عليه السلام أرسل لهم العربات التى أحضرتهم وممتلكاتهم وأشياءهم، وقيل إنه أرسل إليهم مائتى راحلة. ومن القول يبين أيضا أن يوسف عليه السلام قد أمنهم فى دخولهم مصر، لأنهم متى دخلوا مصر صاروا فى حماه، فيكون مفاد قوله أنهم من مكان التقائه إياهم إلى أن يدخلوا مصر يأمنون شر الاعتداء عليهم.

فيكون القول مشيرا إلى أن جنوده ورجاله يحرسونهم فى خلال هذه المرحلة وقيل أن المعنى هو أنهم يأمنون في مصر الجوع والقحط وسائر المكاره والأخطار.

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ البـــدو: هو البادية، وهى الأرض المنبسطة تبدو للرائى لأنه ليس بها مرتفعات تحجب رؤيتها، ثم أطلقت على البرية، وكان سكن آل يعقوب ببادية فلسطين التى انتقل إليها يعقوب بعد بعثه نبيا.

ويطلق اللفظ «البدو» على سكان البادية، فيقبل أن يكون المراد بالقول هو مجيئهم من المكان الذى يعيش فيه البدو.

٢ ـ اللطيف : فى قوله تعالى «إن ربى لطيف لما يشاء» هو اللين التدبير، ليكون لينه سببا يسهل به تنفيذ المراد .

ثانيا: التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - أن يوسف عليه السلام كان منه عند حلول بني إسرائيل مصر أنه رفع أبويه - وهما يعقوب، وليئة خالة يوسف - على سرير ملكه أو رئاسته تكريما لهما، وأن أبويه وإخوته خروا له سجدا على جباههم، وقد كان هذا غير منهى عنه في الشريعة وقتذاك، وكان يعتبر من التحايا. وقيل إن الساجدين كانوا إخوة يوسف دون أبويه، وهذا ما تفنده الرؤيا وتأويلها، وقيل إنه يصعب تصور قبول يوسف أن يسجد له يعقوب وهو نبى من قبله، ورد على هذا بأنه تعالى أمر يعقوب بالسجود وأمر يوسف بقبوله تحقيقا للرؤيا.

وقيل إن السجود كان شكرا لله تعالى، ورد عليه بأنه يفنده قول يوسف «يا أبت هذا تأويل رؤياى» ومعناه أن سجود أبويه وإخوته له هو تأويل قوله في رؤياه «رأيتهم لى ساجدين»، عنى يوسف بأن يذكر أن الرؤيا كانت من قبل جميع الأحداث التى وقعت في الفترة ما بين الرؤيا وبين سجودهم له. ثم إنه عليه السلام قال «قد جعلها ربى حقا» بمعنى أنه تعالى صيرها صدقا وواقعا.

ثم إنه تعالى يذكر أن يوسف عليه السلام قال أيضا «وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى» والقول ذكر لفضل الله تعالى عليه، من بعد ذكره فضله عليه بجعل رؤياه حقا، فذكر أنه تعالى أحسن إليه بإخراجه من السجن وهو تفريج عنه كربة عانى منها وهى سجنه مظلوما بغير ذنب، اكتفى به دون ذكر إلقاء إخوته به في الجب تناسيا لما جرى منهم، ولكونه قد عفا عنهم.

ثم أعقب هذا بذكر إحسان آخر إليه هو المجىء بأهله وقومه بنى إسرائيل من بادية فلسطين إلى مصر بعد ما كان آنفا من إفساد الشيطان ما بينه وبين إخوته من أواصر تقتضيها رابطة الدم بما وسوس به إلى إخوته فأطاعوه.

وقوله عليه السلام «إن ربى لطيف لما يشاء، إنه هو العليم الحكيم» يفيد معنى أن جميع ما كان من أحداث انتهت بخير حال له ولقومه هو من لطيف تدبيره تعالى يكون من أثر لطفه أن قضاءه ينفذ في كل صعب فتتحقق مشيئته، وتطبيق هذا على حاله وحال قومه يفيد أنه

لكونه تعالى أين تكون مصالح قومه وتكون مصلحته، فإنه أحكم تدبيره بحكمته لتنتهى الأحداث إلى تحقيق هذه المصالح، فهو العليم الحكيم .

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

التفسير:

بعد أن ذكر يوسف عليه السلام ما تفضل به الله عليه، وأحسن به إليه، فإنه توجه بالخطاب إلى الله تعالى ذاكرا أنعما له بما يفيد أن ذكره هو من قبيل الشكر على النعمة، ثم أعقب هذا بدعاء. بدأ بمناداته تعالى بقوله «رب» لإفادة معنى أنه تعالى متولى أمره وراعيه، ثم أقر بنعمة من نعمه تعالى عليه فقال «قد آتيتنى من الملك» والمعنى يقبل أن يكون الملك هو ملك مصر، آتاه الله بعضه وكان بعضه الآخر لآخرين منهم الملك، وقد يكون منهم أصحاب مناصب أخرى فى الحكم، ويقبل المعنى أن يكون الملك هو ملك مصر آتاه الله جميعه ـ وهو بعض الملك ـ لأن هناك ممالك أخرى لم يؤته الله ملكها .

ثم إنه ذكر نعمة أخرى أنعم بها الله عليه وهى تعليمه تأويل الأحاديث بمعنى تعبير الرؤيا، وقيل هو العلم بأسرار الكتب والصحف أوتى بعضها .

ثم إنه عليه السلام تضرع إلى الله من بعد وصفه بالربوبية بوصفه أنه فاطر السماوات والأرض الذى أنشأهما من العدم وأبدع خلقهما، ثم أعقب هذا بتقرير التجائه إليه بقوله «أنت وليى فى الدنيا والآخرة» فهو تعالى متولى أمره وناصره ينعم عليه فى الدنيا ويثيبه فى الآخرة بحكم ولايته له. وبعد هذا يتجه عليه السلام إلى ربه بالدعاء «توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين» يدعو أن يقبضه الله وهو على الإسلام، وهو الإيمان بالله وتوحيده وتسليم الوجه له، وأن يجعله مع الصالحين فى الرتبة والكرامة عند الله.

وقد يكون هذا تواضعا منه وهو نبى أن يطلب إلحاقه بالصالحين، وقد يكون المراد بالصالحين هم الذين صلحوا من آبائه وأولهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الذى طلب أن يموت على دينه ومنهم إسماعيل و إسحاق ويعقوب .

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾

التفسـير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ، يشير فيه تعالى إلى ما ذكر من أحداث قصة يوسف عليه السلام باسم الإشارة «ذلك» لبعدها فى الزمان، ثم يذكر تعالى أنها من أنباء الغيب أو أنه يخبر عنها من أنباء الغيب، بمعنى أن العلم بها كان غائبا عنه ﷺ وعن قومه أهل مكة، ثم أخبر عنها تعالى ثانية بأن العلم بها ـ وهى غيب ـ كان بطريق الوحى إليه ﷺ، وهذا دليل على أنه ﷺ نبى يوحى إليه من ربه .

ثم إنه لما كان محققا أنه عليه الصلاة والسلام لم يتوافر لديه العلم بأحداث القصة التى تلاها على قومه وعلى سائليه من اليهود عنها بطريق السماع من أحد ـ لعدم وجود أهل الكتاب فى مكة ـ ولا بطريق القراءة لكونه ﷺ أميا لا يقرأ ولا يكتب، فلم يبق إلا أن يكون قد عاصر الأحداث واتصل بأشخاصها.

ولهذا جاء قوله تعالى «وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون» وهو ذكر لحقيقة أريد بها إثبات أن علمه بالقصة إنما كان بطريق الوحى، والقول ينفى أنه ﷺ كان بصحبة إخوة يوسف عليه السلام حين تآمروا عليه وأجمعوا الرأى على أن يلقوه فى غيابة الجب مكرا به قصد التخلص منه .

وذكر هذه الحال أريد به التعبير عن عدم حضوره ﷺ أيا من أحداث القصة، لتأكيد أن علمه ﷺ بها كان بطريق الوحى من الله تعالى .

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ، والقول مرتبط بما قبله مما تعلق بإثبات أن علمه ﷺ بالقصة كان عن طريق الوحى، إذ كان رسول الله ﷺ - بعد أن أخبر سائليه عن القصة من أهل مكة أو المدينة الذين كلفهم يهود المدينة سؤاله عنها - يأمل أن يكون فى إخبارهم بها على النحو الذى وردت به فى السورة سببا يدعو أهل مكة أو عموم الناس - وفيهم اليهود - إلى الإيمان به رسولا مبعوثا من رب العالمين، وبالإسلام دينا فجاء قوله تعالى يعلمه أن أكثر الناس لن يتأثروا بما يرون من آيات تدل على صدقه ﷺ ونبوته، ولو بالغ فى إقناعهم بصحة ما يدعو إليه حرصا من جانبه على أن يؤمنوا، وذلك لعنادهم و إصرارهم على الكفر.

فيكون القول مدعاة لعدم حزنه ﷺ حين يرى إعراض الناس عن الإيمان مع ظهور الآيات التى تدعو كل ذى عقل إليه .

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - رسوله ﷺ بما يعلمه وهو أنه لا يسأل الناس أجرا على القرآن العظيم يتلوه عليهم أو السورة تلاها عليهم وفيها جواب ما سألوا، والمراد بهذا هو ذكر سبب يدعو إلى تصديقه ﷺ لدلالة عدم ابتغائه نفعا شخصيا يجنيه من وراء الإبلاغ بالقرآن العظيم.

ثم إنه تعالى يثبت للقرآن العظيم أنه تذكير منه تعالى وعظة للناس أجمعين - يدخلون فى عموم العالمين - والقول تأكيد لكونه صلى الله عليه وسلم لا يسأل عنه الناس أجرا، لأن الوعظ لا يكون مقابل أجر.

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾

التفسير:

القول فى هؤلاء الذين يصرون على الكفر رغم ما تلى عليهم رسول الله ﷺ من قرآن أو من السورة فيه خبر ما سألوا عنه، يذكر تعالى لرسوله ﷺ أنهم لإصرارهم على الكفر لا يؤمنون بالآيات عموما سواء المنزلة منه تعالى فى القرآن والتى هى فى الكون. فيقول تعالى «وكأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون» بمعنى وكم من آية فى السماوات والأرض لا يؤمنون بها، فهم يرون آيات عديدة منها ما هو فى السماوات من وجود الأجرام وسيرها وتغيرها، ووجودها فى مجموعات ثم فى مجرات، ومنها ما هو فى الأرض من جبال تحافظ على توازن الأرض ليكون دورانها حول نفسها على نحو معين يحفظها من الدمار، وبحار يكون منها الماء الذي يشربون بطريق التبخير، وما فيها من عجائب المخلوقات، يرون هذا جميعا ولا يؤمنون أن خالقه واحد هو الذى أرسل رسوله بالهدى. فلا يكون من هؤلاء عجيبا أنهم لا يؤمنون بالقرآن العظيم .

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى لرسوله ﷺ أن أكثر الناس ليسوا مؤمنين، فإنه تعالى يذكر له فى الآية أن أكثرهم يؤمن بالله حال إشراكه به، ومن هؤلاء الذين يؤمنون بوجود الله تعالى ثم يشركون بقولهم إن الملائكة بنات الله، أو بقولهم إن المسيح عليه السلام هو الرب أو ابن الرب، أو باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله يطيعونهم فيما خالفوا فيه حكم الله تعالى أو باتخاذهم الأصنام معبودات بدعوى أنها تقربهم إلى الله زلفى. وقيل إن هؤلاء هم المنافقون

يجهرون بالإيمان وقلوبهم منطوية على الشرك .

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٠٧﴾

أولا : الأســـــماء :

الغاشية : فى قوله تعالى «أفأمنوا أن تأتيهم غاشية» هى ما يغشى الناس فيكون عليهم مثل الغشاء، والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ العقوبة التى تغشى الكافرين، ويغلب أن تكون عقوبة الدنيا .

ثانيا : التفســــير:

قوله تعالى فى الذين لا يؤمنون مع ظهور الآيات الدالة على وحدانيته تعالى وصدق رسوله ﷺ، والذين لا يؤمنون إلا وهم مشركون. يقول تعالى فيهم «أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون» وعبارة القول استفهام إنكارى يتضمن معنى التوبيخ فهم لا يدركون أنه تعالى قد يعذبهم فى الدنيا بعذاب يغشاهم لا يفلت منه أحد، أو أن الساعة قد تبغتهم فلا يكون لهم وقت للتوبة فيكون لهم فى الآخرة العذاب الأليم فيه يخلدون .

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾

التفســــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ يرتبط بقوله تعالى «وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين» لأنه لما

كان ﷺ حريصا على هدى الناس فإنه كان يسيئه إعراضهم عن الإيمان، فأوضح له تعالى أن ما عليه هو أن يقول للناس «هذه سبيلي أدعو إلى الله» فتكون السبيل هى الدعوة إلى الإيمان وإلى التوحيد، جاء الإيمان من كون حرصه ــ فى الآية ـ على إيمان الناس «وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين» وجاء التوحيد من قوله تعالى «وما يؤمن أكثرهم إلا وهم مشركون». ثم إنه عليه الصلاة والسلام يقول لهم «أدعو إلى الله» فهو يبين لهم أنه يدعو إلى الله معرفا الناس بما لهم أن يعرفوا من كمال صفاته، وهو على الدليل القاطع والحجة الواضحة على ما يبين من قوله ﷺ «على بصيرة».

وقوله ﷺ «أنا ومن اتبعنى» فيه تأكيد لكونه على بصيرة وبيان لكون أتباعه أيضا على بصيرة فى إيمانهم.

ثم يجىء قوله ﷺ «وسبحان الله وما أنا من المشركين» إعلاما للناس أنه ينزه الله تعالى عما لا يليق بذاته العليا وعن الشرك به، وأنه ما كان فى وقت من الأوقات من المشركين.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ، جاء مبتدؤه بإخبار بواقع يتعلق بسنته تعالى فى إرسال الرسل، فبين تعالى أنه لم يرسل قبل محمد ﷺ ـ وهو آخر الرسل والأنبياء ـ رُسلا إلا وكانوا من رجال الإنس ومن أهل القرى ـ وهى الحضر ـ فدل تعالى على أنه لم يرسل إلى الناس رسلا من الملائكة ولا من الجن. ولم يرسل رسلا من النساء، كما أنه لم يرسل رُسلا من

أهل الباديـة، وربما كان اختصاصه تعـالى أهل الحضر دون أهـل البادية تكون فيهم الـرسالة لرقة قلوبهم مع جفاء قلوب أهل البادية، مـع تطلب التبليغ حلما وأناة فى نفس الرسول، وهو ما يفتقده البدو.

وبعد هـذا يأتى الخطاب متعلقـا بالمكذبين، جـاء فى صيغة استفهام إنكـارى ومتضمنا وعيدا لهم وتهـديدا «أفلم يسيروا فـى الأرض فينظروا كيف كان عـاقبة الذين مـن قبلهم» فهو تعالى ينكر عليهـم عدم النظر فى أحوال الذين كـذبوا الرسل من قبلهم مما تـدل عليه آثارهم فى الأرض والاتعاظ بهـا، فيكون من ذلك المعرفة بـالسؤال مثل السؤال عن عاقبـة قوم نوح، والمعرفة بالمعاينة مثل معاينة آثار قوم لوط وقوم صالح وقوم هود عليهم السلام.

ثم يجىء بعد هـذا إخبار ونصح موجه إلى المـؤمنين ـ فى مقام أول ـ وإلـى جميع الناس من بعدهم، كما يبين مـن قوله تعالى «ولدار الآخرة خير للذين اتقـوا، أفلا تعقلون» فيه إخبار وإعلام بأن الآخرة أفضل مـن الدنيا وما فيها من متاع ومتع، تكون بخيرهـا هذا الدائم الخالد للذين يتقون غضب ربهـم فيعملون بالطاعات وينتهون عن المعاصى.. ثـم إنه لما كان متاع الدنيا مـن شأنه أنه محبـب إلى النفس البشريـة عموما، فقد جـاء قوله تعالـى «أفلا تعقلون» موجها ـ فى مقام أول ـ إلى المؤمنين الذين خوطبوا به، تنبيها لهم حتـى لا يخدعوا فى الدنيا بمتاعها، وللناس كافة من بعدهم، لعلهم يعقلون.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١١٠﴾

التفســـــير:

يرتبط معنـى قوله تعالـى ـ فى الآية ـ بما جاء بقولـه تعالى فى الآيـة السابقة من إرسـاله الرسل من رجال البشر من أهل الحضر جريا على سنته تعالى فى هذا، فيخبر تعالى ـ فى الآية

ـ عن أمر آخر مما جرت عليه سنته، وهو أنه تعالى يمهل المكذبين من أقوام الرسل ولا يعجل لهم العذاب، ويظل الرسل قائمين على الدعوة ويبقى الكافرون الذين صدت قلوبهم عن الإيمان على كفرهم إلى أن يصيب الرسل اليأس من إيمان المكذبين، واعتقادهم أنهم قد كذبوا، والمراد باعتقادهم هذا يتصور فيه أن يكون من هواجس القلب وحديث النفس، ويتصور فيه أن يكون الاعتقاد فى تكذيب الأتباع إياهم حين يرون تأخر نصرهم على الكافرين، ثم يكون منه تعالى إذا ما بلغ الأمر هذا الحد أن ينصر الرسل والذين آمنوا معهم نصرا يظهر به الحق على الباطل، يبين من قوله تعالى «فنجى من نشاء» أنه يكون عذابا فى الدنيا يهلك به المكذبون، وأنه يكون عذابا يغشاهم لا يغادر منهم أحدا، ينجى الله منه رسله والذين آمنوا معهم ـ فهم المقصودون بقوله تعالى «من نشاء» ـ وبعد هذا جاء قوله تعالى «ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين» جاء فيه التعبير عن عذاب الإهلاك بأنه «البأس» لشدة هوله وخطورة آثاره، أثبت تعالى أن شيئا ما لا يرده عن المكذبين، فلا يرده عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله، ولا يرده عنهم توبتهم بعد أن يأتيهم بغتة. وفى القول وصف تعالى المكذبين بأنهم المجرمون.، فبين أن تكذيب الرسل جريمة كبرى تستأهل عقاب الدنيا وعذاب الآخرة.

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ العبرة : فى قوله تعالى «لقد كان فى قصصهم عبرة» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ الفكرة، والتذكرة، والعظة

٢ ـ الألبــاب : جمع، مفرده «اللب» هو الخاص من الشـىء. والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ ما زكى من العقول، أو العقول الواعية المدركة.

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن قص تعالى ـ فى السورة ـ خبر يوسف عليه السلام و إخوته، جاء قوله تعالى «لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب» فيكون الأقرب إلى المعنى أن الضمير فى «قصصهم» يعود إلى يوسف عليه السلام و إخوته، ثم إن عمومية العبارة تسيغ أن يفهم منها أن الضمير يعود على جميع الرسل وأقوامهم والمستفاد من عبارة الجملة هو أن قصص هؤلاء ــ كما وردت فى القرآن العظيم ـ قد تضمنت ما يجد فيه أصحاب العقول الواعية العظة والتذكرة، فيتجنبون الشرور والآثام التى قارفها المخطئون المذكورون فى هذه القصص، و يتمثلون الصالحين فيها فى أعمالهم.

ثم يجىء قوله تعالى «ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» وهو فى شأن القرآن العظيم الذى تضمن فيما تضمن قصص الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم، فينفى تعالى أن يكون حديثاً مفترى عليه تعالى، وذلك بنفيه قابليته لأن يكون حديثا مفترى، لأنه ليس فى مقدور الإنس والجن ولو اجتمعوا أن يأتوا بمثله. ثم بإثبات أنه جاء مصدقا الذى بين يديه، والمراد بهذا أنه جاء مصدقا التوراة والإنجيل وما أنزل على الأنبياء من الصحف والكتب، يتمثل التصديق فى تصديقه بالعقيدة التى وردت بها الكتب والصحف وهى الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، وبكونه جاء موافقا ما بشرت به الكتب من نزوله على نبى من أبناء إسماعيل عليه السلام فى أرض قيدار ينزل عليه وحيا من السماء فيبلغه شفاهة لكونه أميا لا يقرأ ولا يكتب ـ على ما سبق تفصيله ـ ثم إنه يكون «تفصيل كل شىء» إذ تضمن تفصيل أحكام الدين على النحو الذى يصح به الإيمان وتصح به العبادة، كما تضمن تفصيل أحكام المعاملات بين المجتمعات البشرية وداخل المجتمع الواحد، وسن قواعد التجريم والعقاب و إجراءات التقاضى مما يكون به تنظيم أمور الدنيا. فكان بهذا هو الهدى من الضلال، والرحمة من الله تعالى بخلقه فى الدنيا

والآخرة، إذا ما تـم اتخاذه دستورا يعمل بـه بإيمان؛ ولذلك جـاء قوله تعالـى «وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» خص المؤمنين به بالانتفاع به هدى ورحمة دون غيرهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرعـــد

فى أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها في ترتيب المصحف «سورة يوسف» .

قيل فى أوجه الصلة بين السورة وبين سورة يوسف ما نوجزه فيما يلى :

١ ـ إنه تعالـى أشار فى إجمال إلى آياته فـى السماء والأرض بقوله تعالى «وكـأين من آية فى السمـاوات والأرض يمرون عليها وهـم معرضون»، وفى السـورة جاء تفصيل هـذه الآيات على نحو دقيق .

٢ ـ أشار تعـالى إلى وجوب تـوحيده وأفضلية التوحيـد على تعدد المعبودات علـى لسان يوسـف فى قولـه تعالى فـى سورة يوسف «أأربـاب متفرقون خيـر أم الله الواحد القهـار». وفى السورة جاء بيان ما يستوجب توحيده تعالى على نحو مفصل .

٣ ـ جاء ختام سورة يوسف فى القرآن العظيم، وجاء مبتدأ السورة فى القرآن العظيم أيضا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ①

التفسـيـر:

بدأت الآية بـأسماء الأحرف «الٓمٓر» وقـد سبق القول فيها وأن الـراجح أنها من المتشـابه،

وقوله تعالى «تلك آيات الكتاب» أشير فيه إلى السورة باسم الإشارة «تلك» لبيان سموها وعلو قدرها، وصفها تعالى بأنها آيات الكتاب، والمراد أنها من آيات القرآن العظيم، وصف بأنه الكتاب لبيان أنه وحده الجدير بأن يوصف بهذا إلى ما أطلق اللفظ، لأنه الناسخ ما قبله والمهيمن. ثم جاء قوله تعالى «والذى أنزل إليك من ربك الحق» جملة خبرية، المبتدأ فيها هو «الذى أنزل إليك من ربك» وخبره هو «الحق» فيه بيان لأن القرآن العظيم قد أنزل إلى رسول الله ﷺ المخاطب بالقول، وإخبار عنه بأنه الحق، فدل القول على أن عدم الإيمان به والعمل، والتمسك بغيره يكون ابتعادا عن الحق وتمسكا بالباطل .

وجاء قوله تعالى «ولكن أكثر الناس لا يؤمنون» مبينا أمرين، أولهما أن أكثر الناس ـ وقيل فيهم إنهم أهل مكة، وقيل هم اليهود والنصارى ـ والمقبول أن النص يتعلق بالناس جميعهم فى كل زمان ومكان، ذكر تعالى أنهم لا يؤمنون بالقرآن العظيم. وثانيهما هو أن الذين لا يؤمنون بالقرآن العظيم يكونون على غير دين الحق، أى أنهم يكونون على الباطل .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾

التفسير

يذكر تعالى فى مبتدأ الآية آية من معجزات خلقه بقوله تعالى «الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها» بمعنى أنه تعالى أوجد السماوات من مبتدأ خلقها مرفوعات بغير دعامات تحملها كما أنكم ترونها. ويمكننا القول بأنه لما كان الناس لا يرون من السماء إلا ما هو فى السماء الدنيا من النجوم والكواكب، فإنه يكون مما أبقى هذه على حالها بإرادة الله الجاذبية،

وهذه لا ترى بالعين، ولـم يكتشف العلم أمرها إلا بعد نزول القرآن بأكثر مـن ألف سنة. ثم إنه تعالى أثبت أنه استوى على العرش ـ وقد سبق بيان معناه ـ والمعلوم أن العرش كان قبل خلق السماوات، فلا تفيد «ثم» فى عبارة القول ـ الترتيب الزمنى .

ثم يقول تعالى «وسخر الشمس والقمر كل يجـرى لأجل مسمى» بمعنى أنه تعالى ذللهما لأمره فكانا على نحو ما أراد يسير كل منهما فـى منازل ودرجات إلى وقت معين يكون شأنهما ببلوغه ما شاء. والمعلوم الآن هو أن كلا من الشمس والقمر يطوف فى فلك خاص به، وأنــه ـ شأنه شـأن سائر الأجرام السماوية ـ يسبـح فى الغاز الكونى المنتشر فـى أرجاء الكون، يدور القمر حـول الأرض، تجذبـه الأرض إليها فـى اتجاه مركـز الدوران، ويتغلـب القمر علـى قوة الجذب بقـوة أخرى مساوية ومضـادة تعرف بالقوة المـركزية الطـاردة وهى التى يتأثـر بها أى جسم متحـرك فى مسار دائرى، فيكـون تعادل القوتيـن ليظل القمر دائرا فـى مداره فى حـالة اتزان إلى ما شاء الله لا يقع على الأرض.

كذلك فإن الشمس تنتقـل فى الفضاء وهى تجر معها كواكبها التى تدور حـولها ـ على ما أثبته العلم حـديثا ـ وقد ثبـت أنها تجرى بسرعـة تسعة عشر كيلو متـر فى الثانية فـى الفضاء الكونى نحو نقطة فى كوكب هرقل تجاور نجما يسمى «فيجا» ويسمى بالعربية «النسر»، وهذه النقطة تسمى علميا «مستقـر الشمس». تظل الشمس تجرى علـى هـذا النحو إلى أن يشاء الله لها ما يشاء فى أجل مسمى عنده .

ثم يقول تعـالى «يدبر الأمر يفصـل الآيات لعلكم بلقاء ربكـم توقنون». فهو تعالـى يدبر جميع أمور خلقـه عظم أم حقر، فى السمـاوات وفى الأرض، ويفصل آيات خلقـه فى الكون، كما يفصل آيات كتابـه العظيم، فهو تفصيل ما ورد بها من قصص وأحكـام وعقيدة، كما أنها تنزل لتكون آيـة من بعد آية ليتـم تدبرها. وجميـع هذا من آياتـه فى الخلق ومن آيـات القرآن العظيم من شـأنه أن يقنع أصحاب العقول بأنـه تعالى قادر على أن يعيد خلقـه بعد الممات فيلقونه ليكون حسابهم، ولهذا خاطب تعالـى الناس بقوله «لعلكم بلقاء ربكم توقنون» فيكون المأمول منهم هو التيقن من العودة ومن الحساب، فيكون منهم الإيمان والعمل الصالح

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾

أولا : الأســـــماء :

الرواسى : فى قوله تعـالى «وجعل فيها رواسي» جمع ، مفـرده «راس»، و«راسية»، والمراد بها ـ فى معنى الآيـة ـ الجبال، ترسو بها الأرض ـ بمعنى تثبت ـ مـن «الرسو» و«الإرساء» وهو الثبوت .

ثانيا : التفســــــــير:

يذكـر تعالـى ـ فى الآيـة ـ آية أخـرى من معجـزات خلقه فى الأرض، فهـو تعالـى خلقها مبسوطة طولا وعرضا لسعة أقطارها، وآية الإعجـاز فى هذا أنه مع ثبوت كروية الأرض أن الماء فى الأنهـار يجرى كأنه يجـرى على سطح منبسط، ثـم إنه تعالـى جعل فيها جبالا يكـون بها ثبات الأرض كما أوجد فيهـا أنهارا. أما كون الجبال رواس فيفسره العلم الحـديث، فالمعلوم أن أى جسم يدور حول محور مثل الأرض لا يضطرب إلا إذا كـان هناك تماثل فى الكتلة حول هذا المحور، وهذا هو ما تفعله الجبال وزعها تعالى شأنه فى الأرض بحيث تتماثل فى الكتلة على جانبى محور الدوران، ويرتبط بهذا ويكون له أثر عوامل أخرى ثانوية أهمها حركة الجزء السائل فى جوف الأرض أثناء الـدوران وحركة المد والجزر، وهذا جميعه يتدخـل فى إحداثه الأنهار؛ ولهذا جاء ذكرها مع ذكر الجبال لدى إثبات دور الجبال فى ثبوت الأرض فسبحان الله العظيم فيما دبر وسبحانه فيما أخبر به فى قرآنـه قبل أن يعرف العلم حقيقة المخبر به بأكثر من ألف سنة .

ثم إنه تعالى يـذكر أنه خلق فى الأرض من كل الثمرات التـى يحتاجها الخلق لمعيشتهم

زوجين اثنين يكون منهما بعـد ذلك التكاثر والتنوع. ثم أتبع هذا بذكره أنـه تعالى يغشى الليل النهار، بمعنى أنـه يجعل الليل يغشى النهار فيلبسه فيكـون الظلام من بعد الضوء ـ وقد سبق الحديث فى هذا علميا ـ.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن فى ذلـك لآيات لقوم يتفكرون» هو بيان لواقع ما يفترض أن يؤدى إليه العلم بالملاحظة بروائع إبداعه تعالـى خلقه وتدبيره من إيمان به تعالى وتوحيد، و إيمان بالكتـاب الذى تضمن ذكر الآيات المتضمنة إبـداعه تعالى خلقه، وبالـرسول الذى أنزلت إليه، ثم ذكر واقع أن الذين يتدبرون هذه الآيات فيؤمنون هـم الذين يتفكرون .

وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

أولا : الأســــماء :

الصنوان: فى قوله تعالى «صنوان وغير صنـوان» جمع، مفرده الصنو، وهو الشبيه أو المثل، وأصله هو الفرع الذى يجتمع مع فرع آخر فى الأصل الواحد، يكون مشابها إياه .

ثانيا : التفســــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ دليلا آخر من دلائل إعجازه فى الخلق، هو اختلاف ما يفترض فيه التماثل لحكمة لديه تعالى تتحقق بها مصالـح خلقه. فيذكر تعالى أنه تكون فى الأرض قطع ومساحـات يجاور بعضها بعضا، ومـع ذلك يكون بينهـا اختلاف كبير، يشمل هـذا الاختلاف قشرة الأرض الخـارجية فيكون سطح البعـض منها تربة طينيـة تصلح للزراعة، ويكـون سطح المجاور لها تـربة سبخة، أو صخورا لا تكـون معه صالحة للـزراعة، فضلا عن اختـلافها بعد

ذلك فى مكونات القشرة من صخور رسوبية، وجرانيتيـة وبازلتية. ثم يذكر تعالى أنه أوجد فى الأرض البساتيـن المحتوية أشجار الكـرم والحقول المزروعة بهـا أنواعا النباتـات والحبوب، وأوجد النخيـل، وجميع هـذا منه ما يشـابه بعضـه بعضا، ومنـه ما لايشابـه بعضه الآخـر رغم كونهما من نـوع واحد، وعلى كونهما يسقيان مـن ماء واحد سواء أكان بطريـق الرى، أم على المياه الجوفية، أم على الأمطار، مما كان مفترضا معه التماثل بينهما، فيكون الاختلاف آية من آياتـه تعالى، ثـم إنه تعالـى يذكر أنـه يكون مـن مظاهر اختـلاف بعضها عن الآخـر أن يكون البعض منها مفضلا لدى الآكلين على البعض الآخر، والمقصود بهذا هو ثمار المزروعات.

وقولـه تعالى ـ فـى ختام الآية ـ «إن فى ذلك لآيـات لقوم يعقلون» ذكرا لحقيقـة وهى أن أصحاب العقـول الذين يعملون عقـولهم ولا يصرون علـى الكفر يفترض فيهم أن يعلمـوا من معاينة هذه المعجـزات فى خلقه تعالى أنه الـواحد القادر المدبر الذى أحكـم خلقه، فيكون منهم الإيمـان الصحيح. ويفهـم من القـول ـ بمفهـوم المخالفـة ـ أن الـذين لا يكـون منهم الإيمان بعد معاينة هذه الآيات العظيمة فى الخلق هم الذين لا يعقلون .

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾

التفسـيـر:

الخطاب ـ فـى الآية ـ إلى رسـول الله ﷺ، وقوله تعالـى له «وإن تعجب» يفيد أنـه ﷺ قد تملكه العجب من كون الكفار لا يؤمنون له، فجاء قوله تعالى «فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد»، مفيدا معنى أن الذى يستوجب التعجب هو إنكار الكافرين أنه يكون هناك نشور وبعـث من القبور وحساب وثـواب وعقاب بعد المـوت، من بعد رؤيتهم آيـات الله فى

خلقه التى تثبت أن القادر على هذا يكون بعث الأمـوات من القبور أهون عليه مما خلق. جاء التعبير عن إنكارهم هذا بإثبات قولهم «أئذا كنا تـرابا أئنا لفى خلق جديد» وهو منهم استفهام إنكارى أنكروا بـه أن يكون لهم من بعـد موتهم وصيرورتهم تـرابا بعث جديـد وعودة. فيكون القول فى منكرى البعث من الكافرين.

ثم إنه تعالى يثبت فى حق هؤلاء أنهم الذين كفروا بربهم، لأن إنكارهم قدرته تعالى على إحياء الموتى هو إنكار لألوهيته، لأن الإله الحق لا يعجـز عن شىء، ثم إنهم بإنكارهم البعث يكونون قد كذبوا رسله وكتبه تعالى شأنه فهم الذين كفروا بربهم.

وقوله تعـالى «وأولئك الأغلال فى أعناقهـم» يتصور فيه أن يكون المعنى مجـازيا، فيكون الكفر الذى تعلقـوا به وعلق بهم فحـال بينهم وبين الإيمان مشبهـا بالأغلال التى قيـدت بها أعناقهم فـلا يستطيعون حراكا؛ ولهذا فإنهـم قيدوا بالكفر لا يخلصون منـه، ويتصور أن يكون معنى الأغلال فيـه على الحقيقة فيكون القـول متعلقا بالآخرة إذ تـوضع الأغلال في أعنـاقهم على ما يبين من قوله تعالى «إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل».

ثم يقـول تعالى «وأولئـك أصحاب النار هـم فيها خالـدون» أثبت فيه تعـالى أنهم الـذين يصاحبون نار الآخرة لا يفارقونها ولا تلفظهم، وأنهم فيها يخلدون.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾

أولا: الأســـــماء:

المثـــلات: جمع، مفرده «المثلة» وهى العقوبة التـى تمزق الأعضاء فتفضح المعاقب، يقـال «مثل بـالجثة» بمعنى مـزقهـا أو قطع أوصـالها. وقيـل هـى المماثلـــة بين الخطـأ وعقوبتـــه.

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى ــ فى الآية ـ فى الكافرين الذين أنكـروا البعث، والخطاب إلى رسول الله ﷺ، يذكـر تعالى فيه مـا كان منهم مع رسـوله ﷺ فهم يستعجلونـه أن ينزل بهم العقاب الـدنيوى الذى توعدهم به، ويكون ذلك منهم قبل انتهاء الأجل الذى أمهلوا فيه من العذاب وهو حسنة أحسن بها الله إليهم إذ لم يعجل لهم العذاب لعلهم يكون منهم من يؤمن فينجو من العذاب. ثم إنـه تعالى ينكر عليهـم هذا بقوله «وقـد خلت من قبلهـم المثلات» بمعنى أنه قـد وقعت ومضت العقوبـات الدنيوية التى أهلكـت المكذبين بالـرسل من قبلهم مما كـان مفترضا أن يكون لهـم فيه دليل على صحـة ما توعدوا بـه. فيكون القول استهجانـا لسلوكهم وقولهـم ما قالـوا.

ثم يجىء قوله تعالى «وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب» ليبين أنه تعالى صـاحب المغفرة العظيمة يغفر للناس بها ما ظلموا بـه أنفسهم من المعاصى والذنوب التى ارتكبوها إن شـاء. والمستفاد من القول ـ على ظاهره ـ أنه تعـالى يغفر الذنوب جميعها ـ إن شاء ـ بغير توبة، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وقيل إن المراد بالمغفرة هو ستر الذنوب على مرتكبيها فى الحياة الدنيا دون العقاب عليها فى الآخرة، وهذا ما لا دليل عليه. وقيل إنه تعالى يغفـر الصغائر بغير توبة ويغفر الكبائر بالتوبة. والجمهـور على أنه تعالى يغفر لمن شاء الكبائر والصغائر ولو بغير توبة ما لم يكن كافرا.

ثم إن القـول يفيد أنه تعالـى يعاقب المصـرين على الكفـر أشد العقاب يوم القيـامة وإن أمهل الكافرين، فيكون القول إثباتا لتحقق وعيده.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

التفســـــير:

قوله تعالى فى المكـذبين بيوم الدين وبالبعث والنشور، وصفهم تعالـى بأنهم الذين كفروا

لسبق وصفه تعالى إياهم بأنهم الذين كفروا بربهم. يثبت تعالى عليهم قولهم «لولا أنزل عليه آية من ربه» والمعنى هو أنهم لا يكتفون بالقرآن العظيم آية تدل على صدقه ﷺ، وأنهم يطلبون أن تكون له آية من قبيل ما أنزل على موسى وعيسى عليهما السلام من قبله وهما: العصا، و إحياء الموتى و إبراء المرضى.

ثم إنه تعالى يتولى عن رسوله ﷺ الرد عليهم، ولا يمنع هذا من أن يرد عليهم رسول الله ﷺ به، وهو أن ما أرسل به هو الإنذار بسوء عاقبة الكفر، فليس له أن يأتي بالمعجزات ولا أن يسأل الله تعالى أن يؤيده بنوع منها على وجه الخصوص. ثم إنه تعالى يبعث لكل قوم رسولا يهديهم إلى الحق يدعمه بالآيات التي توافق أهل زمانه والمبعوث فيهم، فيكون القول دالا على أن القرآن العظيم هو الآية التي تناسب قومه ﷺ الذين عرفوا بالبلاغة واشتهر فيهم قول الشعر على أنه أعلى صورها فكان طبيعيا أن تكون آيته ﷺ ما تقصر دونه بلاغة القوم ويقزم إلى جواره ما رفعوا مقامه من الشعر.

ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨

التفســــير:

قوله تعالى - في الآية - مرتبط بسؤال الكافرين أن ينزل تعالى إلى رسوله آية من قبيل ما أنزل إلى موسى وعيسى عليهما السلام، فذكر علمه تعالى بكل شيء يفيد أنه تعالى جعل القرآن العظيم هو آية محمد ﷺ لحكمة تتعلق بالهداية التي يقوم عليها الأنبياء والرسل فهو تعالى يعلم أن من شأن آيته هذه - وهي القرآن العظيم - أن يهتدي للحق الذين اختاروا الإيمان وفضلوه على الكفر لأنه تعالى المحيط بكل شيء علما. وفي علمه تعالى جاء قوله «الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد» فهو تعالى يعلم كل شيء من أمر ما

تحمل كل أنثى من حيوان أو بشر، فيعلم عما تحملـه إناث البشر نوع ما فى رحمهـا منذ بدء تكوينه أيكون ذكـرا أم أنثى، شقيا أم سعيدا، صحيحا أم مريضا، صالحـا أم طالحا. ولا يقال إن الطبيب اليوم يستطيع بواسطة أجهزة الأشعة أن يعـرف نوع الجنين، فهو لا يعلم هذا إلا بعد بلوغ الحمـل مرحلة معينة، ولا يعـرفه فى مبتدأ تكـوينه، ثم إنه لا يعـرفه بنفسه وإنما بـواسطة جهاز مخترع بإذنه تعالى فيكون العلم الذى أوجـد الجهاز والذى علم به الطبيب هو من علمه تعالى علمه نفرا من عباده،ثم إنه لا يتعلق إلا بنوع المولود دون غيره مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

ثم إنه تعالى يثبت أنـه يعلم ما تنقص به الأرحام وما تزداد، يدخل فـى النقص ما ينزل من بعض النساء فـى حملهن من دم من الـرحم شبيه بالحيـض، وما تلفظه الأرحام قبـل اكتماله بالإجهاض، وما يـولد من الأجنة قبل اكتمال مدة الحمـل. ويدخل فيما به تزداد مـا يزيد من الحمل على التسعة الأشهر، وما يكون من التوائم فـى الأرحام، ويدخل فيه ما يكون من زيادة فى أطراف الجنين يولد به .

ويجىء قوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ «وكل شىء عنده بمقـدار» لإثبات أن كل شىء فى الوجود، يـدخل فيه ما تعلق بنقصان الأرحـام وازديادها مقدور عنده بقـدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه، يدخل فى هذا كمه ونوعه وزمنه .

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾

التفســـــير:

القول يتعلق بعلمه تعالى الذى جاء ذكر بعض ما يشمله فى الآية السابقة، جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ بمثابة مدح له، فهو عالم كـل شىء عما غاب عن البشر العلم بـه أو معرفته، فلا غيب عليه تعـالى، وهو عالم كل مشهـود لهم لا يعلمون عنه إلا بما شاء لهـم أن يعلموا. وهو تعالـى الكبير الشأن يصغر إليـه ويدنو كل كبيـر سواه، وهو المتعالـى المستعلى بذاته فـوق ما يعلو به الخلق، وفوق ما يدعيه المشركون .

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠﴾

أولا : الأســـــماء :

السارب : فى قوله تعالـى «وسارب فى النهار» المراد به ـ فى معنى الآيـة ـ هو الظاهر، لأن السارب اسم فاعل من سرب، وهو السائر فى سرب أو فى طريق، يكون ظاهرا مرئيا .

ثانيا : التفســــــير:

بعد أن ذكر تعـالى أنه عالم الغيـب والشهادة فإنه أورد تعالـى ما يفيد علمه بالخـافى من أمور عباده والظاهر منه فأثبت أنه يتساوى لديـه تعالى فى علمه ما يكون من القول الذى يسره المرء فى نفسـه أو يحدثها به لا ينطق بـه، وما يكون منه مـن قول يتلفظ به، يكون هـذا معلوما لديه تعـالى، كما أنه يتسـاوى لديه فى العلـم به أن يكون المرء قـد بالغ فى إخفـاء نفسه عن الغير فى ظلام ليل، وأن يكـون سائرا فى طريق فى وضح النهار. فالقـول فى بيان أن شيئا ما لا يخفى عليه تعالى .

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾

أولا : الأســـــماء :

المعقبات : فى قوله تعالى «له معقبات من بين يديه» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ ملائكة

الحفـظ، واللفظ جمـع مؤنـث، مفرده «المعقبـة» وأصله مـن «العقب» فهـم يتعقبون المـرء لحفظه، وقيل إنهم يتعقبون ويتبعون أفعاله وأقواله ويحفظونها بكتابتها.

ثانيا : التفســــير:

قولـه تعالى في المـرء الذى يسر القـول أو يجهر به، والـذى يستخفى بالليل ويسـرب فى النهار، فكأنه فى جنس البشر، يذكر تعالى أنـه يكون لواحد منهم ملائكة يتبعونه ليحفظوه، أو إنهم يتبعونه ليثبتوا ما يفعل وما يقول بالكتابة ليحفظوه له أو عليه، ذكر تعالى أنهم يكونون من بين يديـه ومن خلفه، والمراد بهذا إثبات أنهـم يحيطون به من كل جانـب، أو أنهم يحفظون جميع أعمال ما قدم منها وما أخر.

ثم إنه تعالـى يذكر أن حفظ الملائكة الواحـد من جنس البشر إنما هو كائن بـأمره تعالى، فهو تعالى الذى أمرهم بحفظه «يحفظونه من أمر الله» فيكون المعنى أنهم يحفظونه بسبب أمر الله. وقيل إنـه من الحفظ أنهـم يستغفرون له إذا أخطـأ أو يستمهلون الله تعـالى فلا يعجـل له العذاب، أو إنهم يطلبون له المغفرة .

وبعد أن بين تعـالى علمه بجميع أحوال العباد وأنـه كلف بهم ووكل ملائكـة يحفظونهم فإنه تعالى أوضـح وجوب الصبر على الطاعة والانتهاء عن المعـاصى فقال «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» فبين تعالى أنه لـو كان قوم أو فرد على معصيته تعالى ثم تحولوا عن المعصيـة أو تحول إلى طاعتـه فإنه تعالـى يتحول لهم عما يكـرهون من العذاب إلـى ما يحبون من رحمته. وأنه لو كان قوم قائمين على ما يحب تعالى من الطاعة ثم تحولوا عنها إلى ما يكره مـن المعاصى، فإنه تعـالى يتحول عليهم عما يحبـون من رحمته إلى ما يكـرهون من عذابه.

وقوله تعالى «وإذا أراد الله بقـوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه مـن وال» يرتبط بما سبق ذكره من أنه تعالـى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فيكون القـول متعلقا بهؤلاء الذين يتغير حالهم مـن الطاعة إلى العصيان، فيكون منـه تعالى إنزال السوء بهم يـريده لهم، فيكون القول مفيدا ضـرورة وقوع السوء الذى أراده لهم بهـم، لا يرده عنهم راد، لأنه لا يكـون لهم من

دون الله تعالى ولى يتولى أمورهم ويقوم عليها بما يحميهم من عذابه تعالى، إذ لا يقدر على هذا أحد.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾

التفسير:

الآية أيضا فى ذكر آية من آيات خلقه، يذكر تعالى أنه يوجد البرق فى السماء فيخشى الناس أن يكون مؤداه أن تصيبهم صاعقة.

وآية الله فى هذا أن ذلك يكون نتيجة التفريغ الكهربى بين السماء والأرض حين يكون السحاب قريبا من الأرض مشحونا بشحنة كهربية عالية، يحدث التفريغ بين السحابة وبين جسم مرتفع على سطح الأرض وهو ما يكون صاعقة.

وكما يكون من الناس الخوف فإنه يكون منهم الطمع فى نزول الغيث.

فيكون للأمر الواحد فى النفس البشرية أثران مختلفان هما الخوف والأمل، وهذا من معجزاته تعالى.

ثم يقول تعالى «وينشىء السحاب الثقال» وهو الغمام الذى ينسحب فى السماء محملا ببخار الماء. والقول يدل على أنه يخلق تعالى نوعا آخر من السحب وهى المعروفة علميا بالسحب البساطية.

وهى خلاف السحب الركامية التى تجود بالبرَد وفيها تتكون ظواهر البرق والرعد .

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

أولا : الأســــماء :

المحـــال : هو المكر، والمكر من الله تعالى يكون بالتدبير بالحق .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى البرق يـريه الناس فيكون سببا لخوفهم ولطمعهم، فإنه تعـالى ذكر الرعد الذى يحدث نتيجـة التمدد الفجائى للهواء فى المنطقة المفـرغة حين ترتفع كميـة الكهرباء على السحب المتراكمة فتؤدى إلى حدوث تفريـغ كهربى هائل يحدث ظاهرة البرق، فيتمدد الهواء فجأة فى المنطقة المفـرغة فتبرد برودة شديدة ويكون من شـأن التمدد الفجائى للهواء إحداث الصوت المسمى بالرعد، يذكر تعالى أن هذا البرق يسبح بحمده تعالى، والمراد بهذا أن الذين يسمعون الرعـد يتلبسون بتسبيح الله تعالى، كما أن الملائكة يسبحـونه تعالى، وهم يسبحونه تعالى خيفة وهيبة، وهى غير خيفة البشر وهيبتهم الله تعالى.

ثم يقول تعالـى «ويرسل الصواعق فيصيب بهـا من يشاء وهم يجادلون فـى الله وهو شديد المحال» والمعنـى أنه تعـالى يرسـل الصواعق وهـى شحنات كهـربية عاليـة إلى مـن يشاء ليصيبه بها فتهلكه، ويكـون ممن تصيبهم الصواعق بإذنـه تعالى الذين كفروا بـالله ورســوله وآياته، يصيبهم تعالى بالصواعق حال مجادلتهم فى شأنه تعالى كما أخبر عنه رسول الله ﷺ، يفعلون ذلك مع كـونه تعالى شديد المحال، فـإذا كان جدال الكافرين مكرا منهـم به تعالى، فـإنه تعـالـى بكمال تـدبيـره الحق أشـد منهـم مكـرا، جازاهـم بمكـرهم وكفـرهـم هلاكـا بالصاعقـــة .

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾

التفسير:

القول فى الآية فى ذاته تعالى شأنه رب العباد، يقول تعالى عن نفسه «له دعوة الحق»، فالدعاء الحق لايكون إلا لله تعالى وليس لغيره، ويكون حقا لأنه يتوجه به إلى من يملك تحقيق الدعاء. وقوله تعالى «والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلاكباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه» هو ذلك ضد الشيء، فهو فى أمر الدعاء والتوجه به إلى غيره تعالى، فالمراد بالدعاء هو دعاء المشركين لايكون حقا لأنه توجه إلى ما لا يملك أن يجيب الداعى بشيء مما طلب مهما صغر وحقر، ثم إنه تعالى شبه من يدعو من دون الله شيئا من المعبودات بمن يبسط كفيه إلى الماء وهو بعيد عنه، يدعوه أن يأتيه فيبلغ فاه، ولما كان حدوث هذا هو المستحيل عينيه فقد قال فيه تعالى «وما هو ببالغه» ثم جاء تطبيق المثال فى التشبيه على حال الكافرين الذين يطلبون المستحيل بدعائهم غير الله تعالى مما يعبدون، فقال تعالى «وما دعاء الكافرين إلافى ضلال»، فأثبت أنه باطل، وأن مآله هو الضياع .

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿١٥﴾

أولا : الأسماء :

الآصال : جمع، مفرده «الأصيل» وهو ما بين العصر والمغرب .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى فى إثبات وجوب الخضوع إليه وحده وإفراده تعالى بالعبادة، فيكون المستفاد من القول هو النهى عن الشرك. فقوله تعالى «ولله يسجد من فى السماوات والأرض» يفيد أنه إليه تعالى وحده يسجد العقلاء ممن هم فى السماوات وفى الأرض، فيشمل القول بطريق مباشر الملائكة، والإنس والجن، ويشمل غير العقلاء ــ بطريق غير مباشر ـ لأن ذكر من

يعلوهم يتضمن دخـولهم بالتبعية فى عداد السـاجدين. ثم إنه تعالـى يبين أن سجود العقلاء فى السماوات والأرض يتم طوعا أو كرها، يكون السجـود عن طاعة أو تكون العبادة عن طاعة إذا ما كانت بالاختيار، يجد فيها العابد راحته وحبه، وتكون كرها إذا ما كان منقادا لما أراده الله له خاضعا لمشيئته تعالى وتقديره .

ثم يثبـت تعالى أن ظلال العقـلاء تسجد له أيضا، والمـراد بأصحاب الظلال هـم الإنس وحدهم، وجاء التعبير عن ظرف السجود بأنـه الغدو والآصال لبيان أنه يكون فى جميع أوقات اليوم .

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالـى آياته فى الخلق فى السمـاوات والأرض وأن من فى السماوات والأرض يسجدون لـه طوعا أو كرهـا، فإنه تعـالى خاطب رسـوله ﷺ فى أمـر هؤلاء المشركين الـذين يدعون مـن دونه معبوداتهم فقال لـه «قل من رب السماوات والأرض قل الله» يـأمره أن يسأل المشركين عن خالق السماوات والأرض ومن فيهن وما فيهن، ثم يأمره أن يجيب على السؤال بقوله إنه الله، لبيان أن هذا هو ما يجب أن تكون به الإجابة على السؤال .

ثم يأمره تعالـى أن يقول للكافرين «أفاتخذتم من دونـه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا

ضرا» والاستفهام أريد به التبكيت على اتخاذ أولياء من دون الله لا يملكون أن يصيبوا أنفسهم بخير ولا أن يدفعوا عن أنفسهم أذى، فيكون المستفاد من القول أنهم لا يملكون نفعا ولا ضرا لغيرهم ومنهم عابدوهم.فيكون فى عبادتهم دليل حماقة عابديهم وغياب عقولهم.

وبعد ذلك يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم «هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور» والاستفهام أريد به تسفيه ما جروا عليه من عبادة غير الله تعالى، لأن إجابة الاستفهام هى عدم الاستواء، وفى عبارة السؤال تشبيه حال المشرك بحال الأعمى وحال المؤمن بالله والموحد به بحال البصير، كما جاء تشبيه الإشراك بالله بالظلمات وتشبيه الإيمان بالله وتوحيده بالنور.

ثم يقول تعالى «أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم» والمراد بالقول بيان أنه لا حجة للمشركين تسيغ لهم أن يشركوا بالله شيئا، لأنه لم يبق أمامهم تبرير لشركهم إلا أن يكونوا قد وجدوا خلقا آخر خلقه غير الله تعالى، فيقولون إن الخلق تشابه علينا فلم نعرف من الذى خلق كل خلق من بين الخالقين فعبدناهم جميعا. ولما كان هذا غير وارد القول به، وكان تعالى هو الخالق كل شىء وحده، فإنه لا يكون للمشركين من حجة يتذرعون بها تبريرا لشركهم، والقول بهذا المعنى هو آية فى البلاغة فى السخرية من المشركين والتهكم عليهم.

وفى ختام الآية يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يعلن الحقيقة التى تثبت أنه تعالى وحده المستحق العبادة فيقول تعالى «قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار»، فهو تعالى الذى أوجد من العدم كل موجودات الكون من أعظمها إلى أحقرها، ومن عاقلها إلى جمادها، هو واحد أحد منفرد بالألوهية غالب على أمره، فلا يكون مستحقا العبادة إلا هو.

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ السيل: المراد به ـ في معنى الآية ـ هو الماء الجارى فى الأودية .

٢ ـ الزبـــد : فى قوله تعالى «فاحتمل السيل زبـدا رابيا» هو الغثاء الذى يكون أعلى مياه الوادى حين يضطرب ويعلو موجه، يكون به الغبار العالق والغث من خفيف الأشياء .

٣ ـ الرابى : فى قوله تعالى «فاحتمل السيل زبدا رابيا» هو العالى المنتفخ فوق الماء .

ثانيا : التفســـــير:

الآية من الآيات التى حـوت من المعانى ما لا تحتمله ألفاظها وعبـارتها مما لا يقدر عليه إلا سبحانه وتعالى، فأول مـا يظهر فيها من ظاهر عباراتها هو أنها فى بيـان بعض مظاهر قدرته وبعض آياته التـى تجعله وحده الجدير أن يعبد وثـانى ما يستخلص منها هو أنهـا جاءت فى التفرقة بين بـاطل المشركين، والحق الذى عليـه الموحدون. ثم إنها تشير إلـى القرآن العظيم مع عدم ورود ما يشير إليه من اللفظ فيها .

فقوله تعالى «أنزل من السماء ماء فسالت أوديـة بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا» هو ذكر لآية مـن آياته تعالـى فى الخلق ينزل مـن جهة السماء ميـاه الأمطار تسيل أودية تختلـف فى مقاديرها حسب ما قدره تعالى فتكون بين كثير وقليل، ويكون من الماء الجارى فى الأودية أنه يحمل فـوقه زبدا رابيـا، وهو الغثـاء الذى يكون أعلـى أمواج ماء السيـل فى الـوادى محملا بالأتربة الخفيفة يبدو منتفخا عاليا .

وقوله تعـالى «ومما يوقدون عليـه فى النار ابتغاء حليـة أو متاع زبد مثله» هو ذكـر آخر لأمر يكون فيه الزبد، يكون عند الإيقاد على المعادن فى النار، وفى القول جاء قوله تعالى «يوقدون عليه فـى النار» لبيان أن الشـىء يمكن أن يكون إيقـاده بإدخالـه النار، ويمكن أن يكـون عن طريق موصل لحـرارة النار يوضع عليه الشىء أو يوضع فيه، يكـون الإيقاد على المعادن قصد إسالتها وتشكيل حلى منها أو من مادتها أو عمل شـىء من المتاع مثل الأوانى وما ماثلها. ثم إنه تعالى يثبت أنـه يتكون عند إسالة المعادن بما اختلطت به الخامـات المحتوية عليها عن طريق الإحماء عليها فى النار، أنه يتكون فوقها حين تصـل إلى مرحلة السيولة زبد شبيه بالزبد

الذى يكـون فوق ماء الـوادى الجارى حيـن يضطرب موجـه، ووجه الشبه هـو فى أنـه يحمل الشوائب التى تخرج عن مادة المعدن.

ثم يقول تعـالى «كذلك يضـرب الله الحق والباطل» بمعنـى أنه تعالى يضـرب مثلا للحق وآخر للبـاطل، فالزبـد فى كل من المثليـن يلقى به لانعدام قيمتـه «فيذهب جفاء» فـلا يفيد الناس شيئا من الزبد الذى يكون فوق الماء ولا من الزبد الذى يكون فوق خام المعدن السائل لذى الإيقـاد على الخامـات المحتوية مـادته بين مكونـاتها، وأما مـا ينفع الناس فيبقـى فى الأرض، يبقى مـاء السيل فى الـوادى أو تتشربـه تربة الأرض ليكـون فى جوفهـا يخرج عيـونا وجداول، ويبقـى المعدن فـى أيدى النـاس على الأرض ينتفعـون به. فيكـون المعنى هـو أن الشرك بالله وهو الباطل، هو شبيه الزبد لا نفع فيه ولا خير، وأن الإيمان بالله تعالى وتوحيده، هو الحق، ينتفع به وتكون به النجاة .

ثم يقول تعالى «كذلك يضرب الله الأمثال»، بمعنى أنه على هذا النحو البديع ومثله يكون منه تعالى ضرب الأمثال التـى تساعد الناس على فهم ما يراد لهم فهمه وتـدبر معانيه من آى القرآن العظيم .

أما الإشارة إلى القرآن العظيم فهى مستفادة من كونه السيل الجارى، نزل من السماء على قلوب كانت من قبله يـابسة متحجرة فلان منها ما شاء الله له أن يلين فآمـن بالله تعالى ووحده فانتفعـوا به وتحلت به نفـوسهم، وكفربـه من أصر علـى الكفر فارتاب فيـه فامتلأت قلـوبهم بالشـوائب التى حجبـت عنهم نوره فكـانت ظنونهـم زبدا رابيـا. فيكون الزبـد هو مـا اعترى نفوسهم من شك فى صحة القرآن أورثهم عدم الانتفاع به .

لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

التفسير:

بعد أن ضرب تعالى الأمثال المفرقة بين الحق والباطل. بين تعالى حال الذين يستمعون إلى الدعوة للإيمان ثم يستجيبون لما يضرب لهم ربهم من الأمثال فتكون منهم الاستجابة إلى الدعوة للإيمان والتوحيد، وبين الذين استمعوا إلى الدعوة للإيمان والتوحيد وما ضرب ربهم من الأمثال ثم كان منهم الإعراض وعدم الاستجابة، فبين تعالى أن للذين استجابوا للحق الذى دعاهم إليه ربهم الحسنى، أى المثوبة الحسنى تكون بدخولهم الجنة وخلودهم فيها، وبين أن الذين لم يستجيبوا لو كان لهم ما فى الأرض من أموال وخيرات ومتع ومثلها معها وكان مقدورا لهم أن يفتدوا ما هم فيه مما قدر لهم بدفعه لقاموا بهذا ليفتدوا به مصيرهم. ورغم أن القول يفصح عن سوء هذا المصير الذى بلغ قدره حد افتداء النفس منه بما فى الأرض ومثله معه، فإنه تعالى أوضحه بذكر علة الإقدام على افتداء النفس بهذا جميعه وهو ما يفصح عنه قوله تعالى «أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد» فهم قد حوسبوا بالعدل وهو سيء لهم لأنهم كافرون عملوا بالمعصية وأخذوا جزاء إحسانهم فى الدنيا، فلم يبق لهم عمل حسن ينفعهم، ومأواهم الذى يكون لهم مرجعا هى جهنم تكون لهم مستقرا وهى بئس المهاد، بمعنى بئس المهد مهد جهنم.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى المقارنة بين من آمن بالقرآن العظيم كتابا منزلا من الله تعالى وهو الحق، وبين من كفر به، جاءت المقارنة فى صيغة استفهام أريد به نفى المماثلة بين المؤمن بالحق وبين الكافر به، فهو استفهام أريد به الإنكار، وفيه جاء ذم الكافر بالقرآن فشبه بالأعمى، للتدليل على أنه لم يرنور الحق لعيب فيه حجبه عن الهدى.

ثم يجيء قوله تعالى «إنما يتذكر أولوا الألبـاب» لبيان أن الذين يؤمنون بالقرآن العظيم هم أصحاب العقول التى تعي، فيكون القول مضيفا إلى الكافرين صفة عمى البصيرة .

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠﴾

التفســــــير:

قوله تعالى فى أولى الألباب الذين يعلمـون أنما أنزل إلى رسول الله ﷺ من ربه هو الحق. يصفهم الله تعالى بأنهم الذين يوفـون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والمراد بعهد الله هو جنس العهد، فيشمل جميـع عهود الله وهى أحكامه وأوامـره ونواهيه التى أبلغها جميـع رسله جميع الأمم، والمـراد بالميثـاق هو جنس الميثـاق، وهو كـل ما وثقـوا من المواثيـق بين الله تعـالى وبينهم، وبينهـم وبين العباد، وقيل إن المـراد بالميثاق هو الـذى أخذه الله تعالى علـى عباده حين أخرجهم من صلب أبيهم آدم، فهم الذيـن إذا عاهدوا أوفوا، وإذ واثقوا لـم ينقضوا. وقوله تعالـى هذا يثبت أن الوفـاء بالعهد وعدم نقـض الميثاق هو مـن صفات المؤمن الـذى صح إيمانه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾

أولا : الأســــماء :

ما أمر الله به أن يوصل : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآيـة ـ هو الإيمان برسول الله ﷺ، فهو صلة به، وقيل إن المراد به هو صلة الأرحام، وقيل هـو صلة قرابة الإسلام، تكون بإفشاء السلام وعيادة المرضى ومراعاة حق الجيرة وشهود الجنازات والرفق بالضعفاء .

ثانيا : التفســـــــير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ لايزال في صفـات أولى الألباب، يذكر تعالى أنهم يصلون ما أمر تعالى بـه أن يوصل وقد أمر تعالى بوصل رسـوله ﷺ، ووصل ذوى القربـى، ووصل الضعفاء ووصل المسلميـن. كما وصفهم بـأنهم يخشون ربهـم، فهم يخشـون ما توعـد به تعالـى من يعصاه فيتجنبـون العصيان، ثـم إنهم يخـافون سوء الحسـاب، فيكون منهـم أنهم يحـاسبون أنفسهم على أفعالهم حرصا منهم على أن تكون لهم حسنات يثابوا بها، ثم إنه تعالى لما كان لا يظلم أحـدا، وكان العدل مـع الكافر في الحساب سـوءا له لأنه لا يجـد حسنات تـذهب سيئاتـه يوم الحساب، فإنهـم يحرصون على إيمـانهم خوف أن يعـدوا من الكافريـن، فيكون منهم تجنب الشبهات خوفا من حساب يوم القيامة .

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ **العقبى** . في قوله تعالى «أولئك لهم عقبى الدار» هى العاقبة والمآل .

٢ ـ **الدار** : المراد بها ـ في معنى الآية ـ هى الدنيا .

ثانيا : التفســـــير:

يذكر تعالى من صفات أولى الألباب بأنهم الذين صبروا ابتغاء وجه الله، فهم يصبرون على المصائب إذا هى نزلت بهم، وعلى كل مكـروه، وهم يصبرون على الطاعات، ويصبرون على الامتناع عما تشتهيه النفس مما حرمه الله، يصبرون طلبا لرضاء الله لا يبتغون غـرضا آخر، كأن يقال عنهم إنهم صابرون .

وهم الذين أقاموا الصلاة المفروضة ولم يفرطوا فيها ولم يتكاسلوا عنها، ذكرت لأنها عبادة جسدية ولأنها أم العبادات وعماد الدين. وهم الذين أنفقوا مما رزقهم الله ما وجب عليهم إنفاقه وما ندب ـ بمعنى حبب بحيث يثاب فاعله ولا يأثم تاركه ـ يكون الإنفاق منهم سرا إذا كان ذلك مستحبا كأن يكون إحسانا لمن يسيئه أن يقال عنه إنه يأخذ الصدقات ، أو كان تطوعا، ويكون علانية إذا كان فى العلانية خير كأن يكون المرء متهما بعدم التصدق على المحتاجين مع غناه، كما يكون فى الصدقة الواجبة وهى الزكاة وهم الذين يدرءون بالحسنة السيئة، فيقابلون الإساءة إليهم بالإحسان .

يقول تعالى فيهم «أولئك لهم عقبى الدار» بمعنى أنه تكون لهم عاقبة الدنيا، خير مآل لمن عاش فيها وهى جنة الله تعالى ثوابا فى الآخرة .

جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يكون للموصوفين بالصفات الحسنة المذكورة فى الآيات السابقة عقبى الدار فإنه تعالى بين ماهية عقبى الدار فذكر أنها جنات عدن، بمعنى أنها جنات الاستقرار، وقيل هى جنات بوسط الجنة، يدخلونها، ويدخلها من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، وفى هذا الشأن يلاحظ أن دخول هؤلاء يكون فى معية الموصوفين بجماع الصفات المذكورة إكراما لهم، ومن النص يبين أنه اشترط فى هؤلاء الصلاح، فيكون المعنى أنهم يرتفعون فى درجات الجنة التى يفترض أنهم يدخلونها بأعمالهم إلى الدرجة التى فيها الموصوفون بجماع الصفات المذكورة. وقيل إنهم يدخلون الجنة بكرامة الموصوفين بالصفات المذكورة ولو لم يكن من شأن أعمالهم أن تدخلهم الجنة. وقيل إنه إذا تعددت

زوجات الرجل دخلن جميعهـن معه الجنة، وإذا كانت المرأة قد تزوجت بـأكثر من رجل بعد موت السابق فإنها تكون لآخر أزواجها في الدنيا.

ثم يقول تعالى «والملائكة يدخلون عليهم مـن كل باب» بمعنى أنهم يدخلون عليهم من جميع أبواب منازلهم فى الجنة بالخيرات وبالرزق، وقيل إنهم يدخلون عليهم من أبواب البر، وهى باب الصلاة، وباب الزكاة، وباب الصبر. وقيل من أبواب الفتوح والتحف، بمعنى أنهم يدخلون لإتحافهم بأنواع التحف. والمراد هو بيان كثرة دخول الأرزاق عليهم .

سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾

التفســـــــير:

القول هو قـول الملائكة حين يـدخلون على أهل جنات عـدن من كل باب، يقـولون لهم سلام عليكم بمـا صبرتم، يدعـون لهم بالسلامـة مع كونهم فيهـا ناعمين، ويذكـرون لهم أن سلامتهم فى الجنة إنما كـانت بما صبروا عليه فى الدنيا مما أصابهـم من النوازل، وبصبرهم على الطـاعات وعلى مجـاهدة النفس عـن مقارفة المعـاصى. ثم يقـولون لهم «فنعـم عقبى الدار» . بمعنى أن نعم عاقبة الدنيا هى الجنـــة .

وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾

التفســـــــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى هؤلاء الذيـن تناقض صفاتهم صفات الموصوفين فى الآيات أهل جنات عدن، وصفهـم تعالى بأنهم الذيـن ينقضون عهد الله من بعد ميثاقـه ويقطعون ما

أمر الله بـه أن يوصل ويفسـدون فى الأرض، والمـراد بعهد الله الذى ينقضـونه هو قـوله تعـالى «ألست بـربكم» ، فهو العهـد الذى أخـذه تعالى عليهـم حين أخرجهـم من ظهـر أبيهم آدم، ونقضه من بعـد ميثاقه كان بنقضـه من بعد ما تـم توثيقه بما دعـا إليه الأنبياء والرسـل وأقاموا عليه الدليل. وهم الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، وهو الإيمان بجميع الأنبياء والكتب، ووصل الرحـم، ويفسدون فى الأرض بظلم النـاس بالحرابة وقطـع الطريق، وإثارة الفتـن فى مجتمع المسلمين، ونشر الرذيلة.

ثم إنـه تعالى يخبـر عنهم بقولـه «أولئك لهم اللعنـة ولهم سوء الـدار»، يشير إليهم تعـالى ويخبر بأنهـم الذين قدر لهم بـأعمالهم السيئة المـذكورة لعنة الله بطردهم مـن رحمته، وسوء عاقبة الدار، بمعنى أنه تكون عاقبة دنياهم جهنم تكون لهم دارا ومقاما .

ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾

التفسـيـر:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ فيما يكون منه مع النـاس بقدرته وقضائه، وما يكـون من الناس حين يوسـع عليهم ربهم فى الـرزق، وقيل إن القول تعلق بـأهل مكة وقت نـزول الآية وإن لم يأت لهم ذكر فيها.

فقوله تعالى «الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر» معناه أنه تعالى يوسـع الرزق على من يشاء أن يوسـع له فى رزقه مـن عباده أو من الأقوام، وأنـه تعالى يقـدر على من يشاء أن يقـدر عليه رزقه، بمعنى أنه تعالى يضيق عليه فى الرزق أو لا يرزقه بغير الكفاف .

وقوله تعالى «وفرحوا بالحياة الدنيا» هو فيمن يوسع الله عليهم فى الرزق فيفرحون بما أوتوا، وقيل إن القول فى أهل مكة كان تعالى قد وسع عليهم رزقهم ففرحوا لما أصابهم من خير.

ثم يقول تعالى «ومـا الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع» بمعنى أن الحياة الـدنيا بكاملها وما فيها من مباهج ليست ـ مقيسة بالآخرة ـ غير متاع من صفاته الزوال، فهو لا يقاس بنعيم دائم. فيكون القول تنديدا بهؤلاء الذين يعملون للدنيا متناسين الآخرة، وحثا للمؤمنين على أن تكون دنياهم مزرعة خير لآخرتهم.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾

التفســـــــير:

يذكـر تعالى ـ فـى الآية ـ دليـلا على تعنت الكـافرين وإصرارهـم على الكفر مـع ظهور الآيات الدالـة على صدقه ﷺ. وقيـل إن الآية نزلت فى عبـد الله بن أمية وأصحابـه من كفار مكة، قالوا «لولا أنزل عليه آية من ربه» وهو قيد يفيد عدم اقتناعهم بالآيات التى أيد بها تعالى رسوله ومنها القرآن العظيم دليلا على صحة نبوتـه فاقترحوا سقوط السماء عليهم كسفا، وسير الجبـــال .

وفى الآيـة يأمـر الله تعالى رسـوله عليـه الصلاة والسلام أن يقـول «إن الله يضل مـن يشاء ويهدى إليه من أناب» والقول رد يفيد عدم جـدارة طالبى الآيات أن يكون عليهم رد بما يفيد مناقشة مقترحاتهم أو أن يقال لهم إن هناك آيـات أقوى مما تطلبون منها القرآن العظيم. ذلك أن معنى القول «إن الله يضل من يشـاء» هو أن مقترحى هذه الآيات هم من الـذين شاء تعالى أن يكونوا علـى ضلالة لا يهتدون فهم قد اختـاروا الضلال وعلم تعالى باختيـارهم منذ الأزل فجرت به مشيئته، فهم لا يجدى معهم قول .

ثم إنه يكـون من قول رسول الله ﷺ بأمر ربـه أن يقول «ويهدى إليه من أنـاب» بمعنى أنه تعالـى يهدى إلى دينه الـذى اختار لعباده والمـوصل إلى رضـائه وجنته من رجع إلـى الحق. فيكون القول ـ بهذا المعنى ـــ دافعا الكافرين إلى الانتهاء عن كفرهم وعنـادهم والدخول فى

الإسلام، ومن عبارة القول يبين أن الهدى يكون هو الثواب الذى يحصل عليه من أناب وهو من رجع عن الكفر إلى الإيمان.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يهدى إليه من أناب، جاء قوله «الذين آمنوا...» بدلا من «من أناب» فيكون الذين رجعوا إلى الله تعالى بالدخول فى دينه هم الذين آمنوا بمعنى «الذين تحولوا إلى الإيمان» أو الذين صاروا مؤمنين، وأصبحت قلوبهم تطمئن بذكر الله بمعنى أنها تستقر وتهدأ أو تلين بالقرآن العظيم الذى عبر عنه النص بأنه «ذكر الله».

ثم ذكر تعالى أنه بذكر الله وهو قرآنه تطمئن القلوب، والمراد بالقلوب هى القلوب المؤمنة، فهى لاتطمئن بمتع الحياة الدنيا تقبل عليها، وإنما بكتابه الكريم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾

أولا: الأسماء:

طوبى: قيل إنها جمع مفرده «طيبة»، وقيل إن المراد بها هو «الفرح وقرة العين» وأن القول «طوبى لهم» هو دعاء بهذا، وقيل هو اسم للجنة بالحبشية، وقيل بإحدى لغات الهند، وقيل إنها علم لشجرة فى الجنة.

ثانيا: التفسير:

بعد أن قال تعالى «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» جاء قوله «الذين آمنوا» بدلا من القلوب، فيكون مفاد هذا أن القلوب التى تطمئن بذكر الله تعالى هى قلوب المؤمنين أو الذين آمنوا

وعملوا الصالحات» يعدهم الله تعالى أو تدعو لهم الملائكة أن يكون لهم الفرح بنعيمه تعالى وتكون لهم قرة العين عند ربهم وحسن المآب، وهو الرجوع إليه تعالى فى الآخرة .

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

أولا : الأسـماء :

المتـاب : فى قوله تعالى «و إليه متاب» هو المرجع .

ثانيا : التفسـير :

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، والقول فى الآية مرتبط بطلب عتاة الكافرين أن يأتى ﷺ بآية خلاف معجزة القرآن العظيم، فيكون المراد بقوله تعالى «كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك» هو «أننا قد أرسلناك بمعجزة آيات الله المنزلة كما أرسلنا فى أمم خالية مضت رسلا بمعجزات تمثلت فى آيات منا منزلة وليس بمعجزات من قبيل التى طلبها كفار قومك؛ ولذلك كان إرسالك إليهم بمهمة هى أن تتلو عليهم القرآن الذى أنزل عليك وحيا» .

وقوله تعالى «وهم يكفرون بالرحمن» وفيه جاء اسم «الرحمن» لما يعنيه من المبالغة فى صفة الرحمة التى وسعت كل شىء، ليكون فى هذا تلميح إلى أن إرساله ﷺ بالقرآن العظيم هو نعمة كبيرة لمن أرسل إليهم تعد فتحا من فتوحات باب رحمته تعالى، وإظهارا لأن طلبهم معجزة غيره هو من قبيل جحود النعمة .

وقوله تعالى «قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت و إليه متاب» هو أمر منه تعالى إلى رسوله ﷺ أن يقول للذين كفروا بالرحمن ولم يوحدوه أن الرحمن الذى كفروا به هو ربه ﷺ،

الذى خلقه ورعاه وأدبه، ثم يكون منه توحيده تعالى بقوله «لا إله إلا هو»، ثم يذكر اعتماده عليه وتوكله فى جميع أموره، مقرا أنه إليه تعالى يكون مرجعه فيثيبه على ما صبر به على عدائهم، ومجاهدته إياهم .

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **القارعة** : فى قوله تعالى «تصيبهم بما صنعوا قارعة» هى النكبة، وهى الرزية التى تفزع قلب صاحبها، وقيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو السرايا التى كان يبعثها رسول الله ﷺ على الكفار.

٢ ـ **وعد الله**: قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو فتح مكة .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى فى الآية مرتبط بقوله تعالى عن قول المشركين «لولا أنزل عليه آية من ربه» فكان قوله تعالى «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى» جاء فى صيغة أداة شرط وفعلها، وجواب الشرط محذوف وتقديره «لكان هذا القرآن»، والمعنى أن معجزات القرآن العظيم تعلو على أى كلام يكون من شأنه أن يسير الجبال أو أن يقطع الأرض، أو أن يحيى الموتى .

وقوله تعالى «قل لله الأمر جميعا» هو أمر إلى رسوله ﷺ أن يقول هذا لإفهام طالبى

المعجزات أن القادر على فعل كل شيء والذى له أمر كل شيء هو الله تعالى وليس أى مكتوب يقرأ أو قرآن يتلى. والمعنى أن الذى كان يفعل المعجزات التى أتى بها الرسل التى طلب الكافرون أن يأتى رسول الله ﷺ بمثلها هو الله تعالى وليس غيره .

ثم يقول تعالى «أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا» وقيل فيه إن «ييأس» هى بمعنى يعلم، فيكون المعنى هو أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدىٰ الناس جميعا» والمراد هو أنه كان تعالى قد هداهم دون مشاهدتهم الآيات، إلا أنه لم يشأ هذا. ويقبل القول أن يكون معنى «ييأس» هو الإحساس باليأس، فيكون المعنى هو «أفلم ييأس المؤمنون من أن يؤمن الكافرون مع علمهم أنه لو أراد الله أن يهديهم لكان قد هداهم، فكان جميع الناس مؤمنين» .

وقوله تعالى «ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله» مفاده أنه لا تزال الدواهى والمصائب تصيب الكافرين فتقع بساحتهم أو تقع بالقرب من مساكنهم إلى أن يأتى وعد الله بفتح مكة .

ثم إنه تعالى يؤكد وجوب تحقق ما وعد به من فتح مكة بقوله تعالى «إن الله لا يخلف الميعاد» .

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - تسرية عن رسول الله ﷺ الذى عانى من استهزاء المشركين به، يقول له ﷺ ما مفاده إنه ليس وحده ﷺ الذى استهزىء به من الرسل فقد استهزىء برسل من قبله، ثم إنه تعالى يعلمه أنه إن صبر على استهزاء المكذبين فإنه تعالى مؤاخذهم به كما جرت على هذا سنته تعالى مع المستهزئين من قبلهم بالرسل. فيقول تعالى «فأمليت للذين

كفروا ثم أخذتهم، فكيف كان عقاب» بمعنى أنه تعالى أمهلهم وتركهم مدة من الزمان دون عقاب، ثم كان منه تعالى أن أخذهم بجريمتهم فكان منه العقاب الشديد، جاء التعبير عنه فى صيغة استفهام يفيد التعجب دالا على شدة عقابه تعالى.

أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى أمر المشركين، يقول تعالى «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت»، وهو استفهام إنكارى فيه محذوف تقديره «كمن ليس كذلك»، والمعنى المراد إثباته هو أنه تعالى الرقيب والمهيمن على كل النفوس، وغيره ليس كذلك، فيكون كل من يتخذ غيره إلها على ضلال.

ثم إنه تعالى يذكر هؤلاء الذين اتخذوا آلهة من غير القائمين على الأنفس لبيان حماقتهم وضلالهم فيقول «وجعلوا لله شركاء» بمعنى أنهم جعلوا له تعالى شركاء فى العبادة مما ليس لهم سيطرة ولا هيمنة على النفوس، ثم إنهم عددوهم فلم يجعلوهم واحدا، بل آلهة متعددين.

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يقول للمشركين «سموهم» بمعنى اذكروا أسماء آلهتكم والمراد هو إثبات أن هذه الآلهة المعبودة - لفرط حقارتها - أخس من أن تكون لها أسماء، أو التهديد فيكون المعنى هو «فلتطلقوا عليهم أنهم آلهة» ليكون لكم بهذا عذاب شديد.

وقوله تعالى «أم تنبئونه بما لا يعلم فى الأرض أم بظاهر من القول» هو استفهام إنكارى يثبت ضلال المشركين، لأنه لما كان تعالى لا تخفى عليه خافية فى السماء ولا فى الأرض

فإنه لا يتصور أن تكون هناك آلهة ويكون تعالى غير عالم بوجودها؛ ولذلك يكون الاستفهام عما إذا كان المشركون يخبرونه بأمر آلهة في الأرض لا يعلم عنها شيئا معبرا عن شيء واحد هو استحالة أن يكون منهم الإخبار بهذا، فيكون المستفاد هو انتفاء الدليل العقلي على وجود آلهة غير الله تعالى.

وقوله تعالى «أم بظاهر من القول» يفيد توجيه ذات السؤال وإن جاء متعلقا بأسماء آلهتهم، بمعنى هل تطلقون عليهم أنهم آلهة من باب التفكه في القول دون أن يكون لذلك ظل من الحقيقة. فيكون القول في نفي الدليل السمعي .

ثم يقول تعالى «بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل»، والقول يشير إلى وجوب الانتهاء عن الاحتجاج عن المشركين لأنهم لا أمل في اقتناعهم بحجة، إذ زين لهم الشيطان مكرهم أو زينته لهم أنفسهم التي اختارت الكفر، فكان من شأن هذا أن صدوا عن سبيل الله وهي الإسلام طريق الله المستقيم، والذي صدهم عنه هو الشيطان، وشاءه لهم الله تعالى لما علم من الأزل أنهم يختارون الكفر ويصرون عليه فكانت إرادته تعالى على مقتضى علمه فصدوا عن السبيل .

ويجيء قوله تعالى – في ختام الآية - «ومن يضلل الله فما له من هاد» هو ذكر لحكم عام مفاده أن من شاء له الله الضلال لما علمه منذ الأزل أنه يختاره لا يوفق إلى الهدى ولا يجد هاديا يهديه إلى الطريق المستقيم .

لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

التفسير :

قوله تعالى في هؤلاء المشركين الذين لن يؤمنوا. يذكر تعالى أن لهم في الدنيا عذابا شاقا، يكون بالمصائب التي تحل عليهم، وبقتلهم وأسرهم، ثم يكون لهم في الآخرة عذاب أشق منه يتصف بالدوام.

ثم يذكر تعالى أنهم لايكون لهم من عذابه تعالى حافظ يقيهم ويمنع عنهم عذابه فى الدنيا وفى الآخرة .

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾

التفسير :

بعد أن ذكر تعالى مصير المشركين، فإنه - فى الآية - يتحدث عن مصير المؤمنين الذين سبق وعدهم بالجنة، جاء قوله مفيدا وجوب تحقق وعده لتناوله وصف الجنة التى وعدوا بها. فقوله تعالى «مثل الجنة التى وعد المتقون» يفيد معنى أن صفة الجنة التى وعد الله بها المتقين الذين اتقوا غضبه تعالى فعصموا أنفسهم عن الكفر والمعاصى، هو ما نقول. ثم يجىء الوصف بقوله تعالى «تجرى من تحتها الأنهار، أكلها دائم وظلها» فهى جنات تجرى فى أرضها الأنهار ليكون نعيم الروح بحسن المناظر وبهائها مع الاستمتاع بهذا، ثم إن ما يؤكل فيها مما لذ طعمه دائم وجودا ودائم لذة فى الطعم، وكذلك حال ظلها فهو دائم لا تدخله شمس، وقيل إنه لا تكون شمس. ثم يقول تعالى «تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار» بمعنى أن هذه الجنة الموصوفة هى ما يعقب حياة الذين اتقوا الكفر والمعاصى تكون مآلهم فى الآخرة، وتكون عاقبة الكافرين هى النار.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾

أولا : الأســـماء :

الأحــــزاب : المراد بهم - فى معنى الآية - الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ من أهل الكتاب .

ثانيا : التفســير :

قوله تعالى ــ فى الآية ــ فى أهل الكتاب، قال تعالى فيهم «والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك»، ويقبل القول أن يكون فى جميع أهل الكتاب، يفرحون إذا أنزل على رسول الله ﷺ قرآن يوافق ما جاء فى كتبهم من قصص وأحكام، ويقبل أن يكون فيمن آمن منهم بالإسلام مثل عبد الله بن سلام، وكعب ، والنصارى الثمانين الذين أسلموا، يفرحون بالقرآن الذى ينزل على رسول الله ﷺ جميعه .

وقوله تعالى «ومن الأحزاب من ينكر بعضه» يفيد أن الذين تحزبوا ضد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب، يؤمنون بما يجىء به القرآن مما يكون موافقا كتبهم وينكرون بعضه مما لا يوافق ما فى كتبهم مما ناله التحريف بالزيادة أو النقصان أو التغيير، وقد سبق القول مفصلا أن أغلب هذا كان فيما يتعلق بعقيدة التوحيد بعد أن غير النصارى ما فى الإنجيل أو بعضه ليوافق قرار مؤتمر نيقية الذى صدر باعتبار المسيح عليه السلام إلها، ومنه ما تعلق بالتبشير بالقرآن العظيم وبرسول الله ﷺ .

ويجىء قوله تعالى «قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به» وهو بيان منه لكون جميع ما أمر به هو فرع من أصل واحد هو أن يعبد الله تعالى وألا يشرك به. والمعنى أنه تعالى إنما يأمر رسوله أن يقول ما يعلم أهل الكتاب أنه ما جاء به جميع الرسل والأنبياء وهو الشق من الدين المتعلق بالعقيدة الذى لا يتغير، وهو الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به. فيكون القول بهذا المعنى مثبتا على مخالفيه ﷺ عقيدة الدين الذى هم عليه بزعمهم.

وقوله عليه الصلاة والسلام بعد هذا «إليه أدعو وإليه مآب» ومعناه أنه يدعو إلى عبادة الله الواحد وعدم الشرك به، وأنه إليه تعالى يكون مآبه للجزاء فى الآخرة، هذا القول هو من قبيل إقامة الحجة على مكذبيه من أهل الكتاب، لأنه إنما يدعو إلى ما دعت إليه رسلهم وجميع

الرسل، فيكون تكذيبهم له ﷺ كفرا بالعقيدة التى جاءتهم بهم رسلهم ووردت فى كتبهم التى يدعون أنهم بها يؤمنون .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

التفسير :

بعد أن قال رسول الله ﷺ بأمر ربه لأهل الكتاب ما يفيد أنه على عقيدة التوحيد التى جاءت بها جميع الأديان ونادت بها جميع الرسل، فإنه تعالى يذكر فى القرآن العظيم قوله «وكذلك أنزلناه حكما عربيا» والمعنى أنه على هذا النحو الذى أنزلنا به فى القرآن فى شقه المتعلق بالعقيدة فإننا أنزلنا آياته المتعلقة بالأحكام جاءت محكمة، ثم إنه لما كانت مخالفة القرآن العظيم ما سبقه من الكتب هو فى شأن هذا الجزء ـ أى المتعلق بأحكام المعاملات ـ فإنه تعالى أثبت وجود اختلافات بين القرآن العظيم وبين ما سبقه من الكتب، فهو قد نزل باللفظ العربى على حين نزلت الكتب بألسنة أقوام الرسل الذين أبلغوا بها على ما جاء بقوله تعالى «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» .

ثم يقول تعالى لرسوله ﷺ «ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق». ومفاد هذا أن أهل الكتاب كانوا يطلبون من رسول الله ﷺ أمورا توافق أهواءهم وعقائدهم، قد يكون منها بعض ما يتعلق بأحكام الحدود مثل حد الزنى وقد يكون منها ما يتعلق بأمور العبادة مثل طلبهم أن يستقبل بيت المقدس فى الصلاة. فيكون القول نهيا لرسول الله ﷺ عن اتباع ما يشيرون به عليه ويقترحون، سماه تعالى «أهواء» لبيان أنه ما وافق أهواءهم دون أن يكون بالضرورة من أحكام دينهم، وجعل علمه ﷺ بالحق، وبابتعاد أهواء أهل الكتاب عنه مبدأ الالتزام بالنهى. ويبدو أن الخطاب ـ وإن كان ظاهره إلى رسول الله ﷺ

ـ إلا أن المقصود به هو المؤمنون لأنه غير متصور فيه ﷺ أن يتبع أهل الكتاب فى أهوائهم وهو العامل على أن يكون منهم اتباعه. ثم إنه تعالى يبين جزاء مخالفة هذا النهى ببيان أنه يكون مكروها وسوءا على مـا يستفاد من إثباته تعالى أنه ﷺ لا يكون لـه منه ولى ينصره ولا واق يقيه منه ويحميه .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾

التفســـير :

يبين من الحديث فـى الآية عن زواج الرسل وعن الإتيان بالمعجـزات أن القول تعلق بما كان الكافـرون يثيرونه للنيل مـن رسول الله ﷺ بقولهم فيه إنـه تزوج نساء كثيرات، وقـولهم إنه عجزعن أن يأتى بآيـة من قبيل ما أتى به قبله الرسل. فجاء قوله تعـالى «ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهـم أزواجا وذرية» ليثب أنه تعالـى أرسل قبل محمد ﷺ رسلا كثيريـن تزوجوا وأنجبوا، فلقد تزوج إبـراهيم وتسرى بالنساء، وتزوج يعقوب عليه السـلام أختين أنجب منهما كما أنجـب من جاريتين كـانتا لهما وتزوج مـوسى عليه السـلام بأكثر من امـرأة، وتزوج داود وتسرى بعديـدات كما تزوج سليمان وتسـرى بعديدات وكانت لـه الذرية، وكما أنـه لم يكن الزواج مانعا أحدا من هؤلاء الرسل من أداء رسـالته على أكمل وجه، فإنه ﷺ لم يمنعه زواجه النساء ولا إنجابه منهن من أداء رسالته التى بعث بها على النحو الذى يرضى ربه .

ثم إنه فى شأن المعجزات والآيات لم يأت رسـول بآية مكتوبة ولا بآية من المعجزات إلا بإذن الله تعـالى فهو تعـالى بحكمته الـذى يبعث للنـاس ما يناسبهـم من الآيات المكتـوبة، ويدعم رسله بما يناسب قولهم من المعجزات التى تناسب أحوالهم .

وقوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ «ولكل أجـل كتاب» هو قول جامع، ومعنـاه العام أنه لكل زمان الحكم الذى يناسبـه. وتطبيقه يفيد أنه إذا كان ما أنكره أهل الكتـاب من القرآن العظيم

هو ما خالف فيه أحكام التوراة فى شأن أحكام المعاملات، فإن هذا الجزء من الدين يستهدف تحقيق مصالح العباد الدنيوية، وهذه تتغير بتغير الزمان والمكان، ولهذا فإن الأحكام التى وردت بها الشريعة الإسلامية والتى خالفت أحكام التوراة تكون هى الأحكام التى تناسب الوقت وإلى قيام الساعة .

كذلك يفيد تطبيق القول فى شأن المعجزات التى تؤيد الرسل إلى معرفة أن لكل وقت ولكل مجتمع ما يناسبه من المعجزات، وقد أوجب حال العرب الذين نزل القرآن العظيم بلغتهم أن يكون القرآن العظيم هو المعجزة التى تناسبهم .

كذلك فإن تطبيق القول يتضمن ردا على هؤلاء الذين استعجلوا نزول العقاب الدنيوى بهم، لأن مفاده أن أجله عنده تعالى، ونوعه : ما يكون وكيف يكون .

يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾

أولا : الأسماء :

أم الكتاب : المراد به ـ فى معنى الآية ـ علم الله الأزلى، وقيل هو ما أثبت فى اللوح المحفوظ، وهو أصل الكتب فما من شىء إلا وقد سطر فيه .

ثانيا : التفسير :

قيل فى شأن ما يمحوه تعالى وما يثبته، أنه تعالى يمحو الدنيا ويثبت الآخرة، وقيل هو فى آجال الناس ، يمحو أناسا ويثبتهم فى كتاب الأموات، وقيل غير هذا.

والذى نراه ـ والله أعلم ـ على ما يبين من سياق الآيات السابقة أنه يتعلق بالجزء من الدين المتعلق بالأحكام والذى يكون فيه الاختلاف بين الشريعة الإسلامية وما سبقها من الشرائع. فيكون معنى المحو، هو نسخه تعالى حكما من الأحكام التى وردت فى شريعة سابقة وذلك بإيراده حكما يغايرها، ويكون معنى الإثبات هو إثبات القرآن العظيم حكما جاءت به شريعة

سابقة بالنص عليه، فيكون العمل بمقتضاه بحكـم النص القرآنى بمثابة إثبات للحكم الذى وردت به الشريعة السابقة .

وقولـه تعالـى «وعنده أم الكتـاب» هو بيـان لأن جميع مـا يقع منـه تعالـى فى شـأن نسخ الأحكام و إثباتها هـو مما سطر فى أم الكتاب ـ إن كان هـو اللوح المحفــوظ ـ أو هـو ممـــا ثبت فى علمه تعالى الأزلى.

فما من أمر يكون إلا بمشيئته تعالى وهى بما هو فى علمه الأزلـى .

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾

التفســـير :

قوله تعالـى ـ فى الآية فى بيان مضمون مـا كلف به به رسول الله ﷺ فى شأن مـا توعد به الكافرون من العذاب، وكونه محصورا فى الإبـلاغ. فمعنى القول هو أنه سواء أكان الحال هو إنزال العذاب بالمشركين فى حياته ﷺ ومعاينته إياه.

أو كان هو توفيه قبل وقوع العذاب بهم، فإن ذلـك لا يغير من أمره ﷺ وكونه مكلفا بالإبلاغ فقط شيئا .

ثم يجىء قوله تعـالى «فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب» بيانا صـريحا لما كلف به ﷺ وهو الإبلاغ بالعذاب يكون للكافرين.

أما أمر حسابهم بأعمالهم وبكفرهم فهو أمره تعالى، يحاسبهم فى دنياهم وأخراهم، أو فى أخراهم، ويعجل لهم عذاب الدنيا أو يرجئه. فيكون المراد بالقول هو صرف رسول الله ﷺ عن أن ينشغل بأمر حساب الكافرين ونزول العذاب بهم.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾

التفسير:

الاستفهام في الآية أريد به الإنكار، والموجه إليهم هم الكافرون، يقول تعالى «أو لم يروا أنا تأتى الأرض ننقصها من أطرافها» وقيل فيه إن معنى نقص الأرض من أطرافها هو تآكل رقعة الأرض التى يسكنها الكافرون باتساع الفتوحات الإسلامية، فيكون المعنى المقصود هو إثبات انتشار الإسلام رغم كره الكافرين .

وقد يكون المعنى متضمنا معنى علميا إلى جانب هذا هو انتقاص مساحة اليابسة بطغيان البحر على دلتا الأنهار بمضى الوقت نتيجة عوامل طبيعية. وهذا وذاك هو مما ثبت فى علمه تعالى الأزلى ومن فعله .

وقوله تعالى «والله يحكم لا معقب لحكمه» هو ذكر لواقع مستفاد من كونه تعالى صاحب الأمر، فهو يقضى فى الأمور بمشيئته، وإذا قضى أمرا فإنه لا يكون معقب من بعده يعدل فى حكمه، فيكون قضاؤه أمرا مقضيا. وقد قضى تعالى أن ينتشر الإسلام وأن تكون الفتوحات الإسلامية، وأن ينتصر المسلمون على الكافرين .

ويجىء قوله تعالى «وهو سريع الحساب» مبينا أنه تعالى يحاسب الكافرين بكفرهم وبعصيانهم الرسول بعد فترة زمنية قصيرة، فيكون عذابه سريعا، وقد كان هذا العذاب بما أصاب الكافرين من قتل وأسر فى بدر وما بعدها من الغزوات .

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾

التفســـير:

يثبت تعالى ـ فى الآية ـ أن كفار مكة قد مكروا برسول الله ﷺ، ثم يبين تعالى أن مكرهم معدوم الأثر، فقوله تعالى «وقد مكر الذين من قبلهم» يفيد أنهم مكروا برسلهم وبالمؤمنين كما مكر الكافرون من الأمم السابقة بأنبيائهم وبالمؤمنين .

وقوله تعالى «فلله المكر جميعا» مفاده أن مكرهم معدوم. لأنه لما كان المكر جميعه لله تعالى، فإنه لا يبقى منه شىء لأحد، فلا يكون لهم مكر .

وقوله تعالى «يعلم ما تكسب كل نفس، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار» يفيد أنه تعالى يعلم مكر الكافرين بالمؤمنين ومحاسبهم به، ويعلم إيمان المؤمنين ومحاسبهم به. فيكون المعنى أنه تعالى لا يقدر لمكر الكافرين بالمؤمنين النجاح، وأنه تعالى يعصم المؤمنين من مكر الكافرين .

ثم إنه تعالى يؤكد هذا المعنى بقوله «وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار» لأن مفاد القول أن الكافرين معذبون بمكرهم، فإن كان عذابهم فى الدنيا، دل هذا على أنه تعالى ينصر المؤمنين عليهم، وإن كان عذاب الآخرة فقد دل على موتهم كافرين فيكون للمؤمنين أن يسخروا منهم يوم الدين، وتكون لهم الحسرة حين يرون المؤمنين فى الجنة التى هى عاقبة دنياهم .

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

التفســـير:

يذكر تعالى ـ فى نص الآية ـ قول الكافرين فى رسول الله ﷺ، فهم ينكرون أنه رسول مرسل من ربه، ثم إنه تعالى يأمر رسوله أن يقول لهم «كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب» فهو ﷺ يكتفى بالله تعالى شهيدا بينه وبين الكافرين، وهو تعالى لم يشهد وإنما أعلم بقرآنه العظيم الذى لا قول بعده أنه ﷺ رسول الله .

ثم إنه ﷺ يستشهد بمن عنده علم الكتاب، والمراد بعلم الكتاب هو ما جاء فى التوراة والإنجيل من إخبارعن رسول الله ﷺ وبيان أوصافه مما لا يثور معه شك فى أنه ﷺ هو المبشربه فى التوراة والإنجيل، وعلى ألسنة الأنبياء الذين وردت أسفارهم فى كتاب العهد القديم .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة إبراهيم

فى أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها في ترتيب المصحف «سورة الرعد» .

قال أهل العلم فى أوجه الصلة بين السورة وبين سورة الرعد الكثير، مما لاتجتزىء منه ما يأتى:

١ ـ افتتحت كل سورة من السورتين بالأحرف ـ وهى من المتشابه من القرآن ـ وكان آخر حرف فى آخر كلمة منهما هو حرف الباء .

٢ ـ ورد فى سورة الرعد مدح الكتاب وبيان أن فيه الغناء عما اقترحه المشركون من الآيات، وافتتحت السورة بوصف الكتاب والتلميح إلى كونه مغنيا عن غيره سببا للهدى وسبيلا .

٣ ـ ورد فى سورة الرعد أن القرآن العظيم أنزل حكما عربيا، وفى السورة ورد بيان علة ذلك .

٤ ـ أخبر تعالى فى سورة الرعد بأنه ما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله تعالى. وفى السورة أخبر تعالى أن الرسل قالوا «ما كان لنا أن نأتى بسلطان إلا بإذن الله»، فيكون قولهم عليهم السلام تصديقا لما قال تعالى.

٥ ـ أمر تعالى رسوله ﷺ فى سورة الرعد أن يقول «عليه توكلت»، وذكر تعالى فى السورة توكل الرسل عليهم السلام عليه تعالى، كما ذكر أمره تعالى إياهم بالتوكل عليه .

٦ ـ اشتملت كل سورة من السورتين على تمثيل للحق والباطل، أى بذكر أمثلة لكل منهما.

٧ ـ ذكر تعالى فى سورة الرعد أمر تسخيره السماوات والأرض باعتبار ذلك من قبيل الآيات التى تدعو للإيمان، وذكر ذلك فى السورة باعتباره من قبيل النعم المنعم بها .

٨ ـ تحدث تعالى في سورة الرعد عن مكر الكافرين، وفى السورة تحدث تعالى عنه مع وصفه بما لم يصفه فى سورة الرعد .

٩ ـ تحدث تعالى عن استهزاء الكافرين بالرسل بقوله تعالى «ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم»، أجمل تعالى هذا فى أربعة مواضع تمثلت فى: الرسل، والمستهزئين. وصفة الاستهزاء، وأخذ المستهزئين. وفى السورة فصلت الأربعة المواضع فى قوله تعالى «ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم» فى الآية التاسعة من السورة وما بعدها مما تعلق بهذا التفصيل .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾

التفسير:

بدأت الآية بأسماء الأحرف «الر» وهى من المتشابه من القرآن ـ على الراجح ـ ثم يجىء قوله تعالى «كتاب أنزلناه إليك» يذكر تعالى القرآن العظيم بأنه «كتاب» جاء لفظ «كتاب» فى عبارة الآية خبرا لمبتدأ مضمر، ثم إنه تعالى يصفه بأنه أنزله الله إلى رسوله ﷺ، والقول ـ بهذا المعنى ـ يثبت نزول القرآن منه تعالى على رسوله ﷺ ـ وهو المخاطب بعبارة الآية ـ ومن باقى صفات القرآن ما تعلق بالغرض من إنزاله، وهو ما عبر عنه قوله تعالى «لتخرج الناس من

الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد» .

ومن لام التعليل فى لفظ «لتخرج» يبين أن المستهدف من إنزال القرآن العظيم هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، والمعنى هو تحويل الناس عن العقائد الباطلة المتمثلة فى الإلحاد، وفى عبادة غير الله، وفى الشرك بالله بعبادة غيره معه من كواكب وأصنام وملائكة وبشر، وُصفت هذه العقائد الباطلة بأنها ظلمات من قبيل التشبيه، ووصف التحول عنها بأنه خروج يتم عن طريق القرآن العظيم فكان التشبيه ممثلا العقائد الباطلة تلف الناس وتحيط بهم فكأنهم فى وسط ظلام حالك لايمكنهم الخروج منه إلا بنور يهتدى به ليكون الخروج إلى نور.

فأما النور الذى يكون به الخروج فهو رسول الله ﷺ، فهو الفاعل فى قوله تعالى «لتخرج الناس»، فيكون المستفاد من القول أن الإيمان بعد الكفر يكون مبتدؤه بواسطة الرسل، ويقوم مقامهم - من بعدهم - أهل العلم والدعاة والمعلمون .

والذين يخرجون من الظلمات إلى النور بواسطة رسول الله ﷺ هم جميع الناس، فيكون القول مثبتا عمومية رسالته ﷺ إلى الناس جميعا .

وأما النور الذى يخرج إليه الناس فهو نور الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، يكون بواسطة رسول الله ﷺ بإذن الله تعالى ، ولا يكون بغير إذنه. وقيل إن المراد بالإذن هو الأمر منه تعالى، وقيل هو العلم - بمعنى علمه تعالى الأزلى، وعلى أى معنى من المعانى، فإن مفاد قوله تعالى إن الخروج من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان والتوحيد هو فضل من الله يتفضل به على من يشاء فيسهل له سبيل الإيمان .

وفى شأن «صراط العزيز الحميد» الذى يكون إليه الخروج بعد سبق ذكر أن الخروج يكون إلى النور، فقد قيل إن «صراط» جاءت بدلا من «النور» أعيد عامله «إلى» وتكرر لفظا ليدل على البدلية. والذى نراه - والله أعلم - غير هذا، إذ يكون الخروج من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به هو اعتناق عقيدة التوحيد التى جاءت بها جميع الأديان أو هو الإسلام بالمعنى العام - على ما سبق بيانه - يكون خطوة ينتقل بعدها إلى اعتناق

الإسلام الذى جاء به رسول الله ﷺ ودعا إليه - وهو الإسلام بالمعنى الخاص - هو الطريق المستقيم الذى يهدى إلى رضاء الله تعالى وإلى جنته. وصف تعالى نفسه فى عبارة الآية بأنه العزيز الحميد دون أن يأتى بـ «واو» بينهما لبيان أنه تعالى واحد، وجاء ذلك لأن المؤمنين به يؤمنون أنه وحده القادر دون غيره على كل شىء؛ ولذلك عبدوه وحده لم يشركوا به، ولأنهم يحمدونه على ما تفضل به عليهم ويثنون عليه ثناء كثيرا .

﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ﴾

التفسير:

جاء لفظ الجلالة «الله» فى جملة الآية خبرا لمبتدأ محذوف تقديره «هو» ، وجاء الاسم الموصول «الذى» صفة له. ومعنى أن من صفاته تعالى أن له ما فى السماوات وما فى الأرض هو أنه له تعالى ملكهن ومن فيهن وما فيهن، فما من عاقل أو غير عاقل، وما من شىء فى السماوات أو فى الأرض إلا وهو مملوك له تعالى .

ثم إنه لما كان مقتضى هذا هو وجوب خصه تعالى بالعبادة، فإنه تعالى توعد الكافرين به بعذاب شديد يكون جزاء لهم على كفرهم، والمراد بالعذاب هو عذاب الآخرة .

والآية - بهذا المعنى - تمهيد تضمن حكما وبيان علته لأحوال الكافرين مكذبى الرسل الذى سيأتى ذكرهم .

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾

التفســير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ «الذين يستحبون الحياة الدنيا» هو وصف للكافرين بأنهم يؤثرون الحياة الدنيا ويفضلونها على الآخرة: ولذلك فإنهم يعملون للدنيا عملها متناسين الآخرة، ثم إنهم يصدون الناس عن سبيل الله وهي الدين الذي اختاره لعباده يوصلهم إلى رضائه وبلوغهم جنته. وذلك لأنهم يبغون أن تكون الطريق معوجة غير مستقيمة بأن تكون عقيدة فاسدة قائمة على إنكار وجود الله تعالى، أو على الإشراك به؛ ولهذا فإنهم يصدون الناس عن طريق الله المستقيم .

ويخبر تعالى عن هؤلاء الكافرين بقوله تعالى «أولئك فى ضلال بعيد» فهم سادرون في غيهم وزيغهم ضالين عن سبيل الحق، وضلت بهم سبلهم، ومضوا في هذا الضلال وساروا أمدا بعيدا، والمفهوم من هذا أنهم بقدر مسيرتهم في طريق الضلال كان ابتعادهم عن الحق.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾

التفســير:

المستفاد من قوله تعالى «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» هو أن هداية الناس إلى الإيمان تكون بإرساله تعالى الرسل يبلغون ويبينون، وأنه تعالى لم يرسل قبل رسول الله ﷺ رسولا إلا وكان يتكلم لغة قومه الذين بعث إليهم، وذلك لعلة معينة هي أن يكون إبلاغهم بالرسالة بلغة يفهمونها، وأن يكون بيان الرسول أحكام ما أبلغ به مفهوما لهم حتى يمكنهم التزامه والعمل به. والذي نراه ـ والله أعلم ـ أن المراد بقوم الرسول الذين يعود إليهم الضمير المتصل في «قومه» ليس بالضرورة هو أهل الرسول وذوو قرباه و إنما هو قومه الذين بعث

إليهم ولو لم يكونوا أهله، و إن كان المفهوم مـن وحدة اللغة بين الرسول وبين المبعوث إليهم هو اشتراكهم فى الأصـل الواحد الذى كان سببا لوحدة اللسان بين الـرسول وبينهم، كما كان الحال مع قوم لوط عليه السلام الذين كان لوط متزوجا منهم ويتكلم لغتهم، وكما كان الحال مع قوم فـرعون موسى ـ الهكسـوس ـ الذين كانـوا يتكلمون الأرامية التى كان يتكلمهـا موسى وهارون عليهما السلام .

والمستفاد مـن ورود الفعل «أرسلنـا» فى صيغـة الماضـى هو أن المبـدأ يتعلق بـالرسـل السابقين على رسول الله ﷺ، ولهذا لا يكون المعنى المستفـاد من استثناته ﷺ من هذا المبدأ مفيدا أنـه لم يبلغ بلغة قـومه، ولكن يكون المستفـاد هو أن إبلاغه ﷺ مـا بعث به بلغة قـومه لايمنع من كونه مرسلا لهم وللناس كافة، فيكون منه تعالى تيسير بلوغ الرسالة وبيانها غير قومه ﷺ ممن لايتكلمون لغة القرآن .

ثم يجىء قـوله تعالى «فيضـل الله من يشاء ويهدى من يشـاء» مفيدا أنه تعالـى يكون منه إضلال من شـاءت إرادته له الضلال لما ثبت فـى علمه تعالى الأزلى أنه يختـار الضلال فلا يكون منـه إيمان، وتكون منه هـداية من شاءت إرادتـه تعالى له الهـداية ممن ثبت فـى علمه تعالى الأزلى أنه يختار الإيمان ، فييسره له.

وقولـه تعالـى ـ فى ختـام الآية ـ «وهو العزيـز الحكيم» يفيـد أنه تعالـى متى شـاء لأحد الضلال، وشاء لغيره الهـدى فإن أمره تعالى بمشيئته ينفـذ لأنه تعالى العزيز الـذى لا يغالب، ثم إنه يكون منه الضلال وتكون منه الضلالة وفق ما قضت حكمته فى خلقه .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

أولا : الأسـمـاء :

١ ـ **الآيـات** : فى قولـه تعالى «ولقد أرسلنا موسـى بآياتنا» قيل إنهـا المعجزات التسع التى أيـد الله تعالى بهـا موسى عليـه السلام، وقيل إنهـا آيات التوراة، فـإذا كانت هـى آيات التوراة فإن المراد بقومه عليه السلام يكون هو بنى إسرائيل، والذى نراه ـ والله أعلم ـ أنها آيات الصحف التى بعث بها عليـه السلام إلى فرعون وقومه، وهم يشتركون مـع موسى عليه السلام فى الأصل الواحد ـ على ما سبق تفصيله ومما قـام عليه الدليل فى التوراة التى بين أيدينا من قول موسى عليه السلام إن جده يعقوب كان آراميا تائها فى مصر ـ كما أنها آيات التوراة التى بعث بها إلى بنى إسرائيل .

٢ ـ **أيـام الله** : قيل إن المـراد بها ـ فى معنى الآيـة ـ هـو نعم الله وبلايـاه، وقيل إنـه نعمه ونفحاته فى الأمم الخالية .

ثانيا : التفسـيـر :

الآية شروع فى بيان المبدأ السابق ذكره وهو أنه تعالى لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم، وهو بيـان جاء فى صورة أحداث قصص الأنبيـاء مع من بعثوا إليهم بلسانهـم، جاء فى الآية ذكر إرسال موسى بلسان من بعث إليهم .

فقوله تعالى «ولقد أرسلنـا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمـات إلى النور» يفيد أنه تعالى أرسل موسى عليه السلام بآيات منه تعالى مأمورا أن يخرج قومه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بالله وتوحيده.

فإن كـانت الآيات هى المعجـزات التسع فإن المراد بقـومه يكون هـو فرعون وقومـه وبنى إسرائيـل، لأنه كان مـن شأن هذه الآيـات أن تجعل فرعون وقـومه يؤمنـون بنبوة موسـى عليه السلام وتـوحيدهم الله، وأن تقنـع المرتابيـن فى موسى عليـه السلام من بنـى إسرائيل بـأنهم يتبعون نبيا مؤيدا ممن أرسله فيكون لهؤلاء وهؤلاء الخروج من الكفر وظلامات الشك إلى نور الإيمان واليقين .

وإن كانت الآيات هى آيات التوراة ، فإن قومه عليه السلام يكونون بنى إسرائيل الذين أنزلت لهم التوراة شريعة وتخرجهم من ظلمات جهلهم بأحكام الشريعة إلى نور العلم بها بعد الإيمان .

وإن كانت الآيات هى صحف موسى والتوراة التى أنزلت عليه فإن قومه عليه السلام يكونون فرعون وقومه وبنى إسرائيل يخرجون جميعهم من ظلمات الكفر والشك إلى نور الإيمان واليقين .

وقوله تعالى «وذكرهم بأيام الله» كان أمرا منه تعالى إلى موسى عليه السلام أن يذكر على سبيل الترغيب والترهيب هؤلاء الذين بعث إليهم بالآيات بالأيام التى أنعم الله فيها عليهم أو على الأمم السابقة بما أنعم، وبالأيام التى أصابهم فيها بالمحن، ليكون فى هذا التذكير حافزا لهم على الطاعة وزجرا لهم عن العصيان. فإن كان المراد بقومه عليه السلام بنى إسرائيل كان المراد بأيام النعم هو أيام نجاتهم من فرعون، وإنزال المن والسلوى عليهم ، وتفجير الأرض عيونا لهم، وإن كان المراد بقومه عليه السلام هو فرعون وقومه وبنى إسرائيل، كان المراد بأيام الله هو الأيام التى أنعم فيها تعالى على الأمم السابقة والأيام التى أصابهم فيها بنقماته وبعذابه المهلك ـ وعلى الحالين يكون المراد بالتذكير هو الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد .

وقوله تعالى «إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور» يقبل أن يكون المشار إليه بـ «ذلك» هو التذكير، ويقبل أن يكون هو أيام الله.

يكون للمؤمن فيه آيات ودلالات تقوى إيمانه وتزيده تمسكا بطاعة الله وتجنب عصيانه.

ثم إن القول يفيد أن المؤمن هو «الصبار» الذى هو دائم الصبر على كل ما يبتلى به، وهو الشكور الكثير الشكر لله على نعمه، وأنه لا يكون المؤمن مؤمنا حقا إلا إذا كان صبارا شكورا.

■■■■

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

التفسـير:

قولـه تعالـى ـ فـى الآية ـ فـى بيان تنفيـذ موسـى عليه السلام أمـر ربه إخـراج قومـه من الظلمات إلى النور وتـذكيرهم بأيام الله. فيقول تعـالـى «وإذ قال موسى لقومـه اذكروا نعمة الله عليكم...» (الآية) والمراد بقومه عليه السلام ـ فى الآية ـ هم بنو إسرائيل كما يبين من النعمة المذكر بها. ومفـاد قوله عليه السلام لهم هـو تذكيرهم بنعمة جليلة أنعـم الله بها عليهم وهى إنجاؤهـم من آل فرعون، يـذكر حالهـم بأنهم كانـوا قائمين علـى ظلم بنى إسرائيـل يطلبون ظلمهم ويسيرون فى هذا وفى تنفيذه بعيدا، ملتمسين لهم سوء العذاب الذى قيل فيه إنه كان استعبادهم واستعمالهـم فى أشق الأعمال وأدناها. وأنهـم كانوا يذبحون الذكـور من أبنائهم ويبقون على الإناث منهم.

وقد يكون قوله تعالى «ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم» تفصيلا لسوء العذاب وبيانا له، وقد يكون فعلا آخر مضافا إلى العذاب .

وقولـه عليه السـلام لهم «وفى ذلكـم بلاء مـن ربكم عظيـم» بيان لأن سوء مـا عانـوا من العذاب وتذبيح الأبناء الذكور إنما كان ابتلاء عظيما يصعب تحمله.

وفى القول إشارة إلى وجوب صبر المؤمنين على البلاء وإن عظم .

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾

التفســـير:

القول ـ فـي الآية ـ من قول مـوسى عليه السلام لبنـي إسرائيل، جاء معطوفـا على «نعمة الله». أو على «إذ أنجاكم»، وقوله لهم «وإذ تـأذن ربكم» معناه «واذكروا إذ تأذن ربكم» بمعنى أنه تعالـى أعلم وأعلن، ، وموضوع مـا أعلم به تعالى معلنا هـو ما جاء بالقول «لئـن شكرتكم لأزيدنكـم ولئن كفرتم إن عـذابى لشديد» والمعنـي هو أنه إذا قابـل المخاطبون بقولـه عليه السلام ـ وهم بنـو إسرائيل ـ نعم الله عليهم بالشكـر فإنه تعالى يزيد فـى الإنعام عليهم ويكثر عليهم نعمه، ويتصـور أن تكون زيادة النعم فـى نعم الدنيا، ويتصـور أن تكون فى نعم الـدنيا والآخرة لكون الشكر من المـؤمن ذكرا لله يثاب به. ثم إنه إذا كان منهم ـ بـدلا من شكره تعالى على نعمـه ـ الكفر بها بعـدم أداء حق الشكر، أو كان منهـم الكفر بالله تعـالى فإنه يكـون لهم العذاب الشديد، ويلاحـظ أنه ـ وإن كان القائل هو موسى عليه السلام ـــ إلا أنه قال قول ربه «لئن شكـرتم لأزيدنكم» وأنـه حين أخبر عن تعـذيب الكافريـن لم يقل «لأعذبنكـم» فجاء التهديـد أو الوعيد بـالإلماح إلى كـون العذاب مصير الكافـرين عمومـا، دون التصريح بـأنه مصيرهـم، وهذا وجه مـن أوجه كرمـه تعالى لـدى التهديد والـوعيد، والعذاب المقصـود هو عذاب الدنيا والآخرة .

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾

التفســـير:

يخبر تعالى ـــ فى الآية ـ عن تتمة قـول موسى عليه السلام لقومـه بعد أن أعلمهم وجوب أداء حق النعمة من الشكر وأنذرهم بعذاب شديد يكـون للكافرين، فإنه عليه السلام أعلمهم أن إيجاب شكر النعمة عليهم لم يكن لحاجة لديه تعالى أن يشكره الناس، وأن كراهته تعالى الكفر والتعذيب به لـم يكن لإضرار الكفر به تعالـى، فجاء قوله عليه السلام معلما إياهم أنهم إن كفروا وشاركهم الكفر جميع خلقه تعالى فى الأرض فإن كفرهـم جميعا لا يضره تعالى شيئا،

فهو تعالى الغنى عن شكرهم وعن شكر جميع مخلوقاته، ثم إنه تعالى محمود فى ذاته فهو غنى عن أن يحمده الحامدون، ثم إنه يحمده الملائكة فيكون غنيا عن أن يحمده أهل الأرض .

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾

التفسير:

القول - في الآية - يتصور فيه أن يكون من قول موسى عليه السلام لقومه، ويتصور فيه أن يكون قوله تعالى فيكون المخاطب به هم جميع الناس أو المؤمنين .

والاستفهام فى قوله تعالى «ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم» أريد به التذكير بأحوال هؤلاء الأقوام الذين كانوا فى أزمنة قبل زمان المخاطبين بالقول، وقد ذكر تعالى من هؤلاء الأقوام قوم نوح، وقوم عاد، وقوم ثمود، وأضاف إليهم أقواما آخرين كانوا من بعد هؤلاء المذكورين حصرا بأسمائهم إلى زمان المخاطبين بالقول. قطع تعالى بأنه لا يعلمهم إلا الله، فإن كان الضمير فى «يعلمهم» عائدا إلى أقوام نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم جميعهم، كان مفهوم الذى لا يعلمه إلا الله هو ما تعلق بأعدادهم، ويكون سبب عدم إعلام الناس به هو نتيجة لعدم أهمية ذلك للعظة المبتغى تحصيلها من التذكير، فأما إن كان الضمير عائد إلى «والذين من بعدهم» فإن القول يكون قد قطع بعدم معرفة الناس على نحو صحيح بهؤلاء الأقوام، فيكون القول مشيرا إلى صحة ما يقول به النسابون فى علم الأنساب .

ثم إنه تعالى يبين فى القول ما كان من هؤلاء الأقوام مع رسلهم فيقول تعالى «جاءتهم

رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم» فالقول يذكر أن رسلهم جاءوهم بالبينات وهى الأدلة التى تثبت صدقهم وصدق ما بعثوا به، ويثبت أن الكفار كان منهم الإعراض عن هذه البينات، جاء التعبير عنه بقوله تعالى «فردوا أيديهم فى أفواههم» ويتصور أن يكون الفعل قد صدر من الكافرين بأن أشاروا إلى ألسنتهم تعبيرا عن إجابتهم على دعوة الرسل وبيناتهم، ويتصور أن يكونوا قد وضعوا أيديهم ليخفوا ضحكهم أو ليظهروا أنهم يضحكون استهزاء بالمرسلين وببيناتهم، أو أنهم كانوا يعضون أصابعهم من الغيظ، أو أن يكون الفعل بمعنى «اسكت»، ويتصور أن يكون الكافرون قد وضعوا أيديهم على أفواه الرسل ليسكتوهم. كذلك فإنه يتصور أن يكون الفعل قد صدر من الرسل أمسكوا أيادى الكافرين ووضعوها على أفواههم ليسكتوهم عن الاسترسال فى قول الباطل .

ثم إنه تعالى يذكر أن الكافرين كان منهم بعد ذلك الإعلان صراحة عن كفرهم بأفواههم «وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب» يذكرون لرسلهم أنهم قد كفروا بما دعوهم إليه من الإيمان وبالبينات التى تدلل على صدقهم، وأنهم يشكون ويرتابون فيما يدعون إليه من إيمان بالله وتوحيده على نحو يؤدى إلى شك آخر وريبة. فيكون مفاد القول هو تأكيد ارتيابهم فى دعوة الرسل .

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (١٠)

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى مبتدأ الآية ـ قول الرسل لأقوامهم ردا على إعلامهم بإصرارهم على

الكفر وارتيابهم فيما يـدعونهم إليه، وقول الرسل «أفى الله شك» هـو استفهام أريد به إنكار أن يكون فى الله تعالى شك، فإن كان القوم هم مـن الملاحدة الذين كانوا ينكرون وجود الله، فإن الإنكار يكون محله هو عدم وجود إله مدبر للكون، وإن كانوا من المشركين الذين يعبدون مع الله معبودات أخرى فإن محل الإنكار يكـون عدم توحيدهـم الله، فيكون مفاد القول هـو «أفى وحدانية الله شك» .

ثم يجىء قول الرسل «فاطر السماوات والأرض يدعـوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى» وفى قراءة «فاطر» بالكسر مـا يعنى ورود اللفظ بدلا من لفظ الجلالة أو صفة الله، وفى قـراءته بالفتـح يكون قد جـاء منصوبـا على المدح بمعنـى «أمدح فاطـر السماوات والأرض» أو حالا. والمعنـى أنه تعـالى موجـد السماوات والأرض من العـدم ومبدعهمـا ومن فيهما وما فيهما .

وقول الرسل «يدعوكـم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجـل مسمى» يفيد أنه تعالى يدعوهم بواسطة رسلـه إلى الإيمان ليكون لهم بسبب إيمانهم ما يغفر لهـم به بعض ذنوبهم، وقيل إن الذى يغفـر هو ما تعلق بحقوق الله تعـالى دون ما تعلق بحقوق العبـاد، ورد على هذا بأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله ولو تعلق بحقوق العباد، وقيل إن الذى يغفر هو ما قبل الإيمان، وقيل إنه الكبائر أمـا الصغائر فإنها بـذاتها مغفورة؛ ولهذا قيـل إن ذكر غفران بعض الـذنوب لا يفيد عدم غفران البعض الآخر. كما يفيد القول أن الله تعالى لا يعجل للكافرين عذابهم وإهلاكهم وإنما يمهلهم ويمتعهم فى الدنيا إلى آجال انتهاء أعمارهم .

ثم يذكر تعالى رد الكافرين على رسلهم بقولـه تعالى «قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونـا عما كان يعبد آبـاؤنا فأتونـا بسلطان مبين» فهـم ينكرون عليهم أن يكون لهـم فضل يمتازون به عليهم، فهم يماثلونهم فى صفة البشرية، والقول بهذا المعنى يفيد طلبهم أن يكون الرسول ملكا، أو إنهـم يماثلونهم فى البشرية وفـى المرتبة فيها ـ بمعنى أنهـم ليسوا ملوكا ولا حكاما»، فيكون المعنى أنهم يطلبون رسلا من ذوى الملك أو المال. ثم إنهم يقولون لرسلهم أنهم إنمـا يريدون بـدعوتهم لـلإيمان وتوحيـد الله تعالى صـرفهم عن عبـادة ما كان آبـاؤهم

يعبدون دون سبب يدعو إلى هذا. ثم إنهم كانوا يبدون عدم اقتناعهم بما جاء به الرسل من معجزات بطلب معجزات أخرى على سبيل التعجيز بقولهم «فأتونا بسلطان مبين» .

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى رد الرسل على الكافرين من أقوامهم، فيذكر تعالى أنهم وافقوا قومهم فيما قالوه بشأنهم من أنهم بشر مثلهم بمعنى أنهم يماثلونهم فى صفة الطبيعة البشرية «إن نحن إلا بشر مثلكم»، ثم إنهم أبدوا تحفظا على هذا القول أو على هذه الموافقة بقولهم «ولكن الله يمن على من يشاء من عباده» فبينوا لهم أن الاصطفاء للنبوة هو مما يمن به الله تعالى على من يختار من عباده فيتفضل عليه بنعمة الرسالة، يكون بمشيئته تعالى. ولما كان معلوما أنه تعالى إنما يصطفى للنبوة من كان له صفات الكمال بين البشر فى نفسه وبدنه مما لا يشاركه فيه غيره فى زمانه ومكانه، فإن كلام الرسل يكون من قبيل التواضع .

ثم إن الرسل ذكروا لأقوامهم أنه ما كان مستقيما ولا مقبولا أن يأتوا أقوامهم ـ من أنفسهم ـ بشىء من المعجزات التى أتوا بها وأنهم على الإتيان بما طلبوا من السلطان المبين أشد عجزا، ثم إنهم أعلنوهم أنهم إنما أتوا بما أتوا به بإذنه تعالى، فيكون المعنى أنه «إذا شاء تعالى أن تأتيكم بما طلبتم كان منه تعالي هذا، وإذا لم يشأ فإنه لن يكون شىء مما طلبتم» .

وقول الرسل «وعلى الله فليتوكل المؤمنون» فيه بيان لما دعوا إليه من إيمان بالله وتوحيده ببيان أنه عليه تعالى وحده يكون التوكل والاعتماد من المؤمنين، وفيه إشارة إلى الاعتماد عليه تعالى فى الصبر على عناد الكافرين وجدالهم دفاعا عن كفرهم ، كما أنه يتضمن تواضعا

منهم بإدخالهم أنفسهم فى زمرة المؤمنين مع كونهم أئمتهم فى الإيمان وروادهم والداعين إليه.

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

التفسير:

القول من قول الرسل لأقوامهم، وفى قولهم «وما لنا ألانتوكل على الله وقد هدانا سبلنا» جاءت «ما» للاستفهام فى موضع رفع مبتدأ، وخبرها «لنا»، و«ألانتوكل على الله» فى موضع الحال، والمراد بالعبارة هو «أى شىء لنا فى عدم التوكل على الله»، وقولهم «وقد هداناسبلنا» هو بيان سبب انعدام ما يبرر عدم التوكل على الله لكونه قد هداهم سبلهم، بمعنى أنه تعالى قد دل كلا منهم على الطريق الذى يوصل إلى رضائه ويبعد بهم عن سخطه.

ثم إنهم قالوا لأقوامهم «ولنصبرن على ما آذيتمونا»، «واللام» فى «لنصبرن» هى لام القسم فيكون المعنى «والله لنصبرن على ما آذيتمونا» فيشمل الإيذاء عناد الكافرين وطلبهم الآيات المعجزات، كما يشمل الاستهزاء والإهانة والضرب على مما عاناه الرسل أو بعضهم.

وقول الرسل «وعلى الله فليتوكل المتوكلون» هو إثبات لحالهم من التوكل على الله تعالى، وصفوا أنفسهم فى القول بأنهم المتوكلون بعد أن وصفوا أنفسهم من قبل بأنهم المؤمنون، وكأنه أريد به إثبات أن التوكل على الله يكون من المؤمنين.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾﴾

التفسير:

المستفاد من قوله تعالى «وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى

ملتنا» أن القول لم يصدر من جميع قوم كل رسول و إنما من الكافرين منهم وحدهم، كذلك فإن المستفاد منه هو أن القائلين كانوا يملكون سلطة الإبعاد من الأرض أو النفى بالقوة أو بالحكم وسلطانه. ومعنى القول هو تخييرهم الرسل بين أمرين هما إخراجهم من أرضهم أو دخولهم فى ملتهم، فلا يفيد لفظ «لتعودن» معنى أن الرسل كانوا من قبل أن يبعثوا على ملة قومهم من الكفر.

ثم يذكر تعالى أنه أوحى بعد سماع الرسل هذا القول إليهم بأنه مهلك الظالمين، والمراد بالظالمين فى عبارة القول هم الذين بقوا على كفرهم وأصروا من قائلى القول دون من آمن منهم بعده .

وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

أولا : الأسـماء :

المقـام : فى قوله تعالى «لمن خاف مقامى» اسم مكان بمعنى مكان الإقامة، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ مقام العباد بين يدى الله تعالى يوم القيامة، وقيل إن المراد به هو العذاب .

ثانيا : التفسـير :

القول تتمة قوله تعالى للرسل بعد أن أوحى إليهم أنه مهلك الظالمين، يقسم تعالى أنه يسكن الرسل أرض الظالمين وديارهم من بعد إهلاكهم، والظاهر أن المقسم عليه يعتبر من جنس العقوبة أو الجزاء لأنه لما أقسم الكافرون أن يخرجوا الرسل بقولهم «لنخرجنكم من أرضنا» قدر تعالى أن يخرجهم من الدنيا وأن يورث الرسل والمؤمنين أرضهم وديارهم جزاء لهم على قولهم الذى توعدوا به الرسل والمؤمنين .

ثم يقول تعالى «ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد» يشير فيه إلى إهلاك الظالمين و إسكان الرسل والمؤمنين بهم ديارهم باسم الإشارة «ذلك» مع كونهما اثنين لبيان ارتباط

إسكان المخاطبين ديار المهلكين بهلاك هؤلاء حتى لكأنهما أمر واحد. ويخبر أنه يكون لمن يخشى مقامه فى الآخرة بين يدى الله تعالى للحساب، ولمن يخاف وعيده بالعذاب. وهذا هو حال المتقين .

وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الجبـار : فى قوله تعالى «وخاب كل جبار عنيد» الجبار من البشر هو المتكبر الذى لا يرى حقا عليه لأحد، وهو الذى يدعى منزلة عالية ليست له، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ المتكبر عن عبادة الله تعالى وطاعته.

٢ ـ العنيـد : المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو المبتعد عن الحق بإصرار مع التباهى بهذا.

ثانيا : التفسـير:

الذى تدل عليه عبارة الآية هو أن الرسل ـ بعد يأسهم من أن يؤمن لهم آخرون من قومهم وبعد أن خيرهم هؤلاء بين إخراجهم من أرضهم وبين الدخول فى ملة الكفر ـ استنصروا ربهم على الظالمين، وكان ذلك منهم بعد إذنه تعالى لهم أن يستنصروه عليهم. وقوله تعالى «وخاب كل جبار عنيد» يفيد أنه كان منه تعالى نصر رسله والمؤمنين وإهلاك الظالمين تحقيقا لوعده فكان الخسران والهلاك لهؤلاء الجبارين المعاندين للحق، أو لكل واحد منهم، لم يفلت منهم أحد .

مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أن أهلك كل جبار عنيد، فإنه تعالى أخبر أنه يكون من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد. وقيل إن المراد بقوله تعالى «من ورائه جهنم» هو أنها تكون قدامه

وبين يديه وأنه واقف على شفيرها مبعوث إليها، وقيل ـ وهو ما نراه والله أعلم ـ أنه يكون له من وراء حياته الدنيا أو بعدها جهنم وعذابها. وفيها يسقى من ماء صديد، قيل هو ما يسيل من أجسام أهل النار من قيح ودم، وقيل هو ماء يسيل من فروج الزناة والزواني، وقيل هو ماء تصد عنه النفس لشدة كراهته .

يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن كل جبار عنيد يسقى في جهنم من ماء صديد، وصف تعالى ما يكون من الجبار العنيد لدى شربه فقال تعالى «يتجرعه ولا يكاد يسيغه»، بمعنى أنه يتحساه جرعا مرة بعد مرة لا يستطيع أن يتناوله مرة واحدة لشدة مرارته ولحرارته، يفعل هذا وهو لا يكاد يسيغه بمعنى أنه لا يكاد يبتلعه، أو أنه يبتلعه بعد إبطاء، فهو ـ كما نقل عن رسول الله ﷺ ـ يقرب الماء فيتكرهه فإذا أدنى منه ـ شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه وقد قال تعالى «وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم» .

ثم يقول تعالى «ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت، ومن ورائه عذاب غليظ» بمعنى أنه تأتيه أسباب الموت من صور العذاب من جميع الجهات أو من كل مكان في جسده لكنه لا يموت فيرتاح من العذاب بل يظل حيا يتجرع العذاب، ثم إنه يكون منه أن يستقبل في كل وقت من كل مكان عذابا غليظا، قيل إنه الخلود في النار، وقيل هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد .

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ الرمـــاد: فى قوله تعالى «أعمالهم كرماد» هو ما بقى من الشىء بعد تمام احتراقه.

٢ـ العاصف : فى قوله تعالى «فى يوم عاصف» مـن «العصف» وهو شدة الريح، وهو ـ فى الآية ـ وصف للريح، وصف به اليوم لأن الريح كائنة فيه، كما يقال يوم حار ويوم بارد.

ثانيا : التفســـير:

فى قـوله تعالـى «مثل الذيـن كفروا بـربهم» يتصور أن يكـون «مثل» مبتدأ، وخبـره مضمر، تقديره «فيما يتلى عليكم» فيكون معنى القول هو «مثل الذين كفروا فيما يتلى عليكم أعمالهم كرماد...». ويتصـور أن يكون «مثل» فلغى المعنى فيكون معنـى القول ـ تقديرا ـ هـو «والذين كفروا بربهم أعمـالهم كرماد»، ويتصور أن يكون المعنـى هو «مثل أعمال الذين كفـروا بربهم كرماد». فيكون معنى قوله تعالى أن أعمال الذين كفروا بربهم ـ والمراد هو أعمالهم الصالحة ـ تماثل رماد شىء محترق وجد عرضة للريح فى يوم كانت الريح فيه شديدة فيكون من شأنها معه أنهـا تمحقه فلا يبقـى منه أثـر ظاهر، فيكـون المعنى المراد إبـرازه هو بيـان أن أعمالهـم الطيبة تكـون محبطة غير مقبولـة لأنها لم تكن لـوجه الله تعالـى أو لأنهم أشركوا فيهـا غير الله تعالى.

وقوله تعالى «لا يقدرون مما كسبوا على شـىء» معناه أنهم فى يوم القيامة لا يجدون لعمل صالح عملوه فى دنياهم أثرا من ثواب أو من تخفيف العذاب عنهم .

وقوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ «ذلـك هو الضلال البعيد» مفاده هو أن مـا دل عليه المثل المضروب هو أن تقديرهم أنهم بأعمالهم الطيبـة قد كسبوا خيرا ليس سوى ضلال عن الحق والصواب، أو أن أداءهم الأعمال الطيبة كان انتقاصا لأموالهم وبذلا لجهدهم فى الدنيا ـ فهو خسارة لهم ـــ ثم إنهم بعدم إثـابتهم عليها فى الآخرة يكـون قد نالهم خسـارة أخرى، فيكون خسرانهم خسرانا كبيرا، ثم إنه لما كان سبب ذلـك الخسران هو كفرهم وضلالهم، وقد فاتهم بالموت أن يعدلوا عنه إلى الإيمان فإنه يكون ـ كما وصفه تعالى ـ ضلالا بعيدا .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾

التفسير:

يتصور في القول أن يكون المخاطب به هم الكفار بدلالة قوله تعالى «إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد». ويتصور أن يكون الخطاب إلى رسول الله ﷺ والمراد به أمته.

والمراد بالاستفهام في قوله تعالى «ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق» هو التدليل على قدرته تعالى على كل شيء في السماوات والأرض بحكم التفسير اللفظي لعبارة النص وهو «ألم ينته علمك إلى أن الله خلق السماوات والأرض - بحكمته - على خير وجه - يكون عليه خلقهما». فيكون المعنى المستخلص هو أن القادر على هذا يقدر على كل شيء دونه.

وقوله تعالى «إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد» مفاده أنه تعالى - مع قدرته على كل شيء - لو أراد أن يفنيكم أيها الناس لعصيانكم، وأنه يوجد خلقا آخر غيركم من جنسكم أو من غيره أفضل منكم وأطوع، فإنه يفعل هذا.

وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه إن يشأ فإنه يفني الناس لعصيانهم ويأتي بخلق جديد غيرهم أفضل منهم وأطوع، فإنه تعالى أثبت بصريح القول ما هو مستفاد من عبارة الآية السابقة وهو أن فعل هذا ليس متعذرا عليه ولا صعبا.

فيكون القول دعما لتهديد الكافرين بالهلاك لدى إصرارهم على الكفر.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الضعفاء**: جمع ، مفرده الضعيف، والمراد بهم ـ فى معنى الآية ـ ضعاف الرأى الذين يتبعون رأى غيرهم .

٢ ـ **الذين استكبروا** : المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم الذين تعالوا بآرائهم سواء أكانوا من الرؤساء أم اعتبروا من أهل العلم فاتبعهم الناس .

٣ ـ **التبع** : فى قوله تعالى «إنا كنا لكم تبعا» ، جمع مفرده تابع، وقيل هو اسم جمع، والمراد بالذين كانوا تبعا ـ فى معنى الآية ـ الضعفاء الذين اتبعوا الذين استكبروا ولم يكن لهم رأى خاص بهم .

٤ ـ **المحيص** : فى قوله تعالى «مالنا من محيص» اسم مكان من «حاص ـ يحيص»، أو مصدر ميمى منه، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ المكان الذى تكون بالالتجاء إليه النجاة من العذاب .

ثانيا : التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى مثل الذين كفروا بربهم، وبعد أن توعدهم بإذهابهم والإتيان بخلق جديد، فإنه تعالى يذكر ما يكون منهم يوم القيامة، فيقول تعالى «وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء» ومن القول يبين أن الحدث المخبر عنه هو حدث مستقبل ـ وهو البروز لله يوم القيامة ـ جاء التعبير عنه بالفعل الماضى «برزوا» لإظهار حتمية وقوعه. وفى القول يخبر تعالى أنه فى يوم القيامة

يبرز الكافرون جميعهم من قبورهم أو يبرز الكافرون والمؤمنون جميعهم، بمعنى أنهم يظهرون للرائين، ويكون ظهورهم هذا لأجل لقاء حساب الله تعالى - على ما يبين من اللام فى «لله».

ثم يذكر تعالى أنه يكون من ضعاف الرأى الذين اتبعوا فى الكفر ما ذهب إليه سادتهم وذووا الرأى فيهم لهؤلاء السادة وأصحاب الرأى أنهم كانوا فى دنياهم لهم تبعا، اتبعوهم فى تكذيب الرسل وفى الإعراض عما دعوهم إليه، ثم إنهم يسألونهم - تقريعا لهم وتوبيخا - «فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء» جاءت الفاء فى أداة الاستفهام لبيان علاقة السببية بين ما قدرلهم من العذاب وبين واجب المستكبرين فى أن يغنوا عنهم شيئا من عذاب الله، ثم إنهم استفهموا عن الإغناء عنهم بعض عذاب الله تعالى وليس عذابه تعالى أجمع. ومن عبارة الاستفهام يبين أن الضعفاء قالوا قولهم بعد أن عرفوا أنهم معذبون، ومبلغ ما أعد لهم من العذاب .

ويورد تعالى رد المستكبرين أو السادة وذوى الرأى على الضعفاء بقوله تعالي «قالوا لو هدانا الله لهديناكم، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص» بدأوه بالاعتذار عن خطئهم بالكذب، فهم يذكرون أنهم أضلهم الله تعالى فكان رأيهم الذى اعتقدوا صحته باطلا، وأنهم أقنعوا به تابعيهم.

ولأنه تعالى لم يهدهم إلى الحق فإنهم لم يهدوا إليه - وهو الإيمان بالله - تابعيهم وموضع الكذب فى قولهم هو أنه تعالى لم يجبرهم على الكفر لكنه علم منذ الأزل أنهم يختارونه فجاءت مشيئته لهم بالكفر موافقة علمه تعالى بما يكون منهم .

وقول «سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص» يتصور فيه أن يكون تتمة قول المستكبرين، ويتصور فيه أن يكون قول الفريقين: الضعفاء والمستكبرين، ومعناه هو إيمانهم بحتمية لقائهم عذاب ربهم، يتساوى فى هذا أن يصيبهم الجزع من العذاب وأن يصبروا عليه، فلا يكون لهم مكان يلجؤون إليه فيكون بالالتجاء إليه نجاتهم منه .

■■■■

وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ الأمـــر: في قوله تعالى «لما قضى الأمر» المراد به ـ في معنى الآية ـ هو الحساب .

٢ ـ المصرخ : فى قوله تعالى «ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى» هو المغيث من الكرب.

ثانيا : التفســير:

يذكر تعالى ما يكون عليه الكافرين مع إبليس بعد الفراغ من الحساب ودخول أهل الجنة الجنة. ودخول أهل النار النار، ومن قوله تعالى يبين أنه يكون لإبليس فى ذلك اليوم حديث أو خطبة فى أهل النار من الجن والإنس، يبدو أن سببه أو سببها هو رجوع أهل النار عليه باللائمة لكونه الذى أضلهم فأوردهم النار، فيقول لهم «إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم» والقول تمهيد لأن يلقى باللوم عليهم، وفيه يقر بأن الله تعالى قد وعد بالبعث والجزاء، ووعد المؤمنين الجنة وتوعد الكافرين عذاب النار، وأن وعده تعالى هو الحق الذى ينجز أو أنه وعد الله الحق فيكون وعدا لا يخلف. ويقر أيضا أنه قد وعدهم باطلا فأخلفهم، كان وعده باطلا لأنه وعد ألا يكون حساب ولا جنة ولا نار، أو لأنه زين لهم عبادة الأصنام تشفع لهم وتقربهم من الله زلفى، أو لأنه أقنعهم أن ما يقوله أحبارهم ورهبانهم الذين كذبوا على الله هو الحق. وقد أخلفهم ما وعدهم لظهور كذبه وبطلانه .

وإلقاء إبليس تبعة الكفر والعصيان على الكافرين يبين من قوله «وما كان لى عليكم من

سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى» يذكر أنه لم يكن صاحب نفوذ عليهم أو سلطان يجبرهم على طاعته وعصيان الله والكفر برسله، فهو لم يفعل سوى دعوتهم للكفر والعصيان بالوسوسة إليهم، فكان منهم سرعة الاستجابة له ـ على ما يبين من «الفاء» فى فاستجبتم لى ـ وذلك لأن دعوته أو وسوسته قد صادفت هوى فى أنفسهم وما كانوا يرغبون، ولهذا جاء قوله لهم «فلا تلومونى ولوموا أنفسكم» وفيه ينفى عن نفسه أنه كان سبب ما يلقون من العذاب خاصة أنه قد أظهر عداوته لبنى آدم مما كان يستدعى الحذر منه حين قال «لأقعدن لهم صراطك المستقيم»، وفيه أيضا يظهر أنه إذا كان هناك من يلام فهو أنفسهم التى استجابت لوسوسته مختارة لموافقتها هواها رغم أنه لم يقم دليلا على صحة وعده، وهى التى كان هواها الكفر بالله تعالى وعصيانه رغم أن الرسل والآيات كانت تدلل على وحدانيته ووجوب اختصاصه وحده بالعبادة والطاعة .

ثم يضيف إبليس قوله «ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى» ومفاد قوله أنه ملاق ما هم ملاقون من العذاب، فهو يثبت عجزه عن أن يدفع عن نفسه منه شيئا، فيكون المفهوم أنه أعجز من أن يعينهم على ما يلقون من العذاب أو عن أن يدفع عنهم منه شيئا إن كانوا قد استغاثوا به . ثم إنه ـ لما علم أن أحدا من أهل النار لا يستطيع أن يساعد أحدا من أهلها ـ فإنه لم يستغث بهم وكذلك يتعين عليهم ألا يستغيثوا به، فهو غير قادر على إغاثتهم كما أنهم على إغاثته غير قادرين. فمفاد القول هو استمرار نفي إغاثة أحدهما الآخر.

ثم يعلن إبليس تبرؤه من إشراكهم به من دون الله فى الحياة الدنيا بطاعته وعصيان ربهم بقوله «إنى كفرت بما أشركتمون من قبل» ووقت إعلانه كفره بسبق الإشراك به هو يوم وقوفه خطيبا متحدثا فى الناريين أهلها، والذى كفر به وتبرأ منه هو إشراك أهل النار فى الدنيا بالله تعالى بإطاعتهم إبليس، فإن كان شركهم فى الدنيا بعبادتهم الأصنام أو الكواكب أو الملائكة أو الأشخاص، فقد كان ذلك بواسطته إذ هو اللعين الذى زين للمشركين هذا فأطاعوه. ثم إنه بتبرئه من شركهم يكون قد قطع ما كان بينه وبينهم من صلة، فلا يكون ثمة سبب لأن يطلبوا منه أن يغيثهم بعد أن رأوا الشافعين المأذونين بالشفاعة يشفعون فى عصاة المؤمنين .

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «إن الظالمين لهم عذاب أليم» يتصور فيه أن يكون قول إبليس يقوله يوم القيامة أو وهو فى النار ليقطع الأمل لدى الكافرين فى أن يعينهم أو يغيثهم، فيكون ذكره فى الآية تنبيها للناس لما يكون فى هذا اليوم ليتجنبوا أن يكونوا ممن يستيغثوا بالشيطان فيتبرأ منهم. ويتصور فيه أن يكون قوله تعالى أو قول خزنة جهنم يثبتون فيه أن للكافرين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم عذاب أليم لا مخرج لهم منه ولا نهاية له.

وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴿٢٣﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن المؤمنين والكافرين يبرزون جميعهم من قبورهم ليلقوا حساب الله تعالى يوم القيامة. ثم بين حال الكافرين فى النار، وما يكون بينهم وبين إبليس، فإنه تعالى يخبر عن حال المؤمنين الذين آمنوا والذين وافق عملهم ما وقر فى قلوبهم من إيمان فكان عملا صالحا، فقال تعالى «وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم» جاء التعبير عن دخولهم فى الجنات بالفعل الماضى - على ذات النهج السابق، ليكون موافقا له - ودخول المؤمنين الجنات يكون بواسطة الملائكة فالملائكة هم المدخلون، ويبين تعالى أن دخولهم فى الجنات كان بإذنه، فهو تعالى الذى وفقهم إلى الإيمان سبيلا إلى الجنة، والذى أمر الملائكة فأدخلوهم، وهى جنات فيها من المتع الحسية متع للنفوس منها جريان الأنهار فى أرضها أو تحتها.

ثم يقول تعالى «تحيتهم فيها سلام»، والمعنى أن الملائكة يحيونهم بالسلام بإذن ربهم، ويدعون لهم به، مع كونهم فيه آمنين.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **الكلمة الطيبة** : فى قوله تعالى «كلمة طيبة كشجرة طيبة» قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الثمر، وقيل هو قول «لا إله إلا الله»، وقيـل هو القرآن العظيم، وقيل هو دعوة الإسلام، وقيل التسبيح والتنزيه.

٢ ـ **الشجـرة** : فى قـوله تعالـى «كشجرة طيبـة» قيل إن المراد بهـا ـ فى معنـى الآيـة ـــ هو النخلة، وقيل هو المؤمن، وقيل هى نخلة جوز الهند .

٣ ـ **الفـــرع** : فى قولـه تعالى «وفرعهـا فى السماء» المراد به ـــ فى معنى الآية ـــ هو أعلى الشجرة، وقيل هو فروع الشجرة .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكر تعالـى أعمال الكافرين ومثل لها بالـرماد فى اليوم العاصف، فإنـه تعالى ذكر أقوال المؤمنين، خاطب بالقول رسول الله ﷺ وكل من له عقل يعى، ويفهم ويتدبر، فأظهر أنه يورد مثـلا يضعه فـى موضعه الـذى يظهر مقصـوده «ألم تر كيـف ضرب الله مثـلا»، ومضمون المثل هو أن الكلمة الطيبة التى يقولها المؤمن ـــ قيل إنها لا إله إلا الله ـ هى ثمرة تخرج منه أو هى مثل الثمرة، تخرج من الشجرة الطيبة ـ قيل إنها النخلة ـ صفة أصلها أنه ثابت فى الأرض ضارب فى أعماقها فهى شجرة قوية، وأعلاها يتجه إلى السماء .

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

التفســـير:

بعد أن مثل تعالـى للكلمة الطيبة يقولها المؤمـن بالشجرة الطيبة، فإنه تعـالى ذكر أن هذه الشجرة الطيبة تؤتى أكلهـا كل حين بإذن ربها، بمعنى أنها تعطى ثمارهـا فى كل وقت حدده

الله لها أن تعطى فيه ثمارهـا بأمره تعالى. فيكون المستفاد من المثـال أن الكلمة الطيبة تخرج من المؤمـن فيثاب بها، وأنه تعالى يـزيد فى ثواب المؤمـن وحسناته بها بإرادته فـى كل حين حسبما جرت به مشيئته تعالى.

وقوله تعالى «ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتـذكرون» مفاده أنه تعالى يضرب للناس الأمثال لتسهيل فهم المراد إيصاله إلى الأفهام والمأذون به أن يحيط به علمهم، كما أنه يكون بها تذكر أحكامه تعـالى لما فى الأمثال من تنشيط لملكة التصورالتى يـأخذ بها القول صورة المحسوسات ، فيسهل عن طريق ذلك استدعاء الحكم من الذاكرة بتذكر المحسوسات التى وردت فى المثال المضروب .

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ الكلمة الخبيثة : فى قوله تعالـى «ومثل كلمة خبيثة» المراد بها ـ فى معنـى الآية ـ هو كلمة الكفر، أو الدعاء إليه، وقيل هى الكافر نفسه .

٢ ـ الشجـرة الخبيثة: فى قـوله تعالـى «كشجرة خبيثة». وقيـل هى شجرة الحنظـل، وقيل شجرة الثوم، وقيل هى شجرة لم تخلق على الأرض. وقـد يكون الصحيح ـ والله أعلم ـ أنه لم يقصـد بها شجـرة معينة، وإنمـا أى شجرة يكـون قد خبـث ثمرهـا وتوافـرت فيها الصفـات المذكورة فى نص الآية .

ثانيا : التفســير :

بعد أن مثل تعالى للكلمة الطيبة تخرج من فم المؤمن بالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، فإنه تعالى مثل للكلمة الخبيثة تخرج مـن فم الكافر بالكفر أو الدعوة إليه أو بكل ما يغضب الله تعالى بالشجرة الخبيثة الثمر، اقتلعت مـن أصلها، ولم يكن لها أصل ثابت فى الأرض، والمراد بالتشبيه بأنه ليس لها أصل ثـابت فى الأرض هو انعدام حجة الكفر والقول به

وانعدام ثباته، وإثبات أنه لا خير فى الكفر.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

التفسير:

بعد أن مثل تعالى لكلمة الإيمان تصدر من المؤمن، وكلمة الكفر تخرج من الكافر، فإنه تعالى أثبت فى شأن المؤمنين، يدخل فيهم المسلمون ويدخل فيهم مؤمنوا الأمم السابقة، أنه يثبتهم على الإيمان الذى هم عليه وعلى القول به بعد تمكنه فى قلوبهم، يكون ذلك منه تعالى لهم فى الحياة الدنيا ولو تعرضوا لما يفتنهم عن دينهم ـ كما حدث مع كثيرين من أصحاب رسول الله ﷺ الذين عذبهم الكفار فى مكة ليردوهم عن دينهم ـ وقيل إن منه فتنة القبر حين يسأل الملكان الميت عن ربه، ودينه، ونبيه فيجيب المؤمن بما ثبته الله عليه من الإيمان، كما يثبتهم عليه يوم القيامة .

وبعد أن أخبر تعالى عما يكون منه تعالى مع المؤمنين فإنه أخبر أنه يضل الظالمين، وهم الكافرون، يخلق فيهم الضلال والبعد عن الحق الذى ثبت المؤمنين عليه، وإضلاله إياهم هو تثبيت لهم على ما اختاروه بإرادتهم .

وقوله تعالى «ويفعل الله ما يشاء» هو إخبار بأنه فى تثبيته المؤمنين على إيمانهم وفى إضلاله الكافرين يكون فعله تعالى موافقا مشيئته وفق ما اقتضت حكمته.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ - نعمة الله : هى جميع نعمه تعالى، وقيل إن المراد بها - فى معنى الآية - النعم التى أنعم بها الله على أهل مكة من إسكانهم حرمه وجعلهم قوام بيته، وبعثه محمدا ﷺ منهم وفيهم.

٢ - دار البوار: قيل إن المراد بها - فى معنى الآية - هو الهلاك، وقيل إنه جهنم .

ثانيا : التفسـير:

الاستفهام - فى الآية - للتعجيب من فعل المشركين، والمخاطب بالقول هو رسول الله ﷺ، والمتعجب منه هو فعل المشركين الذين استبدلوا بشكر الله على ما أنعم عليهم به من النعم كفرهم به وبرسوله ودينه. وقيل إن هؤلاء المشركين هم فجار قريش من بنى مخزوم وبنى أمية، أدى فعلهم إلى إحلال قومهم دار البوار، وذلك بإهلاك بنى مخزوم يوم بدر، وإيرادهم قومهم الذين اتبعوهم جهنم يوم القيامة .

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ (٢٩)

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أن الذين بدلوا نعمة الله كفرا قد أحلوا قومهم دار البوار، فإنه تعالى بين أن دار البوار هى جهنم - قيل إنه لهذا لا يجوز الوقف على دار البوار لورود جهنم منصوبة - أوضح تعالى أن قوم مبدلى نعمة الله كفرا يكون حالهم هو الاصطلاء بحرها. ثم إنه تعالى ذم جهنم فذكر أن بئس القرار هو قرارهم منها، فيكون قرارهم فيها شاملا حلولهم فيها واصطلاءهم بحرها على نحو دائم مستمر.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ (٣٠)

التفســـير:

قوله تعالى فى هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا، فمن بعد ذكره أنهم كفروا أنعمه، يذكر فى الآية كفرهم بذاته و إضلالهم قومهم، فيثبت تعالى أنهم اتخذوا أمثالا لـه، وجه المماثلة هو فى دعوتهم آلهة، أو فـى عبادتهم كما يعبد الله فهم بهذا جعلوا لله أندادا بـأفعالهم وعقائدهم الباطلـة. ثم إنـه تعالـى يثبت ـ فى حقهـم ـ أنهـم فعلوا هـذا ليضلوا قـومهم عـن سبيل الله المستقيم وهو توحيده تعالـى، والمعنى أن الذين اتبعوهم من قومهم يكونـون هم الذين ضلوا والذين حلوا دار البوار.

ثم إنه تعـالى أمر رسولـه ﷺ أن يتوعد هؤلاء بسوء المصيـر «قل تمتعوا فإن مصيـركم إلى النار» فهو عليـه الصلاة والسلام يقول لهم ليكن استمتـاعكم بما أنتم عليه مـن انكباب على الملذات مادمتم لا تخشون عـذاب الله، وليكن استمتاعكم باتباع أقوامكم لكـم وما يشعركم به مـن زهو وارتفـاع قدر، فإن مصيـركم ـ مـادمتم علـى ما أنتم عليـه ـ هو إلـى النار وعـذابها وهوانكم بدخولها جزاء لكم بما كنتم تفعلون .

قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾

التفســـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، فبعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمشركين «تمتعوا فإن مصيركـم إلى النار» فإنه تعالى أمـره أن يقول للمؤمنين قولا آخر، وفى قـوله تعالى وصف المؤمنين بأنهم عبـاده تشريفا لهم وبيانا لرفعة مكانتهم ثم بيـن أنهم الذين آمنوا. فإن كان المـراد بهم هم الـذين آمنوا حـديثا كان معنى قـوله تعالـى «يقيموا الصلاة وينفقـوا مما رزقناهم سـرا وعلانية» هو أمرهم أن يقيمـوا الصلاة وأن ينفقوا مما رزقهم الله ليقيمـوا الصلاة ولينفقوا

مما رزقهم الله. وإن كان المراد بهم هم عباده تعالى المؤمنون فإن المراد من قول رسول الله ﷺ لهم يكون أداء البلاغ الذى أمره تعالى به لأنهم لا يكونون عبادا لله تعالى إلا إذا كانوا مقيمين الصلاة ومنفقين مما رزقهم الله، ويرجح هذا عدم الإتيان بـ «أن» قبل «يقيموا الصلاة».

والمراد بالمأمور به هو إقامة الصلاة وهى عبادة بدنية وأداء الزكاة وهى عبادة مالية ، فيكون ذكرهما على وجه الخصوص قد أريد به بيان وجوب أداء جميع أنواع العبادات .

وقوله تعالى «من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال» أريد به بيان أنه ليس أمام المرء من وقت يفيد فيه من عقود المعاوضات من بيع وخلافه، والإفادة من الأخلاء إلا فى الحياة الدنيا، فإذا جاء يوم القيامة انقطع الأمل فى الإفادة من شىء من هذا فلا يكون مفيدا المرء إلا إيمانه وعمله الصالح ومنه أداء العبادات المأمور بها، فلا يكون فى مقدوره أن يبتاع ما يفتدى به نفسه أو يعوض تقصيره فى الطاعة ولا يفيده خليل كان له فى الدنيا. فيكون القول حثا على أداء العبادات وعلى الإنفاق فى سبيل الله لتعلق الانتفاع بالآخرة بهما .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى حال المشركين ومدى شقائهم فى الآخرة، وذكر حال المؤمنين أهل السعادة بمعرفتهم الله، فإنه تعالى ذكر بعض نعمه التى أنعم بها على الناس بما يستوجب شكره، فأخبر عن ذاته فى جملة الآية ـ وفيها جاء لفظ الجلالة مبتدأ، وخبره هو الاسم

الموصول ـ بأنه الذى أنشأ السماوات والأرض من العدم، أنشأهما وما فى السماوات من أجرام ومجرات مما يعلم الخلق ومما لايعلمون، وما فى الأرض من مخلوقات، والذى أنزل من السماء ماء المطر، وقد يكون المراد بالسماء هو السحاب لكونه عاليا فيكون سماء، وقد يكون المراد بها هو السماء بمعنى أنه يكون نزول المطر بأمر مقدر فى السماء، وذلك باعتبار أن السحاب يكون أسفل من اعتلى قمة جبل عال فوق السحاب ومن هو فى طائرة، ثم إنه من المطر يكون النبات يثمر ما يكون رزقا للناس ينتفع به، ومنه ما لا يكون كذلك لعدم الانتفاع به ـ ولهذا جاءت «من» وهى للتبعيض ـ ويكون ذلك بما أودع الله فى الماء من صفات وما خلق عليه النبات من حاجة إلى الماء .

ثم إنه تعالى الذى سخر للناس السفن لتجرى فى البحار بأمره ومشيئته، ومن تسخيره هذا ما يعرف بقانون الطفو الذى بموجبه أو بمضمونه يكون طفو الأجسام على الماء، ومنه أيضا تعليمه الناس مضمون هذا القانون قبل أن يعرفوا عنه شيئا فتمكنوا بما علمهم الله أن يصنعوا السفن، ومنه أيضا تسخيره تعالى الريح والموج ليكون سير السفن فى البحار آمنا .

وهو تعالى الذى سخر للناس الأنهار ـ حملت الغرين من الجبال فتكونت به دلتا الأنهار الخصبة وسخرها لهم يأكلون منها لحما طريا، وسخرها لهم يشربون من مائها وأنعامهم ويروون بها مزروعاتهم .

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣﴾

التفسير:

ذكر تعالى من نعمه التى أنعم بها على الناس تسخيره الشمس والقمر دائبين، وقيل إن معنى هذا أنهما دائبان فى السير إلى يوم القيامة امتثالا لأمر الله، والذى يوضحه لفظ «دائب» هو الانتظام فى السلوك بشكل دائم لا يتغير وبحسب عادة ثابتة إلى أجل مسمى يعلمه الله، وهذا الانتظام هو الذى أوجد الحسابات والقوانين المتعلقة بالتقاويم، ومن دلائل هذا الدأب

أنه عثر على آثار صور بسيطة للحياة فى طبقات جيولوجية فى الأرض فى حفريات عمرها ثلاثة بلايين عام مما يدل على أن الحرارة على الأرض لم تختلف وقتذاك عنها الآن مما مفاده أن تألق الشمس يكاد يكون ثابتا .

كذلك فإنه تعالى ذكر أنه سخر للناس الليل والنهار ـ يتعاقبان ـ على ما سبق بيانه ـ ليكون النوم للراحة واكتساب القدرة على العمل والعبادة، وللمعاش وكسبه .

﴿وَءَاتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه سخر للناس الشمس والقمر دائبين وسخر لهم الليل والنهار ـ وكان معلوما أن الناس لم يسألوه هذا التسخير لأنه كان قبل خلق آدم عليه السلام إعدادا وتحضيرا لما يكون من بعد، فإنه تعالى قال «وآتاكم من كل ما سألتموه» فيكون المعنى أنه تعالى آتى الإنسان من كل ما سأل وما لم يسأل. وأنه آتى ما شاءت حكمته تعالى أن يؤتيه وفقا لحكمته ومصلحة الخلق، ولهذا جاءت «من» التبعيضية لبيان أنه تعالى يعطى ما شاءت إرادته أن يعطيه، وجاءت «كل» للتكثير.

ولما كان هذا العطاء هو من نعمه تعالى التى لا حصر لها فقد جاء قوله تعالى «و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها»، وفيه جاءت النعمة بمعنى «الإنعام» ولهذا فإنها لم تجمع، وقد يكون التعبير بالمفرد هو لبيان أن النعمة الواحدة هى مجموعة من النعم، مثال ذلك نعمة البصر، فيها نعمة سلامة العين وهى مجموعة من النعم، ونعمة سلامة الأعصاب، ونعمة سلامة مراكز معينة فى المخ، ولهذا ذكر تعالى أنها لا يحصى عددها .

ثم يجىء قوله تعالى «إن الإنسان لظلوم كفار» مبينا أن الإنسان يكون ظلوما إن اعتقد أنه أدى حق النعمة من الشكر، ويكون أولى أن يوصف بالظلم والإمعان فيه من لا يؤدى حق

النعم من الشكر، كما يكون الإنسان ظلوما لو أساء استعمال النعمة في العصيان، كما أنه شديد الكفران بالنعمة، أو أنه يكون كذلك حين يبدل نعمة الله كفرا .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ **بنو إبراهيم** : في قوله تعالى «واجنبني وبني أن نعبد الأصنام» المراد بهم ـ في معنى الآية ـ هم أبناؤه وهم: إسماعيل عليه السلام من هاجر، وإسحاق عليه السلام من سارة، وزمران، ويقشان، ومدان، ومديان، وبشباق، وشوحا من قطورة .

٢ ـ **البلد** : في قوله تعالى «رب اجعل هذا البلد آمنا» المراد به في معنى الآية مكة المكرمة .

ثانيا : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى مثل الكلمة الطيبة تخرج من المؤمن، والكلمة الخبيثة تخرج من الكافر، فإنه تعالى خاطب رسوله ﷺ ـ في الآية ـ مذكرا بأبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي جهر بالكلمة الطيبة كلمة التوحيد وسط بيئة تردد كلمة الكفر. فقوله تعالى «وإذ قال إبراهيم» معناه هو «واذكر زمن أن قال إبراهيم ووقته» والذي قاله إبراهيم هو «رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام» والقول هو دعاء دعا به إبراهيم ربه بعد أن ترك ابنه إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر في وادي مكة ودعا الله أن يجعل الوادي بلدا آمنا «رب اجعل هذا بلدا آمنا» وفيه طلب من الله أن يحيل الوادي بلدا مأهولا بالساكنين، ثم أن يجعل البلد آمنا. فلما تحول الوادي بلدا وسكنه الناس دعا ربه أن يجعل البلد ـ أشار إليه في القول بهذا البلد ـ آمنا، والمراد بالبلد هو أهله، دعا إبراهيم لهم أن يكون لهم الأمن. ثم دعا من بعد لنفسه ولأبنائه أن يباعد الله بينهم وبين عبادة الأصنام، سواء هذه التي ترمز إلى الأجرام

السماوية، وهذه التى تـرمز إلى أشخاص . والمراد ببنيه ـ فى معنى الآية ــ هم أبناء صلبه هو وليس جميع ذريته؛ ولهذا فإن وجود كافرين مشركين فى ذريته لا يفيد عدم الاستجابة لدعائه عليه الصلاة والسلام .

وفى دعاء إبراهيم ﷺ أن يجنبـه الله عبادة الأصنام مع كونه نبيا معصومـا من الشرك إظهار لتواضع إبراهيم وبيان لمعرفته أن عصمة الأنبياء ليست لطبيعة خاصة فيهم، وإنما هى فضل من الله تفضل به عليهم، فهو يدعو بدوامه له .

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

التفســـير:

بعد أن دعـا إبراهيـم ﷺ ربه أن يجنبـه وبنيه أن يعبدوا الأصنـام، فإنـه ذكر فعـل الأصنام بالناس، فكـأنه بين علة الدعاء، وفعلهـن هو إضلال الناس، نسب الإضلال إلـى الأصنام مع كونهن جمادات لا تقدر علـى شىء وكون المضل هو الله تعالى من قبيـل المجاز، ثم إنه بين أن الذين يضلون هم أكثر الناس وليس جميعهم لأن مـن الناس من يهديه الله إلى الحق فيتبع الرسل فلا يعبد الأصنام .

ثم كان منه ﷺ أن أظهر أنـه يدعو الناس إلى عبادة الله وعدم الشرك بـه، فقال «فمن تبعنى فإنه منـى ومن عصانى فإنـك غفور رحيم» ولهذا فإن مـن يتبع دعوته إلى الإيمـان بالله وعدم الشرك به يكـون بمثابة البعض منه، أو يكون متصـلا به فى العقيدة لا ينفصل عنه، أمـا من لم يتبعه وعصاه فيما يدعو إليه فلا يكون منه وإنمـا يكون عنه غريبا، ثم إنه عليه الصلاة والسلام يبين أنه لا يدعـو عليه وإنما يترك أمره إليه تعـالى القادر على أن يغفر له ذنبـه وأن يرحمه. وقد يكون المراد بـالمغفرة والرحمة منـه تعالى أنه تعـالى قادر على أن يتـوب عليه فيغفر له شـركه

السابق، وأن يثيبه فيدخله برحمته في رحمته.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن إبراهيم ﷺ خاطب ربه مناديا «ربنا» ، وذلك لأنه كان قد دعا ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام فناداه عن نفسه ونائبا عن بنيه، ثم قال ـ تقدمة لطلبه ـ ما يعلمه الله تعالى وهو أنه أسكن من ذريته ـ بمعنى البعض منهم ـ بالنظر إلى من سيوجد فيما بعد فى قادم الأيام، أو بمعنى ذريته إذا ما نظر إلى أن «من» زائدة. والذى أسكنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو إسماعيل عليه السلام، أسكنه واديا غير ذى زرع، وهو وادى مكة القفر الذى لم يكن به ماء فلم يكن به زرع .

وقد قيل فى هذا إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وضع هاجر وابنها إسماعيل عند المسجد وليس بمكة أحد، وترك لهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء وانطلق فتبعته هاجر وسألته «آلله أمرك بهذا» فقال «نعم»، قالت «إذا لايضيعنا»، ثم إنه عليه الصلاة والسلام جاء الثنية حيث لاتراه واستقبل البيت ودعا بهذا الدعاء .

وفى قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإنه بعد أن قدم لدعائه بذكره أنه ترك من ذريته من أسكنهم بواد غير ذى زرع، أوضح أن هذا عند بيته المحرم، ومن القول يبين أن البيت كان قائما من قبل ـ وقيل إنه كان باعتبار ما سيكون ـ ثم إن وصف البيت بأنه المحرم دليل على أن حرمته كانت معروفة، والمقصود بحرمته هو جعله حرما آمنا، وتحريم بعض ما هو حلال أصلا على زائريه .

وقوله عليه الصلاة والسلام «ربنا ليقيموا الصلاة» جاءت فيه اللام فى «ليقيموا» بمعنى «كى» ، فكأن المراد بإسكان بعض ذريته هذا المكان هو أن يقيموا الصلاة، وأن يقيموها عند المسجد الحرام، ومن هذا القول علم فضل الصلاة فى المسجد الحرام وأفضليتها فى الثواب والأجر على غيرها، وقد اختلف فى شأن أفضلية الصلاة في المسجد الحرام أو مكة على الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ أو العكس.

وبعد هذه التقدمة تقدم إبراهيم ﷺ إلى ربه بالدعاء فقال «فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون». وهو دعاء بأن يجعل تعالى قلوب بعض الناس «أفئدة من الناس»، جاء التعبير عن القلوب بالأفئدة، وجاء الدعاء متعلقا ببعض قلوب الناس كما يبين من «من» وهى للتبعيض، والمراد بهم قلوب المسلمين الذين آمنوا برسول الله ﷺ؛ ولهذا كان الحجيج والمعتمرون والزائرون من هؤلاء وحدهم دون غيرهم من الناس، والدعاء بأن يكون ميل القلوب إلى هذا المكان، فهى تنزع إليه وتشتاق، ويقبل القول أن يكون المراد به هو نزوع قلوب بعض الناس من قبل ظهور الإسلام وإثر دعوة إبراهيم تنزع إلى سكنى المكان ليكونوا عماره، ويدعمه أن الهوى يكون لساكنى المكان على ما يبين من قوله تعالى «تهوى إليهم»، وليس إلى البيت. ولا يمنع هذا أن يكون ذلك قبل ظهور الإسلام، وأن يكون هوى قلوب المسلمين إليه بعد الإسلام جاء التعبير عنه بأنه النزوع إلى ساكنى المكان لأنهم يفيدون من نزوع قلوب المسلمين إليه، ولأنها حين تحن إلى البيت تحن بالتبعية إلى ساكنى قربه.

ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام فى دعائه «وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» هو طلب من الله تعالى أن يرزق ذريته عليه السلام الذين أسكنهم قرب بيته الحرام، ويحتمل القول أن يكون الدعاء شاملا الذين هفت قلوبهم إليهم فساكنوهم إياه، وموضوع الرزق هو من الثمرات بمعنى أنه البعض منها، يكون ذلك بأن تقوم زراعات بالقرب من مكة فى القرى القريبة منها فتجبى إليها منها، وبأن يأتيهم بعضها من الأقطار البعيدة فتجبى إليها، وقد كان مبدأ الاستجابة لهذا الدعاء هو قيام الزراعة بالطائف ، ثم تبعه مجىء أنواع الثمار مع زائرى

البيت، ثم أصبح باستيرادها. ثم إنه كان مـن إبراهيم ﷺ بعد هذا قوله «لعلهم يشكرون» وفي القول جعل الإنعام على الإنسان بالنعم الدنيوية بمثابة السبيل الذي يسهل به شكر الله تعالى ويتيسر، كما أوجب شكر النعمة.

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾

التفسـيـر:

بعد أن ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام طلبته من ربـه فإنه قال «ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن»، فهو إقرار منه بعلمه أنه تعالى يعلم حاجاته وحاجات الداعين سواء ما يعلنون عنه بالقـول أو بالدعاء، أو مـا لا يعلنون عنه، وجاء التعبيـر عما هو مخفـي في النفوس قبل مـا هو معلن لأنه ما مـن شيء معلن إلا وكان ـ قبل إعـلانه ـ خفيا في داخل النفـس، فإخفاء الطلبة مرحلة تسبق الإعلان عنهـا. وقيل إن المراد بما أخفاه عليه الصلاة والسلام هـو حبه إسماعيل عليه السلام وأمه، أو مـا يشعر به من الوجد والحـزن لفراقهما. ثم إن المراد من هـذا القول مع أنه عليه الصلاة والسلام قد أبدى طلبته وأعلنها هو إظهار عبوديته لله تعالى وخشوعه إليه فهو يتذلل إليه سائلا مع علمه أنه تعالى يعلم مـا يسأله إياه، فيكون الدافع إلى السؤال هو إظهار التذلل والخشوع له تعالى.

وقوله تعالـى «وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السمـاء» يتصور فيه أن يكون من قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويتصور أن يكون قوله تعالى، فإن كان قول إبراهيم فإنه يكون إقرارا منه بمعرفة الله الذي يعلم بذاته منذ الأزل كل ما هو كائن وما يكون في السماوات وفي الأرض دونما حاجة إلى وسيلة يكون بها العلم، وبموجب هذا فإن شيئا ما في السماوات أو في الأرض لا يخفى عليه. وإن كان القـول قوله تعالى فإنه يكون إثباتا لـواقع ليكون معلوما

للعباد فتكون منهم مراعاة الله فى السر وفى العلن، وجاء ذكر الأرض قبل السماوات لأن فيها معاش المخفين والمعلنين .

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾

التفسير:

القول قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام يحمد فيه الله تعالى الذى وهب له على الكبر، بمعنى مع كبر سنه التى يفترض ألا تكون فيها للرجل القدرة على الإنجاب، وذلك مع الإتيان بـ «على» فى قوله «على الكبر» لإفادة عظم النعمة، فهو يحمده تعالى على نعمة تعلو على غيرها بكونها مخالفة للمعقول على المعروف لدى الناس، والنعمة هى أنه تعالى وهب له إسماعيل عليه السلام و إسحاق عليه السلام من بعده .

وقوله عليه الصلاة والسلام «إن ربى لسميع الدعاء» هو إقرار منه بمعرفة الحق و إعلام للناس بأنه تعالى يسمع دعاء الداعين ويجيبهم إليه، ثم إن للقول معنى آخر وهو الإشارة إلى إجابته تعالى دعاءه أن يرزق أهله من الثمرات وأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم .

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾

التفسير:

القول قول إبراهيم ﷺ، وهو دعاء دعا فيه ربه أن يجعله مقيم الصلاة، مواظبا عليها لا تفتر همته مداوما، وأن يجعل من ذريته من يقيم الصلاة ويداوم عليها، ومن القول يبين أنه عليه الصلاة والسلام جعل نفسه فى شأن إقامة الصلاة إماما يُقتدى به، ثم إنه خص بالدعاء بإقامة الصلاة بعضا من ذريته، كأنه علم من الله تعالى أن منهم من يكون كافرا فلا يقيم الصلاة، ومنهم من يكون مؤمنا لكنه لا يقيم الصلاة مداوما عليها .

وقوله عليه الصلاة والسلام «ربنا وتقبل دعاء» وفيه جاء النداء عليه تعالى بـ «ربنا» لاعتباره ذاته عليه الصلاة والسلام نائبا ـ فى الدعاء لنفسه ـ عن ذريته وهم جمع، أو ليكون المعنى هو «وتقبل دعاءنا» .

رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾

التفسير:

الدعاء لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، يسأل الله أن يغفر له ما فرط فيه من أمر نفسه فيما يعتبره ذنبا. والقول يفيد أن الأنبياء والرسل يستغفرونه تعالى وهم المعصومون مما يكون معه الناس أولى بأن يستغفروا ربهم، مع اعتبار الاستغفار من قبيل الذكر ـ ثم إنه عليه الصلاة والسلام استغفر لوالديه، وقيل فى استغفاره لهما إن هذا كان قبل أن يتحقق من أنهما عدوان لله، وقيل إن أمه كانت مؤمنة لأنه تعالى ذكر عذره فى الاستغفار لأبيه دون أمه، وقيل إنه استغفر لهما بشرط أن يؤمنا، وقيل إنه أراد بأبويه آدم وحواء، كما قيل إن أبويه كانا مؤمنين وأن الكافر كان عمه أو جده. ثم إنه استغفر بعد هذا للمؤمنين جميعهم دون أن يخص من هم من ذريته، تكون المغفرة لهم يوم يثبت الحساب ويتحقق، وقيل يكون يوم يقوم أهل الحساب، بمعنى أنه يكون يوم القيامة...

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ على ظاهره أنه لرسول الله ﷺ، جاء النهى فيه لتثبيته على ما هو عليه من عدم الظن أن الله تعالى قد غفل عن المشركين فلم يعذبهم فى الدنيا بكفرهم عن غفلة،

وقد يكون الصحيح أن الخطاب في النهى هو لغير رسول الله ﷺ ممن يجوز عليهم الاعتقاد أنه تعالى قد غفل عن أمر المشركين فلم يعذبهم، وقد وصفهم الله تعالى بالظالمين لأنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وظلموا ضعفاء المسلمين بالإساءة إليهم. وهو فعل مشركى مكة بضعاف المؤمنين.

وقوله تعالى «إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار» هو بيان للواقع وهو أنه تعالى يمهلهم فلا يعجل لهم عذابهم، فيكون المراد هو بيان أن بقاءهم على ما هم عليه ليس فعلهم وإنما هو من كيده تعالى بهم فيكون الأمر متضمنا تهديدا مشمولا بالتهويل. ثم بيان أن هذا الإمهال هو ليوم معلوم هو اليوم الذى تشخص فيه الأبصار، والتى تشخص هى أبصار أهل الموقف جميعهم وليست أبصار الظالمين وحدهم، تظل مفتوحة لا تطرف ولا تستقر فى مكان أو على شيء.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ **المهطعون**: فى قوله تعالى «مهطعين مقنعى رءوسهم» جمع، مفرده «المهطع» وهو المسرع، اسم فاعل من «أهطع ـ يهطع» إذا أسرع، ومنه قوله تعالى «مهطعين إلى الداع».

٢ ـ **المقنعون**: فى قوله تعالى «مقنعى رءوسهم» جمع، مفرده المقنع، وهو الذى يرفع رأسه ويقبل ببصره على ما هو بين يديه، ومنه إقناع الصوت بمعنى رفعه. وهو من الأضداد فيأتى بمعنى الخافض، أو الخافض رأسه والمطأطىء.

٣ ـ **الطرف**: فى قوله تعالى «لا يرتد إليهم طرفهم» هو العين، وهو حركة جفن العين.

٤ ـ **الهواء**: فى قوله تعالى «وأفئدتهم هواء» المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الخواء، أو الخلو من العقل

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يمهل الكافرين ليوم تشخص فيه أبصار أهل الموقف جميعهم، فإنه تعالى أخبرعن حالهم فى ذلك بأنهم يسرعون إلى الداعى إسراع خائف ذليل، رافعين رءوسهم أو مطأطئيها ناظرين إلى ما بين أيديهم غير ملتفتين إلى شيء، وقد شخصت أبصارهم فجفونهم وقد فتحت لا ترتد فترجع على نحو ما كان يحدث فى الحياة الدنيا وقد بهتوا من هول الموقف والانتظار، أما قلوبهم فهى خالية من العقل فهى لا تغنى عنهم من الخوف شيئا ولا تشير عليهم بشيء، والوصف تعبير عما يصيبهم من الحيرة والدهشة والخوف من الحساب .

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾

التفســـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ يأمره تعالى أن ينذر الناس ـ والمراد بهم كفار مكة ـ وجاء التكليف بالإنذار من بعد بيان هول الموقف يوم القيامة وما يكون عليه فيه حال الكافرين، ثم إن إنذاره ﷺ الكافرين هو بيوم يأتيهم العذاب، وهو يوم القيامة، فيكون المراد به هو حثهم على تجنب العذاب فيه بالدخول فى الإسلام، فيكون الإنذار إنذار شفقة وليس إنذار إزعاج، يعرفهم ﷺ أنه في يوم القيامة الذى يكون فيه العذاب للكافرين يقول الكافرون ـ وقد عبر القول عنهم بأنهم الذين ظلموا وليس «بالظالمين» لبيان أنه لا يشترط فى الظلم الاستمرار عليه للتعذيب به ـ يقول الذين ظلموا «ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل» يطلبون تأخير العذاب عنهم أو تأخيرهم عنه فترة قصيرة من الزمان تكون أوبتهم منها قريبة، يرجعون فيها إلى حال التكليف، معلنين أنهم خلالها يجيبون الدعوة إليه تعالى

وإلى توحيده التى نادى بها رسله عليهم السلام، ويكونون من أتباعهم.

وقوله تعالى «أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال» هو ذكر لما يقال للكافرين ردا على طلبهم، يقوله الله تعالى أو تقوله الملائكة، وهو سؤال أريد به توبيخهم وتقريعهم على عقيدتهم الفاسدة التى أوردتهم عذاب الله تعالى، وهى اعتقادهم أنهم يخلدون فى الدنيا لا يزولون عنها، وليس المراد بهذا أنهم اعتقدوا أنهم لا يموتون، وإنما المراد به هو أنهم عملوا للحياة الدنيا دون الآخرة التى لم يعملوا لها عملها فكأن الدنيا كانت لهم دار قرار، وكونهم أقسموا على هذا يتصور فيه أنهم أقسموا على أنه لا يكون لهم زوال من الدنيا قبل أن تغفر لهم خطاياهم، ويتصور فيه أنهم أقسموا أنهم لا يبعثون للحساب، فيكون القول فى الكافرين الذين أنكروا يوم القيامة والبعث والحساب.

وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

التفسير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن ينذر الناس بيوم القيامة يكون فيه عذاب الآخرة، جاء قوله تعالى فى الآية بإنذار آخر يتعلق بعذاب الدنيا الذى حل بالمكذبين من الأمم السابقة ليكون فى ذكره موعظة لكون الإنذار إنذار شفقة ورحمة، فقوله تعالى أو قول رسوله للناس فيه تذكير لهم بأنهم قد سكنوا واستوطنوا قرى الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم فاستحقوا به أن يهلكوا، والقول بهذا المعنى فيه توجيه للناس أن يأخذوا من هلاك السابقين بظلمهم عبرة فيتجنبوا مقارفة ما قارفوا من ظلم النفس بالاستمرار على الكفر.

ثم إنه تعالى يقيم على الناس الحجة بإثباته أنه قد تبين لهم من المعاينة أنه تعالى قد أهلكهم بكفرهم، مما يستوجب منهم تلافى أن يكون مصيرهم مثل مصير هؤلاء الكافرين

فيتجنبوا سبب إهلاكهم وهو كفرهم بالله ورسله فيكون منهم الإيمان، ثم أتبع هذا سبحانه وتعالى بذكره أنه بالإضافة إلى الدليل المستخلص من المعاينة على هلاك الكافرين بظلمهم فإنه تعالى ضرب لهم ـ أى للناس ـ الأمثال فى القرآن العظيم التى توضح لهم فعله بالمكذبين من الأمم السابقة. فيكون مفاد القول هو إقامة الحجة على الكافرين بانعدام سبب عدم مبادرتهم إلى الإيمان بعد أن تبين لهم من الدليل المشهود، والدليل المستمد من النص القرآنى أنه تعالى يمهل الكافرين فلا يعجل لهم العذاب عن حكمة وليس عن إغفال، ثم يكون منه تعالى لهم عذاب الدنيا ومن بعده عذاب الآخرة .

وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

التفسـير:

قوله تعالى فى كافرى الأمم السابقة الذين أهلكهم الله بظلمهم يذكر تعالى أنهم قد مكروا مكرا عظيما لإبطال الحق و إعلان صحة الباطل، و إنه تعالى عنده مكرهم هذا من قبل أن يمكروه فهو مما أحاط به علمه الأزلى وهو مبطله، فيكون القول تحذيرا للناس من المكر برسلهم وبالحق الذى يدعون إليه ظنا منهم أنه يؤتى ثمرته المرجوة .

ثم إنه تعالى يقول «وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال» ويقبل القول أن يكون معناه هو أن مكرهم كان من الشدة بحيث يؤثر فى العقائد الراسخة رسوخ الجبال، إلا أنه تعالى أبطله وأذهب أثره لأنه تعالى أشد مكرا، ويقبل القول أن تكون «إن» قد جاءت بمعنى «ما» النافية. وتكون «اللام» هى لام الجحود فيكون المعنى المباشر هو أنه ما كان لمكرهم هذا أن تزول منه الجبال، ويكون المراد بـ «الجبال» هو الآيات التى أنزلها تعالى فى كتبه وصحفه، والآيات التى أيد بها رسله، فيكون المعنى هو أنه ما كان لمكر الكافرين أن يؤثر فى آيات الله تعالى الراسخة رسوخ الجبال .

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

التفسير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، جاء بعد ذكره تعالى أنه يمهل الكافرين فلا يعجل لهم العذاب، وبعد أن أمر رسوله ﷺ أن ينذرهم، وبعد ضربه لهم الأمثال في شأن مكذبي الرسل من الأمم السابقة، وفيه جاء قوله تعالى «فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله» نهيا لرسول الله ﷺ ـ في الظاهر ـ عن الظن أنه تعالى يخلف وعده رسله أن يهلك المكذبين وأن ينصر رسله والذين آمنوا. وحاشاه ﷺ أن يظن هذا. فالمعنى المراد من القول هو تثبيته ﷺ على ما هو عليه من يقين أنه تعالى منجز ما وعد رسله وهو ﷺ أعلاهم منزلة لكونه حبيب الرحمن، وخاتمهم إرسالا.

ثم إنه يتأكد إنجاز وعده تعالى أنه عزيز ذو انتقام فهو له المكر الأعظم فلا يمكر به وهو القادر الذي لايقدر عليه. وهو المنتقم من الظالمين بظلمهم، فيكون المعنى أنه تعالى مهلك الظالمين وناصر رسله والذين آمنوا .

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات» هو تذكير بهذا اليوم، فاليوم المذكور في النص صفة لقوله تعالى «يوم يقوم الحساب». وقيل في معنى تبدل الأرض هو تغير صفاتها، بتسوية آكامها ونسف جبالها ومد أرضها، وقيل في تبدل السماوات إنه تغير أحوالها، تكون مرة كالمهل وتكون مرة وردة كالدهان .

والذي نراه ـ والله أعلم ـ هو أن هذا القول هو بحر زاخر من العلم يأخذ منه كل بقدر ما

علم. فالأرض تمد كما جاء بقوله تعالى «وإذا الأرض مدت، وألقت ما فيها وتخلت» وذلك لأن مساحة الجزء اليابس من الأرض يزيد لتبخر مياه البحار أو اشتعالها بفعل حرارة امتداد الشمس، ثم يحدث الزلزال العظيم فتتخلى الأرض عما بها من أثقال وتلقى بها من جوفها على سطحها، ثم إن الجبال ستتحرك حركة شديدة وتصبح رملا متناثرا ومنها ما ينفجر لشدة الحرارة على سطح الأرض فيتم نسفها وتصبح كالعهن المنفوش، وهذا جميعه من شأنه تغيير شكل الأرض، كذلك فإن الشمس تنقبض فى شيخوختها وهو المعبر عنه بقوله تعالى «إذا الشمس كورت» وكذلك تنقبض جميع النجوم ـ وهى شموس ـ وفى شيخوختها يوشك الأيدروجين فيها على النفاد ويزداد تركيز الهليوم فى قلب الشمس فيقف التفاعل النووى مؤقتا فى قلب الشمس فتتغلب الجاذبية وينكمش قلبها وينقبض فترتفع درجة حرارة باطنها وتحدث تفاعلات نووية تؤدى إلى تمدد الشمس وزيادة مساحة سطحها الخارجى فتبتلع كوكبى عطارد والزهرة القريبين منها، ثم يصل غلافها الخارجى إلى أفق الغلاف الجوى للأرض فتبتلع القمر، ومما يشير إلى وصول سطح الشمس الخارجى إلى أفق السماء قوله تعالى «فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان» .

ثم إن قوله تعالى «فإذا برق البصر، وخسف القمر، وجمع الشمس والقمر» قد يكون مؤكدا ـ والله أعلم معنى اختفاء القمر داخل الشمس وجمع الشمس والقمر، وهذا جميعه من قبيل تغير شكل السماوات وتبدله .

ويذكر تعالى أنه يكون حالئذ ظهور الخلق جميعهم، أو الظالمين ـ كما يبين من سياق النصوص أو ظهور أعمالهم التى أخفوها، وهو ظهور لحكم الله تعالى يكون فيهم بحسابهم، يحاسبهم وحده لكونه مالك اليوم ومليكه، لا شريك له، يكون منه الحكم ويكون منه التنفيذ، فهو الغالب على أمره لا يقاوم قضاؤه ولا يرد، ولا يغاث من صدر فيه حكمه. «وبرزوا لله الواحد القهار» .

وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **المقرنون** : جمع، مفرده «المقـرن» وهو من اقترن بغيـره، أو اتُّخذ له قريـن بغير إرادته فهو قرن له .

٢ ـ **الأصفاد** : جمع، مفـرده، «الصفد» وهو القيـد الذى يوضع فـى الرجل، أو الغـل الذى يوضع فى اليد أو العنق، أو الذى يضم به اليد أو الرجل إلى العنق .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى «وترى المجرمين» جاء معطوفا علـى قوله تعالى «برزوا»، جاء الفعل فى صيغة المضارع لبيـان استمرار الفعل، والمعنـى أنه تكون رؤية الكـافرين الظـالمين يوم بـروزهم لله تعالى أو يـوم تبدل الأرض والسماوات وقد قـرنوا بعضهم إلى بعـض أو قرنوا وشياطيـن الجن مقيدين بـالأصفاد، والصورة التى يبعثها النص تفيـد إهانتهم وتفيد أنهم مقبلـون على عذاب يلقونه أو يلقون فيه.

سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **السرابيل** : جمع، مفرده «السربال» وهو القميص .

٢ ـ **القطـران** : هو عصـارة شجر يدعـى «الأبهل» يطبخ على النـار فتكون له رائحـة حادة، وحرارة تنفذ فى الأجسام، تداوى به الإبل المصابـة بالجرب، وهو غير القطران المستخرج من زيت البترول .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى فـى المجرمين الذين يقيدون إلى أقرانهم المجرميـن من الإنس وعصاة الجن فى أصفـاد، يذكر تعالـى أنه تكون لهـم قمصان من قطـران أو إنهم يطلون به فيصيـر القطران بمثابـة القمصان لهم، فيكـون لهم منه اللذع ، والحـرق، وإسراع النار فـى جلودهم بـه، ونتن الريح، كما يذكـر تعالى أنه يكون لهم أن النار تغشى وجوههـم بمعنى أنها تغطبها، ويجوز أن

يكون ذكر الوجوه تعبيرا عن أجسامهم لكون الوجوه أشرف ما يظهر من الأجسام، فيكون لهم من سوء منظرهم الذل والهوان، ويكون لهم من النار العذاب المحسوس.

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى ما ذكر في شأن تعذيبه المجرمين يوم القيامة، جاء قوله تعالى «ليجزى الله كل نفس ما كسبت» فيكون المعنى المباشر للقول أنه تعالى يفعل هذا بالمجرمين ليكون المفعول جزاء لكل نفس من نفوسهم بما قارفت في دنياها وكسبت من أنواع الكفر والمعاصي، ويقبل المعنى أن يكون مشيرا إلى أنه تعالى يجازى المؤمنين بما كسبوا في دنياهم من إيمان وعمل الصالحات، لأن اختصاص المجرمين بالعذاب يعنى إخراج المؤمنين منه.

وقوله تعالى «إن الله سريع الحساب» هو تقرير لواقع، وهو سرعة حسابه تعالى الخلق، والمراد به هو قطع الأمل لدى الكافرين أن تكون لهم مهلة يستريحون فيها من العذاب يكون سبحانه وتعالى منشغلا عن حسابهم بحساب غيرهم، فجاء القول مثبتا أنه لا يمنعه حساب أحد من خلقه عن حساب غيره، فيكون منه تعالى سرعة الانتقام من الكافرين.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾

التفسير:

يقبل القول أن يكون المشار إليه بـ «هذا» في عبارة النص هو القرآن العظيم، ويقبل أن يكون هو السورة، والمستدل عليه ــ من السياق ــ أنه ما يتعلق بحساب الخلق ومحاسبة

الكافريـن بكفرهم، فيكون هو مـا جاء في السورة من قـوله تعالى «ولا تحسبن الله غـافلا» في الآية ٤٢، ثم إنه تعالى أخبر عن المشار إليه بأنه «بلاغ للناس» بمعنى أنه إخبار لهم بما يتعين عليهم العلم به وللكافرين منهم على وجه خاص لتعلقـه بعذابهم بكفرهم، ثم إنه تعالى بين المراد بـإبلاغ الناس وكافـريهم على وجه الخصـوص بما أبلغوا به وهـو تحقق إنذارهم بـأنه يكون لهم مثـل العذاب المذكور فيمـا لو أصروا على كفرهـم، ولغيرهم بأن يبقـوا على تجنب المعاصي، وليعلموا مما جاء ذكره في الآيـات أنه ليس من إله إلا الله وحده المستحق العبادة والذي يحاسب الناس فيثيب المؤمنين ويعذب الكافرين .

وقوله تعالى «وليذكر أولوا الألباب» هو بيـان لسبب آخر من أسباب إبلاغ الناس بالقرآن أو بآيـاته المـذكورة هو أن يتـذكر أولوا العقـول التي تعـى وتتدبر قـوله تعالـى فيتجنبوا مـا عليه الكافرون ويتمسكوا بإيمانهم وبعمل الصالحات .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجـــر

في أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها في ترتيب المصحف «سورة إبراهيم» .

١ ـ افتتحـت سورة إبراهيـم بالإخبار عـن القرآن العظيم، وافتتحـت السورة بالإشـارة إلى آيات الكتاب وأنها قرآن مبين .

٢ ـ جاء بسورة إبراهيم بيان أحوال الكافرين يـوم القيامة وذكر رغبتهم الرجوع إلى الدنيا أو إلي حـال التكليف ليكـون منهم الإيمـان، وورد بالسورة ذكـر أحوال الكـافريـن يوم القيـامة ورغبتهم لو كانوا مؤمنين .

٣ ـ ورد ذكر بعض أحوال السماوات والأرض في سـورة إبراهيم، وورد ذكر بعض أحوالهما في الدنيا في السورة .

٤ ـ جاء ذكر بعض أحداث قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في كل سورة من السورتين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾

التفسير:

بدأت السورة بأسماء الأحرف «الر» ، وهى من المتشابه ـ على الراجح ـ ثم إنه تعالى أشار إلى آيات السورة مخبرا أنها الكتاب، بمعنى أنها من القرآن العظيم الجدير أن يكون هو المراد بالكتاب إذا ما أطلق به القول. ثم أوضح تعالى أن الكتاب هو القرآن المبين أو أنه كتاب يُتلى ويقرأ وأنه بين أحكام الحلال والحرام ويفرق بين الحق والباطل، فضلا عن أن معانيه ظاهرة وإن كانت معانيها تلائم كل عصر وما وصل إليه إلى العلم فيه.

رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى أنه يكون من الذين كفروا أنهم يودون لو كانوا مسلمين، ويتصور أن يكون هذا منهم فى الحياة الدنيا حين ينظرون فى أحكام القرآن العظيم التى تنظم أمور الناس والمجتمعات فيعجبون بها ويودون أن تكون هى الأحكام التى تطبق عليهم فيودون لو كانوا مسلمين، ثم يمنعهم من هذا عنادهم وإصرارهم على الكفر أو اتباعهم سادتهم وأحبارهم. ويتصور أن يكون فى الآخرة عندما يجدون عصاة المسلمين معهم فى النار فيتندرون عليهم بأن إيمانهم لم ينقذهم من ورود النار، ثم يكون منه تعالى إخراج المؤمنين من النار فيتحسر الكافرون ويودون لو كانوا مسلمين ليكون لهم الخروج من النار مثلهم. أو يكون يوم القيامة حين يرون تكريم المؤمنين، وإذلالهم .

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾

التفســـير:

الخطاب ــ في الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ، وهو في شأن الكافرين يأمره تعالى أن يتركهم على حالهم الذى هم عليه وصفه بأنه قيامهم على الأكل والتمتع بنعم الحياة الدنيا، فجاء ذكر ذلك للحط من شأنهم لأنه أظهر أنهم إنما يفعلون فعل الحيوان الذى لا يعقل، فهم يأكلون، وسعادتهم فى هذا، ويتمتعون بلهوهم كما تلهو الحيوانات. ثم إنه تعالى أظهر أنه يلهيهم الأمل، فالأمل فى تحقيق مكاسب دنيوية وبلوغ غاية المتع يلهيهم عن ذكر الله أو إن تمتعهم بخيرات الدنيا يؤملهم أن تكون أخراهم نعيما لهم مثل دنياهم معتقدين أن تمتعهم دليل على رضاء الله عنهم. فيكون الأمر شاملا تركهم على ما يمنون به أنفسهم من هذا ويبعث لديهم الأمل فى تحققه .

وقوله تعالى «فسوف يعلمون» هو تهديد للكافرين وبيان لسوء عقباهم، يتبين لهم به أنهم كانوا على الباطل حين لا ينفعهم هذا العلم. ويتصور أن يكون العذاب الذى يعلمون به هو عذاب الآخرة، ويتصور أن يكون معه عذاب الدنيا بقتلهم وسبيهم وذلهم بانتصار المؤمنين عليهم وقتلهم ساداتهم .

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ ﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ــ تعليل لتأخيره تعالى عذاب الكافرين وعدم تعجيله لهم، فهو تعالى يذكر سنته فى القرى المهلكة بكفران أهلها، أو القرى التى أخرج منها قومها الظالمون، فيقول أنه ما من أمة هلكت من أمم القرى إلا وكان لها أجل محدد مقدر منه تعالى فى اللوح

المحفوظ، وهو أجل لا ينسي ولا يتهاون فيه، فيه يكون ما قدر عليها من العذاب واقعا ملموسا. والقول ـ بهذا المعنى ـ تهديد للكافرين، وقطع لأملهم أن يكون تأخير تعذيبهم مفيدا معنى عدم حصوله .

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو تأكيد لحصول هلاك الأمم المتوعدة به فى الوقت المقدر لهذا، فإن أهل كل أمة من الأمم المقدر هلاكها لا يجىء هلاكهم قبل موعده المثبت فى الكتاب أو قبل مجىء كتابها، كما أنه إذا جاء هذا الأجل فإنهم لا يتأخرون عنه بمعنى أنه لا يتأخر هلاكهم عنه. والقول ـ بهذا المعنى ـ ينفى عن الأمم أو أهلها القدرة على تأخير موعد هلاكهم المقدر، فيكون مفهوما أنهم لا يقدرون على دفع الهلاك عنهم .

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى كفار مكة أو فى بعضهم ـ قيل إنهم عبد الله بن أمية، والنضر ابن الحارث، ونوفل بن خويلد، والوليد بن المغيرة. يذكر تعالى قولهم فى رسول الله ﷺ الذى دل على كفرهم وزاد عليه الطعن فى رسول الله ﷺ، فهم نادوه بقولهم «يا أيها الذين نزل عليه الذكر» يقولونه استهزاء به ﷺ حين وصفوه بأنه الذى نزل عليه الذكر ـ وهو القرآن العظيم ـ لأنهم لما كانوا لا يؤمنون أن القرآن العظيم منزل من الله تعالى ، فإن مرادهم بالقول يكون هو إثبات أنه ﷺ يدعى هذا من عنده كذبا، فيكون القول استهزاء به ﷺ .

وقولهم الإثم هو «إنك لمجنون» ادعوا عليه ﷺ أنه مصاب بآفة فى عقله حتى أنه تجرأ

على نسبة القرآن إلى الله تعالى قائلا إنه يوحى به إليه، أو ادعى أنه نبى يوحى إليه من ربه .

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٧﴾

التفسير:

القول قول عتاة الكافرين من أهل مكة الذين رموا رسول الله ﷺ بالجنون، جاء قولهم لحض رسول الله على الاستجابة لطلبهم تقديم دليل بعينه، وذلك على ما يبين فى قولهم «لوما تأتينا بالملائكة» بمعنى لولا، وهلا، والذى طلبوه وحضوا على الإتيان به هو الملائكة يشهدون لرسول الله ﷺ أنه نبى مرسل من ربه ويؤيدونه، وقولهم «إن كنت من الصادقين» يفيد أن أصل اعتقادهم فيه ﷺ، وأن عليه أن يثبت صدقه، يكون بإتيانه بالملائكة يشهدون له بهذا، فيكون هذا هو الدليل المقبول منهم على صدقه .

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾

التفسير:

القول قوله تعالى، وهو فى الرد على طلب عتاة الكافرين، جاء فيه قوله تعالى «ما ننزل الملائكة» متضمنا لفظ «ننزل» وليس «نأتى» كما جاء فى قول الكافرين لبيان أن الملائكة أشرف من أن يقال فيهم إنهم يؤتى بهم، ثم أثبت تعالى أنه لا ينزلهم إلى الأرض إلا متلبسين بالحق، فهم ينزلون منه تعالى بالروح، أو بالقرآن، وينزلون بالرسالات، وينزلون بالعذاب، ولما كان العذاب هو الحق فى شأن هؤلاء الكافرين فإن نزول الكافرين يكون بإهلاكهم لا يمهلون أن تكون لهم توبة .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾

التفسـير :

القول قوله تعالى فى شأن القرآن العظيم، جاء التعبير عنه بأنه «الذكر» وفى القول جاءت «نحن» مبتدأ أو توكيدا لاسم إن، وفيه أخبر تعالى أنه الذى أنزل القرآن على رسوله ﷺ، فيكون قوله تعالى شهادة لصدق رسوله ﷺ وإثباتا لكذب الكافرين، ثم إنه بعد هذا أثبت أنه تعالى حافظ القرآن العظيم، والقول بهذا المعنى يثبت أنه لاينال القرآن العظيم تحريف بزيادة أو نقصان أو تغيير، لأنه تعالى حافظه، ولم يحفظ سبحانه وتعالى غيره من الكتب السابقة عليه وإنما استحفظ عليها الكهنة وأهل العلم؛ ولهذا أصابها التحريف والتبديل. ثم إن حفظه تعالى القرآن العظيم يفيد أنه تعالى قد حفظ أحكامه من أن ينالها نسخ أو تغيير إلى قيام الساعة فهى تظل سارية معمولا بها لاينالها تشريع منه تعالى بتغيير أو تعديل .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾

أولا : الأسـماء :

الشيع: فى قوله تعالى «فى شيع الأولين» جمع، مفرده «الشيعة» وهى الأمة، وهى الفرقة والطائفة من الناس، وهى مجموعة الأنصار والأعوان .

ثانيا : التفسـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، جاء تمهيدا لبيان أن تكذيب قومه له وادعاءهم عليه ما يدعون هو مما جرى عليه عمل الأمم مع الأنبياء من قبل فيكون القول للتسرية عنه ﷺ .

وفى القول يخبره تعالى أنه أرسل رسلا من قبله ﷺ برسالات، وكان ذلك فى الأمم السابقة، بعث فى كل أمة رسولا ليكون منهم اتباعه فى أمور الدين مما يتعلق بالعقيدة، وفى أمور العقيدة والأحكام بالنسبة لمن جاء منهم بشريعة مثل نوح وموسى عليهما السلام. والقول ـ على ما سبق بيانه ـ تمهيد لما سيلى ذكره مما يتم به إفادة معنى التسرية عن رسول الله ﷺ .

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى يتعلق بحال الأمم السابقة كما يبين من «ما» وهى لا تدخل على المضارع إلا لبيان الحال، أو وهو فى موضع الحال، ومفاد القول أنه تعالى ما جاء أهل أمة من الأمم السابقة التى بعث فيها رسله رسول منه تعالى إلا وكان منهم الاستهزاء به، ومن هنا يبين أن مراد القول هو التسرية عن رسول الله ﷺ، ببيان أن هذا هو فعل الكافرين مع رسلهم .

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى لرسوله ﷺ أن استهزاء الكافرين برسلهم هو ما جرى عليه الحال فى الأمم السابقة التى بعث الله فيها رسلا، فإنه تعالى يقول إنه على هذا النحو الذى كان يدخل به كلامه تعالى فى قلوب كافرى الأمم السابقة مستهزأ به لعدم جدارتهم أن يفهموه وأن يؤمنوا به، فإنه تعالى يسلك القرآن فى قلوب عتاة كفار مكة الذين قدر لهم ألا يؤمنوا مستهزأ به وبمن أبلغ به، فلا يكون منهم إيمان يغفر لهم به لاستحقاقهم العذاب .

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

التفسير:

بعد أن أوضح تعالى أنه يدخل القرآن قلوب كافرى مكة مشوبا بالاستهزاء أو مستهزءا به على ذات النحو الذى كان يدخل به ما أنزل على الرسل السابقين قلوب كفار أقوامهم، فإنه تعالى بين أن كافرى قومه الذين قدر لهم ألا يؤمنوا لن يؤمنوا بالقرآن العظيم، ثم قال تعالى

«وقد خلت سنة الأولين» بمعنى أن سنة الكافرين قبلهم قد جرت على هذا النحو أو أن سنته تعالى معهم قد جرت على ألا يؤمنوا، فيكون من نتائج الشبه بين كفار مكة وكفار الأمم السابقة أنهم لن يؤمنوا .

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

التفسير:

قوله تعالى في الآية ـ مرتبط بقوله تعالى في الآية التالية، إذ تضمنت الآية أداة الشرط وفعله في جملة شرطية جاء جواب الشرط فيها في الآية التالية. والمعنى المراد إيصاله من الآيتين هو أن كفار مكة الذين طلبوا الإتيان بالملائكة هم من المصرين على الكفر وليس ممن يطلب دليلا عقليا ليؤمن . ومعنى القول أنه لو كان منه تعالى أن فتح لهم بابا في السماء دخلوه وجعلوا يصعدون في السماء نهارهم يشاهدون الملائكة وتسبيحهم وما في السماوات من عجائب، أو كان منهم حين دخلوا هذا الباب المفتوح لهم أن شاهدوا الملائكة يعرجون في السماء صاعدين :

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

لتفسير:

القول فيما يكون من عتاة الكافرين فيما لو دخلوا الباب المفتوح لهم في السماء وشاهدوا ما شاهدوا يذكر تعالى أنهم كانوا يقولون «إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون» فهم يتهمون أبصارهم بأنها قد أغلقت عن مشاهدة الحقيقة، أو أنهم لا يشاهدون إلا محض خيال، ثم يكون منهم بعد ذلك إنكار ما شاهدوه بعقولهم، فيزعمون أن عقولهم لا تقبله فلا يكون ما رأواه إلا من قبيل التخيل كان من أثر السحر الذي سحرهم به رسول الله ﷺ. فيكون القول دالا على أن هؤلاء لم يطلبوا دليلا وإنما استهدفوا تعجيزا، وأنهم لا يؤمنون .

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ ﴿١٦﴾

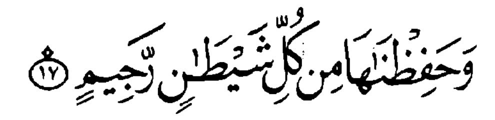
أولا : الأســـــماء :

البروج : جمع ، مفرده «البرج» والمراد بها فى معنى الآية يقبل أن يكون البروج الاثنى عشر المعروفة، وهى: المسماة، الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقـوس، والجدى والـدلو، والحوت. وقيـل إن المراد بها هــى الكواكـب العظام. وقيل هى الكواكب السيارة .

ثانيا : التفســـير :

بعد أن أظهر تعالى قـدر عناد عتاة الكافرين و إصرارهم على الكفر حتـى ولو فُتح لهم باب إلى السماء شاهدوا منـه عجيب الآيات فيها، فإنه تعالى ذكر بما ذكـر فى الآية أن فى السماء آيات أخرى يعرفونها هى جديرة فى حد ذاتها أن تـدفع من لديه عقل يعى أن يؤمن بوجود إله خالق واحـد توافق الدعوة إليه مـا علمه بعقله. فذكر تعـالى أنه أوجد فى السماء بـروجا، فإن كان المقصـود بالبروج هو الكـواكب السيارة فهى معلـومة للكافريـن ووجودها ونظام سيـرها يدفـع إلى الإيمان بالله وتـوحيده، و إن كانـت هى البروج الاثنـى عشر، وكانت محـض صور وهمية و إن كان تصويـرها بأنها ستة شمالية وستـة جنوبية، و إن الشمالية ثلاثـة ربيعية وثلاثة صيفية، والجنوبية منها ثلاثة خريفية وثلاثة شتـوية، فإن النتائج المترتبة على هذا فيما يتعلق بسير الكـواكب والحسـاب هى نتـائج صحيحة، فيكـون تعليمها الإنسـان دليلا علـى وجود خالقها ومبدعها على هذا النحو الذى علمه الإنسان ، فتكون دليلا على وحدانيته تعالى.

ثم إنه تعالى ذكر أنـه زين السماء للناظرين، والمراد بهذا أنه تعالـى زينها بالنجوم ـ وهى شموس ـــ والكواكـب وهى قليل مـن كثير هـو المجرة ثم المجـرات، ثم مـا لا يعلمه إلا الله، وجميع هـذا فيه آيات تدعـو المشاهدين لـلإيمان، وقد يراد بـالناظرين ـــ فى القول ـ الـذين ينظرون فيتفكرون ، فيكون من هؤلاء الإيمان والتوحيد.



التفســـير:

الضمير المتصل فـى «حفظناها» يعود إلى السمـاء، ومفاد القول أنه تعالـى حفظ السماء من أن يدخلهـا شيطان ممن طرد الله من رحمته، فهـو مرمى بغضب الله تعالـى، أو بشهب من الكويكبات تؤذيه أو تقتله.

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٨﴾

أولا : الأســـــماء :

الشهاب: فى قوله تعالى «فأتبعه شهاب مبين» قيـل إنه الشعلة الساطعة من النار الموقدة، ومن العـارض فى الجد، وقيل إنـه الكوكب لأنـه يبرق كشعلة النـار. والشهاب ـ من النـاحية العلميه ـ هو جسيم يتجول فى الفضاء، وهو مكون مـن صخر أو حديد مخلوط بالنيكل ويأتى بالملاييـن كل يوم إلى جـو الأرض، لكن المشاهد منه قليـل لصغر كتلة معظمه، وهـو يدخل الغلاف الجوى للأرض بسـرعة تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ كيلومترا فى الثانيـة، فيسخن بالاحتكاك بالجو إلى حـد التوهج محدثا خطا نـاريا كالسهم النارى على ارتفـاع يتراوح بين ١٣٠ و ٨٠ كيلومترا ثـم يتبخر ويتلاشى على ارتفاع بيـن ٤٠، ٦٠ كيلومترا فيكون الغلاف الجـوى حاميا أهل الأرض من الشهب .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه حفظ السماء من الشياطين ـ قيل إن هذا كان بعد بعثة رسول الله ﷺ ـ فإنـه تعالى استثنى مـن هؤلاء الشيطان من اقتصر فعلـه على مجرد استراق السمـع، فهو لم يدخل السماء، ولم يختلط بأهلها وإنما اقتـرب منها مختلسا قولا يسمعه من الملائكة ليخبر به الكهنـة، والمراد بما يسمـع من القول هـو ما لايكـون بوحى، فهـو وغيره من الشيـاطين لا يسمعون من الوحى شيئا، ولا من قول يكون بالوحى .

ويثبت تعالى أنه يرسـل إثر هذا الشيطان شهابا يقتله أو يصيبه بالخبل فـلا يذكر مما سمع شيئا ولا يخبر به، والمشهور أن هذا إنما كان بعد بعثة رسول الله ﷺ. وقد اعترض على هذا بأن

الشهب كانت موجودة مشاهدة قبل بعثة رسول الله ﷺ وقد أخبر عنها الأقدمون. ولا يمنع وجود الشهب من قديم الأزل أن يكون منه تعالى أن يأمر أحدها بتتبع الشيطان الذى استرق السمع لتصيبه بأذى يكون من شأنه ألا تكون لديه قدرة الإحتفاظ بما استرق سمعه والإخبار به، كما لا يمنع كون الشيطان مخلوقا من نار من أن تصيبه النار بأذى، فضلا عن أن الشهاب ليس مجرد نار مشتعلة و إنما هو صخر وحديد ونيكل يسير بسرعة خارقة يتصور معها فى عقول البشر أن يكون منها قتل الشيطان أو جرحه أو إيذاؤه على النحو الذى يعجزه عن الإخبار بما استرق إليه السمع .

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾

التفسير:

قوله تعالى ــ فى الآية ــ فى ذكر آيات علمية من الآيات التى تدعو ذوى العقول إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده ومد الأرض و إلقاء الرواسى فيها مرتبطان ببعضهما بعلاقة سببية علمية. فالرواسى هى الجبال المرتفعة والأنهار باعتبارها منخفضات. والجبال الرواسى هى التى أرساها تعالى ، جاء اسمها من اسم السفن الراسية، والجبال الرواسى نوعان: منها الجبال النارية، وهى التى ترسو طافية على سائل كثيف لزج موجود فى رداء الأرض تحت القشرة كالسفينة الراسية فوق ماء البحر، ومنها الجبال الرسوبية التى تتكون مما تلقيه الأنهار من رواسب حتى إذا تراكمت وتماسكت كانت جبالا شاطئية. و إلقاء هذه الرسوبيات وتكوين الجبال يكون من شأنه زيادة مساحة الجزء اليابس من الأرض وهو ما يشير إليه الفعل «مد» فى قوله تعالى «والأرض مددناها»، ثم إن الفعل «مد» يشير أيضا إلى زيادة مساحة اليابسة بإنشاء الجبال النارية على ما يبين من ورود ذكر الرواسى فى آية الرعد التى تشمل نوعى الجبال، ومعلوم أن الجزر البركانية التى تتكون فى عرض المحيطات وتزيد بها اليابسة ـ وهى الجزر البركانية ـ هى من قبيل الجبال البركانية.

ثم إنه تعالى ذكر أنه أثبت فى الأرض أو فى الجبال من أنواع النباتات بالمقادير التى

استوجبتها حكمته تعالى والتى تتحقق بها مصالح خلقه .

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾

التفسير:

قوله تعالى فى ذكر آية أخرى من الآيات الدالة على وحدانيته تعالى وقدرته، فيذكر تعالى أنه جعل للناس أو للمخاطبين بالقول فى الأرض معايش، بمعنى ما يكون به العيش من طعام وشراب ولباس ومأوى، أوجدها تعالى أو أوجد خاماتها وعلم الناس كيفية الإفادة منها، ثم ذكر تعالى أنه جعل لمن ليسوا هم رازقيهم ممن يعولون معايش فى الأرض، ويشمل القول ما يقومون على إطعامه من حيوان لاعتبار التعبير عن العاقل شاملا غير العاقل. فيكون مفاد القول بيان أنه تعالى جعل للناس ولمن يعولون وما يقومون على عيشه ــ فى الأرض ـ سبل هذا العيش وأسبابه .

وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه أوجد فى الأرض معايش للمخاطبين بالقول ومن يعولونهم، فإنه تعالى ذكر ــ فى الآية ـ أنه ما من شىء فى الأرض ـ يدخل فيه المعايش ــ إلا وكان مجموعه عنده تعالى، جاء التشبيه بما يكون فى الخزائن مما يعطيه ذووا العطاء الناس بطريق الاستعارة التخيلية، ثم إنه تعالى أثبت أن إعطاءه الناس مما هو لديه يكون بقدر معلوم عنده تعالى وفق ما قضى به أمره واستوجبت حكمته، فيكون القول ردا على قول القائلين كيف يكون منه تعالى وهو أكرم الأكرمين المن على الناس بالقليل وليس بما يطلبون .

وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾

أولا : الأسـماء :

اللواقح : جمع، مفرده «لاقح» وهو الحامل، والمراد بالرياح اللواقح هو الرياح التى تحمل السحب الممطرة .

ثانيا : التفسير :

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أنه يرسل الرياح تحمل السحاب فيكون نزول المطر فيه. فالرياح تظهر السحاب بعد خفاء، ثم يكون سوقه إلى الأماكن التى شاء تعالى أن ينزل فيها مطرا، ثم إنها تؤدى ـ على ماسبق بيانه تفصيلا ـ إلى تجميع قطرات الماء فى السحاب، ثم تؤدى تياراتها إلى التكاثف فتظهر قطرات الماء المتجمعة فى السحب، ثم تحمل السحب إلى حيث يكون نزول المطر بإذنه تعالى فتكون لواقح .

ثم إنه تعالى يقول فى الماء ينزل من السماء «فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين» فهو تعالى جعل هذا الماء سقيا منه يسقى الناس حيوانهم وزرعهم ومنه يشربون، وقيل فى «وما أنتم له بخازنين» إنه يعنى أن البشر غير قادرين على إيجاده وخزنه فى السحاب، أو إنه يعنى أنهم غير قادرين على حفظه فى مجاريه. وقد يكون المراد ـ والله أعلم ـ هو أنه ليس فى قدرة البشر إتمام خزن مياه المطر، وذلك لأن مياه الأمطار سوف تتسرب بالضرورة إلى الجو ثانية لتتم الدورة من جديد، إذ تكون المناطق المدارية على الأرض بمثابة غلاية، والمناطق الباردة بمثابة مكثف، وعندما يتبخر الماء يمتص كمية من الحرارة من الجو المحيط فى المناطق المدارية، ثم إنه عندما يتكثف بخار الماء يتحول إلى سحاب وأمطار فى المناطق الباردة فإنه يعيد إلى الجو نفس الطاقة الحرارية التى اكتسبها عند تبخره، فيكون استمرار وجود المناخ أو البيئة المناسبة لتكون الأمطار .

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٢٣﴾

التفسير:

يثبت تعالى ـ فى الآية ـ أنه الذى يحيى ويميت، بمعنى أنه تعالى الذى يبعث الحياة

فيما جعله أهلا لأن تدخل فيه الحياة، فهو يخلقها فى الحيوان المنوى، ويخلقها حياة أخرى فى النطفة، ويخلقها فى البيضة والبويضة، وهو تعالى الذى يميت الحى، وهو تعالى الذى يرث الأرض ومن عليها، والقول يفيد أن المتأخرين ليسوا وارثين، فالوارث هو الله تعالى وحده يكون بعد فناء الخلق، فلا وارث إلاه تعالى .

وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ المستقدمون: فى قوله تعالى «ولقد علمنا المستقدمين»، قيل إن المراد بهم فى معنى الآية هو من مات.

٢ ـ المستأخرون : فى قوله تعالى «ولقد علمنا المستأخرين»، قيل إن المراد بهم ــ فى معنى الآية ـ هم الأحياء الذين لم يموتوا بعد، وقيل إنهم الذين فى أصلاب الرجال. وقيل هم أمة محمد ﷺ .

ثانيا : التفسير:

الآية فى إحاطة علمه تعالى بجميع شئون خلقه، الذين ماتوا والأحياء، والذين هم فى الأصلاب، وقيل إن المراد بالمستقدمين والمستأخرين هم المستقدمون فى الصلاة والمستأخرون فى الصفوف بسبب النساء، وذكر أن مناسبة نزول الآية أن امرأة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله ﷺ فكان قوم يحرصون على الصلاة فى الصف الأول حتى لايروها، وكان آخرون يتأخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه. وبقطع النظر عن صحة هذا الرواية، فإن سبب النزول لايؤثر على المعنى المستفاد من عبارة القول أو من النص.

وهو إحاطته تعالى علما بكل أمور السابقين واللاحقين .

وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

التفسير:

الخطاب - في الآية - موجه إلى رسول الله ﷺ، ومضمون القول متعلق بما سبق بيانه من علمه تعالى كل ما يتعلق بأمور السابقين واللاحقين. جاء الإخبار عن أنه تعالى يحشر المستقدمين والمستأخرين للجزاء من بعد بيانه تعالى علمه بأحوال هؤلاء وهؤلاء لبيان أن حساب هؤلاء وهؤلاء يكون بما علم تعالى من أمورهم - وهو تعالى قد علم منها كل شيء.

وقوله تعالى «إنه حكيم عليم» هو بيان لأنه تعالى بالغ الحكمة والعلم، اقتضت حكمته أن يحشر الناس إليه للحساب، ويجيء حسابهم بالحق لكونه بما علم تعالى من أمورهم، وقد أحاط تعالى بكل شيء علما .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ - **الإنسان** : المراد به - في معنى الآية - هو آدم عليه السلام، أصل الإنسان وأول أفراده .

٢ - **الصلصال**: هو الطين اليابس يحدث صوتا أو يصلصل إذا ما نقر، وقيل هو الطين المخلوط بالرمل .

٣ - **الحمأ** : في قوله تعالى «من حمإ مسنون» هو الطين الأسود، أو الذى تغير لونه واسود من مجاورته الماء.

٤ - **المسنون** : في قوله تعالى «من حمإ مسنون» هو المصور، وقيل هو المنتن.

ثانيا : التفسير :

يذكر تعالى - في الآية - أنه خلق آدم عليه السلام من طين الأرض اليابس أو المخلوط بالرمل المأخوذ من الطين الأسود الذى تم تصويره على هيئته التى خلق عليها .

وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى خلقه الإنسان من طين، فإنه تعالى ذكر خلقه الجان، قيل إن المراد بالجان هو إبليس الرجيم، وقيل إنه أبو الجن أو اسم جنس له، يذكر تعالى أنه خلقه من قبلُ بمعنى أنه خلقه قبل خلقه آدم عليه السلام، ثم إنه تعالى يذكر أنه خلقه من نار السموم، وهى الريح الحارة التى تقتل لكونها تنفذ فى مسام الجسم محملة بالسم فتتشرب فى الدم فيحدث التسمم القاتل .

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى «وإذ قال ربك للملائكة» هو تذكير منه تعالى لرسوله ﷺ بيوم قال ربك للملائكة ما هو مذكور فى النص . فيكون معنى القول هو «واذكر يوم قال ربك للملائكة». والذى قاله تعالى للملائكة ـ والمراد بهم ـ ملائكة السماء والأرض على المستفاد من إطلاق القول ـ هو «إنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون»، والقول يفيد القطع بأنه تعالى خالق بلا ريب بشرا من مادة الصلصال من الحمإ المسنون ـ على ما سبق بيانه .

فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾

التفسير:

القول تتمة قوله تعالى للملائكة بعد أن أخبرهم أنه خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون، قال لهم تعالى إنه متى أتم خلقه وصورته وأقامه كامل الصورة وبعث فيه الحياة، جاء التعبير عن هذا بقوله تعالى «ونفخت فيه من روحى» فأظهر أن الروح خلق من خلقه على ما يبين من إضافتها إلى نفسه تعالى. كان عليهم أن يسجدوا له تحية له، أو تعظيما لله تعالى لما أبدع وخلق. فإن كان السجود لآدم عليه السلام كان سجود تحية وتكريم وليس

سجود عبادة .

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠﴾

التفسـير:

المستفاد من قوله تعالى أنه أتم تسوية آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه، ولهذا كان من الملائكة تنفيذ أمره تعالى بالسجود، فسجدوا جميعهم لآدم عليه السلام .

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١﴾

التفسـير:

المستفاد من القول هو أن إبليس كان من المأمورين بالسجود، لأن استثناءه من عداد الساجدين يفيد أنه كان من المأمورين به، وقيل إن استثناءه يفيد أنه كان من الملائكة، أو إن الجن كانوا الخافين من الملائكة، وقيل إن الأمر للملائكة بالسجود شمل من هم أدنى منهم مرتبة وهم الجن، فيكون استثناء إبليس من الساجدين لا يفيد كونه من الملائكة.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢﴾

التفسـير:

يذكر تعالى أنه لما امتنع إبليس عن السجود لآدم عليه السلام سأله تعالى «يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين» بمعنى أى سبب جعلك لا تكون مع الساجدين، والقول بهذا المعنى فيه توبيخ له لتخلفه عن فعل ما فعله من هم أشرف منه وأكرم، وفيه إظهار لشناعة فعلـه .

■■■

قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ قول إبليس ردا على سؤال رب العزة له عن سبب عدم سجوده، وإجابة إبليس تفيد كبر إبليس وحسده، فقد علل عدم انتظامه مع الساجدين في إطاعة أمر الله بأفضلية مادة خلقه على مادة خلق آدم، والمعنى أنه يرى رفعته وضعة آدم وخسته، وهذا منه كبر، ثم أنه يفيد حسده آدم على تكريم الله إياه بالأمر بالسجود له مع كونه أدنى منه مقاما في رأيه. ثم إنه يفيد معنى الإصرار على عصيان أمر ربه.

قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾

التفسير:

القائل هو الله تعالى، أمر إبليس بالخروج من السماء، فالضمير المتصل في «منها» يعود إلى السماء، وقد يفسر هذا ويؤيده قوله تعالى «فإنك رجيم» بمعنى أنه يرجم بالشهب إذا ما حاول دخولها أو حاول ذلك أحد من أتباعه.

وقيل إن الضمير يعود إلى الجنة. وقد أتبع تعالى أمره بإعلامه أنه مطرود من رحمته.

ولهذا قيل إن الطرد معناه إبعاده عن القرب من الله تعالى مع تقريب آدم عليه السلام إليه، فيكون هذا بيانا لكون التشريف منه تعالى وليس بما اعتقد إبليس من أنه مادة الخلق.

وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾

التفسير:

القول - فى الآية - من قوله تعالى لإبليس، أعلمه تعالى أن عليه لعنته فى الحياة الدنيا تكون له عقوبة فى الدنيا إلى يوم الدين فيه يلقى جزاءه الذى ينسيه لفرط شدته اللعنة التى صاحبته من حياة الدنيا. ويقبل القول أن تكون اللعنة المصاحبة إبليس فى الحياة الدنيا هى لعنة الخلق إياه .

قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - أن إبليس ناداه بقوله رب أى «ربى» وفيه إقرار له تعالى بالربوبية، ثم سأله أن يمهله إلى يوم يبعث آدم وبنوه. والمعنى هو ألا يميته تعالى قبل هذا اليوم ليجد لديه الوقت لإغواء آدم وبنيه، وربما كان هذا ليثبت عدم أفضليتهم عليه، وربما كان من قبيل الانتقام منهم لتفضيل الله تعالى آدم عليه. ثم إن لطلبه معنى آخر هو الاحتيال لنفسه من الموت، لأنه إذا أحياه الله تعالى إلى يوم الدين، فإنه لا يكون له موت، لأنه لا موت بعد البعث

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾

التفسير:

الآية فى ذكر بعض رده تعالى على إبليس فيما طلبه منه، قال له تعالى «فإنك من المنظرين» أخبره أنه يكون من جملة الذين أمهلهم الله فأخر آجالهم من الإنس والجن، فهو تعالى لم ينشىء له إمهالا أو إنظارا خاصا به ليعلم أن شأنه شأن غيره من الإنس والجن المنظرين فهو لا يفضل هؤلاء المنظرين. ولا يفيد النص بالضرورة أن يكون إنظارهم جميعا إلى أجل واحد، فقد تختلف آجالهم مع كونهم جميعا منظرين .

﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾

التفسـير:

القول تتمة قوله تعالى «فإنك من المنظرين» حـدد فيه تعالى غاية الإنظار بأنها يوم الوقت المعلوم. والمعنى أن إبليس يموت ـ بعد الإنظار ـ فى يوم الوقت المعلوم ـ أى أنه معلوم لديه تعالـى، وقيل إنـه وقت النفخـة الأولى فـى الصور وهـو آخر أيـام التكليف الـذى تموت فيـه الخلائق، فيه يموت إبليس ثم يبعث فيكون موته تحقيقا لقوله تعالى «كل من عليها فان».

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾

التفسـير:

يذكر تعالى ـ فـى الآية ـ أن إبليس خاطب الله تعالى بعد أن أعلمه أنـه من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم فقال «رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين»، وأول ما يبين من قوله هو أنه نسب غوايته إلى الله تعـالى بمعنى أنه جعل عصيانه من أمر الله تعالى فيه، فهو يقر لله بالقدرة عليه وأنه ما من شىء إلا بأمره تعالى، ثم إنه يلاحظ من القول أيضا أنه قال قوله واثقا من أنه سيتمكن من الاحتيال على آدم عليه السلام فيكون بسبب ذلك نزول آدم للأرض، ووجـود ذرية له فيهـا. وقد يكون هذا ممـا علمه حال وجـوده فى السماء قبـل طرده منها، ثم إنه بعد هذا أقسم أن يزين لأبناء آدم المعـاصي، وأن يشغلهم بالدنيا عن أمور الآخرة وكذا بأن يغويهم جميعا عن الحق فيكون منه إضلالهم .

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

التفسـير:

القول تتمـة قول إبليـس فيما أقسم عليـه من أن يـزين لأبناء آدم المعـاصى وأن يغـويهم

ويضلهم أجمعين استثنى منهم عباد الله المخلصين، وهم الذين أخلصهم الله لطاعته، جعل إبليس من فعل الله تعالى لهم سببا لامتناع قدرته على الإضلال عليهم. فيكون هذا إقرارا منه بضعفه عن أن يأتي بما لم يرده تعالى .

قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾

التفسير:

يذكر تعالى ــ فى الآية ــ أنه قال لإبليس تعقيبا على قوله «هذا صراط على مستقيم» والمشار إليه بــ «هذا» هو ما جاء فى قول إبليس من استثناء عباد الله المخلصين من جموع الغاوين الذين يقدر عليهم إبليس بتزيينه المعصية لهم، فمعنى قوله تعالى هو أن عدم غواية هؤلاء فضل ـ أنعم به عليهم يراعيه فلا تكون له مخالفة، ولهذا شبه بالحق يكون على المرء، وليس من حق عليه تعالى لأحد .

إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾

التفسير:

القول قوله تعالى ، وهو موجه إلى إبليس، فيه تقرير لواقع بأمره تعالى مفاده أنه ليس لإبليس أى قدر من السلطة على عباد الله، وأن الذين يتبعونه إنما يفعلون هذا لأن فعله يوافق أهواءهم ولهذا فإنهم يتبعون إبليس بإرادتهم وليس لأنه صاحب سلطان عليهم، فيكون استعدادهم سببا لاستجابتهم للغواية من إبليس .

ويبقى تعيين عباد الله الذين ليس لإبليس سلطان عليهم والذين يكوّن من بعضهم اتباع إبليس فى الغواية. وقد قيل إنهم «عباد الله المخلصون» يكون منهم من يغويه إبليس، وقيل إن المخلصين يكونون الباقين بعد خروج الغاوين منهم، وقد يكون المراد بعباد الله ــ فى

النص هم جنس العباد، أثبت تعالى أنه لا يطيع إبليس منهم إلا من كان به استعداد من ذاته لقبول الغواية، فيكون المستفاد منه أنه يكون من غير المخلصين من لا يطيع إبليس فى الغواية، فيكون المعنى هو تكذيب إبليس فيما زعمه من أنه لا ينجو من غوايته إلا عباد الله المخلصون .

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾

التفسير:

القول قوله تعالى توعد فيه إبليس والذين اتبعوه فى إغوائه فأطاعوه بجهنم محلا للوعيد، بمعنى أنهم يدخلونها جميعا. والقول ـ بهذا المعنى ـ يؤكد أن اتباعهم إبليس كان بإرادتهم وبسوء استعدادهم ولهذا فإنهم استحقوا أن يعاقبوا به .

لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

أولا : الأسماء :

الأبواب : فى قوله تعالى «لها سبعة أبواب» قيل إنها طبقات جهنم أو دركاتها. وقيل إنها: جهنم، والسعير، ولظى، والحطمة، وسقر، والجحيم، والهاوية. وقيل إنها أبواب لجهنم على المعنى الحقيقى.

ثانيا : التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن موعد الذين يتبعون إبليس فى الغواية هو جهنم، فإنه تعالى أخبر عن جهنم فأعلم أنها من سبع طبقات اختصت كل منها بطائفة من أهل النار، قيل إنه يكون فى أعلاها عصاة المؤمنين، وتحتهم النصارى، ثم اليهود، ثم الصابئون، ثم المجوس، ثم مشركو العرب، ثم المنافقون وأهل فرعون. أو أنها لها سبعة أبواب يكون لكل باب منها فريق معين من أهل النار يدخل النار منه .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ المتقون: فى قوله تعالى «إن المتقين» قيل إنهم عباد الله المخلصون، وقيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هو الذين اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات. وقيل إنهم الذين اتقوا الشرك لأن المتقي هو الذى أتى بالتقوى مرة واحدة.

٢ ـ العيون : فى قوله تعالى «فى جنات وعيون» قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الأنهار المذكورة فى قوله تعالى «مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه......» وقيل إنها عيون أخرى فى الجنة غير هذه الأنهار، واختلف فيما إذا كان لكل واحد عين. أم كانت العيون لهم جميعا لكون أهل الجنة مبرئين من الحقد والحسد.

ثانيا : التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى مصير الذين يتبعون إبليس بالاستجابة لغوايته وبين وصف النار موعدهم. فإنه تعالى يخبر فى الآية عما أعد للذين اتقوا الكفر والشرك بالله، فيذكر تعالى أنهم يكون قرارهم فى جنات ذات عيون.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ يحتمل معنيين :

أولهما : أنه تعالى يقول للمتقين عند إدخالهم جناته ـ بذاته، أو بواسطة الملائكة ـ

ادخلوها بسلام آمنين .

وثانيهما : أنه يكون منه تعالى هذا القول كلما أدخلوا جنة من جناته العديدة. ومعني القول هو أن يكون دخولهم الجنات سالمين، ومسلما عليهم، وأن يكونوا فيها آمنين أن يخرجوا منها، آمنين من الموت والزوال .

وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾

التفسير:

قيل إن نزعه تعالى ما فى قلوب أهل الجنة من حقد وضغينة يكون فى الحياة الدنيا، على نحو ما كان بين بنى تيم وبنى عدى، وبنى هاشم فى الجاهلية، نزعه الله من قلوب أبى بكر، وعمر وعلى، فكانوا إخوانا لكونهم من أهل الجنة، وقيل إنه يكون فى الآخرة بعد دخولهم الجنة، ينزع الله من قلوبهم ما كان بين بعضهم والبعض من شحناء وضغائن فى الحياة الدنيا فيكون حالهم أنهم إخوان يجلسون على سرر الجنة متصافين، أو متقابلين ينظر كل منهم وجه أخيه وليس قفاه. فيكون القول دالا على أنهم يجتمعون ويتنادمون .

لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾

التفسير:

قوله تعالى فى وصف حال المتقين فى الجنة، يذكر تعالى أنهم لا يصيبهم فى الجنة تعب، ولو كان جهدا يبذل فى الحصول على ثمراتها أو ما يشتهون ، كما أنهم لا يخرجون منها، فهم على حالهم من البقاء فيها والاستمرار على ذلك تحقيقا لقوله تعالى أنهم فيها يخلدون .

■■■■■

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمره ربه أن يقول للعباد - مخبرا - قولا معينا، وقيل إن المراد بعباده تعالى فى عبارة النص هم المتقون، وقيل إنهم عموم الناس، وقد يكون المراد هو عموم الناس - والله أعلم - يدل على هذا أن القول المأمور به جاء من بعد ذكر مصير أتباع إبليس ومصير المتقين، وأن المأمور بالإخبار به شمل غفران الله تعالى الذنوب ورحمته تعالى بخلقه، كما شمل - فى الآية التالية - عذابه الأليم، فكان المقبول أن يكون الإخبار لجميع الناس لأنه يكون منهم أهل المغفرة ويكون منهم أهل العذاب.

ومفاد قوله تعالى «أنى أنا الغفور الرحيم» هو أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وعده المتقين أن يغفر لهم بتقواهم، أو باتقائهم الكفر ما سبق من ذنوبهم، وأن يشملهم برحمته فيدخلهم جناته .

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾

التفسير:

القول يتعلق بباقى ما أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر به الناس، وهو إنباؤهم أن عذابه تعالى الذى أعد للكافرين هو العذاب الأليم، فكأنه وحده المتصف بالألم أو الإيلام من بين أنواع العذاب، حتى أن أشدها إيلاما مما يعرف البشر لا يستحق أن يوصف بالإيلام إذا ما قورن به .

وقد جاء فى قوله تعالى ذكر المغفرة والرحمة قبل ذكر العذاب لقوله تعالى فى حديثه القدسى «إن رحمتى سبقت غضبى» والقول فى مجموعه وعد ووعيد .



﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝٥١﴾

أولا : الأسماء :

الضيف: فى قوله تعالى «عن ضيف إبراهيم» المراد به فى معنى الآية الملائكة الذين جاءوا إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى صورة بشرفاستضافهم كما جرت عليه عادته فى إقراء الضيف فكانوا عنده بمرتبة الأضياف.

ثانيا : التفسير:

بعد أن ذكر تعالى مضمون وعده ووعيده، فإنه ناسب هذا أن يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس عن قصة أضياف إبراهيم من الملائكة الذين جاءوه فى هيئة البشر فاستضافهم، وذلك لاشتمالها على الوعد والوعيد .

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢﴾

أولا : الأسماء :

الوجلون: فى قوله تعالى «إنا منكم وجلون» جمع، مفرده «الوجل» وهو من اضطربت نفسه لتوقع مكروه .

ثانيا : التفسير:

معنى قوله تعالى «إذ دخلوا عليه» هو «واذكر إذ دخلوا عليه» ، ثم يذكر تعالى أنه كان من ضيف إبراهيم حين دخلوا عليه أنهم قالوا «سلاما»، والمعنى أنهم سلموا عليه سلاما، أو أنهم قالوا له «سلمت سلاما» بمعنى أنهم دعوا له بالسلامة .

ثم يقول تعالى «قال إنا منكم وجلون»، وقد كان قوله عليه الصلاة والسلام لهم هذا، بعد أن قدم لهم الطعام فلم يأكلوا منه، وكانت عادة القوم أنهم إذا أتوا فى غير خير لم يأكلوا طعام

من أرادوا به شرا، اقترن به دخولهم عليه فى وقت لا يكون فيه دخول غريب على أهل البيت، فخشى أن يكونوا قد أرادوا به شرا فقال لهم «إنا منكم وجلون» بمعنى أنه وأهله يستشعرون الخوف من جهتهم، وقيل إنه عليه الصلاة والسلام لم يقل هذا بلسانه وإنما ظهرت عليه أماراته فصار كأنه قد قال القول .

قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾

أولا : الأسماء والأعلام:

١ ـ الغلام فى قوله تعالى «إنا نبشرك بغلام عليم» المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو إسحاق عليه السلام، وقد سبق التعريف به .

٢ ـ العليم : فى قوله تعالى «بغلام عليم» معناه هو «ذو علم» والمراد به ـ فى معنى الآية ـ أنه ذو علم مما يعلمه الله أنبياءه، فيكون التبشير بأنه يكون نبيا .

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن الملائكة الذين جاءوا إبراهيم عليه الصلاة والسلام نهوه عن الخوف الذى صرح به أو الذى بدت عليه أماراته، ثم قالوا له «إنا نبشرك بغلام عليم» بمعنى أنهم بشروه أن يكون له ولد آخر ذكر.

والمراد به إسحاق عليه السلام تنجبه سارة، وجاء القول متضمنا أن البشارة كانت لإبراهيم لأن خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصة كان للعرب فى شأن جدهم إبراهيم، فلا يمنع أن تكون البشارة له مع ذكره تعالى ـ فى موضع آخر ـ أن البشارة كانت لسارة، مع ملاحظة أنه إذا كان الخطاب لأى من إبراهيم وسارة من الملائكة، فإن زوج المخاطب قد سمعها، وأريد له أن يسمعها مما يعنى أن البشارة كانت له أيضا. ثم إن الملائكة ذكروا أن الغلام المبشر به يكون عليما بما يعلمه الله بالوحى، والمعنى أنه يكون نبيا .

قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى قول إبراهيم للملائكة بعد أن بشروه أنه ينجب ولدا يكون نبيا. بدأ قوله باستفهام للتعجب، ومحل التعجب هو موضوع البشارة أنه يكون له ولد، وسبب التعجب هو وجود الحال المنافية حصول المبشر به وهو إنجاب الولد فى مثل هذا السن، فيكون الاستفهام متضمنا ـ مع التعجب ـ معنى الإنكار ولهذا قال «أبشرتمونى على أن مسنى الكبر» بمعنى أبشرتمونى بما سمعت على مس الكبر إياى وزوجتى». ثم إنه عليه الصلاة والسلام أكد تعجبه من موضوع البشارة بقوله «فبم تبشرون» بمعنى «بأى أعجوبة تبشرون» والمراد هو أتبشروننى بشىء لا يقع، فتكون البشارة بمعدوم .

قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن الملائكة ردوا على استفهام إبراهيم صلى الله عليه وسلم بقولهم «بشرناك بالحق» بمعنى أن الذى بشرناك به هو الحق من ربك فهو الحادث بلا ريب. ثم إنهم نهوه عن اليأس بقولهم «فلا تكن من القانطين» وهو نهى عن اليأس من أن تكون له معجزة تخالف ما جرت عليه سنة العباد، وقد يكون قول الملائكة «فلا تكن من القانطين» وعدم قولهم «فلا تكن من الممترين» دليلا على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن من الذين استعظموا أن يكون منه تعالى أنه يفعل معه هذه المعجزة، وإنما استعظم نعمة الله عليه أن يمن عليه بالولد فى هذا السن .

قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾

التفسير:

يخبر تعالى فى الآية عما كان من إبراهيم صلى الله عليه وسلم مع الملائكة بعد أن نهوه عن اليأس، فيذكر تعالى أنه توجه إليهم بسؤال إنكارى يبين منه أنه لا يقنط «ومن يقنط من رحمة ربه»، ثم أجاب عليه بقوله «إلا الضالون» فأثبت أن الذين يقنطون من رحمة الله هم الذين ضلوا طريق معرفة الله تعالى حق المعرفة، وهم الكافرون ـ وهو ليس منهم ـ فيكون القول نفيا لوقوع اليأس من رحمة الله ـ يهبه بها الولد ـ فى نفسه.

وقد استدل بالآية عن أن الضالين هم الذين يئسوا من رحمة الله، كما قال البعض، والأمر محل خلاف غير متفق عليه .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن إبراهيم حين سمع من الملائكة ما سمعه من أمر البشارة ونهيه عن اليأس من رحمة الله، وبعد أن نفى عن نفسه أن يكون من اليائسين من رحمة الله، أنه سألهم عما أرسلوا له «قال فما خطبكم أيها المرسلون» قاله وقد تحقق من كونهم ملائكة، وبعد أن تأكد أنهم قد أرسلوا مكلفين بعمل مما يكلف به جمع من الملائكة وليس واحد منهم، إذ يكون إرسال الواحد للبشارة و إرسال المجموعة لغير ذلك من الأمور الأخطر مثل الإهلاك والتعذيب، فكان سؤاله هو عن الأمر الجلل الذين أرسلوا فيه.

قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾

التفسير:

يقول تعالى إن الملائكة أجابوا على استفسار إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقولهم «إنا

أرسلنا إلى قوم مجرميـن»، ذكروا أنهم أرسلوا إلى قوم، فأظهروا أنهـم قد أرسلوا لإهلاك قوم أو لتعذيبهم، ثم إنهـم نكروا هؤلاء القوم ولم يعرفوهـم تحقيرا لهم، ثم وصفوهم بـأنهم مجرمون لبيان أنهم ارتكبوا ما استحقوا به العذاب والهلاك .

إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩

التفســـير:

رغم أن الملائكة لـم يصرحوا باسم القوم الـذين أرسلوا إليهم فإن استثناءهـم آل لوط من بين الذيـن أرسلوا لهلاكهم يبين منه أنهـم أرسلوا إلى قوم لوط، وقد يكـون اختصاص آل لوط بالنجاة مـن بين قومه ـ والله أعلـم ـ متضمنا إشارة إلـى أن القوم الذين عاش بينهـم لوط عليه السلام من بعدرجوعه من مصر مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكونوا من قومه، وإن كان قد تـزوج منهم، فكان آله هـم زوجه وبناتـه، وهن اللائى أخبـرت الملائكة أنهن تكـون لهن النجاة من العذاب قبل استثناء زوجه. ثم إنه يتصور أن يكون المعنى أنه ينجو من الهلاك أهل لوط ومن تبعه من الذين آمنوا به وله، فيكون القول قد اعتبرهم بمنزلة أهله .

إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠

التفســـير:

القول تتمة قول الملائكة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فمن بعدا إخبارهم بما يفهم منه أنهم قـد أرسلوا لإهـلاك قوم لـوط، ثم استثنـوا من عـداد المهلكين آل لـوط أجمعين ، جـاء استثناؤهم منه بالعين امرأة لوط، قالوا إنهـا قدر لها أن تكون من الباقين فى عذاب الله المقدر للقوم «قدرنا إنهـا لمن الغابرين» وفى القول أسنـد الملائكة الفعل إلى أنفسهم مـع كونه من الله تعالى لما لهم من قرب منه تعالى ولأنهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون .

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ شروع فى رواية قصة الملائكة مع لوط وآله وقومه. بدأ ببيان ما يفيد أن الملائكة أتوا آل لوط، بمعنى أنهم وجدوا معه فى حضور أهله أو مع تمكنهم من مشاهدته معهم.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن لوطا عليه السلام قال للملائكة «إنكم قوم منكرون»، وقد قال لهم هذا بعد ما كان من قومه حين طرقوا عليه بابه وطلبوا منه أن يخلى بينهم وبين ضيفه يفعلوا بهم المنكر ورده على قومه بعرضه تزويج بناته ممن طلبوا الزواج منهن ورفضهن من قبل، ثم ما كان من تقاعس ضيوفه عن مناصرته وخوفه ما يفعله به قومه بعد انصرافهم، فقال لهم هذا القول مبينا لهم أن نفسه تنكرهم أو تنكر حضورهم إليه لما يترتب على هذا من معاناته اشتداد قومه عليه.

﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٦٣﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما رد به الملائكة على لوط عليه السلام حين أخبرهم أن نفسه تنكرهم وقولهم كان ردا جميلا قابلوا به قول نفسه المضطربة ليحمل لها الأمان، فقولهم «بل جئناك بما كانوا فيه يمترون» تضمن الإشارة إلى ما كان لوط عليه السلام يتوعدهم به من الهلاك بعذاب الدنيا جزاء على فعلهم الآثم، وكانوا به يمترون بمعنى أنهم يشكون فيه وفى

صدق لوط ويكذبونه. وقولهم هذا هو إعلام للوط بكونهم ملائكة الله، وبأنهم أرسلوا لهلاك الظالمين.

وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾

التفسير:

القول للملائكة أكدوا فيه للوط عليه السلام أخبروه فيه أنهم أتوا لإهلاك القوم، وأن هلاكهم هو الأمر المحقق أن يكون لأنه أمر الله تعالى النافذ فى خلقه. ثم إنهم أعادوا تأكيد صدقهم فيما قالوا وما وعدوا أنهم فاعلون بقولهم «وإنا لصادقون».

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾

التفسير:

بعد أن أوضح الملائكة للوط عليه السلام ما أرسلوا له فإنهم شرعوا فى بيان ما يتعين عليه وأهله الذين قدرت لهم النجاة أن يفعلوه ولا يخالفوه، أمروه أن يسير بأهله فى جزء من الليل، وأن يكون سيره خلف أهله ليسرع بهم إلى النجاة وليكون مطلعا على ما يصدر منهم، وأمروه ألا يلتفت هو وأهله إلى ما ينزل بالمهلكين من العذاب، أو بألا يتخلف منهم أحد لئلا يصيبه ما يصيبهم، وأمروه أن يمضى بأهله إلى حيث يأمره الله تعالى أن يمضى مهاجرا.

وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - أنه قضى للوط عليه السلام أمرا، أشار إليه تعالى بـ «ذلك» لسموه وعلو قدره، والمراد بأنه تعالى قضى إلى لوط به هو أنه أوحى به إليه، وبيان الأمر الذى أوحى به تعالى إلى لوط عليه السلام هو أن دابر هؤلاء - أى قومه - مقطوع حال كونهم داخلين فى

الصباح. وليس معنى أنه تعالى يقطع دابرهم أنـه يقطع آخرهم أو مؤخراتهم، وإنما المراد أنه تعالى يستأصلهـم بعذابه فلا يبقى منهم أحـدا، فيكون إهلاك آخرهم مفيدا إهـلاك أولهم وما بين أولهم وآخرهم، وهذا هو الاستئصال ثم إنه تعالى بين أن ذلك يكون منه حال دخولهم فى الصباح.

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٦٧﴾

أولا : الأسـماء :

أهل المدينة: المراد بهم أهـل مدينة «سدوم» جاء التعبير عنهم بأنهم أهل المـدينة لبيان أنهم لم يكـونوا من أهل لوط وقـومه وإن كان قد حـل بينهم وأقام، ولبيان كثرتهـم وأن من لم يكن معهم كان موافقا على فعلهم فكان مثلهم فى الإثم .

ثانيا : التفسـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما كان من أهل المدينة حين علموا بوجود أضياف لدى لوط عليه السلام، فالحدث المـذكور فى النص سابق فـى الزمان على إعلام لوط عليـه السلام أن دابر القوم مقطوع، ومفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه عندما علم أهل المدينة بوجود الأضياف لدى لوط عليه السـلام، وعلموا ما علموا عن صفاتهـم وهيئاتهم فإنهم جاءوا إليـه مسرورين، لأن نفوسهـم المريضة أطمعتهم أن ينالوا منهم مآربهم الخبيثة .

﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ٦٨﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن لوطا عليه السلام توسل إلى أهل المـدينة أن يرتدعوا عما أقدموا لأجلـه فأشار إلى الملائكـة وقال إنهم ضيفه ـ بمعنـى أنهم ضيوفه أو أضيافـه ـ وذلك لأنه لم يكن يعلم أنهم ملائكة، وقد نسبهـم إلى نفسه ليعلم أن عليه واجب حمايتهم؛ ولهذا

فإنه أتبع هذا بقوله «فلا تفضحون» نهاهم فيه عن أن يفضحوه لدى أضيافه بإظهار هوانه عليهم حتى أنهم لا يقيمون له قدرا، أو عن فضح أضيافه بفعلهم المنكر فيكون في هذا له العار والشنار.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾

التفسير:

بعد أن طلب لوط عليه السلام من أهل المدينة ألا يكونوا سببا لفضحه، فإنه عليه السلام طلب منهم أن يتقوا الله، وقوله لهم «واتقوا الله» تضمن إشارة إلى أن ما يطلبونه هو مما يستجلب غضب الله وعذابه، ولهذا فإنه طلب منهم أن يتقوا الله فينصرفوا عما جاءوا له، وفيه - على ما يبين من قوله لهم «ولا تخزون» - ما يدل على أنه قصد بالقول أن تكون تقواهم متعلقة مباشرة بما جاءوا له فيكون المعنى هو «فاتقوا ما جئتم له مما يسوؤني، تكون به تقوى الله». ثم إنه عليه السلام طلب منهم ألا يهينوه بالتعرض لمن عنده، أو ألا يلبسوه الخزي فيستحي من الناس حين يعلم أنه لم يستطع أن يحمي ضيفه.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - قول أهل المدينة للوط عليه السلام حين طلب منهم أن يتقوا الله ولا يخزوه في ضيفه، ويبين من قولهم له أنهم أرادوا أن يحملوه تبعة فعلهم ببيان أنهم نهوه قبل هذا عن أن يستضيف أحدا لأنهم لن يتركوا ضيفا لا يعتدون عليه بفعلهم الشاذ، فإذا كان لم ينته عما نهوه عنه فإنه الذي يتحمل نتيجة مخالفته نهيهم، ويقبل القول أن يكون ما نهوه عنه هو حيلولته بينهم وبين التعرض للغرباء بالسوء. وفيه جاءت الهمزة للإنكار لإفادة إنكارهم فعله بعدم الانتهاء عما نهوه عنه سلفا.

﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ قول لوط عليه السلام لأهل المدينة حين أرجعوا الخطأ إليه، ويحتمل القول معنيين، أولهما أن يكون المراد ببناته عليه السلام هو نساء القوم جعلهن بمنزلة بناته فأخبر عن أن الزواج بهن وإتيانهن بحق الزواج يكون هو الأوجب والأطهر. وثانيهما أن يكون المراد بهن بناته على الحقيقة، فهو يشير إليهن ويقول فليكن لمن طلب الزواج منهن من قبل ورفض طلبه لانعدام الكفاءة أن يتزوج بهن نظير الإقلاع عن طلب الأضياف.

وعلى الحالين فإنه عليه السلام كان يعلم أن القوم لن يقبلوا عرضه فقوله لهم «إن كنتم فاعلين» معناه هو «إذا قبلتم ما عرضته عليكم من الزواج بالنساء سواء كن بنات القوم أم بناته، ويحمل القول معنى شكه فى قبولهم عرضه شكا يكاد يقرب من اليقين .

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

التفسير:

القول ـ فى الآية ـ قوله تعالى، يقسم بعمر رسول الله ﷺ أو بحياته «لعمرك»، وقيل إن الضمير فى «سكرتهم» يعود إلى كفار مكة، ويقبل أن يكون فى قوم لوط، وقيل إن القسم كان بحياة لوط عليه السلام، وأن الملائكة هم الذين أقسموا بحياته، والذى كان عليه القسم هو أن القوم سادرون فى الغواية غلبت عليهم شهوتهم فعمت بصائرهم «إنهم لفى سكرتهم يعمهون» فهم لشدة غلبة شهوتهم عليهم غابت عقولهم فشابهوا السكارى ، وضلت بصائرهم فعميت، فيكون المراد بالقول هو إيضاح أنهم لايؤمل فى سماعهم نصحا ولا فى انزجارهم عن منكر.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **الصيحة** : المراد بها ـ في معنى الآية ـ الصيحة الهائلة التي أهلك بها القوم، وقيل هي صيحة جبريل عليه السلام.

٢ ـ **المشرقون** : في قوله تعالى «فأخذتهم الصيحة مشرقين» جمع، مفرده المشرق، وهو من دخل في وقت شروق الشمس. وقد يكون هذا الوقت هو وقت تمام الهلاك الذي بدأ بدخول الصبح. وتم عند الشروق .

ثانيا : التفســـير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ أنه قد أخذ بالقوم العذاب كان بالصيحة التي أهلكتهم، وأنه كان تمام هذا بدخولهم وقت الشروق .

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤﴾

التفســـير:

يذكر تعالى فعله في قرية لوط «سدوم» أو فيها وفي باقي قراهم، فيخبر تعالى أنه قلبها فأصبح عاليها ـ بالقلب ـ سافلها، ثم إنه تعالى أمطر عليها من عل حجارة من طين متحجر، وقيل إن كونها من سجيل يفيد أنه سجل في الكتاب أن يكون عذابهم بها، أو إنه مسجل بكل منها اسم من يصيبه .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾

أولا : الأســـــماء :

المتوسمون: في قوله تعالى «لآيات للمتوسمين» هم المتفكرون أو المتبصرون، وقيل هم المتفرسون، وهم الذين لديهم فراسة فيعرفون الناس بالتوسم .

ثانيا : التفسير:

يشير تعالى إلى ما ذكر من قصة لوط عليه السلام مع قومه ويخبر عنه بأن فيه آيات للمتفكرين الذين يعتبرون بما عرفوا فيكون منهم البعد عن جماعات السوء، وتجنب المعاصى، وطاعة رسول الله ﷺ لكون طاعته طاعة لله تعالى، وعصيانه عصيانا لله .

وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾

التفسير:

يتصور فى الضمير المتصل فى «إنها» أن يكون عائدا إلى القرى المهلكة فيكون المعنى أنها بطريق مطروق من الناس، وأن آثارها لاتزال قائمة، ويتصور أن يكون عائدا إلى الصيحة فيكون المعنى هو أنها مرصودة لمن يعمل السوء ويعصى الرسول ، فيكون القول متضمنا وعيدا وتهديدا .

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن آثار المدن المهلكة لاتزال قائمة يشاهدها الناس عند مرورهم عليها. فإنه تعالى أوضح ـ فى الآية ـ أن فى هذه المشاهدة آية دالة على أن مهلك القرى هو الله تعالى وأنه أهلكها بظلم أهلها وعصيانهم رسولهم، وأن الذين يدركون من الآية أن الفاعل هو الله هم المؤمنون، أما غيرهم فقد يرجع الدمار إلى أسباب متعلقة بالطبيعة أو بحركة الأفلاك. ثم إن القول يشير إلى أن المؤمنين تكفيهم الآية الواحدة لاستقرار الإيمان فى قلوبهم، ولهذا أفردت «آية» .

■■■■■

وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾

أولا : الأسماء :

الأيكة : هى الشجرة الملتفة الأغصان، والمراد بها - فى معنى الآية - الغوطة أو الغيضة، وهى البقعة من الأرض الكثيفة الأشجار. وأصحاب الأيكة هم قوم أرسل إليهم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون غيضة، ثم غلب الوصف على الاسم فأطلق على القرية «الأيكة».

ثانيا : التفسير :

يخبر تعالى - فى الآية - عن قوم شعيب عليه السلام الذين سكنوا غوطة كثيفة الشجر اكتسبت اسمها من صفتها فسميت «الأيكة» وهو تعالى يخبر عنهم فى الآية أنهم كانوا ظالمين، بمعنى أنهم قارفوا الظلم ظلموا أنفسهم بكفرهم وظلموا رسولهم بكفرانه والإساءة إليه، وظلموا الذين آمنوا باضطهادهم.

فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

أولا : الأسماء :

الإمام : فى قوله تعالى «لبإمام مبين» هو ما يؤتم به، والمراد به - فى معنى الآية - هو الطريق الذى يسلكه الناس فيشاهدون آثار القريتين الهالكتين، ويقبل أن يكون هو اللوح المحفوظ سطر فيه هلاك أهل القريتين.

ثانيا : التفسير:

يخبر تعالى - فى الآية - أنه انتقم من أصحاب الأيكة، ويبين من «الفاء» فى «فانتقمنا» أن الانتقام منهم كان بسبب ظلمهم. ثم إنه تعالى يذكر آيته فى بقاء آثار هلاك أصحاب الأيكة وقوما آخرين على ما يبين من قوله تعالى «وإنهما لبإمام مبين» قيل إن القوم الآخرين

هم قوط لوط، وقيل إنهم أهل مدين، وكان تعالى قد أرسل شعيبا إلى أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة، وقد أهلك تعالى أهل القريتين وقيل إن المراد بكون هلاكهما بإمام مبين هو وجود ذلك فى اللوح المحفوظ، والمعنى أنه سبق حكمه تعالى بهلاك أهل القريتين لعلمه منذ الأزل بما يكون منهم .

ويبقى أن هلاك أصحاب الأيكة كان بعذاب يوم الظلة، وفيه قيل إنه تعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث عليهم سحابة تلمسوا منها الرحمة من الحر فبعث تعالى عليهم منها نارا أكلتهم .

﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠ ﴾

أولا : الأسماء :

أصحاب الحجر : المراد بالحجر ـ فى معنى الآية هو مدائن صالح الواقعة فى منطقة الحجر شرق المدينة المنورة بنحو ثلاثمائة وسبعين كيلومترا على القرب من «العلا» إحدى واحات وادى القرى، والحجر إقليم صخرى تغطيه تلال تسمى «الأثالب» وارتفاع أعلى قمة فيها ٧٧٨ مترا فوق سطح البحر، وطبيعتها الجيولوجية أنها مكونة من الحجر الرملى مما ساعد أهلها على نحت البيوت، وأصحابها هم «ثمود» قبيلة كبيرة من العرب العارية، وقد ظهرت حضارتهم ما بين ٦٠٠ و ٤٠٠ سنة قبل الميلاد تقريبا، ويقال إن ثقيفا الموجودة حاليا بالطائف منهم، وقيل إن الحجاج بن يوسف الثقفى منهم .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى شأن ثمود الذين كذبوا رسول الله صالحا عليه السلام، وجاء قوله تعالى فيهم أنهم كذبوا المرسلين لأن تكذيب رسول من رسل الله تعالى هو تكذيب لرسله جميعهم، وقيل إنه تعالى جعل الناقة وفصيلها بمنزلة رسولين منه تعالى، وقد يكون هذا غير مقبول ، والله أعلم .

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾

أولا : الأسماء :

الآيات : فى قوله تعالى «وآتيناهم آياتنا» قيل إنها الناقة جمعت عددا من الآيات، منها خروجها من الصخرة، ومنها دنو نتاجها عند خروجها، ومنها عظمها حتى أنه لم تشبهها ناقة، ومنها كثرة لبنها، كان يكفيهم جميعا. وقيل إنه كان لصالح عليه السلام آيات أخرى. ولعل الصحيح ـ والله أعلم ـ أنها الآيات التى جاء بها جميع الرسل من قبل صالح وعرفها القوم .

ثانيا : التفسير :

يذكر تعالى فى الآية أنه آتى ثمود آيات كثيرة منها آية الناقة، وآياته تعالى فى خلقه. وما أنزل من آيات على من سبق صالحا من الرسل، فكان منهم الإعراض عن هذه الآيات وعن العمل بمقتضاها، فيكون الإعراض متعلقا بما تدعو إليه الآيات من إيمان بالله ورسله، ومن العمل الصالح .

﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾

التفسير :

يذكر تعالى فى الآية أمرين، أولهما هو كيفية اتخاذ ثمود بيوتهم عن طريق نحت الجبال، وقد سبق بيان أن طبيعة المنطقة وتكونها من الحجر الرملى قد ساعدتهم على هذا، وثانيهما هو ما تعلق بحالتهما النفسية المرتبطة بالعقيدة.

فيذكر تعالى أنهم كانوا آمنين على أنفسهم عذابه تعالى ينزل بهم، وسبب ذلك عدم إيمانهم واعتقادهم فى أن متانة بيوتهم تحميهم من عذاب الدنيا لما رأوا أنها تحميهم من عدوهم ، ومن الحيوان، ثم إنه نتيجة لاشتداد كفرهم لا يبعد أن يكونوا قد أمنوا عذاب الآخرة .

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما كان من شأن إهلاك أصحاب الحجر فيبين أن هلاكهم كان بالصيحة، فتكون الصيحة قد أدت إلى الرجفة المذكورة فى سورة الأعراف «فأخذتهم الرجفة»، ثم إنه تعالى بين أن ذلك كان حال كونهم مصبحين، بمعنى أنه كان فى النهار من الصبح إلى الضحى، أو فيما بينهما .

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ يثبت أنه ما من شىء يدفع عذابه تعالى إذا جاء، وتطبيق ذلك فى شأن ثمود أنه لم يغن عنهم ماشيدوا من بيوت ولا ما كسبوا من المال وأسباب القوة شيئا من عذاب الله، فوقع بهم كما أراد تعالى ووقت أن شاء .

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾

التفسير:

قيل فى معنى قوله تعالى «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق» أنه تعالى خلقهن متلبسا بالحق والحكمة ومؤادهما هو عدم استمرار الفساد بما يستوجب إهلاك المفسدين ليكونوا عبرة لأولى الألباب، فيكون الأمر متعلقا بعذاب الدنيا؛ ويكون قوله تعالى من بعد «وإن الساعة لآتية» هو بيان لأنه تعالى يعذب هؤلاء المفسدين فى الآخرة، فيكون

القول مخبرا عن عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة.

وقيل إن المعنى هو أنه تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما ليجزى الذين عملوا السوء بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى، فيكون القول متعلقا بعذاب الآخرة، ويكون لهذا قد جاء قوله تعالى ـ من بعد ـ «وأن الساعة لآتية» مبينا أن الجزاء المقصود هو جزاء الآخرة.

وقوله تعالى «فاصفح الصفح الجميل» هو أمر لرسول الله ﷺ أن يعرض عن المكذبين وألا ينتقم منهم مع قدرته على هذا فيكون هذا صفحا جميلا، وقد يفهم من الأمر بالصفح أنه يعنى عدم التعجيل بالانتقام من المكذبين وأن يظل ﷺ على دعوته إياهم للإيمان، ثم يكون منه قتالهم، فتكون الآية بهذا المعنى غير منسوخة بآية السيف على ما قال به البعض، أو بقوله تعالى «فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم».

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

التفسير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن يصفح عن المكذبين صفحا جميلا، وألا يعجل انتقامه منهم، فإنه تعالى ـ في الآية ـ أخبر عن معلوم وهو أنه تعالى الخلاق العليم، فهو خالق رسول الله ﷺ وخالق المؤمنين والكافرين، كما أنه خالق كل شيء، ثم إنه تعالى العليم بجميع أحوال خلقه وما يصلح لكل منهم فى كل زمان ومكان، فيكون القول متضمنا الإشارة إلا أن أمره بالصفح هو الأصلح للحال، فإن كان غيره هو الأصلح لحال مستقبل فإنه يكون منه تعالى غيره. وفى جميع الأحوال فإن أمره تعالى يكون الصادر ممن خلق الخلق والعليم بأحوالهم، فلا يكون إلا بالصالح، فيؤمن به المؤمنون ويطيعون.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ السبع : فى قولـه تعالى «ولقد آتيناك سبعـا»، قيل هى الفاتحـة أم القرآن وأم الكتاب والسبـع المثانـى، وقيـل هى السبـع السـور الطول: البقـرة. وآل عمـران، والنساء، والمـائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال والتوبة معا .

٢ ـ المثانى : قيل إن المراد بهـا ـ فى معنى الآية ـ القـرآن العظيم كله لقوله تعالـى «كتابا متشابها مثـانى»، وقيل إن تسميته مثـانى جاءت للترديـد فيه والتكرار أو الإعادة. وقيـل سمى بالمثانى لأنه محل الثناء .

ثانيا : التفســـير :

الخطاب ـ فى الآية ــ إلى رسول الله ﷺ، وقوله تعالى فى الآية جاء مـن بعد ذكر ما حاق بالمكذبين الذين كذبوا بالرسل وبآياته تعـالى التى أيد بها رسله فذكر تعالى فى الآية أنه آتى رسوله ﷺ الآية الكبرى سبعـا من المثانى ـ قيل إنها فاتحة الكتـاب، وقيل إنها السبع السور الطول، وآتاه القرآن العظيم، جـاء ذكره من بعد ذكر بعضه من قبيل عطـف الكل على الجزء. فيكون المراد بالقـرآن العظيم هو المحفوظ فى صدور العباد، الموجـود بين دفتى المصحف تواترا .

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

أولا : الأســـــماء :

الأزواج: فى قولـه تعالى «ما متعنـا به أزواجا منهم» قيـل إن المراد بهم ـ فـى معنى الآية ـ الأغنياء المتمـاثلون فى الغنى يكونـون أزواجا، وقيل إنهـم بعض فئات الكـافريـن أو اليهود والنصارى.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ تضمن نهيين وأمرا، وظاهر الخطاب أنه موجه إلى رسول الله ﷺ، والنهى الأول هو عن التطلع إلى ما فى يد الغير من النعم، والمقبول أن المراد به هم المؤمنون، لأنه ﷺ كان مستغنيا بالقرآن عن كل ما عداه، وقيل إن المسلمين شاهدوا سبع قوافل وافت قريظة والنضير فى يوم واحد مليئة بالخيرات، فقالوا: «لو كانت لنا لتقوينا بها ولأنفقناها فى سبيل الله»، فنزلت الآية يخبرهم تعالى أنه آتاهم سبعا من المثانى تفضلها. وإن كان الخطاب لرسول الله ﷺ فإنه لا يفيد أنه ﷺ قد تطلع إلى ما فى يد الغير، وإنما يكون المقصود به هو إظهار أنه تعالى آتاه أفضل ما آتى أحدا من خلقه مما لا يكون معه تطلع إلى خير بعده، فيكون على كل من آمن بالقرآن العظيم الاستغناء به عن خير الدنيا .

والنهى الثانى هو عن الحزن على الكافرين، والخطاب إلى رسول الله ﷺ، كان يحزنه عدم إيمان الكافرين ويشق عليه لأنه كان يأمل فى إيمان كل من بعث إليهم من قبيل الشفقة عليهم، فجاء قوله تعالى ناهيا عن حزنه عليهم ألا يؤمنوا فيكون عذابهم .

والأمر تضمنه قوله تعالى «واخفض جناحك للمؤمنين»، والخطاب فيه موجه إلى رسول الله ﷺ، ومضمون الأمر أن يتواضع للمؤمنين وأن يترفق بهم. والخطاب ـ بهذا المعنى ـ يتضمن توجيها للمؤمنين أن يكون تعاملهم بعضهم مع بعض متسما بالتواضع والرفق لما بينهم من أخوة الإسلام .

وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾

التفسير:

بعد أن نهى تعالى رسوله ﷺ عن الحزن لعدم إيمان الكافرين فإنه تعالى أمره أن يقول إنه النذير المبين، بمعنى أنه حمل إليهم الإنذار بالعذاب جزاء لمن بقى على الكفر، وأنه مبين لهم ما ينذرهم به، فيكون المعنى أنه ﷺ قد بين الرسالة وأبلغ بها على أفضل وجه، وأنه بين

ما أنذر به أن يكون جزاء للمصرين على الكفر.

﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠﴾

أولا : الأسـماء :

المقتسمون: فى قولـه تعالى «كما أنزلنا علـى المقتسمين» قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ ستة عشر رجلا بعث بهم الوليد بن المغيرة فاقتسموا الطرق بينهم يقولون لكل من يسلكها إن محمدا ﷺ، ساحر أو شاعر أو مجنون، وقد أماتهم الله شر ميتة. وقيل هم الكفار الذين اقتسموا القول فى القرآن العظيم قال عنه البعض إنه شعر، وقال آخرون إنه أساطير الأولين . وقيل هم المستهزئون بالقرآن العظيم، وقيل هم قوم صالح تقاسموا على قتله كما جاء بقوله تعالى «تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله». وقيل هم أهل الكتاب فرقوه وحرفوه وآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه .

ثانيا : التفسـير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول إنه النذير المبين، فإنه تعالى بين كيف يكون المنذر به من العذاب واقعا، فقال تعالى «كما أنزلنا على المقتسمين» بمعنى أن المنذر به يتحقق كتحققه حين أنزلنا عذابنا على المقتسمين الذين اقتسموا الطرق يصدون الناس عن رسول الله ﷺ ويقولون فيه قول السوء فأمتناهم شر ميتة وكفيناك المستهزئين .

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ القرآن: قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو المقروء، فيكون بمعنى التوراة والإنجيل، ويكون بمعنى القرآن العظيم .

٢ ـ العضين : فى قوله تعالى «جعلوا القـرآن عضين» جمع، مفرده «العضة» وهو المفرق، وقيل هو الكذب .

ثانيا : التفســـير:

يصف تعـالى المقتسمين ــ فى الآية ــ بأنهم جعلـوا القرآن عضين، فـإن كانوا هـم أهل الكتاب فإنهم فرقوا بين نصوص كتبهم فآمنوا بمـا وافق أهواءهم وكفروا بما لم يوافقها مثل ما جاء فيها متعلقـا بالتبشير برسول الله ﷺ، كما أنهـم فرقوا بين نصوص القـرآن العظيم بعضها والبعض، فهم يفرحون بـالآيات التى تجىء بما يشبه ما جاء فـى كتبهم من قصص وأحكام، ويطعنون فى الآيات التى لم توافق ما جاء فى كتبهم أو التى تنسخ أحكامها .

وإن كانوا هم الكافرين فقد فرقوا القرآن بما وصفوه به، قال بعضهم إنه سحر، وقال غيرهم هو أساطير الأولين، وقال آخرون إنه مفترى .

فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾

التفســـير:

يقسم تعـالى ــ فى الآيـة ـ لرسـوله ﷺ أنـه سائل جميع المـذكوريـن من الكفـار وأهل الكتاب، والمراد هو أنه تعالى مجازيهم، أو أنه سائلهم سؤال توبيخ وتقريع.

عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

التفســـير:

جاءت الآية بموضوع السؤال، وهو عمل الكافرين وأهل الكتاب فى الحياة الدنيا، يدخل فيه الاقتسام والتعضية، وعلى ما سبق بيانه إن السؤال يكـون للتقريع والتوبيخ، لأنه تعالى مع علمه التام بأعمال خلقه لا يسألهم عنها ليجيبـوا على ما يبين من قوله تعالى «فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان». وقيل إن السؤال يكون عن «لا إله إلا الله» وعن العمل بها .

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾

التفسير:

يأمر تعالى رسوله فى الآية أن يظهر ما أمر أن يظهره وأن يجهر به، فيكون منه إبلاغ الرسالة جهرا إلى جميع الناس مقيما عليهم الحجة، ويقبل القول أن يكون معناه هو بث الفرقة بين الكافرين تحدث بإيمان بعضهم نتيجة إبلاغ الدعوة مع بقاء آخرين على كفرهم، فيكون الفعل «اصدع» مشتقا من «الصدع» وهو الشق، ويقبل القول أن يكون المأمور بالجهر به وإعلانه هو القرآن العظيم .

وقوله تعالى «وأعرض عن المشركين» هو أمر منه تعالى إلى رسوله ﷺ بعدم الالتفات إلى ما يقوله فيه المشركون، ويكاد الأمر أن يكون متمما الأمر بإظهار الدعوة ليكون الانصراف إلى الإبلاغ والإنذار وعدم المبالاة بقول المشركين وأفعالهم.

وقيل إنه بعد نزول الآية جهر رسول الله ﷺ وأصحابه بالقرآن فى الصلاة وخرجوا إلى الناس بدينهم من بعد استخفاء عنهم .

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾

أولا : الأسماء :

المستهزئون: قيل إنهم كانوا خمسة من كبار كفار مكة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب بن أسعد أبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلاطلة. وقد أهلكهم الله، وقيل إنهم هلكوا يوم بدر، وقيل إن رسول الله ﷺ شكاهم إلى جبريل عليه السلام وقد أشار إليهم، فأشار جبريل عليه السلام إلى جزء معين فى جسم كل منهم أو عضو من أعضائه قائلا لرسول الله ﷺ «كفيتكه» فكان هلاك كل منهم من الجزء أو العضو الذى أشار إليه جبريل عليه السلام وقد اختلف فى أسماء بعض الخمسة، والمتفق

عليه هو أن الوليد بن المغيرة كان رأسهم.

ثانيا : التفسير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن يعرض عن أذى المشركين وألا يشغله إيذاؤهم له واستهزاؤهم عن تبليغ الرسالة، فإنه تعالى أوضح لرسوله ﷺ أنه قد كفاه أذى هؤلاء المستهزئين به أو بالقرآن العظيم الذى بعث به، وأنه تعالى قد تولى عن رسوله أمر كفهم عن أذاه، وهو ما كان بإهلاكهم فى يوم بدر ـ فى قول ـ وبسبب آفة ألمت بعضو من أعضاء كل منهم ـ فى قول آخر ـ .

ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾

التفسير:

الواضح من قوله فى الآيتين السابقتين أن المستهزئين هم بعض المشركين، ولذلك جاء وصفه تعالى إياهم بأنهم «الذين يجعلون مع الله إلها آخر» لسبب آخر زيادة على إظهار أنهم مشركون، وهو إثبات أنهم أخطؤا فى حق الله تعالى وتجرؤا عليه، فكأنه تعالى يقول لرسوله ﷺ أنهم لم يتجرؤا عليه وحده، بل إنهم تجرؤا على الله. فيكون القول تسرية عن رسول الله ﷺ، وتأكيدا لوعيده تعالى لهم بتعذيبهم فى الدنيا، مع بيان استحقاقهم عذاب الآخرة، وقد أفصح عنه قوله تعالى «فسوف يعلمون» .

وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾

التفسير:

بعد أن أوضح تعالى لرسوله ﷺ أنه معذب المشركين بشركهم به تعالى وباستهزائهم برسوله، فإنه تعالى أوضح لرسوله أنه يعلم أن صدره يضيق بما يسمع من قول المشركين فيه، وجاء ذلك منه تعالى توطئة لإرشاد رسوله ﷺ والمؤمنين بما يفعلون حين تضيق صدورهم من

أذى يلقونه من أهل الباطل .

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾

التفسير:

تضمن قوله تعالى ــ فى الآية ـ المأمور بفعله حين يضيق الصدر بأذى المبطلين، والخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ يقتدى به المؤمنون، ومضمونه أن يلجأ إلى ربه وأن يفزع إليه يسبحه حامدا إياه على نعمة الحق الذى جعله عليه، فيقول «سبحان الله والحمد لله» وأن يكون من المصلين، يقترب من الله تعالى أدنى ما يكون القرب فى سجوده فيكون فى قربه من الله أمان له وسكينة نفس تذهب ضيق صدره وتملأه أمان اليقين .

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

أولا : الأسماء :

اليقين: قيل إن المراد به ــ فى معنى الآية ـ هو الموت، وقيل إنه ما وعد به من نصر على الكافرين أو ما توعدوا به من الهلاك .

ثانيا : التفسير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن يكون منه اللجوء إلى الله بالتسبيح والصلاة وهما من العبادة، جاء أمره تعالي في الآية مفيدا وجوب المداومة على عبادة الله تعالى مدى حياة المرء وإلى أن يأتيه الموت وهو اليقين. فإذا كان المراد باليقين هو إهلاك المشركين كان المعنى «كن عابدا الله فيأتيك اليقين بهلاك الكافرين، مستمرا على عبادته مادمت حيا» .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النحـــل

وجه الارتباط بين السورة وبين سابقتها فى ترتيب المصحف «سورة الحجر» :

قيل إن الارتبـاط بين السـورتين يتمثـل فيما هـو بين أواخـر سورة الحجـر وما افتتحـت به السورة. ذلك أنه لما جاء قوله تعالى فى أواخر سورة الحجر «فوربك لنسألنهم أجمعين» كان هذا مشيرا إلى يوم الحشـر وسؤال الخلق عما فعلوا فى الحياة الدنيـا، فكان الارتباط بين هذا وبين قولـه تعالى فى مفتتـح السورة «أتى أمر الله» بمعنى يـوم القيامة الذى يكـون فيه الحشر ويكون فيه السؤال .

كذلك فـإنه لما جاء فى آخـر سورة الحجر قوله تعـالى «واعبد ربك حتى يـأتيك اليقين» والمراد به الموت أو هـزيمة المشركين، فقد جاء فـى مفتتح السورة قوله تعالـى «أتى أمر الله» مفسرا اليقين، يكون هو يوم القيامة أو يكون عذاب المشركين المتوعد به .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١

أولا : الأســـماء :

أمــــرالله : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو يوم القيامة أو ما يدل عليه من أشراطها، جاء التعبير عنـه بصيغة الفعل الماضـى للتدليل على حتمية وقـوعه. وقيل إن المراد بـه هو ما وعد به تعالى من مجازاة الكافرين على كفرهم. وقيل إن المراد به هو «الأحكام» التى أتى بها القرآن العظيـم، وقد يكون هـذا بعيدا عـن المعنى ـ والله أعلـم ـ لأن أحدا مـن المؤمنيـن لم

يستعجل نزول الأحكام .

ثانيا : التفسير:

يتصور في القول أن يكون موجها إلى الكافرين الذين كانوا يستعجلون وقوع العذاب بهم، مستهزئين بتوعدهم به متهكمين على المؤمنين، فيكون مفاد القول ـ على ما يبين من ورود الفعل في صيغة الماضي ـ أن ما توعدوا به من العذاب واقع بهم، ويكون نهيهم عن استعجاله من قبيل الرد على استهزائهم بمثله. ويتصور فيه أن يكون للمؤمنين الذين توقعوا مجيء الساعة حين نزل قوله تعالى «اقتربت الساعة» فلما نزل قوله تعالى «فلا تستعجلوه» اطمأنت قلوبهم .

وقوله تعالى «سبحانه وتعالى عما يشركون» يرتبط باستعجال المشركين وقوع العذاب بهم، ذلك أنه لما كان استعجالهم العذاب هو نتاج كفرهم وظنهم أنه لا يأتيهم هو لإنكارهم وجود الله القادر على هذا، أو لإنكارهم قدرته تعالى على أن ينزل بهم العذاب، أو لإنكارهم أن رسول الله ﷺ يخبر عن ربه، فقد جاء قوله تعالى مثبتا أن اعتقادهم هذا فاسد، ولهذا فقد نزه تعالى نفسه عما اعتقدوه فيه أنه لا يقدر على أن ينزل بهم العذاب بذاته، أو لحيلولة ما يشركون به دون وقوع ما توعدهم به .

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾

أولا : الأسماء :

الروح: قيل إن المراد به ـ في معنى الآية ـ هو الوحي، وقيل هو النبوة، وقيل هو القرآن، وقيل هو الرحمة، وقيل هو جبريل عليه السلام .

ثانيا : التفسير:

بعد أن أثبت تعالى حتمية ما أوعد به رسول الله ﷺ من مجيء أمر الله تعالى، فإنه تعالى

أظهر- في الآية - أن حصول هذا الموعود به والمتوعد ليس أمرا يختص به رسول الله ﷺ، وأن ما يقوله هو تنزل بـه الملائكة عليه، وقد يراد بالملائكة - في القول - جبريل عليه السلام جاء التعبير عنه بصيغة الجمع، وقد يراد بهم جبريل عليه السلام وأعوانه من الملائكة حفظة الوحي.

ثم إنه تعالى أثبت أن إعلامه ﷺ بما يخبر به عن طريق الملائكة يكون بالوحي، سمى بالروح لأنه يحيى القلوب الميتة بالكفر والضلال، وأن ذلك يكون بأمره تعالى، فبأمره تعالى يكون نزول الملائكة بالوحي.

ثم إنه تعالى يثبت أن نزول الوحي يكون على من شاء تعالى أن ينزل عليه الوحي من عباده، فالقول يثبت أن الاصطفاء لهذا رهن بمشيئته تعالى وليس معلقا على ما اتصف به الرسل من صفات ذاتية أو أنه كائن بسببها.

وفي ختام الآية يبين تعالى مضمون ما يبعث به الرسل مما يوحى به إليهم «أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون» فالرسالة التي يبعثون بها هي الإيمان بالله وعبادته وتوحيده وعدم الشرك به، فجميعهم يبعثون بعقيدة التوحيد، ثم إنهم ينذرون بهذه الدعوة بمعنى أنهم ينذرون من لا يؤمن بعقيدة التوحيد بالعذاب، وهم يدعون إلى اتقاء هذا العذاب بمعنى أنهم يقومون على الدعوة إلى الإيمان، لتكون دعوتهم رحمة بالناس لأنها تجنب من يؤمن بها عذاب الله تعالى.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يرسل الرسل برسالة التوحيد فإنه تعالى ذكر في الآية دليلا من دلائل وحدانيته وأدلتها هو خلقه السماوات والأرض بالحق، فهو تعالى الذي رفع السماء بغير عمد والذي خلق فيها الأجرام والكواكب وفق نظام يدل على أن خالقها ومبدعها واحد، وخلق

الأرض وما فيها وسخرها لخلقه، ليكون منه إفناؤهما متى شاء حقا مثلما كان خلقهما حقا .

وقوله تعالى «تعالى عما يشركون» جاء بعد هذا تقديسا لذاته عما يشرك به المشركون، والقول بهذا ـ مرتبط بما قبله ـ يثبت بطلان عقيدة الذين يعبدون من دون الله تعالى الكواكب والأجرام، وعقيدة الذين يعبدون من دونه أصناما، لأن الأجرام من مخلوقاته تعالى فى السماء، والأصنام مما خلق تعالى أو خلق مادته فى الأرض؛ ولهذا أثبت تعالى تعاليه عن شرك المشركين وما يشركون به .

خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ النطفة: المراد بها ـ فى معنى الآية ماء الرجل يكون فيه الحيوانات المنوية التى يخصب أحدها بويضة المرأة فيكون مبدأ تكون الجنين .

٢ ـ الخصيم : هو المجادل عن نفسه فى الخصومة مع الغير.

ثانيا : التفسير:

بعد أن ذكر تعالى آيته فى خلق السماوات والأرض التى تثبت وحدانيته فإنه تعالى يذكر فى الآية آية أخرى تدل على هذه الوحدانية هى المتمثلة فى خلقه الإنسان من بعد آدم عليه السلام، لأنه لما كان خلق الناس جميعهم يتم بطريقة واحدة، فإنه يكون الدليل قد قام على أن خالقهم جميعا واحد .

ثم إنه بعد هذا يثبت آية أخرى تتعلق بخلق الإنسان بذكره أن هذه النطفة أو ما حوت من حيوانات منوية كان أحدها ـ والذى لا يرى بالعين من فرط صغره ـ مقدرا له ـ من بعد ـ أن يكون إنسانا يجادل مدافعا عن رأيه فى الخصومات، مبينا حججه وأدلته. وهذا من عجائب الخلق مما لا يقدر عليه إلا الله .

ويقبل القول أن يكون متضمنا معنى مستترا حاصله أن من معجزات خلقه فى الإنسان أنه يكون بين كل فرد من أفراده وبين غيره اختلافات كثيرة في الشكل والطبع مع كونهم جميعا مخلوقين من حيوان منوى لا يبين اختلاف الواحد منه عن الآخر، كما أن الإنسان يكون مجادلا عن نفسه حين يكبر رغم أنه يولد على حال من الذكاء والفطنة أدنى مما لدى غيره من المخلوقات ولو كان فرخ الدجاجة الذي يهرب من الحيوان الذى يخشى عليه منه ويلجأ إلى حاضنة بيضته ـ الدجاجة ـ بمجرد خروجه منها ، على حين لا يفعل المولود حديثا من البشر مثل هذا، وإن كان فعل ضعاف المخلوقات هو أثر للغريزة التى بثها الله تعالى فيها.

وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

أولا : الأسـماء :

الأنعـام: جمع، مفرده «النعم» وهي الأموال الراعية، يطلق على الإبل على وجه خاص، وقيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ الأزواج الثمانية من الإبل، والبقر، والضأن، والمعز.

ثانيا : التفسـير :

بعد أن ذكر تعالى خلقه الإنسان فإنه تعالى يذكر ـ فى الآية ـ بعض ما من به عليه، فبين أنه تعالى خلق الأنعام من أجل الإنسان، ولو كان خلقها سابقا على خلق الإنسان. ثم إنه تعالى ذكر بعض صور انتفاع الإنسان بها ليبين من هذا كيف أنه تعالى خلقها من أجله، فأوضح تعالى أنه يكون له منها الحصول على الدفء، أو الحرارة يتقى به برودة الطقس، فيكون القول مشيرا إلى اتخاذ الملابس والأكنان من أصواف الأنعام وأوبارها وإلى كون هذا مما أحله تعالى، ويتصور أن يكون فيه إشارة إلى استخدام روث الأنعام في إيقاد النار يستدفأ بها .

ثم إنه تعالى ذكر أنه يكون للإنسان فى الأنعام منافع كثيرة، جاءت «منافع» نكرة مع وصفها بالكثرة لبيان أن من هذه المنافع ما لا يعرف إلا فى المستقبل ومن ذلك مثلا صناعة

خيوط الجروح التى تخاط بها جروح العمليات الجراحية مـن أمعاء الماعز، ثم ذكر تعالى من أوجه الانتفاع بهـا أنه يؤكل منها مـا هو صالح لأن يكون طعـاما يؤكل. وجاء ذكـر الأكل منها على وجه الخصوص لكونه أظهر وجوه الانتفاع المعلومة .

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾

أولا : الأســـماء :

الجمـــال: فى قوله تعـالى «ولكم فيها جمال» مصدر من الفعل «جمـل ـ يجمل» يطلق على الحسن الكثير، يكون فى الهيئة بتناسق الأعضاء، وفى الأخلاق باشتمالها على الصفات المحمودة.

وفى الأفعال بكونهـا محققة للمصلحة، دافعة للمضرة، وفى الأصوات بكـونها مما يشنف الآذان ويستطيبه الذوق .

ثانياً : التفســير:

بعد أن ذكر تعالـى بعض صور الانتفاع بالأنعام المـادية والمحسوسة، فإنه تعـالى ذكر فى الآية صورة أخرى من صور النفع الذى يعود علـى الإنسان من الأنعام، وهو نفع معنوى نفسى يشعر به صاحب الأنعام حين يريحها وحين يسـرحها، ذلك أنه يكون عند العودة بالأنعام من مراعيها و إدخالها حظائرها أنه يكون منهـا الثغاء والرغاء الذى تستطيبه الأذن، كما يكون منها التدافع والتباعد مما تسر به العين، ثم إنه يكـون الحال على ذلك وأكثر ـ لشدة اندفاع الأنعام للتوجه إلى مراعيها ـ عند تسريحها فى الصباح.

وربما جـاء ذكر إراحـة الأنعام قبـل ذكر تسـريحها لكـون هذا ممـا يجلب سعـادة أخرى لنفوس أصحابهـا، إذ يكون منها حين عودتها أن تكـون ضروع الإناث ملأى باللبـن الذى هو خير حال لأصحابها، كما تكون بطون الذكـور ملأى بالطعام فيكون منها إخصاب الإناث بما يزيد من ثروة أصحاب الأنعام .

﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾

أولا : الأسـمـاء :

١ ـ البـلد: فى قوله تعالى «وتحمل أثقالكم إلى بلد»، قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو اليمن، والشام، ومصر. وقد نظر فى هذا إلى البلدان التى كان يسافر إليها أهل مكة فى تجارتهم . وقد يكون الصحيح ـ والله أعلم ـ أن المراد بالبلد ـ فى معنى الآية ـ كل بلد ينتقل إليه المسافر من بلده، فعمومية النص تفيد هذا، ثم إن ورود لفظ «بلد» نكرة يؤدى إلى هذا المعنى .

ثانيا : التفسـير :

بعد أن ذكر تعالى صور الانتفاع المادى أو الحسى بالأنعام والاستمتاع النفسى بما يكون عليه حالها عند إراحتها وعند تسريحها، فإنه تعالى ذكر فى الآية مظهرا آخر من مظاهر الانتفاع بالأنعام يتمثل فى تسهيل الشاق علي الإنسان ، فذكر تعالى أنها تحمل عن الإنسان أحماله الثقيلة كما تحمل جسمه عند الانتقال إلى بلد من البلدان البعيدة عن موطنه أو عن محل إقامته، ثم إنه تعالى أوضح أنه بغير الأنعام لم يكن الإنسان مستطيعا الوصول إلى البلد المنتقل إليه مزودا بالأحمال التي يحملها بالضرورة المنتقل من بلد إلى آخر إلا بمشقة النفس وتعبها .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن ربكم لرءوف رحيم» هو بيان لكون نعمه تعالى الجليلة على الإنسان ترتيبا على تسخير الأنعام له هى أثر من آثار رأفته بالناس فكان منه تعالى تخفيف المشاق عليهم، ومن آثار رحمته بهم .

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **الخيـــــل** : اسم جنس للفرس لا واحد له، وقيل إن واحدة «خائل» .

٢ ـ **البغـــال** : جمع، مفرده «البغل» وهو الحيوان المعروف من الفصيلة الخيلية يكون نتاج تلقيح بين فرس وحمار، أو حصان وحمارة (أنثى الحمار) .

٣ ـ **الحميـــر**: جمع، مفرده «الحمار» الحيوان المعروف، يجمـع أيضا على أحمرة «جمع قلة». وحمر جمع كثـرة. ومن الحمير: الأهلية وهى المستأنسة، والوحشيـة، والراجح أن لحوم الحمر الأهلية قد حرم عام خيبر.

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكر تعالـى الأنعام وفوائدها للإنسان فـإنه تعالى أورد فى الآية ذكـر الخيل والبغال والحمير وفـوائدها لـلإنسان، وقـد استدل البعـض بالآيـة على عـدم دخول الخيـل والبغال والحمير فى عمـوم الأنعام، وقال آخرون إنها من جنـس الأنعام إلا أن خصها بالذكـر فى الآية منفردة عن سابقتها إنما كان لاختصاصها ـ فى العادة ـ بالركوب .

وقوله تعالـى فى شأن الخيل والبغال والحمير «لتـركبوها وزينة» هو بيان لعلـة خلقها، فقد خلقها الله تعالى ليركبها النـاس، ويبين من قوله تعالى «لتركبوها» أن فـاعل الركوب هو جنس الإنسان، وإن كان تعالى هو الـذى جعلها ركوبة، كما يبين من قوله تعالـى «وزينة» أنه تعالى الـذى جعلها زينـة وإن الإنسان ليـس هو الـذى زانها. والمعنـى أنه تعـالى خلقهـا ليركبهـا الإنسان، ثم لتكون له زينة يتزين بها .

وقد استدل البعـض بالآية فى ذكرها أوجـه الانتفاع بالخيل والبغال والحمير علـى تحريم أكل لحومهـا. وقال البعض بكراهة أكل لحـوم الخيل دون تحريمه، وقال آخـرون إنها لا تدل على تحريم أكل لحوم هذه الحيوانات .

وقوله تعـالى ـ فى ختـام الآية ـ «ويخلق ما لا تعلمـون» يفيد معنيين ، حاصـل أولهما أنه تعالى يخلـق فى قادم الأيام مـن غير جنس الحيوان ما يكـون ركوبة وزينة، وفـى عبارة النص

جاء الفعل المضارع معبرا عن المستقبل، فيكون من مخلوقاته هذه وسائل النقل الحديثة من سيارات وقطارات وطائرات وغيرها، وما قد يوجد مستقبلا مما لا نعرفه اليوم، وهى مما يركب الإنسان ومما تكون له زينة، وربما كان التزين بها هو سبب تعدد أنواع السيارات وتحديثها المتواصل. وحاصل ثانيهما أن القول يفيد أن له تعالى مخلوقات أخرى غير معلومة لنا من جنس الحيوان تصلح لأن تتخذ ركائب، وأن منها ما قد يكون أقوام أخرى يستخدمونها ركائب مما لم يكن العرب وقت نزول النص يعرفون عنه شيئا، مثل حيوان اللاما .

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩

أولا : الأسـماء :

١ ـ **القصد**: فى قوله تعالى «وعلى الله قصد السبيل» هو إتيان الشىء، وهو الاعتدال بين الإسراف والتقتير، وهو العدل، وهو الاستقامة. والمراد به ـ فى معنى الآية ـ تقويم الطريق بجعلها مستقيمة .

٢ ـ **السبيل** : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ طريق الحق، أو طريق الشرع، أو الطريق الموصل إلى الله تعالى فيكون بمعنى العقيدة الصحيحة، والإسلام .

ثانيا : التفسـير :

بعد أن ذكر تعالى آياته فى خلقه والتى هى من النعم التى أنعم بها على الإنسان، من خلق السماوات والأرض، والأنعام، والخيل والبغال والحمير، وهى من الآيات الدالة على وجود الخالق والداعية إلى توحيده، فإنه تعالى قال فى الآية «وعلى الله قصد السبيل» فبين تعالى أنه قائم على هداية الناس إلى الطريق المستقيم الموصل إلى رضائه وجنته وهو طريق التوحيد أو الإسلام، حتى إنه تعالى شبه قيامه بهذا بالحق يكون عليه تعالى ـ وليس عليه حق ـ وإنما هو سبق وعده .

ولهذا كان منه تعالى ـ مع وجود آياته فى الخلق ـ إرساله الرسل مبشرين ومنذرين،

وإنزاله الكتب والصحف ليكون طريق الوصول إلى الحق مستقيما للسالكين.

ثم إنه تعالى قال «ومنها جائر» فأثبت أن من الطرق التى يسلكها بعض خلقه ما هو جائر، بمعنى أنه منحرف عن الحق، والمراد بهذا أن من العقائد والملل التى يعتنقها بعض خلقه ويؤمن بها ما هو منحرف عن وجه الحق، ويكون الانحراف عن الحق مع وجود آيات الهداية وأسبابها خطيئة المنحرفين. وقيل إن أصحاب هذه الطرق الجائرة مثل المجوس والذين اتبعوا ما حرف من الكتاب من اليهود والنصارى، وقيل إنهم أصحاب الفرق الضالة من المنتسبين إلى أمة محمد ﷺ.

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «ولو شاء لهداكم أجمعين» هو إثبات لواقع وجود المهتدين إلى الحق ووجود الضالين، وبيان لأن سبب ذلك أنه تعالى لم يشأ أن يهدى جميع الناس، وذلك لعلمه منذ الأزل أن قوما يختارون الضلال فجاءت مشيئته تعالى بما علم أنه يكون منهم.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾

أولا: الأسماء:

الشجر: فى قوله تعالى «ومنه شجر فيه تسيمون»، قيل إن المراد به - فى معنى الآية - جنس النبات سواء أكان له ساق أم لا، وقيل هو الكلأ لأنه ما تأكل البهائم.

ثانيا: التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - آية أخرى من الآيات الدالة على وحدانيته، ونعمة أخرى من النعم التى أنعم بها على الإنسان، فهو تعالى الذى أنزل من السماء المطر، أنزله من السحاب، فكان سماء لأنه يعلو الموجودين على الأرض، أو أنزله بحكم كونه مقدرا فى السماء مكتوبا فى اللوح المحفوظ. يكون للناس منه ما يشربون من الماء العذب الذى يجرى فى الوديان، والذى يسلكه تعالى ينابيع فى الأرض، والذى ينبت به النبات الذى تأكله

الأنعام وفصيلة الخيل وغيرها، والذى فيه يرعى الناس ماشيتهم وأغنامهم أو الذى فيه ترعى بنفسها .

يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الزيتون: اسم جنس للجمع، واحده «زيتونة» والاسم يطلق على الشجر ويطلق على ثماره. وأكثر ما ينبت فى المناطق الباردة، الجبلية وذات التربة البيضاء والحمراء .

٢ ـ الأعناب : جمع، مفرده «عنبة»، ويطلق الاسم على ثمرة الكرم وعلى الكرم نفسه .

ثانيا : التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يكون من ماء المطر شجر يرعى الناس فيه مواشيهم وأغنامهم، فإنه تعالى بين كيف يكون بالماء جنس النبات، فقال تعالى «ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات» فبين تعالى أن سنته جرت على إثبات الزرع بواسطة الماء، وجاء ذكر الزرع مقدما على غيره لأنه أصل الغذاء عموما وقوت أغلب الناس كما أنه غذاء ما يؤكل لحمه من أنواع الحيوان، ثم تلاه ذكر الزيتون لأمر يعلمه سبحانه وتعالى، والذى يعلمه البشر أنه مفضل على غيره لأن فيه دهنا مع كونه فاكهة من جهة أخرى، ولأن منافعه كثيرة.

وقد تبعه ذكر النخيل لأن النخلة تعمر طويلا، ولأن ثمرتها يقتات بها، ثم جاء ذكر الأعناب متأخرا لأن ثمرتها فاكهة محضة، فتكون دون الزيتون والنخيل .

وقوله تعالى «ومن كل الثمرات» يدل على أمرين: أولهما أن المقصود بالزيتون والنخيل والأعناب هو أشجارها وليس ثمارها بدلالة ذكر ثمارها مع غيرها بعد ذكرها من قبل. وثانيهما

هو أنـه يخلق من الثمرات غيـر ما ذكر في النـص، وأن جميع ما يخلـق تعالى من ثمـرات في الدنيا هو بعض الثمرات التي لا تكمل إلا في الجنة تكون فيها جميع الثمرات.

وقوله تعالى ـ في ختام الآية ـ «إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون» مفاده أنه فيما ورد ذكره من إنزاله تعالى الماء من السماء وإنباته تعالى به الكلأ والأشجار والثمرات آية عظيمة تدل على أنه تعالى الخـالق المدبر الواحد المستحـق وحده أن يعبد، وأن هذا هو دليل الـذين يتفكرون فيصلون بفكرهم إلى وحـدانيته تعالى حين يشاهدون الحبة والنـواة تغوص في الأرض فيصل إليها الماء فتنشق لتخرج منها الجذور وترتفع منها السوق تخرج أوراقا وتزهر زهورا وتثمر ثمارا فيعلمون أنه الله جلت قدرته، فتكون قلوبهم قرارا لقبول رسالات الأنبياء فيهتدون إلى الطريق المستقيم.

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾

التفســـير:

يذكر تعالـى ـ في الآية ـ دليلا آخر على كـونه الخالق الواحد المبدع وهـو دليل بنعمة من نعمـه تعالـى، فيذكـر تعالـى أنه سخـر للناس الليـل والنهار، والمعنـى أنه جعـل وجودهمـا وتعاقبهمـا بأمر منـه تعالى أريـد به تحقيق مصـالح للبشر فكـأن تحقيق هذه المصلحـة هي الهدف من التسخير، وهـي أن يكون النهار للسعي وأن يكون الليل للـراحة واستعادة النشاط. ثم إنه تعالى ذكر أنه سخر الشمس والقمر أيضـا لصالح الإنسان، فالشمس هي شجرة المادة والطاقة فـي الدنيا وهي مصدر الضوء المنبعـث ذاتيا، وبها وجد الماء وبغيرهـا لا تكون حياة وهي في هـذا مسخرة منه تعالـى ليفيد منها خلقه، والقمر نـور في ظلماء الليالـي وبه يحسب الناس حساباتهم، سيره الله بأمره فكان مسخرا لصالح الناس.

وقولـه تعالـى «والنجوم مسخرات بـأمره» مفـاده أن النجوم أيضا لا تملـك من أمـر نفسها وحركتها شيئا، فهي مأمورة من الله تعالى ، منفذة أمره.

والقول لا يفيـد أنها مسخـرة لصالـح الإنسان، لكنـه أيضا لا ينفـي أنه تكـون منها فـائدة للإنسـان، وإن لم يكن تسخيرهـا مستهدفا به تحقيـق هذه المصلحة على وجـه الخصوص، ومن آيات تسخير النجوم الحركة الظاهرية لها التي يراها الناس كل يوم متمثلة في دورانها في القبـة السماويـة كـل يوم مـن الشرق إلى الغـرب، وتغير تـوزعهـا في السمـاء ليـلا على مر الليالي،والتغير الظـاهري لأشكال البروج نتيجة تحرك الأرض بدورانها حـول الشمس مرة كل عام.

وربما كان هذا التسخير سببا لتصور الأقدميـن أشكالا لتجمعات النجوم التي تشبه البروج أطلقوا عليها أسماء تتمشى مع حرفتي الرعي والزراعة .

وبعد بيانـه تعالى هذه الآيـات قال تعالى «إن فـي ذلك لآيات لقوم يعقلـون»، وفيه أشار تعالـى إلى تسخيره ما سخـر مما ذكر في الآيـة وبين أن فيه آيـات دالة على وحدانيتـه وعلى قدرته، تكفي في حد ذاتها أصحاب العقول للاستدلال بها على وحدانيته .

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

التفسـيـر:

قوله تعالى ـ في الآية ـ يتعلق بنعم عـديدة أنعم بها على الناس، جمعها تعالى في وحدة واحدة هي كونها بعض مخلوقاته في الأرض، وكونها مخلوقة لصالح الإنسان.

فيجمع تعـالى ـ في النعمـة المذكورة ـ جميع ما أوجـد في الأرض مما اختلفت أنـواعه وأجناسه، فيدخل في هذا : الحيوان، والنبـات، والزرع، والمعادن، والأحجار الثمينة، ويدخل فيه ما لم يكتشف الإنسان وجوده إلى اليوم أو لم يعرف الانتفاع به .

ثم يقول تعالى «إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون» فبين تعالى أن فى خلقه فى الأرض هذه الأجناس المتباينة من المخلوقات آية عظيمة على وحدة الخالق تكون للذين يتذكرون ما عرف بالبديهة من أنه لا بد للمخلوق من خالق، وأنه إذا تعددت المخلوقات وكان تعددها لتحقيق مصلحة واحدة بعينها، فإن خالقها جميعا يكون واحدا جلت قدرته، فيهتدى بقلبه وعقله إلى الله .

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

أولا : الأسماء :

المواخر : فى قوله تعالى «وترى الفلك مواخر فيه» جمع، مفرده الماخرة بمعنى الجارية، أصل اللفظ من «المخر» وهو الشق، سميت به السفينة لأنها تشق الماء بمقدمتها .

ثانيا : التفسير:

بعد أن ذكر تعالى تسخيره ما فى السماء من شمس وقمر للإنسان، وتسخيره النجوم، وذكره أنه تعالى سخر له ما فى الأرض مما اختلفت أنواعه، فإنه تعالى ذكر فى الآية تسخيره البحر، ودل على أن تسخيره تعالى البحر إنما كان لصالح الإنسان قوله تعالى «لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها» فكانت «اللام» فى «لتأكلوا» لبيان علة التسخير، والمراد بـ «البحر» فى نص الآية هو البحار والأنهار، أو المياه المالحة والمياه العذبة، سخرها تعالى للإنسان بجعلها خاضعة لقانون «الطفو» فعلم الإنسان كيف يطفو فوق الماء بتعليمه السباحة، وعلمه أن يصنع الفلك فيركب البحر، وعلمه أن يغوص فيه ليستخرج منه أو من قاعه ما يكون له فيه فائدة. ثم إنه تعالى أوضح علة تسخيره البحر للإنسان بذكره أهم ما

يحصل منه من منافع وهى أكل اللحم الطرى منه واستخراج ما يكون حليا يتزين به .

وفى الإشارة إلى أكل اللحم الطرى من البحر جملة إشارات يسترشد بها، فقد يكون المستفاد من لفظ «منه» هو أنه ليس كل ما يستخرج من البحر يؤكل و إنما يؤكل ما كان فيه لحم طرى، وقال البعض إن هناك أنواعا من حيوان البحر ودوابه لا تؤكل، وهى خنزير البحر، والكلاب (كلاب الماء) وإنسان البحر. ثم إن الإشارة إلى استخراج اللحم الطرى يؤكل من الماء المالح الذى لا يشرب هى لبيان آية من آيات معجزاته تعالى فى الخلق. ثم إن القول يشير إلى وجوب أكل سمك البحر ما بقى لحمه على حاله من الطراوة التى هو عليها، فإن تغيرت لمضى الوقت على إخراجه من الماء لم يؤكل لتغير خواصه مما قد يضر بصحة الإنسان.

ومن أسباب تسخير البحر للإنسان استخراجه منه حلية تلبس، وقيل إن قوله تعالى «وتستخرجوا منه حلية تلبسونها» يشير إلى عدم تحريم تزين الرجال بما يستخرج من البحر من اللؤلؤ والمرجان، وقيل إن اللؤلؤ والمرجان تتزين بهما النساء لأزواجهن فجاز أن ينسب التزين إلى الأزواج .

وتظهر بلاغة القول فى قوله تعالى «وترى الفلك مواخر فيه» وفيه تم العدول عن خطاب الجمع إلى خطاب المفرد لأن الذى يأكل اللحم الطرى من البحر ويستخرج منه ما يتخذ حليا هو جنس الإنسان فى مجموعه فصح أن يسند الفعل إلى مجموع الناس، وليس الأمر كذلك بالنسبة لمشاهدة السفن تجرى فى البحر، فكل منها هو مشهد يشهده من يشهده ولا يشهده غيره؛ ولهذا جاء الفعل منسوبا إلى الفرد بمعنى أنه للفرد المشاهد أو الرائى .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» هو ذكر لسبب آخر من أسباب تسخير البحر وتذليله للإنسان، وهو أن يبتغى الرزق عن طريق البحر، يكون باتخاذ البحر بواسطة السفن طريقا لمباشرة التجارة. واكتشاف مجاهل الأرض لاتخاذها مزارع ومراعى وغيرها، ثم إن قوله تعالى «ولتبتغوا من فضله» يشير إلى وجوب استخدام نعمة تسخير البحر فى جلب ما يكون فضلا من الله تعالى، ولما كان لا يتفضل على إنسان أو على قوم إلا بما هو حلال وطيب، فإن القول يكون مشيرا إلى وجوب عدم استخدام نعمة تسخير البحر فيما يغضبه تعالى مثل الاتجار فى الخمور وفى الرقيق الأبيض. ولعله لهذا جاء

قوله تعالى «ولعلكم تشكرون» وفيه بين للناس وجوب شكرهم إياه على نعمة تسخير البحر لهم، ولا يجتمع الشكر - وهو طاعة - مع العصيان .

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾

التفسـير:

قوله تعالى - فى الآية - فى ذكر آيات أخرى من آيات خلقه تعالى الدالة على أنه الواحد، ثم هى فى ذات الوقت من قبيل النعم المنعم بها. فقوله تعالى «وألقى فى الأرض رواسى» هو إخبار منه تعالى بأنه جعل الجبال فى الأرض راسيات مثل السفن التى ترسو على سطح الماء، ثم إن القول يبين أن من هذه الجبال ما يكون تكونه بسبب إلقاء مكوناته فى المكان الذى أصبح جبلا، فيكون القول مشيرا إلى الجبال الرسوبية التى تتكون مما تلقيه الأنهار من رواسب فى المياه الضحلة على شواطئ البحار حتى إذا تراكمت إلى الحد الذى قدره الله وتماسكت بالتضاغط رفعها تعالى جبالا شاطئية بأمره .

وقد أظهر تعالى أن وجود هذه الجبال هو الذى يحول بأمره دون أن تميد الأرض بما عليها، وهذا ما أكده العلم، فالأرض تدور حول نفسها وحول الشمس، والذى يمنعها أن تميد ويمنع كل جسم يدور حول محور هو أن يكون هناك تماثل فى الكتلة حول هذا المحور، وقد جاء توزيع الجبال على الأرض على النحو الذى حدث به التماثل فى الكتلة على جانبى محور الدوران، ولهذا كانت الجبال هى السبب المباشر الذى جعل الأرض لا تميد أثناء دورانها .

وقوله تعالى «وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون» قيل فيه إنه ذكر لخلقه تعالى الأنهار التى سخرها للإنسان وذكر لخلقه السبل والطرق التى يسير فيها فى الأرض، وأن هذا من قبيل ذكر النعم التى أنعم بها تعالى على الإنسان، يكون بالنظر إليها والتفكر ما يدعو إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده.

والذى نراه ـ والله أعلم ـ هو أن ذكر خلق الأنهـار والسبل فى الأرض جاء مرتبطا ببيان خلقه تعالى الجبـال التى تمنع الأرض أن تميد بما عليها. ذلـك أن التماثل فى الكتلة علـى جانبى محور الأرض، الذى يؤدى إلى توازنها أثناء دورانها، لا يعـود إلى الجبال وحدها، و إنما يرتبط بوجودها بوصفهـا مرتفعات، يقابلها ـ من جهة أخرى ـ منخفضـات تتمثل فى الأنهار، وطرق تعلو وتهبـط ولا شك أن الذى يعـرف هذا يكون مفتـرضا فيـه أن يهتدى إلى الحـق فيعلم أن الذى خلق فأبدع هو الله الواحد الأحـد .

وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ **العلامات:** فى قوله تعـالى «وعلامات» جمع، مفرده « العلامة» قيـل إن المراد بها هو الجبال، وقيل هـى النجوم. وقد يكون الصحيـح ـ والله أعلم ـ أن المـراد بها كل ما يستـدل به لمعرفة الاتجاه أو الطريق من المحسوسات أو من الروائح .

٢ ـ **النجــــم** : خصه البعـض بالثـريا، والفرقـدين، وبنات نعـش، والجدى. وقـد يكون الصحيح ـ والله أعلم ـ كـل ما يستدل به ـ من نجوم السماء ـــ على الاتجاه. ومنها «الشعرى» التى كان العـرب يستدلون بها فى أسفـارهـم للشام، ومنها نجـم «رأس التوأم، والنجم الأزرق المسمـى رجل الجبـار»، والنجم الأحمـر المسمى «منكـب الجوزاء»، ونجـم «قلب الأسـد» وغيرها .

ثانيا : التفســـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ من نعمه علـى الإنسان خلقه له علامات يهتدى بها منها الجبال، والأشجار، ورائحـة تراب الأرض، فيكون ـ لـدى السير فى الأرض ـ للنـاس فيها ما يعرفـون به طريقهم فلا يتيهون فى الأرض، كما أنه تعالـى جعل النجوم فى نظام وتشكيل يستدل به على معرفة الاتجاهات، فيكون بها الإرشاد إلى الصحيح من الطريق المقصودة .

ثم يبين تعالى أن فى خلقه تعالى ما ذكر على نظام يحقق صالح الإنسان ما يدعو الناس إلى الإيمان بعظمة الخالق ووحدانيته وبأنه ربهم الذى جعل لهم فيما خلق وأبدع الصالح والمصلحة، وهذا من شأنه أن يهدى للحق و إلى الطريق المستقيم .

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى آياته فى خلقه ونعمه على الإنسان التى تجد مصدرها المباشر فى آياته تعالى فى الخلق، ولما كان كثير من الناس ـ مع ظهور هذه الآيات، ووضوح النعم ـ يشركون به تعالى بعبادتهم مخلوقات لم تخلق شيئا وليس لديها القدرة على الخلق، منها الملائكة، ومنها الأجرام السماوية، ومنها البشر، ومنها الأصنام، فقد جاء قوله تعالى تبكيتا لهؤلاء الذين غابت عقولهم بعبادتهم غير الخالق، فكان قوله تعالى «أفمن يخلق كمن لا يخلق» وهو استفهام أريد به إنكار مساواة المشركين بين الخالق وبين العاجزين عن الخلق، وتسفيه اعتقاد من يرى هذه المساواة. وجاء الاستفهام فى عبارة الآية بـ «من» لأنه لا يسأل عن الخالق إلا بـ «من» ولأن «ما» يسأل بها عن الأجناس وهو تعالى ليس بذى جنس .

وقوله تعالى «أفلا تذكرون» هو استفهام إنكارى آخر ينكر على المشركين أنهم لا يتذكرون خلقه تعالى، وهو كاف فى حد ذاته لإقلاعهم عن الشرك و إيمانهم بالخالق الواحد .

وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

التفسير:

سبق بيان أنه تعالى أورد فى الآيات السابقة صورا من معجزاته فى الخلق التى هى من قبيل النعم التى أنعم بها على الإنسان، ثم إنه تعالى ـ فى الآية السابقة ـ عاب على

المشركين مساواتهم بين الخالق وبين من لا يقدر على الخلق وبين أن تذكر معجزة الخلق وحدها تكفى للإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به. وفى الآية يخبر تعالى عن نعمه التى أنعم بها على الناس ومنها ما تضمنته آياته فى الخلق ومنها ما يزيد عليها مما ليس ممكنا عده وإحصاؤه، وهو ما يستوجب شكره تعالى عليه، فيه جاء التعبير عن النعم بلفظ المفرد «نعمة» لأن النعمة الواحدة تشتمل على العديد من النعم على ما سبق تفصيله.

وقوله تعالى «إن الله لغفور رحيم» مفاده أنه تعالى لا يعجل للمشركين عذابهم لأنه قد يكون من بعضهم الإيمان يغفر له به ذنبه، فكان عدم تعجيل العذاب بمثابة أثر من آثار غفرانه وإن تقدم فى الوقوع، وأنه تعالى رحيم بالناس لا يقطع عنهم نعمه، بل يفيض فيها للناس مع كفرهم، كما أنه يرحم الذين يؤمنون من المشركين فيدخلهم جنته بإيمانهم، فيكون غفرانه ذنوبهم فى شركهم سابقا على مجازاتهم برحمته تعالى دخول جنته.

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - جاء من بعد إقامته الحجة على المشركين، وإظهاره أنه متوجب عليهم الإيمان به وتوحيده، فجاء قوله تعالى فى الآية لأمرين: أولهما هو بيان أنه تعالى يعلم ما فى صدورهم من توحيد أو إشراك، ويعلم ما يعلنونه فى شأن عقيدتهم من توحيد أو إشراك فيحاسبهم بما علم ويجازيهم، فلا يعتقد أحد أنه يستطيع أن يخفى على الله تعالى حقيقة مَّا انطوى عليها صدره.

وثانيهما هو إثبات أنه تعالى يعلم ما لا يعلمه ما عبد المشركون، فيكون القول متعلقا بدليل آخر على كونه تعالى المستحق وحده أن يعبد من الخلق.

وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾

التفسـير:

بعد أن أنكر تعـالى على المشركين مساواتهـم بين من يخلق وما لا يخلـق، والمفهوم منه بيان أن معبـودات المشركيـن لاتخلق شيئا ولا تملـك القدرة علـى الخلق. فإنـه تعالـى ذكر بصريح العبـارة أن معبودات المشركين «الذيـن يدعون من دون الله» ـ بمعنى أن المعبودات التى يعبدها المشركون مـن دونه تعالى أو يتجهون إليها بالدعاء ـ لاتخلـق شيئا. ثم إنه تعالى زاد على هذا ببيان أن هذه المعبـودات مخلوقات من مخلوقات الله تعالى، فـأظهر تعالى أنها لاشىء بغير خـالقها، وهذا هو حال الكواكـب والملائكة والناس مثل المسيـح عليه السلام، وعزير. أما الأصنام فهى لاشىء بغير خلقه تعالـى مادتها، ولاقيام لها بغير فاعلها الذى شكلها على هيئة مخلوق وهو صانع الصنم. فيكون القول نعيا على المشركين عبادتهم مخلوقات لم تكن لتكون بغيره تعالى.

﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾

التفسـير:

أخبر تعالـى ـ فى الآية ـ عـن معبودات المشركين بـأنهم أموات، ثم أخبر عنهـم بخبر ثان أنهم غير أحياء. ويتصور فى المخبر عنه أن يكون هـو الأصنام التى كان يعبدها مشركو العرب، فهى أمـوات لا حياة فيها ولا تبعـث فيها حياة. ويتصـور أن يكون جميع المعبـودات، جميعها مقدر عليها المـوت، لأن الحى الذى لا يموت هو الله سبحـانه وتعالى وحـده، أما المعبودات وفيها الملائكة وفيها الأفرادمثل المسيح عليه السلام وعزير فليس لهم الحياة التامة الدائمة.

وقوله تعالى «وما يشعرون أيان يبعثون» مفاده أن معبودات المشركين لا يعلمون متى يبعثون إلى الحيـاة من بعـد موتهـم للحساب والجـزاء للمكلفين منهـم. والقول يفيـد بعث جميـع المعبودات ، وفى بعث الأصنام قيل إنه تعالى يبعثهـا يوم القيامة ويجعل فيها أرواحا فيتبرأون من عابديهم. والقول فيه تهكم بالمشـركين عبادى الأصنام أنهم يعبدون ما لا يشعر بشىء ولا يعلم شيئا.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

التفســـير:

بعد أن أقام تعالى الحجة على المشركين وبين فساد عقيدتهم فى الإشراك به تعالى، فإنه تعالى خاطب المؤمنين، أو خاطب الناس جميعا فقال «إلٰهكم إلٰه واحد» وقوله الحق هذا هو فصل الخطاب جاء بتقرير منه تعالى ليكون الإيمان به لمجرد صدوره منه تعالى، وإن كان هذا من بعد بيان أن الأدلة العقلية والحسية تؤدى إليه .

ثم إنه تعالى أخبر عن الذين لا يؤمنون بالآخرة بأنهم قلوبهم منكرة وأنهم مستكبرون، ويدخل فى عداد الذين لا يؤمنون بالآخرة أول ما يدخل الدهريون، والذين لا يؤمنون بوجود يوم القيامة والحساب والجنة والنار. ويدخل فيهم ـ فيما نرى والله أعلم ـ هؤلاء الذين آمنوا بوجود يوم القيامة والحساب والثواب والعقاب، إلا أنهم تناسوه فلم يؤمنوا لرسول الله ﷺ، ولم يعملوا الصالحات، والذين عبدوا مع الله آلهة أخرى، وذلك لأنهم لم يعملوا للآخرة عملها فكان هذا منهم بمثابة إنكار البعث والحساب.

ومعنى أن قلوبهم منكرة هو أنها أنكرت وحدانيته تعالى وجحدت الآيات الدالة عليها فلم تقبلها، ومعنى أنهم مستكبرون هو أنهم يصرون على ما هم عليه من الإشراك بالله تعالى رغم وجود الأدلة على وحدانيته من قبيل الاستكبار على قبول الدليل، ومنه استكبارهم على أن يكونوا من المؤمنين برسول الله ﷺ؛ ولهذا شاهدنا كثيرين من المشركين يقرون للقرآن العظيم أنهم لم يسمعوا مثله حتى أنهم كانوا يتلمسون سماعه، فإذا جمعتهم الطريق عند الانصراف من مكان تسمعهم أقبل بعضهم على بعض يتلاومون، يفعلون هذا استكبارا على أن يقال إنهم آمنوا وتركوا ما كان يعبد آباؤهم.

■■■■■

لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾

التفسير:

يقول تعالى فى الآية أنه حقا كونه تعالى يعلم ما يسر المشركون فى أنفسهم وما يعلنون، وقيل فى هذا إن ما يسرونه هو إنكارهم وحدانيته تعالى وإن ما يعلنونه هو استكبارهم. ونرى ـ والله أعلم ـ أن الذى يسرونه هو إقرارهم أن القرآن الذى يسمعونه خلسة ليس قول بشر، وأن الذى يعلنونه هو كفرهم به وقولهم فيه ما قالوا، لأن فعلهم هذا يكون استكبارا، فهم لايريدون أن يقال عنهم تخلوا عن عبادة ما عبد آباؤهم من قبل .

وقوله تعالى «إنه لا يحب المستكبرين» يتضمن وصف المشركين بالاستكبار، وإخبارا بأنه تعالى لايثيبهم ولا يثنى عليهم، وإنما يعاقبهم باستكبارهم فوق معاقبتهم بشركهم، فيكون القول وعيدا للمشركين .

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

التفسير:

قد يكون قوله تعالى ـ فى الآية ـ دليلا على صحة ما ذهبنا إليه من أن استكبار المشركين كان مظهره أنهم كانوا يستشعرون فى أنفسهم أن القرآن العظيم ليس كلام بشر وأنهم كانوا ـ استكبارا من أنفسهم ـ يقولون فيه غير هذا، إذ يدل قوله تعالى «وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم على أنهم قد سمعوا القرآن العظيم، وأنه قد عرف أمر سماعهم القرآن، سواء أكان القائلون هم المسلمين أم كان أقران المستمعين الذين كانوا يقتربون من مسكن رسول الله ﷺ لسماع تلاوته القرآن مستخفين. ثم تجمعهم الطريق فيعرف بعضهم بعضا، فيتعاهدون على ألا يعودوا لهذا، ثم لا يوفون .

وقد أخبر تعالى أنهم كانوا يجيبون على سؤالهم رأيهم فيما سمعوا من القرآن العظيم بأنه

أساطير الأولين، بمعنى أنـه ليس سوى ذكر قصص الأقدمين أو أباطيلهـم المكتوبة والمروية. فيكون قولهم هذا ـ مع ما عرفوه عن حقيقة القرآن ـ مظهرا من مظاهر استكبارهم ودليلا عليه .

لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

أولا : الأســـــماء :

الأوزار: فى قوله تعالى «ليحملوا أوزارهم» جمـع، مفرده «الوزر» ، وهو الثقل، والمـراد بها ـ فى معنى الآية ـ الآثام والذنوب .

ثانيا : التفســـير:

قيل فـى «اللام» فى لفظ «ليحملـوا» إنها لام «كى»، وقيـل إنها لام العاقبة، والمعنـى هو «فليكن منهم هذا كى يحملوا أوزارهم» أو «ليكون قولهم مؤديا إلى حملهم أوزارهم». فيكون المراد إيصاله من المعنى هو أنهم يوم القيامة يعـذبون بذنوبهم كاملة لا ينقص منها شىء ولا ينقص لهم من عذابهم شىء. والقول ـ بهذا المعنى ـ يفيد أنه لا يخفف من عذاب المشركين عن شـىء يوم القيامة بضـرر أصابهم فى الحيـاة الدنيا أو مصيبـة أصابتهم، ولا بعمل صـالح عملوه فى الدنيا، كما يفعل للمؤمنين .

ثم إنـه تعالى يبين أن هـؤلاء المشركين القائليـن فى القرآن غيـر الحق، ومنه أنه أسـاطير الأولين يحملون بعضـا من أوزار الذين يضلـونهم بقولهم فـى القرآن ما يقولـون، والمراد بهذا البعض مـن الأوزار والذنوب هو القـدر الذى ساهـم فيه القائلـون، بمعنى أنها الذنـوب التى قارفهـا غيرهم بسبـب قولهم، وأخصّهـا بقاؤهـم على الكفر والإشـراك وعدم الإيمان بـالقرآن العظيم وبرسول الله ﷺ .

ويبين من قوله تعالـى «الذين يضلونهم بغير علم» أن الذين يضلون تـأثرا بما يسمعون من القائلين فـى القرآن العظيم غير الحق، إنما يضلـون عن جهل، فهم يقلدون غيرهـم ويتأثرون

بأقوالهم لعدم إعمالهم عقولهم. فالقول تحقير لهؤلاء الذين يسمعون قول القائلين فى القرآن غير الحق .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «ألا ساء ما يزرون» هو ذم لوزر القائلين فى القرآن العظيم غير الحق، فمعنى القول هو «بئس الوزر يزرونه» قولهم فى القرآن غير الحق، وإضلالهم الجاهلين به.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ٢٦﴾

أولا : الأسماء :

الذين من قبلهم: قيل إنهم «النمرود وأعوانه» أرادوا بناء صرح ليصعدوا منه إلى السماء، فخر عليهم، وقيل إنهم «بختنصر وأصحابه»، وقيل إنهم المقتسمون الذين ورد ذكرهم فى سورة الحجر. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أنهم أهل الأمم السابقة الذين كفروا رسلهم ومكروا بهم .

ثانيا : التفسير:

بعد أن أوضح تعالى فعل عتاة المشركين الذين يمكرون برسول الله ﷺ بصدهم الناس عن الإيمان له بقولهم فى القرآن غير الحق، فإنه تعالى يتوعدهم بعذابه على ما يتضمنه إخباره تعالى عن فعل الذين سبقوهم من الأمم الغابرة الذى ماثل فعلهم وما نالهم من العذاب بسببه .

فهو تعالى بقوله «قد مكر الذين من قبلهم» يوضح أن فعل هذه الفتنة من المشركين القائلين فى القرآن غير الحق، والمكذبين برسول الله ﷺ هو نوع من التحايل على الحق وتصويره لدى الغير فى صورة الباطل، ويعلم المخاطبين بالنص أنه يماثل فعل قوم سبقوهم مكروا بما أنزل على رسلهم وبرسلهم .

والقول بهذا المعنى يشير إلى استحقاق القائلين فى القرآن غير الحق، والماكرين برسول الله ﷺ مثل ما أصاب الذين سبقوهم جزاء بفعلهم .

وبقوله تعالى «فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون» يحتمل معنيين: أحدهما يكون على الحقيقة مفيدا أن الذين عناهم القول من الأمم السابقة كانوا قد أقاموا بنيانا أو صرحا لغاية فى أنفسهم قد يكون منها أنهم أرادوا الوصول إلى السماء - كما قيل - وقد يكون المراد بالبنيان هو البيوت والحصون أقاموها للاستقرار فيها والتحصن، فكان منه تعالى أن أصاب متانة القواعد التى أقيم عليها الصرح أو الأساسات التى حملت البيوت فتصدعت وتضعضعت، فترتب على هذا سقوط سقف الصرح أو أسقف البيوت من فوقهم، فبين القول أنهم كانوا فى الصرح أو فى البيوت وقت أن سقط السقف أو سقطت الأسقف، فكأن السقوط عليهم أهلكهم. فيكون معنى قوله تعالى «وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون» هو أن الهلاك أتاهم من حيث لم يكونوا يتوقعون، أو أنه جاءهم من جهة الصرح أو البيوت والحصون التى كانوا يحسبونها مؤمنهم من الهلاك، فكانت المباغتة متمثلة فى هذا .

أما المعنى الثانى الذى يمكن الاستدلال عليه من القول فيبين من اعتبار البنيان - فى قوله تعالى - رمزا لعقيدة الشرك التى كان عليها المهلكون، أتاه الله من القواعد بإظهاره - عن طريق كتبه ورسله وآياته - فساد أصل هذه العقيدة الباطلة، فكان أن خر عليهم السقف من فوقهم، إذ جاءهم خراب عقيدتهم من حيث استظلوا وممن استظلوا بهم وهم الأتباع الذين تقووا بهم والأبناء الذين كانوا لهم عزا، آمنوا فكانوا وبالا عليهم، ثم جاءهم العذاب من حيث لا يشعرون حين حارب هؤلاء الأتباع والأبناء كفرهم والكافرين، فكان هلاكهم بأيديهم وبتأييد الله رسله ونصرهم عليهم، وهو ما لم يكونوا يتوقعون .

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

التفســـير:

المستفاد من قوله تعالى «ثم يوم القيامـة يخزيهم» أن يكون لهؤلاء الذين مكروا برسول الله ﷺ والذيـن مكروا بـرسلهم مـن قبلهم عـذاب آخريـوم القيامـة من بعـد عذابهـم فى الـدنيا بإهـلاكهم، ويبيـن من القول أن أول شـىء من هـذا العذاب هو عـذاب النفس الـذى يكون بإذلال الماكرين وإهانتهم .

وقوله تعالـى «ويقول أين شركائى الذين كنتـم تشاقون فيهم» هو بيان لما يقـال للماكرين يوم القيامة، فهـم يسألون تقريعا لهم وتوبيخا عـن وجود الذين جعلوهم شركـاء لله تعالى فى العبادة.

والمراد بالسؤال عنهم هو بيان لانعدام فائدتهم فهـم لايغنون عن عابديهم فى الدنيا شيئا من عذابهم. ولا يملكون لهم شفاعة، فيكون القول مشيـرا إلى ما كان عليه الماكرون من خطأ فى الدنيا حين كانوا يخاصمون الأنبياء والمؤمنين وينازعونهم الرأى فى شأن معبوديهم.

ثم إنه تعالى يبين قول الذين أوتوا العلـم الصحيح وهم الأنبياء والمؤمنون حين يشاهدون مظاهـر الخزى والمهانـة بالماكـرين، يقولون «إن الخـزى اليوم والسوء علـى الكافريـن» وفيه يقررون واقعـا وهو أن الخـزى والهوان عذاب النفـس، والسوء الذى هـو العذاب المـادى هو الجزاء المقدر منه تعالى على الكافرين .

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

التفســـير:

يتصور فى القول أن يكون قـول الذين أوتوا العلم، ويتصور فيه أن يكون قـوله تعالى، وعلى الحاليـن فإنه بيان للـذين يكون عليهم الخـزى والسوء يوم القيامـة، يبين من القول أنهـم هم الذين تـوفتهم الملائكة ـ والمـراد بهم ملك الموت وأعوانه ـ حال كونهم ـ ظـالمى أنفسهم

بالبقاء على الكفر، فلا يكون منهم الذين يؤمنون قبل أن تأتيهم غرغرة الموت .

ثم يذكر تعالى ما يكون من هؤلاء بقوله تعالى «فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء» فهم يعلنون استسلامهم وخضوعهم لله تعالى، ويقولون «ما كنا نعمل من سوء» يقولونه كاذبين، أو مظهرين أنهم لم يكونوا يعلمون أن إشراكهم باطل وسوء وأنهم كانوا يعتقدون أنهم على صواب، ويقبل قولهم أن يكون المراد به هو نفيهم أنهم ارتكبوا الشرك مع إقرارهم بأنه سوء، فيكون هذا منهم كذبا آخر.

وقوله تعالى «بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون» هو رد منه تعالى على كذب الماكرين يوم القيامة، أو من الذين أوتوا العلم، أو منهم ومن الملائكة، فيه إثبات لكذبهم فيما ادعوه من أنهم ما كانوا يعملون السوء، وتدليل على كذبهم بدليل لا يقبل إثبات عكسه وهو علمه تعالى بأعمالهم ، التي عملوها في حياتهم الدنيا والتي يجازيهم بها .

فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

أولا : الأسـماء :

أبواب جهنم : قيل إن المراد بها - في معنى الآية - هو أبواب جهنم التي يكون دخولها منها، وقيل إن المراد بها دركاتها، وقيل إنها أصناف العذاب، وقيل هي قبور الكافرين تكون حفرا من حفر النار.

ثانيا : التفسـير :

يذكر تعالى - في الآية - أن الأمر يصدر يوم القيامة للكافرين بدخول أبواب جهنم، يصدر الأمر منه تعالى، يقوله أو تقوله الملائكة بأمره فيكون دخول الكافرين والمتكبرين منهم من أبواب جهنم على نحو ما أراده تعالى بدخول كل مجموعة من الباب الذى أعد لهم، ثم إنه تعالى أخبر عن طريق باقي عبارة الأمر أن حال هؤلاء المأمورين بالدخول من أبواب جهنم هو الخلود فيها .

وقوله تعالى - في ختام الآية - «فلبئس مثوى المتكبرين» هو ذم لجهنم التي هي مثوى المتكبرين الذين استكبروا على التوحيد، واستكبروا أن يظهروا ما استشعروه حين سمعوا القرآن العظيم يتلى فقالوا فيه غير الحق حتى لايقال إنهم رجعوا عما كان يعبد آباؤهم .

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن المشركين قالوا في القرآن العظيم إنه أساطير الأولين، فإنه تعالى ذكر قول المؤمنين في القرآن العظيم، جاء التعبير عنهم في نص الآية بأنهم الذين اتقوا، لأنهم اتقوا بإيمانهم أن يكونوا من المعذبين بالكفر. والذين قالوا لهم ماذا أنزل ربكم هم وفود القبائل ومبعوثوهم لتحرى حقيقة ما بعث به رسول الله ﷺ، كانوا يقابلون الرجل من المشركين فيسألونه عما جاء به رسول الله ﷺ أو ما أنزل إليه فيقول «أساطير الأولين» ويقابلون الرجل من المؤمنين فيسألونه ذات السؤال فيقول «خيرا» بمعنى أنه تعالى أنزل القرآن خيرا للناس لأن فيه العقيدة الصحيحة طريق الله المستقيم، والأحكام التي يتحقق بها خير العباد .

ثم إنه تعالى لما كان قد بين أن مكذبي الرسل والقائلين فيما أنزل إليهم من ربهم قول السوء قد عذبوا في الدنيا ثم إنهم يدخلون في الآخرة جهنم من أبوابها وفيها يخلدون، فإنه تعالى قال في شأن المؤمنين الذين اتقوا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة، ولدار الآخرة خير، ولنعم دار المتقين وصفهم تعالى بأنهم الذين أحسنوا في هذه الدنيا بمعنى أنهم جمعوا إلى إيمانهم العمل الصالح فوافق عملهم ما انطوت عليه قلوبهم من إيمان، وأخبر عن أنه يكون لهم في الدنيا حسنة، والمراد بها الجزاء الحسن الذي ينالونه في الدنيا، يدخل فيه نصرهم على الكافرين، وغنمهم الغنائم، ويدخل فيه مباركة رزقهم، ويدخل فيه قبل كل شيء زيادتهم هدى والإنعام عليهم بإنارة بصائرهم على النحو الذي لا يعرفه كثيرون مما

يفىء به تعالى على أهل التقوى .

وقوله تعالى «ولدار الآخرة خير، ولنعم دار المتقين» هو بيان لكون ما ينتظر المتقين من ثواب فى الآخرة هو أفضل مما نالوا فى الدنيا من الخير بتقواهم من حيث نوعيته، ولديمومته، ثم إنه تعالى مدح دارهم التى يكون فيها قرارهم فى الآخرة، بإثباته أن نعم الدار والمقامة فى الآخرة هى دار هؤلاء الذين اتقوا ربهم فى الحياة الدنيا .

جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾

التفسير:

بعد أن مدح تعالى دار المتقين فى الآخرة فإنه تعالى أخبر ـ فى الآية ـ عن هذه الدار بأنها جنات عدن، أثبت تعالى أن المتقين يدخلونها حال كونها جارية تحتها الأنهار، فبين اشتمالها على ما يسر الأعين ويلذ القلوب، ثم قال تعالى «لهم فيها ما يشاءون» لبيان أنه يكون للمتقين فى هذه الجنات كل ما يشتهون من أنواع المحسوسات والماديات، فيكون نعيم الجنات شاملا نعيم النفوس ونعيم الأبدان.

ثم إنه تعالى بين أنه يكون للمتقين فى الجنات ما يشتهونه بمجرد اشتهائه دون تعليق هذا على مشيئته تعالى، وذلك لأن مشيئته تعالى جرت من قبل بهذا، بمعنى أنه يكون لهم ما يشتهون بمجرد اشتهائه . وقوله تعالى «كذلك يجزى الله المتقين» مفاده هو أنه على هذا النحو الموصوف يكون جزاء كل من يتقى غضب الله تعالى، فيشمل المعنى كل من يتعرض للغواية مع القدرة فيقول إنى أخاف الله، ويشمل الذين يتقون الشرك يدفعون إليه، ويتقون المعاصى تزين لهم فيكون القول وعدا لكل من يتقى الله فى أمر من الأمور ويبقى على هذه الحال بجزاء مثل جزاء المتقين المذكور فى الآية، بمعنى يتضمن حثا على تقوى الله وتحسيرا للعصاة والكافرين على حرمانهم من حسن جزاء الآخرة .

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

أولا : الأسـماء :

الطيبون : في قوله تعالى «تتوفاهم الملائكة طيبين» المراد بهم ـ في معنى الآية ـ الطاهرون من دنس الشرك، ولما كان الأصل في الإنسان أو في القلوب هو الطهارة، وكان الدنس قرين الشرك، فقد دل القول على أن الأصل هو الإيمان والتوحيد وأن الأمر العارض هو الكفر والإشراك بالله غير الحق .

ثانيا : التفسـير :

وصف تعالى المتقين المخبر عن جزائهم في الآية السابقة بأنهم الذين تتوفاهم الملائكة طيبين، بمعني أن حال قلوبهم حين تتوفاهم الملائكة أعوان ملك الموت هي الطهارة من دنس الشرك، فدل القول ـ مقارنا مع حال المشركين حين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ـ على أن الشرك ظلم، وأنه دنس بالقلوب .

وأخبر تعالى ـ في الآية ـ عن قول الملائكة للمتقين حين يتوفونهم «سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» يدعون لهم بالسلامة من كل مكروه أو يبشرونهم بأنه لا ينالهم من هذه اللحظة مكروه، ثم إنهم يبشرونهم بدخول الجنة «ادخلوا الجنة» أو يعرفون أرواحهم بأن طريقها إلى الجنة إلى أن تلحق بها أبدانهم يوم القيامة، أو يخبرونهم بأن قبورهم التي يدخلونها هي رياض من رياض الجنة التي وعدوا بها .

وقول ملائكة الموت لهم «بما كنتم تعملون» مفاده أن الجنة هي دار قرار المتقين بسبب ثباتهم على التقوى والطاعة، وصدور أعمالهم من نبع هذه التقوى، فيكون القول مظهراً السبب الظاهر الذي يراد إعلام الخلق به ليكون تمثل المتقين وفعل فعلهم، ولا يعارض هذا أن السبب الحقيقي لدخول الجنة هو رحمته تعالى التي بها يكون دخول الجنة .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾

أولا : الأسـماء :

أمر ربـك : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو يوم القيامة، وقيل إنه العذاب الدنيوى .

ثانيا : التفسـير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى كفار مكة، يعيب عليهم سبحانه وتعالى توانيهم وتأخرهم فى الإيمان فقوله تعالى «هل ينظرون» معناه هو «ماذا ينتظرون لكى يؤمنوا» وهو استفهام ينكر عليهم عدم المبادرة إلى الإيمان.

وقوله تعالى «إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك» يفيد بيان أنهم مثل من ينتظر تحقق أمر ليكون منه أمر، ويكون من شأن الأمر الذى ينتظر تحققه أنه متى وقع انعدم أثر الأمر الذى يكون منه وبطلت فائدته .

وإنزال هذه المعنى على واقع حال الكفار المتراخين فى الإيمان مفاده إنهم شبه الذين ينتظرون حضور الملائكة لقبض أرواحهم ليؤمنوا، مع أن حضور الملائكة لقبض أرواحهم يفيد انتفاء شروط قبول التوبة وهو ما يعدم أثر إيمانهم أو إعلانهم إيمانهم.

وقيل إن المراد بالقول هو أنهم يشبهون من ينتظر الملائكة تشهد لرسول الله ﷺ بالنبوة ليؤمن له، وهو ما لن يحدث.

ومفاد القول أيضا هو أنهم شبه الذين ينتظرون يوم القيامة أو ينتظرون حلول عذاب الدنيا بهم، ومعلوم أنه إذا جاء يوم القيامة لا يقبل من كافر توبة، وأنه متى حل عذاب الدنيا بقوم لا يكون لهم منه خلاص.

ثم إنه تعالى يبين أن التمادى فى تراخى الكافرين فى الإيمان مؤداه هو حلول عذاب الدنيا والآخرة بهم بقوله تعالى «كذلك فعل الذين من قبلهم، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» .

فبين تعالى أن استمرارهم على الشرك والكفر وعدم المبادرة بالإيمان كان فعل أقوام سبقوهم أصابهم الله بعذاب الدنيا وأعد لهم عذابا شديدا فى الآخرة، ثم إنه تعالى بتعذيبهم فى الدنيا والآخرة لم يكن ظالما لهم - مع كونه تعالى منزها عن الظلم ولو عذب بغير سبب - فهو تعالى حاسبهم بعدله فكانوا هم الظالمين أنفسهم بتعريضها للعذاب بكفرهم. فيكون المستفاد من القول هو أنه يكون للكافرين مثل ما كان لمن سبقوهم من الكافرين المكذبين رسلهم من العذاب بظلمهم أنفسهم. ويكون القول وعيدا لهم .

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

التفسير:

قوله تعالى فى مكذبى الرسل من الأمم السابقة الذين توعد الله تعالى كفار مكة أن يكون لهم من العذاب مثل ما كان لهؤلاء، يذكر تعالى فى الآية أنه أصابهم سيئات ما عملوا، بمعنى أنه أصابهم جزاء ما عملوا من أعمال سيئة، جاء فى القول اسم السبب معبرا عن المسبب لبيان فظاعته ، والقول يشير إلى أنه قد يكون لهؤلاء أعمال غير سيئة إلا أنه لا يكون لها أثر يرفع عنهم جزاء أعمالهم السيئة مع كفرهم .

ثم إنه تعالى يذكر أنه قد أحاط بهم الأمر الذى كانوا يستهزئون به، والذى يتبادر إلى الذهن هو أن هذا الأمر هو العذاب الذى توعدوا به فاستهزءوا به منكرين، فيكون مفاد القول أنه أحاط بهم من كل مكان. ويتصور أن يكون الأمر الذى كانوا به يستهزئون هو نبوة رسلهم وكونهم مبعوثين منه تعالى، أو ما أنزل إليهم، فيكون القول مشيرا إلى استهزاء الكافرين برسول الله ﷺ، أو بإخباره أنه رسول الله، أو بالقرآن العظيم المنزل إليه من ربه.

والقول بهذا المعنى هو إنذار لمكذبى رسول الله ﷺ ، والمستهزئين به وبالقرآن العظيم أن يصيبهم العذاب بسيئات أفعالهم فى الدنيا والآخرة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو قمة البلاغة فى التعبير عن المراد إيصاله من المعنى بعبارة موجزة جامعة مانعة.

والقول فى مشركى مكة الذين كذبوا برسول الله ﷺ، قالوه لإثبات معتقدهم الباطل أو زعمهم الكاذب فيه ﷺ أنه إنما يأتى بالقرآن وبأحكام التحليل والتحريم من عند نفسه. فهم لا ينفون عن أنفسهم مسئولية الشرك كما قد يتبادر إلى الفهم، وإنما قالوا إنه لما كان تعالى لا يكون أمر إلا بمشيئته، وكان رسول الله ﷺ قد قال «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» فإن عبادتهم وآبائهم أشياء أخرى من دون الله وتحريمهم ما حرموا أكله من السائبة والبحيرة وغيرها يكون هو الموافق مشيئة الله والذى أحبه منهم أو أراد أن يكون فعله منهم، فإذا جاء محمد ﷺ بالنهى عن عبادة غير الله تعالى وعن تحريم ما حرموا أكله ناسبا الأمر فى هذا إلى الله تعالى، فإنه يكون قد كذب على الله تعالى، ويكون قوله من عند نفسه وليس من الله تعالى.

وبعد أن ذكر تعالى قول المشركين هذا، فإنه بين أنه كان من قبل من الأمم التى كذبت رسلها مثل أفعالهم، أشركوا بالله تعالى وحرموا من دونه تعالى أشياء لم يحرمها، ثم جادلوا رسلهم بالباطل ليدحضوا به الحق.

وقوله تعالى ـ في ختام الآية ـ «فهل على الرسل إلا البلاغ المبين» هو إخبار لرسول الله ﷺ أنه ليس عليه ـ من جهة المشركين ـ إلا أن يبلغهم ما أرسل به من ربه على نحو واضح يفهمونه، أما أمر هدايتهم إلى الإيمان وإلى الطريق المستقيم فإنه أمر موكول إليه تعالى، فهو عليه الصلاة والسلام شأنه في هذا شأن جميع الرسل، غير مكلفين إلا بتبليغ الرسالة وإيضاحها لمن بعثوا إليهم. والقول بهذا المعنى يشير إلى وجوب عدم الحزن على الذين لا يؤمنون.

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾

التفسير:

جاء قوله تعالى ـ في الآية ـ متصلا بما أخبر عنه تعالى من قول مشركي العرب المتضمن طعنا في نبوة رسول الله ﷺ على أحد أمرين:

أولهما : أن يكون ما يدعو إليه مخالفا ما يريده الله تعالى.

وثانيهما : ألا تكون هناك حاجة إلى بعثه تعالى رسلا، لأنه لا يكون إلا ما يشاء تعالى. فجاء قوله تعالى مثبتا بطلان قولهم، ومدللا على أن زعمهم أنه تعالى أراد لعباده وهم وآباؤهم منهم الشرك وتحريم ما حرموا من المطعومات هو باطل، وأن قولهم أنه ﷺ ليس نبيا مرسلا من ربه هو باطل أيضا، وبالمثل زعمهم أنه لم تكن ثمة حاجة لإرساله تعالى الرسل مادامت إرادته تعالى نافذة في جميع الأحوال. فجاء قوله تعالى «ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» دالا على كذبهم في إنكارهم نبوته ﷺ، وبطلان قولهم إنه ليس ثمة حاجة لإرساله تعالى الأنبياء مادامت إرادته تعالى بالإيمان أو بالكفر نافذة، ومثبتا

كذبهم فيما زعموه أنه تعالى قد أراد لهم ولآبائهم أن يشركوا به .

بيان ذلك أنه تعالى أثبت أنه بعث فى الأمم السابقة عليهم رسلا، كما بعث فيهم محمدا ﷺ، فيكون القول مثبتا كونهم على ضلال بإنكارهم نبوة رسول الله ﷺ، وردا على قولهم بانعدام الحاجة إلى إرسال الرسل.

ثم إن بيانه تعالى مضمون رسالة الرسل ورسالة رسول الله ﷺ وأنها تخلص فى الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده وعدم الشرك به يثبت كذب زعمهم أنه تعالى قد أراد لهم ولآبائهم الشرك، فهو تعالى قد بعث الرسل للدعوة إلى توحيده واجتناب الطاغوت وهو الشيطان وما يدعو إليه.

وبعد ذلك قال تعالى «فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة» والمعنى المباشر للقول أن فى هذه الأمم السابقة التى بعث الله فيها الرسل كان المؤمنون الذين هداهم الله إلى الحق، وكان منهم الضالون الذين لم يوفقهم الله إلى الهدى فثبتت فيهم الضلالة وحقت عليهم.

ويلاحظ فى القول أنه تعالى نسب فعل الهدى إليه تعالى، وفى شأن الضلالة فإنه لم ينسبها إلى ذاته تعالى لأن الضلالة قبح لاينسب إليه تعالى و إن كان الهدى وكانت الضلالة منه تعالى، إذ تكون الضلالة باتجاه مشيئته تعالى إلى علم ما علم منذ الأزل أنه يكون من الضالين من اختيارهم الضلالة.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» هو خطاب منه تعالى للكافرين المكذبين، يأمر فيه بالسير فى الأرض إلى حيث آثار من سبقهم من الأمم التى كذبت الرسل فكان أمره تعالى فى أهلها إهلاكهم، ومنهم عاد وثمود ومن ماثلهم ممن حق عليه العذاب.

فيكون المراد من تنفيذهم الأمر هو الاعتبار بما أصاب المكذبين من قبلهم فيكون منهم الإسراع إلى طرح الكفر والاستجابة إلى دعوة الحق التى ينادى بها رسول الله ﷺ .

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٣٧﴾

التفسـير:

الخطاب فى الآيـة موجه إلى رسول الله ﷺ ، وهـو فى شأن كفار مكة المشـركين، أو كفار قريش الذين كان ﷺ حريصا على هداهم رأفة بهم. جاء قوله تعالى فى صيغة جملة شرطية، أداة الشرط فيها «إن» وفعلها هو الحرص منه ﷺ على هدى بنى قومه المشركين، وجوابه هو ما جاء بقولـه تعالى «فإن الله لا يهدى من يضـل»، والمعنى هو أن حرصه ﷺ ليس مـن شأنه أن يغير سنته تعالى التى جرت على أن من ثبت فى علمـه تعالى أنه يختار الضلالة فجرت بذلك مشيئته ، لا يكـون منه تعـالى أنه يجبـره من بعـد على الهدى فيكـون القول مفيـدا معنى أداء الرسالة وعدم الانشغال بما يكون من البعض من عدم الإيمان .

وقوله تعالـى «وما لهم من ناصرين» هو فـى شأن هؤلاء الذين لم يجبرهـم الله تعالى على الهداية بعد أن اختاروا الضلالة، يذكر تعالى أنهم يعدمون النصير، سواء أكانت نصرته متمثلة فى هدايتهم إلى الحـق بالإيمان أم فى دفع العذاب عنهم. وربما كـان القول مشيرا فى ذات الوقت إلـى انعدام الفائدة ترجى ممـا عبدوا من دون الله تعالـى لعجزهم عن نصرة عـابديهم المشركين .

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٨﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى فئة من الكـافرين، آمنت بوجود الله تعالى، وأشركت به فعبدت معه تعـالى أصناما، وقـالوا إن الثواب والعقاب يكـون فى الدنيـا، وأنه ليس فى الآخـرة ثواب

وعقاب، ولا جنة ولا نار، قالوا بهذا ترتيبا على إنكارهم البعث. فيذكر تعالى ـ فى الآية ـ أنهم حلفوا بالله تعالى جاهدين فى الحلف به على أنه تعالى لايبعث من يموت، فعندهم إن إعادة المعدوم ممتنعة. ومفاد قولهم هذا هو تكذيبهم الرسل والكتب لأن الرسل جميعا دعوا إلى الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر ومفاده تكذيبهم برسول الله ﷺ.

وقد أظهر تعالى فساد عقيدة هؤلاء بقوله تعالى «بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون» أوجب النفى بقوله «بلى» فالمعنى هو «بلى يبعثهم». وتأكد الوعد بذاته بقوله تعالى «وعدا»، ثم وصفه تعالى بأنه عليه، والمراد به إظهار وجوب تحققه، ثم ألحق تعالى بهذه الصفة صفة أخرى «حقا» لبيان مزيد من التأكيد ووجوب التحقق. فيكون القول إثباتا لحصول البعث وتأكيد هذا.

ثم إنه تعالى أثبت أن أكثر الناس لايعلمون مدى علمه تعالى وقدرته التى لا حدود لها، كما لايعلمون مدى حكمته وما استوجبت من ضرورة البعث والحساب، كما لا يعلمون أن ما جاءت به الرسل من حتمية حصول البعث هو الحق من عنده تعالى فيكون القول مشيرا إلى جهل القائلين بإنكار البعث، وبكون الجهل بحقائق الأمور هو المحرك والباعث لهذه العقيدة الباطلة.

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾

التفســـير:

بعد أن قال تعالى «بلى وعدا عليه حقا» فأثبت أنه يكون بعث بعد الموت على وجه اليقين، فإنه تعالى بين العلة من البعث أو بعضها، منها بيان ما اختلف فيه الناس جميعهم، فالضمير فى «لهم» يعود إلى جميع الأموات مؤمنهم وكافرهم، يكون لدى بعثهم وحسابهم العلم اليقينى بمعاينة الحال من الثواب أو العذاب بما كان عليه كل فريق فى الدنيا من الحق

أو من الباطل وهو الأمر الذى كان المؤمنون والكافرون مختلفين فيه فى الدنيا، يزعم كل فريق أنه على الحق وأن الآخر على الباطل. وإذا كان المؤمنون عالمين أنهم كانوا على حق، فإنهم بمعاينتهم ما أعد لهم من النعيم يتيقنون مما كانوا يعلمون، أما الكافرون فإنهم يعلمون أنهم كانوا كاذبين بكفرهم الرسل، وبإشراكهم بالله، وبقولهم لا يبعث الله من يموت، يعلمون هذا حين يبعثون وحين يعذبون بكفرهم الرسل .

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

التفسـيـر:

بعد أن ذكر تعالى قول منكرى البعث وبعد إثباته تعالى حقيقة وقوعه ومعاينة الخلق ما يكون فيه مما يعرفون منه ما كانوا عليه من عقيدة فى الدنيا فى شأنه. فإنه تعالى يذكر فى الآية ما يفيد هوان أمر البعث عليه تعالى الذى لا يصعب عليه أمر يريده، فهو تعالى يخلق بالكلمة ويوجد بها ما شاء أن يوجد، ومن هذا أنه تعالى إذا أراد أن يبعث الأموات فإنه يفعل هذا بقوله «كن» أو «كونوا» فيكون بعثهم. وهم فى هذا لا يختلفون عن جميع الأمور يكون تحققها بالكلمة دون أن يناله تعالى من هذا تعب أو نصب .

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

أولا : الأسـمـاء :

١ ـ الذين هاجروا فى الله: قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم صهيب، وبلال، وخباب، وعمار، وقيل إن المراد بهم هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا إلى الحبشة .

٢ ـ الحسنة : فى قوله تعالى «لنبوئنهم فى الدنيا حسنة» قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو نزول المدينة المنورة، وقيل هو الرزق، وقيل النصر على الأعداء .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى أصحاب رسول الله المؤمنين الذين هاجروا إلى الحبشة فى الله، مدفوعين بالمحافظة على دينه وفرارا من فتنة المشركين لهم فى دينهم، لم يبتغوا بهجرتهم شيئا من متاع الحياة الدنيا، كانت هجرتهم إلى الحبشة من بعد أن ظلمهم الكافرون فى مكة وعذبوهم .

وعدهم الله أن يبوئهم فى الدنيا حسنة، بمعنى أن ينزلهم تعالى فى الدنيا منزلا حسنا، يغلب أن يكون هو المدينة المنورة التى كانت إليها الهجرة الثانية .

وقوله تعالى «ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون» هو إثبات لأن ما وعد به المهاجرون من ثواب فى الآخرة أفضل كثيرا مما نعموا به فى الدنيا بتحقق الحسنة التى وعدوا بها، والقول يفيد أحد معنيين أولهما هو عدم علم الكافرين بحقيقة كون ثواب الآخرة أعظم من ثواب الدنيا الذى نعم به المهاجرون، وثانيهما هو أن المهاجرين أنفسهم لا يعلمون قدر أفضلية ثواب الآخرة على ثواب الدنيا حق العلم إلا لدى معاينته فى الآخرة .

ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

التفسير:

قوله تعالى فى الذين هاجروا فى الله فاستحقوا حسنة الدنيا وأجر الآخرة الأكبر، يصفهم سبحانه وتعالى ـ فى الآية ـ بأنهم الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون، فهم قد صبروا على إيذاء الكافرين، وصبروا على مفارقة الوطن والأهل والولد، وهم الذين يعتمدون على الله تعالى وحده ويوكلون إليه جميع أمورهم، فكان منه تعالى أن أثابهم فى الدنيا ، وأجزل لهم العطاء فى الآخرة ثوابا لا يدانيه ثواب فى الدنيا .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

أولا : الأســـماء :

أهل الذكر : المراد بهـم ـ فى معنى الآيـة ـ هم أهل الكتـاب من اليهود والنصارى الـذين لديهم علم بكتبهم .

ثانيا : التفســـير :

قوله تعالى خطـاب إلى رسول الله ﷺ، والقول فيه متعلق بقول مشركـى مكة فى إنكار نبوة رسول الله ﷺ، إن الله تعالى أعظم من أن يرسل بشرا رسـولا، وأنه لو شاء أن يرسل رسولا لجعله ملكا. فجاء قولـه تعالى مثبتا أنه لم يرسـل من قبل رسولا إلى الناس من المـلائكة و إنما كان جميع الرسـل رجالا، يوحى إليهم سبحانـه وتعالى بما يوحـى من قوله تعالى أو مـن كتبه عن طريق الملائكة ينقلون إليهم ما ينزله ربهم عليهم. وقـوله تعالى «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»، هـو توجيه بأن يكـون التحقق من هذا بسـؤال أهل الكتاب من اليهـود والنصارى عما ورد فى كتبهم فى شأن الأنبياء، لأن سؤالهم سيفيـد المعنى المذكور وهو أنه تعالى جعل جميع الـرسل المبعـوثين للناس رجـالا من البشـر يوحـى إليهم ربهم بـواسطة المـلائكة، أو بواسطة جبريل عليه السلام.

ويتصور أن يكون القول «فاسألوا أهل الذكر» هو قول رسول الله ﷺ يتوجه به إلى كفار مكة، ليكون منهم سؤال أهل الكتاب الذين كانوا يثقون فيما لديهم من العلم .

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **البينات** : هى المعجزات التى أيد بها الله تعالى رسله. وهى صحف مما أنزل تعالى على رسله سميت بهذا الاسم الخاص بها .

٢ ـ **الزبــر** : هى الكتب والصحف فى مجموعها، أو هى نوع منها سماه تعالى بالزبر، وقد يكون منها الزبور الذى أنزل على داود عليه السلام .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى «بالبينات والزبر» هو ذكر لما افترض فى كفار مكة عدم العلم به، فهو تتمة قوله تعالى «إن كنتم لا تعلمون» . وقد يكون هذا لتضمن البينات والزبر ما يفيد بعثه تعالى رجالا يوحى إليهم، وقد يكون لتضمنها ما يفيد وحدة العقيدة وبيان الأحكام يستدل بها على صدق رسول الله ﷺ .

وقوله تعالى «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون» جاء فيه التعبير عن القرآن العظيم بأنه الذكر، وبين النص ما كلف به ﷺ، وهو أن يبينه للناس على النحو الذى به يتفكرون، فهو ﷺ يبلغ به، ولما كان القرآن قد تضمن قصصا ووعدا ووعيدا، كما تضمن بيان العبادات، والأحكام، وكان العلم بهذا جميعا متطلبا أن يكون منه ﷺ بيان هذا جميعه بالقول، وتفصيل ما أجمل وتفسير ما غمض، وتخصيص ما أطلق بطريق السنة الفعلية والقولية، فإن القول يكون قد أوضح ما كلف به ﷺ فى شأن ما أنزل عليه من القرآن العظيم، جاء التعبير عنه بأنه نزل إلى الناس لبيان أن رسالته ﷺ عامة للناس جميعا.

فهو يبين القرآن للناس، ونسب نزول القرآن إليهم مع كون نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدل ذلك على عمومية رسالته وشمولها الناس جميعا، أما ما يجنيه الناس من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم أحكام القرآن وما ورد فيه فهو تفهمه وتدبره من بعد المعرفة فيكون الاعتبار بالقصص، والعمل بالطاعات وتجنب المعاصى، و إقامة العبادات، و إعمال الأحكام، جميعه من آثار التفكر والتدبر وبه تصلح أحوال العباد .

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٤٥﴾

أولا : الأسماء :

الذين مكروا السيئات : الراجح أنهم كفار مكة الذين مكروا برسول الله ﷺ مكر السوء، والذين مكروا ليصدوا الناس عن دين الله. وقيل إنهم الذين مكروا ليقتلوا الأنبياء، وقيل إنهم النمرود وقومه.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى فى الآية تهديد للذين يمكرون السوء برسول الله صلى الله عليه وسلم بالهلاك إذا هم لم ينتهوا عن مكرهم، فالاستفهام فى القول إنكارى، فهو تعالى ينكر عليهم أنهم يأمنون أن يصيبهم عذاب من عنده تعالى.

ذكر تعالى منه خسف الأرض بهم كفعله تعالى بقارون، وذكر منه أن يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون، بمعنى أنه يأتيهم من جهة لم يتوقعوا أن يجىء منها العذاب كأن تكون الجهة التى يستشعرون منها الأمان، وذلك على نحو ما فعل تعالى بقوم لوط إذ جاءهم العذاب من جهة السماء.

ويقبل القول أن يكون مشيرا إلى مجىء العذاب من جهة لم يكن متوقعا أن يكون منها أو على يد قوم لم يكن متوقعا أن يكون منهم، وهذا بالنظر إلى عمومية معنى النص وشموله الأحداث فى كل زمان ومكان، فيتصور أن يكون فى شأن الدول والرؤساء الذين يمكرون بالمؤمنين مكر السوء.

يتصور أن يخسف بهم الله تعالى الأرض بحدث مثل انفجار مخزون نووى لديهم، أو أن يهلكهم بمباغتتهم بهجوم لم يكن متوقعا لديهم من حيث جهة قدومه أو من حيث القائم به.

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾

التفسـيـر:

قوله تعالى فى الآية فى العذاب الذى ينكر تعالى أن يأمن الذين مكروا السيئات أن يأتيهم وهم فى تقلبهم، بمعنى أثناء تنقلهم بين البلاد مسافرين، أخذا من معنى «التقلب» فى قوله تعالى «لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد»، أو بمعنى أثناء تقلبهم على الفرش أثناء نومهم، أو أثناء تحركهم عموما ليلا أو نهارا .

ثم إنه تعالى يؤكد قدرته على أن يأخذهم وقتما شاء بقوله «فما هم بمعجزين» بمعنى أنهم غير ممتنعين عليه تعالى يعذبهم كيفما شاء ووقتما شاء، وإن صور لهم مكرهم غير هذا.

أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

التفسـيـر:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى صورة أخرى من صور عذاب الذين مكروا السيئات التى قد يكون هلاكهم ـ الذى يأمنون أنه يصيبهم ـ به وهو أن يأخذهم عذابه تعالى حال خوفهم من الهلاك والعذاب، والذى قد يكون سببه وقوع زلازل أو هبوب رياح عاصفة، أو إنزال العذاب بقوم قريبين منهم فيكون منهم استشعار الخطر والخوف. ومنه أن يكون هناك انتقاص من أرزاقهم وأنفسهم مستمر يشعرهم بالخوف من استمراره ثم يصيبهم العذاب حال سيطرة الخوف عليهم .

وقوله تعالى «فإن ربكم لرءوف رحيم» قد يفيد معنى أنه تعالى لم يفعل بهم إهلاكهم ومد لهم وأمهلهم لعلهم عما هم عليه يرجعون من باب رأفته ورحمته. وقيل إنه يعنى أن أخذهم على تخوف ينطوى على تمهيد النفوس لأن يصيبها الأذى والهلاك فلا يروعها نزوله بها من

بعد،، وهذا من باب رأفته تعالى ورحمته .

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾

أولا : الأســــماء :

الشـــمائل : جمع، مفـرده «الشمال»، وقيـل إن المراد بهـا ـ فـي معنى الآيـة ـ هـو أحد جانبى الشىء.

ثانيا : التفســير:

يتصور أن يكون الضمير فـي «يروا» عائدا إلى جميع خلقه تعالـى، ويتصور أن يكون عائدا إلى الـذين مكروا السيئـات، والاستفهام فى الآية إنكـارى، والذين ينكـر تعالى عليهـم عدم التبصر فيما خلـق أو انعدام بصيرتهم هم الذيـن مكروا السيئات، والمنكر عليهم هـو أنهم لم يتوجهوا إلـى ما خلق تعالـى من أشياء ذات ظلال مثـل الجبال والأشجار بالنظـر والاعتبار إذ يرون منهـا الانصياع لأمره تعـالى، فجميـع هذه الأشياء تتفيأ ظلالها، بمعنـى أنها تميـل من جانـب إلى جانـب، تكون أول النهار علـى حال، ثم تقلـص، ثم تعود آخـر النهار إلى حـالة أخرى، فيكون فى ميلها معنى السجود، أو إنه يكون حين تقلص فتلتصق بالأرض فتكون على هيئة الساجد، وعلى الحالين فإن ميل الظلال مـن جانب إلى جانب أو التصاقها بالأرض هو طاعة لما أمر به تعالـى أن يكون ولهذا كان تشبيهـه بالسجود. ثم إنـه يكون منها حال كـونها داخرة بمعنـى خاضعـة صاغرة . وفـي القول جـاء التعبير بـالصيغة الخاصـة بالعقـلاء لكون الدخور من صفات العقلاء وهو ما يبين فى قوله تعالى «وهم داخرون» .

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

التفســير:

بعد أن ذكر تعالى - فى بيان انصياع المخلوقات له - سجود ظلال الثوابت الأرضية له، فإنه تعالى شرع فى بيان سجود المخلوقات المتحركة فى السماوات والأرض له، سواء أكانت لها ظلال أم لم تكن، والمراد بالسجود فى القول هو الطاعة والانقياد خضوعا له تعالى على النحو الذى يكون عليه خضوع الساجد المكلف لله تعالى. وفى النص يثبت تعالى سجود كل ما فى السماوات والأرض من الدواب، ويقبل القول أن يكون مفاده هو وجود دواب فى السماوات كما أن فى الأرض دوابا، ويقبل أن يكون وجود الدواب متعلقا بالأرض، والأول أظهر بدلالة عطفه تعالى الملائكة على «دابة» عطف الخاص على العام، أو لكونها من غير ذوات الأجسام مثل باقى الدواب. وفى النص جاء التعبير بـ «ما» لبيان أن الدواب تشمل العقلاء وغير العقلاء، فجاءت «ما» للتغليب .

وبعد أن ذكر تعالى سجود الملائكة له، قال «وهم لا يستكبرون» بمعنى أنهم لا يستكبرون عن عبادته تعالى، وجاء التعبير عن عدم الاستكبار بالفعل المضارع لاستمرار النفى .

يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

التفســير:

القول - فى الآية - هو فيما فى السماوات والأرض من الدواب، والملائكة، يذكر تعالى أنهم يخافون ربهم، والمعنى هو أنهم يخافون عذابه، وقوله تعالى - من فوقهم - تفيد فوقية المكانة والعزة، لكونه تعالى القاهر الغالب، ولا تفيد فوقية المكان .

ثم إنه تعالى يبين أن هذه المخلوقات المتحركة ومنها الملائكة تفعل ما تؤمر. بمعنى أنها تفعل طائعة صاغرة ما يأمرها به الله تعالى. وفى القول جاء الفعل «يؤمرون» مبنيا للمجهول لانعدام الحاجة إلى إظهار أن الآمر هو الله تعالى، لكون هذا مفهوما بالضرورة. وقد استدل بالقول على أن الملائكة تخاف الله تعالى وترجو رضاءه، وعلى أنهم مكلفون .

• ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ ﴿٥١﴾

التفســـير:

بعد قوله تعالى فـى الذين مكروا السوء من المشركين، وبيان الفرق بينهـم وبين مخلوقاته تعالى الثـابتة ذات الظل فى الأرض، ومخلوقاتـه المتحركة بأمره فـى السماوات والأرض التى تعبده طائعـة خاضعة لبيان أن الماكـرين مكر السوء هو أدنى مخلـوقاته تعالى منـزلة، كما أن الشرك الذى حرك مكـرهـم هو شر الآثام وعمدتها، فـإنه تعالى بين فى الآية أن قـوله الحق قد صـدر منذ الأزل للمكلفيـن بعدم اتخـاذ إلٰهين اثنيـن، وفي القـول جاء ذكـر «الاثنين» لنفـى التعديد، وذلك لأن من يتعـدد لا يكون إلٰها. ولهذا جاء تصدير القول بقـوله تعالى «وقال الله» فدل ـ من قبل بيان القول ـ أنه ليس إلا إلٰه واحـد. ويبدو لدينا ـ والله أعلم ـ أنه لما كان القرآن العظيم صـالحا لكل زمان ومكـان ومتعلقا بالأحـداث قديمها وقـادمها، فإن القول يشيـر إلى بطلان عقيدة «المثنوية» ومن مظاهرها أو من مللها ما اشتهر فى فارس من القول بوجود إلٰهين أحدهمـا للخير يـدعى «هـرمز»، والآخـر للشر ويدعـى «إهرمـن» وهو مـا يماثـل قول قـدماء المصريين حين انحـرفوا بما جاءهم به إدريـس عليه السلام من وجود إلٰهين أحـدهما للخير هو «أوزير» أو «أوزوريس»، وآخـر للشر وهو «ست»، وما اشتهر فى أوربا مـن وجود إلٰه للخير ـ يرمز لـه بالنور ويعبد فى يـوم ٢٥ ديسمبر المتخذ عيدا لـه لأنه فيه يبدأ النهار يطـول بعد قصر فاعتبر يوم انتصـار إلٰه النور أو الخير ـ ووجود إلٰـه للشر، وكذا ما عرف فى بـلاد الشام من عبادة الشيطان إلى جانب عبادة الله، وهى العقيدة التى أراد بعض الضالين بعثها مؤخرا .

وقوله تعالـى «إنما هو إلٰه واحد» جاء لـلإيضاح والتفسير، وفيه وصف الإلٰه بـأنه واحد من قبيل التأكيد اللغوى لمعنى محقق ومقرر.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وإياى فـارهبون» ومعناه «إن ترهبوا شيئا فإياى ارهبوا» جاء متعلقا بـإثبات أنه تعـالى الإلٰه الـواحد الذى ليس لـه شريك، فيكـون وحده هو القـادر على

الانتقام وعلى تعذيب العصاة، فيكون وحده الذى يرهب، والذى يعمل على تجنب عذابه المرهوب بطاعته وعدم عصيانه .

﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢﴾

أولا : الأسـماء :

الواصب : هو الدائم المستمر الذى لا انقطاع له .

ثانيا : التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه قال وقوله الحق بالنهى عن اتخاذ إلٰهين ، وإثباته وحدانيته، فإنه تعالى ـ في الآية ـ ذكر خضوع جميع ما فى السماوات والأرض من مكلفين وغير مكلفين له خضوع المملوك للمالك لكونه تعالى الموجد والمالك، ثم أثبت تعالى أن له الدين واصبا، والمعنى هو أن دينه تعالى وهو الإسلام بالمعنى العام، أو العقيدة الدائمة منذ أن خلق تعالى آدم عليه السلام وجعله نبيا للإبلاغ بها، تخلص فى التوحيد، ولهذا جاء الاستفهام الإنكارى ـ فى ختام الآية ـ «أفغير الله تتقون» وذلك لبيان أنه لما لم يكن غيره تعالى، وجاء التعبير ـ فى القول ـ عن ذاته بأنه «الله» لبيان آخر للوحدانية، فإن اتقاء غضب غيره يكون أمرا منكرا .

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾

التفسـير:

بعد أن أنكر تعالى على المشركين إشراكهم واتقاءهم غضب غيره تعالى ممن ليسوا بآلهة فإنه تعالى ـ فى الآية ـ أثبت أن ما ينال الناس من النعم جميعها من الصحة، وسعة الرزق، والولد وغيرها هو منه تعالى، فكأن القول أريد به التنبيه إلى أن قوما تصيبهم نعم الله تعالى بالخير فلا يذكرون المنعم بها، وقوله تعالى «ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون» يفيد أنهم إذا

ما مسهم الضر على نحو يسير تذكروا الله تعالى فكان منهم التضرع إليه بالشكوى وليس إلى غيره، جاء التعبير بالفعل «تجأرون» بمعنى «تصيحون» لبيان ارتفاع الصوت بالشكوى أو امتلاء القلوب بها. وهو بيان لغلبة الفطرة لدى الإنسان، يتناسى الحق عند تمتعه بالنعم، ويذكره حين تمسه البلوى .

ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - تقريع وتوبيخ لفاعلى الشرك الموصوف فى الآية، وهو الكائن من بعد رفعه تعالى الضر الذى نال الناس والذى جأروا إليه تعالى وحده مستصرخين داعين برفعه عنهم فكأنهم وحدوه قولا وفعلا عندما أصابهم الضر أو مسهم، والمقرعون على فعلهم هم هؤلاء الذين يعودون من بعد رفع الضر عنهم إلى الإشراك بربهم واتخاذهم معبودات أخرى يعبدونها وحدها، أو يعبدونها معه تعالى.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى هؤلاء الذين رفع تعالى الضر عنهم بعد أن لجأوا إليه بالشكوى والدعاء تعبيرا عن إيمانهم بوحدانيته، ثم كان منهم الإشراك به بعد رفعه الضر عنهم، يقول تعالى فيهم «ليكفروا بما آتيناهم» بمعنى فليكن منهم كفران النعمة التى أنعمنا بها عليهم برفع الضر عنهم، والقول يظهر جسامة إثمهم، فهم بدلا من أن يؤدوا حق النعمة من الشكر كفروا بها وأشركوا بالمنعم بها. والقول يتضمن وعيدا لهؤلاء الذين كفروا النعمة .

وقوله تعالى «فتمتعوا، فسوف تعلمون» وفيه جرى العدول فى الخطاب إلى توجيهه إلى

كافرى النعمة، ليكون التهديد مباشرا بتوجيهه إليهم، والمعنى هو فليكن تمتعكم بالنعمة التى أنعمنا بها عليكم، فهو تمتع مؤقت غايته هى حياتكم الدنيا، ثم إنكم ستعلمون عاقبة كفرانكم النعمة وإشراككم بالمنعم بها بمعايتتكم العذاب. ويلاحظ أن عدم ذكر المتوعد به اكتفاء بالإشارة إليه ليفهم بالعقل «فسوف تعلمون» هو تهديد آخر ووعيد بشدة الجزاء .

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى فعل المشركين المترتب على شركهم والمعتبر إثما من آثام إثمهم الأكبر وهو الشرك بالله تعالى. والفعل هو أنهم يجعلون لمعبوداتهم التى لا يعلمون حقيقة أمرها من كونها جمادات لا تضر ولا تنفع، والتى لا يعلمون أنها شأن جميع خلقه تسجد له تعالى طائعة خاضعة، يجعلون لها نصيبا من الرزق الذى ينعم به عليهم خالقهم الحق، فيجعلون لها الذبائح ويرصدون لها الأموال.

وقوله تعالى «تالله لتسألن عما كنتم تفترون» يفيد أن المشركين يوبخون ويقرعون لدى حضور الملائكة إليهم لقبض أرواحهم، أو فى قبورهم عما كانوا فى حياتهم الدنيا مستمرين عليه من الافتراء المتمثل فى الإشراك بالله تعالى، ومن التقرب إلى معبودات زائفة بالعبادة، وبتقديم الحرث والأنعام والأموال التى رزقهم الله إليها.

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى طائفة من مشركى العرب وقت نزول النص، قيل إنهم خزاعة

وكنانة، كانوا يقولون «إن الملائكة بنات الله تعالى» قالوا هذا لاستتار الملائكة عن الناس وعدم ظهورهم لهم مثل فعل النساء، فزعموا أن الملائكة إناث وقالوا إنهم بنات الله. ثم إنه تعالى ينزه ذاته عن قولهم بقوله «سبحانه» وهو تنزيه يتضمن التعجيب من جرأة المشركين القائلين هذا القول المتمثلة فى قولهم هذا القول .

ثم إنه تعالى يبين مدى وقاحتهم فى نسبة الملائكة إليه بنات له بقوله تعالى «ولهم ما يشتهون» فهم لايحبون الإناث تكون لهم، ويحبون أن تكون خلفتهم ذكورا، ولما افتروا على الله الكذب بقولهم إن له تعالى «خلفة» جعلوا خلفته إناثا بزعمهم أن الملائكة بناته تعالى.

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن مشركى العرب ينسبون إليه تعالى الملائكة بنات من خلفته، وأنهم بهذا نسبوا إليه ما يكرهون، فإنه تعالى ذكر ما يدل على كراهة المشركين أن تولد لهم بنات. فأخبر تعالى عن واقع ما يكون من المرء منهم حين يبلغ بأنه قد ولد له مولود، وأن المولود أنثى، إذ يسود وجهه ويبقى على هذا الحال طول نهاره، والمراد باسوداد الوجه هو عبوسه وظهور أمارات الغم عليه تعبيرا عما فى النفس من ضيق؛ ولهذا جاء قوله تعالى «وهو كظيم» مبينا حال من يبلغ بمولود أنثى له إذ يكون قلبه ممتلئا غيظا يخفيه ويحبسه فتظهر أماراته على وجهه .

يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى التُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾

أولا : الأســـــماء :

الهـــون : فى قوله تعالى «أيمسكه على هون» هو الذل .

ثانيا : التفســـير:

قولـه تعالى إخبـار عما يكون مـن المرء من مشركـى العرب الذيـن نسبوا الله تعالـى خلفة الملائكة بنات له، من بعد أن يخبر أنه ولدت له أنثى.

فيقول تعالى «يتوارى من القوم من سوء ما بشر به» .

والمعنى أنه يستخفى من قومه حياء لشعوره بـالخزى وذلك ترتيبا على الخبر السىء الذى أبلغ به وهو أنه ولد له مولود وأن المولود أنثى .

ثم يقول تعالى «أيمسكه على هون أم يدســه فى التراب»، والقول بيان لما يجول فى ذهن المشرك من بعد إبلاغه أن مولوده أنثى.

فهو يفكر فيما يكون منه مع مولوده، وتفكيره ينحصر فى أمرين:

أولهما هـو أن يمسك بالمولـود مبقيا على حياتـه مع ما فى هـذا من ذل ومهانة فـى نفسه ولدى قومه.

وثانيهما هو إخفاء المولود فى التراب، يكون بـالوأد بمعنى دفنه فى الأرض حيا ليكون موته بالدفن.

أو بقتله بأية وسيلة أخرى ثم دفنه فى التراب .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «ألا ساء ما يحكمون» .

هو وصف لفعل المشركين بالسوء، والفعل الموصوف بهذا يتضمن جملة أفعال.

فهو يشمـل نسبتهم إلـى الله تعالى الإنجـاب، وإنجاب البنات الـلائى يكرهـون أن تكون لهم، ثـم هو يشمـل كراهتهـم أن تولد لهـم البنات، ويشمـل التفكير فـى الإبقاء عليهـن مع اعتبـــار ذلك سببا للمهـانة والذل أو التخلص منهن بالوأد أو بالقتل، كما يشمـل تنفيذ الوأد أو القتل .

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾

التفسير:

عبر تعالى ـ في نص الآية ـ عن المشركين المتحدث عنهم في الآيات السابقة بأنهم الذين لا يؤمنون بالآخرة، وذلك لأنهم لو كانوا يؤمنون بالآخرة وبوجود العذاب فيها للمشركين لما أشركوا، وما نسبوا الله تعالى خلفة البنات، وما وأدوا بناتهم، ذكر تعالى أن لهم فيما أظهرت فعالهم صفة السوء بجمعهم بين الجهل والكفر، ثم ذكر تعالى في المقابل مثله تعالى بقوله «ولله المثل الأعلى» وهو الوصف الأعلى الإخلاص والتوحيد، والذى تجرأوا عليه .

وقوله تعالى ـ في ختام الآية ـ «وهو العزيز الحكيم» أريد به بيان أنه تعالى لكمال قدرته على كل شيء، ولفعله كل شيء بموجبات حكمته فإنه مؤاخذ المشركين بأفعالهم الآثمة وبقولهم غير الحق .

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ مظهر مدى جسامة ذنب المشركين، ومبين مدى رحمته تعالى بخلقه، فالقول مفاده أن العدالة المحضة كان من مقتضاها فيما لو ساءل الله الظالمين ـ والمراد بهم المشركون الكافرون ـ بشركهم بموجب العدل وحده لكان منه تعالى إهلاكهم وعدم ترك أحد منهم على الأرض، فيكون المراد بالدابة ـ في القول ـ هو المشركون. ويقبل

القول أن يكون المراد بها هو جميع ما يدب على الأرض، فيكون القول مظهرا مدى جسامة إثم الشرك حتى أنه يستوجب إهلاك جميع ما يدب على الأرض بذنوب المشركين على ما يبين من قوله تعالى «واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة». ثم إنه لما كان ذلك لم يحدث منه تعالى فإنه يكون قد ظهر أن رحمته تعالى أوجبت عدم المساءلة بموجبات عدله فقط، وأن رحمته تعالى سبقت عدله .

وقوله تعالى «ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى» يفيد أنه تعالى لم يهلك جميع ما على الأرض من دواب بذنوب المشركين، وإنما أخر عذاب المشركين إلى أجل حدده سبحانه وتعالى عنده، قد يكون لأعمارهم وقد يكون لعذابهم. والقول يفيد حتمية حصول هذا العذاب فى الموعد الذى حدده تعالى لوقوعه .

وقوله تعالى «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» مفاده حتمية وقوع العذاب بالمشركين عند حلول أجله، وعدم قدرة المشركين على أن يستأخروا عنه مدة قصيرة بالغا ما بلغ قصرها، وعلى أن يستقدموا عليه لحظة، فيكون الواضح عدم قدرتهم على رده عنهم من باب أولى.

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

أولا : الأسـماء :

المفرطـون : فى قوله تعالى «وأنهم مفرطون» جمع مفرده «المفرط» وهو المقدم، أو الذى يتقدم غيره .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ يتضمن بيان فعال المشركين الآثمة مجملة، فهم يجعلون لله ما

يكرهون، بمعنى أنهم ينسبون إليه تعالى خلفة البنات التى يكرهون أن تكون لهم، ثم إنهم تصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى، بمعنى أنهم يزيدون على هذا قولهم إن الله تعالى وعدهم العاقبة الحسنى فى الآخرة.

وعبارة القول تتعلق بالمشركين الذين يؤمنون بيوم القيامة دون غيرهم من منكرى البعث.

وقد أوضح تعالى أن ما تقوله ألسنتهم هو الكذب فظهر أنه تعالى معذبهم وأنهم ليس لهم عنده ما يدعون .

ثم إن قوله تعالى «لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون» هو إثبات لكذبهم فيما ادعوه وبيان لمصيرهم المحتوم المخالف لما زعموه كذبا .

فالحق ـ كما يقول تعالى ـ هو أن الذى لهم هو النار، فالنار وليس الحسنى هو مصيرهم. والنار هى غاية السوء وشدة العذاب، فهى خلاف ما ادعوا أنه يكون لهم ثم إنهم يقدمون غيرهم فى دخولها ومعجل لهم فى هذا .

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

التفسير:

الخطاب ــ فى الآية ــ إلى رسول الله ﷺ الذى عانى من شرك المشركين وجهالاتهم، والقول تسرية له ﷺ ببيان أن ما يرى من المشركين هو ما رآه من قبل جميع الرسل والأنبياء، وأنه تعالى يجازى المشركين بشركهم وبكفرهم الرسل .

فهو تعالى يقسم بذاته على أنه قد سبق منه إرسال الرسل إلى أمم سبقت أمته فى الزمان، ثم كان من الشيطان أن زين لأقوام هؤلاء الرسل كفرهم وأعمالهم القبيحة فكذبوا رسلهم ولم

يعملوا بالطاعات، فكان من هؤلاء أن اتخذوه يوم زين لهم الكفر والعصيان وليا وقرينا فانصرفوا عن الحق وانغمسوا فى الكفر والعصيان .

وذكر تعالى أن عصاة الأمم السابقة لهم فى الآخرة عذاب النار. فيكون المستفاد من القول هو توعد مشركى العرب الذين زين لهم الشيطان ما هم عليه من الكفر وزين لهم عصيانهم رسول الله ﷺ بعذاب أليم يماثل عذاب مكذبى الرسل من قبلهم .

وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

أولا : الأسماء :

الذى اختلفوا فيه : هو الذى اختلف فيه مشركوا العرب وهو البعث، إذ كان فيهم من يؤمن به، وكان فيهم من ينكره .

ثانيا : التفسير:

يفيد قوله تعالى أنه أنزل القرآن العظيم الحقيق أن يسمى وحده «الكتاب» لأمر معين هو أن يبين لمشركى العرب ما اختلفوا فيه من أمر البعث فى الآخرة، يكون أم لا يكون ثم إنه لما كان القرآن العظيم مثبتا أنه يكون من بعد الموت بعث وحساب وجنة ونار، فقد أصبح متعينا على ذوى العقول العمل على دخول الجنة والابتعاد عن النار، ولما كان سبيل ذلك هو طريق الله المستقيم وهو الإسلام الذى دعا إليه رسول الله ﷺ فإن المنتهى يكون هو بالإيمان الصحيح باعتناق الإسلام والعمل بأحكام الدين. فتكون غاية الإنزال هى الهداية إلى الحق .

ثم إنه لما كان منتهى الحال هو إلى الإيمان الصحيح وهو الهدى، وكان بالدخول فى الإسلام غفران الذنوب وكسب الثواب، قد صح أن يكون القرآن العظيم هدى ورحمة للذين هم به يؤمنون .

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ٦٥﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ عود إلى ذكر آياته تعالى فى خلقه والتـى هى من قبيل النعم التى أنعم بها على خلقه، وأخصه الإنسان الذى سخـر لمصلحته ما خلق فى السماء والأرض مما ذكر تسخيره له.

وهو تعالـى ـ فى الآية ـــ يخبر عن إنزالـه ماء المطر من السحـاب يكون فوق من هـو على الأرض، وفق تقديره تعالى المسطر فى اللوح المحفوظ، ثم إنه تعالى يذكر ما يترتب على نزول المطر من السماء من خروج النبات من الأرض التـى تنبت بمياه الأمطار فيكون بخروج النبات منها وهـو حياة إحيـاء لها بعد مـوات، كما يكـون ظهور النبات فـى الأرض التى تسقـى بمياه الأنهار وبالمياه المستخـرجة من باطن الأرض لأنها وليدة فيـض الأنهار بمياه الأرض وتشرب الأرض بها .

وقوله تعالى «إن فى ذلـك لآية لقوم يمسعون» هو بيان لواقع أن من يسمع قـوله تعالى فى بيان هذا بعقلـه وينظر فى آياته يـدرك أن الذى بعث الحياة فى الأرض المـوات قادر على أن يحيى الموتـى فيكون منه الإيمان بـالبعث والحساب الذى أنـزل تعالى القرآن العظيـم لكى يؤمن الناس به على النحو السابق ذكره.

كما يكـون منه الإيمـان بوحدانيتـه تعالـى، لأن الذى سخر السحـاب ليكون منـه المطر، وجعل من المياه حياة الأرض، وجعل ذلك جميعـا مسخرا لصالح الإنسان لا يكون إلا واحدا قادرا على كـل شىء، خالقا كل شـىء؛ ولذلك خص تعالـى الذين يسمعون بقلوبهـم بأنهم الذين يفيدون من هذه الآيات، لأن غيرهم لايدرك مما يعاين شيئا، ولا يفهم مما يتلى عليه ما يفيد منه .

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الفـرث : فى قـوله تعالـى «من بين فـرث ودم» هو ما يبقـى من الطعام فـى المعدة والأمعاء من بعد عملية امتصاص الغذاء .

٢ ـ السائغ : فى قوله تعالـى «سائغا للشاربين» هو السهل المرور فـى المرىء إلى البطن، أو من الحلق إلى البطن لخاصية ذاتية فيه .

ثانيا : التفسـير:

يذكر تعالى ـ فـى الآية ـ معجزة من معجزاته فى الخلق والتى هـى من قبيل النعم المنعم بها علـى الإنسان. فهو تعـالى يقول «وإن لكـم فى الأنعـام لعبرة» بمعنى أن النظـرة المتسمة بـالعقل والتـدبر فـى خلق الأنعـام من شـأنهـا أن تبعث علـى الاعتبار الـذى يورث الإيمـان الصحيح على قدرته تعالى التى لا حد لها فى الخلق والإبداع .

ثم إنـه تعالى يذكـر آية له فى الأنعـام هى من قبيل النعـم المنعم بها على الإنسـان، فهو تعالى سقى الإنسان شرابا مصفى يتكون فى بطـون إناث هذه الأنعام يوجده تعالى فى ضروع الأنعام، ويكون تكونه من الغذاء الذى تتناوله الأنعـام والماء الذى تشربه محفوظا مما يحيط به فى بطن الحيوان مـن فرث موجود فى المعدة أو الكرش ودم فى العـروق من أوردة وشرايين وشعيرات دموية.

مما يعد معه حفظ هذا الشراب المتكون فى بطن الأنعام آية من آيات خلقه .

ثم أوضح تعالى ماهية هذا الشراب الذى يتكون فى بطون الأنعام بين الفرث والدم والذى يسقيه الناس بقوله «لبنا خالصا» بمعنى أنه اللبـن يكون مصفى غير مخلوط بشىء مما هو فى

بطون الأنعام، فلا يجد فيه الإنسان أثرا مما أحاط به ولو كان مجرد رائحة.

ثم ذكر تعالى حاله عند شربه بقوله تعالى «سائغا للشاربين» بمعنى أنه يسهل عليهم شربه لسهولة مروره من الحلق إلى المعدة؛ ولهذا نجده غذاء للذين لا يقدرون على البلع لعلة فى الحلق أو البلعوم.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

أولا: الأسماء:

السكر: فى قوله تعالى «تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا» هو المسكر الذى يغيب به العقل، وهو كل صنف من صنوف الخمر.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى بيان آية أخرى من آيات خلقه التى هى من النعم التى أنعم بها على الإنسان. فهو تعالى الذى أسقى الإنسان ما يشربون من ثمرات النخيل والأعناب، ثم أنه تعالى أوضح أن الإنسان - بما علمه الله - يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب المسكر من الخمر كما يتخذ منه ما يعتبر رزقا حسنا مما يطيب طعمه وأحل تناوله مثل الخل والزبيب والتمر.

وقيل إن الآية نزلت قبل تحريم الخمر وأنه لهذا جاء ذكر اتخاذ المسكر من شراب النخيل والأعناب، لأنه لم يكن محرما تناول المسكر من الشراب.

والذى نراه - والله أعلم - أنه تعالى أورد ذكر الرزق الحسن مقابل ذكر السكر.

فبين تعالى وقوع التضاد بينهما مما مفاده عدم اعتبار المسكر من قبيل الرزق الحسن،

واعتباره بالتالى مـن قبيل السيئات، فيكون القول مشيرا إلى كراهـة اتخاذ المسكر من ثمرات النخيل والأعناب مما يمكن معه اعتبار النص تمهيدا لتحريم الخمر.

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «إن فـى ذلك لآية لقوم يعقلون» هو بيان لكون هذه المعجزة فى الخلـق والتى يفيد منهـا الإنسان فتكون نعمة منعمـا بها عليه هـى آية عظيمة يستـدل بها أصحاب العقـول على وحـدانيته وعلى قـدرته علـى كل شىء، فيكـون منهم الإيمـان وعدم الشرك به تعالى.

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾

أولا : الأســـــماء :

النحـــل : هو الحشرة المعروفة، التى تخرج العسل من بطونها .

ثانيا : التفســـير:

يذكـر تعالى ــ فى الآية ــ معجزة أخرى من معجـزات خلقه تعالـى التى هى ــ فى ذات الوقت ـ من النعـم التى أنعم بهاعلى الإنسان علـى ما تؤدى إليه، أو بحسب الغايـة منها وما يتحقق.

والمعجزة تتمثل فى خلق النحـل وما يكون منه، وقد أظهر تعالى أن مـا يكون من النحل مما هو مثير للعجب هو منه تعالى بطريق الإلهام، فهو ألقى فى النحل أن يكون استدلاله على الأماكـن التى يتوجه إليهـا وعلى خلايـاه وأماكنها عـن طريق استشعار دفـء أشعـة الشمس مهما ضؤل. وألقـى فيه أن يكون لكل خلية أو مجتمـع من مجتمعاته رئيـس واحد لا يتعدد، وأن يكون إعداده للـرئاسة عن طريق إطعـامه طعاما خاصـا يقوم بإعداده و إطعامـه ما يختار للرئاسة بواسطة الشغالات الرعيَّة ، التى تدين بعد هذا للرئيس وهو ملكة الخلية. وألقى فيه أن يهتدى إلـى ما يكون لـه طعاما، وأن يهتدى إلـى الشكل الهندسـى الرائع الذى يبنـى عليه

خلاياة من مادة خاصة يفرزها من بين ما يخرج.

ثم إنه تعالى أوضح أن من بين ما أوحى به تعالى إلى النحل هو اختيار أماكن من الجبال، وأماكن فى الأشجار، وأماكن فى النباتات التى يقيمها الناس على عروش مثل الكرم فتنشىء فيها بيوتها وهى الخلايا.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ لا يزال فى بيان معجزته تعالى فى خلق النحل وما أوحى به إليه. فيقول تعالى أنه مما أوحى به إلى النحل أو ألهمها أن تأكل من كل الثمرات . والمعنى هو أن تمتص رحيق جميع أنواع الزهور أو النوار، وإنا لنشاهد النحل يتغذى أو يمتص رحيق زهور البرسيم وهو من الخضروات، كما يمتص زهور البرتقال وهو من موالح الفاكهة فالنحل يستمد غذاءه من جميع أنواع زهور النبات.

ثم إنه تعالى ألهم النحل أن يسلك سبل ربه لدى العودة إلى خلاياه وبيوته، مظهرا فى عبارة النص أنه تعالى ذلل للنحل هذه السبل، وهو ما كان بإرشاده النحل أن يسترشد بالشمس على مكان خلاياه فلا يضل الطريق إليها وإن بعد عنها خلال رحلته لجلب الطعام.

ويقول تعالى« يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس». ومن القول يبين أن فى إخراج الشراب الموصوف بأن فيه شفاء للناس من النحلة ــ على صغر حجمها ـ معجزة كبيرة، فالنحل يخرج بقايا الطعام من بطنه من فتحة خاصة بهذا ، ويخرج من ذات البطن الشراب الذى فيه شفاء للناس، ولا يختلط هذا بذاك أثناء تكون كل منهما فى بطن

النحلة، كما لا يختلط هذا بذاك عند الإخراج. وهذه معجزة تعلو على معجزة عدم اختلاط اللبن فى بطون الأنعام بالفرث أو الدم.

ثم إن فى اتصاف العسل الذى يخرج من النحل بخاصية شفاء الناس من بعض الأمراض معجزة أخرى. لأن غذاء النحل فى حد ذاته لا يتصف بهذه الصفة التى يخرج عليها العسل، فيكون تعالى قد أودع هذه الحشرة خاصية من عنده أضافت إلى غذائها ما جعله شفاء للناس.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » هو ما يدركه كل صاحب عقل، ذلك أن خالق النحل على ما هو مخلوق عليه قد خلقه بعلم لا حدود له لا يتصور أن يحيط به غير الله تعالى الذى لا مثيل له فى العلم، ثم إنه قد خلق على ما هو عليه بقدرة لا تكون لغير ما لا حدود لقدرته ، ثم إن إفادة الإنسان من هذا جميعه من شأنها أن تبعث الإيمان بأن خالق النحل هو خالق الإنسان القادر وحده على ما لا يقدر عليه غيره فيكون هذا دليلا على وحدانيته ووجوب عبادته وحده وعدم الشرك به، وهو ما يدركه الذين يتفكرون .

وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

أولا : الأسماء :

أرذل العمر : معناه هو أخس العمر، وأحقره، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ وقت الهرم الذى تضعف فيه القوى وتفسد الحواس ويشبه حال المرء فيه حال الطفل، قيل فيه إنه بلوغ الخمس والسبعين سنة.

وقيل بلوغ الخمس والتسعين.

■■■■■

التفســـير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ فى بيان حكمته تعالى فى خلق الإنسان و إماتتـه. يذكر تعالى أنه يخلق الناس ويتوفاهـم، فمنهم من يعجل وفاته فيموت طفلا أو شـابا أو رجلا أو امرأة، ومنهم من يطيل عمره فيصل إلـى مرحلة الهرم المعتبرة أحقر مراحل العمـر، والذى نراه ـ والله أعلم ـ أنها غير محددة بسن معينة يبلغها المرء و إنما تكـون بفساد الذاكرة والعقل بامتداد العمر إلى الدرجة التـى وصفها تعالى بقـوله «لكى لا يعلم من بعـد علم شيئا» والمعنى أنـه لا يبقى فى عقله ممـا يعرف مـن المعارف شيئـا لسرعـة نسيانـه، أو التى يعجـز فيها عقلـه عن اكتسـاب معلومات جديدة .

وقد يكـون الدليـل على صحة هـذا ما قـال به البعـض من أن المؤمـن لا يصل إلـى هذه المرحلة ، فإن كان هذا صحيحا فقد دل علـى أن أرذل العمر لا يتعلق بسن معينة و إنما يتعلق بفساد العقل على النحو الذى لا يعلم معه المرء من بعد علم شيئا. ويكون دليلنا على هذا ما سمعناه مـن أهل العلـم من الأطباء الـذين أكـدوا أنهم لـم يجدوا بين المـرضى المصـابين بالمرض المسمـى «زيمر» أو «زهايمر» الذى يصيب البعـض فى مرحلة الشيخوخـة فيكون به تصلب شـرايين المخ وعدم الاحتفـاظ بالمعلومات المكتسبـة، لم يجدوا بينهم قـارئا للقرآن العظيم. والله أعلم بمدى صحة هذا القول و إن كنا نميل إليه بقلوبنا .

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١﴾

التفســـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ تقريع للمشركيـن على إشراكهم بالله، فهم يرضون لـه تعالى ما لا

يرضونه لأنفسهم، فمفاد قوله تعالى أنه فضل بعض الناس على البعض فى الرزق، زاده على البعض، وقتره على آخرين، فلم يحدث من الذين وسع لهم فى رزقهم أن أشركوا معهم فى الرزق من قتر عليهم فيه ومنهم عبيدهم وخدمهم «ما ملكت أيمانكم» رغم أنهم متساوون فى صفة البشرية. ومع ذلك فإن المشركين أشركوا بالله من ليس له صفاته جل وعلا، ولا يتساوى معه فى شىء. فيكون القول بهذا المعنى متضمنا تقريع المشركين على إشراكهم بالله .

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «أفبنعمة الله يجحدون» هو استفهام إنكارى أريد به بيان أن عدم إشراك الموسع لهم فى الرزق عبيدهم ومملوكيهم معهم فيما وسع الله عليهم به، مع تساويهم فى صفة الآدمية، والأخوة الإنسانية والدينية هو من قبيل جحود النعمة، وأنه كان أولى بهم شكر الله عليها بإشراك مملوكيهم معهم فى الرزق .

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

أولا : الأسماء:

الحفدة: فى قوله تعالى « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة» هم الأعوان - يدخل فيهم الخدم - وقيل هم الأصهار. وهم أولاد الأولاد وقد يكون هذا هو المراد باللفظ فى معنى الآية - والله أعلم - لأنهم يكونون من الأزواج بطريق تسلسل النسل.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - يتعلق بآية من آيات خلقه مما يدخل فى عداد النعم المنعم بها

على الإنسان ومنه المخاطبون بالنص سواء أكانوا هم المؤمنين أم كانوا عموم الناس.

وفى القول يذكر تعالى أنه أوجد للرجال أزواجا من جنسهم، ويقبل القول أن يكون مفيدا معنى خلقه تعالى حواء من جسم آدم عليه السلام، ويقبل أن يكون مفيدا معنى أنه تعالى جعل زوج الرجل من جنسه ـ بمعنى أن الزوج يكون آدميا ـ فيكون القول دليلا للقائلين بعدم زواج الإنس من الجن.

ثم إنه تعالى يبين أنه أوجد من الزوجات البنين والحفدة، وكون البنين من الزوجات يظهر فى واقع انفصال الحيوان المنوى عن الرجل شيئا غير منظور على حين ينفصل عن المرأة مخلوقا فيه جميع صفات الإنسان فكأنه من المرأة وجد ولهذا كان قوله تعالى « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة» فدل على أن الانفصال عن الأم يكون حال كون المنفصل متصفا بصفات الإنسان، ثم يكون منه نسل آخر هم الحفدة، ويفيد لفظ « لكم » أنهم «بنين وحفدة» يكونون للرجال أعوانا وعزا.

ثم إنه تعالى يذكر نعمته على المخاطبين بالنص وعلى جنس الإنسان برزقه من الطيبات التى يلتذ بها من مطعومات وغير مطعومات ، والتى هى للمؤمنين اللذائذ الحلال.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يجحدون» هو استفهام ينكر على المشركين إيمانهم بمعبوداتهم الباطلة ومنها الأصنام التى لا علاقة لها بالخلق ولا بالرزق، ويقبل القول أن يكون متعلقا بالشيطان الذى يطيعونه فيما يوسوس به إليهم وهو الباطل، مع استمرارهم على جمود نعمة الله وكفرانها باستمرارهم على الإشراك به بدلا من توحيده وعبادته وشكره على أنعمه.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾

التفســـير:

بعد أن أنكر تعالى على المشركين إيمانهم بمعبودات باطلة وكفرانهم النعمة، فإنه تعالى ـ في الآية ـ أوضح أن كفرانهم نعمه المنعـم بها عليهم يتمثل فى عبادتهم معبودات من دون الله تعالى، ذكر تعالى أنها لاتملك للمشـركين رزقا تتفضل به عليهم من رزق السماوات ولا من رزق الأرض، فهى لاتملك أن تنزل من السمـاء مطرا يحيى الأرض ويخرج النبـات، وهى ـ من باب أولى ـ لاتملك شيئا مما كتب فى اللوح المحفوظ فـى السماء، كما أنها لاتملك لهم رزقا تمنحه إياهم من رزق الأرض زرعا أو أنعاما، ثم قال تعالى فى هذه المعبودات « ولا يستطيعون» والمعنى أنهم ليس لديهم القدرة على أن يكون لديهم شيء ينعمون به أو ببعضه على عابـديهم ، فيكون نفى القـدرة عن معبودات المشركيـن مثبتا انعدام الفهم لـدى الذين عبدوهم بدعوى أنهـم يشفعون لهم أو يقربونهم من الله زلفى، وذلك بـإثبات انعدام قدرتهم على فعل أى شيء.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

التفســـير:

جاء النهى فى قولـه تعالى ـ فى الآية ـ مرتبطـا بما سبق ذكره من مظاهر قدرتـه تعالى فى خلقه، وما أنعم بـه على الإنسان من النعم ، وبيان جهـالة المشركين الذين عبـدوا من دونه تعالى ما لا يملك لهم شيئا من الرزق ولا يستطيع.

فقوله تعالى «فلا تضربوا لله الأمثال» هو نهـى عن القول أن لله تعالى أمثالا أكفاء يماثلونه فى صفاته أو قـدراته أو فى بعضها، وهو نهى عـن الفعل المتضمن المماثلة بينه تعـالى وبين غيره فيما هو مستحق له تعالى وحده من عبادة.

ثم إنـه تعالى يظهـر علة هذا النهى بقـوله تعالـى « إن الله يعلم وأنتم لاتعلمـون»، ويقبل القول أن يكـون الذى يعلمه ـ على المراد مـن القول ـ هو جسامـة إثم ضرب الأمثـال له

تعالى أو المماثلة بينه تعالى وبين غيره من معبوداتهم، وهذا إثم يورد مقارفيه أشد أنواع العذاب، وهو مالا يعلمه مقارفوه، ويقبل القول أن يكون القول مفيدا أنه تعالى هو العالم وحده كيف تضرب الأمثال فى شأن ما يتعلق بذاته أو صفاته، وأن الناس لا يعلمون هذا، فيكون إثما منهم أن يضربوا لله الأمثال ، لما قد يكون من التجسيم أو المشابهة بينه تعالى وبين خلقه مما لايليق بما لذاته تعالى وأوصافه من قدسية.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ٧٥

أولا : الأسماء:

١ ـ **المملوك** : هو العبد المملوك لشخص حر. جاء للتمييز بينه وبين الحرّ لكون الاثنين عبدين لله تعالى.

٢ ـ **الذى لايقدر على شىء**: فى قوله تعالى « عبدا مملوكا لايقدر على شىء» المراد به ـ فى معنى الآية العبد الذى ليس بينه وبين مالكه كتاب على مبلغ يؤديه إليه يشترى به حريته، والذى لم يأذن له سيده فى مباشرة عمل ما مثل التجارة ؛ فلا يكون فى مقدوره شىء

ثانيا: التفسير:

بعد أن نهى تعالى عن ضرب الأمثال له تعالى مبيّنا علة هذا فإنه تعالى أورد مثلا ليعلم الناس كيف يكون ضرب الأمثال، وقيل فى شأن القول إنه لبيان اختلاف الحال بينه تعالى وبين ما أشركوا به سبحانه. والذى نراه أن المثل الذى تضمنه النص يتعلق بالمشرك وبالمؤمن. جاء التعبير عن المشرك أو جاء المثل المضروب له بالعبد المملوك الذى لايملك شيئا يخوله قدرة ما فهو مملوك لسيده، لم يخوله سيده حقا أن يشترى نفسه ولم يأذن له فى تجارة يباشرها ، فهو عبد لايملك من أمر نفسه شيئا، كما أنه ليس له ما يملك ولا القدرة على

تملك شيء. وجاء المثل المضروب للمؤمن بالله وبوحدانيته بأنه الذى رزقه الله رزقا طيبا مستحسنا عند الناس، وهو ينفق منه فى سبيل الله وعلى الفقراء فى جميع الأحوال والأوقات، فيؤدى الزكاة ويعطى الصدقات. فهو مالك من رزق الله، منفق فى سبيله.

وقوله تعالى « هل يستوون» جاء من بعد ضربه المثل لكل من العبد المملوك الذى لا يقدر على شيء، والذى رزقه تعالى رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا، وفيه جاء التعبير عنهما بصيغة الجمع لبيان أنه يندرج تحت كل منهما جمع من الناس، فالتمثيل يتعلق بالمشركين وبالموحدين، وقد يكون هذا دليلا على صحة ما قلناه من تعلق المثلين بالمشرك والموحد وليس بالصنم وبالله تعالى: ولهذا فإننا لا نعول على ما قيل من أن الذى ينفق ماله سرا وعلانية هو هشام بن عمرو وأن العبد الذى لا يقدر على شيء هو عبده أبو الجوزاء، وما قيل من أن الأول هو عثمان بن عفان رضى الله عنه، وأن الثانى هو عبد كان له. والاستفهام إنكارى، أريد به إثبات عدم المماثلة، واظهار أن عدم المماثلة هى ما يدركه أصحاب العقول.

ثم يجيء قوله تعالى « الحمد لله » لبيان أنه تعالى وحده هو المستحق أن يحمد وأن يشكر لأنه ما من منعم غيره.

فالقول يشير إلى سبق ذكره تعالى أنه الذى رزق المنفق سرا وجهرا. ثم إنه لما كان تعالى وحده هو المستحق الحمد، وكان المشركون يعبدون من دونه ما به يشركون.

فقد جاء قوله تعالى «بل أكثرهم لا يعلمون » مبينا أن غالب المشركين يشركون بالله تعالى جهلا منهم أنه تعالى وحده المستحق الحمد دون غيره، وأن القليل منهم يشركون به تعالى وهم على علم باستحقاقه وحده أن يحمد على نعمه، وأنهم يحمدون غيره استكبارا من أنفسهم و إصرارا على الكفر، وقد يكون المراد بأكثرهم هو جميعهم.

فيكون القول مثبتا عدم علمهم جميعا بحقيقة كونه وحده تعالى المستحق الحمد والثناء

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

أولا : الأسـمـاء:

الكَلُّ: هو الثِّقل على غيره يعوله ـ وهذا هو المراد به في معنى الآية ـ وهو الذى لا ولد له ولا والد.

ثانيا: التفسـير:

مفاد قوله تعالى ـ في الآية ـ أنه ضرب مثلا آخر لإيصال المعنى المراد إظهاره من المثل السابق ذكره على نحو أوضح، فجعل مثل المشرك هو الأبكم الذى ولد على هذا فلزمه الصمم فيكون إدراكه الأمور وفهمها على نحو ناقص كما يكون التعبير منه عما يريد التعبير عنه غير كامل وغير مفهوم لجميع الناس ، ثم أظهر تعالى أنه نتيجة عدم إحاطته بالأمور على نحو صحيح، وعدم تعبيره بالتالى عما يريد الإفصاح عنه بما يبين من شأنه أن يجعله غير قادر على ما يتعلق بنفسه أو بغيره على نحو صحيح كامل، ثم إنه يكون عالة على من يتولى أمره يقوم على مصالحه بدلا عنه، ثم إنه إذا بعث به في أمر من الأمور يقضيه له أو مصلحة يحصلها له لم يأت له بالخير الذى كان يأمله منها أو الذى بعثه ليأتى به.

ثم جاء قوله تعالى «هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم» وهو استفهام أريد به إنكار المساواة بين هذا الأبكم الذى لا يقدر على شيء والذى هو كل على مولاه، وبين صاحب المثل الآخر الذى يأمر بالعدل، أى الذى علم الحق، وفرق بينه وبين الباطل، ثم اختار الحق فاهتدى ، ثم كان من الآمرين بالمعروف فأمر بالعدل، وكان بعد ذلك موفقا في خطوه وعمله فهو دائما على الطريق المستقيم الذى يوصله إلى غايته دونما

إضاعة للوقت أو للجهد.

وقيل إن المراد بالأبكم هو الأصنام، فالصنم هو صاحب المثل. وأن المراد بالذى يأمر بالعدل أو صاحب المثل هو الله سبحانه وتعالى، وأن القول فى نفى المساواة بينه تعالى وبين ما يعبد الكافرون. وعلى ما سبق قوله فإننا نرى - والله أعلم - أن صاحبى المثل هما : المشرك والموحد.

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

أولا : الأسماء:

لمح البصر: هو النظر بسرعة. وهو رجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - عود إلى بيان قدراته التى ليست لغيره، فيذكر تعالى أن له غيب السماوات والأرض ، والمراد بالغيب هو كل ما غاب عن الخلق أمره أو العلم به مع وجوده، فهو خلاف الغائب الذى قد لا يكون له وجود. والقول يثبت أن الغيب كله لله، يدخل فيه العلم به، ولا يقتصر عليه، فهو تعالى الذى أوجد الغيب كما شاء ويملك أمره يظهره ، أو يخفيه فيظل غيبا، وهو الذى قدر كيف يكون وعلى أى نحو، وما إذا كان يناله تغيير أم لا.

ثم إنه تعالى ذكر شيئا من هذا الغيب مما أنكره بعض المشركين وهو أمر الساعة أو الوقت الذى تقوم فيه القيامة، قال تعالى فى أمرها إنه كلمح البصر أو هو أقرب ، والمراد بالقول ليس هو إظهار سرعة الوقت الذى تستغرقه وإنما هو إظهار مدى قرب وقوعها عنده تعالى وليس عند البشر، أو إظهار مدى قدرته تعالى على الإسراع فى الإتيان بها أو إيقاعها،

فيكون القول متضمنا معنى التحذير من البقاء على الشرك لأن اقتراب الساعة معناه اقتراب الحساب، ثم إنه تعالى دلل على قدرته فى الإتيان بها بأسرع مما يمكن تصوره بقوله تعالى «أو هو أقرب» بمعنى ما هو أسرع من رجع الطرف أو لمح البصر، لأن لمح البصر يستغرق لحظة تقبل الانقسام، فذكر تعالى أنه قادر على أن يأتى بالساعة فيما لا يقاس بمقاييس الزمان مما لا يقبل التجزئة..

ثم إنه تعالى يؤكد قدرته على هذا بقوله تعالى « إن الله على كل شىء قدير»، فهو تعالى قادر على كل شىء يتخيله البشر أو لا يتخيلونه، ومن جملته الإسراع فى الإتيان بالساعة.

وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

التفسير:

يخبر تعالى ـ فى الآية ـ عن آية من آيات خلقه فى الإنسان مما يعتبر من قبيل النعم المنعم بها عليه. فيذكر تعالى أنه أخرج كل إنسان من بطن أمه طفلا جاهلا لا يعلم شيئا مما أحاط به ولا مما ينفعه أو يضره. وقيل إن الذى لا يعلمه هو ما أخذ عليه من الميثاق، وقيل إنه ما يتعلق بسعادته أو شقائه، وقيل إنه العلم بما ينفع وما يضر. وقد يكون المراد بما لا يعلمه الإنسان لحظة ولادته ـ على ما يبين من باقى نص الآية ـ هو ما يحيط به فى الحياة وما يتعلق بمصلحته، فيدخل فى هذا ما يحيط به علمه عن طريق السمع والإبصار والأفئدة فيما بعد شاملا أمور العقيدة والدين وأمور الحياة.

وقوله تعالى « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون» هو ذكر لنعمة من نعمه تعالى على الإنسان تتمثل فى بعثه تعالى الحياة فى الحواس التى أنشأ أعضاءها فى جسم الإنسان خلال تكوينه فى رحم أمه ثم جعل الإدراك فيها لاحقا على ولادته من بطن أمه بفترة زمنية. وبحاسة السمع يسمع مبادىء العقيدة وأحكام الشريعة، وبما يسمع يكون

منه الكلام لا يكون بغير السمع، وبجاسة الإبصار يدرك المحسوسات ويشاهد آيات الله فى خلفه ويزداد علمه، وبالفؤاد - والمراد به العقل - يكون الفهم فيتحول ما تم تحصيله بواسطة السمع والإبصار إلى معرفة يفترض أن تكون دافعا للإيمان وفيه صالح الإنسان. ثم إنه لما كان هذا من قبيل النعمة التى توجب على الإنسان شكر المنعم عليه بها فقد جاء قوله تعالى « لعلكم تشكرون»

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

التفسـير:

قوله تعالى - فى الآية - فى بيان آية من آيات خلقه تعالى الدالة على وحدانيته، جاء ذكرها فى صيغة استفهام ينكر على الذين لا يعتبرون عدم اتخاذهم من الآية دليلا على وحدانيته تعالى ، فيكون الضمير فى « يروا» عائدا إلى جميع المخاطبين بقوله تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم» أى إلى جميع الناس.

والذى رآه جميع الناس هو وجود الطير مهيأ للطير فى الهواء من الله تعالى يكون طيره فى الغلاف الجوى الكائن بين السماء والأرض فيما فيه هواء. وقوله تعالى « ما يمسكهن إلا الله» يفيد أن وجود الطير فى الهواء وعدم سقوطه ليس إلا فعل الله تعالى أوجد له أسبابا ليعلم الناس أن يتخذوا الأسباب لبلوغ الغايات ، دون إخلال بكون قدرته تعالى هى السبب الفعال. ولهذا جاء قوله تعالى « إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » فإدراك الآيات يبين من معرفة أن ما يعتبر جدا أعلى للطيور كان من الزواحف الثقيلة الوزن وهو المسمى «أركيوبتريكس» كان له منقار مسلح بأسنان الزواحف وذيل طويل مكون من فقرات عظمية إلا أن جسمه كان مكسوا بالريش، وكانت آية الله هى أن يطير هذا الوحش فى الهواء، ثم جعل

الله منه الطيور مختلفة أنواعها وأشكالها مشتركة فى صفات جعلت لها بغير إرادتها تمكنها من الطيران مما يدل على أن خالقها جميعها هو الله الواحد الأحد، وهو ما يفترض أن يعرفه الذين من شأن قلوبهم أن تؤمن للدليل ولا تصر على الكفر فهم الذين يؤمنون فى قوله تعالى « لقوم يؤمنون ».

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾

أولا: الأسماء:

الظعن : فى قوله « يوم ظعنكم » هو سير البادية ، وهو الترحال.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى فى الآية فى ذكر نعم أنعم بها على الناس المخاطبين بالقول، يذكر تعالى أنه جعل مما يستفاد به من بيوتهم أنها سكن لهم بمعنى أنها تكون موضع سكونهم واطمئنانهم، والمراد بالبيوت هو ما يتخذه الناس محالا للإقامة المتصفة بالدوام. ثم إنه تعالى أوضح أنه الذى جعل جلود الأنعام مسخرة صالحة لأن يتخذ منها الناس بيوتا بأوون إليها فى غير حالات استقرار الإقامة ودوامها، وهو ما يكون فى حال الترحال وحال الإقامة المؤقتة فى أماكن مختلفة أثناء الترحال والتنقل، وبين علة اتخاذ البيوت من جلود الأنعام بقوله تعالى « تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم » فهى خفيفة الوزن ولهذا يستخف الناس حملها عند ضربهم فى الأرض ولدى إقامتهم إقامة مؤقتة ، والمراد بهذا هو اتخاذ القباب والخيام من جلود الأنعام.

ثم ذكر تعالى أنه جعل أصواف الأنعام وأوبارها وأشعارها مسخرة لأن يفيد منها الإنسان

باتخاذها أثاثا من أثاث البيت، ومتاعا يتمتع به ويتجر به وفيه، يكون إلى أجل هو بلاء المتاع أو موت المنتفع به والمتمتع.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

أولا: الأسمـــاء:

١ ـ **الأكنان** :في قوله تعالى « وجعل لكم من الجبال أكنانا» جمع، مفرده « الكن» وهو ما يحفظ ويصون من الريح والمطر. والمراد باللفظ ـ في معنى الآية ـ مغارات الجبال.

٢ ـ **السرابيل**: في قوله تعالى « وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم» جمع، مفرده «سربال» وهو كل ما يلبس.

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ بعض نعمه على الإنسان التي يستوجب نظرها وتدبرها أن يكون منه الإيمان والتوحيد ، فيذكر تعالى أنه أوجد لصالح الإنسان ممَّا خلق، دون تدخل من الإنسان بفعل، ما يكون له فيه أن يستظل من الشمس وحرِّها، يدخل في هذا الغمام، والجبال ، والأشجار. كما أنه تعالى أوجد في الجبال غيرانا يحتمي فيها الإنسان من الريح ومن المطر. كما ذكر تعالى أنه الذي أوجد للإنسان ولصالحه خامة ما يلبس فيكون له الحماية والوقاية من الحرِّ، والمستفاد من ذكر الحرِّ هو بيان أن الحماية تكون من البرد أيضا، فاكتفى بذكر الحرِّ عن ذكر ضده بصريح القول . ثم إنه تعالى أتبع هذا بأنه جعل للإنسان مما خلق ما يلبس لتكون به الوقاية من بأس الإنسان ، بمعنى اتقاء ما يقع من بعضه على

بعض من أعمال الشدة والعنف التى تبلغ أقصاها فى الحروب، والمراد بها ـ على هذا ـ هو الدروع والخوذات وما شابهها. والقول ـ بهذا المعنى ـ يشير إلى وجوب عمل المجاهد فى سبيل الله على حماية نفسه في الحرب باتخاذ الدروع واللأمات والخوذات : وعدم تعريض نفسه لخطر الموت .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ « كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون » هو خطاب لعموم الناس، يقول لهم سبحانه وتعالى أنه على ذلك النحو الذى كان منه تعالى فى خلقه مخلوقات يكون منها خير الناس وفائدتهم، فإنه تعالى يوجد لهم فى المستقبل من خلقه ما ينتفعون به، أو إنه تعالى يعلمهم الانتفاع من مخلوقات كانت موجودة ولم يكونوا ينتفعون منها بشىء فتستمر نعمته عليهم وتتجدد، وهو ما يستوجب النظر فى هذه النعم والإيمان بموجدها وتوحيده، والاستسلام له والانقياد وإسلام الوجه ، بمعنى الإيمان والإسلام بالمعنى العام. ويقبل القول ـ بالنظر إلى موضعه فى القرآن العظيم ـ أن يكون المراد هو الإيمان بالإسلام الذى دعا إليه رسول الله ﷺ .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ٨٢

التفسير:

قد يكون قوله تعالى ـ فى الآية ـ دليلا على أن المراد بالإسلام فى قوله تعالى ـ فى الآية السابقة ـ « لعلكم تسلمون» هو الإسلام الذى دعا إليه رسول الله ﷺ . فالخطاب ـ فى الآية ـ موجه إليه ﷺ . ومفاد القول هو أنه إذا كان من المشركين الذين تدعوهم إلى الإيمان والإسلام توليهم عما تدعوهم إليه وإعراضهم، فإنك غير مكلف بهدايتهم إلى ما تدعوهم إليه، فما كلفت به هو مجرد الإبلاغ المبين، تبلغهم ما أنزل إليك من ربك وتبينه لهم.

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ ٨٣

التفسـير:

قولـه تعالى ــ فى الآية ــ فى هؤلاء الـذين تـولوا عن رسـول الله ﷺ وأعرضوا عـن قبول الإسلام دينا. يقول تعالى فيهم إنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، والمعنى أنهم يعرفون النعم المنعم عليهم بهـا ويكفرون بها كفرانا يعتبـر إنكارا لها، من هـذا أن يقولوا إنهم ورثـوها عن آبائهم، أو إنها دانت لهم بشفاعة معبوداتهـم، أو بجهد بشر، فيكون هذا منهم جحودا للنعمة وإنكارا للمنعم الحق. ويقبل القول أن يكون المراد بالنعمة ـ فى معنى الآية ـ رسول الله ﷺ، يعرفون أنه رسول الله ثم ينكرون ما يعرفون عنادا من أنفسهم وإصرارا على الكفر.

وقوله تعالى « وأكثرهم الكافرون» يقبل أن يكون معناه أن أكثر الذين يعرضون عن رسول الله ﷺ ينكرون ثبوته فى قلوبهم، وأن غيرهم يعرف فى قلبه أنه رسول الله لكنه يعزف عن الإيمان وإعلانه. ويقبل أن يكون معنـاه أن الكثيرين من المعرضين يبقون على كفـرهم؛ ولهذا دُعوا «الكافرون» فيكون القول مشيرا إلى أنه يكون من المعرضين من يسلم ويعلن إسلامه.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٨٤﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ من قبيل الوعيد للمعرضين عن دعوة رسول الله ﷺ المصرين على الكفر، فيه يخبر تعالى عن بعض ما يكون يوم الـدين إذ يبعث الله تعالى من كل أمة مما خلق من يشهد لهم بالإيمان والطاعة أو عليهم بالكفر والعصيان، وهو نبى كل أمة من الأمم.

وقولـه تعالـى « ثم لا يـؤذن للذين كفـروا ولا هم يستعتبـون» يفيد أن الـذين يشهـد عليهم الشهود أو الرسل هم الكافرون، ثم إنه يفيد أنهـم لا يؤذن لهم فى الاعتذار عن الكفر الذى كان منهم فى الحياة الدنيـا، ويتصور فى المعنى أنهم يستأذنون فى ذلـك فلا يؤذن لهم، ويتصور فيه أنهم لا يمكنـون من الاستئذان أصلا فـلا يكون لهم بالتـالى إذن فى الاعتذار. وقيـل إنهم

حين يرجون العودة إلى الحياة الدنيا ليؤمنوا وليعملوا صالحا، لا يؤذن لهم فى الرجوع.

ثم أوضح تعالى أنهم لا يستعتبون بمعنى أنه لا يطلب منهم أن يزيلوا غضب ربهم بالتوبة والعمل الصالح ، وذلك لفوات وقت التوبة وقبولها وحلول وقت الجزاء.

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

أولا: الأسمـــاء:

الغذاب: قيل إن المراد به ــ فى معنى الآية ـ هو العذاب على معنـاه ، وقيل إن المراد به هو جهنم.

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى الذين كفروا، وصفهم تعالى شأنه فى الآية بأنهم الذين ظلموا لبيان أن ما يرون من العذاب هو فعلهم بأنفسهم التى ظلموها بتعريضها له. يذكر تعالى أنهم يرون مـا أعد لهـم من العـذاب الذى استحقـوه أو يرون جهنـم دار العذاب، ويعـاينون هـذا العذاب الذى لا يخفف عنهم منه شىء ولا يمهلون فى نزوله بهم فهو عذاب يبغتهم.

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

أولا: الأسمـــاء:

الشركاء: فى قولـه تعالى « وإذا رأى الذيـن أشركوا شركـاءهم» قيل إن المراد بهـم ـ فى معنى الآية ــ جميع ما عبد المشـركون من دون الله تعالـى من ملك وشيطان وآدمـى وصنم،

وقيل إن المراد بهم هم الشياطين.

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - ما يكون من الأمر عندما يشاهد الذين أشركوا بالله تعالى معبوداتهم التى أشركوا بالله تعالى يعبادتهم - يوم الدين.

فيخبر تعالى أن المشركين يقولون بألسنتهم أو تقول جوارحهم إن هؤلاء هم الذين كانوا يعبدونهم فى الدنيا من دونه تعالى.

وقد يكون سبب قولهم هو اعتقادهم أنهم يقاسمونهم العذاب، أو أنه ينقص لهم من عذابهم شيء نتيجة إشراك معبوداتهم معهم فيه.

وقوله تعالى « فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون» .

يفيد أن المعبودات تنفى عن أنفسها تهمة اشتراكهم مع المشركين فى فعل الشرك بالله تعالى، فهى تلقى بالتهمة فى وجه المشركين وتكذبهم فيما يدعون .

ويقبل أن يكون محل التكذيب هو ما جاء بقول المشركين أنهم كانوا يعبدون معبوداتهم من دون الله تعالى، لكن الصحيح أنهم إنما كانوا يعبدون خيالات توهموها زعموا أنها تتمثل فيهم.

ويقبل أن يكون محل التكذيب هو الزعم بأن المعبودات ومنهم الشياطين قد أجبروا المشركين على عبادتهم.

كما جاء بقول إبليس « وما كان عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى» .

فيكون المعنى أن المشركين قد عبدوا الشياطين إرضاء لأهوائهم أنفسهم وليس استجابة لدعوة الشياطين.

■■■■■■

﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى ما يكون من المشركين يوم القيامة من إشارة إلى معبوداتهم واصفينها بأنها ما كانوا به يشركون ، وتكذيب معبوداتهم لهم بإظهار المشركين إنما كانوا يعبدون أهواءهم فى واقع الأمر، فإنه تعالى يذكر - فى الآية - ما يكون من المشركين حالئذ ، جاء التعبير عن عملهم بالفعل الماضى « ألقوا » لبيان حتمية وقوع المخبر عنه وهو استسلامهم لله تعالى والانقياد لحكمه فيهم . وقيل إنهم وما كانوا يشركون يستسلمون لقضاء الله فيهم ،وقد يبيِّن اقتصار الفعل عليهم قوله تعالى من بعد « وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون » إذ يعود الضمير فى « عنهم » إلى المشركين فيكون معنى القول أنه قد بطل ما كانوا يفترون فى دنياهم من قولهم إن لله تعالى شركاء أو إنهم ينفعونهم .

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى الكافرين الذين كفروا بالله تعالى وبرسوله ﷺ ، وزادوا على ذلك صدَّهم الناس عن الإيمان بدين الإسلام الذى هو السبيل إلى رضائه تعالى ، والمعنى أعم من مجرد المنع عن الدخول فى الإسلام ويشمل كل فعل يحول بين الناس وبين الدخول فى الإسلام ، يخبر تعالى أنه يزيدهم عذابًا فوق العذاب ، ثم أوضح تعالى أن زيادة العذاب لهم تكون عدلاً بإظهار أنها جزاء على إفسادهم ، والمراد به هو صدُّهم الناس عن سبيل الله ، يكون لهم به عذاب فوق العذاب الذى استحقوه بكفرهم .

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

أولاً : الأسماء :

الشهيد : فى قوله تعالى « ويوم نبعث فى كل أمة شهيدًا قيل إن المراد به هو نبى كل أمة ، وقيل إن المراد به - فى غير أزمنة الرسل - الصالحون الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وقيل إن المراد به هو من يبعثه الله فى كل قوم فى الدنيا يصحح لهم العقيدة وينصح لهم .

ثانيا : التفسير :

لما ذكر تعالى عذاب الكافرين يوم القيامة فإنه تعالى أثبت - فى الآية - كيفية إقامة الحجة عليهم يوم القيامة والتدليل على إيمان المؤمنين رغم علمه تعالى بما كان فى القلوب وما كان من الأفعال ، فيكون القول مشيرًا إلى وجوب إقامة الدليل لصالح من يقوم فيه القضاء أو ضده وعدم قضاء القاضى بعلمه الخاص ، فليس من يعدل الله تعالى فى العلم ، وهو يقيم الحجة على الكافرين بشهادة أنبيائهم الذين يكونون منهم ، ولا يعد لوط عليه السلام استثناء من هذا لأنه حين تزوج من أهل سدوم وسكن معهم اتخذهم قومًا له . ثم إنه تعالى أخبر رسوله ﷺ أنه يجىء به يوم القيامة شهيدًا على أمته ، يدخل فيها من عاصره ﷺ ومن لم يعاصره وقيل إن شهادته ﷺ على أمته تكون تزكية لهم بعد شهادتهم على تبليغ الرسل أقوامهم ما أرسلوا به حسب ما علمت أمة رسول الله ﷺ من كتابها .

والقول بأن تزكيته ﷺ أمته فى شهادتهم على غيرهم من الأمم بماعرفوه من كتابهم هو شهادته ﷺ على أمته ، يكون - على هذا النحو - مرتبطًا بقوله تعالى « ونزلنا عليك الكتاب

تبيانًا لكل شىء » لأن مفاده أن القرآن العظيم قد تضمن بيان كل شىء ومنه تبليغ الرسل أقوامهم بما أرسلوا به وهو ما علمته أمة رسول الله ﷺ وشهدت به على غيرها من الأمم .

وفى القول جاء التعبير عن القرآن العظيم بأنه الكتاب فدل القول على أنه إذا أطلق لفظ الكتاب كان المراد به القرآن العظيم لكونه الجدير وحده أن يدعى « الكتاب » كما تضمن القول إثبات أنه تعالى الذى نزله على رسوله ﷺ ، ثم بين تعالى أنه تبيان لكل شىء ، فهو مبين أمر العقيدة ومبين الشريعة أو الأحكام التى تنظم أحوال الخلق إلى يوم قيام الساعة . ثم إنه تعالى أثبت أنه هدى ورحمة ، فهو يهدى إلى الإسلام طريق الله المستقيم ، وهو رحمة للناس يخرجهم من الكفر والعصيان وبهما يكون العذاب إلى الإيمان والطاعة وبهما يكون الثواب فيكون للناس رحمة كما أن فى أحكامه وماجاء بها من حدود وقصاص وتعزير رحمة بالناس إذ يكون بهذه العقوبات شفاء النفوس والحد من شهوة الانتقام وتحقيق الردع ، ثم إنه يكون بشرى للمسلمين بكونهم الذين آمنوا به وعملوا فيكون لهم حسن ثواب الآخرة فيكون إيمانهم به تبشيرًا لهم بحسن المآل فى الآخرة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

أولاً : الأسماء :

١ ـ العدل: قيل إن المراد به – فى معنى الآية – هو قول لا إله إلا الله ، وقيل هو الفرض ، وقيل هو استواء ما يسر الإنسان داخل نفسه ، وقيل هو الإنصاف وقيل هو التوسط بين الإفراط والتفريط وقد يكون المراد – والله أعلم – هو الإنصاف فى كل شىء وتجنب الظلم .

٢ ـ الإحسان : قيل إن المراد به فى معنى الآية – هو النافلة ، وقيل هو التفضل ، وقيل هو فعل كل مندوب إليه ، وقيل هو إحسان الأعمال والعبادة ، وأعلى مراتبه الإحسان إلى المسىء .

٣ ـ المنكر : قيل إن المراد به - فى معنى الآية - هو ما ينكره الطبع السليم ومنه الإفراط فى إظهار الغضب ، وقيل هو الإثم الذى لا يوجب عقوبة الحد ويستوجب عذاب الآخرة .

٤ ـ البغى : هو الكبر والظلم والتعدى

ثانيا : التفســـير:

الآية مـن الآيات التى تتضمن بيـان مكارم الأخلاق وتحض عليهـا وتأمر بها ، أو هـى من الآيات التى تتعلق ببنـاء مجتمع المسلمين أو الدولة الإسلامية ، وربما لهـذا كان مجيئها بعد ذكر أنه تعالـى نزل القرآن على رسول الله ﷺ تبيانـًا لكل شىء ، فمن بعد بيان أسـاس تكوين الفرد المسلم جاء بيان الأساس الصحيح للدولة الإسـلامية ، فهى تقوم على أسس ودعامات تتمثل فى امتثال مجموعة من الأوامر والانتهاء عن مجموعة من النواهى .

فمن المـأمور به العـدل ، وكما قيل هـو أساس الملـك ، فالحاكـم يعدل فى حكمـه وفى سياسته ، والـراعى يعدل فى رعيتـه ، فيمتثل المحكوم لإرادة الحاكـم لاطمئنانه إلى عـدله ، ويكون لجوء المتخاصمين إليه بدلاً من الدوران فى حلقات الانتقام والثأر .

ومن المأمور به الإحسان ، وهو فى كل شـىء من عبادة وعمل ، وأعلى مراتبه الإحسان إلى المسىء ، عندمـا يشيع فى المجتمع يكون التكـافل واختفاء الحسد بين النـاس ، وبالإحسان إلى المســىء يستشعر المسىء جرمـه فى حق المحسن إليـه فيثوب إلى رشده ويحـل الوئام محل التحاسد والخصام .

ومن المأمور به إيتاء ذى القربى ، بمعنى وصـل الأقارب سواء أكانوا من جهة الأب أم من جهة الأم والبـر بهم ، وبه تتجمـع القلوب فى الأسر والعـائلات ومنها يتكون المجتمـع الذى يصبح بوصل ذوى القربى متعاونًا فى الخير مجتمعًا فى حب الله وطاعته .

ومن المنهى عنه « الفحشاء » والمراد بها كل ما هو فاحش من الفعل أو القول ، فهو تعالى لا يحب أن تشيـع الفاحشة فـى مجتمع المسلمين ، ولهـذا أمر بستر مـا لم يعرف منهـا وعدم إذاعته ولو بالمعـاقبة عليه بالتعزير ، وليست الفـاحشة هى ما يعاقب عليـه بحد من حدود الله فقط و إنمـا هى كل ما هـو دونه أو لـم تكتمل فيـه شروط إيقاع عقـوبة الحد . وينبئنا التـاريخ

وتعرفنا أحداثه أنـه ما من مجتمع شاعت فيه الفاحشة إلاكان هـذا سببًا لانهياره ، وربما لهذا السبب يعمل أعداء الله على إشاعة الفاحشة فـى الدول الإسلامية مستخدمين فى هذا وسائل الإبهار فى عروض يصفـونها بأنها فن وإبداع تمكـن شعوب هذه الدول من مشاهـدتها ، وفى كتابات تطرح فيهم ليعم فيهم فكر يقبل الفاحشة ويتمنى شيوعها .

ومن المنهى عنه « المنكر » وهو كل ما تنكره الطبيعة السـوية ولو لم يكن معاقبًا عليه بحد من حدود الله ومنه مراقصة امرأة الرجل فى حضوره رجلاً غريبًا عنها يضمها إليه وتضمه إليها ، ومنه أن يكون للفتـاة أو للمراهقة صديق بدعـوى التطور العصرى بعلم أهلها حال كـونها فى سن لا تحسـن فيها تقـدير عـواقب الأمـور ويغلب عليهـا الضعف أمـام الرغبـات ، ذلك أن مجتمعًا يقبل عموم أفراده المنكر لا يجد لديه عزمًا على مقاومة اعتـداء يقع عليه من عـدو ـ وهو منكر ـ لأنه لا يستهوله، فيكون منه الرضاء به والقبول .

ومن المنهى عنه أيضًـا « البغى » وهو تجبر القوى على الضعيف وأكل حقـوقه ،فهو يورث البغضاء ويحل العداء محل الصفاء فيكون التعادى بيـن أفراد المجتمع حتى ليقبل فريق من المجتمع التعاون مـع أعداء الله والوطن لينصروه علـى عدوه من بنى وطنه أو لينتقمـوا له منه ، ولدينـا الأمثلة على هـذا فيما كان مـن خيانات وقعـت فى العصر المملـوكى فى مصـر ،وفى أواخره قبيل تولية محمد على باشا أمور البلاد ، وما وقع أثناء الثورة العرابية .

وقوله تعـالى - فى ختام الآيـة - «يعظكم لعلكم تذكـرون» هو تنبيه للمسلمين بـوجوب تذكر ما جاء فى القول من أوامر ونواه مع الإعلام بوجوب الاتعاظ به بما يفيد الإعلام بأنه أريد به صالحهم وصوالح مجتمعاتهم .

وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾

التفســير:

قيل إن الآيـة نزلت فـى بيعة النبى ﷺ وأن قولـه تعالى متعلـق بها على وجـه الخصوص، والذى نراه - والله أعلـم - أن سبب النزول لا يمنع مـن عمومية النص ، وأن ارتبـاط النص بما سبقه من بيان دعائم قيام الدولة الإسلامية على أساس سليم قائم واضح .فالأمر بالوفاء بعهد الله إذا تـم التعاهـد يشمل أفـراد المجتمع ويشمـل دولة المسلميـن فعدم الالتـزام خيانـة ، والخيانة خسة فى الطبع لا يتصف بها المؤمن ، ولأن الوفاء بالعهد من شأنه أن يدفع المعاهد إلى الوفاء- في المقابل - كما أن الخيانة تدعو إلى الخيانة وتدفع غير المعاهد إلى عدم الثقة فى عهـد يقطعه من خـان عهده على نفسـه ، وليس هـذا فى صالـح الفرد المؤمـن ومجتمع المؤمنين .

والنهى عن نقض الأيمـان بعد توكيدها قيل فيـه إنه تخصيص بالنهى عن بعـض المأمور بالوفاء بـه معلوم بالضرورة من عمومية المـأمور به .والذى نراه - والله أعلم- أنـه أريد بالنص على النهى عن نقض الأيمان بعد توكيدها إظهـار جسامة نقض العهد الموثق بحلف اليمين لتضمنه خيانة يميـن الله فضلاً عن خيانة المعاهـد بدلالة اعتبار المعاهد المحـالف شاهدة على الحلف وكفيله فيه رب العالمين « وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً » .

وقوله تعالى - فى ختام الآية - « إن الله يعلم ما تفعلون » هو تحذير من نقض العهود ببيان أنه تعـالى يعلم مـا يكون فـى النفوس عند الالتـزام بالعهد مـن رغبة فـي الوفاء أو عـزم على النقض، وأنه يعلـم ما يكون من وفـاء بها ومن نقض لها ، وأنـه تعالى مجاز بمـا علم ،فيكون القول مشيرًا إلى اعتبار أمره تعالى بالوفاء بالعهود مما يعاقب على مخالفته فى الآخرة باعتباره إثما يستوجب العقاب .

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

أولاً : الأسماء :

١ ـ **الأنكاث** : فى قولـه تعالى « كالتـى نقضت غزلها مـن بعد قوة أنكاثًـا » جمع ، مفرده «نكث » ، وهو مـا ينكث فتله، بمعنى أنـه يحل من بعد تماسكـه على هيئة ما يكـون له طول وعرض .

٢ ـ **الدخل** : فى قوله تعالـى «تتخذون أيمانكم دخلا بينكم» هو ما يـدخل الشىء مما لم يكن منه أصلا. كنى به ـ فى الاستعمال ـ عـن الفساد والعداوة، وقيل إنه يعنى الغدر والخيانة فى معنى الآية .

٣ ـ **الأربى** : فى قولـه تعالى «أن تكون أمـة هى أربى من أمـة» هو الأكثر من الفعـل «ربا ـ يربو» والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الأكثر قوة أو أكثر مالا وعددا .

ثانيا : التفسـيـر:

بعد أن نهى تعالـى عن نقض العهد، جاء ـ فـى الآية ـ بمثل يوضح حـال ناقضى العهود ليتمثله المخاطبون بالنص فى مخيلتهم فيتحرزون أن يشابهوا صاحب المثل المضروب. وفى النص شبه تعالى ناقضـى العهد بامرأة تنقض مغزولها من بعد إبرامـه وإحكامه ليعود خيوطا، وهو عمل لا يقدم عليه عـاقل أو عاقلة لأن فيه تبديدا للوقت والجهد وإضـاعة لهما، وقد قيل إن امرأة بعينهـا كانـت تفعل هـذا هى ريطـة بنت عمرو وقيـل هى سعـدية الأسـدية، كـانت مجنونـة، وأنها شكـت جنونهـا إلى رسـول الله ﷺ فقال لهـا «إن شئت دعـوت فعافـاكى الله تعالى، وإن شئت صبرت واحتسبت ولك الجنة» وأنها اختارت الصبر والجنة .

وقوله تعـالى «تتخذون أيمانكـم دخلا بينكم» جاء حالا للمخـاطبين بالنص الـذين يعود إليهم الضمير فى «لا تكونوا» والمعنى أنهم يكونون متخذين أيمانهم وسيلة للغدر والفساد .

ثم إنه تعالى بين أسباب نقض المعاهدين عهـودهم وأيمانهم للتحذير من أن تكون باعثا على نقض المسلمين عهودهـم فقال تعالى «أن تكون أمة هى أربى مـن أمة» فبين أن أسباب نقض العهد تتمثل فـى المصلحة التى يراها المعاهد فـى محالفة قوم أكثر مما عـاهدهم من

قبل فى القوة وفى المال والعدد فينقض عهد من عاهد ليعاهد القوم الأقوى، فجاء قوله تعالى للنهى عن أن يكون هذا أو غيره سببا دافعا إلى نقض العهد والأيمان .

ثم إنـه تعالى أظهـر أن مثل هذا السبب وهـو ظهور المصلحة فـى نقض العهد لمعـاهدة الأقوى هو من قبيل الاختبـار الذى يتعرض له المخاطبون بالنص، وقيـل إن الاختبار يتمثل فى الأمر بالوفاء بالعهد، فهو اختبار يكون به ظهور من يطيع الأمر بالوفاء بالعهد وظهور من يعصاه، ولهذا جاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون» فأظهر أنه تعالـى يجازى يوم القيامة ما يقـع من قوم يطيعونه فيما أمـر به فيوفون بالعهد، ومـا يقع من آخرين على خلاف هذا من نقض للعهد .

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يسائل الناس يوم القيامـة عما اختلفوا فيه من وفاء بالعهود أو نقضها وهو إحدى صور اختلاف الناس أو أحد مظاهر ما يكون بينهم من اختلاف، فإنه تعالى ذكر فى الآية الاختلاف الأكبـر بين الناس وهو الاختلاف فـى العقيدة بين الإيمان بـدين الله المستقيم وبين الكفر به فأظهر تعالى أنه لم يشأ أن يجعل الناس أمة واحدة متفقة على الإسلام، ثم إنه تعالى بين أن مظهر عدم المشيئة يتمثل فى إضلاله تعالى من يشاء عن الطريق المستقيم دين الله وذلك بعـدم الحيلولة بينه وبيـن الضلال الذى اختاره وعلـم تعالى من الأزل أنـه يختاره، كما أنـه يتمثل فى هـدايته من يشـاء ، بمعنى تيسيـره تعالى الهـدى لمن علم منـذ الأزل أنه يختاره.

وقوله تعـالى ـ فى ختام الآية ـ «ولتسألن عما كنتم تعملـون» هو بيان لواقع أنه تعـالى لم يجبر الكافرين على الكفر والضلال، وأنه اختار الكفر بإرادته، ولا يعنى أنه تعالى جرت مشيئته

أن يكون كافرا أنه قسره على هذا أو أكرهه، وإنما جرت مشيئته بما هو فى علمه تعالى منذ الأزل أنه يكون اختيار الكافر، ولهذا كانت مساءلته الكافر ومحاسبته بكفره عدلا منه تعالى، كما أنه بإثابته المؤمن الذى هداه إلى الحق برحمته إنما يثيبه لاختياره الإيمان بإرادته وإن كان تعالى قد يسر له الإيمان والهدى .

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾

التفسير:

قيل إن قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو نهى عن اتخاذ اليمين فى العهود وسيلة للغدر والفساد بصفة عامة بعد أن نهى تعالى عن اتخاذها وسيلة لهذا بسبب كون قوم أربى من قوم قوة ومالا وعددا، والذى نراه ـ والله أعلم ـ أنه بعد أن نهى المخاطبين بالنص عن اتخاذ أيمانهم دخلا بينهم، فإنه تعالى خاطب مجتمع المسلمين أو الدولة الإسلامية فنهاها عما نهى عنه المسلمين، دليل ذلك أنه بعد أن وجه النهى إلى مجموع «ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم» أفرد النص ما يكون منه الزلل «فتزل قدم بعد ثبوتها» فبين انصهار المجموع فى شخص واحد، وهو الدولة تتكون من مجموع أفراد، كانت على الإيمان بحكم أنها دولة إسلامية، ثم يكون منها الزلل بنقض العهد واتخاذ الأيمان وسيلة للغدر والفساد، وقوله تعالى «وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله» هو بيان منه تعالى أن يعذب بعذاب الدنيا مجتمع الذين كانت منهم الخيانة دون اختصاص الخائنين عهدهم والناقضين أيمانهم بهذا العذاب على ما جاء بقوله تعالى «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة».

ثم أظهر تعالى أن سبب العذاب الدنيوى الذى يذوقه المجتمع هو صده عن سبيل الله، بمعنى صده عن الوفاء بالعهد والأيمان، يكون الصد من الذين باشروا نقض العهد بفعلهم، ويكون من غيرهم بعدم النهى عنه، أو بالموافقة عليه وقبوله، ثم إنه تعالى بين أنه يكون للذين يتخذون أيمانهم دخلا بينهم من فاعلين وراضين به عذاب عظيم يوم القيامة لمخالفتهم ما

نهى عنه تعالى مما يعتبر عصيانا يستوجب العقاب .

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

عهد الله : قيل إن المـراد به ـ فى معنـى الآية ـ هـو بيعته رسول الله ﷺ التى نقضهـا بعض أهل مكة حيـن اعتقدوا غلبة قريـش لما رأوا من قوتهـم واستضعافهم المسلمين. وقـد يكون الصحيح ـ والله أعلم ـ هو عمومية العهود، أو العهود عامة بقطع النظر عن أسباب النزول .

ثانيا : التفســـير :

نهى تعالى ــ فى الآية ـ صراحة عـن أن يستبدل بعهد الله نفع من منافـع الدنيا أو مصلحة من مصـالحها فى مقابـل نقض العهد، أو يكون ثمنـا له. ثم إنـه تعالى بين أن أى نفـع يكون مقابلا لنقض العهد يكون ثمنا قليلا، فهو قليل فـى قدره، قصير فى مدته لأنه لا ينتفع به إلا فى حياة صاحبه فى الحياة الدنيا .

ثم إنه تعـالى بين أن جزاء الـوفاء بالعهد الـذى يدخره تعالـى للموفين بعهوده تعـالى فى الدنيا والآخرة يفضل أى مقـابل يحصلون عليه نظير نقض العهد «إنما عنـد الله هو خير لكم» فيكون القـول حثا على الوفـاء بالعهد وعدم نقضـه. وقوله تعـالى «إن كنتم تعلمون» أريـد به الإعلام بأنه حق أن ما عنده تعالى من جزاء للموفين بعهودهم يفضل أى نفع دنيوى يحصلون عليه من نقضها .

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

التفسـير:

بعد أن نهى تعالى عن استبدال الثمن القليل بعهده تعالى فإنه تعالى بين فى الآية علة هذا النهى فأوضح أن أى نفع يحصل عليه ناقض العهد مقابلا لنقضه عهده مصيره إلى النفاد سواء بالتلف والهلاك أو بالإنفاق، أو بانقضاء الحياة وتركه لاينتفع به. ثم بين تعالى علة أفضلية ثوابه تعالى على هذا النفع ببيان صفة من صفات ما أعد تعالى للموفين بعهده وهى البقاء والدوام «وما عند الله باق» وصف ثوابه وجزاءه تعالى بأنه عنده تعالى بمعنى أنه محتفظ به عنده تعالى للموفين بعهده.ثم أخبر عنه بأنه باق لايزول ولا ينفد. فيكون المتصور من ذوى العقول هو الحرص على نيل الباقى الذى لايزول والإعراض عن العرض الزائل النافد .

وقوله تعالى «ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» تضمن عدة معان، فقد وصف الموفين بعهودهم بأنهم صابرون، وذلك لصبرهم على التزام عهودهم وعدم نقضها، باعتبار هذا الالتزام مما أمر به الدين فيكون فيه تحمل مشقة فى طاعة الله خاصة إذا ما تعرض الموفون لعهودهم لأذى المشركين بسبب وفائهم بعهودهم، ثم إنه تضمن أنه يكون لهم ثواب صبرهم على الوفاء بعهودهم، وصفه تعالى بالأجر لبيان لزوم حصولهم عليه كما يحصل العامل على أجره، كما تضمن القول بيان أن حصول الموفين بعهودهم على هذا الثواب المعادل للأجر يكون جزاء لأحسن أعمالهم ـ والمراد به الصبر ـ فيكون القول مظهرا أن الصبر هو أحسن الأعمال التى يعملها المؤمن، ثم إن القول يؤكد بصريح العبارة «ولنجزين» أنه تعالى متفضل على الصابرين بما وعدهم من حسن الجزاء .

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يجازى الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، فإنه بقوله

تعالى في الآية أزاح الوهم عن الاعتقاد في أنه تعالى لا يثيب إلا على الصبر من الأعمال الصالحة، فجاء قوله تعالى مبينا أنه تعالى يثيب على جميع الأعمال الصالحة.

ثم إنه تعالى لما كان الخطاب في الآية قد يفهم منه أنه أريد به الذكور دون الإناث فإنه تعالى أزاح بقوله «من ذكر أو أنثى» مثل هذا الاعتقاد من بعض النفوس التي قد تعتقده، فأثبت تعالى تساوي الإناث والذكور في نيل ثواب العمل الصالح.

وفي القول بين تعالى شرط الإثابة على العمل الصالح وهو شرط الإيمان، والمعنى هو أن الكافر لا يثاب على عمله الصالح وإن كان ينال به نفعا في حياته الدنيا. وقد اختلف فيما إذا كان العمل الصالح يخفف عن الكافر شيئا من العذاب فقال البعض إنه يخفف له به من العذاب لقوله تعالى «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره». وقال البعض لا يخفف عنه به شيء من العذاب لأن الآية مخصصة قوله تعالى «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره».

وقوله تعالى «فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» هو بيان للجزاء الحسن الذي يكون لعاملي الصالحات من المؤمنين، ذكر تعالى أنه يحييهم حياة طيبة. ويقبل القول أن يكون المراد بالحياة الطيبة هو الحياة في الجنة، وصف بأنها طيبة لأنها ليس فيها موت ولا فقر ولا مرض ولا شقاء، وإنما هي دوام حياة وغنى وصحة وسعادة.

ويقبل أن يكون المراد بالحياة الطيبة هو حياة الدنيا، يعطي الله فيها المؤمن العامل الصالحات ما تطيب به حياته، وأخصه الرزق الحلال، وحلاوة الطاعة، والقناعة، والرضا.

ثم إن قوله تعالى «ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» قد يكون موضحا أن القول يتعلق بما يكون للمؤمنين العاملين الصالحات من أجر في الآخرة، فيكون المراد بالحياة الطيبة هو حياة الدنيا وقد يكون من قبيل ذكر بيان جلب المصالح من بعد بيان دفع المضار، فتكون الحياة الطيبة تعبيرا عن دفع المضرة، ويكون الأجر بيانا للمصالح التي تجتنى.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾

التفسير:

الخطاب في الآية إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين، وهو أمر توجيهي بما يتعين اتخاذه عند إرادة تلاوة القرآن العظيم أو قراءته، بين تعالى وجوب الاستعاذة به من وساوس الشيطان الرجيم، والمراد من الشيطان هو إبليس وأعوانه، أو هو كل متمرد عات من جن و إنس. والاستعاذة هي طلب العوذ، تكون بقول «أعوذ بالله» وتكون بقول «أستعيذ بالله»، والمراد بالاستعاذة هو دفع الوسوسة أثناء القراءة، وقيل بأن الاستعاذة، تكون واجبة في كل قراءة سواء أكانت في صلاة أم في غير صلاة، والإجماع على أنها ليست من واجبات الصلاة. وقال البعض إن الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم هي من قبيل المندوب له وليس الواجب.

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾

التفسير:

بعد أن أمر تعالى بالاستعاذة أو التعوذ به من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن، فإنه تعالى يخبر في الآية مؤكدا أن الشأن أنه ليس للشيطان سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فيكون الضمير في «له» عائدا إلى محذوف تقديره «الشأن» أو يكون عائدا إلى الشيطان. والخبر أنه يعدم سلطانا يجبر به الذين تعوذوا بالله منه على طاعته شريطة أن يكونوا مؤمنين معتمدين على الله، فتكون الاستعاذة بالله صادرة من قلب مؤمن وليست مجرد ألفاظ ينطق بها اللسان.

وقد يكون مفاد القول أن الشيطان لا يكون له سلطان على المؤمنين المتوكلين على ربهم من بعد الاستعاذة بالله، وقد يكون مفاده أنه ليس له عليهم سلطان مطلقا في جميع الأحوال - وقد يكون هذا هو مفاد القول والله أعلم - فتكون الاستعاذة بالله منه لجوءا إلى الله تعالى منهم لدوام حفظهم من سلطانه عليهم.

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾

التفســـير:

بعد أن أخبـر تعالى ــ فى الآية ــ السابقة ــ عن انعدام سلطـان الشيطان على المـؤمنين المتوكلين على الله إذا مـا تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، فـإنه تعالى يخبر ـ فـى الآية ـ عن وجود هذا السلطـان للشيطان على الذين يتـولونه والذين هـم بربهم يشركون. وتعيينـه تعالى الذيـن يكون للشيطان عليهـم سلطان بأنهـم الذين يتخـذونه وليا صـاحبا يستجيبون لـه من أنفسهم والـذين هم بـالله يشركون يفيـد أن سلطان الشيطان عليهـم ليس سلطان جبـر وقسر وإنما هو سلطان جعلوه له عليهم بأنفسهم فهم الـذين اتخذوه وليا يطاع، وهـم الذين اختاروا الكفر فمكنـوه بإرادتهم من أنفسهـم ولهذا قال الشيطـان للكافريـن «وما كان لى عليكـم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى» .

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٠١﴾

التفســـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى الكافريـن الذين تولوا الشيطان وقولهـم فى رسول الله ﷺ غير الحق. يخبر تعالى عما يحدث منهم عندما ينسخ آية من آيات القرآن العظيم سواء أكان هذا النسخ لحكمها مع بقاء اللفظ أم كان للحكم واللفظ معا. «وإذا بدلنا آية مكان آية»، وقبل أن يخبر تعالى عن قول المشركين جاء النـص بجملة اعتراضية «والله أعلم بما ينزل» وذلك لبيان علة النسخ والتبـديل وهى علمه تعالـى بما يكون عليه صـالح العباد، وذلك لأنه ــ كما سبق القول ـ لا يكون نسـخ فى آيات العقيدة على الإطلاق، وإنما يكون النسـخ فى آيات الأحكام وذلك لأن الأحكام شرعت لتحقيق مصالح العباد وهـى بطبيعتها متغيرة تتغير باختلاف الزمان والمكان، ولهذا فـإن حكما ما قد يكـون مناسبا زمنا معينـا ولا يكون مناسبا أحـوال الناس فى زمن بعده فيكون أن يبدل بالحكم حكما آخر عن طريق النسخ .

أما ما يكون من الكافرين عند النسخ فهو قولهم لرسول الله ﷺ «إنما أنت مفتر» بمعنى أنه يفترى على الله تعالـى إذ يزعم يوما أنه أنزل قرآنـا، ثم يفترى عليه تعالى بقوله فـى يوم آخر إنه

تعالى نسخه وأنزل قرآنا آخر بحكم يخالفه .

وقوله تعالى ـ في ختام الآية ـ «بل أكثرهم لا يعلمون» يرتبط بقوله تعالى «والله أعلم بما ينزل» فهو تعالى بعد أن بين أن علمه تعالى بمصالح العباد المتغيرة هو علة تغيير بعض أحكام الشريعة، أظهر فى عبارة الآية أن الكافرين لا يعلمون شيئا عن هذا ولا عن الحكمة التى أدت إلى وقوع النسخ .

قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ، يأمره ربه أن يقول للكافرين الذين رموه ﷺ بالافتراء على الله تعالى ما ورد بعبارة الآية، بقول «نزله روح القدس» بمعنى أن القرآن العظيم ناسخه ومنسوخه قد نزله من السماء أو نزل به جبريل عليه السلام، دعاه تعالى روح القدس لأنه ينزل بما يطهر الناس من أدران الكفر، ثم جعل بمثابة «القدس» ذاته من قبيل المبالغة. والمعنى أنه جميعه كلام الله تعالى وليس كلام محمد ﷺ .

وقوله تعالى «من ربك بالحق» هو شهادة منه تعالى بنزول القرآن منه تعالى ، ذكر ذاته العليا بـ «ربك» أي رب رسول الله ﷺ لبيان أنه تعالى أنزل عليه القرآن بوصفه ربه والمتولى أمره، فيكون القول متضمنا الإشارة إلى تأييده تعالى رسوله ﷺ ونصره، ثم إنه تعالى أثبت فى القول أن نزول القرآن يكون متلبسا بالحق، والمعنى أنه الحق من الله جميعه ناسخه ومنسوخه نزل وفق ما قضت حكمته تعالى وأوجبت .

وقوله تعالى «ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين» تضمن بيان علة من علل نزول القرآن العظيم بما فيه من ناسخ ومنسوخ، وبيان لمؤدى هذا النزول. فذكر تعالى أن نزول القرآن العظيم يكون لتثبيت الذين آمنوا على إيمانهم، لأنه ما من آية تنزل إلا وتحمل دليلا

على صحة العقيدة وبيانا لكون الإسلام هو طريق الله المستقيم، ثم إن المؤمنين يدركون علة نسخ بعض الأحكام فيعلمون أن الناسخ هو الشارع الحكيم يشرع للناس ما يلائم أحوالهم ويناسبها وينسخ منها ما لم يعد مناسبا ليأتى بالحكم المناسب لتحقيق المصالح فيكون فى هذا تثبيت لهم على إيمانهم. ثم إن القرآن العظيم هو هدى وبشرى للمسلمين، فالمسلمون الذين آمنوا بالله ربا وبمحمد ﷺ رسولا نبيا، وبالقرآن العظيم كتابا منزلا من الله، يكون القرآن العظيم لهم هدى ، لأنه يبعد بهم عن الملل الزائغة ويضعهم على طريق الله المستقيم الموصل إلى رضاه تعالى وجنته، كما أنه بشرى لهم بالدخول برحمة الله فى رحمته ودخولهم جنته لأنهم الذين اختصوا بالإفادة منه .

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **البشر** : فى قوله تعالى «إنما يعلمه بشر» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ جبرا الرومى غلام عامر بن الحضرمى، كان قد قرأ التوراة والإنجيل، وقيل هو يعيش أو عائش، مولى حويطب بن عبد العزى، وقيل هو أبو فكيهة مولى امرأة بمكة. وقيل إن المراد به هو كل من جلس إليه رسول الله ﷺ ممن قرأ التوراة والإنجيل .

٢ ـ **الأعجمى** : فى قوله تعالى «لسان الذى يلحدون إليه أعجمى» هو الغير البين، وهو الغامض الذى لايفصح ولا يبين .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ ذكر لقول الكافرين فى رسول الله ﷺ فوق قولهم فيه إنه يفترى على الله القرآن العظيم، وهو قولهم إن الذى يعلمه القرآن خلق من الناس كانوا يقرأون التوراة والإنجيل فيعرف منهم ﷺ ما جاء بالكتابين ليكون مادة له يصيغ منها القرآن . ثم إنه تعالى يرد على القائلين هذا القول بما يفسد قولهم.

فقوله تعالى «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر» مفاده أنه تعالى يعلم أنهم يقولون هذا القول يقينا، إذ تفيد «قد» معنى التأكيد وليس الاحتمال. وقد أراد قائلو القول بالبشر كل من له علم بالتوراة والإنجيل .

ورده تعالى على قائلي القول هو «لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين» والقول لم يتضمن التصريح بكذب القائلين القول وإنما أفاد المعنى بذكر سبب وضوح كذبه، فمعنى القول أنه خطاب الذى يزعمون بقولهم الملحد ـ أى المائل عن الحق إلى الباطل ـ أن رسول الله ﷺ يستقى منه العلم بالقرآن، هو خطاب أعجمى لا يفصح ولا يبين، ولهذا فإنه لا يتصور لدى العقلاء أن يكون ما يجيء بهذا الخطاب مصدرا يستقى منه القرآن العظيم الذى لم تتمثل معجزته فى مجرد ما تضمن من معارف ومعلومات وإنما أيضا فى بلاغته وفصاحته وبيانه الذى أعجز بلغاء العرب عن أن يأتوا بمثله، وهو باللفظ العربى. ثم إن للقول معنى آخر وهو أن ما يستمع إليه رسول الله ﷺ ممن كانوا يقرأون التوراة والإنجيل لم يكن مفهوما لديه، وذلك لأن التوراة والإنجيل لم يكونا مدونين بالعربية وقتذاك فيكون غير متصور أن يفهم ﷺ منهما شيئا فلا يتصور أن يكونا مصدرين للقرآن العظيم المنزل بلسان عربى مبين، فإن قيل إن قارئيه كانوا يعرفون العربية، فإنهم لم يكونوا يحسنون التعبير بها لكونها غير لغتهم، فلا يتصور أن يكون منهم القول الذى يكون قرآنا عربيا مبينا .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى الكافرين الذين لا يؤمنون بآيات الله فى خلقه وفى معجزاته الدالة على وحدانيته ومنها آيات القرآن العظيم، وذلك لإصرارهم على الكفر الذى اختاروه لأنفسهم وأصروا عليه، أخبر تعالى عنهم أنه لا يهديهم ـ والمراد بالقول أنه لا يهديهم إلى الجنة ـ وإنما يكون لهم العذاب الأليم، فيكون هؤلاء الذين لهم العذاب هم الذين لم يخلق الله فى قلوبهم الإيمان لما علم من الأزل أنهم يختاون الكفر ـ وهم بعض الكافرين ـ فلا

يكون لهم إلا العذاب الأليم .

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾

أولا : الأسـمـاء :

الذين لا يؤمنـون بآيات الله : قيل إن المراد بهـم ـ فى معنى الآيـة ـ هم كفار قـريش لأنهم الذين رموا رسول الله ﷺ بافتراء الكـذب على الله تعالى بقـول القرآن ونسبته إلى الله تعـالى. والقول يتعلق بكل من يكفر بآيات الله ويزعم فيها غير الحق فى كل زمان .

ثانيا : التفسـيـر :

بعد أن بـرأ تعالى رسـوله ﷺ مما رمـاه به الكافـرون من قريـش أنه يفترى علـى الله القرآن العظيم وينسبه إلى الله تعالى، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ نص صراحة على أن المفترين بالكذب هم الذين لا يؤمنون بآيات القرآن العظيم منزلـة من الله تعالى، فيكون عدم إيمانهم بهذا افتراء للكذب، ثـم جاء وصفهم بأنهـم الكاذبون بصريـح قوله تعالـى «وأولئك هم الكاذبـون» فهم كاذبون فيما قـالوا وهم بقولهم الجديرون أن يسمـوا الكاذبين، فكأن غيرهم مـن الكاذبين هو دونهم فى هذا لم يبلغ مرتبتهم .

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠٦﴾

أولا : الأسـمـاء :

من أكره : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو عمار بن ياسر أخذه المشركون وأخذوا أباه

وأمه فعذبوهم وربطت أمه سمية بين بعيرين ووجىء قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها، فاضطر عمار إلى النطق بكلمة الكفر بلسانه، ثم شكى هذا إلى رسول الله ﷺ فقال له «كيف تجد قلبك؟» قال «أجده مطمئنا بالإيمان» وهو في كل من يكره على نطق كلمة الكفر.

ثانيا : التفسير:

بعد أن تحدث تعالى عمن لم يؤمن بآيات الله من الكافرين فبقى على كفره، فإنه تعالى يتحدث عن فئة أخرى من الكافرين هم الذين آمنوا بآيات الله تعالى ثم كفروا بها بمعنى أنهم نطقوا بكلمة الكفر، أخبر تعالى عن حكمه فيهم بقوله تعالى «فعليهم غضب من الله، ولهم عذاب عظيم» جاء الإخبار عن مصيرهم في ختام الآية، وقبله جاء بقوله ما يفيد أن الذين ينطقون بكلمة الكفر من بعد إيمانهم فئتان، الأولى منهما مستثناة من حكمه تعالى الوارد في ختام الآية وهم المعبر عنهم بقوله تعالى «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» وهم الذين نطقوا بكلمة الكفر تأثرا بإكراه مادى بوشر عليهم من عذاب وخلافه أو معنوى أثر عليهم بالخوف من أن ينالهم الضرر الذى لا يقدرون على تحمله، كأن يتهددهم خطر تعذيبهم على نحو ما شاهدوا من تعذيب غيرهم، فينطقون بكلمة الكفر ليقوا أنفسهم شر التعرض لما خشوه، ومن النص يبين أن شرط استثنائهم من حكمه تعالى في الكافرين من بعد إيمان هو اطمئنان قلوبهم بالإيمان، ومعنى القول أنه يكون حالهم وقت النطق بكلمة الكفر هو اطمئنان قلوبهم بالإيمان بمعنى أن قلوبهم تكون ساكنة ثابتة مطمئنة بما هى عليه من عقيدة الإيمان لم تتغير. ويعتبر استثناء هؤلاء من حكمه تعالى فى المرتدين تطبيقا لقوله ﷺ بوحى ربه «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

أما باقى المرتدين عن الدين أو الذين نطقوا بكلمة الكفر من بعد إيمانهم ، وهم الذين عبر عنهم النص بقوله تعالى «ولكن من شرح بالكفر صدرا» بمعنى أنهم أدخلوا فى قلوبهم عقيدة الكفر، فكأنهم شرحوا صدور أنفسهم ووضعوا فيها عقيدة الكفر، فهم الذين اعتقدوا الكفر وطابت إليه نفوسهم، فإنهم يكون عليهم غضب من الله، والمعنى أنه تعالى ينتقم منهم، كما يكون لهم عذاب عظيم يناسب عظم جرمهم .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى مصير الذين كفروا من بعد إيمان فإنه تعالى في الآية يخبر عن علة غضبه عليهم وتوعدهم بالعذاب العظيم، فبين تعالى أن شرحهم قلوب أنفسهم بالكفر إنما كان لأنهم أحبوا الحياة الدنيا وفضلوها على الآخرة، فهم قد أحبوا متعها فكرهوا أن يقوموا بالطاعات فيلزموا أنفسهم بالعبادات ـ وهي مجهود بدني و إنفاق أموال ـ وكرهوا أن يحرموا أنفسهم ما حرمه الدين الحق عليهم، فكان هذا حبا منهم للدنيا وتفضيلا لها على الآخرة، وهم قد رأوا الكافرين يملكون المال والجاه في الحياة الدنيا، فرأوا أن يكونوا مواليهم يغنمون منهم ما يغنمون بدلا من أن يحرموا، فكان هذا منهم حبا للحياة الدنيا وتفضيلا لها على الآخرة .

ثم أخبر تعالى أنه لا يهدي القوم الكافرين «وأن الله لا يهدي القوم الكافرين» وعبارة القول تبين أن عدم هدايتهم إلى الحق منه تعالى كان من أسباب حبهم الحياة الدنيا وتفضيلها على الآخرة. والمراد من القول أنه تعالى لم يقسرهم على الهداية أو أنه تعالى لما علم من أنهم يختارون الكفر فإنه لم يعصمهم من الزيغ وما يؤدي إليه من الغضب والعذاب العظيم. فكان منهم حب الحياة الدنيا وتفضيلها على الآخرة .

أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾

التفسير:

يشير تعالى ـ في الآية ـ إلى الموصوفين بما سبق ذكره في الآيات السابقة من الذين

شرحوا بالكفر صدورهم واستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، ثم يخبر عنهم بأنهم الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم بمعنى أنه تعالى لم يهدهم إلى الحق بأن طبع على قلوبهم فهى لا تسع الإيمان ولا تقبله، ولهذا كان سمعهم مغلقا عن كلمة الحق، وكانت أبصارهم فى عمى عن مشاهدة آياته تعالى. ثم إنه تعالى يشير إليهم ثانية ويخبر عنهم أنهم الغافلون الذين لا يوصف مثلهم بالغفلة أحد، فهم قد غفلوا عن تحقيق مصالح أنفسهم بتدبر أمورهم، ولو فعلوا لما نطقوا بكلمة الكفر، كما أنهم قد غفلوا عما يفعل بهم فى الآخرة فلم يعملوا على درئه عنهم .

لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

التفسير:

يثبت تعالى - فى الآية - واقع حال المخبر عنهم فى الآخرة، فيقرر تعالى أنهم يكونون فيها هم الخاسرين، ووجه الخسارة أنهم أنفقوا حياتهم وأموالهم فى الحياة الدنيا فيما لا يكسبهم خيرا فى آخرتهم، فكان هناك بمثاة عدم الكسب، ثم إنه كان إنفاقا على وجه يشكل أعظم الآثام فأورثهم عذابا عظيما، فكان هذا أشبه بخسارة رأس المال، ولهذا جاء وصفهم بأنهم الخاسرون بمعنى أنه لا يماثلهم غيرهم فى الخسارة، فيكون حالهم أنهم الأخسرون .

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى الذين أكرهوا على النطق بكلمة الكفر وقلوبهم مطمئنة بالإيمان مثل عمار بن ياسر، وفى غيرهم ممن ارتدوا عن الإسلام دون إكراه ثم آمنوا وهاجروا

فى سبيل الله كما جاهدوا فى سبيله تعالى. فمعنى قوله تعالى « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا» يقبل أن يكون إنه تعالى يكون للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ولا يكون عليهم، فيكون لهم بأن ينصرهم ويعلى أقدارهم. فيكون قوله تعالى « للذين هاجروا» خبرا. ويتصور أن يكون الخبر محذوفا لدلالة خبر « إن» الثانية عليه. والمراد بالذين يكون تعالى لهم بالنصر والتأييد هم الذين هاجروا إلى دار الإسلام فى المدينة المنورة فى سبيل الله، أعقبت هجرتهم هذه فتنتهم التى وقعت من قبل سواء أكانت الفتنة هى تعرضهم للعذاب من جانب الكفار مما ألجأهم إلى النطق بكلمة الكفر مع اطمئنان قلوبهم بالإيمان، أم كانت الفتنة من أنفسهم مثل ما وقع من ابن أبى سرح الذى ارتد ولحق بالمشركين فأمر رسول الله ﷺ بقتله يوم فتح مكة فاستجار بعثمان رضى الله عنه فأجاره رسول الله ﷺ . يكون لهم من بعد هجرتهم فى سبيل الله ومجاهدتهم الكفار بأموالهم وأنفسهم ، وصبرهم على مشاق الجهاد وتبعاته المغفرة والرحمة على ما يبين من قوله تعالى:

«إن ربك من بعدها لغفور رحيم » بمعنى أنه من بعد فتنتهم وإعلانهم إيمانهم وهجرتهم فى سبيل الله والجهاد فى سبيله والصبر على مشاقه، يكون منه تعالى أنه يغفر لهم ما وقع منهم من النطق بكلمة الكفر أو من الكفر على الحقيقة، أو إنه تعالى يغفر لهم جميع ما وقع منهم من قبل، ثم إنه تعالى يرحمهم فيثيبهم بما فعلوا فى سبيله تعالى، فيكون لهم به خير الجزاء.

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

التفسير:

المراد باليوم المذكور فى الآية هو يوم القيامة المشار إليه - من قبل - فى قوله تعالى « وفى الآخرة هم الخاسرون» جاء ذكره فى بيان أنه يكون للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وجاهدوا

وصبروا هو يوم الرحمة.

أوضح تعالى أنه فى ذلك اليوم لا تدافع كل نفس إلا عن نفسها فقط، فهى لا تهتم بشأن غيرها من والد أو ولد. فيكون من قبيل الجدال الاعتذار والسعى للخلاص من العذاب كما ذكر واقع ما يكون فى ذلك اليوم وهو أن يكون لكل نفس أو عليها جزاء ما عملت فى دنياها من خير أو شر، تناله كاملا أو يصيبها كاملا غير منقوص دون ظلم لها، فلا تحرم نفس مؤمنة جزاء خير عملته فى دنياها ولا ينقص لها منه شىء. ولا يزاد فى عذاب نفس كافرة شىء من العذاب بغير تحقق سببه ووقوعه منها فى حياتها الدنيا.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

أولا: الأسمـــاء:

القرية: فى قوله تعالى «قرية كانت آمنة مطمئنة» قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ مكة كات آمنة مطمئنة ثم دعا رسول الله ﷺ على «مُضر» فابتلوا بالقحط، ثم وجه رسول الله ﷺ إليهم طعاما فرق فيهم. ويتصور أن تكون قرية من قرى الأولين، ويتصور ألا تكون قرية بعينها فتكون مجرد مثل مضروب.

ثانيا : التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يجازى يوم القيامة بموجب عدله، فإنه تعالى يخبر عن صورة أخرى من صور مؤاخذته الناس بأعمالهم، فيضرب تعالى مثلا بقرية من القرى، يستوى فى هذا أن تكون قرية بعينها وأن تكون أية قرية، يكون حال أهلها أنهم آمنون على أنفسهم ما يوجب الخوف ومنه الخوف من نقص الثمرات، وأنهم مطمئنون إلى حالهم لا يتوقعون تغيره، فلا

يزعجهم خوف تبدل الحال وترقب ذلك بفعل قدرى أو بسبب عدوان مغير.

ويكون من حالهم أيضا أنهم تأتيهم أقواتهم من كل مكان، يكون كثيرا واسعا يكفيهم فلا يسألون. ثم إنه تعالى يقول عنها ـ والمراد عن أهلها ـ أنها كفرت بأنعم الله، بمعنى أن أهلها كفروا أنعم الله عليهم. وتبين نتيجة فعل أهل هذه القرية بقوله تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » شبه تعالى الجوع والخوف ـ فى القول ـ باللباس يغشى الجسم فيغطيه ، وذلك للتدليل على أن الجوع والخوف قد غمرا القرية وعما أهلها، ويبين أن سبب تبديل حال القرية وأهلها إلى الجوع والخوف يعود إلى فعل أهلها من قوله تعالى «بما كانوا يصنعون» فيكون كفران النعمة هو سبب زوالها.

وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى أهل القرية الوارد بها المثل، فبعد أن ذكر تعالى أنهم كذبوا بنعمه فحرمهم الله إياها جزاء على كفرانها، أثبت تعالى أنه بعث فيهم رسولا منهم، والمعنى أنه بعث فيهم رسولا منهم يدعوهم للإيمان ولأداء حق النعمة من الشكر، فكان منهم تكذيبه، فكان منه تعالى أنه عذبهم بعذاب الدنيا وهو إهلاكهم أصابهم حال كونهم ظالمين أو متلبسين بالظلم من كفران النعمة وتكذيب الرسول ، والقول ـ بهذا المعنى ـ يكون تفصيلا لقوله تعالى «وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا».

وقد قال الذين قالوا إن المراد بالقرية هو مكة، أن الرسول ـ فى معنى الآية ـ هو محمد ﷺ وأن العذاب الذى أخذ أهل مكة هو القحط أو هو يوم بدر. وقد يكون هذا بعيدا عن الصواب ـ والله أعلم ـ وذلك لأنه لم يتم إهلاك جميع المشركين في يوم بدر، بل إن الذين بقوا أحياء كانوا أضعاف أعداد الهالكين.

■■■■■

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن كفران النعمة سبب لزوالها وأن تكذيب الرسل سبب للإهلاك جاء قوله تعالى فى الآية « فكلوا مما رزقكم الله » مفيدا معنى الإنعام على المخاطبين بالنص بنعمة الرزق والنهى عن مقابلتها بالكفران، فكان متصورا أن يكون المخاطبون بالقول هم الكافرين فيكون القول تحذيرا لهم من كفران النعمة، وقد يؤكد أن الخطاب موجه إلى الكافرين قوله تعالى « حلالا طيبا» أظهر أن حال الرزق المنعم به هو الحلال والطيب، فيكون القول مشيرا إلى تحريمهم البحيرة والسائبة مع كونهما من الحلال أكله الطيب طعمه، وقيل إن المخاطبين بالأمر بالأكل هم المؤمنون أمروا أن يأكلوا من الغنائم.

وقوله تعالى « واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون » هو أمر بشكر النعمة وعدم جحودها، وهو أمر لهؤلاء الذين عبدوا آلهة ليقربوهم إلى الله زلفى بأن يتوجهوا إلى الله تعالى بالشكر لأنه الذى رزقهم إذا ما كان ما يزعمونه من إيمانهم بالله صحيحا. وقيل إن ما يدعم صحة هذا أن النعمة التى طلب من أهل مكة ـ وقتذاك ـ أداء حقها من الشكر كانت الميرة التى بعث بها رسول الله ﷺ قد وصلتهم بعد قطعها عنهم، وأن هذا كان سبب نزول الآية.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

التفسير:

بعد أن أمر تعالى بأكل الحلال الطيب من الطعام مشيرا إلى حل الأكل من البحيرة

والسائبة اللذين حرَّم أهـل مكة أكلهما جاء قوله تعالى فى الآية بـذكر محرمات الطعام، وقد أريد بذكرها بيان عدم دخول ما حرَّم الكفار أكله من بحيرة وسائبة فى عدادها. فلا يعدُّ ما ورد فى الآية حصرا للمحرَّم من الطعام، وذلك بدلالـة تحريم سباع البر وجوارح الطير بعد الآية. وقد سبق بيان معانى الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به.

وقـوله تعـالى « فمـن اضطـر غير بـاغ ولا عاد فـإن الله غفـور رحيم» مفـاده أن من اضطـر للمحافظة علـى حياته من الهـلاك جوعا إلى أكـل شيء من هذه المحـرمات دون أن يكون بفعله معتديا على مضطر آخر فيسلبه ما معه منهـا ودون أن يكون متعديا فى أكله ما يكفل له بقاء حيـاته أو ما فيـه سد الرمق، فـإنه تعالـى يغفر له أكلـه منها الذى هو ـ فى ذاته ـ إثم، ويرحمه فلا يعاقبه به.

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية للكافـرين الذين أحلُّوا ما حرَّم الله وحرَّموا ما أحـلَّ الله يقول لهم تعالى «ولا تقولـوا لما تصف ألسنتكم الكـذب هذا حلال وهذا حـرام» والقول نهى عن أن يقـولوا لأجل الكذب ـ الذى هو وصفهم ـ هذا حلال وهذا حرام. أو هو نهى عمَّا تصف ألسنتهم من الكذب، أو نهـيٌ عما تصفه ألسنتهـم الكاذبة، والمنهـى عنه هو قـولهم « هذا حـلال ، وهذا حرام » يقولون على مـا فى بطون الأنعام من ميتة أنها حلال، ويقولـون عن البحيرة والسائبة وغيرها مما حرَّموا أنها حرام.

وقوله تعالى « لتفتروا على الله الكذب» يفيد أنهم يقولون ما يقولون من أن هذا حلال وهذا حرام لأغراض أخرى غيـر الافتراء على الله الكذب كما يبين من « لام العـاقبة» فى « لتفتروا»

ويبين منه أنه هذا الـذى يستهدفونه يؤدى إلى افتراء الكذب على الله تعـالى بتحليل ما حرم وتحريم ما أحل.

وقولـه تعالى ـ فـى ختام الآية ـ « إن الذين يفتـرون على الله الكذب لايفلحون» هـو بيان لمصير الـذين يفترون على الله الكـذب ومنهم من يحلـون ما حرم ويحـرمون ما أحل، يـذكر تعالى أنه لايكون لهم نجاح مسعى ولا فلاح أمر فى الدنيا والآخرة.

مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ بيان لقـوله من قبل « إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون» فيكون القـول مبينا أن عدم الفلاح يتمثـل فى ضآلة النفـع أو المتاع الذى يكسبه هـؤلاء فى حياتهم الدنيا ، وزوالـه قبل موتهم أو زوالهم عنه بالموت، ممـا يعنى عدم دوام الانتفاع به، ثم إنه يكون لهم فى الآخرة عذاب مؤلم . فيكون عدم الفلاح قرينهم فى الدنيا والآخرة.

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالـى محرمات الطعام المذكورة فى الآيـة فإنه تعالى أخبر أنـه حرمها على الذين هم علـى اليهودية، والمراد بهم الذين آمنـوا بالشريعة التى أنزلت علـى موسى عليه السلام، والقول بهذا المعنى يثبت أمرين ، أولهما أن مبـدأ تحريم بعض المطعومات كان فى الشريعة الموسوية أو فى أحكام التـوراة، أما قبل هذا وفى ظل شريعة نوح عليه السلام التى

أنسيت، فلم يكن مما يدب على الأرض من الكائنات الحية شىء محرما أكله . فيكون القول ـ بهذا المعنى ـ مثبتا كذب ادعاء اليهود أن المحرَّم عليهم كان محرما على من سبقهم من الأمم ومنهم قوم نوح وقوم إبراهيم. وثانيهما أن هذه المحرمات كانت محرمة فى الشريعة التى أنزلت على موسى عليه السلام

وقوله تعالى « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» يفيد أنه فضلا عن المحرمات المذكورة فإنه تعالى حرم على اليهود مطعومات أخرى كان تحريمها عقابا لهم على ظلمهم أنفسهم ، وهو ما قد يكون بسبب كفرهم وعصيانهم . وقد يكون منه تحريم أكل الأرنب لعدم جمعه بين الظلف المشقوق والاجترار وكذا تحريم الإبل، وقد يكون منه غير هذا مثل ما حرموا على أنفسهم من أكل عضلة الفخذ فى الأنعام المسماة بالعرق.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

أولا: الأسمـــاء:

١ ـ السوء : المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الشرك وما يصاحبه من المعاصى

٢ ـ الجهالة: فى قوله تعالى « عملوا السوء بجهالة » قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ السبب الدافع ومنه حمية الجاهلية ، وقيل الأمر الذى لا يليق بالعاقل مثل شهوة الانتقام تدفع إلى القتل

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ من قبيل فتح أبواب رحمته أمام العصاة والكافرين بإعلان قبول توبة التائبين وغفران الذنب بها. فهو تعالى يخبر أنه يكون للذين عملوا السوء بجهالة ثم

تابوا من بعد ذلك وأصلحوا وأنه لا يكون عليهم.

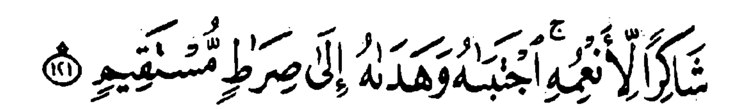
والمراد بالذين عملوا السوء بجهالة هم هؤلاء الذين بقوا على كفرهم مأخوذين بنعرة جاهلية أن يقال فيهم إنهم تركوا ما كان يعبد آباؤهم، وهم الذين ارتكبوا المعاصى والآثام مدفوعين بقيم وعادات سقيمة مثل التمادى فى الثأر. ذكر تعالى أنه يكون لهم وليس عليهم إذا ثابوا عن شركهم وعن آثامهم وأقلعوا عنها وعادوا إليه تعالى فآمنوا وعملوا الصالحات.

ثم إنه تعالى بين كيف أنه يكون لهم وليس عليهم بقوله « إن ربك من بعدها لغفور رحيم» والمعنى إنه يكون تعالى ـ من بعد عملهم السوء وتوبتهم وعملهم الصالحات ومنها إصلاح ما أفسدوا ـ يغفرلهم ذنوبهم ويثيبهم بتوبتهم وإصلاحهم خير الجزاء.

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى إبراهيم ﷺ، جاء ذكره بمناسبة تناول القول مشركى العرب الذين يفخرون بانتسابهم إلى إبراهيم ﷺ فجاء قوله تعالى فيه ليبين لهم أن انتسابهم إليه يجعلهم الأولى أن يكونوا على دينه وملته. فذكر تعالى أنه كان وحده أمة، وقد يكون المراد بوصفه بأنه أمة هو بيان استجماعه كمالات لا تكون إلا فى أفراد أمة من الناس، وقد يكون المراد هو إبراز أنه وحده الذى كان مؤمنا فى عصره فكان بمثابة أمة وحده بالنظر إلى كون المشركين عدم لا ينظر إليه، ثم ذكر تعالى أنه كان قانتا لله، بمعنى أنه كان مطيعا لله خاشعا له قائما بأمره، وأنه كان حنيفا بمعنى أنه كان مائلا عن الباطل إلى الحق، ثم إنه لم يكن من المشركين. فيكون القول ـ بهذا المعنى ـ مثبتا كذب قريش فى ادعائهم أنهم على ملة إبراهيم أبيهم، ومثبتا كذب اليهود القائلين إن عزيرا ابن الله.



التفسـير:

يذكر تعـالى - في الآيـة - صفة أخرى لإبـراهيم ﷺ هي كونـه شاكرا لأنعم الله تعـالى، والقول - بهذا المعنى - فيه تقريع لمشركي مكة الذين زعموا أنهم على ملة أبيهم إبراهيم مع جحودهم النعمة وعدم أداء حقها من الشكر.

ثم إنه تعـالى يذكر أنـه اصطفى إبراهيم ﷺ للنبـوة فيكون اصطفاؤه هو قمـة النعمة. وقد يكون القـول مشيرا إلـى اصطفائه تعالـى رسولـه محمدا ﷺ بمـا يوجب علـى مشركـي مكة الإيمان له إذا كـانوا على دعواهـم أنهم أبناء إبراهيـم وعلى ملته. وقد يـؤكد هذا قولـه تعالى «اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم» وذلك لأن الصراط المستقيم هو دين الله الحق، الإسلام، وقد كان الإسلام الذى دعا إليه إبراهيم ﷺ هو الإيمان بالمعنى العام أو هو ما فى الأديان من عقيدة التوحيد بالله وعدم الشرك به. ثم إن الإسـلام الذى دعا إليه محمد ﷺ هو - فى شق العقيدة - ما دعا إليـه إبراهيم ، ثم هو - بالأحكام - الإسلام بـالمعنى الخاص، فيكون القول مشيرا إلى وجوب الإيمان بالإسلام الذى دعا إليه رسول الله ﷺ

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

أولا: الأسمـــاء:

الحسنة : فى قوله تعالى « وآتيناه فى الدنيا حسنة » قيل هى النبوة، وقيل هى الولد الطيب على الكبر، وقيل هى تولى جميع أهل الأديان إياه وثناؤهم عليه.

ثانيا : التفسـير:

يذكر تعالى - فى الآية - ما أنعم بـه على إبراهيم ﷺ فى الدنيا والآخرة، فقد آتاه الله حسنة الدنيا التى قد تكون اصطفاءه للنبوة أو هبة الولد الطيب له، أو ثناء أهل الأديان جميعهم عليه. ثم إنه فـى الآخرة داخل فى عداد الصالحيـن أصحاب الدرجات العليا فى الجنـة استجابة

لدعائه ﷺ «وألحقنى بالصالحين».

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٢٣﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، يذكر تعالى أنه أوحى إليه باتباع ملة إبراهيم وأن يكون مائلا عن الباطل إلى الحق، وقد كان الوحى له ﷺ بأمره بتوحيد الله تعالى وعدم الشرك به، وهو ذات ما استدل عليه رسول الله ﷺ بطريق العقل والطبيعة التى أهلته أن يكون أهلا للاصطفاء بالنبوة، ثم إنه تعالى أوحى إلى رسوله ﷺ باتباع مناسك الحج التى علمها جبريل عليه السلام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كما أوحى إليه فى شريعته ﷺ بحكم الختان الذى كان حكما أو شرعا لإبراهيم . ومما أوحى به تعالى إلى رسوله ﷺ أن يكون فى اتباعه ملة إبراهيم بمعنى أن يكون مائلا عن الباطل إلى الحق.

وقوله تعالى فى إبراهيم «وما كان من المشركين» هو إثبات لتأكيد ما سبق بيانه فى شأنه من أنه كان موحدا لم يشرك مع الله أحدا، فيكون المراد هو إظهار أن التوحيد هو عماد الإسلام الذى يدعو إليه رسول الله ﷺ .

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٢٤﴾

التفسير:

قيل فى سبب نزول الآية أن اليهود كانوا يزعمون أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يحافظ على السبت فيه يستريح وليس على الجمعة. فنزلت الآية. والواضح أن الآية تتعلق

باليوم الذى يتفرغ فيه إلى الله تعالى من أيام الأسبوع ، أو الذى يعبد فيه على نحو معين. ثم إنها تتعلق بيوم السبت على وجه التحديد، وهو اليوم الذى يتخذه اليهود للراحة قولا منهم بأنه لما انتهى تعالى من خلق السماوات والأرض فإنه فيه استراح. والواضح أيضا أنه أريد بعبارة الآية الردَّ على دعوى لليهود بأحقية السبت على الجمعة يوم عبادة لله وراحة من العمل الدنيوى.

فقوله تعالى « إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه» يفيد معنى أن جعل السبت يوم الراحة عند اليهود كان من بعد اختلاف فى شأن يوم الراحة ـــ قبل إنه كان يوم الجمعة استشهادا لقوله ﷺ فى «الجمعة» هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله تعالى له ـ وورود الفعل «جُعل» مبنيا للمجهول.

قد يفيد معنى أنه تعالى الذى جعل لهم السبت من بعد الاختلاف فى اليوم، وقد يفيد أنهم أو أن كهنتهم هم الذين جعلوا السبت يوم راحة، والاختلاف كان مع نبيهم موسى عليه السلام، بعد أن حدد لهم الجمعة اختلفوا معه وقالوا إن الله استراح من خلق السماوات والأرض يوم السبت ففيه نستريح.

وإنا لتجد فى التوراة التى بين أيدينا اليوم ما يفيد هذا، فقد ورد فى سفر التكوين فى الإصحاح الثالث والعشرين «ستة أيام تعمل عملك وأما اليوم السابع ففيه تستريح لكى يستريح ثورك وحمارك ويتنفس ابن أمتك والغريب» ، لم يأت ذكر يوم بعينه مما قد يستفاد منه تحريف القول بحذف ذكر اليوم لمخالفته ما وضع بعد ذلك متعلقا بيوم السبت.

وقوله تعالى « وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » مفاده أنه تعالى يفصل بقضائه فى شأن الذين اختلفوا مع نبيهم فى شأن يوم الراحة والعبادة وخالفوه، والذين اختلفوا مع بعضهم فى شأنه، يكون قضاؤه تعالى بالثواب والعقاب هو المبين أى الفريقين كان على الحق ، وأيهما كان على الباطل.

■■■■

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾

أولا: الأسمـــاء:

١ ـ **الحكمـة**: المراد بهـا ـ فـى معنى الآية ــ هى القـول المحكم أو العبـارة المحكمة المؤسسة على الحجة والدليل والبرهان.

٢ ـ **الموعظـة الحسنة**: المراد بهـا ـ فـى معنى الآية ــ الخطاب الـذى تتخذ منـه العبرة والذى يبدى نصيحة للسامع يراد به نفعه وصالحه.

ثانيا: التفسـير:

الخطاب ـ فى الآية ــ إلى رسول الله ﷺ، وهو أمر ببيان وسيلة إيصال الـدعوة إلى الناس ممن خلقهم ويعرف أحوالهـم وما يجدى معهم، فما جاء فى القول مـن توجيه تضمنه الأمر يجب أن يكون أساسا لكل داعية إلى سبيل الله تعالى.

وأول ما تضمنه القول هو أمـره تعالى رسوله ﷺ أن يدعو إلى سبيل ربـه، أى أنه يدعو إلى دين الإسـلام الذى سبـق التعبير عنـه بالطريـق المستقيم، وبملـة إبراهيـم . ويبين مـن عدم تخصيص أحد بأن تكون له الدعوة أنها عامة بجميع الخلق وليست مقصورة على قومه ﷺ.

ثم إن القـول تضمن بيـان وسيلة الـدعوة بقولـه تعالـى « بالحكمـة والموعظـة الحسنة وجادلهم بـالتى هى أحسن » والمعنى هو أن يكـون الاعتماد فى الإبلاغ بما تدعـو إليه على الإقناع وليس الجبر فيكـون منك القول المحكم المبنى على الحجج والبـراهين العقلية، ثم يكون قولك نـابعا عن رغبة فى نفع المبلغين بـالدعوة فيكون موعظة لهـم حسنة لاستهدافك تحقيق مصلحتهم.

ثم ليكن منـك مناظرة مجادليهـم بأحسن طرق المنـاظرة والمجادلة المعتمـدة على لين

الخطاب وليس على الصراخ والانفعال الذى يورث العناد لدى المناظر، فتكون مقارعة الحجة بالحجة برفق ولين.

وقوله تعالى « إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» أريد به بيان أنه ليس عليه ﷺ ولا على الدعاة من بعده غير الدعوة على هذا النهج دون شغل النفس بنتائجها التى هى مقدرة منه تعالى فإليه تعالى وحده أمر حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما؛ فهو الأعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدى ويكون منه الجزاء بما علم وما يكون.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ١٢٦﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى المؤمنين ، وهو يورد قاعدة عامة فى القصاص هى المساواة بين فعل الاعتداء وبين القصاص أو عقوبته تكون فى النوع وفى الأداة المستعملة وفى القدر ما لم يكن مقدورا أن تتحقق المماثلة ـ وهى المساواة ـ فيكون العدول عنها إلى وسيلة أخرى كما فى القتل يكون بالسيف أو ما يقوم مقامه إذا ما كان الاعتداء قد تم بوسيلة يصعب تحقيق المماثلة فيها مثل القتل بالحجر.

وقيل إن مناسبة نزول الآية هى تعهد رسول الله ﷺ أن يمثل بسبعين من الكفار بقتل حمزة والتمثيل به. واعترض على هذا بأن الآية مكية فلا يتصور نزولها فى هذا.

وقوله تعالى « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» هو بيان لأفضلية الصبر على المعاقبة بالمثل وفيه جاء التعبير عن الذين يعدلون عن الانتقام والمعاقبة بالمثل بأنهم الصابرون من قبيل مدحهم والثناء عليهم.

■■■■

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ١٢٧﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ، وهو أمر بعمل يتعين على كل مؤمن أن يأتمر به، والذى أمر به الله تعالى رسوله ﷺ هو أن يصبر على أذى المشركين و إعراضهم عن دعوته، والكيد له .

وقوله تعالى « وما صبرك إلا بالله » مفاده أن صبره ﷺ يكون متلبسا بذكر الله، ويكون بمشيئته تعالى وبتوفيقه تعالى إليه و إعانته عليه.

ثم إنه تعالى بعد أن أمر رسوله ﷺ بالصبر على أذى المشركين و إعراضهم عن دعوته. نهاه عن الحزن عليهم لما يصيبهم بإعراضهم عن الدعوة، كما نهاه عن أن يكون فى صدره ضيق مما يمكرون به ﷺ، فيكون القول مشيرا إلى أنه تعالى كافيه شر مكرهم فهو تعالى ولى المتوكلين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ١٢٨﴾

التفسير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ بالصبر على أذى الكافرين ونهاه عن أن يكون فى صدره ضيق مما يمكرون به، فإنه تعالى أورد فى الآية حكمته التى هى مصدر الأمر والنهى فبين أنه تعالى يكون دائما مع المتقين المحسنين، والمعنى أنه يكون لهم وليا دائما، ثم إنه لما كان مفاد الأمر والنهى هو عدم الخوف وعدم الحزن وكان تعالى قد قال فى محكم آياته «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» فإنه يكون مرادا بالذين اتقوا والذين هم

محسنون هؤلاء الذين هم أولياء الله الذين تبتلوا إليه ولم يشغلهم عنه تعالى شاغل، فاتقوه فى جميع أفعالهم وفى سرهم، وأحسنوا أعمالهم ومنها إحسانهم إلى المسيئين إليهم.

●●●●

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإسراء

فى أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها فى ترتيب المصحف «سورة النحل»:

قيل إن بين السورة وسورة النحل أوجه صلة نجتزىء منها ما يأتى:

١ ـ جاء فى سورة النحل حديثه تعالى عن اليهود بقوله « إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه» وفى السورة ورد بيان الشريعة التى شرعها تعالى لليهود، كما ورد فيها ذكر حوادث التاريخ معهم بدءا من عصيانهم، إلى تخريب بيت عبادتهم وانتهاء إلى مكرهم برسول الله ﷺ وإرادتهم إخراجه من المدينة وسؤاله عن الروح.

٢ ـ جاء فى سورة النحل بيان تعرض الرسول ﷺ لأذى المشركين على ما يستفاد من أمره بالصبر ونهيه عن الحزن على الكفار وضيق الصدر من مكرهم، وجاء فى السورة بيان تشريفه ﷺ بما كان من الإسراء به إلى المسجد الأقصى.

٣ ـ جاء فى سورة النحل أنه « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » وجاء فى السورة فى القرآن العظيم «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين».

٤ ـ جاء فى سورة النحل الأمر بإيتاء ذى القربى، وجاء الأمر بهذا فى السورة وبالزيادة عليه «وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا».



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾

أولا : الأسمــاء:

١ ـ **المسجد الحرام**: قيل إن المراد به ــ في معنى الآية ـ هو المسجد الحرام المعروف وقيل إن المراد به هو بيت أم هانىء فاختة بنت أبى طالب كان ﷺ نائما فيه من بعد صلاة العشاء .

٢ ـ **المسجد الأقصى**: هو بيت المقدس، وصف بالأقصى لأنه الأبعد مكانا بالنسبة لمن هو بالحجاز، وقيل لأنه أبعد المساجد التى تزار من المسجد الحرام. وسيأتى تفصيل العلاقة بينه وبين بيت الله الذى بناه سليمان عليه السلام فى موضعه إن شاء الله .

ثانيا: التفسير:

جاء لفظ « سبحان» فى مبدأ القول علما على تنزيهه تعالى من جميع النقائص، أو أمرا للبشر بتنزيهه تعالى منها. وقوله تعالى « الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » يفيد واقع أنه تعالى الذى كان منه أن سير رسوله ﷺ ليلا فى مدة قصيرة من الليل ابتداء من المسجد الحرام، قيل إنه ﷺ كان فيه فى «الحِجر» أى حجر إسماعيل، وقيل فى الحطيم، وقيل إنه ﷺ كان فى بيت أم هانىء فاختة بنت أبى طالب.

وفى القول جاء التعبير عن رسول الله ﷺ بأنه « عبده» أى عبد الله لأنه ﷺ اختار أن يكون تشريفه بنسبته إلى الله تعالى بالعبودية، وقيل إنه جاء وصفه ﷺ بالعبودية لئلا يغالى المسلمون فى رفعة قدره كما فعل بعض النصارى فى عيسى عليه السلام.

وقد اختلف في وقت حدوث الإسراء فقيل إنه كان بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر، وقيل كان سنة خمس للنبوة، وقيل في السنة الثانية عشرة.

واختلف أيضا في شهره وليلته فقيل إنه في شهر ربيع الآخر، وقيل في رجب، وقيل في رمضان، وقيل في شوال، وقيل كان في الليلة السابعة والعشرين من الشهر كذلك اختلف فيما إذا كان الإسراء بالروح أم بالروح والجسد، واستدل القائلون بأنه كان بالروح إلى أن التعبير بلفظ « الرؤيا» في قوله تعالى «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك» .

يفيد أن الإسراء كان بالروح، ورد على هذا بأنه لو كان الأمر كذلك لما أثار تعجب الناس مما أدى إلى ارتداد بعض الذين أسلموا.

وقد كان الإسراء بواسطة البراق حمل رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس فكان ـ على المشهور ـ المركبة الأولى تبعها المعراج إلى السماء الدنيا، فأجنحة الملائكة إلى السماء السابعة ، فجناح جبريل عليه السلام إلى سدرة المنتهى، ثم الرفرف إلى قاب قوسين، وكانت غاية الإسراء هي بلوغ المسجد الأقصى، مدحه تعالى بقوله فيه « الذي باركنا حوله » وعلة مباركته حوله هو كونه متعبد الأنبياء وقبلتهم.

وقوله تعالى « لنريه من آياتنا» هو بيان لأنه تعالى قد أشهد رسوله ﷺ آيات عظيمة ليرويها للناس، منها اجتماعه في كل سماء مع نبي من الأنبياء، ومنها اطلاعه على أحوال الجنة والنار، ومنها رؤيته من الملائكة مالا يعلم عدتهم إلا الله في هيئات مختلفة.

وقد كان هذا جميعه في العروج به إلى السماء.

وقوله تعالى ـ في ختام الآية ـ « إنه هو السميع البصير» هو تعليل لاختصاص الله تعالى رسوله ﷺ بهذه المكرمة فهو تعالى العالم باستحقاقه هذه المنزلة العالية، لكونه السميع لأقوال هذا العبد، البصير بأفعاله، وهي الخالصة لله تعالى المتصفة بالصدق، المستأهلة القرب والزلفى.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾

التفسـير:

لما كـان الله سبحانـه وتعالى قـد أنزل علـى رسولـه القرآن العظيم كتـابا متضمنـا أحكام العقيدة وأحكـام المعاملات بمعنى أنـه تضمَّن العقيدة والشريعـة، وكان ما تضمَّن قبلـه أمر العقيدة وأحكـام شرعية ممـا لم ينـس هو التوراة، لمـا هو معلوم مـن أن الإنجيل لـم يتضمن أحكاما شرعيـة و إنما يتخذ أحكام التوراة أحكاما لـه، فإنه تعالى قال «وآتينـا موسى الكتاب وجعلناه هـدى لبنى إسرائيـل» دلَّ به تعالـى على أنـه آتى موسـى عليه السلام التـوراة، وأنه جعلها هدى لبنى إسـرائيل، فهى لهم وحدهم وليسـت لغيرهم، وقد كانت لهـم هدى لأنها تهدى إلـى الله تعالى ووردت بأحكـام شريعته فيهـم، فيكون فى اتبـاعها هدى لهم، ثـم إنه تعالى أخبـر من مبدأ اعتبارها هـدى وهو التوحيد عبر عنـه قوله تعالى «ألا تتخـذوا من دونى وكيلا» والمعنى هو ألا يعتمدوا ويتوكلوا على غير الله تعالى.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾

التفسـير:

بعد أن أظهر تعـالى أنه جعل التـوراة هدى لبنى إسرائيـل وأنه أمرهم فيهـا ألا يتخذوا من دونه وكيلا، ذكر تعالى أمرا يفترض فيه أن يكون داعيهم لعدم اتخاذهم وكيلا من دونه تعالى، هذا الأمر هو أنهم من ذريـة الذين كانوا مع نوح عليه السلام فى الفلـك، أى من ذرية الذين أنجاهم الله من الهلاك بالطوفان فليس غيره وكيل يُتوكل عليه، ويقبل القول أن يكون المشار إليه بكونه مـن ذرية من كان مع نوح عليه السـلام هو نبيهم الذى أنزلت إليـه التوراة موسى

عليه السلام .

وقوله تعالى «إنه كـان عبدا شكورا » هو فى نوح عليه السلام، ذكر تعالـى أنه كان عبدا من عباده كثير الشكـر ، بما يعنى أنه كـان متوكلا على الله وحـده ، فيكون القول دعما لأمـره بنى إسرائيل فى التوراة بالتوكل عليه تعالى وحده وبعدم اتخاذهم وكيلا من دونه.

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾

التفســير:

مفاد قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ أنه تعالـى أعلم بنى إسرائيـل فى كتابهم التـوراة بما يكون منهم ومعهم فى قادم الأيام، أما ما يتعلق بما أعلمهم بـه تعالى ـ مما ورد فى الآية ـ فهو أنه يكون من بنى إسرائيل ولهم أنهم يفسدون فى الأرض مرتين وأنهم يعلون مرتين.

وفى شأن الإفساد الأول قيل إنـه كان قتلهم زكريا عليه السلام، وتآمـرهم على يحيى مع الرومان مما أدى إلى قتله ، وتآمرهم على عيسى عليه السلام .

أما علوهم فـى الأرض علوا كبيرا فقد كانت مـرته الأولى ـ فى رأينا والله أعلـم ـ فى عهد سليمـان عليه السـلام الذى ارتفـع ملكـه وعلت مملكتـه، وفـى عهده تـم بناء الهيكـل أو المعبـد.

فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾

أولا : الأســــماء:

١ ـ **وعد أولاهما**: المراد به ـ في معنى الآية ـ ما توعد به الله تعالى بني إسرائيل من عذاب يعقب الارتفاع الأول.

٢ ـ **العباد** : في قولـه تعالى «بعثنا عليكم عبادا لنـا» هم أهل بابل تحت قيـادة « بنوخذ نصَّر» أو « بختنصر».

ثانيا:التفســير:

يقول تعالـى ـ في الآية ـ إنـه بمجيء الوقت الـذي جعله الله تعالى موعـد تحقق العقاب الذي توعد بـه بني إسرائيل فإنه يكون منه تعـالى أنه يبعث عليهم عبادا له أولـي قوة شديدة على الحرب والقتال ، يكون منهم أنهم يقتحمون الأرض التي يقيم بها بنو إسرائيل ويدخلونها ويسيطرون عليها فيجوسـون بين ديارهم ـ تدليـلا على سيطرتهم على الأرض ـ ثـم إنه تعالى يقول « وكان وعـدا مفعولا» بمعنى أنه يكـون هذا تحقيقا لما توعـد به بني إسرائيـل فيكون به تحقق الوعيد.

هذا والذي يبدو لنا ــ والله أعلم ـ أنه قد تحقق هذا بالفعل إذ اقتحـم أهل بابل (العراق) بقيادة بنـوخذ نصـر مدينـة أورشليم ــ في التـوراة التي بيـن أيدينـا ـ أو أرض بيـت المقدس وسيطروا عليها وقتلوا كثيرين من بني إسرائيـل وأخذوا منهم الأسرى والسبايا ، وشردوا الباقين منهم في الأرض.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾

أولا: الأسماء:

الكَرَّة: هو العطف والرجوع، وقيل إن المراد بها ـ في معنى الآية ـ هو الغلبة والنصر.

ثانيا: التفسير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلى بنى إسرائيل، وهو ذكر لما خوطبوا به فى التوراة لدى إخبارهم بما يكون منهم ولهم فى قادم الأيام، ومضمون القول أنه تعالى أعلمهم أنه يكون لهم من بعد تحقق وعيده تعالى فيهم أنهم تكون لهم الغلبة على الذين تحققت عقوبتهم على أيديهم، أو تكون لهم عليهم وعلى غيرهم، وقيل إن هذا تحقق عندما أخذت الشفقة على بنى إسرائيل قلب أزدشير بن اسفنديار فأعاد بنى إسرائيل إلى أرض فلسطين ورد عليهم ما أخذ منهم من أموال، وقيل إنه كان بغلبة بنى إسرائيل على الفلسطينيين.

والذى نراه ـ والله أعلم ـ أنه ليس لما ذكر علاقة بالمخبر عنه، وأن المخبر عنه إنما يتعلق بما هو واقع اليوم من ارتفاع شأن بنى إسرائيل بعد هوان ووجود دولة لهم، وأن هذا هو العلوُّ الثانى المذكور فى الآية، يؤيده قوله تعالى « وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا» فالمشاهد أن الأموال تجيء إلى الكيان الإسرائيلى من جميع أنحاء العالم من اليهود المنتشرين فى أنحاء العالم الذين يتبرعون للدولة طوعا أو قسرا. ومن العقوبات المالية التى فرضت على ألمانيا بدعوى أنها عذبت اليهود واستولت على ممتلكاتهم ، كما تأتيهم من الولايات المتحدة الأمريكية فى هيئة معونات مالية. كذلك فإنهم جاءهم اليهود المنتشرون فى جميع أنحاء العالم وجاءهم المتطوعون للحرب معهم الذين أصبح بهم عدد مقاتليهم الفعَّالين أكثر عددا من عدوهم، كما أصبحوا أكثر عددا ـ بالنسبة لعدد أشخاص هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الذين يؤيدونهم فى المحافل الدولية والمنظمات الدولية ـ من عدوهم الذين منهم العراقيون.

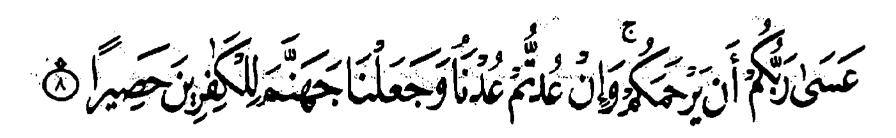
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

التفسير:

الخطاب - في الآية - إلى بنى إسرائيل. وهو بما أعلمهم به تعالى فى التوراة مما يكون معهم فى قادم الأيام، بدأ بقوله تعالى « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها» والمعنى هو أن هذا القول تقدمة لما سيأتى بعده فهو تعالى يقول لهم إنهم إذا أحسنوا عملهم لأنفسهم ومع غيرهم من العباد والمجتمعات البشرية، فإنه يكون لهم جزاء هذا الإحسان إحسانا منه تعالى إليهم، وأنهم إذا أساءوا العمل أو أساءوا إلى الناس وإلى المجتمعات البشرية الأخرى فإنه يكون جزاء هذا عليهم.

وقوله تعالى « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرا» مفاده أنه يكون منهم الإساءة وليس الإحسان وأنهم يجازون بإساءتهم تحقق وعيده تعالى لهم الذى توعدهم به سبحانه وتعالى فى المرة الثانية التى تتبع علوهم الأول. وفيه قيل إنهم يُغلبون فتظهر علامات القهر والذل على وجوههم ، وأن أعداءهم الذين يسلطهم الله عليهم يدخلون بيت المقدس على النحو الذى دخلوه أول مرة ليهلكوا ما علوه أو ما غلبوا عليه بنى إسرائيل هلاكا فظيعا.

والذى نراه - والله أعلم - أن قوله تعالى الذى جاء من بعد ذكر ارتفاع بنى إسرائيل وعلوهم فى الأرض للمرة الثانية - وهو الواقع الآن - إنما يخبر عما يكون فى قادم الأيام وهو أن ذات القوم الذين دخلوا بيت المقدس أول مرة ، وهم من العرب العاربة ومن أهل بابل أو العراق، الذين يعود إليهم الضمير فى « ليسوءوا » و « ليدخلوا» يكون منهم أن يهزموا بنى إسرائيل ودخول بيت المقدس على النحو الذى دخلوه أول مرة - وقد كان دخولهم بيت المقدس أول مرة فاتحين محاربين - ثم يكون منهم إهلاك ما غلبوا عليه بنى إسرائيل هلاكا فظيعا. فيكون القول بهذا المعنى - فوق كونه وعيدا لبنى إسرائيل - وعدا للعرب الذين منهم أهل العراق بالنصر على إسرائيل.



أولا: الأسمــــاء:

الحصير: في قوله تعالـى « وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا» المراد بـه ـ في معنى الآية ـ هو السجن ، يتم فيه حصار السجين ومحاصرته بأسواره فلا يخرج منه مادام مسجونا.

ثانيا: التفسـير:

قوله تعـالى ـ في الآيـة ـ في بني إسرائيـل، جاء من بعد بيانـه تعالى ارتباط مـا يكون منه تعالى لهم أو عليهم بما يكون منهم من إحسـان أو إساءة، ليكون هذا بمثابة الأساس للمخبر عنه في الآية.

وقوله تعالى « عسى ربكم أن يرحمكم» هو بيان لأنه تعالى قد يشملهـم برحمته من بعد دخول عباده عليهم بيت المقدس و إهلاكهم ما غلبوهم عليه.

ثم يجيء قـوله تعالى « وإن عـدتم عدنا وجعلنا جهنـم للكافرين حصيـرا» تطبيقا للمبدأ السابق ذكره وهو تعلـق الجزاء بالفعل، فيقول تعالى ما معناه أنه إذا كـان منهم العود للإفساد وعمل السوء فإنه يكون منه تعالى العود إلـى معاقبتهم بتسليط أعدائهم عليهم، ثم يكون لهم في الآخرة دخول جهنم تكون لهم سجنا تقيد فيه نفوسهم وأجسادهم وتعذب.

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ٩

التفسـير:

الذى نراه ـ والله أعلـم ـ أن قوله تعالى في الآيـة جاء مرتبطا بقوله تعالـى أنه جعل التوراة هدى لبني إسرائيل، فجاء قوله تعالى « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » مشيرا إلى أمرين أولهما مضمر وهـو إنزال القرآن العظيم على محمد ﷺ كمـا أنزلت التوراة على مـوسى عليه

السلام، ثم بيان أنه إذا كانت التوراة قد هدت المهتدين من بنى إسرائيل إلى الحق قبل بعثة رسول الله ﷺ، فإن القرآن العظيم الذى أنزل على محمد ﷺ يهدى الناس جميعا وليس قوم رسول الله ﷺوحدهم، ثم إنـه يهديهم إلى ماهو أقوم بمعنى ما هـو أقوم الطرق، فيكون القول مشيرا إلى علو قيمة ما يهدى إليه القرآن العظيم على ما هدت إليه التوراة، ولما كان ما يهدى إليه القرآن العظيم هو الإسلام الذى وصفه تعالى بأنه الأقوم ؛ فإن القول يكون مشيرا إلى علو القرآن العظيم منزلة وقدرا و إلى كونه المهيمـن على الكتب، ومشيرا إلى علـو قدر رسول الله ﷺ على الرسل والأنبياء واصطفائه لأن يكون خاتم المرسلين.

وقوله تعالى « ويبشر المؤمنين الذين يعملـون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا» جاء من بعد بيانه تعالى أن القرآن العظيم أنزل ليكن إبلاغ جميـع الناس به ، فجاء بيان أنه يبشر المؤمنين مفيـدا أنه يبشـر المؤمنيـن بـالقرآن العظيـم وبرسـول الله ﷺ بقطـع النظر عـن جنسياتهـم وأقوامهـم . وهو يبشـرهم لأنهم المستفيـدون منه فهـم الذين علـى الصراط المستقيـم دين الإسلام ، وشرط نيلهم ما بشروا به هو أن يعملوا الصالحات ليكون العمل بالجوارح موافقا ما وقر فى القلب من إيمان . وموضوع البشارة هـو أن لهم أجرا عظيما، وهو الثواب والجنة، جاء وصفه بالأجر لبيان استحقاقهم لهذا الثواب كمـا يستحق العامل أجره، وجاء تنكيره مع وصفه بالكبر للإطماع فيه بعدم تحديده مع بيان عظمه.

وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

التفسـير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ مرتبـط بقوله تعـالى فى الآية السـابقة عن تبشير القـرآن العظيم المؤمنيـن الذيـن يعملون الصـالحات أن لهـم أجرا كبيـرا، فقد يكـون من بشـارة المؤمنيـن إعلامهـم بما يكون لغيـر المؤمنين، وقـد يكون لدخـول الإنذار فى معنـى البشارة باعتبـارها «الإخبار» عموما بالقادم من خير وشر.

ومفاد القول هو أن الذين لايؤمنون بالآخرة مصيرهم فى الآخرة هو العذاب الأليم أعدَّه الله لهم سلفا، والمراد بالذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين لم يؤمنوا بوقوعها على الإطلاق ممن ينكرون البعث والحساب، والذين لم يؤمنوا بما جاء بشأنها فى القرآن العظيم وإن كانوا يؤمنون بالبعث والحساب، مثل هؤلاء الذين يؤمنون ـ من أهل الكتاب ـ بالبعث والحساب، وينكرون كيفيته التى جاء بها القرآن ومنه أنه يكون عذاب الجسد والروح فيقولون إنه يكون عذاب الروح فقط.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾ ⑪

أولا: الأسماء:

١ ـ **الإنسان:** هو جنس الإنسان، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ الإنسان الكافر على وجه الخصوص.

٢ ـ **العَجول:** فى قوله تعالى «وكان الإنسان عجولا» هو الذى يتعجل وقوع ما يخطر بباله ويرجو تحققه دون تدبر ما إذا كان يحقق له مصلحة أو يصيبه بضرر من عدمه، وهو أيضا الذى يستعجل ما توعد به من الشر والعذاب.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى الكافرين، جاء الحديث عنهم من بعد بيان أن القرآن العظيم يدعو الإنسان إلى الخير المحض، لبيان الفرق بين ما يكون للمؤمن بالقرآن العظيم وما يكون من الكافر فى حق نفسه. ذلك أن الكافر يدعو لنفسه بالشر كما يدعو لنفسه بالخير مثل قول بعضهم:

«اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم»، وقول بعضهم «فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين»، ثم إنه يكون منهم ـ بأعمالهم

السيئة ـ حلول العذاب فيكون تعجلهم مباشرة هذه الأعمال تعجلا للشر.

وقوله تعالى ـ في ختام الآية ـ وكان الإنسان عجولا » هو بيان لواقع حال الكافرين الذين يتعجلون حدوث كل ما يخطر لهم أن فيه خيرهم دون تدبر منهم عواقبه، ويتعجلون ما توعدوا به من الشر والعذاب وهو آتيهم. فالقول بهذا المعنى يتضمن إظهارا لجهل الكافرين وتهكما بهم.

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ آية الليل: قيل هو الضوء يكون ممحوا فتكون الظلمة لا يبين معها شيء. وقيل هو ظلمة الليل يمحوها الضوء.

٢ ـ آية النهار: المراد بها ـ في معنى الآية ـ هو النهار ذاته يكون مضيئا.

ثانيا: التفسير:

بعد أن أخبر تعالى في الآيات السابقة على إنعامه على الإنسان بنعمة الدين الحق الموصل إلى رضاه تعالى فإنه يخبر في الآية عن نعمه الدنيوية، ومنها خلقه تعالى الليل والنهار آيتين من آيات معجزاته في الخلق، جاء ذكر الليل لأنه المقدم وجودا ــ وقد سبق بيان أن الأصل هو الظلام أو هو ظلام الكون ـ ثم يكون منه انسلاخ النهار.

ثم يقول تعالى « فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة» والمعنى أنه تعالى محا الضوء في الليل فكان الليل مظلما لا يبين فيه شيء، وجعل النهار آية مبصرة بمعنى أنه تعالى

جعله مضيئا يبصر فيه الناس الأشياء.

ثم ذكر تعالى علة جعله النهار مبصرا بقوله تعالى « لتبتغوا فضلا من ربكم»، والمعنى أنه لكى يكون منكم السعى والعمل ابتغاء الحصول على رزق ربكم الذى يتفضل به عليكم - ومن القول يبين أن الرزق فضل منه تعالى وليس واجبا عليه.

وقوله تعالى « ولتعلموا عدد السنين والحساب» تعلق بالفعلين وهما محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة. إذ يكون بهذا معرفة عدد السنين فى الحياة الدنيا، وحساب الأوقات بالأشهر والأيام والساعات.

ومن هذا أنه تحسب السنة الشمسية بدوران الأرض حول الشمس الذى يكون فى مدة سنة.

ويحسب الشهر القمرى بدوران القمر مرة حول الأرض. ثم إن الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية يوجد فى كل ثلاثين سنة هجرية فرقا مع السنة الميلادية يبلغ ٣٢٦,٥ يوما. فيكون الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية فى كل ٣٠٠ سنة هو ٣٢٦٥ يوما هو ما تزيد به السنوات الشمسية على القمرية، فيكون مرور ثلاثمائة سنة شمسية مساويا مرور ثلاثمائة وتسع سنوات هجرية، وسبحان الله العظيم الذى أخبر عن هذه الحقيقة العلمية بقوله تعالى «ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا».

وقوله تعالى - فى ختام الآية - « وكل شىء فصلناه تفصيلا» مفاده أنه تعالى قد أظهر - فى القرآن العظيم مما يتعلق بشئون حياة العباد فى الدنيا - غير آيتى الليل والنهار - كل شىء وفصله على النحو الذى جاء بقوله تعالى «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء».

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾

أولا: الأسمـــاء:

١ ـ **الطائر**: فى قولـه تعالى « ألزمناه طائره فـى عنقه » المراد به عمل الإنسان يكـون له به الخير أو الشر. استعير من تفاؤل العرب وتشاؤمهم مـن رؤيتهم الطير سانحا أو بارحا، فإن كان سانحا أى متجها من اليسار إلى اليمين تفاءلـوا بهذا، و إن رأوه بارحا بمعنى أنه يكون متجها من اليمين إلى اليسار تشاءموا فاستعير لبيان الحظ والنصيب.

٢ ـ **الكتاب**: فى قوله تعالى «ونخرج له يوم القيامة كتـابا»، المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو صحيفة عمل الإنسان.

٣ ـ **المنشور**: فى قوله تعالى «كتابا يلقاه منشورا» ، المـراد به ـ فى معنى الآية ـ أنه يكون مبسوطا غير مطوى تسهل قراءته.

ثانيا : التفســير:

قوله تعالـى فى الآية فى تكليف الإنسان ومـا يكلف به، فمعنى قوله تعـالى « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه» هو أنه تعالى ألـزم كل إنسان مكلف عمله سواء أكان خيرا أم شرا فهو ما يتقرر به مصيره من الثواب أو من العقاب ، يكون ارتبـاطه بعمله على ما أشد ما يكون عليه الارتباط حتى لكأنه علق فى رقبته كما تعلق القلائد والأغلال فلا يفارقه.

وقد قيل إن المراد بالقول هو أن ما يقدره تعالى على الإنسان من سعادة أو شقاء يلتصق به فى الحياة الدنيا فيكون كما لو كان معلقا برقبته.

وقوله تعالى « ونخرج له يوم القيامة كتابـا يلقاه منشورا» جاء من بعد ذكره تعالى أنه يجعل مصير الإنسان مرتبطا بعمله صالحا كان أم مسيئا.

والقول يبين أنه ـ إعمالا لهذا ـ فإنه تعالى يخرج للإنسان يوم القيامة حين يبعث للحساب صحيفة عمله يتلقاها مبسـوطة غير مطوية ليسهل عليه معرفة عمله ومـا يؤدى إليه من ثواب أو عقاب.

■■■■

﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾

أولا: الأسمـــاء:

كفى: اسم فعل معنى « اكتف»

ثانيا: التفسير:

مفاد قوله تعالى ــ فى الآية ـ أنه يقال للإنسان يوم القيامـة ـ بعد أن يتلقى صحيفته التى دونت فيها أعماله ـ اقرأ كتابك ـ والمعنـى أن يؤمر بأن يقرأ صحيفته، ويقال له « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبـا، ويقبل المعنى أن يكون المراد بالنفس ـ فى معنى الآية ــ هو الجوارح تشهد على صـاحبها ، ويقبل أن يكون المراد بها هـو نفس المرء يحاسب نفسه بمـا ظهر فى كتابه. والقـول ـ بهذا المعنى ـ يفيد واقـع أن كتاب العبد لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مـن أعماله إلا أحصاها فتكون به الكفاية لبيان مصير العبد، حتى إنه يقبل أن يكون حكما على نفسه بما يطلع عليه من كتابه.

﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعـالى أن القرآن يهدى للتـى هى أقوم، وأن الناس يحـاسبون بأعمالهـم، فإنه تعالـى جاء بالمستفاد مـن هذا بقوله تعـالى « فمن اهتدى فـإنما يهتـدى لنفسه، ومـن ضلَّ فإنما يضـل عليها» بمعنى أن من اهتـدى إلى طريق الله المستقيـم دينه تعالى الحـق، وعمل صالحا، فإن ذلك يكون له إذ يدون له فى صحيفـة أعماله، وأن من يضل طريقه إلى رضا الله

فيختار غير دين الحق فإنه يكون عليه هذا ولا يفيد من عمل صالح يعمله فى دنياه شيئا فى آخرته فيرى هذا فى كتابه الذى يتلقاه يوم القيامة.

وقوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » معناه أن نفس مرتكب المعاصى لا تستطيع أن تحمل عن نفس عاصٍ آخر شيئا من ذنوبها لتخلصها منه.

وقيل إن سبب نزول الآية أن الوليد بن المغيرة كان يطلب من الناس الكفر برسول الله ﷺ وأن عليه أوزارهم، فنزلت الآية . والواقع هو أن النص ـ بقطع النظر عن سبب النزول ـ يقرر مبدأ المسئولية الشخصية عن الجرائم والآثام.

وقوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» مقطوع بتعلقه بعذاب الدنيا واختلف فى أمر تعلقه بعذاب الآخرة. فالمجمع عليه والثابت من أحداث التاريخ أنه تعالى لم يعذب قوما فى الدنيا بالهلاك إلا من بعد بعثه تعالى رسولا فيهم يبلغهم رسالة ربهم وينذرهم عاقبة كفرهم به واستمرارهم على الكفر وعلى فعل السيئات وتكذيبه. والذى نراه أنه يتعلق أيضا بعذاب الآخرة فإنه مع وضوح آيات الله فى خلقه وهى ـ فى حد ذاتها ـ دافعة أصحاب العقول إلى الإيمان بوجود خالق للكون وبوحدانيته إلا أنه تعالى قد أرسل الرسل تترا، فلقد كان آدم عليه السلام رسولا إلى بنيه وكان الرسل من بعده إلى أقوامهم مبعوثين منه تعالى فى كل زمان ومكان.

ولا يعنى هذا وجوب كون الرسول بين القوم لتحقق وجوب مساءلتهم بكفرهم، فالذي هو محل اعتبار هو وصول رسالته إليهم أو تمكنهم من العلم بها والإحاطة .

ولهذا كان الذين آمنوا بموسى عليه السلام ممن علموا رسالته من قومه مؤمنين إلى بعثه تعالى المسيح عيسى ابن مريم، فكان الذين آمنوا به رسولا نبيا هم المؤمنين وأصبح الذين كفروه كافرين مستحقين العذاب، كذلك فإن النصارى الذين اتبعوا صحيح ما بعث به عيسى ابن مريم عليه السلام إلى بعثه تعالى رسول الله ﷺ مؤمنين، ثم إنه أصبح من لم يؤمن منهم ممن بلغته دعوة رسول الله ﷺ بعد بعثته كافرا مستحقا العذاب. ثم إن كل من بلغته دعوة رسول الله ﷺ منذ بعثته إلى اليوم ولم يؤمن به يعد كافرا مستحقا العذاب فى الآخرة،

والحال على هذا إلى أبد الدهر وقيام الساعة.

وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾

أولا : الأسماء :

المترفون : فى قوله تعالى «أمرنا مترفيها»، جمع مفرده «الترف» وهو المتنعم بالنعم بما فيها ما يزيد على الضرورى مما يعتبر الحصول عليه من قبيل الترف، ويدخل فيهم ـ فى معنى الآية ـ الملوك الجبارون.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى شأن العذاب الدنيوى الذى يصبه تعالى على الأمم التى يبعث فيها الرسل فيكذبونهم، ذكر تعالى كيف يكون منه إهلاك أهل هذه القرى.

ومفاد قوله تعالى أنه إذا أراد تعالى أن يهلك ـ من بعد إرساله الرسول إلى قومه ـ أهل قرية من القرى، فإنه يأمر الذين تنعموا فيها من أهلها وملوكها والحاكمين بطاعته تعالى، فيكون منهم الفسوق والعصيان بدلا من الطاعة.

وقيل إن أمره تعالى المترفين يعنى أمره بالعصيان ـ وإن كان بالطاعة ـ وذلك لأن تقلبهم فى النعم وبطرهم يؤدى إلى عصيانهم. وفى النص جاء بيان توجيه الأمر إلى المترفين مفيدا توجيهه إلى من هم دونهم لأن المترفين متبوعون، ولأن غيرهم تابعين لهم، ولهذا يكون نسبة الفسق إلى المترفين مفيدا نسبته إلى تابعيهم سواء لمتابعتهم سادتهم واتباعهم إياهم أم لرضائهم بما يفعلون فيكونون شركاء لهم.

وقوله تعالى «فحق عليها القول فدمرناها تدميرا» هو بيان للسبب الذى يستحق به أهل

القرية إهلاكهم بعذاب الدنيا وتعريف به، وهو كونه تدمير القرية بناء وهلاك أهلها نفوسا وأبدانا

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧﴾

التفســــير:

بعد أن ذكر تعالى كيف يكون منه إهلاك القرى من بعد بعثه الرسل فيها وكيفية وقوع الهلاك وماهيته فإنه تعالى أشار إلى كثرة الأمم المهلكة بقوله «وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح» والمراد بالقرون ـ على ما سبق بيانه ـ جموع الناس الذين عاشوا فى زمان واحد.

وذكره تعالى أن إهلاكه القرون كان من بعد نوح مرجعه أن أول عذاب دنيوى بالاستئصال كان بالطوفان الذى حدث فى زمن نوح عليه السلام.

وقوله تعالى «وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا» هو بيان لأن إهلاكه تعالى هذه القرى إنما كان بذنوب أهلها، وليس مثله تعالى من يعلم ماهية هذه الذنوب ومبلغها، مما مفاده أنه تعالى أهلكهم بعدله .

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ العاجلة : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ الدار الدنيا .

٢ ـ المدحور: فى قوله تعالى «يصلاها مذموما مدحورا» هو المطرود المبعد، والمراد به فى الآية هو المطرود من رحمة الله تعالى .

ثانيا: التفســـــير:

لما كان تعالى قد بين أنه بعمل الإنسان الذى يسطر فى كتابه يكون مصيره فى الآخرة، فإنه تعالى تحدث عن الذين أرادوا بقلوبهم أن تكون لهم الدنيا بعملهم فيها ولم ينظروا إلى الآخرة نظرة من يريد ثوابها.

فقال تعالى إنه يعجل لهم فى حياتهم الدنيا حياتهم فيها ويعجل لهم فيها منحهم ما يشاء مما أرادوه يكون لهم فيها، يكون لمن يشاء له العذاب والهلاك، والمعنى أنه قد يشاء العذاب لأشخاص مثل النمرود ومثل فرعون، وأنه قد لا يشاءه لآخرين .

ثم يذكر تعالى أنه يكون منه تعالى لمن أراد متع الحياة الدنيا بعمله ولم يرد الآخرة جهنم مأوى فى الآخرة يقاسي حرها يشوى به جسده عن بُعد من مصدر اللهب وحاله أنه يكون مذموما من الرائين مهانا، ومبعدا عن أن يكون فى عداد المشمولين بالرحمة مطرودا منها .

وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى من أراد بعمله نعيم الحياة الآخرة، ثم كان منه السعى المطلوب للحصول على هذا النعيم الأخروى، والمعنى أنه عمل للآخرة الأعمال الصالحة التى يثاب عليها .

بين تعالى أنه يكون له ثواب هذا السعى أو ثواب أعماله الصالحة وهو قبولها، لكون

القبول مؤديا إلى الإثابة، ثم إن النص بين شرط تحقق هذه النتيجة وهو أن يكون سعى الساعى إلى الآخرة مع إرادة نعيمها من مؤمن، وذلك لأن الإيمان شرط للإثابة على الأعمال الصالحة فى الآخرة، ولأن عمل العامل لا يقبل إلا إذا توافر فى عامله الإيمان الثابت والنية الصادقة .

كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى ما يكون ممن أرادوا الحياة الدنيا بأعمالهم، وما يكون ممن أرادوا الآخرة بعملهم، فإنه تعالى أثبت ـ فى الآية ـ أنه يمد كلا من الطائعين من عطائه الذى لا نفاد له يكون متواليا مرة بعد مرة. فيعطى مريدى الدنيا من متعها دفعات واحدة إثر أخرى، ويدخر لمريدى الآخرة ثوابا بعد ثواب ونعيما بعد نعيم يكون لهم فى الآخرة .

وقوله تعالى ـ بعد هذا ـ «وما كان عطاء ربك محظورا» هو بيان لاستمرار عطائه تعالى كلا من الفريقين ما يريد على دفعات متوالية من عطاء لا ينفد غير ممنوع على من يريده .

انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن من الناس من يريد الدنيا بعمله وأن منهم من يريد الآخرة، وأنه تعالى يمد كلا من الفريقين بما أراد، فإنه تعالى يظهر فى الآية أن عطاءه هذا يتسم بتفضيل بعضهم على بعض رغم أن كلا من أفراد الفريقين قد نال مراده ، أما الذين فضلهم سبحانه

وتعالى فهم الذين أعطاهم ثواب الآخرة، وذلك لعدم تساوى متاع الحياة الدنيا مع ثواب الآخرة.

ثم إنه تعالى أورد قوله «وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا» وهو بيان لعلة كون الذين أمدهم الله بثواب الآخرة مفضلين على الذين أعطاهم متاع الحياة الدنيا، وذلك لكون الجنة مما لا يدركه أى متاع فى الحياة الدنيا، بل إن متع الحياة الدنيا جميعها تقصر عن أن تكون مثيلا لمتاع من متع الجنة فى أى درجة من درجاتها .

لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ نهى عن الشرك بعد الإيمان، ظاهر الخطاب أنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد به أمته، ينهاهم سبحانه وتعالى عن أن يتخذوا مع الله إلٰها آخر.

ثم بين تعالى ما يترتب على اتخاذ إلٰه آخر معه تعالى وهو مكوث المشرك ـ فى أى وضع كان ـ مذموما من الملائكة ومن المؤمنين، مخذولا من الله تعالى .

۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

أولا : الأسماء :

أف : اسم صوت يفيد التضجر، أو اسم فعل بمعنى «أتضجر» .

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن نهى تعالى عن اتخاذ إله آخر مع الله تعالى فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يذكر أنه أمر الناس ألا يعبدوا غيره تعالى، فيكون معنى أنه تعالى «قضى» هو أنه أمر، وليس أنه تعالى أجرى قضاءه بهذا، ومضمون الأمر هو عبادة الله، وعدم عبادة غيره معه .

ثم إنه تعالى أظهر أهمية الإحسان إلى الوالدين بربط الأمر بالإحسان إليهما بأمره بتوحيده تعالى واختصاصه وحده بالعبادة، وبعد أن أمر تعالى بالإحسان إلى الوالدين فإنه ذكر ما يعتبر من قبيل الإحسان إليهما، أو إنه تعالى نهى عن الإساءة إليهما بما ورد ذكره فى الآية :

مما يعتبر الانتهاء عن المنهى عنه إحسانا إليهما. والمنهى عنه هو أن يكون ـ لدى بلوغهما الكبر أو بلوغ أحدهما الكبر حال كونه فى كنف الابن مع قيام الابن على أموره ـ أن يقول له لفظا يعبر عن تضجره منه أو من خدمته، أو إشارة تفيد هذا المعنى، أو أن يكون منه زجر لهما أو لأحدهما.

ثم إنه تعالى أمر أن يكون من الابن مع والديه أو مع الموجود منهما ـ بدلا من التضجر أو النهر والزجر ـ أن يقول قولا كريما، بمعنى أن يكون القول جميلا فيه إكرام وتكريم .

وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان ما يكون من الابن مع والديه من بر بهما، جاء قوله تعالى «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة» مشتملا على استعارة مكنية بتشبيه الذل بطائر منحط من عل يلصق جناحيه بجانبيه، والمراد هو أن يتواضع الابن لوالديه وأن يظهر لهما هذا التواضع .

ثم إنـه تعالى بقولـه «وقل رب ارحمهما كمـا ربيانى صغيرا» يـأمر الابن بـالدعاء لوالـديه بالرحمة، وغير مختلف على أن الدعاء بهذا للوالدين المسلمين مأمور به.

والخلاف فـى جواز الدعاء بـه لغير المسلمين، والذى نـراه أنه إذا كان الأبوان حييـن فإن الدعاء لهما بالرحمـة يكون جائزا لأنه يعنى الدعاء لهما بالتوفيـق إلى الإيمان والإسلام، فأما إن كانا ميتين فلا يكون جائزا لهما الدعاء بالرحمة.

وقول الابن فى دعائه «كما ربيانى صغيرا» هو دعاء بـأن تكون رحمته تعالى بالوالدين مثل رحمتهما به فى صغره حين قاما على تربيته.

رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

التفسـير:

بعد أن نهى تعالى عن الإساءة إلى الوالدين بقول أو فعل وأمره بالتواضع لهما ومخاطبتهما بالقـول الكريم اللين. فـإنه تعالـى أظهر ـ فـى الآية ـ أنه إنمـا يطلب أن يكون الإحسـان إلى الوالـدين بالقلـب وليس بالقـول أو الفعـل مع انطـواء القلب على التضـرر من الإحسـان إليهما.

فقولـه تعالى «ربكم أعلـم بما فى نفوسكـم» مفاده أنه تعالـى يعلم حقيقة ما فـى نفوس الأبناء تجاه آبـائهم من حب وتـواضع ورغبة فى الإحسـان إليهما، أو من تضجر وتـأفف، وأنه يحاسب الأبناء بما فى نفوسهم.

وقوله تعالى «إن تكـونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا» مفـاده أنه إذا كان فعلكم أيها الأبناء خيرا مع والديكم مقصودا به البر بهمـا و إصلاح أحوالهما، وصلاح نفوسكم بالإحسان إليهما فإنه تعالـى يقبل هذا منكم ويغفر به ما قد يكون قد سلـف منكم من الإساءة إليهما أو

إلى أحدهما عرضا، إذ يعتبر إحسانكم إليهم بالقلب بمثابة توبة ورجوع إليه تعالى يغفر لكم بها ما سلف من خطأ فى حقهم .

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦﴾

التفسير:

قوله تعالى فى الآية موجه إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين، والقول أمر منه تعالى بإعطاء ذوى القرابة من المرء ما يحتاجونه نفقة لهم، عبر عنه النص بأنه حق لهم لبيان وجوب المأمور به.

ثم ذكر تعالى المسكين وابن السبيل، جاءا معطوفين على «ذا القربى» فأظهر النص أن لهما حق النفقة على القادر، وقيل إن المراد بحقوق هؤلاء هو ما كان مفروضا فى مكة أو ما كان يؤدى معتبرا بمنزلة الزكاة.

وقيل إن المخاطب بالنص والمأمور به هو رسول الله ﷺ، وأنه لهذا أعطى فاطمة الزهراء «فدك» بعد نزول الآية .

وقوله تعالى «ولا تبذر تبذيرا» هو نهى منه تعالى المؤمنين عن التبذير، ومنه أن يكون إعطاء النفقة لغير مستحقيها.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾

التفسير:

بعد أن نهى تعالى المؤمنين عن التبذير، فإنه تعالى ذكر فى الآية ما يعتبر بمثابة تعليل لهذا النهى ، فقال تعالى «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين» .

والمراد بهذا هو أنهم يشبهون الشياطين كما يشابه الأخ أخاه، ووجه الشبه هو فى عصيان أوامر الله تعالى، أو فى كون التبذير صفة من صفات الشياطين .

وقوله تعالى «وكان الشيطان لربه كفروا» جاء مستهدفا أمرين :

أولهما : هو بيان أن الشيطان وقد آتاه الله الكثير من القدرات والمكنات، كان منه استغلالها فى غير موضعها فكان جاحدا إياها، وأن المبذر بإنفاقه المال فى غير موضعه يكون شأنه شأن الشيطان كفورا لربه.

والثانى : هو التنفير من التبذير المنهى عنه، لأن الكفور بربه مصيره إلى العذاب بكفرانه وهذا ما لا يرضاه مؤمن لنفسه ولا يقبله، ويعمل على تلافيه .

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ٢٨﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية ـ موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو فى مضمونه لجميع المؤمنين. وما يتعلق به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان قد جاءه أحد من المذكورين بطلب عطية ولم يكن مقدورا له أن يعطيهم سؤلهم فإنه كان صلى الله عليه وسلم يصرف وجهه الشريف عنهم.

وذكر تعالى أن إعراضه صلى الله عليه وسلم عنهم كان سببه هو ابتغاءه صلى الله عليه وسلم رحمة من ربه .

والمعنى هو البحث أو انتظار وجود ما يعطيه إياهم. أما الأمر فهو أن يكون له منه صلى الله عليه وسلم لهؤلاء القول الطيب المشتمل على الدعاء لهم باليسر. وقيل إن مفاد القول هو النهى عن الإعراض والقول قولا ميسورا .

■■■■■

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

أولا : الأسماء :

المحسور : فى قوله تعالى «فتقعد ملوما محسورا» هو النادم المغتم، وهو المحسورة قواه أو قدرته على التحرك .

ثانيا التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمأمور به لجميع أمته، وهو عدم البخل وعدم الإسراف والمعنى هو التوسط بين الإفراط والتفريط إلى الاعتدال.

ثم إنه تعالى شفع أمره فى جزئه المتعلق بالنهى عن الإفراط فى الإعطاء ببيان علته، وهو وصول الأمر بالمعطى الذى أفرط فى العطاء إلى الدرجة التى يعجز فيها عن الخروج إلى الناس لسوء مظهره أو لعدم وجود ما يرتديه ويظهر به للناس .

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقول متعلق بأمره تعالى إياه بعدم الإعراض عن سائليه صلى الله عليه وسلم العطايا، وبقول القول الميسور لهم.

جاء قوله تعالى لبيان أن عدم قدرة رسوله على الإعطاء ليست لهوان نفسه عليه تعالى وإنما هى لتعلق الرزق بأمره تعالى يبسطه لمن يشاء ويقدر على من يشاء رزقه، ثم إنه تعالى بين أن هذا يكون منه تعالى لما يعلمه من عباده فيكون منه ما تتحقق به مصالحهم .

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

أولا : الأسماء :

الخِطْء : هو الإثم .

ثانيا التفسير:

الخطاب فى الآية إلى المؤمنين ينهاهم ربهم عن قتل أولادهم ترتيبا على الفقر أو خوفا منه، وظاهر القول يفيد أن النهى هو عن قتل الأولاد ذكورا و إناثا، والمشهور أن أهل مكة كانوا فى الجاهلية يقتلون الإناث خوفا من الإملاق والفاقة .

وقوله تعالى «نحن نرزقهم و إياكم» تضمن بيان علة النهى وهى أنه تعالى يرزق الأبناء مع الآباء، وأنهم أصلاء فى منح الرزق .

ثم إنه تعالى أوضح أن قتل الأبناء خوف الفقر هو إثم كبير يعاقب عليه، وربما كان هذا ـ فضلا عما فيه من قتل النفس التى حرم الله قتلها ـ لأنه يتضمن عدم ثقة فى الله تعالى أنه يرزق من خلق، كما يتضمن عدم التوكل عليه تعالى وعدم الاعتماد .

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

أولا : الأسماء :

الزنى : هو وطء المرأة من غير عقد شرعى. ويكون بالإيلاج بأن يولج المرء ذكره فى فرج الأنثى، كله أو بعضه .

ثانيا التفسير:

ينهى تعالى ـ فى الآية ـ عن القرب من الزنى، والمعنى أنه ينهى تعالى عن مباشرة

ما يكون مقدمات له، لأن فعل هذا قد يوصل إلى مقارفته فكان الأمر بتجنبه يكون بالابتعاد عما قد يؤدى إليه .

ثم إنه تعالى وصف الزنى بأنه كان ولا يزال فاحشة، وأنه بئس السبيل سبيلا، وذلك لأنه يورث فى الدنيا اختلاط الأنساب وحلول العداوة بين الناس .

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

التفسـير:

بدأ قوله تعالى ـ فى الآية ـ بنهى صريح عن قتل النفس التى حرم الله قتلها، وهى النفس المعصومة بالإسلام أو بالعهد، ثم استثنى تعالى من المنهى عنه أن يكون القتل بالحق، وهو لا يكون حقا إلا بتوافر حالة من ثلاث هى: أن يكون القتل قصاصا، وأن يكون لثيب بجناية الزنى، وأن يكون بالارتداد عن الإسلام .

وقوله تعالى «ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا» هو بيان لصاحب الحق فى طلب القصاص وهو ولى الدم، فلا يكون القصاص بغير «طلبة» ولصاحب الحق أن يتنازل عنه إلى الدية أو بغير مقابل، ولا يعنى تنازله أنه لا يكون لولى الأمر أن يعزر القاتل بعقوبة أخرى لاعتدائه على حق الله أو الحق العام المتمثل فى أمن مجتمع المسلمين، على ألا يصل التعزير إلى القتل قصاصا .

وقوله تعالى «فلا يسرف فى القتل» هو نهى لولى الدم عن الثأر لقتيله بنفسه مع عدم مراعاة شروط القصاص وأوجبها المساواة، فيكون الإسراف فى القتل بقتل أكثر من واحد بالواحد منهيا عنه بالنص .

وقوله تعالى «إنه كان منصورا» هو بيان لواقع ما يكون لمن التزم أمره تعالى فلجأ إلى القصاص ملتزما شروطه أو عدل عنه إلى الدية.

يخبر تعالى أنه ينصره، فيكون مفاد القول هو إلزام ولى الأمر فى المجتمع بإجابة طلب ولى الدم لأنه قد لا يقدر بغير هذا على استيفاء حقه فى القصاص .

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - موجه فى بدايته إلى القائمين على مصالح اليتامى - فى مقام أول - ثم إلى غيرهم، ومضمونه نهى عن الاقتراب من مال اليتيم إلا أن يكون هذا لرعايته والمحافظة عليه وزيادته، بمعنى أن يكون بالطريقة التى يتحقق بها ما هو حسن للمال ولصاحبه، وأن يكون القيام على أموال اليتامى مستمرا إلى أن يبلغ اليتيم أشده وفيه يكتمل عقله ورشده فيكون من القائمين على مصالح اليتيم تسليم ماله إليه .

وقوله تعالى «وأوفوا بالعهد» هو أمر موجه إلى جميع المؤمنين بالوفاء بالعهود، والمراد بالعهود هو كل ما تم من عهود مع الله ومع الناس، فيدخل فى هذا العقود المبرمة بين الناس بعضهم والبعض .

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «إن العهد كان مسئولا» هو حث على الوفاء بالعهود ببيان أن العهود مسئول عنها، والمعنى أنه تعالى يسأل المعاهدين على ما يكون منهم من نقض العهود، ويجازيهم بما يكون منهم من نقضها .

■■■■■

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

أولا : الأسـماء :

القسـطاس : هو الميزان، وقيل هو القبان منه على وجه الخصوص.

ثانيا التفسـير :

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى المؤمنين، ومضمون القول أمر بما يكون منهم عند بيعهم شيئا خلال مباشرتهم تجارتهم مما يكال بالكيل.

جاء الأمر بإيفاء الكيل بمعنى إتمامه، يكون هذا حال قيامهم بالكيل للمشترين. وأن يكون منهم عند بيعهم شيئا مما يوزن أن يكون منهم وزن المبيع بميزان سوى سليم، فلا يكون مع الإيفاء به جور أو ظلم للمشترى.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «ذلك خير وأحسن تأويلا» هو بيان لعاقبة التزام أمره تعالى، وهو إصابة المطيع الملتزم الأمر خيرا فى الحياة الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾

التفسـير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو بقاعدة من قواعد الأخلاق يستقيم بها حال مجتمع المسلمين فيما يتعلق بحقوق أفراده ومصالحهم، اعتبرت بالأمر بها أمرا من أوامر الدين واجب الطاعة ومعاقبا على مخالفته . ومضمون القاعدة هو النهى عن اتباع ما لم يتحقق علم المرء به على وجه اليقين، يدخل فى معنى الاتباع ترديد القول باعتباره متضمنا حقيقة، أو الجزم بمعرفته. ومن ذلك مثلا أن يسمع المرء فى أحد قولا كأن يقال عنه إنه سرق أو خان فيردد القول كأنه

علم به عـن طريق المعاينة والمشاهـدة، ويدخل فيه أن يشهد أمام القضـاء أو أمام محكمين بأمر لم يعلم صحته على وجه اليقين، ومنه أيضا أن يقضى المرء أو يفصل فى نزاع دون العلم الكامل بواقعاته أو بما يطبق عليه من أحكام الشريعة أو القانون .

وقولـه تعالـى «إن السمع والبصـر والفؤاد كل أولئـك كان عنـه مسئولا» هـو بمثابـة إظهار للمساءلة على مخالفـة النهى والمعاقبة. إذ تسأل حاسة السمع يوم القيامـة عما إذا كانت قد سمعت ما زعم المرء معرفته بطريق السمع، وتسأل حاسة الإبصار عما إذا كانت قد أبصرت، وتسأل الأفئـدة عما إذا كانـت قد عرفـت واطمأنت بـالمعرفة. فـإن شهدت أو أجابـت على السؤال أنها لم تسمع ولم تبصر ولم تعلم، كان صاحبها قد خالف النهى مستحقا العقاب، أو كان مسئولا عن انحرافه بالسمع والبصر والفؤاد عن الحقيقة مستحقا بهذا العقاب .

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ ٣٧

أولا : الأسـماء :

المـرح : فى قولـه تعالى: «ولا تمش فـى الأرض مرحا» هو شـدة الفرح، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الفخر والكبر.

ثانيا التفسـير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ فى قاعدة أخرى من قـواعد الأخلاق فهى تتضمن نهيـا عن فعل يؤدي إلـى شيوع التباغض بيـن أفراد المجتمع. فهو تعـالى ينهى كـل مؤمن عن أن يسيـر فى الأرض مختالا بنفسه مزهوا متكبرا على غيره. فمن شأن من يفعل هذا أن يتكبر على غيره، ومن شأن غيره أن تأخذه الغيرة منه وأن يبغضه بفعله .

ثم إنه تعالى أظهر علة النهى عن الفعل البغيض فى عبارة تقرع فاعله وتتهكم به «إنك لن تخرق الأرض ولن تبلـغ الجبال طولا» وعبارة القول تفيـد معنين : أولهما أنه مهمـا بلغت قوة

المرء ومهما بلغ سلطانه فإنه لن يستطيع بخطوه فوق الأرض أن يخرقها، فيكون القول ضعفه الذى يناقضه أن يكون منه معه تكبر وتجبر وتعال، كما أنه مهما تطاول برأسه إلى السماء مأخوذا بسلطانه لن يبلغ ارتفاع الجبال طوله، والمعنى أن سلطانه لا يبلغ به علو قدر على الحقيقة.

وثانيهما هو أنه ليس للمرء أن يتكبر وهو فوق الأرض التى منها خلق وإليها يعود فهو أضعف من أن ينال منها بذاته ومن أن يبلغ ما ارتفع منها بذاته، صنع ربه الذى أحسن كل شىء خلقه .

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ٣٨﴾

التفسير:

يخبر تعالى ـ فى الآية ـ أن جميع ما ذكره تعالى من أوامر ونواه مكروه عنده تعالى. وفى هذا المعنى الموجز يلاحظ أن المشار إليه بـ«ذلك» هو أوامره تعالى ونواهيه بدءا من قوله تعالى فى الآية ٢٣ «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه»، وانتهاء بقوله تعالى «ولا تمش فى الأرض مرحا» فى الآية ٣٧. وأن المراد بـ«سيئه» هو السيء منه ـ والمراد به المنهى عنه ـ فهذا هو السيء الذى نهى عنه لهذه العلة، فيكون منه اتخاذ إله مع الله، والتأفف من الوالدين ونهرهما، والتبذير، وغل اليد إلى العنق وبسطها كل البسط، وقتل الأولاد من إملاق، وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق، وإسراف ولى الدم فى القتل، واتباع ما ليس للمرء به علم، والمشى فى الأرض مرحا. كما يلاحظ أن كراهة الله تعالى هذه الأعمال السيئة هى كراهة فعل وليست كراهة خلق، ولهذا جرت مشيئته تعالى بخلقها، وكره تعالى أن تصدر من المرء. والمفترض أن العلم بكراهيته تعالى صدور هذه الأعمال من الإنسان تكفى وحدها لتجنبها ولهذا فلا يناقض وصف هذه الأعمال بأنها مكروهة عنده تعالى أن منها ما يعتبر من الكبائر.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾

أولا : الأسـماء :

الحكمـة : قيل إن المـراد بها ـ في معنـى الآية ـ مجموع مـا ورد فى الآيات السابقـة من قصص وأحكام ممـا نزل به جبريل عليـه السلام على رسول الله ﷺ، وقيل إن المـراد هو علم الشرائع، وقيل هو الأحكام المحكمة.

والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن المراد بها هو الأحكام الشرعية، أو الشريعة، وهى الشق الثانى من الدين بعد العقيدة .

ثانيا التفسـير:

يشير تعـالى ـ فى الآيـة ـ إلى الأحكام الشـرعية التى ورد ذكرهـا فى الآيات السابقـة وهى مجموعة الأوامر والنواهى المعتبرة من قواعد المعاملات ويخبر عنها بأنها بعض مما أوحى به الله تعالى إلى رسولـه ﷺ المخاطب بالقول «ذلك مما أوحى إليـك ربك من الحكمة» فيفيد لفظ «الحكمة» معنين:

أولهما أنها مـن قبيل الأحكام، لا يمنع من هـذا أنها تضمنت أمرا بعدم اتخـاذ آلهة أخرى مع الله تعالى، وذلك لارتباطهـا جميعا بهذا الأمر باعتبارها مترتبة على التـوحيد، وثانيهما هو بيان أن هذه الأحكـام هى من قبيل المحكـم الذى لا ينسخ فى إشـارة إلى كونها ممـا يصلح لكـل زمان ومكـان، يدل علـى هذا قـوله تعـالـى ـ مـن بعد ـ «ولا تجعل مـع الله إلٰها آخـر» والخطاب فيه إلـى المؤمنين أو إلى جميع النـاس لاستحالة المنهى عنـه عن رسول الله ﷺ . وفيه خوطب كـل فرد من أفراد المؤمنين أو الناس ونهـى عن الشرك بالله تعالى ـ فالنهى تعلق بأمر العقيدة من إيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به ـ على وجه الخصوص ـ فدل هذا على أن المشار إليـه فى مبدأ الآية هـو ما تعلق بالأحكـام الشرعيـة. ثم جـاء بيان جزاء مخالفـة هذا النهى وهو إلقاء المشرك فى جهنم ملوما من نفسـه ومن الملائكة والناس. ومطرودا من رحمة الله تعالى .

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

التفسـيـر:

بعد أن نهى تعالى عن الشرك به فى إيضاح أساس العقيدة، ولما كان من الكافرين أن بعضهم قد حرف فى عقيدة الشرك فبدلا من القول إن لله شركاء يماثلونه فى الألوهية، فإنه تعالى قال إنه اتخذ من الملائكة إناثا، فزعم بالباطل أن الملائكة بنات الله، وجعل الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا. فجاء قوله تعالى «أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا» مخاطبا القائلين إن الملائكة إناث وإنهم بنات الله، وخطابهم جاء فى صيغة استفهام إنكارى ينكر عليهم قولهم وعقيدتهم الفاسدة، وفيه جاءت «الفاء» للعطف. ومعنى الاستفهام الإنكارى هو «أيكون تعالى قد فضلكم على ذاته العليا فخصكم بالبنين خالصين لكم من دونه تعالى وجعل لذاته العليا البنات أو الإناث اللائى هن لديكم أدنى من الذكور مرتبة .

وقوله تعالى «إنكم لتقولون قولا عظيما» هو بيان لبشاعة القول وكونه مرتبا إثما عظيما يستوجب عقاب قائله. فالقول العظيم الإثم يستوجب أشد العقاب .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ القـرآن : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو مجموع التنزيل، وقيل إن المراد به هو بعضه الذى تناول إبطال عقيدة الشـرك أو الذى تناول إبطال نسبة البنات إلى الله تعالى.

٢ ـ النفـور: فى قوله تعالى «وما يزيدهم إلا نفورا» هو الإعراض والابتعاد عن كراهية .

ثانيا التفســـــير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ فى المشـركين، يذكـر تعالى أنه كـان منه ـ فى القـرآن العظيم ـ التصريف، بمعنـى تكرار القول مع تغييره من حـال إلى حال، وكذا تغيير مشتمـلات نصوصه ومضموناتها بين أمثـال وعبر وأحكام وقصص ومواعظ وإعلام ليتدبروا معانيـه ويتذكروها. ثم أثبت تعالى أن فعله هذا فى القرآن العظيم لم يكن له الأثر المفترض أن يكون له مع أصحاب العقول، بل إنه لم يكـن له مع المشركين إلا أنه زادهم نفورا من القـرآن العظيم و إعراضا عنه وتباعدا. فيكون القول مشيـرا إلى اعتقادهم في القرآن غير الحق، من كـونه سحرا أو كهانة أو شعرا.

قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ إبطال لعقيدة المشركين الذين قالـوا إن مع الله تعالى آلهة أخرى، وهو ـ فى هذا المعنى ـ غير متوقف على قـول رسول الله ﷺ ما أمره تعالى أن يقوله. والذى أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقوله هو «لو كان معه آلهة إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا» أو هو «لو كان معـه آلهة كمـا يقولـون إذا لابتغـوا إلى ذى العـرش سبيـلا»، وعلى الأول يكـون القول «كمـا يقولون» هـو قوله تعالـى، فيكون المعنى أن رسول الله ﷺ يتوجـه بالقول إلى المـؤمنين أو إلى المشركيـن. وعلى الثانـى يكون القول «كمـا يقولون» هو قـوله تعالـى فيكون دالا على تـوجيه القول إلى غير المشركين الذين يعود إليهم الضميـر المستتر فى «يقولون» وهو للغائبين. وعلى الحالين يكون ثابتا أن قوله تعالى فى الآية إنما أريد به إبطال عقيدة المشركين.

أما المعنى المباشر للقول الذى يدل على إبطال عقيدة الشرك، فهو أنه لو كان مع الله آلهة أخرى لكـان محتما أن يكون منهم السعـى إلى من لـه الملك والربـوبية جاهديـن أن يجدوا طريقا لإزالـة ملكه والاستحواذ عليه علـى ما جرت عادة الشركـاء فى الأمور من محـاولة كل منهم الاستحـواذ على الملـك والسلطة. وقيـل إن المراد هو سعـى هؤلاء الآلهـة إلى طـريق

يوصلهم إلى التقرب منه تعالى متنافسين فى هذا ليكون كل منهم صاحب حظوة عنده تعالى، وأنه بهذا المعنى يكون محققا أنهم دونه تعالى فلا يكونون آلهة، فيكون القول مظهرا بطلان عقيدة الشرك .

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

التفسـير:

بعد أن أبطل الله تعالى قول المشركين أن مع الله آلهة أخرى، فإنه تعالى ينزه ذاته عن جميع ما يقولون مما يعد من قبيل الإشراك به تعالى ومنه أن يكون له تعالى بنات أو أنه يتخذ من الملائكة إناثا. والقول يفيد تعاليه تعالى عما يقوله المشركون علوا كبيرا، ومرجع هذا هو امتناع ما يقولون به على ذاته العليا ولها السمو بذاتها الذى يمتنع معه الدنيىء من اتخاذ شريك واتخاذ ولد

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

التفسـير:

بعد أن نزه تعالى ذاته العليا عما يقول المشركون فإنه تعالي خاطب الذين يعود إليهم الضمير فى «تفقهون» فى قوله تعالى «ولكن لا تفقهون تسبيحهم» فقال «تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن» فبين تعالى أن السماوات السبع والأرض وكل من يعقل فيهن يسبح لله تعالى فيكون القول شاملا الملائكة والإنس والجن .

ثم قال تعالى «وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» فبين تعالى أنه ما من مخلوق إلا وهو يسبح بحمده تعالى، يدخل فى هذا الحيوان والنبات والجماد.

ويتصور فى هذا التسبيح أن يكون «تسبيح الدلالة» بمعنى أن الشيء يدل بنفسه ويشهد عليها أن خالقه هو الله تعالى القادر على كل شيء. ويتصور فيه أن يكون «تسبيح ـ المقالة» بمعنى أنه يسبح بالقول فعلا وإن كان تسبيحه لا يسمعه المخاطبون بالنص أو لا يفقهونه. والذى نميل إليه هو أن المراد بالتسبيح هنا هو تسبيح المقالة، فلو كان هو تسبيح الدلالة لما احتاج الأمر أن يقول تعالى «ولكن لا تفقهون تسبيحهم» إذ يفيد قوله تعالى هذا أن التسبيح يكون بالقول فعلا ولهذا فإن المخاطبين بالقول لا يفقهونه .

أما المخاطبون بالنص فإنهم ـ إذا اعتبر تسبيح الأشياء هو تسبيح الدلالة ـ فإنهم يكونون المشركين والكفار لأنهم الذين لا يفهمون ولا يتدبرون من خلق الأشياء أن لها خالقا قادرا على ما لا يقدر عليه أحد هو الله تعالى، أما إذا اعتبر أن المراد بالتسبيح هو تسبيح المقالة فإن المخاطبين بالنص يكونون جميع الناس. وعلى الحالين فإن القول يكون قد تضمن تقريعا للكافرين والمشركين الذين لم يصلوا إلى مرتبة الجمادات .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إنه كان حليما غفورا» قيل فيه إنه موجه إلى المشركين والكافرين فى معنى إنكاره تعالى عليهم عدم تسبيحهم بحمده، فهو تعالى يقول لهم إنه حليم ولهذا فإنه لم يعجل لهم عقوبتهم التى استحقوها، وأنهم لو تابوا فإنه تعالى يغفر لهم. وهو يقبل لدينا ـ والله أعلم ـ أن يكون موجها إلى جميع الناس مفيدا معنى أنه تعالى حليم بعباده يمهلهم ولا يعجل لهم العذاب لإتاحة الفرصة أمامهم للتوبة والإيمان وعمل الصالحات، وأنه غفور للمؤمنين ولمن يؤمن من الكافرين يغفر لهم ذنوبهم فى الآخرة .

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **الحجاب** : فى قوله تعالى «جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا»

هو ما يحجب المرء أو الشيء فلا يشاهد من المحتجب عنه ولا يدرك .

٢ ـ المستور : في قوله تعالى «حجابا مستورا» هو ذو الستر، يكون بمعنى أنه ـ أي الحجاب في معنى الآية ـ مستور عن الناس لا يرونه، ويكون بمعنى أنه ساتر ما وراءه فلا يرى ما وراءه .

ثانيا التفسير:

قيل إن الخطاب في الآية إلى رسول الله ﷺ وأنه يتعلق بما كان يستتر به رسول الله ﷺ من القرآن العظيم من الكافرين الذين يريدون به شرا، وهو قوله تعالى في سورة الكهف «إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا»، وقوله تعالى في سورة النحل «أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم»، وقوله تعالى في سورة الجاثية «أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة»، وقيل إنه يتعلق بما كان من أم جميل بنت حرب حين أرادت برسول الله شرا عندما سمعت قوله تعالى «تبت يدا أبي لهب وتب» وطلب أبو بكر رضي الله عنه من رسول الله ﷺ أن يتخفى لكيلا تسمعه ما يؤذيه فقال ﷺ «سيحال بيني وبينها» وكان هذا بأمر الله فلم تره.

ومفاد قوله تعالى في الآية يقبل ـ على ما سبق بيانه ـ أن يكون أنه عندما يقرأ رسول الله ﷺ القرآن فإنه تعالى يجعل بينه وبين الكافرين الذين يريدون به شرا حجابا يستره عن أعينهم فلا يبصرونه، أو إن الكافرين ـ نتيجة لإعراضهم عن قراءته ﷺ وتغافلهم عنه يكونون كمن بينهم وبينه ﷺحجاب يحول دون رؤيتهم إياه. وهو يقبل أيضا أن يكون أنه عندما يقرأ ﷺ القرآن بما فيه من تنزيه وتسبيح ودعوة إلى العمل بما جاء فيه من تكاليف مما يكره الكافرون سماعه والعمل به، فإنه يكون منه تعالى أن يجعل بينهم وبين إدراك معانيه حجابا يستر عنهم حقيقته ﷺ؛ ولهذا كان منهم قولهم فيه غير الحق مثل قولهم «إن تتبعون إلا رجلا مسحورا» .

وفي النص جاء ذكر المشركين والكافرين بأنهم «الذين لا يؤمنون بالآخرة»، وقد يكون هذا لأن الإيمان بالآخرة جاء قرين الإيمان بالله تعالى في القرآن العظيم كثيرا، وقد يكون تمهيدا لما سيخبر به عنهم من إنكارهم البعث .

وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾

التفســـــير:

الخطاب فى الآية إلى رسـول الله ﷺ، وهو في ما يكون منه تعالى مع الكـافرين المصرين على الكفـر مع رسول الله ﷺ حين يقـرأ القرآن، فيذكـر تعالى أنـه يجعل على قلوبهـم أغطية تحول بين وصول معانى القرآن إليها فلا يكون منهم فهمها وتدبرها ولو سمعوه، وأنه يجعل فى آذانهم صمما وثقلا يحول دون سماعه صحيحـا، فيكون المعنى المراد إظهاره هو عدم إدراك معانيه على النحو الصحيح وعدم تدبرها .

وقوله تعـالى «و إذا ذكرت ربك فى القرآن وحـده ولوا على أدبارهم نفورا» معنـاه أنه إذا ما ذكر رسـول الله ﷺ أثناء قراءته القـرآن رب العزة وحده دون آلهـة المشركين، والمراد بهـذا هو توحيد الله أو قوله «لا إلـه إلا الله» لأن القرآن لم يتضمن ذكر آلهة المشركين بخيـر فيكون ذكرها مما يسعدهم باستثناء الملائكة والأنبياء الذيـن عبدهم بعضهم ـ إذا ما ذكر رسول الله ﷺ ربه موحدا فإنه يكون مـن المشركين التولى والهروب منزعجين نافريـن أو لأجل الانزعاج والنفور، ويقبـل القول أن يكـون بـالنسبة لكـل قارىء القـرآن العظيـم يكون مـن الشيـاطين الهـروب منزعجين نافرين عند سماعهم القرآن .

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الظالمـــــون : قيل إنهم أبو جهل، والوليد بن المغيرة ومن ماثلهما فى الشرك والفعل

والقول، واللفظ عام يدخل فيه جميع المشركين الذين يقولون فى رسول الله ﷺ غير الحق .

٢ ـ المسحور : فى قوله تعالى «إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا» هو من أثر فيه السحر فخبله، وقيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الساحر، وقيل هو الذى لا يستغنى عن الطعام والشراب لكونه بشرا مثل غيره .

ثانيا التفسير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ، وهو فى المشركين الذين كانوا يستمعون إلى رسول الله ﷺ يقرأ القرآن فلا يفهمون معانيه ولا يتدبرونها، يقول له تعالى «نحن أعلم بما يستمعون به»، وقد تكون «الباء» فى «به» زائدة فيكون المعنى هو «نحن أعلم بما يستمعونه» ـ والمراد هو القرآن العظيم ـ وقد تكون للسببية أو بمعنى اللام فيكون المعنى هو «نحن أعلم بما يستمعون » بسببه القرآن العظيم أو لأجله ـ فيكون المراد هو استهزاؤهم به وقولهم فيه غير الحق ـ فيكون مفاد القول أنه تعالى يعلم استماعهم القرآن يقرأه رسوله ﷺ، أو أنه تعالى يعلم سبب استماعهم القرآن يقرأ، وأن علمه تعالى هذا يعاصر استماعهم، يدل على هذا قوله تعالى «إذ يستمعون إليك» فيفيد أن العلم يكون متحققا وقت سماع الكافرين القرآن .

وقوله تعالى «وإذ هم نجوى» يفيد أمرين: حاصل أولهما هو أن الكافرين يتناجون فيما بينهم فى أمر القرآن العظيم، والمعلوم أنهم إنما كانوا يتناجون فيه بالشر بمعنى أنهم كانوا يدبرون كيف يكون استهزاؤهم به والطعن فيه. وحاصل ثانيهما أنه تعالى يعلم أمر نجواهم وما يتناجون فيه .

وقوله تعالى «إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا» هو إعلام من الله تعالى رسوله ﷺ ببعض ما كان يتناجى به الكافرون، فيذكر أن ظالمى غيرهم منهم وهو أعمدة الكفر الذين كانوا يضلون باقيهم كانوا يقولون فى رسول الله ﷺ إنه رجل مأفون قد ضاع عقله من أثر السحر، أو إنه ساحر يأتى بكلام بليغ وينسبه إلى الله تعالى. والمعنى هو أن القرآن العظيم ليس من الله فى شىء ولهذا فإنهم لم يتدبروا القرآن .

ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

التفســـير:

الخطاب فـى الآية إلى رسول الله ﷺ، وهـو فى شأن الصفات التـى رماه الكافرون بهـا فى شأن القرآن العظيم الذى يقرأه ويبلـغ فيه، فهم قد قالوا إنه شاعر، وقالوا إنـه ساحر، وقالوا إنه مجنون، وجميعها صفات تبعـد عن أن تكون من وسائل المحاجة والإقنـاع تدل على انعدام الدليل لـديهم على ما يـزعمونه فى القـرآن العظيم، ولذلك قـال تعالى إنهم ضلـوا، فهم قد ضلوا عن الحق وضلوا عن طريق المحاجة؛ ولهذا أيضا فإنهم يعدمون سبيلا يمكن أن يؤدى إلى الإقناع بما يقولون فى القرآن العظيم، وما يقولون فى رسول الله ﷺ.

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

أولا : الأســـماء :

الرفــات : فى قوله تعـالى «أئذا كنا عظاما ورفاتـا» هو ما تكسر وبلى من كـل شىء، وقيل هو التراب، وقيل هو كل مدقوق إلى غاية الدق .

ثانيا التفســـير:

يذكـر تعالى ـ فـى الآية ـ موضـوعا آخر ممـا كان المشركون يتنـاجون فيه فى شـأن القرآن العظيم مستهزئين به. أو فيما كان به ضلالهم ـ سواء لكونه طعنا فى القرآن، أم لكونه من قبيل ضرب الأمثال الفاسدة لرسول الله ﷺ. فيذكر تعالـى أن المشركين أو الكافرين قالوا «أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنـا لمبعوثون خلقا جديدا» والاستفهام فى قولهـم إنكارى فهم ينكرون البعث، ويدللون على عقيدتهم بعدم تصور أن يكون من بعـد فناء الأجسام بالموت وصيرورتها عظاما بالية وشيئا يشبه التراب فى دقة ذراته، أن يكون من بعد هذا بعث جديد تعود فيه الأجسام إلى ما كـانت عليـه قبل الموت ـــ والمعنى هو استهـزاؤهم بـالقرآن العظيم الـذى يخبر بـالبعث والحساب .

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠﴾

أولا : الأسماء :

الحديد : فى قوله تعالى «كونوا حجارة أو حديدا» مفرد، جمعه «حدائد» و «حديدات»، وهو المعدن المعروف .

ثانيا التفسير:

لما أثبت تعالى أن الكافرين استهزؤوا بالقرآن العظيم لإخباره بالبعث واستنكروا أن يكون لأجسام قد بليت وأصبحت ترابا، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يستهزىء بهم ببيان أن بعث الأجسام التى كانت فيها حياة أسهل من بعث ـ ما لم تكن فيه حياة فى الدنيا ـ حيا فى الآخرة فكان أمره تعالى له ﷺ أن يقول لهم «كونوا حجارة أو حديدا»، ليكمل القول فى الآية التالية.

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ «أو خلقا مما يكبر فى صدوركم» هو تتمة قوله ﷺ للكافرين، والمعنى أنه لما كانت الحجارة وكان الحديد مما لم يكن فيه حياة فى الدنيا، فيستبعد الكافرون أن يكون فيه بعث حياة فى الآخرة، فإنه لو كان الكافرون حجارة أو حديدا أو شيئا غيرهما يستبعد الكافرون أن يكون له بعث فى الآخرة على نحو أشد مما يستبعدون معه أن يكون للحجارة والحديد بعث، فإنهم مبعوثون . وقيل إن المعنى هو أنه لو كان الكافرون هم

الموت ذاتـه لبعثهم الله يـــوم القيـــامة، قولا بـأنه ليـس شـىء أكبـر فى نفـس ابن آدم مـن المـوت.

ثم إنه تعالى أخبر عما يكون من الكافرين حين يقول لهم رسـول الله ﷺ هذا القول بقوله «فسيقولون من يعيدنا»، والمعنى أنهم يستبعدون أن يكون فى قدرة أحد أن يعيدهم أحياء من بعد الفناء، ويرون ذلك محالا .

ثم يأمر تعالى رسـوله ﷺ أن يقول للكافرين ـ عندما يسألـون مستنكرين عمن يعيدهم أو يعيد الحياة إليهـم عند البعث ـ أنه الذى فطـرهم أول مرة «قل الذى فطركـم أول مرة» جاءت الإجابـة ـ فى القول ـ بذكر فعـل لله جل وعلا يـدل على قدرته علـى البعث من بـاب أولى، والفعل هو إيجاده تعالى الناس من العدم أول مرة، فيكون من هذا خلقه تعالى آدم من التراب على غير مثـال، ويكون منه خلقه النـاس وإيجادهم فى الدنيـا ولم يكن لهم فيهـا ظهور قبل إيجادهم فيها .

وقوله تعالـى «فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متـى هو» هو إخبار من الله تعالـى رسوله ﷺ بآتٍ مـن الكافـرين حين يجيبهـم إلى ما سـألوا عنـه، فيخبر تعالـى أنهم سيعبـرون عن استهزائهم بإجـابته ﷺ بتحريك رؤوسهم نحوه ﷺ منكـرين ما سمعوا من إجابـة، ثم يقولون مستهزئين «متى هو» والمعنى أنهم يسألون منكرين عن موعد هذا البعث .

ثم يقول تعالى لرسوله ﷺ «قل عسى أن يكون قريبا» والمعنى هو أن تكون إجابة رسول الله ﷺ على سؤالهم بأن يـوم البعث قريب، والمراد به هو أنه محقق الوقـوع فيكون لتحقق وقوعه بمنزلة القريب الحدوث .

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

التفســـير:

القول ـ فى الآية ـ تتمة قوله ﷺ للكافرين ردا على سؤالهم عن سؤالهم عن موعد بعثهم،

فيكون «يوم يدعوكم» بـدلا من «قريبا» **فيكون المعنى** هو أن الموعد القريـب هو «يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده». وفـى معنى **دعائه تعالى والاستجـابة** له، يتصور أن يكون الـدعاء مجازا عن البعث وأن تكون الاستجـابة **مجازا عن الانبعاث**، فلا يكون هنـاك دعاء على الحقيقة ولا استجابـة وإنما أمر منه تعـالى من قبيل **«كـن فيكون»**، ويتصور أن يكـون المراد بالدعـاء هو النفخة الأخيرة وتكون الاستجابة بعودة الأجسام البالية كما كانت .

وفى معنى الاستجابة بحمده تعالى **فإنه يتصور أن تكون الاستجابة المقصودة هى استجابة** الكافرين، يبعثون حامدين لله تعالى كمال قدرته، **أو قائلين قسرا «سبحانك اللهم وبحمدك»** دون أن ينفعهم القول . ويتصور أن تكـون الاستجابة **المقصودة هى استجابـة المؤمنين يبعثون** حامـدين لله تعـالى إحسـانه إليهـم وتوفيقهـم **للإيمـان والبعث مـؤمنين، ويتصـور أن تكون** الاستجابة المقصودة هى استجابة الكافرين **والمؤمنين معا** .

وقوله تعالى «وتظنـون إن لبثتم إلا قليلا» بقوله ﷺ **للكافرين هو إفـادة عما يكون منهم يوم** البعث إذ يعتقدون أنهم لم يلبثـوا فى قبورهم، أو فى دنياهم، أو فيما بيـن **النفختين فى الصور** إلا وقتا قصيرا، وعلـة اعتقادهم هذا هـو أنه يكون لهم بعده أن يـؤمروا بدخول النـار، **فيكون ما** قبلها لديهم زمنا قصيرا وإن طال .

وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾

التفسـير:

الخطاب فى الآيـة موجه إلى رسـول الله ﷺ، وهو أمر أن يقول لعبـاده تعالى قولا عـن ربه تعالى هو أيضا أمر **بقاعدة من قواعد** السلوك، والمتصور لدينا ـ والله أعلم ـ أن المراد بعباد الله ـ فى معنى الآية ـ **الذين يوجه إليهـم** رسول الله ﷺ خطابه هم المؤمنون، ومضمون الأمر هو أن

يقولوا التى هى أحسن، والمعنى المقبول هو أن يكون هذا فى علاقاتهم مع بعضهم فلا يسىء أحدهم إلى آخر القول، وإن أساء أحدهم إلى آخر القول فيكون من الآخر الرد بالقول الحسن المتسم بالأدب، ويتصور أيضا أن يكون فى علاقاتهم مع غير المؤمنين إذا جادلوهم فى أمر التوحيد، يقولون الكلمة التى هى أحسن ـ إذا اشتد الكافر فى الحديث ـ مثل هداك الله. وقيل إن المراد بعباد الله الذين يقول لهم رسول الله ﷺ هذا القول هم الكفار، وأن التى هى أحسن التى يؤمرون بقولها هى كلمة التوحيد والإقرار بنبوة رسول الله ﷺ وقيل إن القول يكون للمؤمنين وللكافرين .

وقد يؤكد صحة ما رأيناه من أن القول يوجه إلى المؤمنين قوله تعالى من بعد «إن الشيطان ينزغ بينهم» بمعنى أنه يفسد بين المؤمنين بعضهم والبعض ويهيج الشر بينهم، وهذا هو المتوجب درؤه فى مقام أول، قبل درء وقوع الفساد بين المؤمنين والكافرين، وإن كان يتصور أن يكون مرادا أيضا منع وقوع الفساد بين المؤمنين والكافرين بما يفيد معنى أن يكون القول الحسن من المؤمنين للكافرين.

أما الذى يكون بعيدا فهو أن يكون القول موجها إلى الكافرين لأن نزغ الشيطان بين بعضهم والبعض لا يضر المؤمنين شيئا .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا» جاء بمثابة تعليل للمأمور به، ذلك أنه لما كانت مخالفته هى مسعى الشيطان ونجاحه، فإنه بمعرفة واقع الشيطان وحقيقته منذ القدم وأنه عدو للإنسان ظاهر العداوة فإن ما يسعى إليه يكون بلا مراء متضمنا شر الإنسان وأذاه؛ ولهذا يكون متوجبا عدم الانصياع إليه، وهو ما يكون بالتزام الأمر وقول التى هى أحسن .

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾

التفســـير:

قيل إن عبارة القول فى الآيـة هى للكافرين، وأنها تفسير للكلمة التـى هى أحسن، فيكون القائلون بهذا هم الذيـن قالوا إن رسول الله ﷺ يتوجه بالقول المأمور بـه فى الآية السابقة إلى الكافرين، وأن معنى القول هو أنه تعالى عليم بأحوالكم ـ أى أحوال الكافرين ـ وأنه تعالى إن يشأ يرحمكم فيوفقكـم للإيمان، وإن يشأ يعذبكم ويميتكم كافريـن، فتكون هذه هى الكلمة التى هى أحسن، بـدلا من التصريح لهم بأنهـم أهل النار مما يهيج شعورهـم ويحفزهم على الشر.

والذى نـراه ـ والله أعلم ـــ هو أن القول للمـؤمنين، فهـو تعالى عليـم بأحوالهـم، وإن يشأ يرحمهم فلا يكـون بين بعضهم والبعض عداوة وبغضاء، وإن يشأ يعـذب بعضهم ببعض فى الدنيـا والآخرة بمـا يكون بينهـم من عـداوة وبغضاء واعتـداءات. ويتصور أن تكـون الرحمـة والعذاب متعلقـة بالعلاقات بينهـم وبين الكافريـن، فتكون الرحمـة بحفظهم من الكافـرين ويكون العذاب بتسليط الكافرين عليهم .

وقولـه تعالى «ومـا أرسلناك عليهم وكيلا» مـوجه إلى رسـول الله ﷺ الذى أبلغهم أمـر ربه تعالى أن يقولـوا الكلمة التى هى أحسن، يخبره ربـه أنه ليس موكلا بهم أن ينفـذوا ما أمروا به ولا أن يتحمل تبعة عصيانهم ما أمروا .

ثم إنـه يجدر التنبيه إلـى أن الذين قـالوا إن الكلمـة التى هى أحسـن تقال من المـؤمنين للكافرين، قالوا إن الآية أو الحكم هذا قد نسـخ بآية السيف. وفى هذا نظر، لأن الحكم تعلق بوجود جدال بين المـؤمنين والكافرين، وليس بشرط أن يكون الكافـرون هم كفار العرب، فقد يكونـون من دول أجنبية معـاهدة، ويكون الجـدال دائرا بين فـريق من المـؤمنين وفريـق من الكافرين، فيكون القول الحسن مأمورا به عند المجادلة والنقاش .

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

أولا : الأســـماء :

الزبـــــور : فى قوله تعـالى «وآتينا داود زبورا» هو ما أنزل الله علـى داود عليه السلام من كتاب والمشهور أنـه السفر الموجود فـى كتاب العهد القديـم المسمى بالمزاميـر، وهو أدعية ودعاء وتسبيح وإشارات إلى أحداث وردت فى شكل قصص غير مكتملة البناء .

ثانيا التفســـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ «وربك أعلـم بمن فى السماوات والأرض» هو رد على الكـافرين الذين قالوا لـو أراد الله أن يبعث رسولا لجعله ملكا من الملائكة، وعلى الذيـن قالوا «لولا نزل هذا القرآن على رجـل من القريتين عظيم» فجاء قولـه تعالى مفيدا أنه لما كـان مما يحيط به علمه تعـالى علمه بأحـوال من فى السماوات والأرض مـن ملائكة وإنـس وجن فإنه تعـالى يختار للنبوة والرسالة من يراه بعلمه أهلا لهذا .

وقوله تعـالى «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض» مفاده أنه تعالى لـم يجعل الأنبياء متساوين فـى الفضل لديه، وليس الفضل متعلقـا بمال أو جاه أو كثرة أتباع، وإنما هـو بمزايا قدسية وبما ينزل على الأنبياء .

ثم إنه جاء قوله تعـالى بعد هذا «وآتينا داود زبورا» لبيان أمرين، أولهما هـو بيان أنه تعالى فضل داود عليه السلام على أنبيـاء غيره بأن آتاه الزبور، وثانيهما هـو بيان أن محمدا رسول الله ﷺ هو المفضل بيـن الأنبياء وأن المؤمنين به هـم الـذين يرثون الأرض، وذلك لتضمـن الزبور هذا المعنى الـذى جاء به ـ فـى القرآن ـ قوله تعـالى «ولقد كتبنا فـى الزبور من بعـد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحـون»، والذى يضمه من سفر المزامير الموجـود بين أيدينا الآن ما جاء فى الـزبور الخامس والأربعيـن من إشارة إلى بعثـة رسول الله ﷺ، وكونه رجـل حرب مع كونـه نبيا، وبقاء دينه إلـى أبد الدهـر خاتم الأديـان بما جاء فيه «فـاض قلبى بكلام صـالح، متكلم أنا بإنشائى للملك، لسانى قلم كاتـب ماهر، أنت أبرع جمالا من بنى البشر، انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد ، تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك، وبجـلالك اقتحم . اركـب، من أجل الحـق والدعة والبـر فتريك يمينـك مخاوف.

بتلك المسنونة فى قلب أعداء الملك، شعوب تحتك يسقطون ، كرسيك يا الله إلى دهر الدهور» .

قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ أمر إلى رسول الله ﷺ أن يقول للمشركين «ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا» والمراد بالقول هو بيان بطلان عقيدة الشرك ببيان عجز الذين عبدهم المشركون عن كشف الضر الذى أصاب المشركين وعن تحويل حالهم من الفقر إلى الغنى، وجاء بيان عجز المعبودين من لفظ «زعمتم» والمراد به «كذبتم فى شأنهم». ثم إنه يبين من التعبير عن المعبودين من دون الله تعالى بـ «الذين» أنه يدخل فيهم الملائكة ويدخل فيهم المسيح عليه السلام وأمه وعزير؛ ولهذا جاء تغليب العقلاء على غير العقلاء .

وقيل فى سبب نزول الآية أن القحط أصاب قريشا فشكوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية. ومعنى القول هو «ليكن منكم الدعاء إلى الذين زعمتم كذبا أنهم آلهة أن يرفعوا عنكم بلاء القحط، لتروا أنهم لا يقدرون على رفع الضر عنكم ولا عن تحويل حالكم من الفقر إلى الغنى». وبقطع النظر عن سبب نزول الآية فإن القول يعتبر من قبيل إقامة الحجة على المشركين ببيان عجز أى معبودات عن إفادة عابديها بنفسها ولو كانت ملائكة أو أنبياء أو صالحين .

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

التفســـــير:

بعد أن دلل قوله تعالى فى الآية السابقة على بطلان عقيدة الشرك بإثبات انعدام قدرة كل معبود من دون الله تعالى على إفادة عابديه برفع الضر عنهم أو تحويل حالهم إلى ما هو أفضل، فإنه تعالى أثبت أن عقلاء المعبودات وهم المعبودون من الملائكة والجن ومن الأنبياء يعبدون الله تعالى مما مفاده أنهم يقرون له تعالى بالعبودية فيكون القول مظهرا حماقة عابديهم.

ففى الآية يشير تعالى إلى الذين يعبدهم المشركون ويدعونهم ويخبر عنهم بأنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، فهم يتقربون إلى ربهم بالطاعات مبتغين الوسيلة التى تكون أقرب من غيرها إيصالا إلى طاعته تعالى، أو أن أقربهم إلى الله يطلب الوسيلة إلى الله تعالى بالطاعة.

فيكون من شأن الأبعد الطلب الأعظم لهذه الوسيلة، وهم يرجون من طاعته تعالى أن يدخلهم فى رحمته ويشملهم بها، ثم إنهم مع علو مرتبتهم لكونهم ملائكة أو رسلا يخافون عذابه تعالى كما يخاف الجان أيضا عذابه.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن عذاب ربك كان محذورا» معناه أن عذابه تعالى هو الجدير أن يحذر وأن يتحرز منه، ثم إنه لما كانت الملائكة وكان الرسل يحذرونه فإنه يكون على من هم دونهم مرتبة أن يحذروه من باب أولى.

وبهذا المعنى يكون القول متضمنا تهديدا ووعيدا للمشركين والكافرين.

وبيان وجوب الحذر من عذابه تعالى جاء من بعد ذكر رجاء رحمته إنما كان لسبق رحمته تعالى عذابه كما جاء فى الحديث القدسى «سبقت رحمتى غضبى» .

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

التفســـــير:

يذكر تعالـى فى الآية حكمه فى القرى ـ والمـراد بها البلدان عموما ـ ثـم يبين حتمية وقوع حكمه فيها. فيذكر تعالى أنه ما من قرية أو بلدة أو بلد إلا ويكون منه تعالى قبل يوم القيامة أنه يميت أهلها ميتـة طبيعية ـ بمعنى حتف أنوفهـم ـ أو يصيبهم بعذاب شديد يـؤدى إلى قتلهم مثل الحرب والجوع والزلازل والمعنى هو موت جميع الناس قبل يوم القيامة.

ثم إنـه تعالى أثبـت حتمية وقـوع هذا المخبر عنـه ببيان أنه مسطـور منذ الأزل فـى اللوح المحفوظ بمعنى أنه الذى جرى به حكمه تعالى، فهو نافذ .

وفى معنى هذه الآية قيل كثير عما يكون بـه هلاك البلاد ومنه أن مكة تخربها الحبشة، وأن المدينـة تهلك بالجـوع، والبصرة بالغـرق.، والكوفـة بالترك، ومصـر بانقطاع النيـل، والعراق بالجوع. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن الكثير والكثير جدا مما قيل فى هذا ليس له مصدر موثوق فيه وأنه بعـض تأثر بما ورد فى ملحمـة جلجامش، وما ورد فى سفـر رؤيا يوحنا اللاهـوتى فى كتاب العهد الجديد. أما ما ورد فى نص الآية فهو حتمية إهلاك البلاد جميعها أو فناء بنى آدم قبل يوم القيامة .

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ تعلق بما طلبه مشركو قريش من رسول الله ﷺ أن يأتيهم بآية مادية بأن يحيل لهم «الصفا» ذهبا، وبأن يزيل الجبال المحيطـة بمكة فتصير وديانا يزرعونها، فجاء قوله تعـالى «وما منعنا أن نرسـل بالآيات إلا أن كذب بهـا الأولون» مفيدا معنى ظاهـرا هو أنه تعالى لـم تجر مشيئته بأن تكون آيته إلى النـــاس من قبيل الآيات المـادية، وذلك لأن الأولين

ـ وهم السابقـون من الأقوام الذين أرسلت إليهم آيات مـادية ـ قد كذبوا بها، ثـم إنه لما كان مشركـو مكة متفقيـن مع الأولين فـى صفة الإصـرار على الكفـر، فإنه يكـون مقدرا ألا يـؤمنوا بالآيات المادية كما فعل الأولون، ولهذا فإنه تعالـى لم يرسل لهم آيات مادية وجعل آيته لهم هى القرآن العظيم .

وقوله تعالى «وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها» هـو ذكر موجز لقصة إرساله تعالى الناقة آية لثمود، أريد به بيـان علة أخرى لعدم إرساله آية مادية لكفار مكـة. والمعنى المباشر للقول هو أنه تعالـى أرسل الناقة إلى ثمود آية ماديـة لكى يؤمنوا بصالح عليه السلام نبيـا مرسلا من ربه فكان منهم الكفر بها وإنكار أنها من الله تعـالى فظلموا أنفسهم بالكفر ثم ظلموا أنفسهم بعقرها بتعريضها للهلاك بسبب هذا. وفى القـول قيل إن «مبصرة» حال من الناقة بمعنى أنها ذات إبصار، والـذى نراه ــ والله أعلم ــ أنها حال مـن الآية، فهـى آية مبصـرة يبصرهـا القوم ويتبصرونها كما هو الواجب عليهم.

أما العلة الأخرى لعدم إرساله تعالى آيات مـادية إلى كفار مكة والتى يتضمنها القول فهى عدم مشيئته تعالـى إهلاكهم بعذاب دنيوى عاجل يستـأصل شأفتهم تماما لعلمـه تعالى أنه يكون منهم من يـؤمن، وأنه يولد لهم مؤمنـون يجاهدون فى سبيله ويعلون دينـه، يبين هذا من الإشارة إلى هلاك ثمـود بسبب كفرهم بآية الناقـة، فيكون مفاد القول أيضا أنه لـم يرسل إلى مشركى مكة آية مادية لأنه لم تجر مشيئته تعالـى بإهلاكهم تماما بعذاب دنيوى عاجل. وقيل فى هذا أن الله تعالى قال لرسوله ﷺ «إن شئت أن تـؤتيهم الذى سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت مـن قبلهم أمـم، وإن شئت أن تستأنـى بهم». فقـال ﷺ «بل أستأنـى بهم» فنـزلت الآيـــة .

وقولـه تعالى «ومـا نرسل بـالآيات إلا تخويفـا» مفاده أنه تعـالى يرسـل بالآيات المـادية المقترحة غـالبا من الكافريـن إنذارا لهم بوقوع العذاب الـدنيوى بهم بإهلاكهـم، فيكون هذا تخويفـا لهم من الكفـر بها وأن هذا ليـس حال آيـة القرآن العظيم الـذى هو إنذار وتخـويف بعذاب الآخرة، وهو تخويف بما هو أشد من عذاب الدنيا .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الرؤيـا :** هى ـ فى الأصل ـ رؤيـا الروح أو رؤيا المنـام. وقيل إن المراد بها ـ فى معنى الآيـة ـ هو مـا رآه رسول الله ﷺ ليلة أسرى بـه. وقيل إن المراد بهـا هو رؤيا دخـوله ﷺ مكة، ويضعف هذا أن السورة مكيـة وأن الرؤيا كانت بالمدينة. وقيل إن المـراد بها هو الرؤية مطلقا .

٢ ـ **الشجرة الملعونـة فى القرآن :** المشهور أنهـا شجرة الزقـوم، وأن المراد بلعنها هـو لعن طاعميها من الكفرة. أو لعنها ذاتها لكونها فى أبعد مكان من الرحمة وهو أصل الجحيم .

ثانيا : التفسـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، ابتدأت الآيـة بقوله تعالى «وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بـالناس» بمعنى «واذكـر وقت أن قلنا لـك بطريـق الوحى»، والـذى قيل له ﷺ هـو أنه تعالى قد أحاط بالناس علما يعرف ماضيهـم وحاضرهم ومستقبلهم، فيكون المعنى مفيدا أنه تعالـى بعلم ما سيكون مـن بعضهم من إيمان بـه ﷺ، وما سيكون مـن آخرين من بقـاء على الكفر، فيكون القول تسرية له ﷺ. ويقبل القول أن يكـون مفيدا معنى أنه تعالى أحاط بالناس قدرة فيكون المراد إيصاله من المعنى أنه تعالى كافيه ﷺ شر كيد الكافرين وعدائهم .

وقوله تعـالى «وما جعلنا الرؤيا التـى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونـة فى القرآن»، هو بيان آخر لتكذيب الكافرين بالآيـات والمعجزات، بيان ذلك أنه جعل مما أراه رسوله ﷺ من أمور ليلـة أسرى به وهى عجـائب فى ذاتها ـ مع كـون الإسراء ذاته عجيبة ـ فتنة للناس،

وكذلـك جعل مـن الشجرة الملعـونة فى القرآن وما ذكـره بشأنهـا من أنهـا تنبت فـى أصل الجحيم فتنة أخرى. وآية هـذا أن بعض الذين أعلنوا من قبل إيمانهـم قد ارتدوا عن الإسلام لما سمعـوا إخباره ﷺ عـن الإسراء بـه وعما رآه فـى رحلة الإسـراء لارتيابهـم في صـدقه ﷺ لضعف إيمانهم، وأن الكافـرين تندروا بما قيل فى شأن شجرة الزقوم مـن أنها تنبت فى أصل الجحيم لأنه عز عليهـم تصور قدرة الله تعالى أن يجعل شجرة تخرج فـى أصل الجحيم التى تحرق كل شىء حتى الحجـارة، ولو كانت لهم عقول تعى لعلموا قـدرة الله على ما هو أعظم من هذا، خاصة، وقد علموا أن النعامة تبتلع الجمر فلا يؤذيها. وأن المناديل المتخذة من وبر السمندل تلقى فى النار فتزيل النار ما علق بها من أوساخ ولا تحترق مادتها .

وقوله تعـالى «ونخوفهم فمـا يزيدهم إلا طغيـانا كبيرا» مفاده أنـه تعالى يخوف الكـافرين بالآيات التى يرسلها إليهم ، وأنهم ـ لفرط عنادهم وإصرارهم على الكفر ـ لا تزيدهم الآيات إلا تجاوزا عن الحق وابتعادا كبيرا.

فيكون المعنى المراد إيصالـه هو أنه لو أرسل إليهم الله تعالى ما اقتـرحوا من الآيات لكان منهم معها ما كان منهـم مع ما أرسل من قبل من آيات لتخويفهـم، فكيون القول تعليلا لعدم إجابة الكافرين إلى ما طلبوا من الآيات المادية .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾

التفسـير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ تذكيـر بقصة عصيان إبليس أمـر ربه بالسجود لآدم عليـه السلام تكريما له حين أمر تعالى الملائكة بالسجـود وشمل الأمر إبليس سواء لكونه آنذاك داخلا فى عدادهم، أو لاعتبـاره أدنى مرتبة مـن الملائكة فيكون مـأمورا ـ من بـاب أولى ـ بما أمـروا به، والقول يثبت طاعة الملائكة أمر ربهم ومبادرتهم إلى تنفيذه .

وعلاقة القصة المذكر بها بحال المشركين مما أوجب ذكرها تخلص فى واقع أنهم أشركوا من دون الله بعبادة الملائكة والأنبياء من بين ما عبـدوا فقال تعالى فيهم «أولئك الذين يبتغون إلى الله الوسيلة» وجاء النص ليبين أن الملائكة يبادرون إلى الطاعة بحكم أنهم عبيد للرحمن وليسوا آلهة، ثـم إنه لما كان المشركون قـد عصوا الله تعالى بكفرهم بـرسول الله ﷺ وبطلبهم الآيات المادية، فإنهـم قد شابهوا إبليس اللعين فى الكفر والعنـاد، أو إنهم أصبحوا من ذرية آدم عليه السلام الذين احتنكهم إبليس واتبعوه .

ومعنى القـول الظاهر هو مـا كان من أمره تعـالى الملائكـة بالسجود لآدم ومبادرتهـم إلى تنفيذه طـاعة لله وعصيان إبليـس، ثم قـوله من بعـد تبريرا لعـدم سجوده لآدم «أأسجـد لمن خلقت طينا» وهـو سؤال أريد به إظهـار إنكاره للسجود لمن كـان مخلوقا من الطيـن، أو لمن كان حاله وقت خلقـه طينا. ثم إنه لما كان مفاد قول إبليس هو حسـده آدم على نعمة تكريمه من الله تعالـى وامتلاؤه بالكبر، وكـان المراد بالقول هو بيـان أوجه الشبه بين المشـركين وبين إبليس فإن القول يكون مشيرا إلى حسـد قـريش محمدا ﷺ على نعمة اصطفائه للنبوة وامتلاء نفوسهم بالكبر مما حال بينهم وبين الإيمان .

قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾

التفسـيـر:

يذكـر تعالى ـ فـى الآية ـ أن إبليـس قال لله تعالـى ـ فى موضـع آخر وفى وقـت آخر، دون اتصال بالقول السابق ــ «أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلـى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا». والمراد بالـرؤية فى «أرأيتك» هو العلم، فيكون معنى الاستفسـار هو «أخبرنى أو أعلمنى عن هذا الذى كـرمته على، لـم كرمته على وأنا أكرم منـه»، ثم إن إبليس أقسم على أنه إذا أبقاه الله حيا إلى يوم القيامة وأخر موته أن يكون منه أن يستولى على ذرية آدم ويسيرهم

كيفما شاء «لأحتنكن ذريته» باعتبار أن الاحتناك هو تقييد الدابة بحبل من حنكها الأسفل تقاد به، فيكون معنى احتناكه اللعين ذرية آدم هو سيطرته عليهم وقيادتهم. ومعنى سيطرته عليهم هو انقيادهم له فيما يأمرهم به من الكفر والمعصية .

وفيما أقسم عليه إبليس من الاستيلاء على ذرية آدم فإنه استثنى منهم قليلين «إلا قليلا» علم أنه لن يستطيع غوايتهم و إضلالهم والسيطرة عليهم فاستثناهم ممن أقسم على احتناكهم، وقد يكون علمه بهم مما سمعه من الملائكة بشأنهم مما أخبرهم الله تعالى به أو مما رأوه فى اللوح المحفوظ، وقد يكون مما توقعه. وهؤلاء المستثنون هم عباد الله المخلصون .

قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما قاله لإبليس بعد أن أقسم على أن يحتنك ذرية آدم إلا قليلا منهم فيقول تعالى إنه قال له «اذهب»، والقول أمر إهانة معناه «افعل ما فى مقدورك» ويتصور أن يكون بمعنى الذهاب والابتعاد بالفعل فيكون المراد به الطرد .

وباقى قوله تعالى الموجه إلى إبليس هو إخبار عن جزاء إبليس وجزاء الذين يتبعونه فيضلون عن الحق، يكون جزاء موفورا بمعنى أنه يكون كاملا لا ينقص منه شيء ولا يدخر منه شيء، والمراد به هو العذاب.

فيكون القول تهديدا لإبليس ولمن اتبعه من الغاوين .

وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **الصـــوت** : فى قـوله تعالى «واستفـزز من استطعت منهم بصـوتك» المراد به ــ فى معنى الآية ـ وسوسـة إبليس ودعاؤه، ذكر بأنه صوت لبيان تجرده من المعنـى فلا يتعدى كونه مجرد صوت.

٢ ـ **الغـــرور**: فى قـوله تعالـى «وما يعدهـم الشيطان إلا غـرورا» هو الغفلة يظـن معها أن الخطأ صواب، وأن الضرر نفع .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ من تتمة قـوله لإبليس إكمالا لتهـديده إياه وتابعيـه بسوء الجزاء الموفور. فيقول له تعالى: «فلتستخف منهم» ــ أى من ذرية آدم ـ ولتخدع وتوقع فى المعصية من استطعـت أن تستخف وتخدع مستعمـلا فى هذا صـوتك أو وسوستـك، يدخل فـى هذا وسوسة إبليس وأقوال الذين يزينون الإثم والمعصية، وأصوات المغنيات اللاهيات الداعيات إلى الخطيئة، فجميع هذا يكون فى حكم صوت إبليس، ثم «أجلب عليهم بخيلك ورجلك» بجمعك عليهم كل ما تقـدر عليه من المكائد، يكون من هذا الخيل السـائرة فى المعاصى ، والماشين فـى المعاصى، وقيل إن لإبليس خيـلا ورجلا من الجن، وقيل مـن الجن والإنس، وقد يكون المراد هو أتباع إبليس فيكون ذكر الخيل والرجالة كناية عنهم .

وقوله تعالى «وشـاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم» هو فى ذات معنـى التهديد، ومعناه وليكن منك مشـاركتهم أموالهم يكسبـونها من حرام وينفقونهـا فى المعاصى مـن زنى وذبح للأصنـام وتحريم السـائبة والبحيرة وغيـرها. ومشـاركتهم الأولاد ينجبونهـم من معاشـرة غير مشروعة فتختلـط الأنساب. واقطع لهم العهود وعدهـم بالباطل، كأن تكون لهـم من الأصنام شفاعة أو بأنهم لا يخلدون فى النار، أو بأنهم لا يبعثون، وبغير هذا مما تعدهم به باطلا وزورا.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وما يعدهم الشيطان إلا غرورا» هو تذييل للآية لتنبيه الناس إلى فعـل الشيطان بهم ليتحرزوا منـه. فهو تعالى يخبـرهم أنه يزيـد لهم الخطأ فيوهمهـم أنه

الصواب، وأنه يستخفهم فيصيبهم بالغفلة فينال منهم مراده بتعريضهم للعذاب. وقيل فى كون وعد الشيطان غرورا إن سببه أنه لايدعو أبدا إلى معرفة الله وطاعته، وإنما يدعو إلى اللذائذ الخسيسة التى يشارك الإنسان فيها الحيوان الأعجم، فهى لاتعدو أن تكون لذات البطن والفرج .

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان» هو خطاب منه تعالى لإبليس ، يتصور فيه أن يكون عباد الله المذكورين فى عبارة الآية هم عباده تعالى المخلصون .

فيكون القول مفيدا معنى أنهم بحكم كونهم عبادا لله مختصين به تعالى فقد انعدم سلطان إبليس عليهم فلا يكون فى مقدوره خداعهم.

ويتصور فيه أن يكون المراد بعباده تعالى هو جميع المكلفين فيكون المعنى هو أنه ليس لإبليس عليهم سلطانا يجبرهم به على إطاعته وهم إنما يطيعونه فيما تهوى أنفسهم، أو أنه لا يكون له سلطان على من يعتمد منهم على الله تعالى وتخذه وكيلا يتوكل عليه .

وقوله تعالى «وكفى بربك وكيلا» فإن القلب يميل إلى كون المخاطب به هو رسول الله ﷺ، أو جنس الإنسان، وليس هو إبليس الذى كان الخطاب الأول إليه.

والمعنى أنه يكفى المؤمنين أن يتوكلوا على الله تعالى يخلصهم من إغواء إبليس فلا يؤثر فيهم.

وقيل إنه لإبليس يعلمه ربه أنه بتوكل عباده عليه يسلبه القدرة على إغوائهم، وأن فى توكلهم عليه تعالى الكفاية التى تحميهم منه وأعوانه .



﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾

التفسير:

القول ــ في الآية ـ في بيان نعمة من نعمه تعالى على الإنسان الذى يتبع الكثيرون منه الشيطان ويعصونه تعالى، وعبارة القول جملة خبرية تخبر عن رب الخلق بأنه الذى يسوق السفن فى البحر قسرا بالريح وبالآلات وجميعها منه تعالى ومنه العلم بها، وفى التعبير عن الإزجاء أو التسيير بالفعل المضارع «يزجى» بيان لاستمرارية الفعل وتكرار حدوثه .

وقوله تعالى «لتبتغوا من فضله » هو بيان لمشروعية ركوب البحر واستعمال السفن وسائل للتجارة والكسب ببيان أن هذا من أسباب تسخيرها لتسير فى البحر، والمراد من « فضله » هو رزقه تعالى ، وفيه جاءت « من » للتبعيض لبيان أن ما يكون اكتسابه ونيله عن طريق ركوب السفن هو بعض رزقه تعالى .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ « إنه كان بكم رحيما » يفيد معنى أنه تعالى كان مذ الأزل ولا يزال إلى الأبد رحيما بالإنسان ، وأن من مظاهر رحمته تعالى به أنه سهل للإنسان ما كان عليه صعبا ، فيكون القول متعلقا برحمة الله بالإنسان فى الحياة الدنيا التى تعم المؤمن والكافر.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن نعمة تيسيره على الناس أمور حياتهم تنال المؤمن والكافر، وأن منها

تسخيره تعالى السفن تجرى فى البحر ليبتغوا بها فضلا من ربهم، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يعرض بالمشركين فى الآية فيبين ضلالهم وكفرانهم النعمة .

فقوله تعالى «وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه» يقبل أن يكون معناه أنه إذا أصابكم أيها المشركون ضر فى البحر أثناء ركوبكم سفنكم باشتداد الريح وعصفها وارتفاع الأمواج، أو خفتم الاصطدام بجبل يظهر من الماء فإنه يغيب عن فكركم جميع من عبدتم وما عبدتم من دون الله تعالى معه أو على استقلال منه تعالى ولا تذكرون غيره تعالى، تدعونه أن ينجيكم من الخطر الذى أَلَمَّ بكم. ويقبل المعنى أن يكون: إن جميع من عبدتم وما عبدتم مع الله تعالى يضل عنكم بمعنى أنه لا يستجيب لكم ولا يقدم لكم شيئا ينجيكم إلا الله تعالى فإنه وحده الذى يغنيكم وينجيكم .

ثم يقول تعالى «فلما نجاكم إلى البر أعرضتم» أى أنه يكون منكم أيها المشركون من بعد أن ينجيكم الله تعالى من الأخطار التى تهددتكم وأنتم فى البحر ويوصلكم إلى البر سالمين أنكم تعرضون عن ذكره تعالى من بعد أن كنتم له ذاكرين، أو إنكم تعرضون عن شكره تعالى بتوحيده وطاعته .

وقوله تعالى «وكان الإنسان كفورا» جاء تعليلا لإعراض المشركين عن ذكر الله تعالى من بعد نجاتهم بدلا من شكره بالتوحيد والطاعة. وفيه نسب السبب إلى جنس الإنسان بدلا من نسبته إلى المشركين على وجه الخصوص من قبيل التلطف فى القول، ولشيوع صفة كفران النعمة بين الناس لا يخلص منها إلا الذين يعقلون .

أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾

أولا : الأسماء :

الحاصب: فى قوله تعالى «أو يرسل عليكم حاصبا» هو الريح التى ترمى بالحصباء

وهي الحجارة الصغيرة، والمراد بها - في معنى الآية - التي يكون بها الإهلاك رجما بالحجارة .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - في الآية - في هؤلاء الذين يدعون الله تعالى حين يشعرون بالخطر أو يصيبهم الضر، حتى إذا أناجهم ربهم من الخطر أو رفع عنهم الضر أعرضوا عنه تعالى وكفروا نعمته. وهو متصل بما قبله بمعنى أنه يتعلق بالمذكورين في الآية السابقة الذين دعوا الله عندما مسهم الضر وهم في البحر، فلما نجاهم إلى البر أعرضوا عنه تعالى وكفروا نعمته .

وفي الآية جاء قوله تعالى «أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر» استفهاميا إنكاريا ينكر فيه تعالى على هؤلاء أنهم بنجاتهم إلى البر حسبوا ألا يكون لهم عذاب فلم يعملوا حساب قدرته تعالى عليهم فأعرضوا عن شكره وعبادته.

فبين لهم النص أنه تعالى قادر على أن يخسف بهم الأرض التي نجوا بالوصول إليها سواء أكانت هي الجزء من الأرض المتاخم للبحر أم كانت أي جزء من الأرض استقروا عليه؛ فيكون القول مظهرا جهلهم إذ اطمأنوا إلى الوصول إلى البر فكان منهم نسيان حق الله تعالى عليهم .

ثم إنه تعالى أعلمهم بقدرته على إهلاكهم بعد نجاتهم إلى البر بوسيلة أخرى هي إرسال الريح عليهم عاصفة ترميهم بالحصباء فتهلكهم رجما بها.

فيكون القول مشيرا إلى أن نجاتهم من الريح في البحر تغرقهم لا تحول دون إهلاكهم بريح أيضا ترجمهم فتهلكهم في البر.

وقوله تعالى «ثم لا تجدوا لكم وكيلا» يفيد أن من أراد الله إهلاكهم بوسيلة جرت بها مشيئته تعالى من الوسيلتين المذكورتين أو غيرهما يعدمون من يكلون إليه أمورهم فيحفظهم من عذابه تعالى أو يصرفه عنهم .

■■■■■

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **القاصف** : من الريـح، فى قوله تعالـى «فيرسل عليكم قـاصفا من الريح» هـى الريح التى تقصف من فرط شـدتها ما يعترض اتجاهها من أشجار وجمـادات، أو التى لها قصيف ـ وهو الصوت الشديد ـ وقيل هى الريح التى تغرق أو تهلك ..

٢ ـ **التبيع** : فى قوله تعالى «ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا» هو النصير، وهو الثائر المطالب بالثأر.

ثانيا : التفســـير:

لايزال قوله تعالى فى إنكار شعور الناجين إلى البر بالأمان بعد نجاتهم مما مسهم من ضر أثناء وجودهم فى البحر بمجرد نجاتهم إلى البر، فيعرفهم تعالى شأنه أنه قادر على أن يعيدهم فى البحر مرة أخرى. بمعنى أن يلجئهم إلى ركوب الفلـك فى البحر مرة أخرى، ثم يكون منه تعالى أن يـرسل عليهم الريح الشـديدة تنال فلكهم فتغرقهـم عقابا لهم على كفـرانهم نعمة نجاتهم من قبل و إعراضهم عنه تعالى.

وقوله تعالى «ثـم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا» مفاده أن المنتقم منهـم يعدمون نصيرا يمنع عنهم عذاب ربهم أو يطالب بثأرهم .

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

التفسـير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ واقع ما كان منه تعالى مع بني آدم جميعهم دون نظر إلى عقيدتهم أو كونهم على هدى أو ضلال فأثبت تعالى أنه كرم بني آدم وشرفهم، وقيل في مظاهر هذا التكريم الكثير من حسن الهيئة، ومن أكل الطعام بالأيدى وليس بالفم، وقيل إن التكريم كان بالعقل وهذا هو ما نميل إليه لأنه بالعقل شرف الإنسان .

كما أثبت تعالى أنه حملهم في البر والبحر، والمعنى أنه تعالى سخر لهم ما يركبون في البر وفي البحر، فسخر لهم الدواب تحملهم في البر، ومكنهم من اختراع وسائل نقل يركبونها في البر، كما سخر لهم بقانون الطفو وبما خلق من خامات الخشب والمعادن ركوب البحر وذلله لهم وعلمهم صناعة ما يركبون فيه.

ثم ذكر تعالى أنه رزقهم من الطيبات التي يستلذ طعمها مما خلق من المطعومات ومما علمهم صناعته، وكذا رزقهم من طيبات الملبوسات والمفروشات والمقتنيات وكل ما تطيب به الحياة .

ثم يذكر تعالى أنه فضل بني آدم على كثير ممن خلق تفضيلا. وهذا التفضيل هو شيء آخر غير التكريم، فإذا كان تعالى قد كرم بني آدم بالعقل، فإنه تعالى فضلهم على كثير ممن خلق بنعمة القدرة على اكتساب العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة، وبالنطق والكتابة، والصورة الحسنة، والقامة المديدة.

والقول ـ بهذا المعنى ـ بيان لوجوب شكر الله تعالى على ما كرم به بني آدم وما فضله به على غيره من جنس الحيوان .

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١)

التفســـــير:

بعد أن بين تعالى أنه ساوى بين المؤمنين من بنى آدم والكافرين فى التكريم والتشريف والتفضيل على غيرهم ممن خلق، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ شرع فى بيان اختلاف أحوالهم فى الآخرة...

فقوله تعالى «يوم ندعو كل أناس بإمامهم» هو تذكير بيوم القيامة فيه يدعى كل فريق من بنى آدم الذين كرموا فى الدنيا وفضلوا بمن ائتم به يدخل فى هؤلاء الأئمة الرسل، والكتب. وأئمة كل زمان، فيكون هذا بقول «هاتوا متبعى إبراهيم» «هاتوا متبعى موسى» وهكذا. ثم إنه لما كان الدعاء هو لجميع الناس فقد لزم أن يدعى الكافرون العصاة بأئمتهم فيقال «هاتوا متبعى الشيطان»، «هاتوا متبعى الأصنام»، «هاتوا متبعى فرعون» وهكذا. والداعى هو الله تعالى أو الملك الموكل بهذا وأسند الدعاء إليه تعالى لكون الدعاء بأمره .

وقوله تعالى «فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا» يفيد التمييز بين أناس يتلقون كتبهم بأيمانهم وأناس يتلقونه بشمالهم، والمراد بالكتب هو صحف الأعمال، يكون إيتاء البعض كتبهم باليمين من قبيل التبشير بحسن المآل، ولهذا قال تعالى مشيرا إليهم أنهم يقرأون كتبهم، يقرأونها ليتذكروا أعمالهم التى يحاسبون عليها وليتمتعوا بما سطر فيها ظاهرين على غيرهم، ثم إنهم لا ينقصون من أجور أعمالهم المسطورة فى كتبهم شيئا على الإطلاق ولو كان بقدر الفتيلة التى فى شق النواة .

وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾

أولا : الأســـــماء :

الأعمى : فى قوله تعالى «ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى» المراد بالأولى هو الضال غير المهتدى الذى لم يبصر الحق فيتبعه ولم يقم بحقوق ربه من العبادة، فكفر به ولم يعمل صالحا. والمراد بالثانية أفعل التفضيل من عمى ـ بمعنى عمى البصيرة ـ أو ذات

المعنى الأول .

ثانيا: التفســــير:

بعد أن أخبر تعالى عن حال المؤمنين فى الآخرة فى مجال بيان الفرق بينه وبين حال الكافرين واصفا المؤمنين بأنهم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يخبر عن حال المكذبين أى الذين يؤتون كتابهم بشمالهم. يصفهم سبحانه وتعالى بأنهم، أو بأن الواحد منهم كان فى الدنيا ضالا عن الحق غير مهتد، شبهه تعالى بالأعمى. ثم أخبر تعالى عن حاله فى الآخرة بأنه يكون أعمى البصيرة لا يهتدى إلى ما ينجيه من العذاب، وعلى ما قيل فإن معنى أعمى يكون أفعل تفضيل من «عمى» بمعنى أكثر عمى مما كان عليه حاله فى الدنيا، وقيل إن ما يؤيد هذا هو باقى وصفه فى الآية «وأضل سبيلا» ومعناه أنه يكون أضل سبيلا مما كان عليه فى الدنيا لعدم تمكنه من تدارك ما فات فى الدنيا. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أنه لكى يكون المكذب أكثر ضلال سبيل فى الآخرة منه فى الدنيا، يتعين أن تكون أمامه السبل فى الآخرة أكثر منها فى الأولى، فأما والحال عكس هذا لفوات فرصة التوبة فإنه لا يكون أكثر ضلال سبيل؛ ولهذا فإننا نرى أن مفاد القول هو أن يكون حال المكذب فى الآخرة من جهة عدم اهتدائه إلى ما ينجيه من العذاب من عمى وضلال سبيل، مماثلا حاله فى الدنيا من عمى عن الحق وضلال سبيل إلى طريق الله المستقيم .

﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾

التفســــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ، وهو فى شأن فئة من المشركين وما كان منهم مع رسول الله ﷺ. قيل إنهم ثقيف طلبوا من رسول الله ﷺ أمورا يعطيها إياهم لكى

يؤمنوا له منها ألا يكون منهم سجود فى الصلاة ولا وضع الأيادى على الركب فى الركوع، وأن يتمتعوا باللات مدة سنة قبل كسرها، وقيل إنهم قريش طلبوا من رسول الله ﷺ أن يتمسح بآلهتهم لكى يؤمنوا له. وقيل إنهم طلبوا منه ﷺ أن يجعل من آية الرحمة آية عذاب ومن آية العذاب آية رحمة. وأياما كان الأمر أو كانت الواقعة سبب النزول فإن معنى القول هو أن فئة من المشركين قد طلبت منه ﷺ أمرا يتعلق بما نزل بحكمه القرآن العظيم، وأن مضمون طلبهم يخالف ما نزل به حكمه تعالى فى القرآن، مما يعتبر معه قبوله من قبيل افتراء غير الحق ــ الذى أنزل فى القرآن ـ على الله تعالى، أما كون هؤلاء كادوا يفتنونه ﷺ عن الذى أوحى إليه به فهو ما جال بخواطرهم إذ قرب فى ظنهم أنهم يوقعونه ﷺ فى الفتنة .

وقوله تعالى «إذا لاتخذوك خليلا» يدل على أمرين : أولهما أنه ﷺ لم يوافقهم على ماطلبوا، وثانيهما أنه لو كان قد فعل لكان منهم مصادقته .

وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى لرسوله ﷺ ما كان من فئة من المشركين من قومه معه اعتقدوا فى أنفسهم أنهم كادوا أن يفتنوه ﷺ عما أوحى إليه ليفترى على الله غيره، فإنه تعالى يثبت فى الآية أنه الذى ثبت رسوله على الحق وأنه عصمه من هؤلاء المشركين وما أرادوه، فيكون القول مفيدا أن قولهم لم يؤت ثمرة معه ﷺ، وأن هذا كان بفضل الله تعالى الذى ثبت رسوله على ما هو عليه .

ثم إنه تعالى بين أنه لولا تثبيته تعالى رسوله على ما هو عليه لكان قد مال إلى الكافرين شيئا قليلا، ويلاحظ أن النص القرآنى قال «كدت تركن إليهم» بمعنى أن الركون ـ وهو أدنى الميل ـ لم يكن لما طلبوه منه ﷺ وإنما كان منه لأشخاص الطالبين وذواتهم لكونهم قومه الذين كان يشتد عليه فراقهم. مع ملاحظة أن الركون إليهم أو الميل الخفيف إلى أشخاصهم

هذا لم يحدث .

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

التفسـير:

يقول تعالى ـ فى الآية ـ لرسوله الكريم ﷺ أنه لو كان قد ركن إلى أشخاص الكافرين شيئا قليلا لكان تعالى قد عاقبه على هذا بإذاقته مثلى عذاب الحياة فى الدنيا ومثلى عذاب الممات فى الآخرة، وأنه ﷺ لم يكن ليجد له نصيرا على قضائه تعالى فيه يخفف عنه العذاب المذكور إن لم يقدر على دفعه كلية. ومن القول يبين أنه ﷺ لم يركن إلى الكافرين على الإطلاق، وأن أهون الخطأ الذى لا يعدو أن يكون ميل النفس ميلا قليلا إلى الكافرين يعد بالنسبة له سيد الخلق ﷺ إثما كبيرا يستوجب مضاعفة عذاب الدنيا والآخرة، فتكون الآية دالة على عصمته ﷺ من مقارفة الخطأ مهما كان يسيرا . ثم إن القول يبين أن موالاة الكافرين إثم كبير، لأنه لما كان مجرد الميل الضئيل إلى أشخاصهم إثما يستوجب العقاب، فإن الموالاة تكون إثما أعظم .

﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾

التفسـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، والقول فى كفار مكة وفعلهم معه ﷺ. فقد كانوا يزعجونه ويعادونه ويمكرون به استفزازا له ليجبروه على الخروج من مكة .

وجاء قوله تعالى «وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا» تهديدا للكافرين بإظهار أنه لو كان هذا

قد حدث وخرج ﷺ من مكة بسبب أفعالهم لكان شأنه تعالى معهم أن استأصلهم بعد حدوث هذا الخروج بزمن قصير، فيكون بقاؤهم فى مكة من بعد خروجه منها أحياء موقوتا بزمن قصير .

هذا وقد قيل إن الذين كانوا يستفزون الرسول ﷺ هم اليهود، وأنهم كانوا يستفزونه ليغادر المدينة إلى الشام بذكرهم له أن الأنبياء بعثوا بالشام فإن كان نبيا فليكن منه التوجه إلى الشام . ويدحض هذا القول أن السورة مكية، ولأن ما جاء قبل الآية كان متعلقا بأهل مكة. كذلك قيل اعتراضا على التفسير المذكور إنه ﷺ قد خرج من مكة مهاجرا، ثم إنه تعالى لم يستأصل شأفة كافرى مكة.

والرد على هذا أنه ﷺ هاجر من مكة إطاعة لأمر ربه تعالى وليس بسبب استفزاز الكافرين .

سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى لرسوله ﷺ أنه لو ألجأه كفار مكة إلى تركها والهجرة منها بسبب استفزازهم له، فإنه تعالى يهلكهم بعذاب من عنده لا يكون معه بقاؤهم فى مكة بعد تركه ﷺ إياها إلا لفترة زمنية قصيرة.

فإنه تعالى أخبر رسوله ﷺ أنه بهذا جرت سنته تعالى فى الأمم السابقة يهلك كل أمة أخرجت رسولها من وطنه بعد خروجه بوقت قصير .

ثم إنه تعالى أكد لرسوله ﷺ حتمية وقوع المخبر عنه مما جرت به سنته تعالى بقوله «ولا تجد لسنتنا تحويلا» والمعنى هو عدم تغيير هذه السنة وجريانها على نحو ما جرت به من قبل فكأن القول يتضمن توجيها إليه ﷺ بعدم الانشغال بأمر استفزاز الكافرين إياه .

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **دلوك الشمس** : قيل هـو زوالها عن دائرة نصف النهار، يدعـم هذا أنه ﷺ قـد صلى الظهر أول ما صلى نهار ليلة الإسراء، وقيل : أخـذا بهذا المعنى ـ إن الصلاة من دلوك الشمس إلى غـروبها تشمل صلاتيـن هما الظهر والعصر. وقيـل هو غروب الشمس، لأن الانتقـال فى الغروب أتم فهو انتقال من ظهور إلى خفاء .

٢ ـ **غسق الليل** : هو شدة ظلمته، وهـو وقت العشاء. وقيل إنه يعم وقتـى المغرب والعشاء ويمتد إلى الفجر.

٣ ـ **قرآن الفجـر** : المراد بـه ـ فى معنـى الآية ـ هـو صلاة الفجر سميت قرآنـا لأن قراءة القرآن ركنها والفجر هو أول طلوع الصبح .

٤ ـ **المشهود** : فى قـوله تعـالى «إن قـرآن الفجر كـان مشهودا» قيـل إن معناه أنـه تشهده ملائكـة الليل وملائكـة النهار، وقيـل إن المراد هو الكتبـة والحفظة من المـلائكة، وقيـل إنه تشهده الجماعة الكبيرة .

ثانيا : التفسـير :

الخطاب ـ فى الآية ــ إلى رسول الله ﷺ ـ على الظاهر ـ إلا أنه لتعلقـه بالصلاة المفروضة يعتبر مـوجها إلى جميـع المؤمنين، بـدأ قوله تعالـى بأمر «أقـم الصلاة» فبين أن الأمـر يتعلق بالصلاة المفـروضة لأنها المأمور بهـا على وجه الإلزام، ثـم قال تعالى «لدلـوك الشمس إلى غسق الليل» فبين أنها تبـدأ من دلوك الشمس أى انتقالها من دائرة نصف النهـار إلى ما يليها حتى غـروبها، فيكون الأمـر شاملا صـلاتين هما الظهـر والعصر على مـا علمه جبريـل عليه

السلام رسول الله ﷺ، ثم الصلاة من غروب الشمس إلى غسق الليل أو اشتداد ظلمته، والمراد به وقت العشاء، وهو ما يشمل صلاتى المغرب والعشاء، ثم إنه لما كان غسق الليل أو اشتداد ظلمته يمتد حتى الفجر فإن صلاة العشاء تكون ممتدة حتى الفجر.

وقد استدل قوم من الشيعة بالنص على أن وقت الظهر موسع إلى غروب الشمس، وأن وقت المغرب موسع إلى انتصاف الليل والمشهور هو ما عليه جمهور أهل السنة مما علمه جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ من وجوب أداء كل صلاة من الصلوات الأربع فى وقتها .

ثم إنه تعالى أمر بصلاة خامسة أو بإقامتها وهى صلاة الفجر، جاء التعبير عنها بقوله تعالى «وقرآن الفجر»، وقال البعض إنه يفهم من التعبير عن صلاة الفجر بقرآن الفجر طلب تطويل القراءة فيها.

وفى وقت صلاة الفجر قيل إنه لما كان الفجر هو أول طلوع الصبح فإنه يكون واجبا إقامة صلاة الفجر أول الطلوع، وقيل إن هذا مندوب إليه وليس واجبا .

وقوله تعالى «إن قرآن الفجر كان مشهودا» يفيد ـ على الراجح ـ أنه تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، فيكون مفاد القول هو الحث على إقامة صلاة الفجر.

وقد استدل البعض بقوله تعالى هذا على وجوب استمرار صلاة الفجر لفترة تستغرق ما بين أول الصبح حين يكون ملائكة الليل حاضرين، وبين ظهور الضوء وحضور ملائكة النهار، وقد يكون الصحيح ـ والله أعلم ـ أن القول الكريم لا يفيد هذا المعنى .

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ النافلة : فى قوله تعالى «فتهجد به نافلة لك» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الفريضة الزائدة على الصلوات الخمس، قيل إنها مفروضة عليه ﷺ على وجه الخصوص

دون سائر المؤمنين، وقيل إن صلاة التهجد هذه كانت مفروضة على المؤمنين ثم نسخت بالنسبة لهم .

٢ ـ المقام المحمود : فى قوله تعالى «عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا» المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو مقام الشفاعة العظمى فى فصل القضاء، حين يستغيث الناس بآدم فيقول لست بصاحب ذلك، ثم بإبراهيم فيقول قوله، ثم بموسى فيقول كذلك، ثم بعيسى فيقول كذلك، ثم بمحمد ﷺ فيشفع، فيقضى الله تعالى بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقة باب الجنة، فيومئذ يبعثه الله تعالى مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم .

ثانيا : التفسير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ ـ فى الآية ـ بالتهجد بالقرآن العظيم فى الليل، والمراد هو أداء صلاة أو صلوات أخرى يقرأ فيها القرآن تهجدا، والمعنى هو أن تكون فى قيام بعد نوم لأن التهجد هو الاستيقاظ من النوم للصلاة، فهو يختلف عن صلاة القيام التى تكون خلال الصحو الذى لم يقطعه نوم.

ثم إنه تعالى بين أن هذه الصلاة ـ صلاة التهجد ـ هى نافلة له ﷺ، بمعنى أنها فريضة زائدة على الصلوات الخمس، وأنها خاصة به ﷺ .

ثم إنه تعالى قال لرسوله ﷺ «عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا» وهو وعد منه تعالى أن يبعثه ﷺ هذا المقام المحمود، لأنه تعالى أكرم الأكرمين، إذا أطمع أحدا فى خير منه تعالى لم يحرمه ما أطمعه فيه .

ويبين من لفظ «يبعثك» وجود رابطة أو علاقة بين انبعاث رسول الله ﷺ من النوم لصلاة التهجد وبين بعثه من الموت فى مقام محمود، وهى علاقة سببية، وإن لم تكن صلاة التهجد هى السبب الأوحد لهذا الفضل من الله، وهو أن يكون له ﷺ مقام الشفاعة العظمى الذى يحمد به وفيه على إنعامه على الناس وأولهم أمته .



﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **المدخل** : في قوله تعالى «أدخلني مدخل صدق» قيل إن المراد به ـ في معنى الآية ـ هو المدينة، بمعنى دخولها، وقيل هو القبر، وقيل هو مكة بفتحها، وقيل هو الصلاة، وقيل هو المأمور به شرعا، وقيل هو كل ما يدخل فيه ﷺ من مكان أو أمر.

٢ ـ **المخرج** : في قوله تعالى «وأخرجني مخرج صدق» قيل إن المراد به ـ في معنى الآية ـ هو الخروج من مكة.

وقيل هو الخروج من القبر، وقيل هو الخروج من المدينة لدخول مكة فاتحا، وقيل هو الخروج من الصلاة.

وقيل هو الخروج من أعباء النبوة بالموت مؤديا ما كلف به، وقيل هو الخروج عاما من كل مكان وكل أمر.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ أمر منه جل شأنه إلى رسوله ﷺ أن يقول ما أمره تعالى أن يقوله في نص الآية .

والقول تعليم منه تعالى رسوله ما يدعو به في صلاته وفي غيرها من سؤال الله أن يجعل دخول كل أمر دخول صدق، وخروجه من كل أمر خروج صدق.

وأن يدعو الله تعالى بأن يجعل له الحجة التي ينتصر بها بأمر الله تعالى على من يخالفه، تختلف هذه الحجة باختلاف الحال حين يدعو بالدعاء كل صاحب أمر، فقد تكون هي القوة والسلاح، وقد تكون هي الإقناع، وقد تكون هي إقامة حكم الله بالعمل بالحدود .

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الحـــق** : قيل إن المراد به ـ في معنى الآية ـ هو الإسلام، وقيل هو القرآن، وقيل هو الجهاد .

٢ ـ **الباطـل** : قيل إن المراد بـه ـ فى معنى الآية ـ هو الشرك والكفر، وقيـل هو الشيطان، وقيل عبادته .

٣ ـ **الزهـــوق** : فى قـوله تعـالى «إن البـاطل كـان زهوقـا» هو غيـر الثابـت، وهو الـذاوى المضمحل.

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ أمر إلى رسول الله ﷺ أن يعلن ظهـور دين الله الحق الإسلام وزوال الشرك والكفر، مثبتا أن الكفر والشرك كان مقدرا له أن يزول من مكة فأصبح بزواله كأن لم يكن من قبل .

وقد فعـل ﷺ ما أمره بـه ربه، فدخل مكـة وحول الكعبة ثـلاثمائة وستون نصبـا جعل ﷺ يطعنها بعود فى يده وهو يقول «جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا» .

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين» يتصور فيه أن تكون «من» لابتغاء الغاية فيكون مفاد القول أن القرآن جميعه شفاء ورحمة للمؤمنين، وهذا صحيح بالنظر إلى أن القرآن العظيم شفاء للقلوب يزيـل منها الجهل والريب، ويكشف غطاء القلب

من مرض جهل فهم المعجزات والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى، وأنه أيضا شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ، ثم إنه رحمة للمؤمنين لأنه يكون لقارئه بكل حرف يقرأ حسنة .

ويتصور فيه أن تكون «من» للتبعيض، فلا يكون المعنى أن منه ما يكون شفاء ورحمة للمؤمنين ومنه ما لا يكون كذلك، وإنما يكون معنى القول مرتبطا بنزول القرآن منجما، فالذى أنزل منه قبل نزول الآية هو شفاء ورحمة، أما الذى لم يكن قد أنزل بعد فلم يكن ممكنا القول إنه شفاء ورحمة لأن الناس لم يكونوا قد سمعوه بعد .

ولا يمنع اعتبار القرآن كله شفاء ورحمة اختصاص بعضه بالشفاء من أمراض الجسم مثل آيات الشفاء الست وهى: «ويشف صدور قوم مؤمنين»، و «شفاء لما فى الصدور»، و «فيه شفاء للناس»، و «ننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين»، و «وإذا مرضت فهو يشفين»، و «قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء» .

وقوله تعالى «ولا يزيد الظالمين إلا خسارا» مفاده أن القرآن العظيم ــ مع كونه فى ذاته شفاء، لا يزيد الكافرين المكذبين به إلا خسارا وهلاكا بكفرهم وتكذيبهم، لأنهم كلما تجدد كفرهم به كلما ازدادوا إثما يعاقبون به، فأسند الفعل إلى القرآن العظيم مع أنهم السبب فيه بكفرهم .

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ يتعلق فى الظاهر بجنس الإنسان فى عمومه، لا يمنع عمومية النص أن يكون من بين أفراد الجنس من تختلف طبيعتهم وما جبلوا عليه عما ذكر فى النص. والذى ورد فى النص هو أنه إذا أنعم الله تعالى على الإنسان بنعمة من النعم كالصحة أو المنصب أو

المال، فإنه يكون منه الإعراض عن الله كأنه في غنى عنه، بدلا من أداء حق النعمة من الشكر.

وجاء قوله تعالى «ونأى بجانبه» ذكرا أو وصفا لحركة يؤديها المرء حين يلتف منثنيا إلى أحد جانبيه تعبيرا عن الإعراض أو الاستكبار.

فأما إذا مس الإنسان الشر من مرض أو فقر أو ضياع منصب فإنه يكون على درجة كبيرة من اليأس من رحمة الله تعالى أن تدركه. وربما كان هذا لأنه يعلم في نفسه أنه قد قابل نعمة الله بالإعراض عنه فيدخل نفسه أنه تعالى لا يدركه الله برحمة.

وقد يكون القول متعلقا بالظالمين المذكورين فى الآية السابقة الذين لا يزيدهم القرآن إلا خسارا فيكون كفرانهم النعمة والإعراض عن الله المنعم مظهرا من مظاهر ظلمهم، كما يكون يأسهم من رحمته تعالى مظهرا آخر له.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ٨٤﴾

أولا : الأسـماء :

الشاكلة: فى قوله تعالى «كل يعمل على شاكلته» من الشكل بمعنى الهيئة، قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الجبلة والطبيعة، وقيل هو الطريقة والمذهب.

ثانيا : التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه ينزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، مما مفاده أن المؤمنين يكون لهم فى القرآن شفاء الصدور والأبدان وأنهم به يرحمون يتلونه ويتدبرونه، وأن الظالمين المكذبين يزدادون به خسارا، كما أنهم يقابلون النعمة بالإعراض عن المنعم جل وعلا ويقابلون الشر باليأس من رحمته، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقول «كل يعمل على شاكلته» فأثبت أن ما من عامل يعمل عملا إلا كان عمله موافقا طبيعته التى جبل عليها ومذهبه الذى اتخذه عقيدة. فيكون المؤمن شاكرا راجيا، ويكون الكافر معرضا قانطا.

وقوله تعالى «فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا» هو إفادة عن معلوم وهو علمه تعالى بأحوال المؤمن والكافر وسبيل كل منهما الذى اختار وما سيؤدى به إليه، وهو السبيل الذى كان على شاكلته.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

أولا : الأسماء :

الروح : الراجح أن المراد بها - فى معنى الآية - هو الروح التى تدب فى الأبدان فيكون ببثها فى الجنين له الحياة، والتى بخروجها من البدن تكون الوفاة. وقيل إن المراد بها هو الروح الذى أخبر تعالى أنه يقوم والملائكة يوم القيامة «يوم يقوم الروح والملائكة» وفيه قيل إنه ملك له عشرة آلاف جناح، منها جناحان يبلغان ما بين المشرق والمغرب، وأن له ألف وجه، لكل وجه لسان وعينان وشفتان، يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة، وقيل ما هو أكثر فيه مما لا يطمئن إلى صدوره ممن نسب إليهم القول به، وقيل إنه خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة. وقيل هو جبريل عليه السلام، وقيل هو القرآن العظيم.

ثانيا : التفسير :

يخبر تعالى - فى الآية - عما سألت اليهود عنه رسول الله ﷺ، أو ما سألت عنه قريش رسول الله ﷺ بإرشاد من اليهود عن الروح، وقيل إن اليهود نصحوا قريشا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن ذى القرنين وعن أهل الكهف وعن الروح، وقالوا لهم إنه إن أجاب عن اثنتين وسكت عن الثالثة فهو نبى، ويبعد لدينا - والله أعلم - أن يكون التوجيه بالسؤال عن أهل الكهف من اليهود وإن جاز أن يكون من النصارى، وذلك لأنهم كانوا قد اعتنقوا النصرانية وليس لهم ذكر فى التوراة، مع ما هو معروف من إنكار اليهود نبوة عيسى عليه السلام.

وقد أجاب ﷺ عن السؤال المتعلق بذى القرنين، والسؤال المتعلق بأهل الكهف ولم يجب عن السؤال عن الروح فنزلت الآية وفيها أمره تعالى أن يقول إنها من أمر ربه «قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» والمعنى هو أن ما تعلق بالروح هو بعض مما اختص الله تعالى ذاته بالعلم به دون غيره؛ ولهذا فإنه لا تكون منه ﷺ إجابة بمعرفة عن السؤال.

والتعقيب على هذا بأن ما آتاكم الله من علم وآتى غيركم من البشر هو نذر يسير من العلم الذى لا يحيط بمجموعه إلاه تعالى، وفى حدود ما تفضل به عليكم منه لا يكون لكم ولا غيركم علم بأمر الروح وحقيقتها .

وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

التفسير:

ظاهر عبارة الآية أنها تهديد بالذهاب بالقرآن العظيم بمحوه من المصاحف ومن الصدور فإن كان الأمر على هذا فيكون التهديد لغير رسول الله ﷺ من الذين سألوا من المؤمنين عن الساعة وعن الروح مما استأثر الله بعلمه ــ ويتصور أن يكون القول تسكينا لرسول الله ﷺ حين أبطأ عليه الوحى بعد أن سأله القوم عن ذى القرنين وأهل الكهف والروح، فيكون المعنى هو «أيعز عليك تأخر الوحى، إنا إذا شئنا ذهبنا بما أوحينا به إليك كله».

وقوله تعالى «ثم لا تجد لك به علينا وكيلا» مفاده أنه إذا ذهب تعالى بالقرآن فإن أحدا لن يقدر أن يلتزم بإعادته كما يلتزم الوكيل بتنفيذ ما وكل فيه من عمل .

وقيل إن المراد بقوله تعالى «ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك» هو إخبار بأنه متى شاء تعالى كان تحقق المخبر عنه من محو القرآن قبل قيام الساعة فلا تبقى منه آية. فيكون لمن أراد الله به خيرا بقاء **كلمة لا إله إلا الله** فى قلبه .



﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى «إلا رحمة من ربك» هو أنه تعالى لم يشأ أن يذهب بالقرآن الذى أوحى به إلى رسول الله ﷺ، وأن عدم مشيئته هذه هى رحمة من ربه تعالى، ولا علاقة لهذا برفع القرآن قبل الساعة، فهذا أمر آخر.

فتكون العبارة منًّا بالإبقاء على القرآن بعد المن بتنزيله، ثم إنها تفيد عدم الحاجة إلى وكيل يرده بعد الذهاب به لأنه ليس هناك ذهاب به.

وقوله تعالى «إن فضله كان عليك كبيرا» هو تذكير بواقع مذكور دوما لديه ﷺ، وهو أنه تعالى كان فضله عليه ولايزال كبيرا فقد اصطفاه تعالى للنبوة والرسالة، وجعله خاتم النبيين وأنزل عليه القرآن العظيم وأعطاه المقام المحمود .

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى القرآن العظيم الذى كان من فضل الله على رسوله ﷺ وبرحمته أنه لم يذهب به. يقول تعالى فيه - لما اتصف به من بلاغة وسبك وكمال معنى وعلم - «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» والأمر لرسول الله ﷺ، والمأمور به القول يمكن أن يقوله كل مؤمن لكل كافر بالقرآن العظيم يلغط فيه ولا يعرف له قدره .

ومعنى القول أنه لو اجتمع جنس الإنس وجنس الجن فى الرأى واتحدوا فى العمل ـ باعتبار أن الكافرين بالقرآن منهما وحدهما دون جنس الملائكة ـ قاصدين الإتيان بكلام مثل القرآن العظيم، فإنهم يعجزون عن هذا، ولا يأتون بكلام مثله.

وقد يفهم من قوله تعالى «لا يأتون بمثله» أنه تكون من الإنس والجن محاولات للإتيان بقرآن، وأنهم يأتون بكلام بالفعل، لكنه لا يكون مثلا للقرآن ولا شبيها .

وقوله تعالى «ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» بمعنى ولو ظاهر بعضهم بعضا وقواه، وقد يكون المراد بهذا هو قيام الإنس أو العرب أهل الفصاحة والبلاغة والبيان بالاجتهاد فى صناعة النصوص وأن تظاهرهم الجن المعروفة بعمل الغريب من الأفعال والتى كان العرب يعتقدون أنها توحى للشاعر بما يقول، فجاء قوله تعالى لإثبات أن حدوث هذا بالفعل وهو قيام أحد الثقلين ـ والمراد به جنس الإنس ـ بصياغة النصوص، بمظاهرة من الآخر وتأييد وإيحاء ـ وهو الجن ـ لا يؤدى إلى الإتيان بما يماثل القرآن العظيم.

فالقول فى إثبات إعجاز القرآن العظيم فى أحد مظاهره .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى مظهرا من مظاهر إعجاز القرآن العظيم عن أن يؤتى بمثله مما كان يستوجب الإيمان بكونه من عند الله، فإنه تعالى أظهر بعض ما هو فى سبكه مما يدعو ذوى العقول إلى الإيمان به فقال تعالى « ولقد صرفنا فى هذا القرآن من كل مثل» والمعنى أنه تعالى قد عدد وكرر ما جاء فى القرآن من آيات وعبر وترغيب وترهيب وأوامر ونواه وقصص وخبر الجنة والنار وإخبار بالغيب الذى يقع آجلا، وجعل تعالى هذا كله من أجل الناس

وأولهم أهل مكة باعتبارهم أول المبلغين بالقرآن .

ثم يذكر تعالى بقوله « فأبى أكثر الناس إلا كفورا» أن أكثر الناس ـ وأولهم أهل مكة ـ قد أصروا على ما اختاروا من كفر، أبوا معادين عن الإيمان به واختاروا الكفر به، فهم لم يرضوا بغير الكفر به.

وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾

أولا: الأسماء:

الينبوع: فى قوله تعالى « حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا» هو عين الماء التى لا تنضب، وقيل هو النهر الذى يجرى من عين الماء.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى أهل مكة وبيان مدى إصرارهم على الكفر، فهم من بعد إثبات العجز عليهم عن أن يأتوا بمثل القرآن العظيم ـ وكفى بهذا آية على كونه من عند الله تعالى ـ قالوا لرسول الله ﷺ إنهم لن يؤمنوا له إلا إذا فجر لهم من أرض مكة القاحلة عين ماء يجرى ماؤها نهرا. والمعنى أنهم طلبوا آية أخرى غير القرآن العظيم عنادا من أنفسهم بعد ما تبين لهم أن القرآن العظيم لا يأتى به بشر.

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ الاقتراح الثانى لكفار مكة الذى اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يأتى به ليؤمنوا له، وهو أن يكون له بستان تتكاثف فيه الأشجار وأخصها النخيل والأعناب التى

تنبت فى مثل هذه الأرض، وفيه تجرى الأنهار المتفجرة من عيونها على نحو دائم مستمر.
وقد يكون مرادهم بما طلبوا هو ظهور فضله ﷺ ومنزلته عند ربه قولا بألسنتهم أو بقلوبهم باعتبار هذا دليلا على إصرارهم على الكفر.

أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ الكسف : فى قوله تعالى « أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا» جمع، مفرده «الكسفة» وهى القطعة ، أو الجزء الصغير من الشىء.

٢ ـ القبيل : فى قوله تعالى « أو تأتى بالله والملائكة قبيلا» هو المعاينة، وهو الكفيل والضامن الذى يشهد لغيره ويضمن تنفيذ ما التزم تنفيذه.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان مقترح آخر من مقترحات كفار مكة على رسول الله ﷺ الإتيان بها لكى يؤمنوا له، فيذكر تعالى أنهم طلبوا منه ﷺ أن يحقق ما توعدهم به من عذاب الدنيا يكون بإسقاطه السماء عليهم قطعا صغيرة، أو بأن ترميهم السماء بقطع صغيرة من الحجارة تهلكهم على ما جاء بقوله تعالى « أو تسقط عليهم كسفا من السماء ، فإن لم يكن هذا فليكن منه ﷺ الإتيان بالله تعالى وبالملائكة يشهدون بصدقه ﷺ ويكفلونه ويضمنونه فيما يدعيه.

أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾

أولا : الأســـماء:

الزخرف: في قولـه تعالى « أو يكون لك بيت مـن زخرف» هو الزينة ، واختص بـه الذهب لأن التزين به يكون مرغوبا أكثر من غيره .

ثانيا: التفســـير:

قوله تعالى ـ فـي الآية ـ يتضمن في مبدئه ذكر مقترحات أخرى ممـا اقترح كفار مكة على رسول الله ﷺ الإتيان بـه من المعجزات لكي يؤمنـوا له. ويتضمن ما يقولـه ﷺ لهم ردا على مجموع مقترحاتهم.

فقوله تعـالى « أو يكون لك بيت مـن زخرف أو ترقى فـي السماء ولن تؤمن لـرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه» هـو بيان لباقي مقترحات كفار مكة وما عقبوا بـه على مقترحهم الأخير. فهم اقترحوا عليه ﷺ أن يكـون له بيت من الذهب يكون دليلا على علـو قدره عند الله تعالى، أو أن يصعد فـي معارج السماء ، ثـم عقبوا على هذا ببيـان أن صعوده ﷺ وحده فـي معارج السماء لن يكفيهم دليلا يصدقونه به.

ولهذا جعلـوا شرط تصـديقهم أنـه صعد إلـى السماء هـو أن يأتـي من السمـاء بكتاب مكتوب بلغتهم يطلب منهم تصديقه، يقرأونه ليصدقوا به

وقولـه تعالى « قل سبحـان ربي هل كنـت إلا بشرا رسولا» هـو تعريف لرسـول الله ﷺ بما يقول لكفار مكة ردا على مقترحاتها، فهو ﷺ ينزه ربه جل وعلا عن هذه المقترحات السخيفة التي لا تليق بذاته مثل الإتيان به تعالى شاهدا مع الملائكة كفيلا لرسوله.

ثم بيان أنه ليـس سوى بشر رسول مثل سائر الـرسل والأنبياء لم يأت أحد منهـم بآية أو معجزة من عنده، فلم يأت أحدهم بغير مـا أمده الله به من المعجزات حسبما كانت إرادته، وكذلك حاله ﷺ لا يـأتي بغير ما أيده به تعالى من معجزات ، وكفـى بالقرآن العظيم وحده آية معجزة.

■■■■

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾

التفسـير:

بعد أن أمر تعالى رسولـه ﷺ أن يقول لكفار مكـة « هل كنت إلا بشـرا رسولا» فإنه تعـالى يثبت فـى الآية أن الذى منع كفـار مكة ـ الذيـن طلبوا ما طلبـوا من معجزات ـ عـن الإيمان بالقرآن العظيـم وهو الهدى عند نزول الوحـى به وإبلاغهم به، إن الذى منعهـم عن الإيمان هو قولهم «أبعث الله بشـر رسولا»، أى هو إنكارهم بأفواههم أن يكـون الرسول المبعوث من جنس البشر وليس من الملائكة.

ويلاحـظ فى القول أمـرين : أولهما هـو أن نسبة القـول إلى الكافـرين لا يفيد بـالضرورة صدوره عنهم جميعا، فيكفى أن يكون غالبهم قد قـاله لينسب القول إلى مجموعهم، خاصة أن الذين لـم يقولوا لم يكن منهـم إيمان به مما يـدل على موافقتهم على القـول. والثانى أن المستفاد من أنهم قـالوا هو أنهم فى قلوبهـم كانوا يثقون أن القرآن العظيم مـن الله تعالى ، وأنهم إنما كانوا يقولون ما يقولون بأفواههم لإصرارهم على الكفر ومن قبيل العناد.

قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

التفسـير:

قوله تعالى ــ فى الآية ـ فيما يرد به رسول الله ﷺ على كفار مكـة الذين أنكروا أن يبعث الله رسولا مـن البشر. والـرد يتضمن بيان الحكمـة التى وراء عـدم اتخاذ الرسـل من المـلائكة فمفاد قوله تعالى هو أنه لو كان الموجودون على الأرض ـ بدلا من البشر ـ ملائكة يمشون فى

الأرض ولا يطيرون فى السماء فيتيسر لهم العلم بما يكون، ويكون مشيهم على الأرض مشى ساكن مطمئن فيها مقيم بها سكنت نفسه إلى متاعها، لو كان الحال على هذا لكان منه تعالى أن أنزل عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم مالم يعلموا.

والمعنى هو أنه قد قضت الحكمة ومرادها تحقيق المصلحة - بأن تكون للوسيلة وهى إرسال الرسل نتيجة تحقق نفعا - بأن يكون الرسل المبعوثون للبشر بشرا من جنسهم، وأنه لهذا عندما جاءت الملائكة إبراهيم ولوطا عليهما الصلاة والسلام كانوا فى صورة بشر، وعندما ظهر جبريل عليه السلام للناس ليعلمهم دينهم - فى الحديث المشهور - جاء فى صورة أعرابى. فيكون القول على هذا النحو مثبتا ضلال الكافرين فيما طلبوه، قولا بألسنتهم أن يكون الرسول ملكا.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝٩٦﴾

التفسير:

يأمر تعالى - فى الآية - رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكافرين قولاآخر بعد أن بين لهم فساد قولهم بوجوب أن يكون الرسول ملكا من الملائكة. والقول الذى أمر رسول ﷺ هو « كفى بالله شهيدا بينى وبينكم » ومعناه أنه ﷺ يعلنهم باكتفائه بالله تعالى شاهدا بينه وبين الكافرين، يشهد بأنه ﷺ أدى الرسالة على أكمل وجه ، وأنهم كذبوا به إصرارا على الكفر وعنادا من أنفسهم بعد أن تيقنوا فى أنفسهم أن القرآن حق من الله تعالى.

وقوله تعالى « إنه كان بعباده بصيرا» يقبل أن يكون هو قول الله تعالى ويقبل إن يكون تتمة قول رسول الله ﷺ لكفار مكة، ومعناه أنه تعالى يعلم ما يكون ظاهرا من فعال الخلق وما يكون مستورا فى نفوسهم مخفى فى بواطنهم فيجازيهم به.

فيكون القول متضمنا تهديدا للمصرين على الكفر ووعيدا لهم بسوء الجزاء.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

التفسـير:

القول ــ فى الآية ـ قـوله تعالى، وليـس مما يقوله رسـول الله ﷺ لكفار مكة، وهو فـى بيان كيف يكون الهدى وكيف يكون الضلال مع بيان عاقبة أمر الضالين.

فقوله تعالى «ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه » مفاده أن من يشاء الله هـدايته إلى طريقه المستقيم الإسـلام وما يؤدى إليه من ثواب ونعيـم فى الآخرة فإنـه يكون المهتدى إلـى ذلك جميعه بفضل الله تعـالى. وأن من يخلـق فيه تعالـى الضلال لسبق اختياره إياه ولعلمه تعالـى بما يكون منه فإنه يعدم ناصرا من دون الله تعـالى يهديه إلى الحق وإلى طـريق النجاة من العذاب الذى يـؤدى إليه الضلال. وربما كان فـى التعبير عن المهتدين بصيغة الإفراد « فهو المهتد» وعن الضـالين بصيغة الجمع « فلن تجدلهم أولياء» مشيرا إلى قلة عدد المهتدين بالقياس إلى كثرة عدد الضالين.

وقوله تعالى « ونحشـرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمـا» هو فى الضالين، يبين تعالى أنهم حيـن يقومون من قبورهم يوم القيامة يحشرون علـى وجوههم يمشون عليها زاحفين ، وقد يكـون هذا بأن تسحبهم الملائكة منكبيـن على وجوههم، وقد جاء بـالحديث الشريف أن الناس يحشـرون يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنـف مشاة، وصنف راكبين ، وصنف على وجوههم ــ وفى النص يذكر تعالى حال الضالين وهـم يمشون على وجوههم

وهو كونهم عميا وبكما وصما، وقد يكون هذا هو حالهم أول الأمر ثم يرد الله إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى تعالى عنهم.

وقد يكون ذلك من قبيل المجاز لبيان مدى ما يعانون من الحيرة والذهول حتى إنهم يشبهون العمى البكم الصم.

ثم إنه تعالى يذكر مصيرهم وعاقبة أمرهم فى الآخرة بقوله تعالى « مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا» .

والمعنى أن مستقرهم فى الآخرة يكون جهنم ، وأنه كلما أكلت جهنم جلودهم ولحومهم التى هى وقودها أو بعض من وقودها فأدى هذا إلى سكون لهبها وضعف تأججها ، كان منه تعالى أن زادهم لهبا وتوقدا، والمعنى أنه تعالى يعيدهم إلى ما كانوا عليه لتستعر بهم النار وتتوقد.

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

أولا: الأسماء:

الرفات: فى قوله تعالى « أئذا كنا عظاما ورفاتا» هو ما تكسر وتفتت من التبن، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ فتات العظام البالية.

ثانيا: التفسير:

بعد أن بين تعالى مصير الضالين من العذاب فى الآخرة وما يكون من حالهم فى جهنم، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ بين أن سوء مصيرهم هذا كان جزاء لهم استحقوه بسبب كفرهم

بآيات الله تعالى. يدخل فيها آياته تعالى فى خلقه وآيات القرآن العظيم . ثم إنه جزاء أيضا على إنكارهم البعث وهو إنكار للقرآن العظيم الذى أخبر به، وقد أنكروا أنه يكون من بعد موتهم وصيرورة أجسامهم عظاما وفتاتا بعث جديد يقومون فيه بأجسامهم صحيحة وترد إليهم أرواحهم.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

أولا: الأسماء:

الأجل : فى قوله تعالى « وجعل لهم أجلا لاريب فيه» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو مدة القيام فى الدنيا يكون بانقضائه الوفاة. وقيل هو ميقات الإعادة والحشر، وهو ما نميل إليه ـ والله أعلم ـ لأنه لا محل لأن يكون فى الموت ريبة وشك وهو معاين ، أما الذى يكون فيه الشك فهو البعث.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى الرد على الضالين الذين أنكروا أن يبعثوا بعد بلاء أجسادهم وتفتت عظامهم و إبطال لحجتهم التى احتجوا بها.

فقوله تعالى « أو لم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم » هو إنكار على الضالين منكرى البعث علم استقرار العلم لديهم من التفكر فى قدرة الله العظيمة التى من مظاهرها خلق السماوات وما فيها من أجرام عظيمة والأرض وما فيها من مخلوقات عجيبة أنه قادر على أن يخلق من العدم إنسا آخرين يماثلونهم، فيكون المراد إيصاله من معنى هو قدرته تعالى بالضرورة على ما هو أقل من هذا وأضعف شأنا وأهون صنعا وهو جمع أجزائهم المتفرقة وعظامهم المتفتتة وتأليفها و إفاضة الحياة عليها كما كانت فى الدنيا.

وقوله تعالى «وجعل لهم أجلا لا ريب فيه، مفـاده أنه تعالى الذى ثبتت قدرته على إعادة بعثهم يوم القيامة قد جعل لإعادتهم وحشرهم ميقاتا لا ينبغى أن يكون فيه لمن تدبر إنكار أو نفى بعد العلم بطريق الاستنتاج العقلى بقدرته تعالى على هذا.

وجاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ « فـأبى الظالمون إلا كفورا» إثباتا لابتعاد الضالين عن الحق عنادا من أنفسهم إذ يكون منهم إنكار البعـث والنشور والجحود به من بعد تبينهم قدرة الله تعالى عليه ، وفى القول دعاهم المولى جل وعلا بالظالمين لأنهم تجاوزوا حدود المنطق العقلى ولظلمهم أنفسهم بتعريضها للعذاب مع تبينهم وجه الحق.

قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ **الإنفاق**: قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو ذات معناه اللغوى وهو صرف المال، وقيل إنه الفقر.

٢ ـ **القتور**: فى قولـه تعالى « وكان الإنسـان قتورا» هو البخيل الـذى بلغ فى البخل غـايته القصوى.

ثانيا: التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ أمر إلـى رسول الله ﷺ أن يقول لكفار مكة ماجاء فى عبارة الآية. ومن هنـا تبدو العلاقـة بين قولـه ﷺ وما طلبوه من قبـل من ينبوع وأنهـار يكثر بها رزقهـم وما اقترحوا عليه ﷺ أن يكون له بيت من زخرف، فجـاء القول تشنيعا عليهم بإظهار بخلهم وعدم إنفاقهم المال فـى وجوه الخير لو أعطوا أكثر ممـا طلبوا، كما جاء إثباتا لأن مـا أعطاه ﷺ من

النبوة والرسالة هو خير مما اقترحوا أن يكون له.

فقوله ﷺ « لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق» معناه أنهم لو كانوا يملكون خزائن نعم الله التى يفيض منها على كافة المخلوقات ـ سواء أكانت الخزائن قد أريد بها حقيقة كونها كذلك أم أريد بها التعبير عما لديه تعالى من النعم التى لا تنفد ـ فإنه لا يكون منهم إلا إمساك أيديهم عن الإنفاق منها والبخل الشديد، يكون منهم خوفا من أن يؤدى الإنفاق إلى افتقارهم وعوزهم. فيكون القول ـ بهذا المعنى ـ تشنيعا عليهم بالزيادة فى البخل.

ثم إنه يستفاد من إغفال الرد على اقتراحهم على رسول الله ﷺ أن يكون له بيت من زخرف أنه ﷺ قد أوتى ماهو أفضل من هذا وهو اصطفاؤه للرسالة، وأنه ﷺ لم يطلب على تبليغهم الرسالة أجرا فظهر أن حرصه ﷺ على هدايتهم هو مسعاه وغايته.

وقوله تعالى فى ختام الآية « وكان الإنسان قتورا» يتصور فيه أن يكون المراد بالإنسان ـ فى معنى الآية ـ كفار مكة، وجاء عدم التصريح بأنهم المعنيون بالقول من قبيل عدم التمادى فى ذمهم، ويتصور فيه أن يكون المراد هو جنس الإنسان ـ وهم منه ـ جبل على أن يكون مبالغا فى البخل، وهو ما قد يكون أثرا لغريزة حب الحياة، وحب الاقتناء.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾

أولا: الأسـماء:

التسع الآيات: قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو: العصا، والدم، والضفادع، والقمل، وموت البهائم، وزد الكنار، والجراد، والظلمة، وموت الأبكار. وقيل: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص من الثمرات.

ثانيا: التفســير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ فـى بيان إصرار فئة مـن الكافريـن على الكفر مع ظهـور الآيات الواضحة على صـدق الأنبياء ، فقوله تعالى « ولقـد آتينا موسى تسع آيات بينـات » مفاده أنه تعالى أيـد موسى عليه السـلام بتسع آيات واضحات فى التـدليل على نبوتـه عليه السلام، والقول لاينفى أنها قد تكون أكثر من هذا العدد.

وقوله تعالى « فاسأل بنى إسرائيل»، يتصـور فيه أن يكون أمرا منه تعالى إلى رسوله ﷺ أن يسأل ـ فى هذا الشأن ـ بنى إسرائيل بما عرفوه من التوراة، ليكون المراد من السؤال هو تحقق علمهم بصدقه ﷺ إذ يجدون مـا يقول به موافقا ما جاء فى التوراة التـى لم يعلم عنها شيئا . ويتصور فيه أن يكون خطابا وجهه تعالى إلى مـوسى عليه السلام أمره فيه أن يسأل فرعون بنى إسرائيـل ـ بمعنى أن يطلب مـن فرعون أن يترك لـه بنى إسرائيـل يخرج بهم من مصـر ـ أو أن يسأل بنى إسرائيل عن إيمانهم به وثباتهم على ما دعاه إليه ، أو كفرهم به.

ثم إنه تعالـى يثبت عدم إيمان فرعون بالتسـع الآيات التى أيد بها الله تعالـى موسى عليه السلام بقـوله تعالـى: « فقال له فـرعون إنى لأظنـك ياموســى مسحورا» ومن القـول يبين أن فرعون لم يكتف بالكفـر بالآيات البينات ، بل إنه زاد على هذا باتهامـه موسى بأنه مسحور يقول ما لا معنى له، أو بأنه ساحر أتى بما يأتى به السحرة من عجائب.

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾

أولا: الأســماء:

١ ـ **البصائر:** فى قولـه تعالى « ما أنزل هؤلاء إلا رب السمـوات والأرض بصائر »، جمع ، مفرده «بصيرة» بمعنـى « مبصرة»، والمراد بها ـ فـى معنى الآية ـ أنها بينـات مكشوفات، أو

أنها حجج وأدلة ظاهرة تجعل المرء يبصر الحقيقة.

٢ ـ المثبور: فى قوله تعالى « وإنى لأظنك يافرعون مثبورا» هو الهالك ، من الفعل «ثبر ـ يثبر» بمعنى هلك.

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ رد موسى عليه السلام على فرعون حين أنكر الآيات وجحد بها وقال لموسى « إنى لأظنك يا موسى مسحورا» فيقول تعالى إن موسى عليه السلام قال له « لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر» والقول يتضمن عدة معان، فهو يشير صراحة إلى توافر العلم اليقينى لدى فرعون بأن الذى أنزل الآيات المشار إليها بـ « هؤلاء » هو الله تعالى ، ثم إنه يرد على فرعون زعمه الربوبية فيثبت أن الرب هو الذى أوجد السماوات والأرض وحفظهن بحكم ربوبيته وهو ما لا يملك فرعون من أمره شيئا. ثم إنه يشير إلى أن كفران فرعون بالآيات مع كونها بصائر أو حججا تدل على أنها من الله هو وليد عناد وابتعاد عن موجبات المنطق والعقول. ثم يجيء قول موسى عليه السلام لفرعون «وإنى لأظنك يا فرعون مثبورا» وفيه قابل موسى عليه السلام قول فرعون له «إنى لأظنك يا موسى مسحورا» بقول شبيه له خاصة فى استعمال لفظ «الظن» مع اختلاف ظن فرعون وهو إفك عن ظن موسى عليه السلام وهو شبه اليقين بما أعلمه الله ولا ينافى قول موسى عليه السلام لفرعون هذا القول ما أمره وأخاه ربه من أن يقولا لفرعون قولا لينا، لأنه إنما كان منه القول بعد أن قال له تعالى « لا تخف» فوثق بحماية الله له، فكان منه الرد على فرعون بمثل قوله.

فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن إرادة فرعون اتجهت إلى إخراج بنى إسرائيل من أرض مصر

قسرا، وهو ما يكون بإزعاجهم بالقتل والتسخير أو بقتل ذكورهم، ثم يخبر تعالى عن فعله بفرعون ومن تبعه وسار معه وعلى نهجه وهو أنه تعالى أغرق فرعون ومن معه جميعا فى البحر، فيكون مكره وقومه السيء قد حاق بهم ونالهم ما كانوا يريدونه ينال بنى إسرائيل.

وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

أولا: الأسماء:

اللفيف: فى قوله تعالى « جئنابكم لفيفا» اسم جمع. لا مفرد له، ومعناه الجماعة من قبائل أو قرى مختلفة.

ثانيا: التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه قال لبنى إسرائيل من بعد هلاك فرعون ـ فإليه يعود الضمير فى « بعده» ـ اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنابكم لفيفا. وقوله تعالى هذا القول لبنى إسرائيل كان على لسان موسى عليه السلام قاله بأمر ربه. وفى معناه قيل إنه كان أمرا نافذا بدخول أرض مصر التى استنفزهم منها فرعون مرة ثانية وسكناها ، بمعنى أن يدخلها بنو إسرائيل ويسكنوها هم أو ذريتهم، وقيل إن الأرض المعنية بالقول هى أرض الشام وهى فلسطين على وجه الخصوص ، وهذا ما نراه ـ والله أعلم ـ فلم يتحقق دخول بنى إسرائيل مصر وسكناها من بعد خروجهم منها مع موسى عليه السلام، ثم إن النبوءة المتعلقة بمصير بنى إسرائيل التى جاء بها قوله تعالى « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب » لا تشير إلى هذا الحدث على الإطلاق.

وقوله تعالى ـ أو قول موسى لهم بأمر ربه ـ « فإذا جاء وعد الآخرة جئنابكم لفيفا » قيل فى معناه أنه إذا جاء وعد الساعة أو الدار الآخرة جمع الله بنى إسرائيل وفرعون وقومه مختلطين

ليحكم تعالى بينهم فيميز السعداء من الأشقياء.

والذى نراه ـ والله أعلم ـ غير هذا، فنحن نرى أن الخطاب موجه إلى بنى إسرائيل، وأنهم الذين يأتى بهم الله حين يجىء وعد الآخرة لفيفا ، والمعنى أنهم يؤتى بهم من أنحاء البلدان المختلفة ليكون اجتماعهم ، فالقول يشير إلى تشردهم فى البلاد وانتشارهم ولعل هذا يكون هو ما عليه حالهم اليوم فهم مشردون فى الأرض وإن قامت لهم دولة، ولعله يكون ما يصيبهم من بعد اقتحام بيت المقدس عليهم ثانية على ما يشير إليه قوله تعالى « وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا» وفيه بيان لدخول أعدائهم الذين يكون منهم أهل العراق عليهم بيت المقدس فاتحين، كما دخلوه أول مرة تحت قيادة بنوخذنصر.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾

أولا: الأسمــــاء:

الحقُّ: فى قوله تعالى « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل» قيل إن المراد بالأولى هو الحكمة الإلهية التى اقتضت إنزال القرآن العظيم، وإن المراد بالثانية هو ما اشتمل عليه القرآن من العقيدة و الأحكام.

وقيل إن المراد بالاثنين هو الحفظ حال الإنزال وحال النزول وما بعد هذا.

ثانيا: التفسـير:

القول ـ فى الآية ـ عود إلى الحديث فى القرآن العظيم ، يذكر تعالى أنه نزل وفق حكمته تعالى وهى الحق ، وأنه نزل متلبسا بالحق فتضمن العقيدة الحق عقيدة التوحيد وتضمن الأحكام التى تصلح لكل زمان ومكان فهى الحق.

والقول يفيد أن كل ما جاء فى القرآن العظيم هو حق لا يأتيه الباطل.

وقوله تعالى « وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا» هو إيجاز لما كلف به ﷺ فى شأن الرسالة،

وهو أن يبشر الذين يؤمنون ويعملون الصالحات بحسن الثواب، وأن ينذر الكافرين العصاة سوء الحساب.

فيكون القول مشيرا إلى أنه ﷺ غير مكلف ولا مسئول عما يكون ممن أصروا على الكفر، كما أنه ليس مأمورا بإجبارهم على الإيمان.

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾

أولا: الأسمـــاء:

المكث: في قوله تعالى « لتقرأه على الناس على مكث» قيل إن المراد به ـ في معنى الآية ـ هوتطاول المدة شيئا بعد شيء. وقيل هو الترسل في التلاوة والترتيل، وقيل هو التثبت.

ثانيا: التفســير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ لايزال في القرآن العظيم فيذكر تعالى أنه فرقه، بمعنى أنه أنزله منجما مفرقا، فيكون الأمر مرتبطا بالحكمة من إنزاله، لأن تنزيله منجما وفيه من الأحكام ما فيه جعل الناس يتقبلون هذه الأحكام، ولم يكن الأمر ليكون على هذا فيما لونزل جملة واحدة، لأن التدرج في الأمور جعل النفوس أكثر قابلية لتقبله.

ويقبل القول أن يكون المراد بـ « فرقناه» أنه كانت به التفرقة بين الحق والباطل.

وقوله تعالى « لتقرأه على الناس على مكث » جاء لبيان أن «المكث» الذى تمثل في نزول القرآن منجما ليكون قبول أحكامه، متطلب أيضا عند قراءة القرآن على الناس وإن اختلف مظهر المكث إذ يكون في القراءة بالتمهل والترسل، وذلك حتى يكون الخشوع ويكون التدبر.

وقوله تعالى « ونزلناه تنزيلا» يفيد معنى أخص من معنى نزول القرآن منجما، وهو نزول القرآن متعلقا بأسباب النزول، ونزول الأحكام موافقة مقتضى الحال.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى ما ذكر فى شأن القرآن العظيم فإنه أمر رسوله ﷺ أن يقول للكافرين بالقرآن العظيم «آمنوا به أو لا تؤمنوا» ومفاد القول هو أنه يستوى فى شأن القرآن العظيم أن يكون منهم إيمان به أو كفر، فهو لا ينقص شيئا بكفرهم به، كما أنه لا يزيده إيمانهم به. فيكون مفاد القول أن الخير يكون لهم أنفسهم إذا آمنوا به وأن الشر يكون فيهم إذا هم جحدوه وأنكروه.

وقوله تعالى أو قول رسول الله ﷺ بأمر ربه «إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا» هو فى ذكر دليل على كون القرآن العظيم كتاب الله المنزل من لدنه رحمة للعالمين.

والدليل مستمد من فعل أهل العلم من قبل نزول القرآن العظيم الذى هو تمام العلم وكماله.

والمراد به الذين أوتوا العلم الصحيح بما فى الكتب المنزلة قبل القرآن العظيم، يكون منهم إذا تلى عليهم القرآن أنهم يخرون لأذقانهم ساجدين لله شكرا، ومرجع هذا هو ما علموه من كتبهم بيقين أنه يأتى من جزيرة العرب من صميم مكة رسول من بنى إسماعيل عليه السلام أمى لا يقرأ ولا يكتب، ينزل عليه القرآن وحيا فيبلغه ، وأن دينه يكون خاتم الأديان، وأنه يدعو للإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب.

وقد سبق أن بينا أن التوراة التى بين أيدينا اليوم وأسفارا من أسفار العهد القديم تخبر بهذا. وأن إنجيلا من الأناجيل التى بين أيدينا اليوم تخبر بهذا ، فيكون متصورا أو متوقعا ممن أوتى

العلم الصحيح بالكتب والصحف المنزلة قبل القرآن العظيم حين يتلى عليه القرآن أن يعلم أنه المخبر عنه وأن يعلم أن رسول الله ﷺ هو المتنبأ أنه يأتى رسولا خاتما، فيسجد لله شكرا أن أبقاه ليشهد تحقق البشرى وأن يكون من المؤمنين من أهل الكتاب الذين ضوعف لهم الثواب.

وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فيما يقوله الذين أوتوا العلم من قبل القرآن العظيم لدى سجودهم أو فى عموم أوقاتهم - يقولون «سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا» فهم ينزهون ربهم رب العالمين عن أن يخلف وعده الذى جاء بكتبه أن يبعث الله رسوله ﷺ بالقرآن. ثم يقولون «إن كان وعد ربنا لمفعولا» يقولونه حين يتحققون أنه ﷺ هو المبشر به والذى وعد تعالى أن يبعثه رحمة للعالمين، وأن ينزل عليه القرآن العظيم. فيكون قولهم تصديقا لما جاء فى كتبهم مما استقر فى علمهم، وتصديقا بالقرآن العظيم وبرسول الله ﷺ

وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴿١٠٩﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآية - أنه يكون من الذين أوتوا العلم سجود ثان بعد سجود الشكر الأول، يكون سجودهم الثانى الذى يخرون فيه للأذقان ترتيبا على سماعهم القرآن وتأثيره فى نفوسهم وهو تأثير لايكون إلا فى مؤمن بالقرآن العظيم، ثم إنه تعالى يذكر حالهم لدى سجودهم إلى الأذقان وهو كونهم باكين، يبكون من خشيته تعالى التى كانت من تفكرهم وتدبرهم ما يتلى عليهم.

ثم إنه تعالى يذكر أن القرآن العظيم يزيدهم خشوعا، فقد كانوا خاشعين لله من قبل لأنه توافر لديهم العلم الصحيح بما فى الكتب، فلما سمعوا القرآن العظيم وآمنوا به ازدادوا علما وازدادوا خشية من الله لأنه إنما يخشى الله من عباده العلماء ، فكان منه أن زادهم خشـــوعا.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

التفســـير:

بدأت الآية بأمر إلى رسول الله ﷺ، ثم أعقبه بيان علته، فالأمر هو أن يقول للناس «ادعوا الله أو ادعوا الرحمن» فلزم أن يكون سبب الأمر بهذا أن الناس كانوا يرون اختلافا بين اسم « الله » واسم « الرحمن» وقيل فى هذا إن كفار مكة لما سمعوا رسول الله ﷺ يقول فى دعائه مناديا ربه « يالله، يارحمن» قالوا إنه ينهى عن الإشراك بالله ويدعو إلهين اثنين، فنزلت الآية تبين أنه إله واحد هو الله ، وهو الرحمن، وقيل إن قوما قالوا إنه كان يدعو رحمان اليمامة يقصدون مسيلمة الذى سمى نفسه الرحمن، فنزلت الآية.

وقيل إن اليهود ساءهم أنه ﷺ يدعو باسم الله أكثر مما يدعو باسم الرحمن، قولا بأنه مذكور فى التوراة كثيرا، فنزلت الآية لبيان تساوى الاسمين فى الحسن.

وقوله تعالى « أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى»، يدل على تساوي الاسمين فى التعبير عنه تعالى، فالاسمان من الأسماء الحسنى وهى لله تعالى وحده وليست لغيره ، فالقول ينفى التفاوت بين الاسمين فيما اعتقده الكافرون أو اليهود ويدل على أن أسماءه تعالى كلها حسنى. ولا يمنع هذا من قول إن الاسمين أشرف من غيرهما من الأسماء لاختصاصهما بالذكر، ولا من قول إن اسم « الله » هو أعظم الأسماء. فليس هذا هو مادار حوله نص الآية.

وقوله تعالى « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا». قيل إنه نزل لما كان رسول الله ﷺ مستخفيا فى مكة وكان يجهر بالقراءة فى الصلاة فكان المشركون يسمعونه فيسبونه ويلغطون فى القرآن الذى يسمعونه فجاء أمره تعالى بأن يخفض من صوته إلى الدرجة التى لا يسمعه معها المشركون والتى لا تخفى على المؤمنين فيسمعون تلاوته، فيكون القول متعلقا بالصلاة. وقيل إن أبا بكر رضى الله عنه كان يخفض صوته كثيرا فى قراءته القرآن أو فى دعائه، وأن عمر رضى الله عنه كان يرفع صوته كثيرا فكانت الآية بمثابة أمر بالتوسط بين الوضعين ؛ فيكون الأمر متعلقاً بقراءة القرآن أو بالدعاء

وقيل إن مفاد الآية هو أن يكون من الصلاة ما تكون فيه القراءة جهرا، وهى صلاة الصبح والمغرب والعشاء، وأن منها ما تكون القراءة فيه سرا وهى صلاة الظهر وصلاة العصر. والذى نراه ـ والله أعلم ـ هو أن المراد بالقول هو ما يفصح عنه قوله تعالى « وابتغ بين ذلك سبيلا» وهو أمر بالتوسط، فإذا كانت الصلاة من صلاة الجهر فلا يكون الجهر بالصوت فوق اللازم ليكون شديدا وإن كانت تلاوة القرآن للتعبد فلا يكون رفعها فوق الحاجة ولا المخافتة بها إلى ألا يسمعها القارىء ، وإنما يكون التوسط بين الأمرين.

وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾

التفسير:

الخطاب ــ فى الآية ـ فى ظاهره هو لرسول الله ﷺ، وهو لجميع المؤمنين فى معناه ومضمونه، وهو فى مطلعه أمر بحمد الله وشكره والثناء عليه «وقل الحمد لله»، ثم إنه أمر بتوحيد الله تعالى ونفى الشرك بجميع مظاهره ومنها اتخاذ تعالى الولد والشريك والولى «الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل» وهو ـ بهذا المعنى ـ يرد على فئات من المشركين منهم الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ، والذين قالوا

إن عزيرا ابن الله، والذين قالوا إن المسيح ابن الله.

فجاء قوله تعالى «الذى لم يتخذ ولدا» مثبتا كذب القائلين بهذا. كذلك فإنه تضمن نفى وجود شريك له تعالى فى الملك، فهو - بهذا المعنى - يثبت خطأ القائلين بالعبادات المثنوية، ومنهم الذين يقولون بوجود إلٰه للخير وآخر للشر، ومنهم القائلون بهرمز إلٰه الخير، وأهرمن إلٰه الشر، ومنهم عبدة الشيطان الذين يجعلون من الشيطان إلٰها يُعبد فى مواجهة الله تعالى.

ثم إنه تضمن إثبات عدم حاجته تعالى إلى ناصر أو نصير «ولم يكن له ولى من الذل» فهو تعالى أجلُّ من أن يتصور ورود الذل عليه؛ ولهذا فإنه لا حاجة له لأن يحالف أحدا يدفعه عنه.

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «وكبره تكبيرا» هو أمر بتعظيم الله غاية التعظيم، والمشهور أنه يكون بقول «الله أكبر»، فقول العبد «الله أكبر» خير من الدنيا وما فيها.

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الكهف

فى أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها فى ترتيب المصحف «سورة الإسراء» :

١ ـ افتتحت سورة الإسراء بالتسبيح بقوله تعالى «سبحان الذى أسرى بعبده»، وافتتحت السورة بالتحميد بقوله تعالى «الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب». والتسبيح والتحميد مقترنان فى الميزان، وفى الكلام دائما، كما فى قوله تعالى «فسبح بحمد ربك».

٢ ـ جاء «الحمد لله» فى آخر آية فى سورة الإسراء فى قوله تعالى «وقل الحمد لله» وجاء فى مطلع السورة بقوله تعالى «الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب» .

٣ ـ جاءت الإجابة عن أحد الأسئلة الثلاثة التى سئل عنها رسول الله ﷺ فى شئون «الروح، وذى القرنين وأهل الكهف» فى سورة الإسراء، وجاءت إجابة السؤالين الآخرين فى السورة.

٤ ـ جاء الحديث عن العلم فى سورة الإسراء فى قوله تعالى «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» والقول فى اليهود، كما جاء فى قوله تعالى «إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا» وهم من أهل الكتاب أيضا.

وفى السورة ورد ذكر قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام وهى متعلقة بالعلم والأعلم.

٥ ـ جاء فى سورة الإسراء قوله تعالى «فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا»، وفى السورة شرح تعالى هذا بقوله تعالى «فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء» إلى قوله تعالى «ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴾ (١)

أولا: الأسـماء:

العـوج: فى قولـه تعالى «ولم يجعـل له عوجا» هـو الانحراف والميل عن الاستقـامة، يدخل فـى معناه ـ فى معنى الآيـة ـ اختلال اللفظ، ومخـالفة الفصاحة، وتناقـض المعانى، والاشتمال على ما ليس بحق، والدعاء لغير الله تعالى.

ثانيا: التفسـير:

بدأ قـوله تعالى بـالتحميد، بقوله تعـالى «الحمد لله» يحمده الخلـق، وصف تعالى بـأنه الذى أنـزل على عبـده محمد ﷺ القـرآن العظيم فـاستحق بهـذا وحده أن يُحمـد وأن يُثنى عليـه.

وفى القول ذكر القرآن بأنه الكتاب لبيـان أنه وحده الجدير أن يطلق عليه «الكتاب» إذا ورد مطلقا.

ثم إنه تعالـى ذكر أنه لم يجعل للكتاب ــ وهو القرآن ـ عوجا أو ميـلا عن الحق والصواب والصحيح فى كل شىء، فـدل على كماله فى اللفظ والفصاحة والمعنـى والعلم، وبهذا فهو مختلف عن كل قول وكل كلام.

﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ (٢)

أولا: الأسـماء:

١ ـ القيـم: فى قوله تعالى «قيما لينذر بأسا شـديدا» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ

هو القيـام على غيـره، بمعنى قيـام القرآن على غيـره من الكتـب شاهـدا بصحتها، وقيـل إنه الصادق فى نفسه المصدق لغيره. وقيل هو الخالى من النقائص المتحلى بالفضائل .

٢ ـ **البأس الشـديد :** فى قوله تعـالى «لينذر بأسا شديـدا» المراد به ـ فى معنى الآيـة ـ هو عذاب الآخرة .

ثانيا: التفســير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ تتمة قوله فى القرآن العظيـم، فمن بعد ذكره تعالى أنه لم يجعل له عوجا أثبت تعالى أنه قيم على ما سبقه مـن الكتب شاهد على صحتها لنزوله على ما أخبرت به.

ثم أثبت تعالى أن يكون من عاقبة إنزال القرآن العظيم والإبلاغ به أن يكون إنذار الكافرين به والمخالفين أوامره بعذاب شديد فى الآخرة من عنده تعالى .

وكذا أن يكون به تبشير المصدقين به الذين يعملون الأعمال الصالحة بأن لهم بتصديقهم به والعمل بأوامره أجـرا حسنا فى الآخرة هو دخولهم الجنة وتنعمهم بما فيهـا ثوابا عظيما لهم بإيمانهم وأعمالهم .

مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾

التفســير:

القول فى حـال المؤمنين الذيـن يعملون الصالحات، وهـو المكوث للأبد أو الخلـود فى الأجر الحسن، نعيم الآخرة وثوابها .

وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

التفســير:

قوله تعالـى فى فئة خاصة من الذيـن أنذروا بالقرآن عذاب الآخرة الشديـد. وهـم القائلون

باتخاذ الله تعالـى ولدا جاء قوله تعالى «وينـذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا» لبيـان مدى شناعة قولهم، يـدخل فى هؤلاء القائلـون باتخاذه تعالـى الملائكة إناثا، أو إن المـلائكة بنات الله، والقائلون إن عزيرا ابن الله، والقائلون إن المسيح ابن الله.

فجاء قوله تعالى يخصهم بهذا الإنذار الثانـى بالقرآن العظيم تأكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد دون إخراج غيرهم ممن سبق إنذارهم من دائرة المعاقبين به.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾

التفسـير:

قوله تعالى - فى الآية - فى هؤلاء الذين قالوا «اتخذ الله ولدا» يقول تعالى فيهم «ما لهم به من علم».

والمعنى هو استحـالة أن يكون هناك علم بأنـه تعالى قد اتخذ ولدا، وذلـك لانعدام هذا، ولهذا فإن القول لايراد به نفى العلم عنهم وإنما نفى المعلوم مطلقا.

ولهذا أيضا جاء اقتـران نفى المعلوم بذكر آبائهـم، وربما كان ذكر آبائهم لأنهـم قالوا هذا فتبعهم أبناؤهم.

فجاء ذكرهم لبيان أنه لم يكن منذ القدم علم بما يدعون حتى يكون لدى الأقدمين معرفة به، فالمدعى ليس غير معدوم.

وقوله تعـالى «كبرت كلمة تخرج من أفـواههم» معناه هو «كبرت كلمة» كلمـة «تخرج من أفواههم» والقول ذم للكلمة التى خرجت من أفواههم تنسب إليه تعالى اتخاذ الأبناء، ثم إنه يفيد استعظام اجتراء قائليها عليه تعالى.

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «إن يقولون إلا كذبا» مفاده أن ما يقول هؤلاء وما قاله آباؤهم من قبل هو محض كذب لايقبل أن يجرى عليه الصدق.

فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾

أولا: الأسماء:

الباخع : اسم فاعل من «بخع - يبخع» بمعنى أضعف وأوهن، من بخع الأرض بمعنى أرهقها بكثرة زراعتها فأذهب خصوبتها وأضعفها.

والمراد به - فى معنى الآية - الهالك، والقاتل نفسه من شدة الوجد .

ثانيا: التفسير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كبر عليه ما رآه من مخالفة قومه إياه وإنكارهم ما جاء به من القرآن العظيم وأحزنه ذلك حزنا عظيما فنزل قوله تعالى يعاتبه صلى الله عليه وسلم على هذا مترفقا به.

فيكون معنى القول هو لعلك مهلك نفسك على أثر تولى قومك عنك وإعراضهم بعد أن لم يؤمنوا بهذا القرآن تأسفا عليهم وحزنا.

والمراد بالقول - فيما نرى والله أعلم - هو النهى عن إهلاك النفس حزنا على الكافرين وإعراضهم عن القرآن العظيم .

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾

أولا: الأسماء:

الزينة : فى قوله تعالى «إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها» هو جميع ما لا يعقل من حيوان ونبات وجماد ومعدن مما يتزين به ويتحلى، وقيل إن المراد به - فى معنى الآية - هو الخضرة والمياه والنعم، وقيل إن المراد بالزينة هم العلماء، وقيل الخلفاء والأمراء، ويبعد لدينا هذا - والله أعلم لأن ما هو زينة للأرض هو زينة لمن عليها فيخرج منه من تكون له الزينة والتزين .

ثانيا: التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ في الآية ـ أنه جعل كل ما على الأرض مما لا يعقل زينة للأرض، بمعنى أنه يزينها ويجملها، وأنه يكون أيضا زينة لأهلها، يكون مشروعا لهم التزين به ما لم يكن به إيذاء حيوان أو قلع زرع بغير فائدة .

وقوله تعالى «لنبلوهم أيهم أحسن عملا» مفاده أن كون ما على الأرض زينة لأهلها هو للابتلاء فقد يتزين المرء بما يحصل عليه بالرزق الحلال فيحمد الله على ما رزقه فيثاب بهذا، وقد يسعى المرء للحصول على ما يتزين به بالحصول على المال بالطريق غير المشروع.

ويكون تزينه لارتكاب المعاصى فيؤثم بهذا فعله ويعاقب به، فيكون الأمر كما لو كان تعالى قد اختبر العباد بالزينة ليكون من كل فعله الذى يحاسب به، يثاب به أو يعاقب عليه .

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨﴾

أولا: الأسماء:

الجرز: فى قوله تعالى «صعيدا جرزا» هو ما لا نبات فيه .

ثانيا: التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه جعل جميع ما على الأرض زينة لها ولجنس الإنسان، وأن فى هذه الزينة اختبارا للإنسان يكون به حسابه.

فإنه تعالى أثبت فى الآية أن مصير هذه الزينة إلى تراب جرز لا نبت فيه ولا حياة خضرة .

والقول ـ على هذا المعنى ـ يتصور أن يكون متعلقا بجعل الزينة اختبارا للإنسان، فإذا كفر بالرسل بعد الله تعالى أهلكه الله وأهلك القرى فتصير ترابا لا زرع فيه.

ويتصور فيه أن يكون وصفا لما يكون من حال هذه الزينة التى على الأرض عند قيام الساعة .

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ⑨

أولا: الأســـماء:

١ ــ **أصحاب الكهـف** : هم الفتيـة الذين آمنوا بـالنصرانية ــ على المشهور ـ قبـل دخول النصرانية روما، عاشـوا في زمان دقلديانوس الذى اشتهر بتعذيـب النصارى في جميع أنحاء الإمبراطـورية، وهو الـذى يسمى النصارى عصـره بعصر الشهداء، قيـل إن إسماءهـم كـانت: مكسلمان، ومسيلنينـا، ويمليخا، ومرطـوس، وكشوطوش، ودينمـوس، ويطونس، وبـرينوس. هربوا من الإمبراطور فرارا بدينهم ومعهـم كلب قيل إنه كان لمكسلمان إلى الكهف المشهور في القصة.

٢ ـ **الرقيـــم** : قيل إنه اسـم الكلب الذى كان مـع الفتية، وقيل كان اسمـه حمران، وقيل كان اسمه قطمير.

وقيل إن الرقيم لـوح من حجارة كتب فيه أسماء الفتيـة، وقيل إنه واد قريب من قـرية أيلة، وقيل هو اسم القرية التى خرج منها الفتية .

ثانيا: التفســير:

لعبارة الآية عـلاقة بما وجه إلى رسول الله ﷺ مـن سؤال بإيحاء من اليهـود عن أصحاب الكهف وما شعـر به ﷺ من حرج حين تبـاطأ عليه الوحى بالإجـابة، فجاء قوله تعـالى بعبارة الآية ينفى مـا اعتقده ﷺ من أن أصحاب الكهـف والرقيم كان عجبـا من آياته تعـالى، سواء أكان الرقيم هو كلبهم أم كان واديا أو مكانا آخر لأصحابه قصة أخرى، وذلك لأنه ﷺ قد رأى وعاين وعرف من آيات ربه ما هو أعجـب من خبرهم، ومن هذا خلق السماوات والأرض، وما أطلعه عليه ربه من الغيب.

وقصته ﷺ ليلة أسرى به، فقوله تعالى يكاد أن يكون إنكارا لاعتقاده ﷺ أن قصة أصحاب الكهف هى من آياته تعالى عجبا .

■■■■

إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ الفتية : : جمع قلة، مفرده «فتى» وهو الطرى من الشبان ..

٢ ـ الرشد : فى قوله تعالى «وهيىء لنا من أمرنا رشدا» هو إصابة الوسيلة الموصلة إلى الغاية المرجوة ويستعمل بمعنى الهداية .

ثانيا: التفسير:

معنى القول هو «واذكر إذ أوى الفتية إلى الكهف» وهو تعريف بواقع ما كان من الفتية إذ هربوا بدينهم فأووا إلى الكهف يختبئون فيه من متابعة الملك إياهم، وما كان منهم من التجاء إلى الله تعالى، سألوه أن يؤتيهم رحمة من عنده تكون بالأمن ثم بالرزق فى الدنيا، وبالمغفرة تمحو ذنوبهم وبها يرحمون فى الآخرة، كما سألوه أن يجعل لهم من طريقهم الذى هم عليه من طاعة الله وهجران الكافرين سبيلا يوصلهم إلى رضائه تعالى ونيل ثوابه .

فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾

التفسير:

يتصور فى معنى قوله تعالى أن يكون أنه تعالى ضرب على آذانهم حجابا منع وصول الأصوات إليها إشارة إلى إنامتهم إنامة ثقيلة لا توقظهم خلالها الأصوات، ويتصور أن يكون معنى ضربه تعالى على آذانهم أنه تعالى عطل وظيفتها فلم يسمعوا شيئا.

فيكون المراد أيضا هو إثبات إنامتهم إنامة ثقيلة. ثم إنه تعالى بين أن ظرف ذلك المكانى كان هو الكهف.

وظرفه الزمانى كان سنينا تعد عددا .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

أولا: الأســـماء:

١ ـ **الحزبـــان** : فى قوله تعالى «أى الحزبين أحصـى لما لبثوا أمدا» قيل إن المـراد بهما ـ فى معنى الآية ـ هو فريقا الفتية: القائلـون منهم لبثنا يوما أو بعض يوم، والقائلون ربكم أعلم بما لبثتم. وقيل فريق الفتية الذين ظنوا قلة زمـان لبثهم، وفريق أهل المدينة الذين بعث الفتية فى زمانهـم. وقيل حزب من قوم أهـل الكهف كانوا مؤمنين وحـزب آخر منهم كانوا كـافرين. وقيل إن المراد بهما هو اليهود والنصارى .

٢ ـ **الأمــد** : فى قوله تعالى «أحصى لما لبثوا أمدا» هو المدة التى لها حد .

ثانيا: التفســير:

مفاد القول أنـه كان منه تعالى إيقاظ الفتيـة من نومهم، فهذا هو المـراد ببعثهم، وأن ذلك كان لكـى يعلم ويعرف أى الحـزبين، والمراد بهما حـزب الفتية وحزب أهـل المدينة الـذين بعث الفتيـة فى زمانهـم ـ على الـراجح ـ هو الـذى أحصى عدد السنيـن التى قضاهـا الفتية نائمين فى الكهف على نحو صحيح .

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾

التفســير:

يقول تعالى لرسوله ﷺ إنه يقص عليه نبأ أصحاب الكهف ملتبسا بالحق، ويبين من قوله تعالـى «نحن نقـص» أن القول يتعلق بتفصيـل ما سبق إجمـاله، كمـا يبين من قـوله تعـالى «بالحـق» أن قصة أصحـاب الكهف كـانت معروفـة لدى العـرب على نحـو ما، ولهـذا جاء التعريـف بأن مـا سيقص بشـأنها سيكون ملتبسـا بالحـق، ليبين الفـرق بينه وبيـن المعروف المتداول عنها .

وقولـه تعالى «إنهـم فتية آمنوا بـربهم وزدناهم هـدى» مفاده أنهم آمنـوا بالله تعالـى ربهم وسيدهـم والمتولـى أمورهم، وأنـه تعالـى ثبتهم علـى الإيمان ووفقهم إلـى العمل الصـالح وزادهم فضلا من لدنه قد يكون بزيادة حسناتهم وقد يكون بتبشيرهم وقد يكون غير هذا وذاك مما هو من فضل الله .

وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾

التفسـير:

يبين من قوله تعالى «وربطنا على قلـوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض» أن هناك صلة بين ربطه تعـالى على قلوبهم، وبين قيامهم وقـولهم ربنا رب السماوات والأرض. ومعنى أنه تعالى ربط على قلوبهم هو أنه قـواها فلم تضعف أمام شىء، ولهذا فإنه يتصور أن يكون قيامهـم هو القيام للدعـوة إلى الإيمان بالله ونبذ عبـادة الأوثان التى كان عليهـا قومهم، فكان قولهم «ربنـا رب السماوات والأرض»، ويتصور أن يكون قيامهم قـد حدث أمام الملك أو أمـام أحد تـابعيه مـن الحكـام، قوى الله قلـوبهم أمـامه فقـالـوا «ربنا رب الســـــماوات والأرض».

وقولهم «لن ندعوا من دونه إلها» هو قول لا يصـدر فى قوم كافرين أو أمام ملك كافر إلا من مؤمن ربط تعالى على قلبه فقواه فقال ما يفيـد أنه لن يعبد أبدا إلها من دون الله تعالى. ثم إن ذكره ربه باسم «الله» يفيد إرادة نفى الألوهية عن الأوثان وهو قول عابدى الأوثان فيها، وهذا ما يقوى الاعتقـاد أن هذا القـول قد صدر فـى حضرة قـوم وثنيين أو فى حضـرة مـلك أو حـاكم وثنـــى .

ثم إن قولهم «لقـد قلنا إذا شططا» ومعناه أنهم إذا دعوا من دون الله تعالـى إلها آخر، سواء عبدوه وحده وأنكروا وجود الله تعالى أم عبدوه معه مؤمنيـن بوجود الله تعالى فإنهم يكونون قد

ابتعدوا بقولهم عن الحق، أو قالوا ما هو بعيد عن الحق إلى أقصى مدى . وهذا القول يتضمن تعريضا بعـابدى الأوثان؛ ولذلك فـالمتصور هو أنه قيل فـى حضرتهم ممن ربط تعـالى على قلوبهم فقواها .

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾

التفسـير:

القول ــ فى الآية ـ هـو قول الفتية، أشـاروا إلى قومهـم وقالوا هؤلاء قـومنا، ثم أخبـروا عن حالهم فبينوا أنهم اتخذوا من دون الله تعالى آلهة صنعوهـا وعبدوها. ثم إنهم قالوا «لولا يأتون عليهم بسلطان بين» وفيه يحضون أهلهم وقومهم على أن يـأتوا بدليل ظاهر أو حجة دالة على صحة اتخاذهـم الأوثان آلهة، وهم مـن حضهم قومهم علـى هذا ينكرون أنهم يقـدرون على الإتيان بهذا الدليل . وقولهم «فمن أظلم ممن افتـرى على الله كذبا» مفاده أنهم يصرحون بأن اتخاذ معبودات غير الله تعالـى والزعم بربوبيتها هو افتراء علـى الله الكذب، وأن من يفعل هذا أو يقول به هو مـرتكب أكبر الكبائر التى لا يكون معهـا مرتكب إثم آخر مساويـا له فى الظلم، فيكون هو أظلم الظالمين .

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾

أولا: الأسـماء:

المـرفق : فى قوله تعالى «ويهيىء لكم من أمركم مرفقا» هو ما يُرتفق به وينتفع .

ثانيا : التفسـير:

قوله «و إذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله» هو مـن قول الفتية بعضهم لبعض، تحاضوا على اعتزال قومهـم بأجسامهم وعقائدهم واعتـزال ما يعبدون إلا الله تعالى، فيستفـاد من القول أن القوم كانـوا يعبدون الله تعالى و يعبـدون معه آلهة أخرى مـن صنعهم فكان من الفتيـة اعتزال عبادة الآلهة الأخرى وعبادة الله تعالى وحده.

ثم إن الفتية قال بعضهم للبعض ـ تنفيذا لاعتزالهـم قومهم وما يعبدون إلا الله أو ترتيبا عليه ـ «فأووا إلى الكهف ينشـر لكم ربكم من رحمته و يهيىء لكم من أمركم مـرفقا» تحاضوا على اللجوء إلى الكهـف اعتزالا لقومهم وجعلوا مـن التجائهم إليه ـ في عقيدتهم ـ شـرطا لنشره تعالى رحمته عليهـم والتوسيع لهم فيها في الـدنيا والآخرة وتسهيله لهم أمرهـم الذى أجمعوا عليه وهو الفرار بدينهم والتوجه إلى الله يكون به نفعهم وصالحهم .

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ ذات اليميـن : المراد بهـا ـ في معنى الآيـة ـ هو جهـة ذات يمين الكهف عند تـوجه الداخل إلى قعره، أو جهة ذات يمين الفتية .

٢ ـ ذات الشمال : المراد بها ـ في معنى الآية ـ هو جهة ذات شمال الكهف .

٣ ـ الفجـوة : في قوله تعالـى «وهم في فجوة منه» هي المكان الواسـع من «الفجا» وهو تباعـد ما بيـن الفخذين، والمـراد به ـ فـي معنى الآيـة ـ هو وسـط الكهف حيـث لا تصيبهم

الشمس، وينالهم الهواء .

ثانيا: التفســير:

الخطاب ـ في الآيـة ـ إلى رسول الله ﷺ، ولكل شخص يصلح القول لـه. وهو بيان لحال الفتية بعد أن أووا إلـى الكهف وناموا فيـه نوما ثقيلا، ومعنى القول هو إنك لـو رأيت الكهف لرأيت الشمس إذا طلعت تتنحى عن كهفهم وتميل عنه جهة اليمين عند تـوجه الداخل إلى قعره، ولرأيتهـا عند غروبها تعـدل عن الفتية باتجـاهها إلى جهة ذات شمـال الكهف، وذلك حال كون الفتية في متسع من الكهف في وسطه ينالهم الهواء ولا تؤذيهم الشمس .

وقوله تعالى «ذلك من آيات الله» مفاده أن ما ذكر من تزاور الشمس ومن قرضها في الطلوع والغروب يمينا وشمالا هـو من آيات الله الدالة على التـوحيد وعلى أنه تعالى يكـرم الموحدين ويتفضل عليهم إذا ما توكلوا عليه .

وقولـه تعالى ـ في ختـام الآية ـ «مـن يهد الله فهو المهتـد، ومن يضلـل فلن تجد لـه وليا مرشـدا» هو ثناء علـى أهل الكهف وصفهـم تعالى شـأنه بـأنهم من الـذين هداهـم الله فهم مهتدون، وأعلم تعـالى أن من يضله بخلق الضلال فيه لاختياره إياه على ما ثبت فـي علمه تعالى لا يكون له ناصر يهديه إلى الحق ويصرفه عن الضلال :

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

أولا: الأســماء:

١ ـ الأيقــاظ : في قوله تعـالى «وتحسبهم أيقاظا» جمع، مفـرده «يقظ»، و «يقظان» هو المنتبه .

٢ ـ الرقــود : في قولـه تعالى «وهم رقود» مصدر مـن الفعل «رقد ـ يرقد» جـاء في القول

وصفا لجمع الفتية بالمصدر.

٣ ـ الوصيد : فى قوله تعالى «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» هو «الفناء» بمعنى فناء الكهف، وهو عتبة الباب، أو مكانه .

ثانيا: التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ على ظاهره إلى رسول الله ﷺ، والمعنى ينصرف إلى أى فرد يكون فى موقف الاطلاع على أصحاب الكهف. وقوله تعالى «وتحسبهم أيقاظا وهم رقود» مفاده أن من ينظرهم أو يطلع على هيئتهم أثناء نومهم كان يحسبهم متيقظين، والمراد هو أنه لو كان أحد قد شاهدهم لحسب أنهم متيقظين .

وقيل فى هذا إن أعينهم كانت مفتوحة، وقد يكون الصحيح ـ والله أعلم ـ أنهم لم يكونوا على حالة الاسترخاء التام الذى يكون عليه حال النائم، وذلك بفعل ربهم .

وقوله تعالى «ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال» مفاده أنه تعالى الذى كان يقلبهم أثناء نومهم، وقد يكون فى القول إشارة إلى أن عدم التقلب يصيب الراقد طويلا بما يعرف بـ «قرح الفراش» وأنه تعالى قد حفظهم منه ليكونوا لدى بعثهم من النوم على الحال التى كانوا عليها من الصحة. والقول يشير إلى أن التقلب كان جهة أيمانهم وجهة شمائلهم .

ثم إنه تعالى ذكر ما كان عليه حال كلبهم، وفى شأن الكلب فالمشهور أنه كان كلبا على الحقيقة، وأنه كان نائما بفناء الكهف أو فى مدخله مادا ذراعيه. وقيل إنه لم يكن كلبا على الحقيقة و إنما كان واحدا منهم جلس عند مدخل الكهف للمراقبة فسمى كلبا كما يسمى النجم التابع للجوزاء كلبا .

وقوله تعالى «لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا» مفاده أنه لو كان أحد قد رآهم أثناء نومهم هذا لكان شأنه الهروب منهم من شدة الرعب. وقيل فى تفسير هذا إنه تعالى قد ألقى عليهم الهيبة أثناء نومهم، وقيل إن السبب هو طول شعورهم وأظافرهم، وقيل ردا على هذا أنه لو كانت شعورهم وأظافرهم قد طالت لما قال بعضهم «لبثنا يوما أو بعض يوم» وأنه تعالى قد حفظهم على الهيئة التى كانوا عليها قبل نومهم ليكونوا من بعد استيقاظهم آية، ولهذا فقد يكون المعنى المراد إيصاله بالقول ـ والله أعلم ـ أنهم قد حُجبوا

عن الناس بالرعب الذى قد يكون سببه هو إيحاش المكان .

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ الأحـد : في قوله تعالى «فابعثوا أحدكم» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو «يمليخا» أصغر الفتية، والنص لا يفيد سوى أنه كان واحدا منهم ولم يكن سيدهم لأنه لم يقل فابعثوا واحدكم .

٢ ـ الـورق : في قوله تعالى «فابعثوا أحدكم بورقكم هذه» هو الدراهم المتخذة «نقدا» وهى الفضة.

ثانيا: التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ «وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم» مفاده أنه على هذا النحو الذى أنامهم الله طويلا كان منه تعالى إيقاظهم ليسأل بعضهم بعضا ما يفضى إلى بيان حكمة صنعه تعالى فيهم، والمعنى هو لترتب هذا على الإيقاظ، وليس كونه سبب الإيقاظ .

ثم إنه تعالى يبين ما جرى بينهم من تساؤل وإجابة بقوله «قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم» والمعنى هو أن أحدهم ـ قيل إنه كان مكسلمان وقيل كان يمليخا ـ سأل قائلا «كم لبثتم» وهو سؤال عن المدة التى قضوها نائمين، وأن بعضهم أجاب على هذا السؤال بقول يفيد الشك في معرفة هذه المدة أتكون مدة يوم أم مدة بعض يوم ، وقد يكون هذا الشك من أثر عدم ذهاب أثر النوم منهم بالتمام، وقد يكون ـ على ما قيل ـ لكون يقظتهم

تحققت آخر النهار.

وقوله تعالـى «قالوا ربكم أعلم بما لبثتـم» يفيد أن بعض الفتية رد على الذيـن قالوا «لبثنا يوما أو بعـض يوم» بقول حسن فيه مراعـاة الأدب الذى يتحلى به المؤمنون ومعنـى القول هو إنكم لاتعلمون مدة لبثكم وإنما يعلمها الله .

ثم يبين تعـالى أن القائلين بهـذا اقترحوا أن يبعث بواحـد منهم بدراهم أو بفضـة مضروبة نقدا، ويفيد قولـه تعالى «فابعثوا أحدكم بـورقكم هذه» إلى أن قائل القول كـان معه الدراهم التى أشار إليها ـ ولا ينفـى احتفاظه بها من أجل المعاش توكله علـى الله، لأنه من قبيل الأخذ بالأسباب ـ وحـدد القائل بقوله اتجاه المبعوث بالـدراهم فى أنه الذهاب إلـى المدينة التى خرجوا منهـا، فيكون منه النظر فى أصناف الطعـام لاختيار أزكاها، والمعنى هـو اختيار الطيب الحلال منها فلا يختار ما يكون قد ذبح للأصنام أو على أسمائها ولا ما حرم أكله، فيشترى منه ما شاء ربهم أن يكون لهم رزقا .

أما باقـى قول القائل الذى اقتـرح بعث أحدهم لشـراء الطعام الطيب الحلال فهـو نصح للمبعوث «وليتلطف ولا يشعرن بكـم أحدا» والنصح بالتلطف أو بحسن التعامـل هو من قبيل درء وقوع نـزاع يؤدى إلـى الكشف عن شخصـه، والنصح بعدم الإشعـار بهم أحـدا مفاده أن يكون حريصا علـى ألا يعلم أحد من أهل المدينة عـن أمرهم شيئا، فهو نهى عـن كل فعل قد يؤدى إلى الكشف عن حقيقة أمرهم ومكان وجـودهم، وهو أمر بالحرص على الاستخفاء عن العيون والأفهام .

إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

التفسـير:

القول ـ فى الآيـة ـ تتمة قول من اقترح بعـث أحد الفتية لشراء طعام من المـدينة ونصحه

التحرز من أن يكون منه ما يكشف لقومهم عن حـالهم، وهو بمثابة تعليل لما نصح به. ومعنى قوله أنه إذا اطلع القوم عليهم وعرفوا مكانهم فإنهم يستحضرونهم، وبقوتهم عليهم يكون لهم معهم أحد أمرين، إما أن يقتلـوهم رجما بالحجارة لكون هذا عقوبة من يكفـر بدين آبائه وهو الوثنية أو الشرك بالله بعبادة الأوثان، وإما أن يجبروهم على الارتداد عن دينهم وهو ما هم عليه مـن عبادة الله وتـوحيده. ويفهـم مـن لفظ «يعيـدوكم» أن الفتيـة كانـوا ـ من قبـل إيمانهـم وتوحيدهم ـ على ملة قومهم .

وقول القائل «ولن تفلحوا إذا أبدا» مفاده أنه إذا مـا وقع منهم الارتداد عن التوحيد والعودة إلى الـوثنية فـإنه لن يكـون لهم فلاح فـى الدنيـا ولا فى الآخرة. وقـد يكون مرجـع هذا ـ مع إكراههـم على الكفر ـ أنـه لم يكن معفوا عـن الكفر إن وقع بـإكراه، وأن هذا المبدأ شـرع فى الإسلام لقوله ﷺ «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان ومـا استكرهوا عليه»، وقد يكون بسبب أنهم لن يستطيعـوا عبادة الله خـوف الاطلاع عليهم فيكـون منهم تقصيرا فـى حق الله لا يكـون لهم فلاح حال فى الدنيـا ولا فى الآخرة، أو خشية أن يستدرجهم الشيطان من بعـد ارتدادهم كرها إلى استحسان الشرك بالله فيكون به عدم فلاحهم فى الدنيا والآخرة .

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ

لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾

التفسـير:

قوله تعـالى ـ فى مبتدأ الآيـة ـ «وكذلك أعثرنا عليهـم» مفاده أنه على هذا النحـو السابق ذكره من إنامة و إفاقـة وبعث أحد الفتية إلى المدينة لشراء طعام كان منـه تعالى تحقيق عثور أهل المدينة عليهم والمراد بأهل المدينة هم أهلهـا وقت بعثهم من النوم، وقد كانوا قوما غير

القوم إذ كانوا مؤمنين، وفى شأن كيفية العثور عليهم قيل إنه لما عرض المبعوث دراهمه على بائع الطعام وكانت مضروبة برسم دقلديانوس اعتقد البائع أن الفتى قد عثر على كنز أثرى فرفع أمره إلى الملك، وأن الملك كان قد سمع بقصة خروج الفتية واختفائهم فى عصر دقلديانوس ، فلما استجوب الفتى وسمع منه قصتهم وعرف أسماءهم عرف أنهم الفتية أصحاب القصة المسموع بها بعد أن تحقق من صحة أسمائهم بمضاهاتها بما كتب على اللوحة المتضمنة أسماءهم، ثم كان منه وأعوانه الذهاب إلى الكهف، فدخل الفتى المبعوث على أصحابه وأعلمهم الأمر ولقيهم الملك وأعوانه فكان منه تعالى بهذا أنه أعثر القوم عليهم من بعد فقدهم وافتقاد أثرهم .

وقوله تعالى «ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم» مفاده أن الإعثار على الفتية قد أريد به استيثاق الذين عثروا عليهم أن ما وعد به تعالى من أنه يكون بعث بعد الموت، وأنه يكون يوم القيامة فيه يبعث الناس جميعا للحساب والجزاء هو حق لا يصلح محلا لأن يرد فيه شك أو تناله ريبة: وذلك لأن العقل يدرك أن من أبقى الفتية نائمين عدة قرون وحفظ عليهم حياتهم خلالها وأبقى أجسامهم سليمة ممسكا عليها أن تحتاج ما تحتاجه الأجسام الحية قادر على أن يبعث الموتى أحياء، فيكون ما وعد به أن يكون هذا يوم القيامة حقا، كما يكون يوم القيامة حقا .

ثم إن قوله تعالى «إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم» يفيد أنه كان بين القوم تنازع واختلاف رأى قبل العثور على الفتية يتعلق بما فصل فيه تعالى بالإعثار على الفتية ، كما أنه كان بينهم تنازع واختلاف في الرأى بشأنهم بعد العثور عليهم قال خلاله بعضهم «ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم» .

فالتنازع الأول أو اختلاف الرأى بين القوم كان فى شأن البعث، أيكون بالروح أم يكون بالروح والجسد، فالضمير فى «أمرهم» يعود إلى القوم، منهم من كان يقول إن البعث يكون للأرواح دون الأجسام التى بليت، ومنهم من كان يقول إن البعث يكون للأجسام ترد إليها أرواحها، فكان الإعثار على الفتية مثبتا أن الروح مرتبط بالجسد بدلالة أنه تعالى حفظ أجسام الفتية فى نومهم الطويل الذى استمر قرونا وأبقى فيها أرواحها، فيكون منه تعالى إذا ما بعث الأموات فى الآخرة أن يبعثهم أجساما فيها أرواحها .

والتنازع الثانى هو الذى كان بعد العثور على الفتية ، وهو ما يبينه قوله تعالى «فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا» . ومن القول يبين أن هذا الاختلاف كان بعد موت الفتية .

ثم إنه لما كانت الآية لم ترو أحداثا عن الفتية فى الفترة ما بين العثور عليهم وبين ما يدل على أنهم قد ماتوا فإنه يبين أنه تعالى أماتهم بعد العثور عليهم بفترة زمنية وجيزة، وفى هذا قيلت روايات ليس لها مصدر يوثق به، فقيل إنهم رجعوا بعد أن حادثوا القوم الذين جاءوهم إلى مضاجعهم فتوفاهم الله، وقيل إنهم قالوا للملك «نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله تعالى، حفظك الله وحفظ ملكك، ونعيذك بالله تعالى من شر الإنس والجن، ثم رجعوا إلى مضاجعهم فتوفاهم الله» .

أما موضوع هذا الاختلاف الثانى بين القوم فى الرأى فقد كان فى شأن ما يتبع مع الفتية من بعد موتهم أظهر تعالى أن فئة من القوم اقترحت أن يقام بناء على مدخل الكهف يمنع الناس من الدخول عليهم للمشاهدة، فيكون الضمير فى «عليهم» عائدا إلى الفتية.

ثم إن قول القائلين بهذا المقترح «ربهم أعلم بهم» يظهر علة الاقتراح وهى إجماع القوم على أن الفتية مكرمون من ربهم، واختلافهم فى شأن طبيعتهم أيكونون أنبياء أم أولياء أم صالحين، فيكون هذا اختلافا آخر فى الرأى، وأنهم لهذا السبب رأوا تفويض الأمر فى تقرير حقيقة أمرهم إلى الله تعالى «ربهم أعلم بهم» . وقد قيل فى هذا إن الاختلاف كان فى شأن أنسابهم ومدة لبثهم .

ثم إنه تعالى بين أن أصحاب الأمر النافذ فى القوم كان لهم رأى آخر هو بناء مسجد عليهم، والمراد بالذين غلبوا على أمرهم هم الملك والولاة، والمراد بالمسجد هو مكان العبادة وليس مصلى المسلمين، لأنه لم يكن رسول الله ﷺ قد بعث بعد.

وقد ثبت أن بناء المعابد على قبور الصالحين كان معروفا فى أهل الكتاب وأنه ﷺ نهى عنه بقوله «إلا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون من قبوره أنبيائهم مساجد، فإنى أنهاكم عن ذلك» .

■■■■■

سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

أولا: الأسـماء:

المـراء : فى قوله تعالى «فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا» هو «الممـاراة» بمعنى المحاجة فى الأمر الذى فيه تردد وعدم ثبات، وهو المجادلة فيما فيه شك .

ثانيا: التفسـير:

قوله تعالى «سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهـم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب، ويقولون سبعة وثـامنهم كلبهم» هو إخبار منه تعـالى بما سيكون فى المستقبل ــ على ما يبين من «السين» فـى «سيقولون» ـ والـذى يتصور أن يكون منهم المخبـر عنه قيل فيه إنهـم اليهود الذيـن كانوا فى عهـد رسول الله ﷺ، ومن رأينـا ـ والله أعلم ــ أنهم ليسوا اليهود لأن الـواقعة المخبر بها، وقصة أصحاب الكهف قد وقعت بعد زمان نزول التوراة، ثم إنها تتعلق بفتية آمنوا بالنصرانية التى ينكرها اليهود، فيكون المراد بالذين سيقولون هم النصارى فى زمانه ﷺ أو هم والمؤمنون . أمـا المخبر عنه أنه سيكـون منهم فهو قولهـم فى شأن عددهـم، إذ يقول البعض إنهم كـانوا ثـلاثة، وكان رابعهـم كلبهم، ويقـول آخرون إنهـم كانوا خمسـة وكان سـادسهم كلبهم. ثم إنـه تعالى أثبت أن قـائلى كل قول فـى شأن عدد الفتية قـد قالوا قولهـم من قبيل الرمى بخبر مخفى عنهم غائب عن علمهم، يقولونه دون دليل لديهم على صحته .

وفى قـوله تعالى «سيقـولون ثلاثة رابعهـم كلبهم ويقولـون خمسة سادسهم كلبهـم» وفيه جرى احتساب الكلـب واحدا فى بيان العدد قيل إن المـراد به إثبات تكريم الله تعـالى الفتية

إلى الدرجة التى رفع بها قدر الكلب ببركتهم فعومل ـ فى بيان العدد ـ معاملة العاقل، وهو تعليل قد يكون فيه تكلف واضح، وقيل إن المراد بالكلب هو أحد الفتية كان قائما على المراقبة والتنبيه فشبه بالكلب، وهو قول لا يدعمه النص فيما نرى ـ والله أعلم ـ وقد يكون المراد به هو بيان عدد الموجودات فى الكهف من ذوى الأرواح المخبر عنها باعتبار أن فيهم غير عاقل، فيكون المعنى أن العدد هو ثلاثة أصبح بوجود الكلب أربعة، وأن العدد خمسة أصبح بوجود الكلب ستة .

ثم ذكر تعالى أنه سيكون من بين القائلين من يقول بأن عدد الفتية كان سبعة ثم أكمل وجود الكلب معهم العدد فبلغ ثمانية «ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم»، وفى القول جاءت الواو جريا على عادة العرب فى إدخالها على ما زاد من العدد على سبعة لكون السبعة نهاية العدد عندهم كالعشرة اليوم عندنا، وقيل إن «الواو» جاءت لبيان أن هذا العدد هو العدد الحق وأنه يغاير ما قيل من الأعداد السابقة، وأنه يؤكد هذا أنه قال ـ بعد ذكر العددين السابقين ـ «رجما بالغيب» ولم يذكره عند بيان العدد بسبعة يكمل ثمانية بإضافة الكلب إليه .

ثم يجىء قوله تعالى «قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل» أمرا منه تعالى أن يكون منه ﷺ مع المتحدثين فى أمر عدد أصحاب الكهف أن يقول لهم «ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل»، والمعنى هو أن قولهم لا يستند إلى علم حقيقى، فالذى عنده العلم الصحيح بعددهم هو ربه تعالى، ثم إن الأصل لدى الناس هو أنهم لا يعلمون عددهم الصحيح عن معرفة صحيحة، ثم استثنى من الناس القليل منهم، فبين أنه لديهم العلم بعددهم. ولا يفيد القول أنه ﷺ لا يعلم عددهم، فالنص لا يذكر هذا، بل إن النص بتعبيره عن الله تعالى بلفظ «ربى» يقوله ﷺ يبين أنه تعالى مربيه وكافله وراعى أمره فيكون مفاد هذا توافر العلم لديه ﷺ بعددهم، وأنه قد أمر من ربه ألا يخبر به عموم الناس على ما يشير إليه قوله بأمر ربه «قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل». والقول هذا يرد على الذين قالوا إنه تعالى أعلم بقوله «ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم» أن عددهم كان سبعة معهم كلبهم فصاروا ثمانية أنفس فى الكهف، لأنه لو كان الأمر على هذا ما استخفى علمهم على الناس إلا من اختصهم سبحانه وتعالى بالعلم وهم القليلون، يتصور أن يكون رسول الله ﷺ قد أعلمهم بأمر

ربه، ويتصور أن يكون تعـالى قد أعلمهم بطريق الإلهام والإلقاء فـى القلب. وقال البعض إن المراد بالقليل الذى يعلـم عددهم هو الملائكة، وهو ما لا يؤدى إليه السيـاق بالنظر إلى تعلق القول بالناس .

وقولـه تعالى «فلا تمـار فيهم إلا مراء ظـاهرا» هو نهى منـه تعالى لـرسوله ﷺ عن مجـادلة المتكلمين فى أمر هؤلاء الفتية وعددهم إلا بما أظهره القرآن العظيم دون ما مزيد عليه، ثم إنه تعالى أتبع هذا بنهى آخر عن طلب الفتيا فى أمـرهم من الخائضين فى الحديث عنهم، وقيل من أهل الكتاب، وعلة ذلـك أن ما فى القرآن العظيم عنهم هو الحق وأن مـا أعلمه الله رسوله ﷺ فيه الكفاية التى لا مزيد عليها مما هو لازم وما هو حق .

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾

التفسـير:

قيل فى منـاسبة نزول الآية إنـه عندما سأل كفـار مكة رسول الله ﷺ عن ذى القـرنين وعن الروح وعن أصحـاب الكهف، أنه ﷺ قال لهم «غـدا أخبركم» ولم يقـل «إن شاء الله» بمعنى أنه لم يستثن، فلما أبطأ عليه الوحى شق عليه هذا وكذبته قريش فنزلت الآية .

وعبـارة الآية نهـى لـرسـول الله ﷺ عن أن يقـول عـن شىء عـزم عليـه أو علـى فعله فـى المستقبل إنه فاعله، فيكون معنـى الغد هو القادم من الزمان عموما، يدخـل فيه الغد بالمعنى اللغوى وهو اليوم التالى.

والنهى يشمل جميع المؤمنين باعتبار أنه وجه إلى رسول الله بصفته رأس الأمة .

إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

التفســير:

قوله تعــالى «إلا أن يشاء الله» هو تتمة عبارة النهــى الورادة فى الآية السابقــة، وهو الاستثناء المتعلق بالنهى، والمعنى هو وجوب قرن الفعل المقول بفعله بذكر مشيئة الله تعالى بقول «إن شاء الله» لبيــان أنه ما مــن عمل يعمل ولا فعل يفعــل إلا إذا أراد الله تعالى أن يعمــل أو يفعل. وقيل إن المراد به هو الأفعال المرتبطة بنزول الوحى عليه ﷺ، لأنه إذا لم ينزل الوحى بما قاله كان الأمر على أحد وجهين: إما أن يقول ﷺ من عنده ما وعد أن يقول أو يخبر به، وحاشاه ﷺ فعل هذا، و إما أن يبين فى أعين القوم أنه قال مــا لم يفعل، والرأى عندنا ـ والله أعلم ـ أن هذا التفسير قد يرتبط بسبب نزول الآية، لكنه لا يعنــى تخصيص المعنى فيه فقط. فعمومية النهى ظاهرة فى النص، وهو نهى له ﷺ وللمؤمنين .

ومفاد قوله تعالى «واذكر ربك إذا نسيت» وهــو أمر صريح، أنه إذا ما نسى ﷺ أن يقول «إن شاء الله» ، فليكن منه قولها عندما يتذكر أنه نسى قولها ولو طال به الزمان ناسيا. وعلة أن يكون قولها عند التذكر هو أن الناسى لا يؤمر بالذكر، فإذا تذكر يكون منه استدراك مافاته .

وقولــه تعالى «وقــل عسى أن يهديــن ربى لأقــرب من هذا رشــدا» هو أمر إليــه ﷺ متعلق بخصوصية سبب إنزال الآية وهو السؤال عن قصة أصحاب الكهف، والمعنى أنه تعالى وفقه إلى أمر وأمور تكون أقرب من الإخبار عن قصــة أصحاب الكهف تدليلا للناس على أنه رسول الله و إرشادا لهم إلى الصحيح من أمره فيكون القول متعلقــا بما آتاه الله من قبل من آيات مثل قصص الأنبياء السابقين ومثــل الإخبار عن أمور مستقبلة تحققت، كما يكون مشيــرا إلى مزيد من الآيات تدل على هذا وتؤكده تكون فى المستقبل .

وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ عن أصحاب الكهــف، يذكر تعالى أنهم لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة

سنين وازدادوا تسعا، وقيل فى تفسير هذه الزيادة إنها مجموع مدد صحوهم خلال نومهم، وقيل إنها مدة ما بين الإعثار عليهم إلى وقت نزول الآية، بمعنى أن مدة لبثهم فى الكهف نائمين هى ثلاثمائة سنة، وأن المدة من وقت الإعثار عليهم إلى زمن نزول الآية هى ثلاثمائة وتسع سنين. وقيل إن مدة لبث الفتية فى الكهف كانت ثلاثمائة سنة وفق حساب أهل الكتاب، بمعنى أنها ثلاثمائة سنة شمسية. وأنها تساوى نحو ثلاثمائة وتسع سنوات قمرية على حساب أهل الجزيرة العربية. واعترض على هذا بزعم عدم صحته علميا. والاعتراض غير صحيح فى نظرنا والله أعلم للآتى : إن طول مدة الشهر القمرى هى ٢٩ يوما و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٣٨ ثانية، وهو ما يمكن إيجازه بأنه يكون هناك شهر قمرى فيه ثلاثون يوما، وشهر فيه ٢٩ يوما، والمتوسط هو أن الشهر العربى يكون ٢٩,٥ يوما. وبضرب هذا الرقم فى ١٢ (عدد شهور السنة) فإن متوسط عدد أيام السنة القمرية يكون ٣٥٤ يوما بإهمال الدقائق والثوانى، وبأخذ الدقائق فى الاعتبار فإنها تعطى ١١ يوما كل ثلاثين سنة، وبأخذ الثوانى فى الاعتبار فإنها تعطى يوما واحدا كل ٢٥٠٠ سنة. ولحساب الفرق بين التقويم القمرى والتقويم الشمسى نجد أن فى كل ٣٠ سنة قمرية تمر ١٩ سنة قمرية بسيطة عدد أيام كل منها ٣٥٤ يوما (بفرق قدره ١١ ١/٤ يوم عن السنة الشمسية التى تساوى ٣٦٥,٢٤٢ يوما) وتمر ١١ سنة قمرية كبيسة عدد أيام كل منها ٣٥٥ يوما (بفرق قدره ١٠ ١/٤ يوم عن السنة الشمسية: وبذلك يكون فرق الأيام بين التقويم القمرى والتقويم الشمسى كل ٣٠ سنة هو (١٩ × ١١ ١/٤) + (١١ × ١٠ ١/٤) = ٣٢٦,٥ يوما؛ فتكون فروق الأيام كل ٣٠٠ سنة هى ٣٢٦٥ يوما. فتكون كل ٣٠٠ سنة شمسية مساوية ٣٠٩ سنوات هجرية تقريبا .

قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ يأمره ربه أن يقول للخائضين فى سيرة أصحاب

الكهف المختلفين فى مدة مكوثهم فيه «الله أعلم بما لبثوا» بمعنى أنه تعالى وحده الذى يعلم على وجه صحيح مدة لبثهم فى الكهف، ولا ينافى فى هذا سبق إخباره تعالى أنهم لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، بل إنه قد يكون تأكيدا لصحة ما أخبر به تعالى فى هذا الشأن، ويبدو أن قوله تعالى هذا قد جاء لإيقاف التنازع فى شأن مدة لبث الفتية فى الكهف ببيان أن العلم بالمدة على نحو صحيح هو لله تعالى كما جاء قوله تعالى ـ من قبل ـ «قل ربى أعلم بعدتهم» لإيقاف التنازع فى أمر عددهم ببيان أن العلم الحقيقى بعددهم هو لله تعالى.

وقوله ﷺ بأمر ربه «له غيب السماوات والأرض» هو إقرار باختصاصه تعالى وحده بالعلم بما خفى علمه على جميع المخلوقات، سواء أكان ما أخفى هو من أمور السماوات أم من أمور الأرض، فيدخل فى هذا ما خفى عن الخلق من أمر أصحاب الكهف.

وقوله ﷺ «أبصر به وأسمع» هو تعبير أريد به إبراز التعجب من شمول علمه تعالى كل ما فى السماوات والأرض ما خفى وما أعلن، وما كان وما لم يكن، وجاء التعبير عن توافر هذا العلم لديه تعالى بما يفهمه الناس وهو تحصيل المعرفة عن طريق السمع والبصر.

ويجىء قول رسول الله ﷺ «ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا» مفيدا أنه ليس لخلقه تعالى فى السماوات والأرض من دون الله تعالى ولى يتولى أمورهم ويقوم على مصالحهم، وأنه تعالى يقضى فى خلقه ما يشاء فينفذ فيهم قضاؤه لا يشرك فى قضائه أحدا ولا يسمع فيه قول قائل أو مشير. فيكون القول مشيرا إلى انفراده تعالى بسلطة الحكم فى خلقه وإلى أنه فى حكمه وقضائه فى خلقه يحكم ويقضى بصفته الولى الذى يرعى مصالح الخلق.

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

أولا: الأسماء:

الملتحد : فى قوله تعالى «ولن تجد من دونه ملتحدا» هو الملجأ الذى يلتجأ إليه للحماية عند نزول المصيبة، أصله من «الالتحاد» وهو الميل، جاء فى الآية اسم مكان، وقيل جاء مصدرا من الفعل «التحد - يلتحد» .

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - أمر إلى رسول الله ﷺ بتلاوة ما أوحى إليه من القرآن العظيم لنفسه وعلى المؤمنين.

ويقبل القول أن يكون - منظورا إليه بالسياق - متعلقا بمعنى خاص هو ما جاء بشأن قصة أصحاب الكهف، فيكون الأمر متعلقا بالاكتفاء بما جاء بشأنها فى القرآن وعدم السماع لقول الخائضين فيها وعدم أخذ الفتيا منهم فى شأن من شئونها .

ويقبل القول أن يكون المراد به هو الاكتفاء بالقرآن العظيم والاستغناء به عن كل قول آخر فى كل أمر قطع فيه بحكم ولم يترك للناس فيه التقرير فيه وفق ما يرون فيه مصلحتهم .

ويؤيد معنى عمومية معنى الأمر قوله تعالى «لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا». وفيه وصف تعالى كتابه بأنه لا يخضع للتبديل من جانب أحد، فالقول يفيد حفظه تعالى كتابه ، ويثبت سمو أحكامه على أن يبدلها أحد من خلقه.

وجاء قوله تعالى «ولن تجد من دونه ملتحدا» إثباتا للناس بأنهم إن انحرفوا عن أحكام القرآن العظيم واتبعوا أحكاما أخرى اعتقدوا أنها تحقق مصالحهم، فإن هذه الأحكام لن تجديهم خيرا لأنها ليست ملجأ يلتجأ إليه للحماية مما يراد درؤه بإعمال الأحكام.

ويكون القول - بهذا المعنى - مشيرا إلى هؤلاء الذين يفتنون بالتشريعات الأجنبية فيأخذون بها ويتركون أحكام القرآن العظيم، يثبت تعالى أن تشريعاتهم المقتبسة من التشريعات الأجنبية - إذا خالفت حكم القرآن العظيم - لن تؤدى إلى تحقيق الغاية المرجوة بالتشريع .

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

أولا: الأسـماء:

الفــرط : في قوله تعالى «وكان أمره فرطا» هو التفريط والتضييع، وقيل هو الهلاك والضياع.

ثانيا: التفسير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلي رسول الله ﷺ، يتعلق بمناسبة خاصة هي طلب كبراء مكة من رسول الله ﷺ أن يبعد عنه فقراء الصحابة أمثال عمار وصهيب وسلمان وابن مسعود وبلال ليجالسوه ويحادثوه ويأخذوا عنه. ثم إنه فيما أمر به يعتبر نافذا في جميع المؤمنين .

ومضمون الأمر هو إلزام رسول الله ﷺ تثبيت نفسه على مصاحبة الذين يعبدون الله تعالى، ويذكرونه ذكرا دائما في جميع الأوقات وإن جاء التعبير عنها بالغداة والعشي لكونهما وقتي الانشغال بأمور الحياة أو تعبيرا عن جميع الأوقات، ثم ذكر تعالى أن هؤلاء الذين يثبت رسوله ﷺ نفسه على مصاحبتهم يذكرونه تعالى مبتغين بذكره ودعائه والصلاة إليه وقراءة قرآنه رضاه تعالى وحده ، فيخرج عنهم المراؤون بالذكر والمبتغون غايات دنيوية .

وقوله تعالى «ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا» مفاده أنه «ولا يكن من عينيك أن تنصرفا عن هؤلاء الذين يذكرون الله ابتغاء وجهه وأن تتجها إلى من طلب الحياة الدنيا وحاز متاعها من الأغنياء . فيكون القول نهيا له ﷺ عن أن يصرف عينيه عن الفقراء المؤمنين إلى الأغنياء المتكبرين رغبة في جذبهم إلى الدين .

والمراد به هو النهى عن الانصراف عن مجالسة الفقراء تلبية لطلب كبراء القوم الذين ملكوا متع الحياة الدنيا، ولو كان باعثه ﷺ إلى هذا هو حرصه على إيمانهم .

ثم إنه تعالى أكد مضمون هذا النهى بنهى آخر جاء به قوله تعالى «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا» وهو نهى له ﷺ عن الاستجابة إلى طلب كبراء مكة منه أن يبعد عنه فقراء المسلمين الذين يذكرون الله يريدون وجهه .

ثم إنه تعالى وصف كبراء مكة الذين طلبوا منه ﷺ إبعاد الفقراء عن مجلسه بأنهم الذين أغفل قلوبهم عن ذكره تعالى ببطلان استعدادهم له، وبأنهم الذين اتبعوا أهواءهم بإرادتهم لم يقسرهم عليها سبحانه وتعالى، فهم قد أحبوا الشهوات باستعدادهم وطلبوها بإرادتهم فكان منهم اتباع هوى النفس وعدم الإيمان وهو ما فيه هلاكهم وضياع أعمالهم عليهم وإن حسنت، فكان أمرهم فرطا .

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ السرادق : فى قوله تعالى «أحاط بهم سرادقها» قيل هو الحجزة التى تكون حول الفسطاط تمنع من الوصول إليه، بمعنى أنه المسافة التى تكون حول الخيمة المضروبة يُمنع الاقتراب منها لحماية من فى الخيمة، أو ما يطلق عليه اليوم «حرم الشيء» ، ويطلق على الدخان المرتفع المحيط بالشيء، وقيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الدخان واللهب .

٢ـ **المهـل** : قيل هو ماء غليظ مثل عكر الزيت، إذا قرب من شاربه أسقط فروة وجهه من شدة حرارته، وهو شراب أهل النار.

ثانيا: التفسـير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، وهو أمر بأن يقول للذين قال تعالى فيهم «من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا» ، أن يقول لهم «الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» .

يخبر في القول عن القرآن العظيم الذى أوحى إليه به ـ وهو مبتدأ محذوف في عبارة القول ـ بأنه الحق، وبأنه من رب العالمين.

ثم إنه بين لهم بالقول أنه تعالى ليس في حاجة إلى إيمانهم بقوله «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» كما أنه يتهدد منهم بالقول من يبقى على كفره، ثم إن القول لا يتعارض مع توقف كل شيء على مشيئة الله تعالى ومن هذا الإيمان والكفر، لأنه تعالى يوفق من أراد الإيمان إليه بتسهيله له، ويخذل من اختار الكفر فيكون ضلاله .

وقوله تعالى «إنا أعتدنا للكافرين نارا أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه» هو بيان لما تهدد به رسول الله ﷺ من اختار الكفر، وهو إعداد الله تعالى لهم نارا عظيمة ينتشر عنها دخان ولهب يحيط بالكافرين قبل أن يلقوا فيها، وفي القول جاء التعبير عن الكافرين بأنهم الظالمون لبيان مجاوزتهم الحد على مقتضى العقل، وظلمهم أنفسهم بالبقاء على الكفر.

ويشير القول إلى أثر إحاطة دخان النار ولهيبها بهم وهو شعورهم بالعطش الشديد إلى درجة استغاثتهم منه، ويعلم أنهم يغاثون من العطش، إلا أن إغاثتهم تكون بماء يشبه عكر الزيت أو المعدن المنصهر، يكون من فرط حرارته أنه إذا قدم إليهم ليشربوه أنه يشوى وجوههم فيسقط جلودها ـ على ما ثبت بحديث رسول الله ﷺ .

ثم إنه تعالى يذم هذا الماء الذى يقدم إلى الكافرين، كما يذم مكان ارتفاق أهل النار أو اتكائهم على ما يتكئون عليه قبل إلقائهم فيها بقوله تعالى «بئس الشراب وساءت مرتفقا»

بمعنى أن بئس الشراب هو شراب أهل النار ـ وهو الماء الذى هو كالمهل ـ وأن أسوأ مرتفق هو ما يرتفقون، أو ما يتكئون عليه .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾

التفسير:

بعد أن بين رسول الله ﷺ أن للكافرين أن يختاروا بين الإيمان وبين البقاء على الكفر، وبعد أن تهدد الذين يبقون على الكفر بما أعد لهم من العذاب، مما يعتبر من قبيل التنفير من الكفر، جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان ما أُعد للمؤمنين، جاء البيان مجملا فأظهر أن الذين يختارون الإيمان ويعملون بما آمنوا به أعمالا صالحة، يكون لهم بما اختاروا وعملوا أجرا عنده تعالى لا يضيع ولا ينقص منه شىء.

فيكون القول حثا على اختيار الإيمان .

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ **الأساور** : فى قوله تعالى «يحلون فيها من أساور» جمع، مفرده أسورة، وسوار. وهو ما يلبس فى الذراع من الحلى .

٢ ـ **السندس** : فى قوله تعالى «من سندس» قيل إن اللفظ أعجمى معرب، وأنه فارسى،

ومعناه رقيق الديباج أو «القطيفة»، وقيل إنه عربى أصله «سندى» لأنه كان يجلب من السند .

٣ ـ **الإستبرق** : في قوله تعالى «من سندس وإستبرق» قيل هو الديباج الغليظ، وقيل الديباج المنسوج بالذهب، وقيل هو الحرير أو نوع منه. واللفظ ـ على الغالب ـ أعجمى معرب، قيل إن أصله فارسى، وقيل أصله سريانى .

٤ ـ **الأرائك** : جمع، مفرده «الأريكة» وهى السرير الذى يكون فى ساتر يشبه الخيمة أو القبة المضروبة .

ثانيا: التفسير:

بعد أن أجمل تعالى ما يكون للذين يؤمنون ويعملون الصالحات فى الآخرة، فإنه تعالى فصل هذا فى الآية، أو أنه تعالى أخبر عنهم خبرا ثانيا .

وفى القول يشير تعالى إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويخبر عنهم بأن لهم من الجنات جنة عدن، أو بأن لهم الجنات التى تكون الإقامة فيها مستقرة خالدة، ثم ذكر تعالى من أحوالهم فيها أنهم تجرى من تحتهم الأنهار بمعنى أن الأنهار تجرى من تحت قصورهم فى الجنة لتنعم بهذا نفوسهم، وأنهم يحلون منها بأساور من ذهب، قيل فيه إن ضوءه يطمس ضوء شمس الدنيا، وأن الحلى يبلغ فى ذراع المؤمن ما بلغه فى الدنيا الوضوء .

ولا محل للاعتراض بأن لبس الذهب كان محرما فى الدنيا على الرجال، لأن إنكار الشيء رهن بالمكان والزمان والوسط، وجميع هذا مختلف فى الجنة فى الآخرة عنه فى الدنيا .

كما ذكر تعالى أن المؤمنين يلبسون ثيابا خضرا من الديباج الخفيف والثقيل. وربما جاء ذكر خضرة لون الثياب لكون اللون الأخضر أوسط الألوان طولا بين ألوان الطيف وأنه لهذا تستريح له العيون، ثم إنه لا يعنى ذكر اللون الأخضر للثياب أنه لا يكون لها لون غيره، وذلك لأنه تعالى أثبت أنه يكون للمؤمنين فى الجنة ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين .

ثم إنه تعالى بين ما يكون عليه حال أهل الجنـة من النعيم والرفاهية بقوله تعالى «متكئين فيها على الأرائك» فبين أنهم يتكئون على الأسرة فى قصورهم لا يملون ولا يتململون.

ثم أظهر تعالـى الفرق بين مصيرهم ومصير الكافـرين الذين ذم تعالى من قبـل بقوله «نعم الثواب وحسنت مـرتفقا» فمدح ثواب المـؤمنين الذين عملـوا الصالحات بأن أظهـر أن نعم الثواب هو الثواب الذى وعدوه، وأن أحسن مرتفق ومتكـىء هو مرتفقهم ومتكؤهم الذى عليه يتكئون .

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

أولا: الأسـماء والأعلام :

الرجلان : فى قولة تعالى «واضرب لهم مثـلا رجلين» قيل إنهما رجلان مقدران فى المثل دون اقتضاء كونهما موجودين فى الواقع.

وقيل همـا أخوان كـانا مـن بنى إسـرائيل، كان أحـدهما كـافرا واسمـه «فرطـوس»، وقيل «قطفير»، وكان الآخر مؤمنا واسمه «يهوذا»، وقيل «يمليخا» .

وأنهما ورثـا مالا مـن أبيهما جعل الكـافرينفـق منه فـى كسب متع الحيـاة الدنيـا وجعل المؤمن ينفق منه فى سبيل الله تعالى إلى أن فقد المؤمن كل ماله ـ دون أن يفقد ثواب ما أنفق ـ فسأل أخاه حاجته فوبخه أخوه على تصدقه بماله.

وقيل هما أخوان من بنى مخزوم كان أحدهما كـافرا هو الأسود بن عبد الأسد، وكان الآخر مؤمنا هو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسـد .

ثانيا: التفسـير:

قولـه تعالـى ـ فى الآيـة ـ خطاب إلـى رسول الله ﷺ وهـو أمر بأن يضـرب مثلا للمـؤمنين الفقراء الذيـن يدعون ربهم بالغـداة والعشى يريدون وجهـه، وللكافرين المستكبريـن الذين طلبوا طرد المؤمنين من مجلس رسول الله ﷺ ليجالسوه هم. والمثل يكون برجلين، قد يكونان موجدين فى الحقيقة، وقد يكونان مقدرين علـى سبيل المثال، يكون أحدهما كافرا أوتى من نعم ربه الكثير فقابل هذا بالكفر والمعصية، ويكون الآخر مؤمنا كابد مشقة الفقر فلم ييأس من رحمة الله فتمسك بطاعة الله.

فيكون المراد بالمثل هو بيان اختلاف عاقبة كل من المؤمن والكافر فى الدنيا والآخرة .

وفى الآية يذكر تعالـى ما أنعم به على الكافر فى الدنيا ـ فـى المثل المضروب ـ من النعم بقولـه تعالى «جعلنـا لأحدهمـا جنتين من أعنـاب وحففناهما بنخـل وجعلنا بينهمـا زرعا»، والمعنى المباشـر للقول أنه تعالى أعطى الكـافر البساتين الممتلئة بأنـواع الكروم المختلفة، والمحاطـة بالنخل مـن جوانبها يحـف بها، والتى جعـل تعالى وسـط هذه البساتيـن أو بين بعضها والبعـض زرعا آخـر يؤتـى ثمارا تـؤكل، فتكـون البساتيـن وما بينهـا مؤتيـــة الأقوات والفاكهة .

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى البساتيـن التى أنعم بها على الكافر فى المثل المضروب، وهى الجنتان فى عبـارة الآيات، ومعنى قوله تعالـى «كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلـم منه شيئا» يقبل أن يكون هو «إن كل شىء من الجنتين آتى أكله» .

ويقبل أن يكـون «أن كلتا الجنتين آتتـا أكلهما» فيكون المعنـى هو أن الكرْم أعطـى أكله،

والنخل الذى يحف بهما آتى أكله، والزرع الـذى بينهما آتى أكله، أى أن كل نبـات فيها قد أعطى ثماره التى تؤكل لم يحدث فيه نقص ـ مـن قبيل ما تعانى منه البساتين إذ يقل إنتاجها فى بعض الأعوام عنه فى بعض آخر.

ثم إنـه تعالى بيـن بقوله «وفجـرنا خلالهما نهـرا» أنه كان منـه تعالى ضمـان استمرار رى مزروعات الجنتين مع إضافة جمال المنظر إليهما.

وقيل إن مفاد القول أنه يكـون هناك نهران لأنه تعالى يفجر بين كـل من الجنتين نهرا على حدة مستقلا عن الآخر.

وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

أولا: الأسـماء:

الثمـر: المراد به ـ فى معنى الآية ـ هـو المال. وجاء التعبير عنه بلفـظ «الجمع» «الثمر» لبيان تعدد أنواعه.

ثانيا: التفسـير:

يذكر تعـالى ـ فى نص الآيـة ـ أنه كان لصاحـب الجنتين ـ فى المثل المضـروب ـ أموال كثيرة، وأن هـذه الأموال الكثيـرة دفعته إلـى أن يقول لصاحبـه المؤمـن الذى أنفـق مالـه فى الصدقات وفعل الخير ما ورد ذكره فى الآية، وذلـك على ما يبين من «الفاء» فى «فقال»، وفيه ذكر تعالى المؤمن بأنه صاحب الكافر.

والمراد بهذا هو المعنى اللغـوى أى الذى كان فى صحبته، فلا ينافى هـذا كونه أخاه على ما قال به البعض.

ثم إنـه يبين من النـص أن قول الكافر للمـؤمن كان خـلال تحاور الاثنين، بمعنـى خلال مراجعة كـل منهما الآخر فى قولـه، وفيه كان الكافر يدافـع عن كفره وعن حرصـه على المال

وعدم إنفاقه، وكان المؤمـن يدافع عن إيمانه وعن الإنفاق فى الصدقـات والخير عموما لوجه الله تعالى .

أما قول الكافر للمؤمن خلال المحاورة فقد كـان «أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا» تباهى عليه بكثرة الأمـوال ليثبت صحة قـوله إن عدم الإنفاق فـى الصدقات خيـر من الإنفاق فيهـا» كما تباهـى عليه بكثرة الأفـراد من الأعوان ومـن الخدم والحشم، وقيـل من الأولاد الذكـور، وقيل بأفراد عشيرته، فإن كان المراد بالنفر هو أفراد العشيرة كان المستفاد هو كون المؤمن غريبا عن الغني وليس أخاه.

ومن القول يبين أن الغنى قد رفض أن يعطى المؤمن الفقير ما طلب من مال .

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ٣٥﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآيـة ـ فى بيان فعل الكافر ـ فى المثل المضروب ـ يـذكر تعالى أنه دخل جنته وهو ظـالم لنفسه. ويلاحظ فـى القول أنه عبر عـن الجنتين بلفظ المفرد، ثم أنـه تعالى وصف الجنة المدخولة بأنها جنة الكافر.

والمستفاد من هذا أمران :

أولهما : أن التعبير عن الجنتيـن بلفظ المفرد إنما كان لاستحالة دخـول الجنتين فى وقت واحد من شخص واحد، فلزم أن يكون الدخول فـى إحداهما، أو أنهما لكونهما بستانا واحدا ضم حديقتين بينهما نهر كانا فى الحقيقة كيانا واحدا .

وثانيهما : هو اعتبار هذه الجنة هى جنة الكافر ليس له غيرها، فيكون المعنى المراد إيصاله هو أنه ليس له جنة فى الآخرة .

فيكون القول قاطعا بحرمانه من جنة الآخرة وبخلوده فى النار .

وقوله تعالى «وهو ظالم لنفسه» هو بيان لحال الكافر عند دخوله جنته، دخلها ظالما لنفسه بكفره معرضا إياها للهلاك بزهوه وافتخاره بمـا ملك بدلا من شكر الله على نعمته والتواضع له تعالى وللمؤمنين .

ثم إنه تعالى يذكر قوله عند دخول جنتـه، والقول صدر تعبيرا منه عن اغتراره بماله وأعوانه ومظهرا من مظاهـر ظلمه نفسه، وقوله هو «مـا أظن أن تبيد هذه أبدا»، فهو يـرى استحالة فناء جنته، وقد يكون المعنى أنـه أراد بعدم إبادتها طول مكثها، وقد يكون أنـه أراد به عدم هلاكها لظهور نبت جديد بـدلا مما يهلك بمضى الزمان فلا يكون لها فنـاء، أو لعدم اعتقاده فى قيام الساعة .

وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

أولا: الأســـماء:

المنقلب : فى قوله تعالى «لأجدن خيرا منها منقلبا» هو المرجع والعاقبة .

ثانيا: التفســير:

القول ـ فى الآية ــ من قول الكافر لدى دخول جنته أو فى خلال محـاورته المؤمن، يعلن فى بدايته عدم اعتقاده فى وقوع الساعة وقيام الأموات فيها بقوله «وما أظن الساعة قائمة»، ثم يحاور بافتراض أنها تقع بزعم المؤمن ـ على ما يبين من قوله ـ وقوله هو «ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا» وهو فى القول يقول بأنـه لو فرض وحدث البعث والنشور فإنه سيجد مآله وعـاقبة أمره جنة خيرا من جنتـه التى له فى الدنيـا، وهو يقسم على هذا يمينا فـاجرة كما يبين من نون القسم فـى «لأجدن». ومبعث اعتقاده صحة هذا الباطل وحلفـه عليه هو اعتقاده واعتقاد الكافـرين عموما أن إنعامـه عليهم فى الدنيا هو لفضـل لهم فى نفوسهم يكـرمهم به ربهم فى الدنيا والآخــرة .

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى نص الآية ـ قول المؤمن ردا على الكافر، جاء فيه ذكر المؤمن بأنه صاحبه بمعنى أنه المصاحب له. والقول صدر أثناء محاورته الكافر ورد قول عليه، والقول جاء فى صيغة استفهام ينكر عليه فيه كفره الذى عبر عنه بإنكاره قيام الساعة لأن من ينكر قيام الساعة إما أن يكون منكرا قدرة الله تعالى على هذا وإما أن يكون مكذبا إياه تعالى فيما أخبر به عن قيامها، وعلى الحالين فإنه يكون كافرا .

ثم إنه ـ أى المؤمن ـ وهو ينكر عليه كفره بين له أنه ليس له أن يتعالى على الخلق بما أنعم الله عليه مغترا بماله وأعوانه فقد خلقه ربه الذى كفر به من تراب الأرض الذى خلق منه آدم أبا البشرية، ثم جعل خلقه القريب من نطفة مهينة، ثم عدله وسواه بشرا ذكرا .

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾

التفسير:

القول ـ فى الآية ـ من قول المؤمن للكافر ـ فى المثل المضروب ـ بعد أن أنكر على الكافر كفره بربه، يقول له ما معناه «لكن أنا هو الله ربى» فيه جاءت «لكن للاستدراك». وأنا فى «لكنا» مبتدأ أول، و«هو» «مبتدأ ثان»، و«الله ربى» مبتدأ وخبرا، فيكون مفاد القول هو «لكن أنا أقول هو الله ربى»، وباقى قوله هو «ولا أشرك بربى أحدا» وهو إقرار منه بتوحيده الله تعالى وعدم إشراكه به، فيكون الظاهر من «لكن» التى جاءت فى أول القول هو إبراز التباين بين

الاثنين فكأن المؤمن قال للكافر أنت كافر بالله تعالي لكنى مؤمن به موحد إياه.

ثم إنه يبين من قولـه «ولا أشرك بربى أحدا» أنه قد يكون كفر الكافـر متمثلا فى إشراكه مع الله تعالى آلهة أخرى مع إيمانه به تعالى .

وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾

التفسـير:

القول ــ فى الآية ــ من قول المـؤمن للكافـر لما رآه متباهيـا بجنته، معتقدا دوامهـا وعدم هلاكهـا، قال له «لـولا إذ دخلت جنتك قلت مـا شاء الله لا قوة إلا بـالله» يوبخه علـى الاغترار بجنته ويرد عليه قوله «لا أظن أن تبيد هذه أبـدا» ، ويحضه على أن يقول بقلبه أو بقلبه ولسانه عند دخولها «ما شاء الله لا قوة إلا بالله»، بمعنى هذه الجنة هى مشيئة الله تعالى، أو «الأمر هو ما شاء الله». فيكون قول المؤمن حضا للكافر على الاغتراف بأن جنته وما فيها بمشيئة الله تعالى، إن شاء أبقاهـا و إن شاء أبادها، وأن القـوة جميعا بيد الله تعالـي، فلا قوة إلا به، فيكـون القول إقرارا بأن عمارة الجنة إنما كان بأمره تعالـى وليس بفعله هو. وعموم القول يفيد أنه ما اجتمع له من أسبـاب القوة جميعها إلا بقدرة الله تعالـى وليس بقدرته هـو وقوته، فلو شاء تعـالى لنزع القدرة منه بنزع البركة فكان فناء قوته .

وقول المؤمن للكافـر «إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا» وفيه جـاءت «إن» للشرطية، و «ترن» فعل الشـرط والمفعول به، و«أقـل منك مالا وولدا» فـى موضع مفعـول به ثان، وجـاءت «أنا» فاصلة، لا محل لها مـن الإعراب. وقول المؤمن هذا هو شروع فى إفهـام الكافر خطأ استعلائه عليه بماله، فجاء بالدليل فى صيغة جملـة شرطية، جاء بالآية منها أداة الشرط وفعلها، ليكون جواب الشرط فى الآية التالية .

﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝٤٠﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ الحسبان : فى قوله تعالى «ويرسل عليها حسبانا من السماء»، هو العذاب، وهو جمع بمعنى «المرامى من السماء» مفرده حسبانة وهى الصاعقة .

٢ ـ الزلـق : فى قوله تعالى «فتصبح صعيدا زلقا» هوما تزل عنه الأقدام لفرط ملاسته .

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو من تتمة قول المؤمن للكافر فبعد أن قال له «إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا» جاء جواب الشرط، ومعناه أنه ينتظر من الله تعالى أن يقلب حاله وحال الكافر فيرزقه بإيمانه جنة تفضل جنته، تكون فى الدنيا والآخرة أو فى الآخرة وحدها، ويرسل على جنة الكافر عذابا من السماء يمحو ما بها من أشجار ومزروعات فتصبح أرضا ليس بها غير التراب الأملس الذى لاتثبت عليه قدم، والمراد بهذا هو بيان كونها مجرد وحل لا ينتفع به .

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۝٤١﴾

التفسير:

القول ـ فى الآية ـ تتمة قول المؤمن للكافر، فيه يبين له سبيلا آخر يمكن أن يكون به إهلاك جنته غير إرسال الحسبان عليها من السماء، وهو أن يغور ماؤها فى الأرض إلى الدرجة التى

يبأس فيها من مجرد طلبه أو محاولة استخراجه، فيكون القول مشيرا إلى هلاك الجنة عطشا بسبب انعدام وجود الماء تروى به مزروعاتها والأشجار.

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾

أولا: الأسـماء:

الخـاوي: في قوله تعالى «وهي خاوية على عروشها» هو الساقط، وأصل اللفظ من «الخلاء»، والمراد به ـ في معنى الآية ـ هو الخالي من آثار العمران ـ يكون بالتهدم، والسقوط على ما يبين من عبارة القول إذ تفيد سقوط الأشجار والنخيل والكروم على عروش الكرم.

ثانيا: التفسير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ ما أصاب الكافر في المثل المضروب، فيذكر تعالى أنه أهلكت أمواله ومنها جنتاه وما فيهما «وأحيط بثمره» باعتبار أن الإحاطة بالثمر تضمنت استعارة إحاطة الأعداء بالمرء من كل جانب، فيكون بها إهلاكه، فجاء القول تعبيرا عن إهلاك أمواله.

وقوله تعالى «فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها» هو تعبير عن تحسره حزنا على ما أنفق من أمواله في عمارة الجنة وصيانتها وتجميلها، والمراد بتقليب الكفين هو فعل الحركة التي تعبر عن التحسر والحزن، بأن يبدي بطن كل يد من يديه ثم يعوج كل يد حتى يبدو ظهرها، أو أن يضع باطن إحداهما على ظهر الأخرى ثم يعكس الأمر ويكرر ذلك مرات:

وقد أوضح تعالى أنه يكون من الكافر فعل هذا حال كون الجنة بما فيها من أعناب وما يحيط بها ويحفها من نخيل ساقطة على عروش الأعناب، فيكون المستفاد من هذا هو هلاك

جميع ما فى الجنة لأن سقوط النخيل والأشجار على عروش الكرم يفيد موت النخيل والأشجار والأعناب قبل السقوط بالضرورة .

ثم يذكر تعالى ما يفيد أن الكافر قد علم سبب نكبته فى جنته وهو إشراكه بالله تعالى، وأنه ندم على هذا بدلالة قوله «ياليتنى لم أشرك بربى أحدا» وقيل إن مفاد القول هو توبته إلى الله، وقيل إن القول لايدل على هذا فضلا عن فوات وقت التوبة بتحقق وقوع العذاب المتوعد به، والراجح هو أن القول ليس إلا تعبيرا عن ندم بسبب هلاك الجنة أو البستان، وأنه لا يفيد توبته عن الكفر المتمثل فى إنكار البعث.

وقد يكون الصحيح ـ والله أعلم ـ هو أن وقت التوبة لم يفت، لأن الكافر كان وقت هلاك جنته مكلفا فتقبل منه التوبة إذا تاب، وإن كان القول لا يثبت أنه تاب عن الكفر فعلا المتمثل فى إنكار البعث.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ تعقيب على ما آل إليه حال الكافر فى المثل المضروب، وفيه بيان لجهله حين تباهى بماله وأعوانه واستكبر.

فأثبت تعالى أنه قد عدم فئة تكون قادرة على أن تنصره بدفع الهلاك عنه أو برد المهلك، لأن أحدا لا يقدر على نصر أحد إلا بحول الله وقدرته، ولأنه تعالى وحده هو القادر على النصر، ثم إنه بنفسه غير ممتنع بذاته وقوته على الله تعالى؛ ولهذا فإنه لم يكن متصورا فيه أن يكون منتصرا، ممتنعا على انتقام الله تعالى منه .

﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

التفســـير:

القول فى ـ الآية ـ قوله تعالى، وهو إيجاز للعبرة المستفادة من المثل المضروب بالنظر إلى ما آل إليه مصير كل من الأخوين أو الصاحبين . فيـه يخبر تعالى عن أنه فى ذلك المقام الذى أهلك فيه تعـالى جنة الكافـر المغتر بماله وأعـوانه وعدم فيها نـاصرا ينصره، والذى نصـر فيه سبحانه وتعالى المؤمن المنفق ماله ابتغاء وجـه الله، ظهر للكافر ولأمثاله حقيقة الأمر وهو كون الولايـة والنصرة لله تعالـى وحده، فهو الإلـٰه الحق القـادر عليها، ويقبل المعنـى أن يكون إن الولاية الحقة هى ولايته تعالى وليست ولاية غيره .

وقولـه تعالى «هـو خير ثوابـا وخير عقبا» هـو تقرير بـواقع، جاء ذكـره متعلقا بخاتمـة قصة الأخوين أو الصاحبين. فهو تعالى ـ والمراد جزاؤه ـ خير جزاء للمؤمنين، وهو تعالى ـ والمراد حكمه تعالى فى عاقبة الأمور ـ خير عاقبة لأوليائه المؤمنين .

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

أولا : الأســـماء:

الهشيم : فى قوله تعالى «فأصبح هشيما تذروه الرياح» هو المتهشم المتفتت .

التفســـير:

الخطاب فـى ـ الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، وهـو أمر بـأن يضرب للكافـرين الذيـن فضلوا الحياة الـدنيا على الآخـرة مثلا آخر يسهـل عليهم به فهـم حالهم لعلـه يكون لهم زادعـا عن الاستمرار فيما هم عليه من شراء الدنيا بالآخرة .

والمثل المضروب مضمـونه تمثيل متع الحياة الدنيـا وزينتها بماء أنزله تعالـى من السماء على نبات فـى الأرض فدخل الماء فى النبات لكثـرته فارتوى النبات ورف وتكـاثف مختلطا بعضه بالبعض، ثم أعقب هذا ذبول النبات وموته وجفـافه حتى صار يابسا متفتتا تفرقه الرياح فأصبح عدما بعد أن كان عينا.

وقد يكون المـراد بالمثل هو بيان أن الإفراط فـى حب الدنيا والانكباب علـى متعها يؤدى إلى الهلاك، تمثلا بكثرة الماء التى زادت على حاجة النبات فكان منها أن أهلكته.

وقد يكون المراد به هو إظهار ـ قدرة الله تعالى ـ على تبديل الحال من خير محض إلى شر فيكون الواجب مراعاته هو العمل على كسب رضاه تعالى .

وقوله تعالى ـ فـى خاتمة الآية ـ «وكان الله على كل شىء مقتدرا» هو تـذكير بقدرته تعالى التى لا حدود لها على فعل ما شاء، ومنه إبـدال النقمة بالنعمة وإن عظمت النعمة حتى بدت للجاهل مستعصية على الزوال.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

أولا : الأسـماء:

الباقيات الصالحات : قيـل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هـو التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقيل هـو قول «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قـوة إلا بالله. وقيل هـو الصلوات الخمس، وقيـل ـ وهو مـا نراه والله أعلم ـ جميع الأعمال الحسنـة والصالحات المبتغـى بها وجه الله تعـالى، لأن ثمـرتها تبقى ولا تـزول بزوال الدنيا فيكون بها صالح العامل فى الآخرة .

ثانيا: التفسير:

جملة «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» تقريرية تقرر واقعا مخبرة عن المال والبنين بأنهما زينة الحياة الدنيا، بمعنى أنهما ما يتزين به فى الحياة الدنيا. وفى القول جاء ذكر المال مقدما على البنين لأنه إذا لم يكن للمرء بنون وكان له مال فإنه يكون له زينة وقوة، فأما إذا لم يكن له مال وكان لديه بنون فإن فقره وبنيه لا يجعل من البنين زينة له.

ثم إن القول أشار إلى كون المال والبنون زينة فى الحياة الدنيا وحدها، فدل على تفاهة قيمة هذه الزينة وعلى كونها زائلة لا محالة قبل أن تزول الدنيا ذاتها.

والقول - بهذا المعنى - قد يكون مرتبطا بقصة الأخوين أو الصاحبين السابق ذكرها، وإن كان هذا لاينال من عمومية المعنى الذى أتى به النص، وسريانه فى كل زمان ومكان.

وقوله تعالى «والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا» جاء - من بعد ذكر تفاهة قيمة زينة الحياة الدنيا - لبيان ما هو خير منها وهو ثواب الآخرة وحسن المآل المأمول، فيبين النص أن الأعمال الصالحة مع الإيمان تفضل زينة الحياة الدنيا عند الله، فتكون أعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه أفضل لدى الله تعالى من مال الكافرين وبنيهم وإن كثروا، إذ يكون للمؤمنين بأعمالهم الصالحة هذه الجزاء والأجر الذى يفيدهم فى أخراهم، والذى به ينالون ما أملوا - فى دنياهم - نيله فى الآخرة، على حين لا يفيد الكافر من ماله وبنيه اللذين كانا له فى الدنيا شيئا ينفعه فى آخرته.

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾

التفسير:

معنى قوله تعالى «ويوم نسير الجبال» هو «واذكر يوم نسير الجبال». وقد يكون للقول علاقة

بما ذكر من أنه تكون الباقيات الصالحات خيرا ثوابا وخيرا أملا فى الآخرة، فيكون النص مبينا أن هذا يكون عند تسييره تعالى الجبال.

والمراد بتسييره تعالى الجبال هو ما يكون منه تعالى مع الجبال فى مبتدأ أمر فعله بها، والذى يكون باقتلاعها من أماكنها وتسييرها فى الجو كالسحاب قبل الذهاب بها ونسفها نسفا؛ ولهذا قال تعالى «وترى الأرض بارزة» والخطاب لرسول الله ﷺ وإلى كل راءٍ، إذ يكون من بعد اقتلاع الجبال من أماكنها أن تبرز الأرض التى كانت فوقها الجبال مرئية له، كما تبرز الأرض التى هى خلف الجبال وكانت محجوبة عن الرؤية فتكون مرئية. ثم إنه تعالى يذكر ما يكون منه تعالى مع الخلق بقوله «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا» والمعنى أنه تعالى يجمع الناس إلى الموقف من بعد إقامتهم من قبورهم لا يترك منهم أحدا لا يقيمه من قبره ويضمه إلى المجموعين إلى الموقف.

وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - إخبار عما يكون مع الناس يوم القيامة من بعد إقامتهم من الموت وجمعهم إلى الموقف، يقول تعالى «وعرضوا على ربك صفا» وفى القول جاء التعبير عن المستقبل بصيغة الماضى للتدليل على حتمية وقوع المخبر به، وهو عرض الناس عليه تعالى مصفوفين صفوفا.

وقد يكون المراد هو أنهم يعرضون مصفوفين صفوفا على الحقيقة، وقد يكون المراد هو إظهار أنهم يعرضون مأمورين طائعين كما يعرض الجند على قائدهم أو صاحب السلطان عليهم.

وقوله تعالى «لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة» هو ذكر لما يقال للناس آنذاك، أو لما يقال للكافرين، وهو يفيد أنهم قد حشروا فى حال تماثل حالهم عند خلقهم أول مرة بمعنى أنهم جاءوه تعالى حفاة عراة غرلا، ليس معهم شىء مما كان لهم فى الحياة الدنيا من مال وبنين .

وقوله تعالى «بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا» هو تتمة القول الذى يقال للمجموعين يوم الحشر، والخطاب فيه إلى الكفار المنكرين البعث، فالقول فيه تقريع لهم على ما قالوا فى دنياهم من أنه لا يكون بعث ولا حساب، ثم إنه تهكم بهم.

ويبين من لفظ «زعمتم» إظهار كذبهم فيما قالوا من أنه لن يكون هناك بعث وحساب، وهو إنكار للوقت الذى وعد تعالى أن يكون فيه البعث والحساب ، وهو يوم القيامة .

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ الكتاب : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو «كتب الأعمال» يكون كل كتاب منها فى يمين صاحبه أو فى شماله. وقيل إنه يكون كتاب واحد تجمع فيه الملائكة صحف الملائكة صحف أعمال الخلق جميعهم وتضعه لتكون به المحاسبة. ولا دليل على هذا القول فيما نعرف .

٢ ـ المشفقون : فى قوله تعالى «وترى المجرمين مشفقين مما فيه» المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم الخائفون .

ثانيا: التفسـير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ في ذكر أحداث يوم القيامة التى أريد من ذكـرها تحذير المشركين من الاستمرار على شركهم وكفرهم. وفى القول يذكر تعالى أن كتب الأعمال توضع فى أيادى أصحابها، منهـم من تكون فى يمينـه ومنهم من تكون فى شمـاله ، أو أنها توضـع فى الميزان لتكون بها المحاسبة .

وفى القول يـذكر تعالى أنه ﷺ وكـل من تكون له القـدرة على الرؤية يشاهـد المجرمين، والمراد بهم الذين أجـرموا بكفرهم وبشركهم فى حق الله تعالى وحـق أنفسهم ـ ومنهم منكرو البعث ـ يشاهدهـم وقد أخـذهم الخوف ممـا جاء في كتـب أعمالهـم مما سيحاسبـون به، ويسمعهم يقولـون «يا ويلتنا» تعبيرا عن إحساسهـم بقرب إهلاكهم بالعذاب هـلاكا متجددا بنداء للهلاك أو للمهلك، مظهرين سبب إحساسهم بـدنو هلاكهم بقولهم «مال هذا الكتاب لا يغادر صغيـرة ولا كبيرة إلا أحصـاها»، يتعجبـون من أمـر الكتاب بـاستفهام يفيـد التعجب، والتعجب هو من عدم إغفـال الكتاب أية هنة صغيرة وقعت من أحدهـم مثل التبسم استهزاء بالمؤمنين، وعدم إغفاله كبيرة من الكبائر ارتكبهـا أحدهم من زنى أو قتل مؤمن، إلا وقد أثبتها عليهم ليحاسبوا بها .

وقوله تعالى «ووجدوا ما عملوا حاضرا، ولا يظلم ربك أحدا» مفاده أنهم يجدون جميع ما عملوا من السيئات فى دنياهم مسطورا فى كتاب كل منهم أو مسطورا فيه جزاؤهم عليها.

ثم إنه تعـالى يخبر عن أنه يحـاسبهم بأعمالهـم فلا يعذب أحدا منهم بمـا لم يعمل، ولا يزيد في عذاب أحدهم لسبب غير ما وقع منه.

ولا يفيد نفيه تعالى الظلـم عن ذاته أنه يقبل أن يرد عليه الظلم، لأنـه تعالى لا يجب عليه شىء، فإن عذب بغير ذنب لا يعد ظالما، فيكون مفاد القول أنه لا يعمل معهم عملا إذا صدر مثله من العباد اعتبر من قبيل الظلم .



﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾

أولا: الأسـماء:

الـذرية : فى قوله تعالى «أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى» هم ذرية إبليس اللعين، قيل فيهم إنه ولد له خمسة أبناء هم «ثبر» صاحب المصائب، و«الأعور» صاحب الزنى، وداسم، ومسوط صاحب الصخب، وزلبنور وهو الذى يفرق بين الناس ويبصر الرجل عيوب أهله. وقيل إن المراد بذرية اللعين هم أتباعه من الشياطين .

ثانيا: التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان مدى جهل المشركين والكافرين والعصاة الذين يطيعون إبليس اللعين ويعصونه تعالى متمثلين إبليس فى عصيانه ربه .

فقوله تعالى «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه» هو تذكير بعصيان إبليس أمر ربه.

ومعنى القول هو «واذكر وقت أن قلنا للملائكة كلهم ـ أو لملائكة الأرض ـ اسجدوا لآدم تحية له أو لقدرة الله تعالى بخلقه، ثم إن القول يتضمن بيان إطاعة الملائكة ربهم فيما أمرهم به بسجودهم لآدم عليه السلام، واستثناء إبليس من الطائعين، ذكر تعالى فى شأنه أنه كان من الجن، وفى هذا قيل إنه كان من الجن وعاش مع الملائكة وتعبد معهم فصار فى حكمهم.

وقيل إن الجن كانوا قد أبيدوا وبقى إبليس، منه خرجت الجن بعد ذلك، فهو للجن مثل

نوح عليه السلام للبشر، وقيل إن الجن - في معنى الآية - هم قوم من الملائكة أوحى من أحيائهم. والراجح هو أنه من الجن وأنه تعبد مع الملائكة .

ويذكر تعالى أنه كان من إبليس أنه فسق عن أمر ربه بمعنى أنه خرج عن طاعته فلم يستجب للأمر بالسجود لآدم .

وقوله تعالى «أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى» هو خطاب للكافرين والعصاة، جاء فى صيغة استفهام يفيد الإنكار والتعجب، فالإنكار هو لوضوح قبح ما صنع اللعين بعصيانه أمر ربه، والتعجب هو من طاعته وتمثله حين لا يؤدى هذا إلا إلى العذاب.

ومفاد الفعل الذى يفعله الكافرون المنكر عليهم والمتعجب منه هو اتخاذ إبليس وأعوانه من الجن الذين يزينون للناس سبل الفساد أولياء لهم من دون الله تعالى، فهم يجاوزون طاعة الله تعالى إلى طاعتهم. يفعلون هذا مع أن حال إبليس وأعوانه من الناس وهو أنهم أعداء لهم لا يرجون لهم إلا ما فيه الشر لهم والضر.

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «بئس للظالمين بدلا» معناه هو بئس البدل هو ما استبدلوه بالله تعالى، أو ما استبدلوا طاعته بطاعة الله تعالى. والمراد هو إبليس وأعوانه .

۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾

أولا: الأسماء:

العضد : فى قوله تعالى «وما كنت متخذ المضلين عضدا» هو ما بين المرفق إلى الكتف، يستعار لبيان معنى المعين، أو ما يتقوى به..

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى شأن إبليس وذريته، والمراد بالقول هو بيان دنو مرتبتهم وعدم

جدارتهم أن يكونوا مثلا يقتدى بهم، وحماقة من يتخذونهم أولياء من دونه تعالى .

ومعنى القول أنه لم يشهد إبليس وذريته خلق السماوات والأرض، وهذا معلوم لأنه تعالى خلق السماوات والأرض قبل أن يخلق الجن عموما وقبل أن يخلق إبليس وذريته بالضرورة العقلية .

كما يذكر تعالى أنه لم يشهد بعضهم خلق البعض الآخر، وهذا بيان لدنو مرتبتهم عنده تعالى وعدم جدارتهم بأن يحظوا بمشاهدة خلق أبناء جنسهم .

ثم إنه تعالى يبين حماقة من يتخذونهم أولياء من دونه تعالى بقوله «وما كنت متخذ المضلين عضدا» وفيه جاء وصف إبليس وأعوانه بأنهم المضلين، بمعنى أنهم الذين يضلون الناس عن طريق الحق، وبين عدم تصور اتخاذه تعالى أعوانا منهم فى أى شأن من شئون البشر، فيكون المعنى هو فساد التزام طاعتهم، فضلا عن استبدال طاعتهم بطاعة الله تعالى .

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾

أولا: الأسماء:

الموبق : فى قوله تعالى «وجعلنا بينهم موبقا» اسم مكان بمعنى «المهلك» من الفعل «وبق - يبق» والمراد به - فى معنى الآية - هو النار .

ثانيا: التفسير:

مفاد قوله تعالى «ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم» هو «واذكر يوم يقول نادوا شركائى» والمراد به يوم القيامة، والقائل هو الله تعالى يقول القول بذاته أو بواسطة الملائكة،

والخطاب في القول إلى المشركين، يطلب منهم استدعاء الذين أشركوا بهم في حياتهم الدنيا، سواء ما قالوا فيهم إنهم آلهة وما قالوا فيهم إنهم يشفعون لهم عنده تعالى، ويدخل فيهم إبليس وأعوانه الذين أطاعهم المشركون وعصوا ربهم فكانوا منهم بمثابة الخالق الآمر المطاع .

ثم يقول تعالى ما يفيد أنه يكون من المشركين أنهم يدعون بالفعل كل ما أشركوا به من دون الله تعالى. والظاهر من باقي عبارة الآية أن الدعاء أو الاستدعاء يكون لإبليس وأعوانه، لأنه ليس كل ما عبد من دون الله تعالى يدخل النار، إذ أن فيهم أنبياء وأولياء. والقول يفضح غباء المشركين وحماقتهم لأنهم لم يفهموا من طلب استدعائهم معبوداتهم أنه أريد به التهكم عليهم وبيان أنهم لا ينفعونهم، فكان منهم بالفعل دعوتهم لإنقاذهم أو للشفاعة فيهم .

ثم يذكر تعالى أن معبودات المشركين أو أن إبليس وأعوانه لم يجيبوا المشركين إلى ما دعوهم إليه من إغاثتهم لعجزهم عن هذا، وأنه جعل بين المشركين وبينهم مهلكا يشتركون فيه، هو النار التي أعدت للمضلين وللضالين .

وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

أولا: الأسماء:

المصرف : في قوله تعالى «ولم يجدوا عنها مصرفا» هو المهرب، والمكان الذى ينصرف إليه .

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى - في الآية - في بعض أحداث يوم القيامة، وما يكون من شأن المشركين الذين اتخذوا إبليس وأعوانه أولياء من دون الله تعالى.

وفى نص الآية يصفهم تعالى بأنهم المجرمون، ويذكر أنهم يرون النار، وفى عبارة النص جاء التعبير عن الحدث المستقبل بصيغة الماضى للتدليل على حتمية وقوعه. «ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها»، ويخبر أنهم حين يرونها يتأكد لهم أنهم مواقعوها، والمعنى أنهم مخالطوها وأنهم واقعون فيها. وقيل إنهم يرونها من بعد فيظنون أنها تخطفهم فى الحال .

ثم يقول تعالى «ولم يجدوا عنها مصرفا» والمعنى أنهم لو بحثوا عن مهرب من النار ما وجدوا، فيكون القول مثبتا حتمية مواقعتهم النار على ما تأكد لهم من قبل .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

أولا: الأسماء:

الإنسان : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو النضر بن الحارث، وقيل هو أبى بن خلف كان يجادل فى القرآن العظيم فيكثر الجدال. وقد يكون المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الكافر عموما .

ثانيا: التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه أورد فى القرآن العظيم وكرر العبر المستفادة من أخبار القرون الماضية، ودلائل الربوبية، وضرب الأمثال، وأنه تعالى فعل هذا جميعا من أجل الناس ولمصلحتهم، إذ أنه يكون فيه الباعث المصحوب بالدليل الذى يدفع للإيمان .

وقوله تعالى «وكان الإنسان أكثر شىء جدلا» هو تقرير لواقع وهو كون الكافر الذى ختم تعالى على قلبه مصدودا عن الإيمان، فهو يجادل فى القرآن العظيم حتى لا يماثله فى جداله

أحد من عاقل وغير عاقل. وذلك على ما جاء بقوله تعالى «ويجادل الذين كفروا بالباطل».

وقيل إن مجادلة الكافر تصحبه يوم القيامة، فهـو لا يقبل بصحيفته شاهدا عليه حين يدعى كذبا أنه آمن فـى الدنيا، كما لا يقبل بالملائكة الكتبة شهـودا عليه، ولا باللوح المحفوظ، ولا يقبل إلا شاهدا من نفسه، فتشهد عليه أعضاؤه وجوارحه .

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ النـاس : المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ كفار مكة .

٢ ـ القبـل : فى قـوله تعالـى «أو يأتيهم العـذاب قبلا» المـراد به ـ فـى معنى الآية ـ هو العيـان .

ثانيا: التفسـير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ فـى كفار مكة، يقول تعـالى إنه لـم يمنعهم من الإيمان بـالقرآن العظيم، أو برسول الله ﷺ ـ وكل منهما هدى ـ لما جاءهم، وأن يقرنوا إيمانهم باستغفار ربهم عما كان منهم مـن قبل من الكفر ومن المعاصى المـرتكبة فى زمانه إلا انتظارهـم ما أخبروا به مما جرت به سنته تعالى فى الأمم السابقة من إهلاكهم بالعذاب أن يكون معهم مثله على ما جاء بقولهـم «اللهم إن كان هذا هو الحق مـن عندك فأمطر علينا حجارة مـن السماء». وليس المعنى أنهم يتمنون أن ينزل بهم العذاب فى الواقع.

وإنما المراد أنهـم يطلبون سبب نزولـه بالأمم السابقـة وهو الإصرار على الكفـر عنادا من أنفسهم، أو طلب العذاب بألسنتهم وليس بقلوبهم. ويقـوم مقام هذا أن يأتيهم العذاب عيانا

وبيانا، أو متفرقا يتبع بعضه بعضا فيضع حدا لكفرهم .

وقد يكون النص مشيرا إلـى وجوب اقتران إيمان الكافر بالاستغفار مـن الشرك وما ارتكب خلالـه من المعاصـى، ولا يعنى هـذا أن الإيمان لا يَجُبُّ ما قبله من كفـر إلا إذا كان مقـرونا بالاستغفار و إنما معناه أن الإيمانَ يكون أكمل فيما لو اقترن بالاستغفار .

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ۝٥٦﴾

التفسـير:

بعد أن ذكـر تعالى أن الذى منـع كفار مكة هو عنـادهم بإصرارهـم على أن تأتيهم آيـة من آيات العذاب الدنيـوى ولو كان هذا قولا بألسنتهم لم يجـاوزها ، فإنه تعالى يذكـر لرسوله ﷺ أنه لم يرسـل الرسل ـ وهو أحدهم ـ إلـى الأمم إلا برسالة معينة تلتبس بهـم فيكونون تجسيدا لها، وهى تبشير المؤمنين بالثواب و إنذار الكافرين والعصاة بالعقاب.

والمعنى أنهم لـم يرسلوا لكى تقتـرح عليهم الآيات ولا لكى تـوجه إليهم أسئلة مـن قبيل السؤال عن أهل الكهف .

وقوله تعالـى «ويجادل الذين كفروا بالباطـل ليدحضوا به الحق» هو بيان لحـال الكافرين من الحق، فهم يجـادلون فيه بالباطل بـاقتراح الآيات ومنها نزول العذاب بهـم معجلا، ومنها توجيه أسئلة من قبيل السؤال عن أهل الكهـف وعن ذى القرنين وعن الروح، مستهدفين بهذا الوصول عن طريق الجدال بالباطل إلى إبطال الحق الذى بعث به الرسل .

ثم إنه تعالى يثبت فى شأن الكافرين جميعـا أنهم يتخذون آياته التى يؤيد بها رسله سواء أكانت آيـات كتبه أم معجزاته، ويتخـذون ما أنذروا به مـن العذاب الدنيوى سببـا للاستهزاء

والسخرية ومحلا لهما .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ الآيات : فى قوله تعالى «ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه» قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو آيات القرآن العظيم، يدعم هذا قوله تعالى «إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه»، وقيل إنها جميع الآيات فيدخل فيها القرآن العظيم .

٢ ـ ما قدمت اليدان : فى قوله تعالى «ونسى ما قدمت يداه» المراد به ـ فى معنى الآية ـ ما ارتكب من الكفر والمعاصى والمجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق .

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى هذه الفئة من كفار مكة الكافرين عنادا من أنفسهم، جاء قوله تعالى فيهم «ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه» فى صيغة استفهام إنكارى أريد به إنكار فعلهم المتمثل فى الإعراض عن آيات الله ونسيان ما قرفوا من الكفر والعصيان وقيل هذا يثبت القول انتفاء مساواة أحد من الظالمين لهم فى الظلم، وظلمهم الذى بلغوا به هذه المرتبة هو إعراضهم عن آيات القرآن العظيم عندما ذكروا بها، ونسيانهم ما عملوا من الكفر وارتكاب المعاصى.

فيكون القول ـ بهذا مشيرا إلى ابتعاد مرتبة المجادلين فى آيات القرآن والمستهزئين بها زيادة على مرتبة أظلم الظالمين .

وقوله تعالى فى هؤلاء «إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا» هو إعلام بطريق التمثيل لاستحالة الإيمان بالقرآن العظيم على هؤلاء، فمعنى أنه تعالى جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه هو أن قلوبهم غير صالحة لأن يدخلها الإيمان بالقرآن العظيم، فهى شبه المغطاة بأغطية كثيفة يحول دون أن يدخلها شىء ما اكتنفها من أغطية، ومعنى أنه تعالى جعل فى آذانهم وقرا هو أن سمعهم قد ثقل إلى درجة أنهم يعجزون عن سماع القرآن العظيم، والمراد بهذا أنه لن يبلغ مسامعهم، فيكون القول مشيرا إلى عدم إيمانهم .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا» هو تصريح بعد إشارة، والمصرح به هو أن هؤلاء الكافرين مهما دعاهم رسول الله ﷺ مدة التكليف إلى الهدى ـ والمراد به الإسلام ـ فإنهم لن يهتدوا. والقول يتعلق ـ على ما سبق بيانه ـ بفئة من الكافرين هم الذين أصروا على الكفر عنادا من أنفسهم، وقد قال البعض إن المعنى هو أن الكافرين لن يؤمنوا جميعهم معا، فلا يكون القول مانعا من أن يكون إيمان البعض منهم .

وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، وهو فى ذكر صفات من صفاته تعالى متعلقة بشأنه تعالى مع الكافرين. فقوله تعالى «وربك الغفور ذو الرحمة» جاء فيه بيان أنه تعالى يغفر الذنوب فى مقام أول يسبق وصف ذاته بأنه ذوالرحمة، وذلك لأن المغفرة تتعلق بإزالة العقوبة ومحوها عمن يستحقها. فتكون مقدمة على الإثابة. والصفة المذكورة تتعلق

بالمؤمنين وحدهم دون المشركين لقوله تعالى «إن الله لا يغفر أن يشرك به»، وجاء فيه أنه تعالى ذو الرحمة .

ومعلوم أن رحمته تعالى تشمل المؤمن وتشمل الكافر، وعلى هذا فإنه قد يكون من مظاهر رحمته تعالى بالكافرين إمهالهم وعدم تعجيل العذاب لهم، فيكون قوله تعالى «لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب» بيانا لمظهر من مظاهر رحمته تعالى بالكافرين هو عدم تعجيل العذاب لهم جزاء على ما اقترفوا من الكفر ومن العصيان و إتاحة الفرصة لهم ليؤمنوا أو ليؤمن منهم من لم يصر على الكفر عنادا من نفسه .

وقوله تعالى «بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا» هو إثبات لواقع أن للكافرين موعدا لعذابهم لن يخلفوه، أما العذاب فيكون لمن يبقى منهم على الكفر لا يستفيد من إمهاله، وقد يكون عذاب الدنيا، فيكون بالنسبة لكفار مكة ما لحق بهم من موت وهلاك وأسر فى بدر، وقد يكون ـ وهو الراجح ـ هو عذاب الآخرة لا يجدون منه ملجأ يلجؤون إليه فينجيهم منه .

وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

التفسير:

يشير تعالى ـ فى الآية ـ إلى القرى المهلكة التي يعرف أهل مكة أمرها وهى قرى عاد وثمود وقوم لوط والمراد بالقرى هو أهلها.

يذكر تعالى أنه أهلكهم لما ظلموا، فأظهر القول مشاركة أهل مكة الكافرين إياهم فى سبب الهلاك وهو الكفر وتكذيب الرسل.

فيكون القول ـ بهذا المعنى ـ تهديدا لكافرى مكة إذا ما أصروا على الكفر وتكذيبه ﷺ .

وقوله تعالى «وجعلنا لمهلكهم موعدا» هو بيان لواقع كون موعد الهلاك محددا عنده تعالى، إذا جاء فإنهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

وفي القول إشارة إلى كفار مكة بأن لهلاكهم موعدا إذا ما أصروا على الكفر وتكذيب رسول الله ﷺ.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾

أولا: الأسماء والأعلام :

١ ـ موسى : هو موسى بن عمران نبي بني إسرائيل، وينكر اليهود أنه موسى بن عمران، ويقولون إنه موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب، أو هو موسى بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب.

٢ ـ فتى موسى : في قوله تعالى «وإذ قال موسى لفتاه» هو يوشع بن نون .

٣ ـ البحران : في قوله تعالى «حتى أبلغ مجمع البحرين» قيل إنهما بحرا فارس والروم، وقيل هما بحرا: الأردن، والقلزم ــ وهو البحر الأحمر ـ وقيل هما بحرا: الأندلس، والمحيط الأطلسي. والذي نراه ـ والله أعلم ـ أنهما إما أن يكونا الجزئين من البحر الأحمر المحيطين بشبه جزيرة سيناء، أو أن يكونا البحرين الأحمر، والأبيض المتوسط ويكون اجتماعهما هو نقطة اتصالهما التي كانت قائمة ثم أعيدت بشق قناة سيزوستريس والتي تقوم محلها حاليا قناة السويس .

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ شروع في ذكر قصة موسى عليه السلام مع الخضر، يذكر تعالى في مبتدئها أن موسى عليه السلام قال لفتاه يوشع بن نون أنه سيظل سائرا حتى يبلغ غاية معينة هي مكان التقاء البحرين، وعلى ما نراه فإن هذه الغاية المتمثلة في مكان التقاء البحرين إما أن تكون عند التقاء ذراعي البحر الأحمر عند جنوب سيناء، فيكون المكان عند العبور إلى

سيناء باعتبارها الطريق اللازم اجتيازه لدخول فلسطين من بعد، وإما أن يكون عند ملتقى البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط فيكون هذا عند شمال سيناء ليكون السير من بعد إلى فلسطين بحزاء الساحل ، وباقى قول موسى عليه السلام أنه لن يمنعه من بلوغ هدفه شيء ولو سار حقبا من الزمان والمراد به ولو سار سنين عدة .

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

أولا: الأسماء:

السرب : فى قوله تعالى «فاتخذ سبيله فى البحر سربا» هو المسلك، شبه بالسراب وهو النفق .

ثانيا: التفسير:

يذكر تعالى فى القصة أنه عندما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين نسيا حوتهما، وقد كان افتقاد هذا الحوت هو علامة التقاء موسى الخضر. وقصة الحوت فيما روى أنه تعالى قال لموسى عليه السلام إن له بمجمع البحرين عبدا أعلم من موسى، فسأل موسى عن كيفية التقائه، فقال له تعالى أن يأخذ حوتا فيجعله فى مكتل، وأنه فى المكان الذى يفتقد فيه الحوت بكون التقاؤه العبد الأعلم منه، وقد فعل موسى ما أمره به ربه، ثم إنه عندما بلغ موسى وفتاه الصخرة عند مجمع البحرين ناما، أو نام موسى عليه السلام، ثم إن الحوت اضطرب فى المكتل فخرج منه وسقط فى البحر، وقيل إن يوشع بن نون شاهده وأزمع أن يخبر موسى عند إستيقاظه ثم نسى أن يخبره، وقيل إن نسيان فتى موسى نسب إليه وإلى موسى معا .

ومعنى القول هو أن الحوت الذى كان مع موسى وفتاه ليكون طعاما لهما وعلامة لموسى عليه السلام على مكان العبد الأكثر منه علما، قد اتخذ فى البحر مسلكا له.

وفى هذا قيل إن الله تعالى أمسك عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق .

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾

أولا: الأسـماء:

النصب : فى قوله تعالى «لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا» هو التعب والإعيـاء

ثانيا: التفسـير:

يذكر تعـالى من أحداث قصـة موسى عليه السلام مـع الخضر، أنه بعد أن جـاوز وفتاه فى سيرهما منطقة التقاء البحرين، المفترض أن يلقى فيها العبد الأعلم منه طلب من فتاه أن يأتيه بغدائهما، ولما كان الغـداء هو ما يؤكل نهارا، فإن القول يكون دالا علـى أن موسى وفتاه سارا بقية يـومهما وليلتهما إلى الغـد حتى ارتفاع النهار، فلمـا شعر موسـى بالجوع طلب مـن فتاه الإتيان بالطعام وهو الحوت، وقال تبريرا لطلبه إنه وفتاه قد أصابهما التعب من طول السير مع عدم تناول الطعام.

وقيل إنه عليه السلام لم يشعر بالتعب إلا بعـد أن جاوز المكان الذى كان مفترضا أن يلقى فيه العبد الأعلـم منه. والمفهوم من طلب موسـى الطعام أنه طلب الراحة أيضـا تكون خلال فترة تناول الطعام .

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾

التفسـير:

يذكر تعالى ـ فـى الآية ـ رد يوشع بن نون على موسى عليه السـلام حين طلب منه أن يأتى

بغدائهما وفى رده جاء قوله «أرأيت» للتعجيب من أمر ما سيخبر به من نسيانه ذكر ما كان من الحوت. وقوله «إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت» هو قص لما حدث بدأ ببيان مكان وقوع الحدث وحالهما فيه، فبين أنه كان عند الصخرة، وأنه كان حال التجائهما إليها للنوم، ثم ذكر الواقعة التى أراد الإخبار بها وهى اضطراب الحوت فى المكتل وسقوطه فى البحر ثم اتخاذه فى البحر طريقا سار فيه مما يثير العجب، معلما موسى أنه نسى إخباره بهذا وأن الشيطان هو الذى تسبب فى نسيانه إخبار موسى بما حدث من أمر الحوت، وهو ما قد يكون بسبب شغله بفقدان الأهل بالابتعاد عنهم أو بغيره من الأسباب، ووجه العجب فى الرواية هو أن حوتا ـ والمراد به سمكة كبيرة ـ ميتا ومأكولا منه، تدب فيه الحياة ويسير فى البحر متخذا طريقا.

قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾

أولا: الأسماء:

القصص : فى قوله تعالى «فارتدا على آثارهما قصصا» هو قص الأثر يكون باتباعه.

ثانيا: التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن موسى قال لفتاه إن افتقاد الحوت ـ المشار إليه بـ «ذلك» ـ هو الهدف الذى كانا يطلبانه، وذلك لكونه العلامة على التقاء العبد الأعلم منه. وأن موسى وفتاه رجعا من ذات الطريق التى أتيا منها متبعين آثار أقدامهما، والمعنى أنهما فعلا هذا إلى أن بلغا الصخرة التى افتقدا الحوت عندها .

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

أولا: الأسماء والأعلام :

العبد : فى قوله تعالى «فوجدا عبدا من عبادنا» قيل هو «الخضر»، وقيل هو اليسع، وقيل إلياس، وقيل سمى الخضر لأنه كان إذا جلس فى مكان اخضر ما حوله، وقيل كان ينبت العشب تحت قدميه. وقيل كنيته أبو العباس، واسمه «بليا» وقيل «إبليا» وقيل عامر، وقيل فى نسبه إنه ابن آدم لصلبه، وقيل إن أمه رومية وأباه فارسى. وقيل إنه ابن فرعون، وقيل هو ابن العيص.

ثانيا: التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما يفيد أنه عند بلوغ موسى وفتاه الصخرة وجدا عبدا من عباد الله تعالى ـ والمراد به هو الخضر ـ وصفه تعالى بأنه قد أوتى منه تعالى رحمة، قد تكون هى الرزق الحلال، والعيش الرغد، وقد تكون هى الانعزال عن الناس وعدم الاحتياج إليهم، وقد تكون هى الوحى والنبوة.

كما وصفه بأنه قد علمه تعالى من لدنه علما لم يعلمه أحدا من البشر، والمراد به علم الغيب.

ولقد قيل فى الخضر الكثير مما نراه منافيا العقل والعلم، فالقول بأنه من نسل آدم ينفيه إثباته تعالى أنه جعل ذرية من كانوا مع نوح هم الباقين بعد الطوفان.

والقول بأنه كان حيا إلى زمان رسول الله ﷺ لا يقبله العقل لأنه لو كان حيا آنذاك لحضر إلى رسول الله ﷺ ليعلن إسلامه وليتعلم منه، وليحارب معه فى سبيل الله ـ والقول بأنه حى إلى اليوم ينفيه قوله ﷺ عند موته إنه لن تمر مائة سنة وتكون على الأرض نفس منفوسة، بمعنى أن تبقى نفس حية فى وقته ﷺ مدة مائة سنة.

والقول بحياته فى كل زمان إلى أن تقوم الساعة ينفيه قوله تعالى «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد» .



قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآية - أن موسى عليه السلام قال للخضر حين لقيه «هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا» ، والمعنى هو أن موسى عليه السلام استأذن من الخضر، أن يتبعه من أجل أن يعلمه مما علمه ربه علما يكون مرشدا إلى الخير والحق .

وفى القول جاءت «على أن تعلمن» فى شكل الشرط، ويبعد أن يكون هذا هو معناه لأنه ليس لسائل الفضل من متفضل أن يشترط عليه شروطا، فيكون المراد هو إظهار علة الطلب أو علة الاتباع .

قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾

التفسير:

القول فى الآية هو قول الخضر لموسى عليه السلام ردا على طلب اتباعه، ومفاد رد الخضر هو عدم قدرة موسى عليه السلام على الصبر على ما سيشاهد ويعرف من أمره.

وجاءت «إن» فى أول الكلام لتأكيد المعنى، ثم جاءت «لن» لتأكيد النفى، ثم إن نفى القدرة على الصبر تفيد بالضرورة نفى الصبر نفسه .

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾

أولا: الأسماء:

الخبر : فى قوله تعالى «لم تحط به خبرا» هو المعرفة والإحاطة بالشىء علما .

ثانيا: التفسير:

القول - في الآية - قول الخضر، وهو تعليل لما سبق التقرير به من أن موسى لن يقدر على الصبر على ما يشاهد منه من أفعال، والاستفهام في القول أريد به إنكار حدوث الصبر، وعلة ذلك هو عدم معرفة موسى بالبواعث الدافعة إلى الأعمال التي يأتيها الخضر - التي قد تكون في ظاهرها منافية للشريعة - مع ما هو معروف من أن موسى رجل شريعة، وأنه مفرط في غيرته عليها إلى درجة أنه أخذ رأس أخيه يجره إليه حين عبد بنو إسرائيل العجل.

قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - أن موسى عليه السلام قال للخضر عبارة الآية. قال قوله حتى يأذن له الخضر في اتباعه.

ويلاحظ في القول أنه عليه السلام عندما قال إنه سيصبر، قد استثنى، بأن علق صبره على مشيئة الله تعالى، وأنه لهذا صبر على ما شاهد من أفعال الخضر، وأنه حين قال إنه لن يعصي له أمرا - وقد كان أمر الخضر بعدم سؤاله عن شيء حتى يخبره هو بأمره - أنه لم يستثن، وأنه لهذا وقعت منه المخالفة.

قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾

التفسير:

القول - في الآية - قول الخضر لموسى عليه السلام، ومعنى قوله «فإن اتبعتني» هو الإذن لموسى عليه السلام باتباعه على الشرطين اللذين وضعهما مختارا، وهما الصبر على ما

يشاهد منه وعدم الاعتراض ، وعلى عدم عصيانه فى أمر يأمر به. وقول الخضر «فلا تسألن عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا» هو أمر منه بألا يسأله عن شىء من أفعاله ينكره عليه بلسانه، وأن يكتفى بإنكاره فى قلبه إلى أن يخبره الخضر بما جال فى خاطره من سؤال عندما يشاء، مجيبا عليه بما أراد السؤال عنه، أو بما أراد معرفته بالسؤال عنه .

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾

أولا: الأسماء:

الإمر: فى قوله تعالى «لقد جئت شيئا إمرا» هو الأمر المنكر، والداهى، والمشتمل على إفساد يكون به داهية كبيرة .

ثانيا: التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن موسى عليه السلام والخضر انطلقا معا. وقد يكون المستفاد من هذا هو عدم مصاحبة يوشع بن نون لهما، فيكون موسى قد أعاده لقومه، وقد يكون إغفال ذكره إنما كان لكونه تابعا لموسى عليه السلام، ولهذا اكتفى ببيان انطلاق موسى مع الخضر.

ويبين من القول أنهما ركبا سفينة من جنس السفن دون تحديد مع ورود ذكرها معرفة بالألف واللام، لعدم سبق الحديث عن سفينة وفيها قيل إنها كانت سفينة جديدة أشار إليها الخضر ليكون وموسى من راكبيها الذين تعبر بهما إلى الجهة الأخرى من البحر، وأن ربانها اصطحبهما دون أن يأخذ على هذا أجرا .

والذى يبين من نص الآية أنه بمجرد أن ركب موسى عليه السلام والخضر السفينة بادر

الخضرإلى خرق السفينة، قيل إن هذا تم بواسطة مثقاب وقيل تم بنزع أحد ألواحها. كما قيل إن الفعل تم أثناء وجودها فى عرض البحر، وقيل كان عند الرسو على أرض نزل إليها ركاب السفينة.

والمفهوم من النص هو أن الفعل تم على غير مرأى من بحارة السفينة وركابها .

ويذكر النص أن موسى عليه السلام قال للخضر «أخرقتها لتغرق أهلها» وقد تكون «اللام» فى «لتغرق» هى لام العاقبة لبيان أن عاقبة الأمر تكون إغراق أهل السفينة، وقد تكون هى «لام التعليل» فيكون القول إنكارا على الخضر فعله.

وعلى الحالين فإن موسى عليه السلام قد خالف أمر الخضر بعدم السؤال عن شىء حتى يخبره هو بإجابة ما أراد السؤال عنه .

كذلك يذكر النص أن موسى عليه السلام قال رأيه فى فعل الخضر بقوله له «لقد جئت شيئا إمرا» ، وفيه وصف فعله بأنه أمر يعتبر من الدواهى والنوازل التى ينكرها الخلق القويم .

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - أن الخضر أنكر على موسى عدم صبره على عدم توجيه أسئلة إليه فى شأن أفعاله، أو على مخالفته أمره بعدم السؤال عن شىء، فقال له ما يؤكد صحة رأيه فيه الذى أخبره به من قبل وهو أنه لن يستطيع أن يصبر على ما يشاهده من أفعاله .

تم بعون الله وحسن توفيقه المجلد الثالث من النفيس

فى معانى الأسماء وبيان الأعلام بتفسير القرآن

ويليه إن شاء الله المجلد الرابع وأوله تفسير الآية ٧٣ من سورة الكهف

أعان الله على إتمامه

بسم الله الرحمن الرحيم

فهـرسـة المجلد الثالث من النفيس فى معانى الأسماء وبيان الأعلام بتفسير القرآن

تمت الفهرســة

بعــون الله تعالى